كتاب

ذكر الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكائنة في أيام الخلفاء الأول الثلاثة : أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر الفاروق، وأبي عمرو ذي النورين عثمان المشتملة عليها مدة خلافتهم الساكنة الوادعة المقترنة بها بركة أيامهم الناهضة الصادعة ، المثاقبة لمغازي رسول الله ﷺ ، وفتوحه ، الهادمة لما استطال من مباني الشرك وصروحه ، المؤسسة لما اعتلى[1] من معاني التوحيد وعمائره ، المثبتة لكلمة الإسلام إلى آخر الدهر وغابره .

مما أمر بنظمه وتصنيفه وجمعه وتأليفه :

الخليفة الإمام الموفق المسدد المؤيد المنصور الناصر لدين الله ، أمير المؤمنين .

أبو يعقوب ابن الخليفة الإمام أمير المؤمنين ، مد الله في إفاضة أنوارهم، وإعلاء منارهم، وإطالة أعمارهم، وإعزاز حماتهم وأنصارهم، وإعلائهم على جميع الامم وإظهارهم .

---

(١) في (م) ابتنى .

ملتزم[١] خدمتهم وشاكر نعمتهم الإمام الأوحد المفنن .

عبد الرحمن بن محمـــد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش رحمه الله[٢] .

---

(١) سقطت « ملتزم » من «م» وجاء فيها: الشيخ الفقيه القاضي الامام الحافظ العلامة الحامد أبا القاسم عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن حبيش ، رضي الله عنه .

(٢) جاء على صفحة العنوان هذه بالخط نفسه ما يلي :

شاهدت تحت هذه الترجمة ما مثاله حرفا بحرف سمعته من لفظ مصنفه وحضرت في المجلس العالي حين أمر بجمعه ، وذلك بحضرة مراكش ، وولاه في ذلك اليوم قضاء مدينـــة مرسية، إلا أنه روى في الكتاب عن جماعة من الوضاعين والمتروكين ، سمح الله لنا وله ولجميع المسلمين . قاله أصغر عبيد الله ذو النسبتين أبو الخطاب بن حسن بن علي سبط الإمام أبي البسام الفاطمي الحسيني الكوفي رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله العلي القاهر ، القوي الناصر ، الأول الآخر ، الصمد الفاطر ، منيل النعم الجسام ومواليها ، ومظهر كلمة الإسلام ومعليها ، ومتابع الفتوح الخطيرة ومواليها ، وكاشف الظلم المدلهمة ومجليها ، ومقرب الآمال النازحة ومدنيها ، وميسر المطالب الفادحة ومسنيها ومبلغ النفوس الصالحة أقصى تمنيها ، ومديلها بحفي [1] نصره وقوي قهره على من يعاديها ويمانيها ، المتكفل لأوليائه المتقين بإنجاز ما وعدهم به من الفتح الجسيم والظفر الهازم لجيوش الكفرة المعتدين ، وجموعهم بالعصب اليسيرة ، والقليل من النفر ، الموصل إليهم ما كتب لهم من حفيل العطايا الواسعة وكريم الأثر ، الجامع لهم بين المنائح الجزلة ، والأجر المحتسب المدخر ، الواهب لهم ولأعقابهم المزايا الرفيعة وعظم المفتخر ، المظهر لهم على جميع الأمم إلى يوم البعث المنتظر .

أحمده سبحانه حمد من عرف قدر ما آتاه من آلائه السابغة ونعمه ، وأشكره شكر من حفتّه سوابغ نعمه وجلائل قسمه ، وأومن به إيمان من اهتدى بمناره البين وعلمه ، وأمجده تمجيد من أضحى سائحاً في مفاوز عبره ، وسابحا في بحار حكمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستمسك بعراها المتان الوثاق وأعدّها ليوم الفقر والإملاق أنفس الذخائر النافعة والأعلاق ،

---

(١) يقال أحفى فلان بصاحبه ، وحفي به ، وتحفى ، أي : بالغ في بره والسؤال عن حاله. النهاية لابن الأثير .

وأخلصها من شوائب الشرك والنفـاق ، وأتخذها قلادة منظمة بالعهد الأول المؤكد والميثاق .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي نشر ببعثته على الأفق نوراً متألقـاً ، وجمع به على الهدى جمعاً كان متفرقاً ، وطبق بملتـــه الحنيفية الخافقين غرباً ومشرقاً ، وفلق بظهوره من الكفر جبيناً ومفرقاً ، وأورث أمته ملكاً شامخاً مستوثقاً ، وأفاض عليهم من نوافله سيباً [١] واسعاً مغدقاً ، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين صلاة ينال بركتها من كان مستمسكاً بغرزه [٢] ومستوثقاً ، ورضي الله عن أصحابه البررة الكرام سرج الهدى وبدوره ، ووجوه الشرف الرفيع وصدوره ، الذين استضاؤوا بأشعة نوره ، واستمدوا من أودية علومه الذاخرة وبحوره ، وأجهدوا أنفسهم وأموالهم في نصرته وظهوره .

وخص الله سبحانه بموالاة الرضى ومتابعتـــه ، ومواترة العفو ومشايعته ، الخلفاء الأول الأئمة الهداة المتبعة آثارهم المؤتم بها المقتفاة ، ذوي الفتوح المبتكرة السابقة ، والمختلبين لدراتها الممتلئة الفاهقة [٣] ، والمستولين على مدائنها وحصونها الممتنعة الشاهقة ، والجالين منها لسدف الكفر وظلماته الداجية الغاسقة فهنيئـاً لهم ما شادوا للاسلام من أعلام ساميـــة وبنوا ، وما استولوا عليه من مملكة شامخة وحووا ، وما أجلوا من جموع الكفر متألبة عليه وما نفوا .

ورضي الله عن الإمـــام المعصوم أبي عبد الله محمد بن عبد الله المهدي المعلوم العربي القرشي الهـــاشمي الحسني الفاطمي [٤] المحمدي ، العامر لطرق الحقائق

---

(١) أي جارياً – النهاية لابن الأثير .

(٢) الغرز نوع من أنواع الركاب يتخذ من جلد عادة . النهاية لابن الأثير .

(٣) الفهق : الامتلاء والاتساع .

(٤) يريد به المهدي بن تومرت مؤسس دعوة الموحدين ، هناك خلاف حول صحة نسبـــه ، انظر كتاب « ابن تومرت» تأليف رشيد بو رويبة – ط الجزائر ١٩٨٢ ص : ١٥ – ١٩ .

الدائرة ، الجامع لأشتاتها المتفرقة المتناثرة ، القامع ببراهينـــه لأباطيل الجموع المتألبـــة المتكاثرة ، السالب بعون الله وتأييده ما احتوته الأيدي المتطاولة المستأثرة ، المبشر به في الآثار المتـــواترة [١] المنتظر على مرور الأزمنة المترادفة وتعاقب الأمم المتعاصرة ، المتسابقة إليه الأفئدة الزاكية والقلوب التقية الطاهرة ، المبتدرة إلى وعي علومه والاقتفاء بآثار حلومه جماعه أهل التوحيد ، المتعاونة على نصر دين الله المتظاهرة .

ورضي الله عن حواريه وناصره ومعينه ومؤازره ومكانفه ومظاهره ووارث شرفه المنيف ومفاخره ، القائم بأموه العزيز إلى أشرف الزمان وآخره الخليفة الامام المنصور الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي [٢] الذي تمم بذاته المنيرة وكملها وقام بنصرته في إظهار الحقائق وتحملها وأجهد نفسه في إعزاز أمر الله الذي وعد بظهوره وأعملهـــا ، فتولى ذلك بعزمة نافذة وهيبة بالقلوب آخذة ، ومحبة للنفوس جابذة ، ويد بالنوال والبذل مبسوطة ، وهمة بإنجاز الوعد ونشر العدل منوطة ، وانفراد بالعلوم الربانية واختصاص في اقتفاء الآثار النبوية واقتصاص ، وافتتاح لكل مقفل من الأمور ممتنع معتاص وروية قدحت كل مصيب من الآراء ، وبصيرة تخلفت عنها البصائر الثاقبـــة بالعراء ، وإبرام لمعاقد الأمور أدبرت بها أعجاز المضرات ، وأقبلت بهـــا أوجه المسرات والبشراء ، فسكنت الدهماء وتفرجت الغماء ، واستنارت الظلمـــاء ، وفاضت النعماء ، وتأنست بعد وحشتها الأرض المقفرة البهماء . وامتدت على البسيطة من الأمنة رواقها ، وأحاطت بها من السكينة نطاقهـــا ، وفرش بالقسط والمعدلة

---

(١) جاء ذكر المهدي المنتظر في عدد من المصادر المبكرة أفضلها وأجمعها وحتى أقدمهـــا كتاب « الملاحم والفتن » تأليف نعيم بن حماد المروزي الخزاعي ، وهو محقق لدي سأنشره قريباً إن شاء الله . كما أن لدي مخطوطاً من القرن السابع لامام من الحنابلة اسمه « الحرز والمنعة في أمر المهدي والمتعة » قدم فيه وجهة نظر السنة حول هذا الموضوع .

(٢) صاحب المهدي وخليفته والمؤسس الفعلي للدولة الموحدية (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٣٠-١١٦٣م).

بساطها ، وقضت بالأحكام السوية صراطها ، وكفت الأيدي العادية وقدع [١] اشتطاطها ، ثم وصل الله هذه الدعوة العالية الظاهرة والكلمة الغالبة القاهرة ، والإمامة القدسية الطاهرة ، والخلافة الامامية الباهرة بالخليفة الامـــام المؤيد المنصور النـــاصر لدين الله أمير المؤمنين أبو يعقوب [٢] ابن الخليفة الإمام أمير المؤمنين ، أمدهم الله بالنصر الأمكن ، والفتح الأبين ، والعهـد الأقوى الأمتن صلة أحكمها سبحانه وأوثقها ولأمها ملأمة نظمها ونسقها ، وجمع عليها الأهواء والقلوب ونمقها . وسلم لها أولو الألباب الفائقة والفطر ، وأذعن لها ذوو السوابق الكريمة والخطر ، تيقناً واعترافاً أن الله سبحانه قضى لهم ولكافة الأنام في هذه الإمامة الرشيدة والخلافة السعيدة بالخير الحافل الذي تمم لهم به أعظم المآرب ، وثنى لهم أقصى الوطرة ، وذلك فضل الله الذي حباه بانفراده به واختصاصه ، ومنّ عليه باحتبائه لهذا الأمر العظيم واستخلاصه ، فهو الذي له الهمـم الباسقة العلية ، والأخلاق الفائقة الزكية والعلوم الباهرة الجلية والقضايا العدلة السوية ، والممالك الشامخة البهية ، والفضائل التي لها الشفوف والمزية ، والمحاسن التي فاق بها جميع البرية ، والخصائص التي حتمت له بها القضية ، وأجزلت لـــه منها العطية ، والكمال الذي ليس وراءه مستشرف ولا مطلع ، والجلال الذي تغشى دونه الأبصار وتلتمع ، والهيبة التي رسخت في النفوس رسوخ الجبال الأطواد ، والمحبة التي أشربت القلوب وسرت في الأجساد ، والورع والتقى والعمل المنتحل المنتقى ، والجود الذي ليس وراءه لراق مرتقى ، والعدل المنتشر الفـــائض ، والعزم النافذ الناهض ، والجأش الثابت الرابط ، والحزم الجامع الضابط ، والعلم ، والحكمة والحلم والعصمة والرأفة والرحمة ، والنسك والعبادة والخشية والزهادة والجد والاجتهاد والتقدم والارتياد والتثبت والاتئاد ، ومواصلة الغزو والجهاد ،

---

(١) أي كف ومنع – النهاية .

(٢) أبو يعقوب يوسف ثاني خلفاء الدولة الموحدية (٥٥٨ – ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ – ١١٨٤م).

والنظر في مصالح العباد في قطع دابر أهل الكفر والعناد ، والاشتغال بحجابة الثغور ، وتدميث الوعور ، وحسم دواعي الفتن والشرور ، والسعي في اكتساب الحسنات والأجور بالعمل الزاكي المتقبل المبرور ، فهنأه الله سبحانه ما وهبه من الأوصاف الرفيعة الحميدة ، وأناله من الإمامة الهادفة الرشيدة ، ومنحه من الخلافة الظاهرة السعيدة ، وخوله من المسالك العريضة المديدة ، ولا زال مبلغاً أقصى آماله من توالي الفتوح المتواترة المبينة والاستيلاء على جموع الكفرة وأصقاعها بالقوة القاهرة والعزة المكينة ، وإظهار كلمة التوحيد وإعزازها وتتميم عدته التي وعد بها ، وانتجازها واستلاب ممالك الكفرة وابتزازها ، وابقاء إمامته المقدسة المؤيدة ، وخلافته الممكنة الممهدة مع الآماد المتطاولة والأحقاب ، « وجعلها كلمة باقية »[1] إلى يوم الدين في البنين والحفدة والأعقاب .

ولما كانوا ـ أعلى الله منارهم وأفاض أنوارهم ـ يواصلون أزمانهم المباركة في نشر العلوم الربانية يقتبسونها ويفيدونها ، وإعلاء أركان الاسلام يبنونها ويشيدونها ، وبتجهيز الجيوش إلى بلاد أعداء الله الكفرة يبدؤونها ويعيدونها ، وكان الأئمة الخلفاء الأول : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب الفاروق ، وعثمان بن عفان ذو النورين رضوان الله عليهم ، قد توالت في أيامهم الغزوات والفتوح الخطيرة ، واستولى تغلبهم على أصقاع طوائف الشرك والكفر وبلادها الدانية والشطيرة[2] ، وأطفؤوا بجدهم واجتهادهم نيران الكفرة الطغاة المستطيرة ، وكانت هذه الغزوات والفتوح مذكورة في كتب التواريخ ومسطرة ، مبسوطة مكملة ومحذوفة مختصرة مضافة إلى غيرها من الحوادث والأكوان الجارية في ذلك الزمان ، أمروا ـ أمدهم الله بالنصر المؤبد والعون الممدد ـ بجمع تلك الغزوات والفتوح من الكتب المجموعة فيها وتأليفها ونظمها منفردة عن غيرها

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٢٨ .

(٢) الشطيرة أي الغريبة ـ النهاية لابن الأثير .

من الأمور وتصنيفها حتى تتبين بياناً شافياً ويكون هذا المجموع لمن أراد الوقوف عليها خاصة كافياً وليكون هذا المجموع مصاقباً لكتاب محمد بن إسحاق[١] الذي ألفه في سيرة رسول الله ﷺ وتالياً ، إذ كان أحق ما تلاه غزوات الخلفاء رضي الله عنهم ، وفتوحهم التي تمهد بها للاسلام قراره ، وأضاءت بها سرج الهدى وأنواره ، ووضحت للمهتدين بها أعلام الحق ومناره ، استدعاء منهم أمدهم الله بنصره وتأييده ، وتولى معونتهم على تمكين دين الاسلام وتمهيده لأن تنبعث الهمم الأبية من مكانسها ، وتتجرد العزائم القويـــة من ملابسها ، وتجتنى العواقب الرضية من مغارسها ، وتعتلي المراقب العليـة من مدارجها ومراقيها ، وتمتاح الآراء المصيبة من فرضها ومساقيها ، فيحتذى ذلك الحذو ، ويمتثل ذلك المثال ، ويدرك بعون الله وتأييده ذلك المدرك وينـال بنصره وإنجاز وعده مثل ذلك المثال ، حتى تعمر البسيطة بأجمعها بكلمة التوحيد ، ويستولي عليها ملك أهلها العالي المشيد ، وينقطع دابر الكفرة الجاحدين والطغاة المعتدين ، ويظهر صدق وعد رسول الله ﷺ بعلو هذا الدين القيم وظهوره ، وإشراق ضيائه وانتشار نوره في قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي يقـاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامـــة »[٢] . وفي قوله ﷺ : « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة »[٣] .

وها أنا قد امتثلت الأمر الأعز المطاع وتناولت الجمع المذكور بالإسراع إليه

---

(١) أمير المؤمنين في السير والمغازي (ت : ١٥٢ هـ) وصلنا قطعة صغيرة من سيرته ، التي جعلها في ثلاثة أقسام : أخبار الخليقة من آدم حتى النبي اسماعيل ، أخبار العرب في الجاهلية من اسماعيل عليه السلام وحتى المبعث ، أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه ، وقد نشرت هذه القطعة في بيروت : ١٩٧٨ . ومن المفيد الاشارة إلى أن سيرة ابن اسحق وصلتنا مهذبـــة عن طريق ابن هشام ، وسيرة ابن هشام مطبوعة متداولة .

(٢) انظر الكامل في الضعفاء لابن عدي – ط . بيروت : ٣ / ١٣١ .

(٣) لم أجده في كتب الصحاح ولم تورده كتب الموضوعات للمشارقة ، ومعروف أن جـــل أحاديث البلدان موضوعة .

والاهطاع [١] على المثال الذي أشاروا إليه ، فإن وافق مرادهم فذلك والحمد لله ببركة أمرهم العزيز التي تشتمل جميع رعاياهم وتفترق بصواب آرائهم ، ونفوذ قضاياهم ، وإن قصر عنه فذلك بحسب تقصيري الذي أنا به معترف وإليه في كل الأحوال والأوقات منصرف ، وقد كنت أعتذر بهذا العذر أولا ، وأصرح أني لا أطيق لما تكلفت تحملاً لكني أمسكت هيبة لجلال حضرتهم المعظمة المطهرة ، أدام الله علو مكانها ، وبسطة إمكانها أن أرد لهم أمراً يحزمونه ، واتكالاً على توفيقهم الذي يحكمون به كل أمر من أمورهم ويبرمونه ، وعفوهم الذي يسع الخطائين فيما يكتسبونه من شيء ويجترمونه .

والمعتمد [٢] في جمع هذا الكتاب على كتاب الردة لمحمد بن عمر الواقدي [٣] وغيره ، وعلى كتاب التاريخ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري [٤] ، وكتاب الردة والفتوح لسيف بن عمر الأسدي [٥] ، والكتاب الموسوم بفتوح الشام [٦] وقد رأيت منه نسخاً تنسب كل نسخة منها إلى مؤلف ، غير مؤلف الأخرى ، وكل هذه التواليف إلا القليل ظاهر الاختلال بادي الاعتلال لأنها لا تروي ولا

---

(١) الاهطاع : الاسراع في العدو والاستجابة ، النهاية .

(٢) جاء في حاشية الأصل : أصول هذا الكتاب .

(٣) الواقدي هو محمد بن عمر بن واقد (١٣٠ - ٢٠٧ هـ / ٧٤٧ - ٨٢٣ م) من أقدم المؤرخين في الإسلام وأشهرهم ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة ، انتقل إلى العراق أيام الرشيد وولي القضاء ببغداد ، صنف عدداً من الكتب وصل منها « المغازي النبوية » فقط .

(٤) أعظم مؤرخي الاسلام مكانة وشهرة، له في التاريخ كتاب « تاريخ الرسل والملوك » توفي في بغداد سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م .

(٥) سيف بن عمر الأسدي التميمي (ت : ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) من أصحاب السير ، كوفي الأصل ، اشتهر وتوفي ببغداد ، من كتبه « الجمل » « والفتوح الكبير » «والردة » لم يصلنا أي منها ، لكن هناك نقول كثيرة خاصة في تاريخ الطبري .

(٦) لم يشر المصنف إلى أسماء أصحاب هذه الكتب ، وليته فعل ، لما في ذلك من فوائد .

تصحح ، ولا يورى زند الاستضاءة لتحقق عرفانها ولا يقدح ، ولا يقرع باب العناية والتهمم بها ، ولا يستفتح .

وهذا حين أبتدىء بعون الله سبحانه الذي لا يتم مع فقده عملا ، ولا يبلغ دونه أملا وهو الكفيل سبحانه بإصحابي إياه فيما أحاول ، وإمتاعي بـــه فيما أتناوله وأزاوله ، وإياه عز وجهـه أسأل أن يقضي عني حق إفضالهم الجذل السابغة ، ويبلغني من شكرهم والتزام طاعتهم وموالاة خدمتهم أقصى المبالغ ، فهم الذين ألحفوني أثواب برهم وألطافهم السابغة الصافيـة ، وأتحفوني بنوافل منحهم عطاياهم المحسنة الكافية ، وأفاضوا علي من أنوار هدايتهم ، واشتملوا على إفادتي بتهممهم وعنايتهم ، وحملوني في السفينة المعدة للفوز والنجاة ، وقربوني من نيل رحمة الله المؤملة المرتجاة ، والله سبحانه يديم إفاضة أنوار إمامتهم المقدسة الرفيعة ، ويثبت قواعد أركان خلافتهم السامية البديعة ، ويشيد بنـاء أسوار مملكتهم الشامخة المنيعة ، ويقرن بالنصر الأعز راياتهم وأعلامهم ، ويقدم الرعب حيث توجهوا أمامهم [١] ، ويجري على الأمم قضاياهم وأحكامهم ، وينفذ بمـا شاؤوا إرادتهم واعتزامهم بمنه وكرمه إنـــه ولي ذلك سبحانه والقادر عليه لا رب غيره ، وحسبي الله ونعم الوكيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) مستمد من الحديث النبوي « نصرت بالرعب مسيرة شهر ... » صحيح البخاري(باب التيمم) ط . استانبول ١ / ٨٦ .

ذكر الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ

في الفتن الكائنة إثر موته المنذرة بالردّة منها وذكر ما يلحق بذلك

الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن عبد الله بن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من نجا منهن فقد نجا : من موتي ومن قتل خليفة مصطبر ، بالحق يعطيه ، ومن الدجال » (١) .

وعن ليث بن أبي سُلَيْم عن عامر الشعبي قال : قدم عبدة بن مسهر الحارثي على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ فيما يعظه به : « فإن أدركتك الردة فلا تتبعن كِنْدَة » (٢) .

وعن ابن عباس قال : لما وفد جرير بن عبد الله على رسول الله ﷺ دعا له رسول الله ﷺ فقال : « اللهم اشرح صدره للإسلام ولا تجعله من أهل الردة » (٣) .

وعن عبد العزيز بن محمد ، وعبد الله بن محمد بن يحيى ، وابراهيم بن سعد بن إبراهيم وغيرهم « أن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ يوم بدر أن ينزع ثنيتي سهيل بن عمرو من أسفل وكان أعلم (٤) الشفة السفلى فقال: يا رسول الله انزع ثنيته فإنه خطيب ، لا يقوم عليك خطيباً بمكة » فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) انظر مسند أحمد : ٤ / ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) في الإصابة لابن حجر : ٢ / ٤٢٧ « ذكره ابن منده » .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ .

(٤) أي مشتق الشفة ـ النهاية لابن الأثير .

« عسى أن يقوم مقاماً [١] يسرك » ، فكان مقامه بعد وفاة رسول الله ﷺ حين نفر الناس وهموا فأمرهم ، وذكرهم فلم يرتد بها أحد .

وفي صحيح مسلم وغيره عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة قال : لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه بعده ، وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله » فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه . فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر لقتالهم ، فعرفت أنه الحق [٢] .

وذكر الواقدي : حدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن فاطمة ابنة خشاف السُّلَمية عن عبد الرحمن بن الربيع الظفري قال : « بعث النبي ﷺ إلى رجل من أشجع تؤخذ صدقته فجاءه الرسول فرده فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال له رسول الله ﷺ : اذهب إليه فإن لم يعطك صدقته فاضرب عنقه [٣] ».

قال الواقدي : قال عبد الرحمن : فقلت لحكيم بن حكيم : ما أرى أبا بكر يرحمه الله قاتل أهل الردة إلا على هذا الحديث ؟ قال : أجل .

---

(١) انظر ترجمته في أسد الغابة ـ ط . دار الفكر ببيروت : ٢/ ٣٢٨ .

(٢) الحديث رواه البخاري ـ انظر باب الاعتصام : ٨ / ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٣) انظر أسد الغابة : ٣ / ٣٤٠ حيث أورد الحديث نفسه وقال : « أخرجه ابن منده وأبو نعيم » .

وعن القاسم بن محمد قال : سمعت عائشة رحمها الله تقول : لقد نزل بأبي ما لو نزل في الجبال الراسيات لهاضها ، لمـــا توفي رسول الله ﷺ اشرأب النفاق وارتدت العرب قاطبة ، وكان أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في حفش[1]، فوالله ما اختلفوا فيه من أمر إلا طار أبي بعلائه وغنائه ، وكان من رأي ابن الخطاب علم أنه خُلق عوناً للإسلام كان أحوذيـــاً نسيج وحده ، قد أعد للأمور أقرانها .

* * *

(١) الحفش: البيت الصغير الذليل القريب السمك ـ النهاية لابن الأثير. ومن أجل الخبر انظر تاريخ خليفة بن خياط ـ ط . دمشق : ١ / ٨٠ .

ذكر بدء الردة

بعد وفاة رسول الله ﷺ

ذكر يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف [١] عن جماعة من شيوخه سمى بعضاً ، ولم يسم بعضاً كراهة الإكثار ، وجعل أحاديثهم على اختلافها حديثاً واحداً إرادة التقريب والاختصار ، قالوا: توفى الله رسوله ﷺ وقد نعى له نفسه من قبل فقال: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [٢] ونعاه لعباده فقال: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ [٣]. وأخبرهم رسول الله ﷺ بردة المرتدين من بعده فذكر عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان [٤] ، مسيلمة والعنسي ».

وعن جابر بن عبد الله قال : قال عن رسول الله ﷺ : بين يدي الساعة كذابون منهم صاحب اليمامة – يعني مسيلمة – وصاحب خيبر – يعني طليحة – ومنهم العنسي – يعني الأسود – ومنهم الدجال وهو أعظمهم [٥] فتنة .

---

(١) انظره في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي : ٩ / ٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) سورة الزمر – الآية : ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٤٤ .

(٤) رواه الشيخان ـ التاج الجامع للأصول : ٥ / ٣١٩ . انظر أيضاً مسند الإمام أحمد : ٢ / ٣١٩ .

(٥) انظر التاج الجامع للأصول : ٣١٨ ، والكامل لابن عدي « ترجمة الحسين بن قيس أبو علي الرحبي » .

قالوا : فتوفي رسول الله ﷺ واستخلف المسلمون أبا بكر رحمه الله ومن قبل ما وصف لهم صفة من يلي من بعده حتى كاد يقول خليفتي أبو بكر .

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: « رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر »قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ،وأما ما ذكر من نيط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به [١] نبيه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها الماء ما شاء الله،ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه – والله يغفر له – ضعف ، ثم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً يفري الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن » :

وعن الزهري نحوه قال : فأروى الظمأة وضرب الناس بعطن [٢] .

قال : فكان أبو بكر أمير الشاكرين الذين ثبتوا على دينهم وأمير الصابرين الذين صبروا على جهاد عدوهم أهل الردة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وبرأي أبي بكر أجمعوا على قتالهم ، وذلك أن العرب افترقت في ردتها : فقالت فرقة : لو كان نبياً ما مات،وقال بعضهم: انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحداً بعده، ففي ذلك يقول قائلهم :

أطعنا رسول الله ما عاش بيننا ... فيا لعباد الله مـا لأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده ... فتلك وبيت الله قاصمة الظهر [٣]

---

(١) نيط : التصق . انظر مسند الإمام أحمد : ٣ / ٣٥٥ .

(٢) القليب : البئر التي لم تطو ، والعطن : مبرك الإبل حول الماء ضرب ذلك مثلا لاتساع الناس في زمن عمر وما فتح الله عليهم من الأمصار (النهاية لابن الأثير) انظر مسند الامام أحمد : ٢ / ٢٨، ٣١٩ .

(٣) الشعر للحطيئة مع خلافات بالرواية . انظر ابن قتيبة – الشعر والشعراء ط . ليدن ١٩٠٢ : ١٨١ .

وقال بعضهم : نؤمن بالله ، وقال بعضهم : ونشهد أن محمداً رسول الله ونصلي ، ولكن لا نعطيكم أموالنا ، فأبى أبو بكر إلا قتالهم على حسب ما تقدم ذكره .

قالوا : وجادل أبو بكر أصحابه في جهادهم ، فقال رجال من المهاجرين والأنصار: أمسك جيش أسامة فإنا نخشى أن تميل علينا العرب، فقال أبوبكر: أنا أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ ، لقد اجترأت إذاً على أمر عظيم ،والذي نفسي بيده لأن تميل علي العرب بإلبها [1] أحب إلي من أن أحبس أسامة وبعثه، فأمضى جيش أسامة .

فقالوا : فتربص بأصحاب الرّدة ومسيلمة الكذاب حتى يرجع جيش أسامة، فقال أبو بكر: قد علمتم أنه كان من عهد رسول الله ﷺ إليكم المشورة فيما لم يمض من نبيكم ولم ينزل به عليكم كتاب ، وقد أشرتم ، وسأشير عليكم برأي وانظروا أرشد ذلك فائتمروه ، فإن الله تعالى لن يجمعكم على ضلالة ، والذي نفسي بيده ما أرى من أمر أفضل في نفسي من جهاد من منع منا عقالاً كان يأخذه رسول الله ﷺ ، فانقاد المسلمون لرأي أبي بكر ورأوا أنه أفضل من رأيهم ، وكان من أشدهم على أبي بكر عمر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة .

قال يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة في حديثه ، وأسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه أيضاً المعنى قالا :وقدم على أبي بكر :عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس في رجال من أشراف العرب ، فدخلوا على رجال من المهاجرين ، فقالوا إنه قد ارتد عامة من وراءنا عن الإسلام ، وليس في أنفسهم أن يؤدوا إليكم من أموالهم ما كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ ، فإن تجعلوا لنا جعلاً نرجع فنكفيكم من وراءنا ؟ فدخل المهاجرون والأنصار على أبي بكر فعرضوا عليه

---

(١) الإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان ـ النهاية لابن الأثير .

الذي عرضوا عليهم ، وقالوا : نرى أن نطعم الأقرع وعيينة طعمة يرضيان بها ويكفيانك من وراءهما ، حتى يرجع إليك أسامة وجيشه ، ويشتد أمرك ، فإنا اليوم قليل في كثير ، ولا طاقة لنا بقتال العرب . قال أبو بكر: هل ترون غير ذلك ؟ قالوا : لا، قال أبو بكر: إنكم قد علمتم أنه قد كان من عهد رسول الله ﷺ إليكم المشورة فيما لم يمض من نبيكم ولم ينزل به الكتاب عليكم،وقال: « إن الله لن يجمعكم على ضلالة » ، قال أبو بكر : وإني سأشير عليكم فإنما أنا رجل منكم تنظرون فيما أشرته عليكم ، وفيما أشرتم به فتجتمعون على أرشد ذلك ، فإن الله يوفقكم ، وأما أنا فأرى أن ننبذ إلى عدونا ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر[1] ﴾ وأن لا نرشو على الإسلام أحداً ، وأن نتأسى برسول الله ﷺ فنجاهد عدوه كما جاهدهم ، والله لو منعوني عقالاً لرأيت أن أجاهدهم عليه حتى آخذه، فائتمروا يرشدكم الله فهذا رأيي،فلما سمعوا رأي أبي بكر قالوا : أنت أفضلنا رأياً ، ورأينا لرأيك تبع ، فأمر أبو بكر الناس بالتجهز ، فقال بعض القوم ، قال عمر بن الخطاب : والله لرجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعاً في قتال أهل الردة .

وعن الواقدي عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده ، قال : قال أبو بكر : وأما قدوم عيينة وأصحابه إليكم فهذا أمر لم يغب عنه عيينة هو راضه ثم جاله، لو رأوا ذباب السيف لعادوا إلى ما خرجوا منه ، أو أفناهم السيف ، فإلى النار قتلناهم على حق منعوه وكفر ، قال : فبان للناس وجوههم .

وفي كتاب الواقدي من قول عمر رحمه الله لأبي بكر رحمه الله : وإنما شحت العرب على أموالها وأنت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيئاً ، فلو تركت للناس صدقة هذه السنة ؟ ولم يكن أشد على أبي بكر من عمر ، وأبي عبيدة ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وقالوا : احبس جيش أسامة بن زيد فتكون عمارة وأمانا

---

(١) سورة الكهف ـ الآية : ٢٩ .

بالمدينة، وأرفق بالعرب، وتلين للعرب وتلمها حتى ينفرج هذا الأمر ، فإن هذا الأمر عظيم شديد غوره ، وتهتكه من غير وجهه ، فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا : قاتل بمن معك ممن ثبت من ارتد ، وقد أصفقت العرب على الارتداد ، فهم بين مرتد ومانع صدقة ، فهو مثل المرتد ، وبين واقف ينتظر ما تصنع أنت وعدوك ، قد قدم رجلاً وأخر رجلاً .

قالوا : فأجمع أبو بكر على المسير بنفسه لقتال أهل الردة ، وكانت أسد وغطفان ارتدت ولم ترتد عبس ، وبعض أشجع لم ترتد ، وارتدت عامة بني تميم ، وطوائف من بني سُليم : عُصية وعُميرة ابنا خفاف ، وبنو عوف بن امرىء القيس ، وذكوان ، وبنو جارية ، وارتد أهل اليمامة كلهم ، وأهل البحرين وبنو بكر بن وائل ، وأهل دبا [١] من أزد عمان ، والنمر بن قاسط ، وكلب ومن قاربهم من قضاعة وعامة بني عامر ، وعلقمة بن علاثة بن عوف ابن الأحوص .

وتمسك بالإسلام من بين المسجدين [٢]، وأسلم وغفار ، وجهينة ، ومزينة وكعب، وثقيف قام فيهم عثمان بن أبي العاصي في بني مالك، وقام في الأحلاف رجل منهم ، فقال : يا معشر ثقيف نشدتكم الله أن لا تكونوا أول العرب ارتداداً وآخرهم إسلاماً ، وأقامت طيء كلها على الإسلام وهذيل ، وأهل السراة وبجيلة وخثعم ، ومن قارب تهامة من هوازن : نصر وجشم ، وسعد بن بكر ، وعبد القيس قام فيهم الجارود [٣] ، فثبتوا على الإسلام ، وثبت من أهل اليمن

---

(١) كانت دبا قديماً قصبة عمان ـ معجم البلدان .

(٢) أي بين مكة والمدينة .

(٣) هو بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدي، سيد عبد القيس ، كان شريفاً في الجاهلية، توفي شهيداً سنة ٢٠ هـ / ٦٤١ م ـ الأعلام للزركلي .

تجيب وطوائف من مذحج ، وهمدان ، والأبناء [١] ، وارتدت كندة وحضرموت وعنس وبنو عامر ، وثبت أهل الجند [٢] وزبيد وزمع .

وقال الواقدي : ارتدت العرب فارتد من الضاحية : أسد وغطفان إلا بني عبس ، فأما بنو عامر بن صعصعة فتربصت مع قادتها وسادتهـــا يبصرون لمن تكون الدبرة وقدموا رجلاً وأخروا أخرى ، وكانت فزارة قد ارتدت وجمعها عيينة بن حصن ، وارتدت بنو حنيفة باليمامة ، وارتد أهل البحرين ، وبكر بن وائل ، وأهل دبا أزد عمان ، والنمر بن قاسط ، وكلب ومن قاربهم من قضاعة ، وارتد عامة بنو تميم ، وارتد من سليم بطون : عصية وعميرة وخفـاف ، وبنو عوف بن امرىء القيس وذكوان وجارية .

وتكلم قوم بمكة كلاماً قبيحاً ورغي [٣] ذلك عليهم ، وقام سهيل بن عمرو بخطبة أبي بكر كأنه كان يسمعها ، فقال : أيها الناس من كان يعبد محمـــداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت وقـد نعى الله عز وجل نبيه ﷺ إليكم وهو بين أظهركم ، ونعاكم إلى أنفسكم ، فهو الموت حق لا يبقى أحد ألم تعلموا أن الله تعالى قال : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [٤] وقـــال : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مـات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ [٥] الآية ، وقال تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ [٦] ثم تلا ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [٧] فاتقوا الله واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكـــم .

---

(١) من كانت أمه عربية وأبوه فارسياً من أهل اليمن فهو من الأبناء .

(٢) من أشهر مدن اليمن وقت قيام الإسلام ، انظرها في معجم البلدان .

(٣) أى صاح ورد ذلك عليهم . انظر النهاية .

(٤) سورة الزمر – الآية ٣٠ .

(٥) سورة آل عمران – الآية : ١٤٤ .

(٦) سورة آل عمران – الآية : ١٨٥ .

(٧) سورة القصص – الآية ٨٨ .

دين الله قائم وكلمته تامة وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه ، وقد جمعكم الله على خير .

فلما بلغ عمر بن الخطاب منطقه قال : أشهد أن ما قال رسول الله ﷺ حق، فهو والله هذا المقام ، وقد تقدم قبل ما قاله رسول الله ﷺ في مقامه [١] .

قال الواقدي: ثبت على الاسلام : أسلم ، وغفار وجهينة ومزينة ، وأشجع وكعب بن عمرو من خزاعة ، وثقيف وهذيل والدئل، وكنانة ، وأهل السراة وبجيلة وخثعم وطيىء،ومن قارب تهامة من هوازن: نصر وجشم وسعد بن بكر، وعبد القيس ، ومن أهل اليمن تجيب ومذحج إلا بنو زبيد وهمدان وأهل صنعاء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لم يرجع رجل واحد من دوس ولا من أهل السراة كلها .

وعن يزيد بن أبي حبيب قال : سمعت أبا مرزوق التجيبي يقول : لم يرجع رجل واحد منا من تجيب ، ولا من همدان ولا من الأبناء بصنعاء ، ولقد جاء الأبناء وفاة النبي ﷺ فشق نساءهم الجيوب وضربن الخدود، وفيهم المرزبانة [٢] فقال : شقت درعها من بين يديها ومن خلفها .

قالوا : فخرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار يريد قتال غطفان ومحارب ، وقتال بني عامر وأسد وتميم ، واستخلف على المدينة عبد الله بن مسعود ، وقال بعضهم : بل استخلف محمد بن مسلمة الحارثي ، فخرج أبو بكر رحمه الله حتى نزل بقعاء [٣] في مائة من المهاجرين فصلى بها المغرب وأقام ينتظر الناس أن يتلاحقوا ، ثم أوقد ناراً عظيمة وأقبل خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر في خيل من قومه حتى أغاروا على أبي بكر ومن معه وهم غافلون ، فاقتتلوا شيئاً من قتال ، وتحيز

---

(١) يشير بذلك إلى مطالبته بخلع تنيته ص ١١ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ـ ط . دار المعارف : ٣ / ٢٣٠ .

(٣) موقع تلقاء نجد على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة ـ معجم البلدان .

المسلمون ولاذ أبو بكر بشجرة وكره أن يعرف ، فأوفى طلحة بن عبيد الله على شرف فصاح بأعلى صوته : لا بأس هذه الخيل قد جاءتكم ، فانكشف خارجة في أصحابه ، وتلاحق المسلمون ، وجاءت الأمداد ، وأقام أبو بكر ببقعاء أياماً ، وجعل عمر وعلي رحمهما الله يكلمان أبا بكر في الرجوع ، فعزم أبو بكر على الرجوع وأراد أن يستخلف على الناس ، فدعا زيد بن الخطاب يستعمله على الناس فقال: يا خليفة رسول الله قد كنت أرجو أن أرزق الشهادة مع رسول الله فلم أرزقها ، وأنا أرجو أن أرزقها في هذا الوجه ، وإن أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه ، فدعا أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة فعرض ذلك عليه . فقال مثلما قال زيد ، فدعا سالماً مولى أبي حذيفة ليستعمله فأبى عليه .

وعن عكرمة عن ابن عباس قال : لما توفي رسول الله ﷺ وولي أبو بكر رحمه الله ، فقطع البعوث وهيأ الجيوش ليسير بنفسه فلم يكن أحد أشد على أبي بكر من عمر بن الخطاب ، وأبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ، جعلوا يكلمون أبا بكر رحمه الله ويقولون: ترفق بهم واترك صدقة أموالهم العام ، فجعل أبو بكر يقول : والذي نفسي بيده لو منعوني عقالاً واحداً كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه ، ولا أؤخر الصدقة عنهم .

قال : وأمر الناس بالجهاد فلم يبق أحد من أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار من أهل بدر إلا وخرج معه حتى انتهوا إلى بقعاء وهي بذي القصة ، فأقام بها أياماً ، وجعل علي بن أبي طالب يكلمه في الرجوع ، وجعل عمر رحمه الله يكلمه في الرجوع ، وقد توافى المسلمون وحشدوا ، فقال أبو بكر وقد أجمعوا على الرجوع: سيروا على اسم الله تعالى وبركته ، وبعث مقدمة أمام الجيش ، وقال للجيش : سيروا فإن لقيتكم بعد غد فالأمر إلي ، وأنا أميركم وإلا فخالد بن الوليد عليكم فاسمعوا له وأطيعوا ، وإنما قال ذلك أبو بكر لأن تذهب كلمته في الناس وتهاب العرب خروجه ، ثم خلا بخالد بن الوليد ، فقال : يا خالد عليك

بتقوى الله وإيثاره على من سواه، والجهاد في سبيله ، فقد وليتك على من ترى من أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فسار خالد ورجع أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص في نفر من المهاجرين والأنصار من أهل بدر، وأظهر أبو بكر قطع البعوث إلى أهل الردة ، فسُمِعَ به ، فأظهر أنه سائر بنفسه ، ورجع عيينة بن حصن إلى من وراءه ولم يحصل من حاجته بشيء، وجعل كل من لقي من الناس يقول لهم احبسوا عليكم أموالكم ، قالوا : فأنت ما تصنع ؟ قال : لا يدفع إليه رجل من فزارة عناقاً واحدة ، ولحق بطليحة بن خويلد ، وهو يدعي النبوة ، فصدقه .

وعن أبي بكر بن عبد الله قال : خرج أبو بكر مع خالد بن الوليد حتى بلغ ذا القصة [1] ، فلما صلى أبو بكر المغرب كلمه عمر وقال : ارجع يا خليفة رسول الله تكون للمسلمين فئة ورِدءاً ، فإنك إن تقتل يرتد الناس ويعلو الباطل الحق ، فلما صلى أبو بكر العشاء قال : « أيها الناس سيروا على بركة الله فأميركم خالد بن الوليد إلى أن ألقاكم ، فإني خارج في من معي إلى ناحية خيبر حتى ألاقيكم » ، وإنما يريد أبو بكر أن تسير تلك الكلمة في العرب .

قال : وسار خالد ، ورجع أبو بكر بمن معه من المسلمين [2] .

---

(١) موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرين ميلاً ، وهو تلقاء نجد - معجم البلدان .

(٢) في حاشية الأصل : بلغ مقابله على أصله .

ذكر الأمراء الذين ولاهم النبي ﷺ الصدقات

فمنهم من رجع ومنهم من أدى الصدقة إلى أبي بكر رحمه الله

ذكر الواقدي عن عتبة بن جبيرة عن حصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ قال : لما صدر رسول الله ﷺ من الحج سنة عشر ، قدم المدينة فأقام حتى رأى هلال المحرم سنة إحدى عشرة ، وبعث المصدقين[1] في العرب فبعث: على عجز هوازن عكرمة بن أبي جهل، وبعث قيس بن عاصم المنقري على صدقات قومه ، وبعث حامية بن سبيع الأسدي على صدقات قومه ، وعلى بني كلاب الضحاك بن سفيان الكلابي ، وعلى أسد وطيىء عدي بن حاتم ، وعلى بني يربوع مالك بن نويرة وعلى بني دارم وقبائل بني حنظلة الأقرع بن حابس ، وبعث الزبرقان [3] بن بدر على صدقات قومه ، وبعث قيس بن عاصم على صدقة قومه.

وكان الذين حبسوا صدقات قومهم وفرقوها بين قومهم : مالك بن نويرة وقيس بن عاصم المنقري ، والأقرع بن حابس التميمي ، وأما بنو كلاب فتربصوا ولم يمنعوا منعاً بيناً ولم يعطوا ، كانوا بين ذلك .

وبعث رسول الله ﷺ على فزارة ، نوفل بن معاوية الدئلي فلقيه خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بالشربة [4] فقال : أما ترضى أن تغنم نفسك ،

---

(١) المصدق هو جابي الصدقات .

(٢) كتب تحتها في الأصل « بني عوف » .

(٣) كتب فوقها بخط مخالف التميمي السعدي وجاء قبالتها في الحاشية : ـ من التجريد : التميمي السعدي ،

(٤) موقع قريب من الربذة ـ معجم البلدان .

فرجع نوفل بن معاوية هارباً حتى قدم على أبي بكر بسوطه ، وكان قد جمع فرائض فأخذها خارجة منه فردها إلى الذين أخذها منهم ، وبعث إلى سليم هرباض بن سارية ، فانصرف من عندهم بسوطه ، وأبوا أن يعطوه شيئاً ، وأخذوا منه ما كان جمع ، وبعث كعب بن مالك الأنصاري على أسلم وغفار ومزينة وجهينة ، فلما توفي رسول الله ﷺ ، لم يمنعوا وسلموا إليه صدقاتهم ، وبعثوا بها إلى أبي بكر ، فاستعان بها في قتال أهل الردة : وبعث بسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب بن عمرو ، فلم يمنعوا ، فقدم بها على أبي بكر وبعث مسعود بن دخيلة الأشجعي على أشجع فلم يمنعوا ، وقدم بها على أبي بكر .

وكان عدي بن حاتم قد حبس إبل الصدقة يريد أن يبعث بها إلى أبي بكر إذا وجد فرجة ، والزبرقان بن بدر مثل ذلك ، فجعل قومهما يكلمونهما فيأبيان ، وكانا أحزم رأياً وأفضل في الإسلام رغبة ممن كان فرق الصدقة في قومه ، فقالا لقومهما : ولا تعجلوا فإنه إن يقم بهذا الأمر قائم ألفاكم لم تفرقوا الصدقة ، وإن كان الذي تظنون فلعمري إن أموالكم لبأيديكم فلا يغلبنكم عليها أحد ، فسكتوهم حتى أتاهم يقين خبر القوم ، فلما اجتمع الناس على أبي بكر جاءهم أنه قد قطع البعوث ، وسار بعث أسامة بن زيد إلى الشام ، وأبو بكر يخرج إليهم ، فكان عدي يأمر ابنه أن يسرح نعم الصدقة ، فإذا كان المساء روّحها ، وإنه جاء بها ليلة عشاء فضربه وقال : ألا عجلت بها ؟ ثم راح بها الليلة الثانية فوق ذلك قليلاً ، فجعل يضربه وجعلوا يكلمونه فيه ، فلما كان اليوم الثالث قال : يا بني ، إذا سرحتها فصح في أدبارها وأمّ بها المدينة فإن لقيك لاقٍ من قومك أو من غيرهم ، فقل أريد الكلأ تعذر علينا ما حولنا ، فلما أن جاء الوقت الذي كان تروح فيه ، لم يأت الغلام ، فجعل أبوه يتوقعه ويقول لأصحابه : العجب لحبس ابني فيقول بعضهم : نخرج يا أبا طريف نتبعه ؟ فيقول : لا والله ، فلما أصبح تهيأ ليغدو ، فقال قومه : نغدو معك ؟ فقال : لا يغدو معي منكم أحد ، إنكم

إن رأيتموه حلتم بيني وبين ضربه ، وقد عصا أمري كما ترون ، أقول له تروح الابل بسعر[١] قليلة يأتي بها عتمة ، وليلة يعزب بها[٢] ، فخرج على بعير له سريعاً حتى لحق ابنه ثم حدر النعم إلى المدينة ، فلما كان ببطن قناة[٣] لقيته خيل لأبي بكر عليها ابن مسعود ، ويقال محمد بن مسلمة ، وهو أثبت عندنا ، فلما نظروا إليه ابتدروه وما كان معه ، وقالوا له : أين الفوارس الذين كانوا معك ؟ قال ما معي أحد، قالوا : بلى لقد كان معك فوارس فلما رأونا تغيبوا، فقال ابن مسعود: خلوا عنه ما كذب ولا كذبتم ، جنود الله معه ، ولم يرهم وكانت أول صدقة قدم بها على أبي بكر ، قدم عليه بثلاثمائة بعير .

وعن ابن إسحاق في مغازيه قال : كان من حديث عدي بن حاتم أنه لما أسلم أمره رسول الله ﷺ على صدقات قومه فتوفي رسول الله ﷺ وقد اجتمعت عنده إبل عظيمة من صدقاتهم ، فلما ارتد من ارتد من الناس وبلغهم أنهم قد ارتجعوا صدقاتهم وارتدت بنو أسد وهم جيرانهم اجتمعت طيىء إلى عدي بن حاتم فقالوا : إن هذا الرجل قد مات ، وقد انتقض الناس بعده وقبض كل قوم ما كان فيهم من صدقاتهم فنحن أحق بأموالنا من شذاذ الناس فقال : ألم تعطوا من أنفسكم العهد والميثاق على الوفاء طائعين غير مكرهين ؟ قالوا : بلى ، ولكن قد حدث ما ترى وقد ترى ما صنع الناس فقال : كلا والذي نفس عدي بيده لا أخيس بها أبداً ، ولو كنت جعلتها لرجل من الذبح لوفيت له بها وإن أبيتم لأقاتلنكم ، يعني ، على ما في يديه ، وما في أيديكم فليكونن أول قتيل يقتل على وفاء ذمته عدي بن حاتم أو يسلمها فلا تطمعوا أن يسب حاتماً في قبره عدي ابنه من بعده ، فلا يدعونكم غدر غادر إلى أن تغدروا ، فإن للشيطان قادة

---

(١) أي بسرعة – النهاية لابن الأثير .

(٢) أي يبعد بها المرعى – النهاية .

(٣) واد في المدينة – معجم البلدان .

عند موت كل نبي يستخف لها أهل الجهل حتى يحملهم على قلائص الفتنة صعابا مركباً ، فإنما هي عجاجة لا ثبات لها ، ولا ثبات فيها ، إن لرسول الله ﷺ خليفة من بعده يلي هذا الأمر ، وإن لدين الله أقواماً سينهضون ويقومون به بعد رسول الله ﷺ كما قاموا بعهده وذوبيته في السماء ، لئن فعلتم ليقارعنكم عن أموالكم ونساءكم بعد قتل عدي وغدركم ، فأي قوم أنتم عند ذلك ، فلما رأوا منه الجد ، كفوا عنه وسلموا له .

وعن الشعبي قال : لما كانت الردة قال القوم لعدي بن حاتم : أمسك ما في يديك فانك ان تفعل تسر الحليفين ، قال : ما كنت لأفعل حتى أدفعها إلى أبي بكر ، فجاء بها إلى أبي بكر حتى دفعها إليه ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب رأى من عمر رحمه الله جفوة ، فقال له عدي بن حاتم : ما أراك تعرفني يا عمر ؟ قال بلى والله والله يعرفك من السماء ، أعرفك والله ، أسلمت إذ كفروا ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا بلى ها أيم الله أعرفك .

وقدم الزبرقان بن بدر بصدقات قومه فلم يزل لعدي بن حاتم والزبرقان بن بدر بذلك شرف وفضل على من سواهما، وأعطى أبو بكر عدي بن حاتم ثلاثين بعيراً من أجل الصدقة وذلك لأن عدي بن حاتم لما قدم على رسول الله ﷺ نصرانياً فأسلم وأراد الرجوع إلى بلاده ، أرسل إليه رسول الله ﷺ يعتذر من الزاد ، ويقول والله ما أصبح عند آل محمد شقة من الطعام ، ولكن ترجع ويكون خير فأعطاه أبو بكر ثلاثين فريضة .

وفي كتاب يعقوب بن محمد الزهري نحو قصة عدي بن حاتم هذه ، وفيه ، قالوا : فسار خالد بمن معه وصاح أبو بكر إن لقيتكم بعد غد فالأمر إلي وأنا أميركم وإلا فخالد عليكم فاسمعوا له وأطيعوا .

قال الواقدي : وبعث أبو بكر إلى من كان حوله من أسلم وغفار ومزينة ، وأشجع وجهينة وكعب ، يأمرهم بجهاد أهل الردة والخفوف إليهم ، فتجلب الناس إليهم من هذه النواحي حتى شحنت منهم المدينة .

وعن سبرة الجهني ، قال : قدمنا معشر جهينة اربعمائة ، معنا الظهر والخيل ، وساق عمرو بن مرة الجهني مائة بعير عوناً للمسلمين ، فوزعها أبوبكر في الناس،فعسكروا بقناة [١] وأبو بكر قد أظهر أنه يسير بنفسه إلى أهل الردة، ثم قال أبو بكر : بمن نبدأ من أهل الردة ؟ فاختلفوا عليه ، فقال أبو بكر : نصمد لهذا الكذاب على الله ، وعلى كتابه، طليحة ، فلما كان يوم الخميس لثلاث ليال عقد أبو بكر لواءه ، ودفعه إلى خالد بن الوليد .

وعن الزهري قال :وسار أبو بكر من قناه في مائة من المهاجرين والأنصار، وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى نزل بقعاء ، وهو ذو القصة [٢] يريد أبوبكر أن يتلاحق الناس من خلفه ، ويكون أسرع لخروجهم ووكل بالناس محمد بن مسلمة يستحثهم ، فانتهى إلى بقعاء عند غروب الشمس ، فنزل هو ومن معه ، وأمر بنار عظيمة فأوقدت ، وأقبل خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر في أصحابه إلى المدينة ،وكان ممن ارتد يريد أن يخذل الناس عن الخروج ، أويصيب غرة فيغير عليهم ، فذكر نحو ما تقدم من قصة خارجة ، إلى أن تراجع الناس وجاءت الأمداد ، وتلاحق المسلمون ، وانكشف خارجة بن حصن وأصحابه ، وتبعه طلحة بن عبيد الله فيمن خف معه فلحقوه في أسفل ثنايا عوسجة [٣] وهو هارب لا يألو ، فيدرك أخريات أصحابه فحمل طلحة بن عبيد الله على رجل بالرمح ، فدق ظهره ، ووقع ميتاً ، وهرب من بقي ، ورجع طلحة إلى أبي بكر فأخبره أن قد ولوا منهزمين هاربين .

---

(١) واد بالمدينة ـ معجم البلدان .

(٢) سبق تعريفه ـ وهو موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرين ميلا ـ معجم البلدان .

(٣) في ياقوت موضع في بلاد باهلة .

وصية أبي بكر الصديق خالد بن الوليد حين وجهه الى طليحة

الواقدي عن أسـامة بن زيد الليثي عن الزهري عن حنظلة بن علي الأسلمي قال : بعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى أهل الردة ، وأمره أن يقاتلهم على خمس خصال ، فمن ترك واحدة من الخمس قاتله : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام شهر رمضان ، قـال أسامه : فحدثت بهذا الحديث زيد بن أسلم فقال : كن ستاً : وحج البيت .

وعن نافع بن جبير أن أبا بكر حين بعث خالد بن الوليد عهد إليه ، وكتب معه ، هذا الكتاب ، وهذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد حين بعثـه فيمن بعثه من المهاجرين والأنصار ، ومن معه من غيرهم ، لقتال من رجـع عن الإسلام بعد رسول الله .

عهد إليه وأمره أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله : علانيته وسـره : وأمره بالجد في أمر الله والمجاهدة لمن تولى عنـه إلى غيره ورجع عن الإسلام إلى الضلالة والجاهلية وأماني الشيطان . وعهد إليه وأمره أن لا يقاتل قومـاً حتى يعذر إليهم ، ويدعوهم إلى الإسلام ، ويبين لهم الذي عليهم فيـه ويحرص على هداهم ، فمن أجابه إلى ما دعاه إليه من الناس كلهم أحمرهم وأسودهم قبل منه ،

وليعذر [١] إلى من دعاه بالمعروف ، وبالسيف ، فإنما يقاتل من كفر بالله عن الإيمان ، فاذا أجاب المدعو إلى الإيمان ، وصدق إيمانه ، لم يكن عليه سبيل ، وكان الله حسيبه بعد في عمله ، ومن لم يجبه إلى ما دعا إليه من دعاية الإسلام ، ومن رجع عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ ، أن يقاتل أولئك بمن معه من المهاجرين والأنصار حيث كانوا ، وحيث بلغ بدعائهم ، ثم يقتل من قدر عليه من أولئك ، ولا يقبل من أحد شيئاً ، دعاه إليه ، ولا أعطاه إياه ، إلا الإسلام والدخول فيه ، والصبر عليه : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأمره أن يمضي بمن معه من المسلمين حتى يقدم اليمامة فيبدأ ببني حنيفة ومسيلمة الكذاب ، فيدعوهم ويدعوه الى الإسلام ، وينصح لهم في الدين ويحرص على هداهم ، فإن أجابوا إلى ما دعاهم إليه من دعاية الإسلام ، قبل منهم ، وكتب بذلك إلي ، وأقام بين أظهرهم حتى يأتيهم أمري ، وإن هم لم يجيبوا ولم يرجعوا عن كفرهم واتباع كذابهم على كذبه على الله عز وجل ، قاتلهم أشد القتال بنفسه وبمن معه ، فان الله ناصر دينه ومظهره على الدين كله كما قضى في كتابه ﴿ولو كره الكافرون﴾ [٢] فإن أظهره الله عليهم إن شاء الله ، وأمكنه منهم فليقتلهم بالسلاح ، وليحرقهم بالنار ولا يستبق منهم أحداً إن قدر على أن يستبقيهم ، وليقسم أموالهم وما أفاء الله به عليه وعلى المسلمين ، بين المسلمين إلا خمسه [٣] فليرسل به إلي أضعه حيث أمر الله به أن يوضع إن شاء الله .

وعهد إليه أن لا يكون في أصحابه فشل [٤] من رأيهم ولا عجلة عن الحق ،

---

(١) الاعذار : المبالغة في الأمر ـ النهاية لابن الأثير .

(٢) سورة التوبة ـ الآية : ٣٣ .

(٣) انظر سورة الأنفال ـ الآية : ٤١ .

(٤) الفشل الجزع والجبن والضعف ـ النهاية لابن الأثير .

ولا يدخل فيهم جنس من الناس حتى يعرفهم ويعرف من هم ، وعلى ما اتبعوه وقاتلوا معه ، فإني أخشى أن يدخل معكم ناس يتعذرون [١] بكم ، ليسوا منكم ولا على دينكم ، يكونون أعواناً عليكم ، وتحفظوا من الناس بمكانهم معكم ، وأنا أخشى أن يكون ذلك في الأعراب ، وجناتهم ، ولا يكون من أولئك في أصحابك أحد إن شاء الله تعالى .

وارفق بالمسلمين في سيرهم ومنازلهم ، وتفقدهم ولا تعجل بعض الناس عن بعض في المسير ، ولا في الإرتحال من مكان إلى مكان ، واستوص بمن معك من الأنصار خيراً في حسن صحبتهم ولين القول لهم ، فان فيهم ضيقاً ومرارة وذعارة [٢] ولهم حق وفضيلة ومسابقة ووصية من رسول الله ﷺ ، فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم كما قال رسول الله ﷺ .

وذكر الواقدي بسنده عن عروة بن الزبير ، قال : جعل أبو بكر يوصي خالد بن الوليد ويقول : يا خالد عليك بتقوى الله والرفق بمن معك من رعيتك ، فان معك أصحاب رسول الله ﷺ أهل السابقة من المهاجرين والأنصار ، فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تخالفهم ، وقدم أمامك الطلائع ترتاد لك المنزل ، وسر في أصحابك على تعبئة جيدة ، فاذا لقيت أسداً وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك ، وبعضهم لا عليك ولا لك ومتربص دائرة السوء ينظر لمن تكون الدبرة فيميل مع من تكون له الغلبة ولكن الخوف عندي أهل اليمامة ، فاستعن بالله على قتالهم . فإنه بلغني إنهم رجعوا بأسرهم ، فإن كفاك الله الضاحية [٣] فامض إلى أهل اليمامة ، فانك تلقى عدواً كلهم عليك ، لهم بلاد منكرة ولا تؤتى إلا من مفازة ، فارفق بجيشك في تلك المفازة ، فإن في جيشك

---

(١) التعذير : التقصير ـ النهاية لابن الأثير .

(٢) أي نفرة ـ النهاية .

(٣) أي أهل البادية ـ النهاية لابن الأثير .

قوماً أهل ضعف ، أرجو أن تنصر بهم ، حتى تدخل بلادهم إن شاء الله تعالى فإذا دخلت بلادهم فالحذر الحذر إذا لقيت القوم، فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به : السهم للسهم ، والرمح للرمح ، والسيف للسيف ، فإن أعطاك الله عليهم الظفر فأقل [1] البقيا عليهم إن شاء الله تعالى ، وإياك أن تلقاني غداً بما يضيق صدري به منك ، اسمع عهدي ووصيتي ، لا تغيرن على دار سمعت فيها أذاناً حتى تعلم ما هم عليه ، واياك وقتل من صلى .

واعلم يا خالد أن الله يعلم من سريرتك ما يعلم من علانيتك ، واعلم أن رعيتك إنما تعمل بما تراك تعمل ، كف عليك أطرافك وتعاهد جيشك ، وانههم عما لا يصلح لهم ، فإنما تقاتلون من تقاتلون بأعمالكم ، وبها نرجو لكم النصر على أعدائكم .

سر على بركة الله تعالى .

---

(١) أقاله: قبل عذره . انظر النهاية لابن الأثير .

ذكر مسير خالد بن الوليد إلى بُزَاخة[1] وغيرها

قال الواقدي : قالوا : وسار خالد بن الوليد ومعه عدي بن حاتم ، وقد انضم إليه من طيىء ألف رجل، فنزل بزاخة وكانت جديلة معترضة عن الإسلام، وهي بطن من طيىء، وكان عدي بن حاتم من الغوث ، وقد همت جديلة أن ترتد، ونزلت ناحية ، فجاءهم مكنف بن زيد الخيل الطائي ، فقال : أتريدون أن تكونوا سبة على قومكم لم يرجع رجل واحد من طيىء، وهذا أبو طريف عدي ابن حاتم معه ألف رجل من طيىء فكسرهم.

فلما نزل خالد بن الوليد بزاخة قال خالد بن الوليد لعدي بن حاتم : يا أبا طريف ألا نسير إلى جديلة ؟ فقال : يا أبا سليمان لا تفعل ، أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة ؟ فقال خالد : بل بيدين ، فقال عدي : فإن جديلة إحدى يدي ، قال : فكف خالد بن الوليد عنهم فجاءهم عدي بن حاتم ، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا فحمد الله تعالى فسار بهم إلى خالد بن الوليد فلما رآهم خالد فزع منهم ، وظن أنهم أتوا للقتال ، فصاح في أصحابه بالسلاح ، فقيل له : إنما هي جديلة أتت تقاتل معك ، فلما جاؤوا ، حلوا ناحية وجاءها خالد ، فرحب بهم واعتذروا إليه من اعتزالهم وقالوا : نحن لك حيث أحببت ، فجزاهم خيراً ، فلم يرتد من طيىء رجل واحد.

فسار خالد بن الوليد على تعبئة ، فقال عدي بن حاتم : اجعل قومي مقدمة

---

(١) ماء لبني أسد ـ معجم البلدان .

أصحابك ، فقال يا أبا طريف ، إن الأمر قد اقترب ونجم [١] وأنا أخاف إن تقدم قومك فإذا لحمهم القتال انكشفوا فانكشف من معنا ، ولكن دعني أقدم قوماً صبراً لهم سوابق ونيات وهم من قومك ، قال عدي بن حاتم : الرأي الذي رأيت ، فقدم المهاجرين والأنصار .

وكان خالد بن الوليد يقدم طليعته من يوم خرجوا من بُقعاء حتى قدم اليمامة ، وأمر عيونه أن يختبروا كل من مروا به عند مواقيت الصلاة أن يؤذنوا بالصلاة فيكون ذلك أماناً ودليلاً على إسلامهم .

قال : وانتهى خالد بن الوليد والمسلمون إلى عسكر طليحة ، وقد ضربت لطليحة قبة من أدم [٢] وأصحابه حوله معسكرون فانتهى خالد ممسياً فضرب عسكره على ميل أو نحوه من عسكر طليحة ، وخرج يسير على فرس معه نفر أصحاب رسول الله ﷺ فوقف من عسكر طليحة غير بعيد ، ثم قال : ليخرج إلي طليحة ، فقال أصحابه : لا تصغر اسم نبينا وهو طلحة ، فخرج طليحة فوقف فقال له خالد : إن من عهد خليفتنا إلينا أن ندعوك إلى الله وحده لا شريك ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن تعود إلى ما خرجت منه فنقبل منك ، ونغمد سيوفنا عنك ، فقال : يا خالد أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله وإني نبي مرسل يأتيني ذو النون ، كما كان جبريل يأتي محمداً ، وقد كان تنبأ في عهد النبي ﷺ ، وادعى أن ذا النون ملك يأتيه ، فقال النبي ﷺ : لقد ذكر ملكاً عظيماً في السماء يقال له ذو النون ، وقد كان عيينة بن حصن قال له: لا أبالك هل أنت مرينا بعض نبوتك ، فقد رأيت ورأينا معك ما كان يأتي محمداً ﷺ — قال : نعم ، فبعث عيوناً له حيث سار خالد بن الوليد من المدينة مقبلاً إليهم ، ولم يسمع بذكر خالد حينئذ ، وقال : « إن بعثتم فارسين على فرسين

---

(١) في حاشية الأصل : أي ظهر وطلع .

(٢) أي من جلد ، وغالباً كان لونه أحمر .

أغرين محجلين من بني نصر بن قُعَين أتوكم من القوم بعين » ، فهيؤوا فارسين فبعثوهما ، فخرجا يركضان فلقيا عيناً لخالد بن الوليد ، فقالا : مـــا وراءك ؟ فقال : هذا خالد بن الوليد في المسلمين قد أقبلوا ، فأتوا به إليه ،فزادهم فتنة ، وقال : ألم أقل لكم ؟

فلما أبى طليحة على خالد أن يقر بما دعاه إليه ، انصرف خالد إلى معسكره فاستعمل تلك الليلة على حرسه مكنف بن زيد الخيل ، وعدي بن حاتم ، وكان لهما صدق نية ودين فباتا يحرسان في جماعة من المسلمين ، فلما كان في السحر نهض خالد ، فعبأ أصحابه ووضع ألويته مواضعها ، ودفع لواءه الأعظم إلى زيد بن الخطاب ، فتقدم به ، وتقدم ثابت بن قيس بلواء الأنصار ، وطلبت طيء لواء يعقد لها فعقد خالد لواء ودفعه إلى عدي بن حاتم ، وميمنة وميسرة [1] ، فلما سمع طليحة حركة القوم عبأ أصحابه ،وجعل خالد يسوي الصفوف على رجليه، وطليحة يسوي أصحابه على راحلتـه حتى إذا استوت الصفوف ، زحف خالد بهم ، حتى دنا من طليحة فلما انتهى إليه خرج إليه طليحة بأربعين غلاماً جلداً من جنده جرداً مرداً، فأقامهم في الميمنة ، فقـال : اضربوا حتى تأتوا الميسرة فتضعضع الناس ، ولم يقتل أحد ، ثم أقـــامهم في الميسرة ففعلوا مثل ذلك ، وانهزم المسلمون .

قال الواقدي : وحدثت عن رجل عن أبيه عن رجل من هوازن ، حضـر انهزام الناس يومئذ ، قال : انكشفت ميمنة خالد ثم الميسرة ، وقال خالد : يا معشر الأنصار الله الله واقتحم خالد بن الوليد وسط القوم وكر عليه أصحابه ، فاختلطت الصفوف،واختلفت السيوف بينهم ، وضرّس خالد في القتال،فجعل يقحم عن فرسه ، ويقولون : الله الله فإنك أمير القوم ، ولا ينبغي لك أن تقدم،

---

(١) يلاحظ هنا اعتماد خالد على تشكيلات الكتائب القبلية ـ انظر أثر تخليه عن هذا النظام في اليمامـــة .

فيقول : والله إني لأعرف ما تقولون ، ولكني والله ما رأيتني أصبر وأخاف هزيمة المسلمين .

ومن حديث محمد بن السائب الكلبي عن حميضة بن الشمردل أن طليحة أخذ من جنده أربعين غلاماً شباباً مرداً ، فأقامهم في الميمنة وقال : اضربوا حتى تأتوا الميسرة ففعلوا ، فكشفوا الناس ولم يقتل منهم أحد ، ثم أقامهم في الميسرة فقال : اضربوا حتى تأتوا الميمنة ففعلوا ، ولم يقتل منهم أحد وانهزم المسلمون .

قال الكلبي : فحدثني عبد الله بن سالم الطائي عن أبيه ، قال : نادى منادٍ من طيء : يا خالد عليك سلمى وأجأ [1] ، قال : فقال : بل إلى الله الملجأ ، قال : ثم حمل ، قال : فوالله ما رجع حتى لم يبق من أولئك الأربعين رجل واحد ، وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما ، وتراد الناس بعد الهزيمة ، واشتد القتال ، وأسر حبال بن أبي حبال فأرادوا أن يبعثوا به إلى أبي بكر ، فقال : اضربوا عنقي ولا تروني محمدكم هذا ، فضربوا عنقه .

وعن ابن اسحق قال : وقاتل عيينة بن حصن في سبعمائة من فزارة قتالاً شديداً حتى إذا هدته الحرب ، أتى طليحة وهو متلثم في كسائه ، فقال : لا أبا لك هل أتاك جبريل بعد ؟ قال : لا والله ثم قاتل حتى إذا ضرسته الحرب كرّ عليه ، فقال : لا أبا لك هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : لا والله ، قال : لا أبا لك فما ينتظر ؟ فقد والله بلغنا ، ثم كر ، ثم قاتل حتى إذا أيقن بالشر أتاه فقال : لا أبا لك هل أتاك بعد ؟ قال : نعم ، قال : فماذا قال لك ؟ قال : « إن لك رحى كرحاه وحديثاً لا ينساه » ، قال عيينة : أظن والله أن سيكون لنا حديثاً لا ننساه ، ثم قال : يا بني فزارة هذا والله كذاب فانصرفوا .

---

(١) أجأ وسلمى جبلان لطيء فيها قرى كثيرة بينها وبين المدينة ثلاث مراحل — معجم البلدان .

فانهزم الناس وغشوا [١] ، وهم يقولون : ماذا تأمرنا ؟ قال : من استطاع منكم أن يفعل كما أفعل ثم أحال [٢] على متن فرسه ، وحمل امرأته النوار على بعير ، ثم وجه بها الحوشية [٣] حتى قدم الشام .

وعن عبد الله بن عمر في كتاب الواقدي قال : نظرت الى راية طليحة يومئذ حمراء يحملها رجل منهم لا يزول بها فتراً ، فنظرت الى خالد أتاه فحمل عليه فقتله ، فكانت هزيمتهم ، فنظرت الى الراية تطؤها الإبل والخيل والرجال حتى تقطعت .

وفيه عن ابن عمر قال : يرحم الله خالد بن الوليد ، لقد كان له غناء وجزاء ، ولقد رأيته يوم طليحة يباشر الحرب بنفسه حتى ليم في ذلك ، ولقد رأيته يوم اليمامة يقاتل أشد القتال أن كان مكانه ليتقي حتى يطلع إلينا مبتهراً [٤] .

وفيه قال : لما تراجع المسلمون وضرس القتال تزمل طليحة بكساء له لينتظر ، زعم أن ينزل عليه الوحي فلما طال ذلك على أصحابه وهرتهم [٥] الحرب ، وضرس القتال جعل عيينة بن حصن يقاتل ويذمر [٦] الناس حتى إذا ألح المسلمون عليهم بالسيف ، وقد صبروا لهم ، قال عيينة : هل جاءك بعد ؟ قال : يقول طليحة : وهو تحت الكساء لا والله ما جاء بعد ، فقال عيينة : تبّاً لك آخر اليوم ، ثم رجع عيينة وقاتل وجعل يحث أصحابه ، وقد ضجوا من وقع السيوف ، فلما طال ذلك على عيينة جاء طليحة وهو مستلق مسجى بكسائه فجبذه جبذة

---

(١) أي تجمع جماعة طليحة من بني أسد حوله .

(٢) أي تحول عن راحلته إلى ظهر فرسه حتى يتمكن من الفرار بسرعة .

(٣) الإبل الحوشية التي لا تكاد يدركها التعب – اللسان .

(٤) البهر ما يعتري الانسان عند السعي الشديد والعدو من التهيج وتتابع النفس – النهاية لابن الأثير .

(٥) هرتهم : أجهدتهم – النهاية لابن الأثير .

(٦) أي يحضهم ويشجعهم – النهاية لابن الأثير .

جلس منها ، وقال له : قبح الله هذه من نبوة ، فجلس طليحة وقال له عيينة : ما قيل لك بعد شيء ؟ فقال طليحة : قد قيل لي : « إن لك رحى كرحاه ، وأمراً لن تنساه » ، فقال له عيينة : أظن قد علم الله أن سيكون لك أمر لن تنساه يا فزارة هكذا ، وأشار لها تحت الشمس ، هذا والله كذاب مبارك له ولا لنا فيما يطالب ، فانصرفت فزارة ، وذهب عيينة وأخوه في آثارها فيدرك عيينة فأسر وأفلت أخوه ، وأسر المسلمون منهم أسرى كثيرة .

وعن محمد بن إبراهيم بن طلحة قال : لما رأى طليحة أن الناس يقتلون ويؤسرون خرج منهزماً ، وأسلمه الشيطان ، فأعجزهم هو وأخوه ، فجعل أصحابه يقولون لطليحة : ماذا ترى ، وقد أعد فرسه عنده ، وهيأ امرأته النوار عنده فوثب على فرسه ، وحمل امرأته وراءه فنجا بها وقال : من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت فليفعل ولينج بأهله ، قال : ثم هرب حتى قدم الشام فأقام عند بني جفنة الغسانيين .

وفي كتاب يعقوب بن محمد الزهري : فلما رأى طليحة انهزام أصحابه قال : ويلكم ما يهزمكم ؟ قال رجل من أصحابه : أنا أخبرك ما يهزمنا ، إنه ليس منا رجل إلا وهو يحب أن يموت صاحبه قبله ، وإنا نلقى قوماً كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه .

قال ابن اسحق في كتاب يحيى بن سعد الأموي : وحدثنا أن طليحة لما ولى هارباً تبعه عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم ، وقد كان طليحة أعطى الله عهداً أن لا يسأله أحد النزول إلا فعل ، فلما أدبر ناداه عكاشة : يا طليحة ، فعطف عليه فقتل عكاشة ، ثم أدركه ثابت بن أقرم فقتله أيضاً ، ثم لحق بالشام ، وقد قيل في قتل طليحة عكاشة وثابت بن أقرم غير هذا .

وهو ما ذكره الواقدي بسنده عن عيسى بن عميلة الفزاري عن أبيه ، وكان عالماً بردتهم ، قال : خرج خالد بن الوليد على الناس يعترضهم ، فكلما سمع أذاناً

لوقت كف ، وإذا لم يسمع أذاناً أغار عليهم ، فلما دنا خالد بن الوليد من القوم بعث عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم طليعة أمامه يأتيانه بالخبر، وكانا فارسين ، عكاشة على فرس له يقال له الرزام ، وثابت بن أقرم على فرس يقال له الحبر ، فلقيا طليحة وأخاه مسلمة ابني خويلد طليعة لمن وراءهما من الناس ، وخلفوا عسكرهم من ورائهم ، واستعمل طليحة على عسكره عيينة بن حصن ، وجعل خارجة بن حصن على حرس العسكر ، فطاف به ، فلما التقوا انفرد طليحة بعكاشة ومسلمة بثابت بن أقرم ، ولم يلبث مسلمة أن قتل ثابتاً وصرخ طليحة بمسلمة أعني على الرجل فإنه قاتلي ، فكر مسلمة معه على عكاشه فقتلاه رحمه الله ، ثم كرا راجعين إلى من وراءهما ، وأقبل خالد معه المسلمون فلم يرعهم إلا بثابت بن أقرم قتيلاً تطؤه المطيّ ، فعظم ذلك على المسلمين ، ثم لم يسيروا إلا يسيراً حتى وطئوا عكاشة قتيلاً ، فثقل القوم على المطي كما وصفهم واصفهم ، حتى ما تكاد المطي ترفع أخفافها .

وفي كتاب الزهري : ثم لحقوا أصحاب طليحة فقتلوا وأسروا .

وفيه أيضاً قالوا : فعلقهم المسلمون قتلاً وأسراً ، وأسر عيينة بن حصن أسره عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن لام الطائي ، فأراد خالد قتله حتى كلمه فيه رجل من بني مخزوم ، فترك قتله ، وصاح خالد لا يطبخن رجل قدراً ولا يسخنن ماء إلا على أثفية رأس رجل ، وتظلف [1] رجل من بني أسد يقال له الإباء بن قيس فوثب على عجز راحلة خالد بن الوليد وهو يقول :

لن يخزي الله قوماً أنت قائدهم ... يا بن الوليدولن تشقى بك الدبر

كفّاك كف عقاب عند سطوتها ... على العدو وكف برة غفر

أنشدك الله أن يكون هلاك مضر اليوم على يدك ! قال : من أنت ويحك ؟ قال : أنا الإباء بن قيس يا خالد ، حكمك في بني أسد ؟ قال : حكمي فيهم أن

---

(١) في الحاشية : تظلف بالمعجمة تردى إلى تسدد .

يقيموا الصلاة ، ثم يؤتوا الزكاة ، ثم يرجعوا إلى بلادهم فمن كان له بها مـــال فليعمره وليعلمّ عليه فهو له ، فأقروا بذلك ، فنادى خالد : من قام فهو آمن ، فقام الناس كلهم فأمن من قام ، وسمعت بذلك بنو عامر ، فأعلنوا بالإسلام ، وأمر خالد بالحظائر أن تبنى ، ثم أو قد فيها النار ، ثم أمر بالأسارى فألقيت فيها وألقي يومئذ حامية بن سبيع بن الحسحاس الأسدي ، وأخذت أم طليحة إحدى نساء بني أسد، فعرض عليها الإسلام فأبت ووثبت فاقتحمت النار وهي تقول :

يا موت عم صباحا
كافحته كفـــاحا
إذ لم أجد رواحا

وقال الواقدي : قالوا : لما هرب طليحة وانقطعت الحرب ببزاخة وأسر المسلمون منهم أسرى فهم في أيدي المسلمين ، أمر خالد بن الوليد بالأخـــدود فحفر فقيل له ما تريد بهذه الأخدود ؟ قال : أحرقهم بالنار ، فكلم في ذلك ، فقال : هذا عهد الصديق أبي بكر اقرؤوه في كل مجمع : « إن أظفرك الله بهم فأحرقهم بالنار » .

وعن يعقوب بن زيد بن طلحة قال : جمعهم خالد بن الوليد في الحظائر ثم أضرمها عليهم فاحترقوا وهم أحياء ، لم يحرق واحد من بني فزارة ، فقلت لبعض أهل العلم : لم حرق هؤلاء من بين أهل الردة ؟ قال : كان بلغه مقالة سيئة عنهم شتموا النبي ﷺ ، وثبتوا على ردتهم .

وعن المنذر بن جهم قال : أصاب خالد بن الوليد في عسكرهم رثة [1] وإبلاً وحمراً وسلاحاً ، وبث السرايا على أثرهم ، فجاؤوا بخيل من خيلهم وإبل من

(١) الرثة : متاع البيت الدون ـ النهاية لابن الأثير .

إبلهم ووجدوا ربضة [١] من غنم قريبة ، ففرقها في أصحابه ، فأكلوا ، وفرق بين أصحابه ما غنم من عسكرهم .

وعن ابن عمر قال : شهدت بزاخة فظفرنا الله على طليحة ، وكنا كلما أغرنا على القوم سبينا الذراري واقتسمنا أموالهم .

وعن عمر بن عبد الله قال : شرد جمل لزيد بن الخطاب يوم بزاخة ، فوقع إلى العدو ، فلما أظفر الله تعالى المسلمين بهم وجدوا الجمل بعينه ، فأخذه زيد بن الخطاب فرأى أنه أحق به من غيره فركبه حتى أتى اليمامة فقتل باليمامة فولي تركته ابن عمر ، فباعه وجاء بثمنه وما ترك إلى عمر بن الخطاب [٢] .

---

(١) ربض في المكان يربض إذا لصق به وأقام ملازماً له ـ النهاية لابن الأثير .

(٢) في حاشية الأصل : ثم بلغ كذلك ... بلغ .

ذكر رجوع بني عامر وغيرهم الى الاسلام

قال الواقدي : قالوا : ولما أوقع الله ببني أسد وفزارة ما أوقع ببزاخة ، بث خالد بن الوليد السرايا ليصيبوا ما قدروا عليه ممن هو على ردته ، وجعلت العرب تسير إلى خالد بن الوليد : راغباً في الاسلام أو خائفاً من السيف ،فمنهم من أصابته السرية فيقول : جئت راغباً في الإسلام وقد رجعت إلى ما خرجت عنه ، ومنهم من يقول : ما رجعنا ولكن منعنا أموالنا وشححنا عليها فقد سلمناها فليأخذ منها حقه ، ومنهم من لم تظفر به السرايا ، فانتهى إلى خالد مقراً بالإسلام ، ومنهم من مضى إلى أبي بكر الصديق ولم يقرب خالد ابن الوليد .

قال الواقدي : فاختلفوا علينا في قرة بن هبيرة القشيري فقال : قائل : هرب إلى أبي بكر وأسلم عنده ، وقال : قائل : أخذته خيل خالد بن الوليد فأتت به إليه ، ومنهم من قال : جاء إلى خالد بن الوليد شارداً حين جاءت بنو عامر ، واجتمعت إلى خالد .

قال : وهو أثبت عندنا .

وعن عيسى بن عميرة الفزاري عن أبيه قال : لما جاءت بنو عامر إلى خالد ابن الوليد ولم تكن ارتدت ولم تنصر ،وقد كانت وقفت ولم تتمنع كما فعلت طيىء ولكنها قدمت رجلاً وأخرت أخرى فلما اجتمعت عند خالد بن الوليد ، قال خالد : أين قرة بن هبيرة القشيري ؟ قال : ها أنا ذا ، قال : قدمه فاضرب

عنقه ، وقال : أنت المتكلم لعمرو بن العاصي بما تكلمت به ، وأنت المتربص بالمسلمين الدوائر ، ولم تنصر ، وقلت : إن كانت الدائرة على المسلمين فمالي بيدي ، وجمعت قومك على ذلك ، ورأسك قومك ، ولم تكن بأهل تراس ولا تطاع ؟ قال : يا بن المغيرة إن لي عند عمرو بن العاصي شهادة ؛ فقال خالد بن الوليد : عمرو بن العاصي الذي نقل عنك إلى الخليفة ما تكلمت به .

وعن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: إن عمرو بن العاصي كان عاملاً لرسول الله ﷺ على عُمان ، فجاءه يهودي من يهود عُمان قال : أرأيت إن سألتك عن شيء أيخشى علي منك ؟ قال : لا، قال اليهودي : أنشدك بالله من أرسلك إلينا ؟ قال: اللهم رسول الله ﷺ ، قال اليهودي: آلله إنك لتعلم أنه رسول الله؟ قال عمرو: اللهم نعم، فقال اليهودي : لئن كان حقاً ما تقول لقد مات اليوم، فلما رأى عمرو ذلك جمع أصحابه وحواشيه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي ما قال ، ثم خرج معه بخفراء من الأزد وعبد القيس يأمن بهم حتى قدم أرض بني حنيفة فأخذ منهم خفيراً ، حتى جاء أرض بني عامر فنزل على قرة بن هبيرة القشيري فقال له حين أراد عمرو أن يركب: إن لك عندي نصيحة وأنا أحب أن تسمعها، قال قرة بن هبيرة : إن صاحبك قد توفي ، قال عمرو : وصاحبنا هو لا أم لك، يعني دونك ، وإنكم يا معشر قريش كنتم في حرمكم تأمنون فيه ويأمنكم الناس ثم خرج منكم رجل يقول ما سمعت فلما بلغنا ذلك لم نكرهه وقلنا رجل من مضر يسوق الناس وقد توفي ، والناس إليكم سراع وإنهم غير معطيكم شيئاً فالحقوا بحرمكم تأمنوا فيه وإن كنت غير فاعل فمدني حيث شئت آتك فوقع به عمرو بن العاصي ، وقال : إني أرد عليك نصيحتك وموعدك حفش[1] أمك، قالوا : وقال عمرو بن العاصي : إن العرب تواعدتك به ، فأقسم بالله لتوطئن عليك الخيل ، قال قرة : إني لم أرد هذا ، وندم على مقالته .

---

(١) الحفش البيت الصغير الذليل القريب السمك ، النهاية لابن الأثير .

قال الواقدي : قلت للضحاك بن عثمان فخرج عمرو بن العاصي من عُمان ، بخبر اليهودي من قبل أن تأتيه وفاة النبي ﷺ ؟ قال : نعم ، قلت : أين جاءته وفاة النبي ﷺ ؟ قال : سمعت الزهري يقول : جاءته وفاة النبي ﷺ بهجر (١) ، ووجد ذكر ذلك عند المنذر بن ساوى ، قلت للضحاك : فهو حين خرج من عمان بعد القيس سمعت أحداً يقول خلاف حديث مخرمة بن سليمان؟ فقال : نعم سمعت الزهري يسنده أبين مما حدثني مخرمة بن سليمان ، قال : خرج بخفراء من الأزد حتى قدم هجر ، ثم خرج بخفراء من عبد القيس فلما جاء أرض بني حنيفة سمع به مسيلمة فخرج في أصحابه فعرض له فهرب عمرو ابن العاصي منه ومعه ثمامة بن أثال في قومه من بني حنيفة ، واقتطع مسيلمة رجلين من أصحابه : حبيب بن زيد بن عاصم الأنصاري ، وعبد الله بن وهب الأسلمي ، ثم أخذ خفراء من بني تميم بعثهم الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم المنقري حتى ورد على قرة بن هبيرة القشيري ، فخرج قرة بن هبيرة في مائة من قومه خفراء له .

وعن المنذر بن جهم قال : أقبل عمرو بن العاصي يلقى الناس مرتدين حتى أتى على ذي القصة فلقي عيينة بن حصن خارجاً من المدينة وذلك حين قدم على أبي بكر الصديق يقول : إن جعلت لنا شيئاً كفيناك ما وراءنا ، فقال له عمرو ابن العاصي : ما وراءك ؟ فقال عيينة : ابن أبي قحافة والي الناس ، يا عمرو استوينا نحن وأنتم ، فقال عمرو : كذبت يا بن الأخابث من مضر .

فلما قدم عمرو بن العاصي المدينة أخبر أبا بكر بما كان في وجهه وبمقالة قرة بن هبيرة ، وبمقالة عيينة بن حصن . وأتى عمرو خالد بن الوليد حين بعثه أبو بكر إلى أهل الردة فجعل يقول : يا أبا سليمان لا يفلت منك قرة بن هبيرة .

وعن ابن عباس قال : لما اجتمعت بنو عامر عند خالد بن الوليد جعل يعقد

---

(١) الهجر بلغة حمير : القرية ، وهجر مدينة كانت قاعدة البحرين ، معجم البلدان .

عليهم الأيمان : عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمنن بالله ورسوله ولتقيمن الصلاة ولتؤتنّ الزكاة ، تبايعون على ذلك أبناؤكم ونساؤكم آناء الليل وآناء النهار ، قالوا : نعم ، حتى إذا فرغ من بيعتهم أوثق عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة .

قال ابن عباس : فقدم بهما المدينة في وثاق فنظرت إلى عيينة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، ينخسه غلمان المدينة بالجريد ويضربونه ، ويقولون : أي عدو الله أكفرت بالله بعد إيمانك ؟ فيقول : والله ما كنت آمنت بالله .

قالوا : ووقف عليه عبد الله بن مسعود فقال : خبت وخسرت ، إنك لموضع في الباطل قديماً ، فقال له عيينة : أقصر أيها الرجل فلولا ما أنا فيه لم تكلمني بما تكلمني به ، فانصرف ابن مسعود .

قال : وأتي بقرة بن هبيرة فقال : يا خليفة رسول الله والله ما كفرت ، وسل عمرو بن العاصي فإن لي عنده شهادة لما أقبل من عُمان خرجت في مائة من قومي خفراء له ، وقبل ذلك ما أكرمت منزلته ونحرت له؟ فسأل أبوبكر عمراً فقال : نزلت به فلم أر للضيف خيراً منه لم يترك ، وخرج معي في مائة من قومه خفيراً ، ثم ذكر عمرو بن العاصي ما قال له قرة ، فقال قرة بن هبيرة : انزع يا عمرو ، فقال عمرو : ولو نزعت نزعت ، فلم يعاقبه أبو بكر وعفا ذلك عنه كله ، وكتب له أبو بكر أماناً وكتب لعيينة أماناً وقبل منه .

وفي كتاب يعقوب بن محمد الزهري بسنده عن الشعبي قال : ارتدت بنو عامر وقتلوا من كان فيهم من عمال رسول الله ﷺ وحرقوهم بالنار ، فكتب أبو بكر إلى خالد أن يقتل بني عامر ويحرقهم بالنار .

وفيه عن محمد بن سيرين قال : ارتد علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر قال : وأخبرني بعض بني سليم عن رجل من ولد رافع بن خديج عن أبيه قال : ارتدت بنو عامر ، وتربصت مع قادتها وسادتها ينتظرون لمن تكون الدبرة أ لخالد أم لأصحاب طليحة .

قال : وكان رسول الله ﷺ قد بعث عمرو بن العاصي إلى ابني الجلندي بعُمان فأسلموا ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو ثم ، فجاء عمرو بن العاصي يهودي من عُمان ، فذكر نحو ما تقدم إلى آخر قصة قرة بن هبيرة .

وفي حديث السلمي : ثم لقي عمرو عيينة خارجاً من المدينة ، فقال عمرو : يا عيينة من ولى المسلمون أمورهم ؟ قال : أبا بكر ، قال : الله أكبر ، قال عيينة : يا عمرو استوينا نحن وأنتم ، قال : كذبت يابن الأخابث من مضر .

قال بعضهم وكانت بنو عامر تربص لمن الدبرة وصاحب أمرهم قرة بن هبيرة ، فقام فيهم أبو حرب ربيعة بن خويلد العقيلي ، وهو يومئذ فارس عامر ورجلها ، فقال : مهلاً يا بني عامـــر وقد قتلتم رسل رسول الله ﷺ إلى بئر معونة ، وأخفرتم ذمة أبي براء ، وأردا كم عامر بن الطفيل [1] وقد أظلكم خالد في المهاجرين والأنصار ، فكسرهم قوله وقد أردوه ، فلما صنع الله بأهل بزاخة ما صنع ، عمد خالد إلى جبل طيىء ، فأتته عامر وغطفان يدخلون في الإسلام ويسألونه الأمان على مياههم وبلادهم ، وأظهروا له التوبة ، وأقـاموا الصلاة ، وأقروا بالزكاة ، فأمنهم خالد وأخذ عليهم العهود والمواثيق : ليبايعن على ذلك أبناؤكم ونساؤكم آناء الليل والنهار ، فقالوا : نعم ، نعم .

وأخذ خالد قرة فأراد قتله ، وقال هذا ما قال لك عمرو : سيـــأتيك في حفش أمك ، فقال له قرة : يا أبا سليمان إني قد أجرته فأحسنت جواره وأنا مسلم لم أرتد فقال لولا ما تذكر لضربت عنقك ، ولكن لا بد أن أبعث بك في وثاق إلى أبي بكر فيرى فيك رأيه ، فبعث به إلى أبي بكر ، فقال قرة : يا خليفة رسول الله إني قد كنت مسلماً ولي عند عمرو بن العاصي شهادة ، قدم فأكرمته وقربته ، ومنعته فدعا أبو بكر عمراً فقال : ما تعلم من هذا فاقتص

---

(١) خبر بئر معونة ، انظره في مغازي الزهري ـ ط . دمشق ١٩٨١ ص ٩٤ — ٩٥ .

قصته ،حتى لما بلغ الصدقة ،قال قرة : حسبك قال : لا والله حتى أبلغ كلامك كما قلت ، فتجاوز أبو بكر عن دمه ، وهرب علقمة .

وعن ابن سيرين قال : بعث أبو بكر إلى ابنة علقمة وامرأته ليأخذهما فقالت امرأته : مالي ولأبي بكر إن كان علقمة قد كفر فإني لم أكفر،فتركها . قال : ثم رجع علقمة زمان عمر مسلماً فرد إليه زوجته .

فلما فرغ خالد من بزاخة وعامر ومن يليها من غطفان عمد إلى بلاد بني تميم يؤم اليمامة .

وعن الواقدي عن عيسى بن عميلة الفزاري عن أبيه قال : لما جاءت بنو عامر وغيرهم من أهل الردة خالداً فبايعوه على الإسلام أخذ ما ظهر من سلاحهم واستحلفهم على ما غيبوا عنه فإن حلفوا تركهم وان أبوا شدهم أسراً ، حتى أتوا بما عندهم من السلاح ، فأخذ منهم سلاحاً كثيراً فأعطاه أقواماً يحتاجون إليه في قتال عدوهم ، وكتبه عليهم ، فلقوا العدو به ، ثم ردوه بعد ، فقدم به على أبي بكر رحمه الله .

وعن يزيد بن شريك الفزاري عن أبيه قال: قدمت مع أسد وغطفان وافداً على أبي بكر حين فرغ خالد من بزاخة وجعلت أسد وغطفان تسلل فاجتمعوا عند أبي بكر فمنهم من بايع خالداً ومنهم من لم يبايعه فجاؤوا إلى أبي بكر فقال أبو بكر : اختاروا بين خصلتين : حرب مجلية ، أو سلم مخزيه ؟ قال خارجة ابن حصن : هذه الحرب المجلية قد عرفتها ، فما السلم المخزية؟قال : تقرون أن قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار ، وأن تردوا علينا ما أخذتم منا ولا نرد عليكم مما أخذنا منكم شيئاً، وأن تدوا قتلانا دية كل قتيل مائة بعير، منها أربعون في بطونها أولادها ، ولا ندي قتلاكم ،ونأخذ منكم الحلقة [1] والكراع وتلحقون

(١) الحلقة :السلاح عاماً وقيل : هي الدروع خاصة . النهاية لابن الأثير.

بأذناب الإبل حتى يري الله خليفة نبيه والمؤمنين ما شاء فيكم ، أو نرى منكم إقبالاً إلى ما خرجتم منه ، فقال خارجة بن حصن : نعم يا خليفة رسول الله . قال أبو بكر : عليكم عهد الله وميثاقه أن تقوموا بالقرآن آناء الليل وآناء النهار وتعلمونه أولادكم ونساءكم ولا منعتم فرائض الله في أموالكم ؟ قالوا : نعم ، قال عمر : يا خليفة رسول الله كل ما قلت كما قلت: إلا أن لا يدوا من قتلوا منا لأنهم قوم قتلوا في سبيل الله ، واستشهدوا . فقبض حلقتهم وكراعهم ، حتى توفي رحمه الله وهو عنده ، حتى رده عمر من بعده لما رأى من إقبالهم إلى الإسلام .

وفي كتاب يعقوب بن محمد الزهري نحو هذا في وفود بزاخة على أبي بكر إلى آخر كلام عمر رحمه الله ، وقال : فتتابع الناس على قول عمر رحمه الله .

وعن سعيد بن المسيب قال: قبض أبو بكر رحمه الله كل ما قدر عليه من الحلقة والكراع ، فلما توفي رأى عمر رحمه الله أن الإسلام قد ضرب بجرانه [1] فدفعه إلى أهله أو إلى عصبة من مات منهم .

قال الواقدي بسنده عن محمود بن لبيد ، قال: لما قدم خالد بن الوليد بزاخة أظهر أن أبا بكر عهد إليه أن يصير إلى أرض بني تميم ، وإلى اليمامة فقال ثابت ابن قيس الأنصاري ، وهو على الأنصار ، وخالد على جماعة المسلمين : ما عهد إلينا ذلك وما نحن بسائرين ، قالوا : وقال ثابت بن قيس : وليست بنا قوة وقد كل المسلمون وعجف كراعهم .

قال محمود بن لبيد: قال خالد بن الوليد: أما أنا فلست بمستكره أحداً منكم ، وإن شئتم فسيروا وإن شئتم فأقيموا ، فسار خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والعرب عامداً لأرض بني تميم واليمامة ، وأقامت الأنصار يوماً ثم تلاومت فيما بينها . وقالوا : والله ما صنعنا شيئاً . والله لئن أصيب القوم ليقولن خذلتموهم وأسلمتموهم ، وإنها لسبة باقٍ عارها بآخر الدهر ، ولئن أصابوا خيراً وفتح الله فتحاً إنه لخير

---

(١) أي قر قراره واستقام . النهاية لابن الأثير .

منعتموه ، فابعثوا إلى خالد يقيم لكم حتى تلحقوه ، فبعثوا مسعود بن سنان إلى خالد أن أقم حتى نلحقك. ويقال : بعثوا ثعلبة بن عنمة ، فلما جاءه الخبر أقام حتى لحقوه قال : فلما طلعوا على العسكر استقبلهم خالد بن الوليد في كثرة من معه من المسلمين حتى نزلوا العسكر ، وساروا جميعاً .

قال الواقدي : عن عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال : لما لحقت الأنصار خالد بن الوليد سار في أرض بني تميم حتى انتهى إلى البطاح ، فبعث السرايا في أربعة [1] وجوه : فبعث سرية فيها رجل من بني مخزوم وهو أميرها وفيها أبو قتادة الأنصاري ، وبعث عبد الله بن الحارث بن قيس في وجه آخر ، وبعث شجاع بن وهب في وجه آخر ، وأقام يومين حتى رجعت السرية التي فيها أبو قتادة .

وفي كتاب يحيى بن سعيد الأموي قال : وفي حديث ابن إسحق ، ثم إن خالد بن الوليد سار إلى البطاح من أرض بني تميم ، فلما أجمع السير أبت الأنصار أن تسير معه ، وقالوا : ما هذا بعهد صاحبنا إلينا ، إنما عهد إلينا إذا فرغنا من بزاخة ومن عليها أن نرجع ، قال : لكن قد عهد إلي غير هذا أن أسير إلى بني تميم حتى استبرىء ما بها ، ولست بالذي أكرهكم ، وقال : أما أنا فمنطلق بمن معي من قريش والقبائل ، فانطلق حتى سار منقلة أو منقلتين ، فندمت الأنصار وتذامروا بينهم [2] ، وقال بعضهم لبعض : والله لئن أصاب القوم فتحاً وخيراً وجهاداً إنه لخير جرمتموه ، ولئن أصاب القوم مصيبة ليعظمن ذلك وليقالن خذلتموهم وأسلمتموهم فأجمعوا على اللحوق بخالد فبعثوا إليه أن انتظرنا حتى نلحق بك ، فانتظرهم حتى أتوه فسار حتى نزل البطاح من أرض بني تميم فلم يجد بها جمعاً ففرق السرايا في نواحيها فأتي بمالك بن نويرة في نفر من

(١) كذا ، وذكر ثلاثة وجوه فقط .

(٢) الذمر : الحث مع لوم واستبطاء .

بني حنظلة ، فاختلف الناس فيهم وكان في السرية التي أصابتهم أبو قتادة فيمن شهد له أن لا سبيل عليه ولا على أصحابه، إنا قد أذنا فأذنوا ، ثم أقمنا فأقاموا ، ثم صلينا فصلوا ، وكان من عهد أبي بكر إلى خالد أن أيتما دار غشيتموها فسمعتم الأذان فيها بالصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم: ماذا نقموا وماذا يبغون؟ وأيتما دار غشيتموها، فلم تسمعوا فيها الأذان فشنوا عليها الغارة فاقتلوا وحرقوا، قال : وشهد بعض من كان في تلك السرية : مـــا سمعناهم كبروا ولا أذنوا ، فاختلف فيهم الناس ، فأمر خالد بمالك وأصحابه ، فضربت أعنـاقهم وتزوج امرأته أم متمم .

وفي كتاب يعقوب بن محمد الزهري بسنده عن الزهري ، قال : قال أبو قتادة : كنا في جيش خالد فلما فرغنا من بزاخة بعثنا خالد في سرية ، فلقينـا رجل فقلنا من أنت ؟ فقال : أنا من بني حنظلة ، فقلنا: أين من يمنع الصدقة منا الآن ؟ قال : هم بمكان كذا وكذا ، فقلنا : كم بيننا وبينهم ؟ قال : مآبة [1] فانطلقنا سراعاً حتى أتيناهم حين طلعت الشمس ففزعوا حين رأونا وأخـذوا السلاح وقالوا : من أنتم ؟ قلنا : نحن عبـــاد الله المسلمون ، قالوا : ونحن عبـاد الله المسلمون وكانوا اثني عشر رجـــلاً فيهم مالك بن نويرة ، قلنـــا : فضعوا السلاح واستسلموا ففعلوا فأخذناهم ، فجئنا بهم خـالداً فقال بعضهم : إنا منهم قد والله أسلموا فما لنا عليهم من سبيل ، وقال بعضنا : والله ما أسلموا وإن قتلهم وسبيهم لحلال ، فرأى ذلك خالد فجئته فقلت أقاتل أنت هؤلاء القوم ؟ قال : نعم ، قلت : والله مـا يحل لك قتلهم ، ولقد اتقونا بالاسلام فما عليهم من سبيل ولا أتابعك على قتلهم ، فأمر بهم خالد فقتلوا ، قال أبو قتادة فتسرعت حتى قدمت على أبي بكر فأخبرته الخبر وعظمت عليـــه

---

(١) آبت الشمس : غربت ، من الأوب : الرجوع . النهاية لابن الأثير .

الشان ، فاشتد في ذلك عمر ،وقال : ارجم خالداً فإنه قد استحل ذلك ، فقال أبو بكر والله لا أفعل ، إن كان خالد تأول أمراً فأخطأه .

وذكر يعقوب بن محمد هذا ، والواقدي في مقتل مالك بن نويرة روايات غير ما تقدم ، تركنا ذكرها استغناء عنها بما ذكرناه هنا ، وفي بعضها أن خالداً أمر برأسه فجعل أثفية لقدر ، وكان من أكثر الناس شعراً ، فكانت القدر على رأسه ، فراحوا وإن شعره ليدخن وما خلصت النار إلى شواة [١] رأسه .

وعن الواقدي بسنده قال : كان مالك بن نويرة يسمى الحفول ، وكان النبي ﷺ بعثه مصدقاً لقومه فلما بلغه وفاة النبي ﷺ أمسك الصدقة وفرقها هو في قومه ، فحفل إبل الصدقة فلذلك سمي الحفول [٢] ورجع عن الإسلام وجمع قومه فقال : إن هذا الرجل قد هلك فإن قام قائم من بعده من قريش نجتمع عليه جميعاً رضي منكم أن تدخلوا في أمره، ولم يطلب ما مضى من هذه الصدقة أبداً ، ولم تكونوا أعطيتم الناس أموالكم فأنتم أولى بها وأحق ، فبلغ أبا بكر ذلك من قوله : فعاهد الله خالد بن الوليد لئن أخذه ليقتلنه وليجعلن هامته أثفياً للقدر ، ففعل ذلك خالد حين أظفره الله به وقال مالك بن نويرة شعراً في تفريقه الصدقة :

وقال رجال سدد اليوم مالك ... وقال رجال مالك لم يسدد
فقلت دعوني لا أبا لأبيكم ... فلم أخطىء رأياً في المقال ولا اليد [٣]
وقلت خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجيء به غد
فدونكموها إنها صدقاتكم ... مصررة اخلافها لم تحرد
سأجعل نفسي دون ما تحددونه ... وأرهنكم يوماً بما قلته يدي
فإن قام بالأمر المخوف قائم ... أطعنا وقلنا الدين دين محمد

(١) جلد الرأس . النهاية لابن الأثير .
(٢) أي الجامع . النهاية لابن الأثير .
(٣) في حاشية الأصل ما يفيد أنه جاء في نسخة أخرى : « المعاد ولا البد » .

قصة مُسيلمة الكذاب وردة أهل اليمامة

الواقدي بسنده عن رافع بن خديج قال: قدمت على النبي ﷺ وفودالعرب فلم يقدم علينا وفد أقسى قلوباً ، ولا أحرى أن يكون الإسلام لم يقر في قلوبهم من بني حنيفة .

وعن ابن عباس قال : قدم مسيلمة في قومه فنزل دار رملة بنت الحارث النجارية ، فذكر لرسول الله ﷺ أنه يقول : لو جعل لي محمد الخلافة من بعده لاتبعته ، فجاءه رسول الله ﷺ معه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ ميتخة [١] من نخل فوقف عليه ، ثم قال : لئن أقبلت ليفعلن الله بك ، ولئن أدبرت ليقطعن الله دابرك ، وما أراك إلا الذي رأيت فيه ما رأيت ولو سألتني هذه الشظية — لشظية من الميتخة ، التي في يده — ما أعطيتكها ، وهذا ثابت يجيبك .

قال ابن عباس فسألت أبا هريرة عن قول النبي ﷺ:ما أراك إلا الذيرأيت فيه ما رأيت قال : كان رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فنفختهما [٢] فطارا فوقع أحدهما باليمامة والآخر باليمن ، قيل : ما أولتهما يا رسول الله ؟ قال : ﷺ أولتهما كذابين يخرجان من بعدي ».

قال الواقدي بسنده عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:«بين

---

(١) جريدة من نخل أو عصا . النهاية لابن الأثير .

(٢) أي رميتهما أو ألقيتهما- انظر النهاية لابن الأثير ، وسبق أن قمنابتخريج هذاالحديث.

يدي الساعة كذابون منهم العنسي صاحب صنعاء ،ومنهم صاحب اليمامة،ومنهم الرجّال [١] وهو أعظمهم فتنة » .

قال أبو عبد الله : كان من قصة الرجّال بن عنفوة أنه قدم مع قومه وافداً على النبي ﷺ ، فقرأ القرآن وتعلم السنن .

وعن ابن عمر قال : رأيت الرجّال يأتي أبي بن كعب يقرئه القرآن، وكان من أفضل الوفد عندنا ، قرأ سورة البقرة وآل عمران ، فقدم اليمامة فشهد لمسيلمة على رسول ﷺ أنه أشركه من بعده في الأمر ، فكان أعظم على أهل اليمامة فتنة من غيره لما كان يعرف به الرجّال .

وعن رافع بن خديج قال : كان بالرجّال من الخشوع ولزوم قراءة القرآن والخير فيما نرى شيء عجيب ، خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً وهو معنا جالس مع نفر ، فقال: أحد هؤلاء النفر في النار ، قال رافع فنظرت في القوم فإذا بأبي هريرة ، وأبي أروى الدوسي وطفيل بن عمرو الدوسي ، ورجّال بن عنفوة ، فجعلت انظر وأعجب، وأقول من هذا الشقي؟ فلما توفي رسول الله ﷺ رجعت بنو حنيفة ، فسألت ما فعل الرجّال بن عنفوة ؟ فقالوا : افتتن ، هو الذي شهد لمسيلمة على رسول الله ﷺ أنه أشركه من بعده ، فقلت : ما قال رسول الله ﷺ فهو حق .

قالوا : وسمع الرجّال يقول : كبشان انتطحا فأحبها إلينا كبشنا .

وعن أبي هريرة رحمه الله نحو هذا .

وعن عباية الراعجي عن الرخيل بن إياس ابن أخي مجاعة قال : كان ابن عمير اليشكري من سراة أهل اليمامة وأشرافهم ، وكان مسلماً يكتم إسلامه ، وكان صديقاً للرجّال بن نهشل بن عنفوة،فقال شعراً فاشياً في اليمامة حتى كانت

---

(١) المشهور بالروايات « الدجال » .

المرأة والوليدة والصبي ينشدونه ، واغتاظوا عليه فقال :

يا سعـــاد الفؤاد بنـــت أثال ... طـــال ليلي بفتنة الرجـــال
إنهـــا يا سعـــاد من حدث الدهر ... عليكم كفتنـــة الدجـــال
فتن القـــوم بالشهـــادة ... والله عـــزيز ذو قـــوة ومحـــال
لا يســاوي الذي تقول من الأمر ... قبالاً [1] ومـــا احتذى من قبـــال
إن ديني دين النبي وفي القوم ... رجـــال على الهدى أمثـــالي
أهلك القوم محـــكم بن طفيل ... ورجـــال ليسوا لنـــا برجـــال
بزهم أمرهم مسيلمة اليوم ... فلن يرجعـــوه أخرى الليالي
قلت للنفس إن تعاطيك للكفر ... سبـــاب مقـــالة الأنذال
ربمـــا تجزع النفوس من الأمر ... له فرجـــة كحلّ العقـــال
إن تكن منيتي على فطرة الله ... حنيفـــاً فـــإنني لا أبالي

قال : فبلغ مسيلمة ومحكماً وأشراف أهل اليمامة ، فطلبوه ففـاتهم ولحق بخالد بن الوليد قبل أن يدخل اليمامة ، فأخبر خالداً بحال أهل اليمامة ، ودله على عوراتهم ، وأشار على خالد بن الوليد بالمنزل الذي ينزل ، وذلك أنه أخبره قال تركت مسيلمة يؤامر أصحابه أن يخرج إليك ويترك الأموال خلف ظهره .

وعن محمد بن سليمان الوالبي قال : قام ثمامة بن إثال الحنفي في بني حنيفـة فقال : اسمعوا مني وأطيعوا أمري ترشدوا ، إنه لا يجتمع نبيان بأمر واحـد ، إن محمداً ﷺ لا نبي بعده ولا نبي مرسل معه ، ثم قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير [2] ﴾ ، هذا كلام الله عز وجل ، أين هـذا من

---

(١) القبال : زمام النعل ، وهو السير الذي يكون بين الاصبعين . النهاية لابن الأثير .
(٢) سورة غافر ـ الآية : ١ .

« يا ضفدع نقي [١] لا الشرب تمنعين ولا الماء تكدرين » . والله إنكم لتعلمون أن هذا الكلام ما يخرج من إل [٢] ، وقد استحق محمد أمراً أذكره به « مر بي رسول رسول الله ﷺ وأنا على دين قومي فأردت قتله ، فحال بيني وبينه عمير وكان موفقاً ، فأهدر رسول الله ﷺ دمي ثم خرجت معتمراً ، فبينا أنا أسير قد أطللت على المدينة أخذتني رسله في غير عهد ولا ذمة فعفا عن دمي وأسلمت فأذن لي في الخروج إلى بيت الله ، وقلت : يا رسول الله إن بني قشير قتلوا إثالاً في الجاهلية فاذن لي أغزهم ، فغزوتهم وبعثت إليه بالخمس ، فتوفي رسول الله ﷺ وقام بهذا الأمر من بعده رجل هو أفقههم في أنفسهم ، لا تأخذه في الله لومة لائم ثم بعث إليكم رجلاً لا يسمى باسمه ولا اسم أبيه ، يقال له : سيف الله ، معه سيوف لله كثيرة فانظروا في أمركم ، فآذاه القوم جميعاً أو من آذاه منهم .

قال الواقدي وقال شعراً :

مسيلمة ارجع ولا تمحك ... فإنك في الأمر لم تشرك
كذبت على الله في وحيه ... هواك هوى الأحمق الأنوك
ومناك قومك أن يمنعوك ... وإن يأتهم خالد تدرك
فمالك من مصعد في السماء ... ومالك في الأرض من مسلك

قال الواقدي : وقالوا : إن رجلاً كان من بني حنيفة قد أسلم ، وأقام عند رسول الله ﷺ فحسن إسلامه ، فأرسله النبي ﷺ إلى مسيلمة ليقدم به عليه .

وقال الحنفي : إنه إن أجاب أحداً من الناس أجابني ، وعسى أن يحينه

---

(١) هذا مما نسب إلى مسيلمة ، وادعى أنه أوحي به إليه .
(٢) أي من ربوبية ، والإل بالكسر هو الله تعالى . النهاية لابن الاثير .

فخرج حتى أتاه فقال : إن محمداً قد أحب أن تقدم عليه فإنك لو جئته لم يفارقك إلا عن رضى ، ورفق به وجعل يأتيه إذا وجده خالياً فيلقي هذا القول إليه ، فلما أكثر عليه قال : أنظر في ذلك ، فشاور رجال بن عنفوة وأصحابه ، فقالوا : لا تفعل إن قدمت عليه قتلك ، ألم تسمع كلامه ، وما قال لنا ، فأبى مسيلمة أن يقدم معه على رسول الله ﷺ ، وبعث معه رجلين ممن صدق به ليكلماه ويخبراه بما قال الحنفي ، فخرج الرسولان مع رسول رسول الله ﷺ حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فتشهد أحدهما برسول الله وحده ، ثم كلمه بما بدا له ، فلما قضى كلامه تشهد الآخر فذكر رسول الله ﷺ ، وذكر مسيلمة ، فقال: رسول الله ﷺ كذبت ، خذوا هذا فاقتلوه ، فثار المسلمون إليه يلببونه[1] وأخذ صاحبه بحجزته [2] فطفق صاحبه الذي أخذ بحجزته يقول: يا رسول الله اعف عنه بأبي أنت وأمي ، فيجاذبه إياه المسلمون ، فلما أرسلوه شهد بذكر رسول الله ﷺ وحده ، وأسلم هو وصاحبه .

فلما توفي رسول الله ﷺ خرجا فقدما على أهليهما باليمامه وقد فتن الذي أمسك بحجزة صاحبه ذلك ، فقتل مع مسيلمة وثبت الممسك بحجزته ، وكان بعد يخبر خالد بن الوليد بعورة بني حنيفة ، وجعل رسول رسول الله ﷺ يخبر رسول الله ﷺ كيف رفق بمسيلمة حتى أراد مسيلمة أن يقدم ، وقال : أنظر في ذلك ، حتى نهاه الرجال فقال رسول الله ﷺ يقتله الله ، ويقتل الرجال معه .

قالوا : وكان قومه قد افتتنوا بمسيلمة حتى كان يدعو لمريضهم ويبرك على على مولودهم ، وجاءه قوم بمولود فمسح رأسه فقرع ، وقرع كل مولود له

---

(١) يقال لببت الرجل ، ولببته ، إذا جعلت في عنقه ثوباً أو غيره وجررته به – النهاية لابن الأثير .

(٢) أي أخذ يعصمه ويمنعه ، وأصل الحجزة موضع شد الإزار . النهاية لابن الأثير .

إلى اليوم ، وجاءه آخر فقال : يا أبا ثمامة إني ذو مال وليس لي ولد يبلغ سنتين حتى يموت غير هذا المولود، وهو ابن عشر سنين ، ولي مولود ولد أمس فأحب أن تبارك فيه وتدعو أن يطيل الله عمره فقال : سأطلب لك الذي طلبت فجعل عمر المولود أربعين سنة ،فرجع الرجل إلى منزله مسروراً فوجد الأكبر قد تردى في بئر ، ووجد الصغير ينزع في الموت فلم يمس من ذلك اليوم حتى ماتا جميعاً ، قال : تقول امرأة الرجل ، أم الغلامين : فلا والله ما لأبي ثمامة عند إلهه منزلة مثل منزلة محمد ﷺ .

قالوا : وحفرت بنو حنيفة بئراً فأعذبوها نقاخاً [1] فجاؤوا إلى مسيلمة فقالوا: أتأتي فإنا نريد أن تبارك فيها ، فأتاها فبصق فيها فعادت أجاجاً ، قال: وكان مؤذنه رجلاً من بني حنيفة يقال له حجير ، فأذن أول ما أذن فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، ثم قال : أشهد أن مسيلمة ثم وقف فصاح محكم بن الطفيل قم اشهد أن مسيلمة رسول الله صرح حجير ، فنادى حجير : أشهد أن مسيلمة رسول الله ، فذهبت في العرب مثلاً .

قالوا: وكاد أمر بني حنيفة أن ينقطع عنهم ذكره حين رجعوا إلى الإسلام، إلا ذكر حجير فإنه الدهر « صرح حجير » له ولولده .

قالوا : وكانت سجاح ابنة سويد بن يربوع تميمية من بني تميم،أجمع قومها أنها نبية ، فادعت الوحي واتخذت مؤذناً وحاجباً ومنبراً فكانت العشيرة إذا اجتمعت تقول : الملك في أقربينا من سجاح،ثم رحلت تريد مسيلمة وأخرجت معها من قومها من هو على قولها تريد حربه ويرون أن سجاح أولى بالنبوة منه ، فلما قدموا خلا بها ، فقال لها : تعالي نتدارس للنبوة أينا أحق بها ،

---

(١) النقاخ هو الماء العذب الباود الذي ينقع العطش ، أي يكسره ببرده . النهاية .

فقالت سجاح : قد أنصفت ، فاذكر ، وبعد هذا من قوله وفعلها ما أعرضنا عن ذكره [١] .

قـــال : وكان من سجع مسيلمة « يا ضفدع بنت ضفدعين لحسن ما تسعين، لا الشرب تمنعين ، ولا الماء تكدرين ، لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ،ولكن قريش لا يعدلون [٢] » .

قال : وكلمت سجاح مسيلمة أن يخفف عن قومها بعض الصلاة فقال : أيها أحب إليك ؟ فقالت : العشاء والصبح ، فإنهما ثقيلتان ، فنادى مناديه : إنه قد وضع هاتين الصلاتين[٣]،فرضوا بذلك فلما قتل مسيلمة أخذ خالد بن الوليد سجاح فأسلمت ورجعت إلى ما كانت عليه ، ولحقت بقومها .

وفي كتاب يعقوب بن محمد الزهري:قال بعضهم:وكان حجير مؤذن مسيلمة، فكان إذا أذن يشهد لرسول الله فقال:إن محمداً رسول الله،ثم يعود فقال:ثم أشهد أن مسيلمة يقف فيصيح به محكم بن طفيل:«صرح حجير»،قل:إن مسيلمة رسول الله فذهبت مثلاً ، وكانوا يصلون الصلوات الخمس فلما وطىء خالد أرض بني تميم وهرب الناس كانت سجاح بنت سويد إحدى نساء بني يربوع قد أقامت على ردتها وتنبأت ، وادعت الوحي ، فأجمعت تميم معها فلما وطىء خالد العرب ، رأت أنه لا أحد أعز لها من مسيلمة ، فوجهت إليه فقالت لمؤذنها « شبث بن ربعي »: أذن بنبوة مسيلمة فكان يفعل وقدمت على مسيلمة ومعها تميم تقول: الملك في أقربنا من سجاح ، فلما قدمت على مسيلمة قالت : اخترتك على من سواك ونوهت باسمك حتى إن مؤذني ليؤذن بنبوتك ، فخلا مسيلمة بسجاح ليتدارسا النبوة ، ثم ذكر ما أعرضنا عن ذكره [٣] .

---

(١) انظر ما أعرض عن ذكره في تاريخ الطبري – ط . دار المعارف : ٣ / ٢٧٣-٢٧٥ .
(٢) في حاشية الأصل . سجع مسيلمة .
(٣) الذي رواه الطبري أن ذلك كان صداق سجاح بعدما تزوجها مسيلمة .

وقال عطارد بن حاجب بن زرارة :

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا[١]

قالوا : ولما خرج خالد بن الوليد إلى اليمامة أرسل حسان بن ثابت أبياتاً ، وكان صديقاً لمحكم بن طفيل وكان شريفاً وسيماً .

قال الواقدي أنشدني ابن أبي الزناد قوله :

يا محكم بن طفيل قد أتيح لكم ... لله در أبيكم حمية الواد[٢]

يا محكم بن طفيل إنكم نفر ... كالشاء سيبها الراعي لآساد

ما في مسيلمة الكذاب من عوض ... من دار قوم وإخوان وأولاد

لا تأمنوا خالداً بالبرد معتجراً ... تحت العجاجة مثل الأغضب العادي

فاكفف حنيفة عنه قبل نائحة ... تنعي فوارس شاج شجوهـــا باد

ويل اليمامة ويل لا فراق له ... إن جالت الخيل فيهم بالقنا الصادي

والله والله لا تثني أعنتها ... حتى تكونوا كأهل الحجر أو عاد[٣]

قال : وأرسل بها من المدينة مع ركب ، ووردت على محكم ، وقيل له : هذا خالد بن الوليد في المسلمين ، فقال محكم : رضي خالد بن الوليد أمراً ورضينا غيره ، وما ينكر خالد أن يكون في بني حنيفة من قد أشرك في الأمر : فسيرى خالد بن الوليد إن قدم علينا يلقى قوماً ليسوا كمن لقي ، لم يلق أحداً يحسن القتال ، نلقاه حتى يرجع مستهزماً أو يقتل .

قال : ثم خطب محكم أهل اليمامة ، فقال : يا معشر أهل اليمامة ، إنكم

---

(١) انظر تاريخ الطبري : ٣ / ٢٧٤ .

(٢) يعني بحية الوادي خالد بن الوليد – الروض الأنف : ١ : ٨٦ .

(٣) أي مثل قوم ثمود وعاد ، وأثبت وليد عرفات محقق ديوان حسان البيت الأول فقط- ديوان حسان بن ثابت . ط . بيروت ١٩٧٤ : ١ / ٤٦٨ .

تلقون قوماً يبذلون أنفسهم دون صاحبهم ، فابذلوا أنفسكم دون صاحبكم ؛ فإن أسداً وغطفان إنما أشار إليهم خالد بذباب السيف فكانوا كالنعام الشارد ، وقد أظهر خالد بن الوليد بأواً [١] حيث أوقع ببزاخة ما أوقع وقال : هل حنيفة إلا كمن لقينا .

وعن حوشب بن بشر الفزاري عن أبيه قال : قدم بعض أصحاب الردة ممن شهد بزاخة على المسلمين بالمدينة يسألون أبا بكر يبايعهم على الإسلام ويؤمنهم فقال : بيعتي إياكم وأماني لكم أن تلحقوا بخالد بن الوليد ومن معه من المسلمين فتكونوا معهم ، فمن كتب إليَّ خالد بأنه حضر معه اليمامة فهو آمن ، فليبلغ شاهدكم غائبكم ولا تقدموا علي ، اجعلوا وجوهكم إلى خالد بن الوليد .

قال الواقدي: فذكرت ذلك لمعاذ بن محمد الأنصاري فقال: أخبرني أبو بكر ابن عبد الله بن أبي جهم قال : أولئك الذين لحقوا خالد بن الوليد من الضاحية ، هم الذين كانوا انهزموا بالمسلمين يوم اليمامة ثلاث مرات ، وكانوا على المسلمين بلاء .

وعن زيد بن شريك الفزاري عن أبيه ، قال : كنت ممن حضر بزاخة مع عيينة بن حصن ، فرزق الله الإنابة ، فجئت أبا بكر فأمرني بالمسير إلى خالد ، وكتب معي كتاباً إلى خالد بن الوليد أما بعد : فقد جاءني كتابك مع رسولك تذكر ما أظفرك الله بأهل بزاخة ، وما فعلت بأسد وغطفان وأنك سائر إلى اليمامة ، وذلك عهدي إليك : فاتق الله وحده لا شريك له ، وعليك بالرفق بمن معك من المسلمين ، كن لهم كالوالد ، وإياك يا خالد بن الوليد ونخوة بني المغيرة ، فإني قد عصيت فيك من لم أعصه في شيء قط ، فانظر بني حنيفة إذا لقيتهم إن شاء الله ، فإنك لم تلق قوماً يشبهون بني حنيفة ، كلهم عليك ، ولهم بلاد واسعة ، فإذا قدمت فباشر الأمر بنفسك واجعل على ميمنتك رجلاً

---

(١) البأو : الكبر والتعظيم .

وعلى ميسرتك رجلاً ،واجعل على خيلك رجلاً واستشر من معك من الأكابر ، من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، واعرف لهم فضلهم ، فإذا لقيت القوم وهم على صفوفهم فالقهم إن شاء الله وقد أعددت للأمور أقرانها ، فالسهم للسهم ، والرمح للرمح ، والسيف للسيف ، إذا صرت إلى السيف فهو الثكل فإن أظفرك الله بهم فإياك والبقاء عليهم ، أجهز على جريحهم ، واطلب مدبرهم ، واحمل أسيرهم على السيف وهول فيهم في القتل ، وأحرقهم بالنار ، وإياك أن تخالف أمري والسلام عليك .

قال : فخرج بالكتاب فوضعه في يده فاقترأه ، وقال : سمع وطاعة .

* * *

ذكر تقديم خالد بن الوليد الطلائع أمامه من البطاح[١]

قالوا : لما سار خالد بن الوليد من البطاح ، ووقع في أرض بني تميم ، قدم أمامه مائتي فارس ، وعليهم معن بن عدي العجلاني ، وبعث معه فرات بن حيان العجلي دليلاً، وقدم عينين له أمامه: مكنف بن زيد الخيل الطائي، وأخاه.

قال الواقدي عن هشام بن سعد عن الرجيل بن إياس بن أخي مُجَّاعة بن مُرارة الحنفي عن أبيه ، قال : لما نزل خالد بن الوليد العِرْض[٢] ، قدم خيلاً مائتي فارس وقال : من أصبتم من الناس فخذوه ، فانطلقوا حتى أخذوا مجاعة بن مرارة الحنفي في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه ، قد خرجوا في طلب رجل من بني نمير ، قد كان أصاب فيهم دماً ، فخرجوا لا يشعرون بقبل خالد، فسألوهم: من أنتم ؟ قالوا: من بني حنيفة ، فظن المسلمون أنهم رسل من مسيلمة إلى خالد بن الوليد فلما أصبحوا وتلاحق الناس جاؤوا بهم إلى خالد بن الوليد ، فلما رآهم خالد ظن أيضاً أنهم رسل من مسيلمة، قال : ما تقولون يا بني حنيفة في صاحبكم؟ فشهدوا أنه رسول الله ، فقال لمجاعة بن مرارة : ما تقول أنت ؟ فقال : والله ما خرجت إلا في طلب رجل من بني نمير أصاب فينا دماً وما كنت أقرب مسيلمة، ولقد قدمت على رسول الله ﷺ فأسلمت ، وما غيرت وما بدلت ، فقدم القوم فضرب أعناقهم على دم واحد حتى إذا بقي سارية بن مسيلمة بن عامر يريد أن يضرب عنقه ، قال : يا خالد بن الوليد إن كنت تريد بأهل اليمامة خيراً أو شراً

---

(١) البطاح ماء من ديار بني أسد بن خزيمة – معجم البلدان .

(٢) العرض واد باليمامة ، كان كله لبني حنيفة – معجم البلدان .

فاستبق هذا يعني مجاعة بن مرارة ـ فإنه لك كالخير ، وإنه لك عون على حربك وسلمك ، وكان مجاعة بن مرارة شريفـــاً فلم يقتله ، فأعجب بسارية وكلامه ، فتركه أيضاً وأمر بها فأوثقا في جوامع حديد وكان يدعو مجاعة فيتحدث معه وهو في جامعة ، وفي حديد ، وهو يظن أن خالداً يقتله ، فبينما هما يتحدثان إلى أن قال: يابن المغيرة إن لي إسلاماً ، والله ما كفرت ، ولقد قدمت على رسول الله ﷺ فخرجت من عنده مسلماً ، وما خرجت لقتال ، خرجت في طلب رجل من بني نمير أصاب لنا دماً ، فقال خالد بن الوليد : إن بين القتل والترك منزلة وهي الحبس حتى يقضي الله في حربنا ما هو قاض ، ودفع مجاعة إلى أم متمم[1] وأمرها أن تحسن إساره، وكان سارية مع أبي نائلة موثقاً في الحديد، فظن مجاعة أن خالد بن الوليد يريد أن يحبسه لأن يشير عليه ويخبره عن عدوه ، فقال مجاعة : يا خالد إنه من خاف يومك خاف غدك ، ومن رجاك رجاها ، ولقد خفتك ورجوتك ، ولقد علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ وبايعتـــه على الإسلام ثم رجعت إلى قومي ، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس فإن يكن كذاب خرج فينا ، فـإن الله يقول : ﴿ لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[2] وقد عجلت في قتل أصحابي قبل التأني بهم والخطأ مع العجلة . فقال خالد : يا مجاعة تركت اليوم مـا كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب ، وسكوتك عنه وأنت أعز أهل اليمامة ، وقد بلغك مسيري ، إقراراً له ورضاً بما جاء به ، فهلا أبليت عذراً فتكلمت فيمن تكلم، فقد تكلم ثمامة بن إثال فرد، وأنكر، وقد تكلم اليشكري، فإن قلت: أخاف قومي ، فهلا عمدت إلي تريـــد لقائي ، أو كتبت إلي كتابـاً ، أو بعثت إلي رسولاً ، وأنت تعلم أني قـد أوقعت بأهل بزاخة ، وزحفت بالجيوش إليك ، فقال مجاعة : إن رأيت يا بن المغيرة أن تغفر هـــذا كله فعلت ، فقال

---

(١) زوجة خالد ، أرملة مالك بن نويرة .

(٢) سورة الأنعام – الآية : ١٦٤ .

خالد بن الوليد قد عفوت عن دمك ، ولكن في نفسي من تركك حوجاء[1] بعد، فقال مجاعة : أما إذ عفوت عن دمي فلا أبالي ، وكان لما أتى به إلى أم متمم قال لها مجاعة : يا أم متمم هل لك أن أحالفك ، فـإن غلب أصحابي كنت لك جاراً ، وأنت كذلك ، فقالت : نعم . فتحالفا على ذلك .

وفي كتاب الأموي عن محمد بن إسحاق في قصة مجاعة نحو هذا، وفيه : أن أبا بكر رضي الله عنه لما أراد أن يوجه جيشاً إلى اليمامة ، دعا زيد بن الخطاب ليوليه أمر الناس ، فأبى عليه ، وقال : إن الأمير لا يقدر على الشهادة قال : فدعا أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة ليؤمره على الجيش ، فأبى عليه ، وقال : ان الأمير لا يقدر على الشهادة ، قـال : فدعا أبو بكر خالد بن الوليد وأمره على النـاس .

قال ابن اسحاق : فخرج خالد بن الوليد يصمد لمسيلمة باليمامة .

وفي كتاب الزهري عن عبيد الله بن عتبـة : توجه خالد إلى اليمامة حتى إذا كان بينه وبينها مسيرة أيام لقوا فرساناً من بني حنيفة في جريـدة خيل ، رأسهم مجاعة بن مرارة فذكر نحو ما تقدم .

وفيه : عن ابن فضالة قال خالد : ما فعل رجّال بن عنفوة ؟ قالوا : صالح على أحسن حال ، قال : فهل يتابعكم على ما أنتم عليه ؟ قالوا : وهل فينا أحد أصلب في ذلك الأمر منه ، فعظم ذلك على المسلمين لما كانوا يرجونه من عونه لهم، وكان رجّال يقرأ على مسيلمة القرآن ، ثم يعارضه مسيلمـة بالسجع ، وشهد له رجّال أنه سمع رسول الله ﷺ يشرك مسيلمة في الأمر معه ، وفيه ، وكان مجاعة رجلاً كاملاً ذا رأي وذهن ، فكان كلما نزل منزلاً واستقر به دعا بمجاعة فأكل معه وحدثه ، فقال له خالد ذات يوم : أخبرني عن صاحبك ـ يعني مسيلمة ـ

---

(١) أي في نفسي ريبة أحتاج إلى إزالتها . انظر النهاية لابن الأثير .

ما الذي يقرئكم هل تحفظ منه شيئاً ؟ قال : نعم ، قال خالد : هات ما تحفظ ، فذكر له شيئاً من رجزه ، قال خالد ـ وضرب إحدى يديه على الأخرى : يا معشر المسلمين اسمعوا إلى عدو الله كيف يعارض القرآن ، ثم قال : ويحك يا مجاعة أراك رجلاً سيداً عاقلاً ، اسمع إلى كتاب الله عز وجل ، ثم انظر كيف عارضه عدو الله ، فقرأ عليه خالد : ﴿ سبح باسم ربك الأعلى ﴾ فقال مجاعة : أما إن رجلاً من أهل البحرين كان يكتب كان مسيلمة أدناه وقربه حتى لم يكن دونه في القرب عنده أحد ، فكان يخرج إلينا فيقول : ويحكم يا أهل اليمامة صاحبكم والله كذاب ، وما أظنكم تتهموني عليه ، إنكم لترون منزلتي عنده وحالي ، هو والله يكذبكم ويأتيكم بالباطل .

وفيه قال خالد : فما فعل ذلك البحراني ؟ قال : هرب منه ، كان لا يزال يقول هذا القول حتى بلغه ، فخافه على نفسه ، فهرب فلحق بالبحرين ، قال خالد : فما كان في هذا ناه ولا زاجر ؟ ثم قال خالد : هات زدنا من كذب الخبيث ، وقال مجاعة : « أخرج لكم حنطة وزواناً ورطباً وتمراناً » ، في رجز له ، قال خالد : وهذا كان عندكم حقاً وكنتم تصدقونه ؟! قال مجاعة : لو لم يكن ذلك عندنا حقاً ، ولم نكن نصدقه لما لقيك غداً أكثر من عشرة آلاف سيف يضاربونك فيه حتى يموت الأعجل ، قال خالد : إذن يكفيناهم الله ويعز دينه فإياه يقاتلون ودينه يريدون ، وفتحها خالد يوم اليمامة ، وفي الناس رعب لهم لأن الله تعالى يقول ﴿ ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ [1] .

وعن مجاهد[2] : هم أهل الأوثان ، وقال سعيد بن جبير[3] : هم هوازن ،

---

(١) سورة الفتح – الآية ١٦ .

(٢) مجاهد بن جبر ، تابعي مفسر ، شيخ القراء . مات سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م . الأعلام للزركلي .

(٣) من كبار أئمة التابعين وأكثرهم علماً ، شارك في ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج ، فقتله الحجاج بعد القضاء على الثورة . سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى[١] قـــال : هم فارس والروم ، وعن عطاء[٢] : هم فارس .

وفي كتاب الأموي : ثم مضى خالد حتى نزل منزله من اليمامـــة فضرب عسكره بأباض[٣] بلد من اليمامة ، بعض أوديتها ، وخرج الناس مع مسيلمة .

وفي كتاب الزهري قال : أوعبت معهم بنو يشكر وبنو قيس بن ثعلبـة ، وذهل بن ثعلبـــة وبنو سدوس وعجل ، ولم تدخل هوازن في ذلك ، وكانت دارهم قاصية عنهم .

وعن الواقدي: قالوا: اختلف علينا في خالد بن الوليد وفي مسيلمة أيهما سبق إلى عقرباء وقد قيل إن خالداً سبق إلى عقرباء[٤] فضرب عسكره ثم جاء مسيلمة، فضرب عسكره ، ويقال سبق مسيلمة فضرب عسكره ، فجاء خـالد فضرب عسكره ، ويقال توافيا جميعاً .

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : لما أشرف خالد بن الوليد وأجمع أن ينزل عقرباء قدم الطلائع أمامه فرجعوا إليه فخبروه أن مسيلمة ومن معه قد خرجوا فنزلوا عقرباء ، فشاور خالد أصحابه أن يمضي إلى اليمامة أم ينتهي إلى عقرباء، فأجمعوا له أن ينتهي إلى عقرباء فزحف خالد بالمسلمين حتى نزلوا عقرباء، وضرب عسكره .

قالوا : وكان المسلمون يسألون عن الرجّال بن عنفوة، فاذا الرجّـــال على

---

(١) كذا بالاصل ، والصحيح هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قاض ، فقيه ، من أصحاب الرأي ، مات بالكوفة ١٤٨ هـ/ ٧٦٥ م .

(٢) عطاء بن دينار الهذلي ، من رجال الحديث له كتـــاب في التفسير ، توفي بمصر ١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م .

(٣) قرية في عرض اليمامة ، « لها نخل لم ير نخل أطول منها » . معجم البلدان .

(٤) منزل من أرض اليمامة في طريق النباج قريب من قرقرى ، وهو من أعمـــال العرض. معجم البلدان .

مقدمة مسيلمة فلعنوه وشتموه ، فلما فرغ خالد من ضرب عسكره ، وحنيفة تسوي صفوفها نهض خالد إلى صفوفه فصفها ، وقدم رايته فدفعها إلى زيد بن الخطاب وجعل راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس ، فتقدم بها وجعل على ميمنته أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعلى ميسرته شجاع بن وهب ، واستعمل على الخيل البراء بن مالك ، ثم عزله واستعمل عليها أسامة بن زيد وأمر بسرير فوضع على فسطاطه ، واضطجع عليه يتحدث مع مجاعة بن مرارة ، ومعه أم متمم ، ومعه أشراف أصحاب رسول الله ﷺ يتحدث معهم .

وعن عبيد الله أيضاً قال : أقبلت بنو حنيفة وقد سلت السيوف ومن معها من أصحاب مسيلمة فلم تزل السيوف مسلة وهم يسيرون نهاراً طويلاً ، قال خالد بن الوليد : يا معشر المسلمين أبشروا قد كفاكم الله عدركم واختلف أمرهم ما سلوا السيوف من بعيد إلا ليرهبونا وإن هذا منهم لجبن وفشل ، فقال مجاعة ونظر إليهم : كلا والله يا أبا سليمان ، ولكنها الهندوانية خشوا من تحطمها وهي غداة باردة فأبرزوها للشمس لأن تسخن متونها ، فلما دنوا من المسلمين نادوا : إنا نعتذر من سلنا سيوفنا حين سللناها والله ما سللناها ترهيباً لكم ، ولا جبناً عنكم ، ولكنها كانت الهندوانية ، وكانت غداة باردة ، فخشينا تحطمها فأردنا أن تسخن متونها إلى أن نتلقاكم فسترون .

قال : فاقتتلوا قتالاً شديداً وصبر الفريقان جميعاً صبراً طويلاً حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً والجراح ، وكان أول قتيل من المسلمين مالك بن أوس من بني زعورا قتله محكم بن الطفيل ، واستلحم من المسلمين حملة القرآن حتى فنوا إلا قليلاً ، وهزم كل واحد من الفريقين حتى دخل عسكره ، حتى دخل المسلمون عسكر المشركين ، ودخل المشركون عسكر المسلمين مراراً ، وإذا أجلي المسلمون عن عسكرهم فدخل المشركون أرادوا حمل مجاعة وإطلاقه فلا يستطيعون ذلك لما هو فيه من الحديد ، ولأنه لا يزال تناوشهم خيل المسلمين ،

وإذا دخل المسلمون عسكرهم وثبوا على مجاعة ليقتلوه، وقالوا: اقتلوا عدو الله، فإنه رأسهم، فإنهم إن دخلوا عليه أخرجوه، فإذا شهروا سيوفهم عليه ليقتلوه حنت عليه امرأة خالد بن الوليد ، وردتهم عنه وقالت : إني له جـــار ، حتى أجارته منهم ، وكان مجاعة أيضاً قد أجارها مراراً من المشركين أن يقتلوهـا على هذا الوجه .

وعن عكرمة قال : حملت حنيفة أول مرة كانت لها الحملة ، وخـــالد بن الوليد على سريره حتى خلص إلى خالد فجرد سيفه وجعل يسوق حنيفة سوقاً حتى ردهم وقتل منهم قتلى كثيرة ، ثم كرت حنيفة حتى انتهوا إلى فسطـاط خالد فجعلوا يضربون الفسطاط بالسيوف ، وجعل ثابت بن قيس بن شماس ما يولي بالراية ، وولى زيد بن الخطاب بالراية منهزماً، وجعل ثابت بن قيس يقول: بئس ما عودتم أنفسكم الفرار يا معشر المسلمين ، اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء وأعتذر إليك من فرار أصحابي .

قالوا : وقال وحشي : اقتتلنا قتالاً شديداً فهزموا المسلمين ثـلاث مرات وكر المسلمون في الرابعة ، وتاب الله عليهم ، وثبت أقدامهم ، وصبروا لوقع السيوف ، واختلفت بينهم وبين بني حنيفة السيوف ، حتى رأيت شهب النار تخرج من خلالها ، حتى سمعت لها أصواتاً كالأجراس وأنزل الله علينا نصره وهزم الله بني حنيفة وقتل الله مسيلمة ، قال وحشي : ولقد ضربت يومئـــذ بسيفي حتى غري [1] قائمه في كفي من دمائهم .

وعن سعد القرظ قال : شهدت يومئذ مع عمار بن ياسر ، وإنه لينادي : يا معشر المسلمين إليّ ، أنا عمار بن ياسر ، وقد قطعت أذنه فهي تذبذب ، ولقد رأيت المسلمين كروا عليهم ، فلقد رأيته يومئذ يقاتل قتال عشرة .

وعن ابن عمر قال : لقد رأيت عماراً على صخرة قد أشرف يصيح : يـــا

---

(١) التصق .

معشر المسلمين أمن الجنة تفرون ؟ أنا عمار بن ياسر هلموا إليّ ، وأنا أنظر إلى أذنه تذبذب ، قد قطعت .

وعن يزيد بن شريك الفزاري عن أبيه قال : لما التقينا والقوم ، صبر الفريقان صبراً لم أر مثله قط ، ما تزول الأقدام فتراً ، واختلفت السيوف بينهم ، وجعل يقبل أهل السوابق والنيات فيتقدمون فيقتلون حتى فنوا ، وذلقت فينا سيوفهم طويلاً فانهزمنا ، فلقد أحصيت لنا ثلاث انهزامات ، وما أحصيت لحنيفة إلا انهزامة واحدة ، التي ألجأناهم فيها إلى الحديقة ، يعني حديقة الموت .

قال الواقدي : وحدثني جحاف ، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ، أن زيد بن الخطاب ، كان يحمل راية المسلمين ، وقد انكشف المسلمون حتى غلبت حنيفة على الرحال ، فجعل زيد بن الخطاب يقول : أما الرجال فلا رجال ، وأما الرحال فلا رحال ، ثم جعل يصيح بأعلى صوته : اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي ، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ومحكم بن طفيل ، وجعل يشد بالراية يتقدم بها في نحر العدو ، ثم ضارب بسيفه حتى قتل رحمه الله ، فلما قتل وقعت الراية فأخذها سالم مولى أبي حذيفة ، فقال المسلمون : يا سالم ، إنا نخاف أن نؤتى من قبلك ، فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً إن أوتيتم من قبلي .

وقالوا : ونادت الأنصار ثابت بن قيس وهو يحمل لهم الراية : الزمها فإنما ملاك القوم الراية ، فتقدم سالم مولى أبي حذيفة فحفر لرجليه حتى بلغ أنصاف ساقيه ، ومعه راية المهاجرين ، وحفر ثابت لنفسه مثل ذلك ، ثم لزما رايتهما ولقد كان الناس يتفرقون في كل وجه ، وإن سالماً وثابتاً لقائمان برايتيهما ، حتى قتل سالم وقتل أبو حذيفة مولاه رحمهما الله ، فوجد رأس أبي حذيفة عند رجلي سالم ، ورأس سالم عند رجلي أبي حذيفة ، لقرب مصرع كل واحد منهما من صاحبه ، فلما قتل سالم مكثت الراية ساعة لا يرفعها أحد فأقبل يزيد بن قيس ،

وكان بدرياً فحملها حتى قتل رحمه الله ، ثم حملها الحكم بن سعيد بن العاصي فقاتل دونها نهاراً طويلاً ، ثم قتل رحمه الله .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لم تكن وقعة أوعب في هلك المهاجرين والأنصار من وقعة اليمامة ، في خلافة أبي بكر رحمه الله ، ويوم جسر أبي عبيد [١] .

وعن عمر بن الخطاب أنه قال يوماً وهو يذكر وقعة اليمامة ، ومن قتل فيها من المهاجرين والأنصار ، قال: ألحت السيوف على أهل السوابق من المهاجرين والأنصار ، ولم نجد المعول يومئذ إلا عليهم ، خافوا على الإسلام أن يكسر بابه ، فيدخل إن ظهر مسيلمة ، فمنع الله الإسلام بهم حتى قتل عدوه وأظهر كلمته ، وقدموا يرحمهم الله على ما يسرون به من جهادهم من كذب على الله وعلى رسوله ﷺ ، ورجع عن الإسلام بعد الإقرار به .

الواقدي : حدثني عبد الله بن عون المالكي عن جده ، قال : سمعت عمر ابن الخطاب وهو يذكر قتلى اليمامة وما أصيب من المسلمين ، وإن القتل يومئذ استحر بأهل القرآن ، ثم يقول : جعل منادي المسلمين ينادي: يا أهل القرآن فيجيبون المنادي ، فرادى ، ومثنى ، فاستحر بهم القتل ، فرحم الله تلك الوجوه لولا ما استدرك خليفة رسول الله ﷺ من جمع القرآن لخفت أن لا يلتقي المسلمون وعدوهم في موضع إلا استحر القتل بأهل القرآن .

وعن الرجيل بن إياس عن أبيه قال : قال مجاعة بن مرارة يوماً وهو يذكر معن بن عدي وكان نازلاً به ليالي قدم على رسول الله ﷺ ، مع خلة كانت قبل ذلك قديمة ، فلما قدم في وفد اليمامة على أبي بكر ، فبينا هو بالمدينة مع أبي بكر : فتوجه أبو بكر إلى قبور الشهداء زائراً لهم في نفر من أصحابه يمشون فخرجت معهم حتى انتهى إلى قبور الشهداء السبعين يرحمهم الله ، فقلت: يا

---

(١) أو قس الناطف وسيرد ذكرها أثناء الحديث عن فتوح العراق .

خليفة رسول لم أر قوماً قط أصبر لوقع السيوف ولا أصدق كرة منهم ولقد رأيت رجلاً منهم يرحمهم الله ، وكانت بيني وبينه خلة فقال أبو بكر : معن ابن عدي ؟ قلت: نعم،وكان عارفاً بما كان بيني وبينه فقال: رحمه الله ذكرت رجلاً صالحاً ، حديثك قال : قلت يا خليفة رسول الله فأنظر إليه وأنا موثق في الحديد في فسطاط خالد بن الوليد ،وانهزم المسلمون ، انهزمت بهم الضاحية[١] انهزامة ظننت أنهم لا يحتبرون لها ، وساءني ذلك ، قال أبو بكر : الله لساءك ذلك ؟ قلت : الله لساءني ذلك ، قال أبو بكر: الحمد لله على ذلك ، قال :فأنظر إلى معن بن عدي قد كر معلماً في رأسه بعصابة حمراء واضعاً سيفه على عاتقه، وإنه ليقطر دماً ينادي: يا للأنصار كرة صادقة ، قال : فكرّت الأنصار عليه فكانت الوقعة التي ثبتوا عليها حتى أبيحوا [٢] وأباحوا عدوهم ، فلقد رأيتني وأنا أطوف مع خـــالد بن الوليد أعرفه قتلى بني حنيفـــة وإني لأنظر إلى الأنصار [٣] في أيدي المسلمين . وهم صرعى ، وقد غريت ، فبكى أبو بكر حتى بل لحيته .

الواقدي : وبلغنا أن بني حنيفة لما دخلوا فسطاط خالد بن الوليد أراد رجل منهم قتل أم متمم ورفع السيف عليها ، قالت لمجاعة : أجرني فأجارها وألقى عليها رداءه ، وقال إني جار لها فنعمت الحرة كانت ، وعيرهـــم وسبهم وقال : تركتم قتل الرجال وجئتم إلى امرأة تقتلونها عليكم بالرجال فانصرفوا .

وعن رجل من طيىء من بني ثعلبة، كانت له صحبة برسول الله ﷺ ،قال:

---

(١) يريد بهم عرب الضاحية ، أي البادية الذين لحقوا بخالد بعدمـــا تابوا وأنابوا ، وسيرد المزيد من التفاصيل حولهم .

(٢) في حاشية الاصل : أنتجوا .

(٣) كذا بالاصل ، وفي الحاشية : لعله « السيوف » ، وهذا ما يرجحه سياق الخبر .

وافيت مع رسول الله ﷺ حجته، وبايعته على الإسلام قبل ذلك حين قدم وفدنا، ثم رجعت إلى أهلي مسلماً فأجد أبعرة لي قد أطرفت ذهبت بها ناقة لي صيفية معها سقب [١] لها من نعم بني قشير ، فطلبت أبعرتي حتى أخذتها بالغضيان [٢] قال : فعرضت أبعرتي ، فلم أعط بها شيئاً فقلت لو أني أقحمتها سوق هجر [٣] قال :فخرجت حتى دخلت هجراً فتيممت منزلا فنزلت، فإذا حنيفة قد تبعت مسيلمة ، وهم يشهدون له أن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر ، قال : فأكذبت قولهم ، فقال لي صاحب منزلي : اغنم نفسك، واخزن لسانك،فبعت أبعرتي ، فإذا رجل يقول لآخر : سمعت ما قال أبو ثمامة ؟ قال الآخر : لا ، قال : فإنه تلا علينا كتاباً نزل عليه .

قال : فدنوت فسمعت سجاعة ، وكان فيما سمعت ان قال : « والصابرات صبراً فالمائلات ميلا » فقلت رافعاً صوتي :باطل والله ما يقول صاحبكم ما نزل بهذا جبريل قط ، قال : فبطش بي أحدهما ، فقال : إن لم تقر بما يقول أبو ثمامة قتلتك ، قال : قلت ويحكم إن عهدي برسول الله ﷺ أمس بمكة يتلو كتاب الله حقاً ،فتمتعوني[٤] ، وقالوا : إن لم تقر قتلناك ،فقال صاحب منزلي : إن هذا رجل غريب جاء يبيع سلعة له ، ويبتار طعاماً لأهله ، أتريدون أن تقطعوا سابلتكم،فخلوني فخرجت سريعاً حتى قدمت على قومي،وقد توفي رسول الله ﷺ ، وسألت عن عدي فقيل لي : توجه إلى الصديق ، فانحدرت في إثره فدخلت على الصديق ، فأخبرته الخبر فجزاني خيراً ، وكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد إلى الضاحية ، فلم يكن لهم شوكة .

---

(١) أطرفت:أبعدت وتركت مكانها ، وناقة صيفية : ناقة مسنة ، والسقب: الجار القريب ، انظر النهاية لابن الاثير .

(٢) ذكر هذا الموضع ياقوت وقال : موضع بين الشام والحجاز، وأظن المعني في نصنا غيره.

(٣) هي مدينة اليمامة وأم قراها . معجم البلدان .

(٤) أقلقوني وآذوني . النهاية لابن الاثير .

ثم سرنا إلى اليمامة فانتهينا إلى قوم ، أحسب هذه الآية نزلت فيهم ﴿ أولي بأس شديد [١] ﴾ قال ، فصفنا صفوفاً ، فانهزم المسلمون مراراً إنما تنهزم بهم الضاحية ،وجعل أبو طريف ينادي : يا لطيىء فأجابوه عنقاً واحداً ، فأحلف بالله لأوقعنا بحنيفة ما نتناهى ، وأقحمناها حديقة الموت ، فاستأصل الله شأفتهم ، ورد إلفة الإسلام على ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ .

وعن عبد الله بن رافع بن خديج عن أبيه قال : شهدنا اليمامة فكنا تسعين من النبيت [٢] ، فلاقينا عدواً صبراً لوقع السيوف ، وجماعة الناس أربعة آلاف وحنيفة مثل ذلك أو نحوه ، فلما التقينا أذن الله للسيوف فينا وفيهم ، فجعلت السيوف تختلي هام الرجال وأكفهم ، وجراحاً لم أر جراحاً قط أبعد غوراً منها فينا وفيهم ، إني لأنظر إلى عباد بن بشر قد ضرب بسيفه حتى انحنى كأنه منجل ، فيقيمه على ركبته فيعرض له رجل من بني حنيفة فاختلفا ضربات ، وضربه عباد بن بشر على العاتق مستمكناً فوالله لرأيت سحره [٣] بادياً ومضى عنه عباد ومررت بالحنفي وبه رمق ، فأجهزت عليه ، وأنظر الى عباد بعد وقد اختلفت السيوف عليه وهو يبضع [٤] بها ويبعج بطنه فوقع وما أعلم به مصحاً وكانوا قد احتنقوا عليه ، لأنه كان أكثر القتل فيهم .

قال رافع بن خديج : وحرضت على قتلته فناديت أصحابنا من النبيت فقمنا عليه ، وقتلنا قتلته ، فرأيتهم حوله مقتلين ، فقلت : بعداً لكم .

وعن عيسى بن سهل عن جده رافع بن خديج سمعته يقول : خرجنا من المدينة ونحن أربعة آلاف، وأصحابنا من الأنصار ما بين الخمسمائة إلى الأربعمائة،

---

(١) سورة الفتح – الآية : ١٦ .

(٢) من قبائل الأوس من الانصار .

(٣) السحر ، الصدر مكان الرئة ، وقيل ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن – النهاية لابن الاثير .

(٤) أي يشق ويقطع . النهاية لابن الاثير .

وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس ، ويحمل رايتنا أبو لبابة ، فانتهينا إلى اليمامة فننتهي إلى قوم هم الذين قال الله ﴿ ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ .

فلما صففنا صفوفنا ووضعنا الرايات مواضعها لم يلبثوا أن حملوا علينا فهزمونا مراراً فنعود إلى مصافنا وفيها خلل ، وذلك أن صفوفنا كانت مختلطة فيها حشو كثير من الأعراب في خلال صفوفنا فينهزم أولئك بالناس فيستخفوا أهل البصائر والنيات حتى كثر ذلك منهم ، ثم إن الله بمنه وفضله رزقنا عليهم الظفر ، وذلك أن ثابت بن قيس نادى خالد بن الوليد أخلصنا ، فقال : ذلك إليك ، فناد في أصحابك قال : فأخذ الراية ونادى يا للأنصار ، فتسللت إليه رجلاً رجلاً ، فنادى خالد بن الوليد : يا للمهاجرين فأحدقوا به ، ونادى عدي بن حاتم ومكنف بن زيد الخيل بطيىء فثابت إليها طيىء وكانوا أهل بلاء حسن ، وعزلت الأعراب عنا ناحية فقاموا من ورائنا غلوة أو أكثر ، وإنما كنا نؤتى من الأعراب .

قال رافع بن خديج ، فانتهينا إلى جمعهم ، فصبروا وصبرنا صبراً لم ير مثله قط ، لم تزل الأقدام ، قال رافع : فذكرت بيتي قيس بن الخطيم .

إذا ما فررنا كان أسوا فرارنا صدود الخدود وازورار المناكب
صدود الخدود والقنا متشاجر ولا تبرح الأقدام عند التضارب [٢]

قال : وأجهضهم أهل السوابق والبصائر فهم في نحورهم ما يجد أحد مدخلاً إلا أن يقتل رجل منهم أو يجرح ، فيقع فيخلف مقامه آخر ، حتى أوجعنا فيهم ، وبان خلل صفوفهم وضجوا من السيف ، ثم اقتحمنا الحديقة فضاربوا فيها ، وغلقنا الحديقة وأقمنا على بابها رجالاً لئلا يهرب منهم أحد ، فلما رأوا ذلك عرفوا

---

(١) شاعر الأوس ومنافس حسان بن ثابت – لم يسلم – انظر خزانة الادب للبغدادي .ط. مصورة . دار صادر بيروت : ٣ / ١٦٥ .

أنه الموت ، فجدوا في القتال ، وذكت السيوف بيننا وبينهم ، ما فيها رمي بسهم ولا حجر ولا طعن برمح ، حتى قتلنا عدو الله مسيلمة .

فقيل لرافع بن خديج : يا أبا عبد الله أي القتلى كان أكثر ، قتلاكم أو قتلاهم؟ قال : قتلاهم أكثر وأخبث من قتلانا ، أحسبنا قتلنا منهم ضعف ما قتلوا منا مرتين وقد قتل من الأنصار يومئذ زيادة على التسعين [١] وجرح منهم مائتان ، لقد لاقينا بني سليم بالجواء [٢] وإنهم لمجروحون ، فأبلوا على ذلك بلاء حسناً .

وعن عبد الله بن نوح الحارثي قال : جلست مع ضمرة بن سعيد المازني يوماً بعد الجمعة في المسجد ، فحدثنا عن ردة بني حنيفة ، ثم قال : لم يلق المسلمون عدواً أشد لهم نكاية منهم لقوهم بالموت الناقع ، وبالسيوف صلتاً قد أصلتوها قبل النبل وقبل الرماح ، وقد صبر المسلمون لهم ، فكان المعول يومئذ على أهل السوابق ، ونادى عباد بن بشر يومئذ ، وهو يضرب بالسيف ، قد قطع من الجراح ، وما هو إلا كالنمر الحرب ، فيلقى رجلاً من بني حنيفة كأنه جمل صؤول ، فقال : هلم يا أخا الخزرج أتحسب قتالنا مثل من لاقيت ممن بهذين الحجرين ؟ ! فتعمد له عباد ، وتبدره الحنفي ويضربه ضربة بالسيف فانكسر سيفه ولم يصنع شيئاً وضربه عباد فقطع رجليه وجاوزه وتركه تنوء [٣] على ركبتيه فناداه : يابن المكارم أجهز علي .

قال : فكر عليه عباد فضرب عنقه ، ثم قام آخر في ذلك المقام فاختلفا

---

(١) في حاشية الاصل ما يشير إلى أنه جاء في نسخة أخرى « السبعين » ، وأثبت خليفة بن خياط في تاريخه ١/٩٤ – ٩٧ أسماء الذين استشهدوا، وروى أن « جميع من استشهد من الانصار أربعة وثلاثون رجلاً » .

(٢) عند ياقوت في معجمه أكثر من موضع في شبه الجزيرة حمل اسم « الجواء » منها واحد من نواحي اليمامة ، وروى أنه « كانت بالجواء وقعة بين المسلمين وأهل الردة من غطفان وهوازن في أيام أبي بكر فقتلهم خالد بن الوليد شر قتله » .

(٣) أي ينئ من الالم – القاموس .

ضربات وتجاولا وعباد بن بشر على ذلك مجروح كثير الجراح فضربه عباد ضربة أبدى سحره وقال عباد : خذها وأنا ابن وقش ، قال : ثم جاوزه يفري في بني حنيفة فرياً [١] قوياً، فكان يقال: قد قتل عباد يومئذ من بني حنيفة بالسيف أكثر من عشرين رجلاً وأكثر فيهم الجراح .

قال ضمرة بن سعيد : فحدثني رجل من بني حنيفة قديم قال : إن حنيفة لتذكر عباد بن بشر فإذا رأى الجراح بالرجل منهم يقول : هذا ضرب محرّب القوم عباد بن بشر . فقال ضمرة بن سعيد: فكان أبو خيثمة النجاري يقول : لما انكشف المسلمون يوم اليمامة تنحيت ناحية قريبة وهي على ذلك غبية[٢] من بني حنيفة وكأني انظر إلى أبي دجانة يومئذ ما يولي ظهره منهزماً وما هو إلا في نحور القوم حتى قتل رحمه الله وكان يختال في مشيته عند الحرب سجية ما يستطيع غير ذلك .

قال : وكرت عليه طائفة من بني حنيفة فما زال يضرب بالسيف أمامه وعن يمينه وعن شماله ، فحمل على رجل فصرعه وما ينبس بكلمة حتى انفرجوا عنه ونكصوا على أعقابهم والمسلمون مولون وقد ابيض ما بينهم وبينه فما ترى إلا المهاجرين والأنصار لا والله ما أرى أحداً يخالطهم ، فقاموا ناحية وتلاحق الناس فدفعوا حنيفة دفعة واحدة ، فانتهينا بهم إلى الحديقة فأقحمناهم الحديقة ، قال أبو دجانة : ألقوني على الترسة[٣] حتى أشغلهم وكانوا قد أغلقوا الحديقة، فأخذوه، فألقوه على الترسة حتى وقع في الحديقة وهو يقول : لا ينجيكم منا الفرار، فضاربهم حتى فتح الحديقة ، ودخلنا عليه مقتولاً رحمه الله.

وعن محمد بن ابراهيم عن عمه قال : قال ثابت بن قيس يومئذ : يا معشر

---

(١) في حاشية الاصل : أي عجباً عظيماً .

(٢) في حاشية الاصل : أى خفية ، والله أعلم ، وفي القاموس – التغبية : الستر .

(٣) في حاشية الاصل : ج ترس .

الأنصار : الله الله ودينكم علمنا هؤلاء أمراً ما كنا نحسنه ، ثم أقبل على المسلمين فقال : أفٍّ لكم وما تعملون ، ثم قال : خلّوا بيننا وبينهم أخلصونا، فأخلصت الأنصار ، فلم يكن لهم ناهية حتى انتهوا إلى محكم بن الطفيل فقتلوه فأصابوه ، ثم انتهوا إلى الحديقة فدخلوها فقاتلوا أشد القتال حتى اختلطوا فيها فما يعرف بعضهم بعضاً إلا بالشعار ، وشعارهم « أمت أمت » .

قال : ثم صاح ثابت بن قيس صيحة يستجلب بها المسلمين : يا أصحاب سورة البقرة ، قال : يقول رجل من طيىء والله ما معي منها آية وإنما يريد ثابت بن قيس يا أهل القرآن .

وعن ضمرة بن سعيد قال : نادى يومئذ عبـــاد بن بشر : بئس ما عودتكم الأعراب مالنا ولهم ؟ اصدقوهم الضرب ، فكشفوهم فاجتمعت الأنصار فساقوهم حتى خُلص إلى محكم بن الطفيل وهو يقول: يا بني حنيفة قاتلوا قبل أن تستحقب[1] الكرائم غير رضيات وينكحن غير حظيات وما كان عندكم من حسب فأخرجوه، فقد لحم الأمر ، واحتيج إلى ذلك منكم ، وجعل يقول : يـا بني حنيفة ادخلوا الحديقة سأمنع دابركم وجعل يرتجز :

لبئسما أوردنا مسيلمـــه أورثنا من بعـــده أغيلمه

فدخلوا الحديقة وأغلقوها عليهم ، ورمى عبـد الرحمن بن أبي بكر محكماً بسهم فقتله ، فقام مكانه المعترض ابن عمه ، فقاتل ساعـــة فقتله الله ثم زحف المسلمون حتى ألجؤوهم إلى الحديقة ، حديقة الموت ، وفيها عدو الله مسيلمة .

وقال البراء بن مالك : احملوني فاحتملوه حتى طرحوه فأشرف على الجدار فاقتحم فقاتلهم على باب الحديقة حتى فتحها الله على المسلمين ، وحتى قتل الله مسيلمة وشرك في قتله وحشيّ بحربته وعبد الله بن زيد بالسيف . وقد روي أن أبا دجانة كان المرمي به في الحديقة ، وهو أثبت عندنا .

---

(١) في اللسان : حقب أمر الناس : فسد .

وعن أبي طُوَالة قال : كان أبو بكر رحمه الله قد أمضى جيش أسامة إلى الشام ثم رجع فقدم المدينة فبعثه أبو بكر في أربعمائة مدداً لخالد بن الوليد ، فأدرك خالد قبل أن يأتي[1] اليمامة بثلاث فدخل معه ، ثم إن خالداً استعمل أسامة ابن زيد على الخيل يوم اليمامة ، فلما التقوا انكشفت الخيل ، قال : وانكشف أسامة في خيله فأمر البراء بن مالك على الخيل والخيل أوزاع[2] فجعل البراء بن مالك يليح يا خيلاه حتى ثابت إليه الخيل من كل ناحية ، قال : ثم حمل بأصحابه فهزم الله أعداءه .

وعن أبي سعيد الخدري قال : نظرت إلى البراء بن مالك يومئذ يليح بثوبه يا خيلاه أنا البراء بن مالك ، يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار إليّ إليّ ، قال: فثبنا إليه من كل ناحية حتى اجتمعنا فارسنا وراجلنا ، وقال : احملوا عليهم فداكم أبي وأمي حملة صادقة تريدون فيها الموت ، قال : ثم أظهر التكبير وكبرنا معه ، فما كانت لنا ناهية إلا باب الحديقة ، وقد غلقت دوننا وازدحمنا عليها ، فلم نزل حتى فتح الله وظفرنا ، فله الحمد .

وحدثني عقبة بن أبي جسرة عن واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال : لما زحف المسلمون انكشفوا أقبح الانكشاف حتى ظن ظانهم أن لا تكون لهم فيئة في ذلك اليوم والناس أوزاع قد هدأ حسهم وأشرت حنيفة وأظهروا البغي وأوفى عباد بن بشر على نشز من الأرض ، ثم صاح بأعلى صوته : أنا عباد بن بشر ، يا للأنصار ، يا للأنصار ، ألا إليّ ألا إليّ ، فأقبلوا إليه جميعاً وأجابوه لبيك ، لبيك ، حتى توافوا عنده ، فقال : فداكم أبي وأمي حطموا جفون السيوف ، ثم حطم جفن سيفه فألقاه وحطمت الأنصار جفون سيوفهم ، ثم قال: حملة صادقة ، اتبعوني ، فخرج أمامهم حتى ساقوا حنيفة منهزمين حتى انتهى

---

(١) في حاشية الاصل ما يفيد أنه جاء في نسخة أخرى « ما يدخل » .

(٢) أي متفرقة ـ انظر النهاية لابن الاثير .

يهم إلى الحديقة ، فأغلق عليهم ، فأوفى عباد بن بشر يشرف على الحديقة وهم فيها ، فقال للرماة : ارموا فرموا ، أهل الحديقة بالنبل حتى ألجؤوهم أن اجتمعوا في ناحية من الحديقة لا يطلع النبل عليهم ، ثم إن الله فتح الحديقة فاقتحم عليهم المسلمون فضاربوهم ساعة ، ثم أغلق عباد باب الحديقة لما كل أصحابه كره أن تفر حنيفة ، وجعل يقول: اللهم إنا نبرأ إليك مما جاءت به حنيفة . قال واقد بن عمر : فحدثني من رأى عباد بن بشر ألقى درعه على باب الحديقة ثم دخل بالسيف صلتاً يحالدهم حتى قتل رحمه الله .

وحدثني أبو معشر نجيح قال : انهزمت حنيفة واتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى حديقة الموت ، ويومئذ سميت : حديقة الموت ، وقال محكم بن الطفيل : يا بني حنيفة ادخلوا الحديقة فإني سأمنع أدباركم ، فدخلوا وقاتل دونهم ساعة ، ثم قتله الله ، فلما دخلت بنو حنيفة الحديقة غلقوها عليهم ، فانتهى البراء بن مالك ، فقال : يا معشر المسلمين احملوني على الجدار حتى أقتحم عليهم فحملوه حتى استوى على الجدار ثم اقتحم عليهم فاقتتلوا في الحديقة حتى قتلوا مسيلمة عدو الله،وعمدت بنو حنيفة حين انهزمت فدخلوا الحصون وأراد خالد بن الوليد ينهز إليهم بالكتائب ، فلم يزل مجاعة حتى كفه عن ذلك ، ثم قال لخالد : إنه والله ما خرج إليك إلا سرعان الناس ، فهلم فلأصالحك على ما ورائي من بني حنيفة ، فقال خالد بن الوليد:ويلك ما تقول ؟ قال : والله ما جاءك إلا سرعان الناس فصالحه على نصف السبي والحمراء والبيضاء والحلقة والكراع ـ فأما الحمراء فالذهب وأما البيضاء فالفضة وأما الحلقة فالدروع والأداة وأما الكراع فالخيل ـ على أن يستأمر مجاعة من وراءه من بني حنيفة ، فذهب إليهم في ذلك .

وعن من سمع خالد بن الوليد يقول : شهدت عشرين زحفاً فلم أر قوماً أصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها ولا أثبت أقداماً من بني حنيفة يوم اليمامة ،

إنا لما فرغنا من طليحة الكذاب ولم تكن له شوكة قلت كلمة ، والبلاء موكل بالمنطق [١] : وما حنيفة ما هي إلا كمن لقينا فلقينا قوماً ليسوا يشبهون أحداً، لما انتهينا إلى عسكرهم نظرت إلى قوم قدموا أمام عسكرهم بشراً كثيراً ، فقلت هذه مكيدة ، وإذا القوم لم يحفلوا بنا فعسكرنا منهم بمنظر العين فلما أمسيت حزرت القوم بنفسي فإذا القوم نحونا، فبتنا في عسكرنا وباتوا في عسكرهم، فلما طلع الفجر قام القوم إلى التعبئة وثرنا معهم وغداة باردة ، وصففت صفوفي وصفوا صفوفهم ثم أقبلوا إلينا يقطون [٢] قطواً قد سلوا السيوف ، فكبرت ، ورأيت ذلك منهم فشلاً ، فلما دنوا مناوادوا إن هذا ليس بفشل ، ولكنها الهندوانية وخفنا التحطم عليها ، فما هو إلا أن واجهونا وحملوا علينا حملة واحدة وانهزمت الأعراب ولاذوا بين أضعاف الصفوف ، فانهزم معهم أهل النيات وأوجعت حنيفة في أدبارهم بالقتل وتقدمت أضرب بسيفي مرة يشتملون علي ومرة أنفذ منهم ، وكر المسلمون كرة ثانية فحملت بنو حنيفة أيضاً حتى هزموا المسلمين ثلاث مرات ، وإنما ينهزم بالناس الأعراب ، فناديت في المسلمين : فذكرتهم الله وناديت في المهاجرين والأنصار : الله ، الله الكرة على عدوكم، فنادى أهل السوابق أخلصونا فأخلصوا لا نخلطهم رجل ، فأخلص قوم قد ألح السيف عليهم وقتل من قتل منهم ومن بقي من أهل النيات منقطع من الجراح ،ولكنا لم نجد المعول إلا عليهم ولا الصبر إلا عندهم فصفوا جميعاً في نحر العدو ، وجاءت الأعراب من خلفهم ،وذهبت حنيفة تطلب أن تهزمهم كما كانت تفعل فثبتوا على مصافهم لا تزول فتراً ، واختلفت السيوف بينهم ، وصبر الفريقان جميعاً ، وذهبت الأعراب من ورائنا ، فحملنا عليهم حملة، وما زادت حنيفة على أن رجعت على أدبارها القهقرى ما تولي الأدبار حتى

---

(١) جاء في حاشية الاصل : بالقول .

(٢) أي ثقلت مشيتهم وقاربوا بين الخطى . القاموس .

وقفوا على باب الحديقة ، فاختلفت السيوف بيننا وبينهم ، حتى نظرت إلى شهب النار ، وحتى صارت القتلى منا ومنهم ركاماً وقد أغلقت الحديقة فدخل من رحمه الله يشغلهم عن الباب حتى دخلنا ، فإذا أهل السوابق قوم قد وطنوا أنفسهم على الموت يسارعون إلى الموت سراعاً، فما هو إلا أن عاينتهم حنيفة في الحديقة من السقوف ، فناديت أصحابي : عضوا على النواجذ ، لا أسمع شيئاً إلا وقع الحديد بعضه على بعض ، فما كان شيء حتى قتل عدو الله ، فما ضرب أحد بعده من بني حنيفة بسيف ، ولقد صبروا لنا من حين طلعت الشمس إلى صلاة العصر ، ولقد رأيتني في الحديقة وعانقني رجل منهم ، وأنا فارس وهو فارس فوقعنا عن فرسينا ، ثم تعانقنا بالأرض فأجؤه بخنجر في سيفي ، وجعل يحوّلني بمعول في سيفه ، فجرحني سبع جراحات ، وقد جرحته جرحاً أثبته ، فاسترخى في يدي وما بي من حركة من الجراح ، وقد نزفت من الدم إلا أنه سبقني بالأجل ، فالحمد لله على ذلك .

وعن جعفر بن عبدالله بن أسلم قال : لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال كان أول من خرج أبو عقيل الأزرقي ، بدري حليف الأنصار رمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده فشطب في غير مقتل فأخرج السهم ووهن شقه الأيسر ، وكانت في الشق الأيسر وهذا أول النهار ، وجروه إلى الرحل ، فلما حمي القتال ، وانهزم المسلمون ، وجاوزوا رحالهم وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي يصيح : يا للأنصار الله الله والكرة على عدوكم ، وأعنق [1] معن بن عدي تقدم القوم ، وذلك حين صاحت الأنصار أخلصونا فأخلصوها رجلاً رجلاً يتميزون .

قال ابن عمر : فنهض أبو عقيل يريد قومه ، فقلت : ما تريد يا أبا عقيل ، ما فيك قتال ؟ ! قال : قد فوّه المنادي باسمي .

---

(١) أي أسرعت المنية إليه . النهاية لابن الاثير .

قال ابن عمر : فقلت : إنما يقول يا للأنصار لا يعني الجرحى ، قال أبوعقيل: فأنا رجل من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبواً .

قال ابن عمر : فتحزم أبو عقيل ، فأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً ، ثم جعل ينادي : يا للأنصار ، كرة كيوم حنين ، قال ابن عمر : فاجتمعوا جميعاً يقدمون الناس دريئة دون عدوهم ، ثم [1] أقحموا عدوهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم .

قال ابن عمر : فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت الأرض ، وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل، وقتل عدو الله مسيلمة .

قال ابن عمر : فوقعت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق ، فقلت : ياأبا عقيل ، فقال : لبيك بلسان ملتاث [2] ، فقال : لمن الدبرة ؟ فقلت : أبشر ورفعت صوتي : قد قتل عدو الله ، فرفع أصبعه إلى السماء يحمد الله ، ومات رحمه الله .

قال ابن عمر : فأخبرت أبي بعد أن قدمت بخبره كله ، فقال : رحمه الله ، ما زال يسأل الشهادة ويطلبها، قال : كان لما علمت من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديمي إسلامهم .

قالوا : وكان خالد بن الوليد قد استعمل البراء بن مالك ، ثم عزله ،وولى أسامة بن زيد على الخيل ، فانكشف بالناس ، وكان خالد بن الوليد لما عزل البراء بن مالك عن الخيل أمره أن يقاتل راجلاً ، فاقتحم البراء عن فرسه وكان راجلاً لا رجلة به، فلما انكشف أسامة بن زيد بأصحاب الخيل، صاح المسلمون: يا خالد ولّ البراء بن مالك ، فعزل أسامة ، ورد الخيل إلى البراء بن مالك ،

---

(١) في الحاشية ما يفيد في رواية أخرى « حتى » .
(٢) اللوثة : الاسترخاء والبطء . النهاية لابن الاثير .

فقال : اركب في الخيل ، فقال البراء لخالد بن الوليد : وهل لنا من خيل ؟ قد عزلتني وفرقت الناس عني ، فقال خالد بن الوليد للبراء : ليس حين عتاب ، اركب أيها الرجل في خيلك أما ترى ما لحم من الأمر ؟ فركب البراء فرسه وإن الخيل لأوزاع في كل ناحية ، وماهي إلا الهزيمة فجعل يليح بسيفه وينادي بأصحابه : يا للأنصار يا للأنصار ، يا خيلاه يا خيلاه ، أنا البراء بن مالك ، فثابت إليه الخيل من كل ناحية ، وثابت إليه الأنصار فارسها وراجلها .

قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن محمد بن حزم عن عبدالله بن أبي بكر ابن حزم ، قال : كان البراء بن مالك فارساً ، وكان إذا حضرته الحرب أخذته رعدة وانتفض حتى يضبطه الرجال ملياً ، ثم يفيق فيبول بولاً أحمر كأنه نقاعة الحناء ، فلما رأى ما يصنع بالناس يومئذ من الهزيمة أخذه ما كان يأخذه ، فانتفض وضبطه أصحابه ، وجعل يقول : مدوني إلى الأرض ، فلما أفاق فسري عنه ، وهو مثل الأسد ، وهو يقول :

أسعدني الله على الأنصار كانوا يداً طرّاً على الكفار
في كل يوم ساطع الغبار فاستبدلوا النجاة بالفرار

قال : وضرب البراء بسيفه قدماً حتى انفرجوا ، وخاض غمرتهم ، وثابت إليه الأنصار كأنها النحل تأوي إلى يعسوبها [١] ، وتلاومت الأنصار فيما صنعت .

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : لما تاب المسلمون من قريش والأنصار وطيىء وهم من اليمن ولم يتخلف أحد من طيىء ، وكان شعار المسلمين يومئذ يا أصحاب سورة البقرة ، تراجعوا وتلاوموا حتى اقتحموا عليه الحديقة .

فحدثني من رأى البراء بن مالك يومئذ معلماً يصيح : يا خيلاه أنا البراء بن مالك ، ثم قال : احملوني على درقة وألقوني على العدو فحملناه على درقة

(١) اليعسوب فحل النحل ، وهو السيد والرئيس والمقدم . النهاية لابن الاثير .

وقذفناه في الحديقة ، وضاربهم يومئذ وصدقهم حتى نصر الله المسلمين .

وعن أبي سعيد الخدري ، سمعت عباد بن بشر يقول حين فرغنا من بزاخة : يا أبا سعيد رأيت الليلة كأن السماء فرجت ثم أطبقت علي فهي إن شاء الله الشهادة ، قال : قلت خيراً والله ، قال أبو سعيد : فأنظر إليه يوم اليمامة وإنه ليصيح يا للأنصار احطموا جفون السيوف وتميزوا من الناس ، وهو يقول : اخلصونا اخلصونا فأخلصوا أربعمائة رجل لا يخلطهم أحد يقدمهم البراء بن مالك ، وأبو دجانة سماك بن خرشة ، وعباد بن بشر حتى انتهوا إلى باب الحديقة .

قال أبو سعيد : فرأيت بوجه عباد بن بشر ضرباً كثيراً ، وما عرفته إلا بعلامة كانت في جسده .

وعن سفيان بن أبي العوجاء السلمي قال : قاتلهم محكم بن الطفيل أشد القتال ، وجعل يقول : يا بني حنيفة قد حميت لكم أدباركم قبل أن تسبى نساؤكم غير حظيات ويستردفن غير رضيات من كان له حسب فليقاتل عن حسبه ، قد عرفتم خالد بن الوليد لا يدع لكم حرمة .

وعن الحارث بن الفضيل قال : لما رأى محكم بن طفيل من قومه ما رأى جعل يصيح : ادن يا أبا سليمان فقد جاءك الموت الناقع ، قد جاءك قوم لا يحسنون الفرار ، فبلغت خالد بن الوليد كلمته وهو في مؤخر الناس ، فأقبل يقول ها أنا ذا أبو سليمان فكشف المغفر عن وجهه ، ثم حمل على ناحية محكم يخوض بني حنيفة ، فأقحم عليه خالد فضربه ضربة أرعش منها ثم ثنى له بأخرى وهو يقول : خذها وأنا أبو سليمان ، فوقع ميتاً ، وكان عبد الرحمن بن أبي بكر قد رماه بسهم قبل ذلك ، فمن الناس من يقول كان سهم عبد الرحمن ، ومنهم من يقول : لم يكن شيء ، ومنهم من قال : رماه عبد الرحمن بعد ضربة خالد فلما رأت بنو حنيفة أن محكماً قد قتل رجعت على أعقابها حتى دخلت الحديقة ، وتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى الحديقة ، حديقة الموت وفيها مسيلمة ، فدخلها بنو حنيفة فغلقوها عليهم .

قال أبو دجانة : احملوني فألقوني عليهم أشغلهم ، فحملوه فألقوه عليهم ودخلوا ، وثارت بنو حنيفة فاقتتلوا أشد القتال وحنيفة تقول : لا بقاء بعد محكم . وقال قائل : يا أبا ثمامة أين ما كنت وعدتنا ؟ قال : أما الدين فلا دين ، ولكن قاتلوا على أحسابكم فاستيقن القوم أنهم كانوا على غير شيء.

وعن ضمرة بن سعيد قال : لما قتل محكم قام مكانه ابن عمه المعترض فشد عليه أبو خالد الزرقي بالسيف . فاختلفا ضربات حتى قيل : هو قاتل أبا خالد ثم تعقل [١] المعترض بالقتلى فوقع على وجهه ، وضربه أبو خالد حتى أماته ، وكان أبو خالد قد جرح يومئذ جراحات فبرأت ، حتى انتقض به بعضها في خلافة عمر بن الخطاب حتى مات منها .

وعن أبي سعيد الخدري قال: دخلت الحديقة حين جاء وقت الظهر واستحر القتال فأمر خالد بن الوليد المؤذن فأذن على جدار الحديقة بالظهر ، والقوم يضطربون على القتل حتى انقطعت الحرب بعد العصر ، فصلى بنا خالد بن الوليد الظهر والعصر ثم بعث السقاة يطوفون على القتلى فطفت معهم فمررت بأبي عقيل الأنصاري البدري وبه خمسة عشر جرحاً فاستسقاني فسقيته ،فخرج الماء من جراحاته كلها ، ومات رحمه الله ،ومررت ببشر بن عبد الله وهوقاعد في حشوته [٢] فاستسقاني فسقيته فمات ومررت بعامر بن ثابت العجلاني وإلى جنبه رجل من بني حنيفة به جراح فسقيت عامراً فشرب وقال الحنفياسقني فدى لك قلت : لا ولا كرامة ولكني أجهز عليك ، قال : قد أحسنت ، إلي خصلة ولا شيء عليك فيما أسألك عنها ، قال : قلت : وما هي؟ قال : أبو ثمامة ما فعل ؟ قال : قلت : قتل والله ، قال : نبي ضيعه قومه ، قال أبو سعيد وضربت عنقه .

---

(١) عقل أمسك ، وتعقل له بكفيه : شبك بين أصابعها – القاموس .

(٢) الحشوة : الامعاء . النهاية لابن الاثير .

قال : وقاتل يومئذ ضرار بن الأزور الأسدي أشد القتال حتى قطعت ساقاه فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت [١] .

قال عبد الله بن جعفر : مكث ضرار باليمامة مجروحاً فقبل أن يدخل خالد بيوم مات وهو أثبت عندنا .

وعن ضمرة بن سعيد قال : قال كعب بن عجرة يومئذ : وانهزم الناس الهزيمة الآخرة وجاوزوا الرحال مستهزمين فجعل يصيح : يا للأنصار ، يا للأنصار الله ، الله ورسوله حتى انتهى إلى محكم بن الطفيل فضربه محكم فقطع شماله فوالله ما عرج عليها كعب وإنه ليضرب بيمينه ، وإن شماله لتهراق الدماء حتى انتهى إلى الحديقة فدخل وأقبل حاجب بن زيد بن تميم الأشهلي يصيح يا للأوس يا للأشهل فقال له ثابت بن هزال : لا تكون رابئاً ناد يا للأنصار [٢] فإنه جماع لنا ولك ، فنادى : يا للأنصار يا للأنصار حتى اشتملت عليه حنيفة فانفرجت عنه وتحته منهم اثنان قد قتلهما ، وقتل رحمه الله ، فخلفه في مقامه عمير بن أوس فاشتملوا عليه حتى قتل رحمه الله .

وعن أم سعد بنت سعد بن الربيع عن نسيبة بنت كعب قالت : رأيت يدها مقطوعة ، فقلت : أين قطعت يدك ؟ قالت . يوم اليمامة لما جعلت الأعراب تنهزم بالناس فنادت الأنصار : أخلصونا أخلصونا ، فأخلصوا الأنصار ، فكنت معهم حتى انتهينا إلى حديقة الموت فاقتتلنا عليها ساعة حتى قال أبو دجانة : احملوني على الترسة حتى تطرحوني عليهم فأشغلهم ، فحملناه على الترسة فوقع فيهم فأشغلهم ، وقاتلهم حتى قتلهم وقتل ، فدخلت وأنا أريد عدو الله مسيلمة ، فيعرض إليّ رجل منهم فضرب يدي فقطعها ، والله ما كانت لي

---

(١) ويروى غير هذا وأنه عاش حتى شهد فتوح الشام .

(٢) جاء في حاشية الاصل : أى ملتجئا .

ناهية ولا عرجت عليها حتى وقعت على الخبيث مقتولاً ، وابني يمسح سيفه بثيابه ، فقلت أقتلته ؟ قال : نعم يا مه ، فسجدت لله شكراً : قال : وابنها عبد الله بن زيد بن عاصم .

وعن محمد بن يحيى بن حبان قال : جرحت أم عمارة أحد عشر جرحاً بين ضربة بسيف أو طعنة برمح ، وقطعت يدها سوى ذلك فرئي أبوبكر يأتيها يسأل بها وهو يومئذ خليفة .

وعن ضمرة بن سعيد قال : دُخل بي على أم عمارة فرأيت يدها مقطوعة فجعلت تمسح على رأسي وبرّكت علي ، وإنما أدخلني عليها أهلي لذلك ، وأنا يومئذ غلام ، ثم بلغت فسألت ابن ابنها عباد بن تميم ، وذكرت له يدها وأخبرته أني أدخلت عليها فمسحت رأسي بيدها المصابة ، فقال عباد :رحمها الله ، هل علمت أن امرأة من المسلمين جرحت في الردة غيرها ؟ فقال : لا ، وذلك أن ابنها حبيب بن زيد كان مع عمرو بن العاصي بعمان فلما توفي رسول الله ﷺ أقبل عمرو بن العاصي من عمان ، فسمع به مسيلمة فاعترض لعمرو فسبقه وكان عمي حبيب بن زيد وعبد الله بن وهب في الساقة ،فأصابهما فقال: أتشهدان أني رسول الله ؟ فقال الأسلمي : نعم فأقر بما قال ، فأمر به فحبس في حديد ، وأماعمي فقال له:أتشهد أني رسول الله، فقال:لا أسمع فقال:أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم فأمر به فقطع ، فيقول : أتشهد أني رسول الله فيقول:لا أسمع حتى قطعه عضواً عضواً ،حتى قطع يديه من المنكبين،ورجليه من الوركين،فقال: أتشهد أني رسول الله؟فقال:لا أسمع.فقال أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال:نعم.فحرقه بالنار وهو يقول:أتشهد أن محمداً رسول الله؟قال:نعم فقال:أتشهد أني رسول الله؟فقال:لا أسمع،فتركه في النار حتى مات رحمه الله،فلما بلغ ذلك جدتي أم عمارة ، عاهدت الله : إن رأيته لا أكذب عنه أو أقتل دونه . فلما تهيأ بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة جاءت إلى أبي بكر فاستأذنته في الخروج ،

فقال : ما مثلك يحال بينه وبين الخروج قد عرفناك وعرفنا جزاءك في الحرب فاخرجي على اسم الله ، وأتى خالد بن الوليد بها وكان خالد بن الوليد مستوصياً بها متعاهداً لها ، فلما انتهوا إلى اليمامة واقتتلوا ، تداعت الأنصار : أخلصونا فأخلصوا ، قالت: فلما انتهينا إلى تلك الحديقة لم نخلص حتى قلت لا نخلص ، وازدحمنا على الباب وأهل النجدة من عدونا في الحديقة قد انحازوا يكونون فئة لمسيلمة ، فاقتحمنا فضاربناهم ساعة والله يا بني ما رأيت أبذل لمهج أنفسهم منهم ، وجعلت أقصد لعدو الله مسيلمة لأن أراه ، وقد عاهدت الله : لئن رأيته لا أكذب عنه أو أقتل دونه. وجعلت الرجال تختلط والسيوف تختلف بينهم، وخرس القوم فلا صوت إلا وقع السيوف حتى بصرت بعدو الله، فأشد عليه ويعرض لي رجل منهم فضرب يدي فقطعها، والله ما عرجت عليها حتى أنتهي إلى الخبيث، وهو صريع ، وأجد ابني عبد الله بن زيد قد قتله ، فحمدت الله على ذلك وقطع الله دابرهم ، فلما انقطعت الحرب ورجعت إلى منزلي جاءني خالد بن الوليد إلى منزلي بطبيب من العرب فداواني بالزيت المغلي ، فكان والله أشد علي من القطع وكان خالد بن الوليد كثير التعاهد إلي ، حسن الصحبة لنا يعرف لنا حقنا ويحفظ فينا وصية نبينا ﷺ .

قال عباد : فقلت : يا جدة كثرت الجراح في المسلمين؟ فقالت : يا بني لقد تحاجز الناس وقتل عدو الله وإن المسلمين لجرحى كلهم ، لقد رأيت بني أبي مجرحين ما بهم حركة ، ولقد رأيت بني مالك بن النجار بضعة عشر رجلاً لهم أنين يكمدون [1] ليلتهم بالنار ، ولقد أقام الناس باليمامة خمس عشرة وقد وضعت الحرب أوزارها وما يصلي مع خالد بن الوليد من المهاجرين والأنصار إلا نفر يسير من الجراح ، وذلك أنا أتينا من قبل الأعراب انهزموا بالمسلمين إلا أني أعلم أن طيئاً قد أبلت يومئذ بلاء حسناً ، لقد رأيت عدي بن حاتم يومئذ

---

(١) التكميد أن تسخن خرقة وتوضع على العضو الوجع، ويتابع ذلك مرة بعد مرة ليسكن. النهاية لابن الاثير .

يصيح بهم : صبراً فداكم أبي وأمي لوقع الأسل ، وإن ابني زيد الخيل يومئذ يقاتلان قتالاً شديداً .

وعن حصين بن عبد الرحمن بن سعد بن معاذ قال : أقبل رافع بن سهل الأشهلي يصيح : يا للأشهل ما تستبقون من أنفسكم ؟ وألقى درعه وحمل بالسيف يعانق رجلاً من بني حنيفة ، فتضاربا ساعة ، ولصق أحدهما بصاحبه وكان مع الحنفي خنجر فبعج به بطنه ، فلقد وجد به ثلاث عشرة طعنة كلها قد خلصت إلى مقتل

وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار سمعت وحشياً يقول : لما اختلط الناس في الحديقة وأخذت السيوف بعضها بعضاً ، وإني لأنظر إلى مسيلمة وما أعرفه ورجل من الأنصار يريده وأنا من ناحية أخرى أريده ، فهززت حربتي حتى رضيت منها ، ثم دفعتها عليه وضربه الأنصاري وربك أعلم أينا قتله إلا أني سمعت امرأة فوق الدثر [١] تقول : قتله العبد الحبشي .

وعن ابن عمر قال سمعت امرأة تقول : الذي قتله العبد .

وعن أبي الحويرث قال: ما رأيت أحداً يشك أن عبد الله بن زيد الأنصاري ضرب مسيلمة ، وزرقه وحشي فقتلاه جميعاً .

وعن عمرو بن يحيى المازني عن عبد الله بن زيد أنه كان يقول : أنا قتلته وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : أنا قتلته .

وعن سلمة بن الأكوع قال : كان عبد الله بن وهب الأسلمي في وثاق عند أصحاب مسيلمة ، فلما نزل خالد والمسلمون أفلت إليهم ، فلجأ إلى أسامة بن زيد ، وكان قد قدم أسامة بن زيد المدينة ، فبعثه أبو بكر مدداً لخالد بن الوليد فلحقه قبل أن يدخل اليمامة بليلة ، فكان يكون مع أسامة بن زيد فلما انكشف أسامة بالخيل أراد عياش بن أبي ربيعة قتل عبد الله بن وهب ، وكر أسامة

---

(١) الدثر : الملابس .

بالخيل فيجد عياشاً وأصحابه يريدون قتل عبد الله بن وهب فمنعه أسامة وقال: أتقتلون رجلاً قطع صاحبه وحرق بالنار ، فجزع من ذلك ورجع عن الإسلام وقلبه مطمئن ، ثم كر مع المسلمين ، وهو هذا يقاتل مع المسلمين أشد القتال ، فقد جزعت أنت يا عياش من ضربة بسوط حتى افتتنت [1] ، فالله يعلم أني رأيت عياشاً بكى بكاء كثيراً .

قالوا : ولما أمسينا أخذنا نشعل السعف ثم جعلنا نحفر لقتلانا حتى دفناهم جميعاً بدمائهم وثيابهم ، وما صلينا عليهم وتركنا قتلى بني حنيفة، فلما صالحوا خالد بن الوليد طرحوهم في الآبار .

وعن محمود بن لبيد قال : لما قتل خالد بن الوليد من أهل اليمامة من قتل وقتل من المسلمين مقتلة عظيمة حتى أبيح أكثر أصحاب رسول الله ﷺ ،وقيل لا تغمد السيوف وبيننا وبينهم عين تطرف ،وكان فيمن بقي من المسلمين جراحات كثيرة ، فلما أمسى مجاعة بن مرارة أرسل إلى قومه ليلاً أن ألبسوا السلاح النساء والذرية والعبيد ثم إذا صبحتم فقوموا مستقبلي الشمس على حصونكم حتى يأتيكم أمري ، وبات خالد والمسلمون يدفنون قتلاهم ، فلما فرغوا رجعوا إلى منازلهم فباتوا فكانوا يتكمدون بالنيران من الجراح ، فلما أصبح خالد بن الوليد أمر بمجاعة فسيق معه في الحديد فجعل يستبرىء به القتلى وهو يريد مسيلمة ، فمر برجل وسيم فقال : يا مجاعة أهو هذا ؟ قال : لا ، هذا والله أكرم منه . هذا محكم بن الطفيل ، ثم قال مجاعة :إن الذي تبتغون رجل ضخم أشعر

---

(١) هو أخو أبي جهل لأمه وابن عمه ، قديم الإسلام ، هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة ، « ولما هاجر إلى المدينة قدم عليه أخواه لأمه فذكرا له أن أمه حلفت أن لا يدخل رأسها دهن ولا تستظل حتى تراه ، فرجع معهما فأوثقاه وحبساه بمكة ... » . أسد الغابة : ٤ / ٢٠ - ٢١ .

البطن والظهر أيحر ، يحرته [١] مثل القرح ، مطبق مطرق [٢] إحدى العينين ، ويقال : هو أريحل أصفر أخينس [٣] .

وعن محمود قال : وأمر خالد بالقتلى فكشفوا حتى وجد الخبيث فوقف عليه خالد فحمد الله كثيراً ، وأمر به فألقي في البئر التي كان يشرب منها ، وكان خالد يرى أنه لم يبق من بني حنيفة أحد إلا من لا ذكر له ولا قتال عنده ، فقال خالد : يا مجاعة هذا صاحبكم الذي فعل بكم الأفاعيل ما رأيت عقولاً أضعف من عقول أصحابك ، مثل هذا فعل لكم ما فعل ، فقال مجاعة : قد كان ذلك يا خالد ، ولا تظن أن الحرب انقطعت بينك وبين بني حنيفة ، وإن قتلت صاحبك إنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماعة النـــاس وأهل البيوتات لفي الحصون ، فانظر ، فرفع خالد بن الوليد رأسه وهو يقول : قاتلك الله ما تقول ؟ قال : أقول والله الحق ، فنظر خالد فإذا السلاح وإذا الخلق على الحصون ، فرأى أمراً غمه ، ثم تشدد ساعتئذ وأدركته الرجولية ، فقال لأصحابه : يا خيل الله اركبي وجعل يدعو بسلاحه ، وهو يقول : يا صاحب الراية قدمها ، قـــال : والمسلمون كارهون لقتالهم قد ملوا الحرب وقتل من قتل ، وعامة من بقي جريح ، فقال مجاعة : أيها الرجل إني لك ناصح إن السيف قد أفناك وأفنى غيرك فتعال أصالحك على [٤] قومي وقد أخل بخالد مصاب أهل السابقة ومن كان يعرف أن عنده الغناء ، فقد رق وأحب الموادعة مع عجف الكراع ، فاصطلحا على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع ونصف السبي ، ثم قال مجاعة : إني آتي القوم فأعرض عليهم ما صنعت ؟ قال : فانطلق فـاعرض عليهم ، فذهب فعرض عليهم ، ثم

---

(١) الأيحر الذي ارتفعت سرته وصلبت ، والبجرة نفخة في السرة . النهاية لابن الأثير .

(٢) الاطراق : أن يقبل ببصره إلى صدره . النهاية لابن الأثير .

(٣) الخنس انقباض قصبة الأنف وعرض الأرنبة — النهاية لابن الأثير .

(٤) في حاشية الأصل « عن » .

رجع فأخبره أنهم قد أجازوه ، فلما بان لخالد أنه إنما هو السبي قال : ويلك يا مجاعة خدعتني في يوم مرتين .

وعن يزيد بن شريك الفزاري عن أبيه قال : لما صالح خالد بن الوليد مجاعة قال أسيد بن حضير وأبو نائلة : يا خالد اتق الله لا تقبل الصلح . قال خالد : إنه قد أفنا كم السيف ، قال أسيد: إنه قد أفنى غيرنا أيضاً ، قال : فمن بقي منكم جريح. قال: وكذلك من بقي من القوم جرحى، لا تدخل في الصلح أحداً اغد بنا عليهم حتى يظفرنا الله بهم أو نبيد من آخرنا، احملنا على كتاب أبي بكر : « إن أظفرك الله ببني حنيفة فلا تبق فيهم » ، فقد أظفرنا الله وقد قتلنا رأسهم فمن بقي أكل شوكة ، فهو على ذلك إذ جاءه كتاب أبي بكر يقطر الدم .

وعن عيسى بن عميلة الفزاري عن أبيه قال : قال سلمة بن عمير الحنفي لأصحابه : يا بني حنيفة قاتلوا ولا تصالحوا خالداً فإن الحصن حصين ، والطعام كثير ، وقد حصنتم النساء فإن القوم قد أفناهم السيف ، ومن بقي منهم جريح ولا تطيعوا مجاعة فإنه إنما يريد أن ينفلت من إساره ، فقال مجاعة : يا بني حنيفة أطيعوني واعصوا سلمة فإني أخاف أن يصيبكم ما قال شراحيل بن سلمة أن تستردف النساء سبيات ويستنكحن غير حظيات .

وعن عبدالعزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة قال: لما صالح خالد بن الوليد أهل اليمامة لم يمس حتى قدم سلمة بن سلامة بن وقش بكتابين في أحدهما :

بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد : فاذا جاءك كتابي فانظر إن أظفرك الله ببني حنيفة فلا تستبق منهم رجلا مرت عليه الموسى ، فتكلمت الأنصار في ذلك وقالوا : أمر أبي بكر فوق أمرك فلا تستبق منهم أحداً ، فقال خالد : إني والله ما صالحت القوم إلا لما رأيت من رقتكم ولما نهكت منكم الحرب ، وقوم قد صالحتهم ومضى الصلح فيما بيننا وبينهم ، والله لو لم يعطونا شيئاً ما قاتلتهم وقد أسلموا .

قال أسيد بن حضير : قد قتلت مالك بن نويرة وهو مسلم ، فسكت عنه خالد ابن الوليد فلم يجبه .

قالوا : وقال سلمة بن سلامة بن وقش : لا تخالف كتاب إمامك يا خالد ، فقال خالد : والله ما ابتغيت بذلك إلا الذي هو خير ، رأيت أهل السابقة وأهل الفضل ، وأهل القرآن قد قتلوا ، ولم يبق معي إلا قوم خشيت ألا يكون لهم بقاء على السيف لو ألح عليهم ، فقبلت الصلح ، مع أنهم قوم قد أظهروا الإسلام واتقوا بالراح [1] .

وعن عبد العزيز بن سعيد أن خالداً لما قال لمجاعة في الخطبة ، قال لمجاعة: مهلاً إنك قاطع ظهرك وظهري مع ظهرك عند صاحبك إن القالة عليك كثيرة، وما أقول هذا رغبة عنك ، فقال : زوجني أيها الرجل، فزوجه وكتب إليه أبو بكر كتاباً مع سلمة بن سلامة بن وقش : يا خالد بن أم خالد إنك لفارغ تنكح النساء وتعرس بهن وببابك دماء ألف ومائتين من المسلمين لم تجف بعد، فلما نظر خالد الكتاب قال : هذا عمل عمر بن الخطاب ، ولما وقع الصلح قال لمجاعة: قد وقع ما ترى وقد خدعتني في يوم مرتين ، قال مجاعة : قومي فما أصنع وما وجدت من ذلك بداً قد حضني النساء ، وأنشده قول امرأة من بني حنيفة ، أنشدنيها أبو عاصم الأسلمي وكان ثبتاً ، كان ابن أبي الزناد كثيراً يسأله عن الشعر لصدقه عنده :

مسيلم لم تبق إلا النساء ... سبايا لدى الخف والحافر
وطفل ترشحه أمه ... حقير مق يدع يستأخر
فأما الرجال فأودى بهم ... حوادث من دهرك العاثر
فليت أباك مضى حيضة ... وليتك أنت مع الغابر

---

(١) في اللسان : راح يراح روحاً : برد وطاب ، والراحة والمرايحة وجدانك الفرجة بعد الكربة ، والراح :جمع راحة ، والراح : الارتياح .

سحبت علينا ذيول البلاء وجنيت بأشأم من قاشر
فمجاعة الخير فانظر لنا فليس لنا اليوم من ناظر
سواك فإنا على حالة تروعنا مرة الطائر

قال مجاعة : أفكنت أجد من هذا بداً ؟

وعن محمود بن لبيد قال : لما صالحهم خالد بن الوليد أمر بالحصون فألزمها الرجال وأحلف مجاعة بالله لا يغيب عنه شيئاً مما صالحه عليه ولا يعلم أحد غيبه إلا رفعه إلى خالد ، ثم فتحت الحصون فأخرج سلاحاً كثيراً فجمعه خالد على حدة ، وأخرج ما وجد فيها من دنانير أو دراهم فجمعه على حدة ، وجمع كراعهم وترك الخف فلم يحركه ، ولا الرثة ثم أخرج السبي فقسمه قسمين ، ثم أقرع على القسمين فخرج سهمه على أحدهما وفيه مكتوب لله ، ثم جزأ الذي صار له من السبي على خمسة أجزاء ، ثم كتب على كل سهم منها لله ، وجزأ الكراع والحلقة هكذا ، ووزن الذهب والفضة فعزل الخمس ، فقسم على الناس أربعة أخماس وأسهم للفرس سهمين ، ولصاحبه سهماً ، وعزل الخمس من ذلك كله حتى قدم به على أبي بكر الصديق .

وعن أبي سعيد الخدري قال : استعمل خالد بن الوليد على الخمس أبا نائلة ، ففرق منه أبو بكر في مواضع الخمس ما فرق .

وعن عمر بن محمد قال: كانت أم محمد [1] بن علي بن أبي طالب من ذلك السبي.

وعن أسماء ابنة أبي بكر قالت : قد رأيت أم محمد بن علي هي من سبي حنيفة .

وعن نافع قال : أم زيد بن عبد الله بن عمر من ذلك السبي .

وعن الرجيل ابن أخي مجاعة قال : لما انقطعت الحرب بين خالد وبين أهل اليمامة تحول من منزله ذلك إلى منزل آخر ينتظر كتاب أبي بكر يأمره أن

(١) أي محمد ابن الحنفية ، ويقال كان اسمها « خولة ».

ينصرف إليه بالمدينة ، فبينا هو على ذلك إذ أقبل سلمة بن عمير الحنفي ، وكان من شياطينهم ، فقال لمجاعة : استأذن لي على الأمير فإن لي إليه حاجة ، فأبى مجاعة عليه وقال : ويحك يا سلمة أبق على نفسك فقد آن لك أن تبصر ما أنت فيه والله لكأني أنظر إلى خالد بن الوليد قد أمر بك فضربت عنقك ، فقال سلامة : ما بيني وبين خالد من عتاب ، قد قتل قومي ، فلها عنه مجاعة فجعل يطلب غرة من خالد ، فأقبل مع الناس الذين يدخلون على خالد ، فلما رآه خالد التفت إلى مجاعة وهو إلى جنبه ، وكان أقرب جلسائه إليه فقال : والله إني لأعرف في وجه هذا الشر ، فقام إليه مجاعة وهو يخافه على الذي ظن به ، فإذا هو مشتمل على السيف، فقال : يا عدو الله ، لعنك الله لقد أردت أن تستأصل حنيفة ، والله لو قتلته ما بقي من حنيفة صغير ولا كبير إلا قتل ، ثم لببه بثوبه ، ثم جعل يتله حتى أدخله بيتاً ، ثم أوثقه في الحديد ، وأغلق عليه ، فأفلت من الليل ومعه سيفه فوقع في حائط من حوائط اليمامة ، وعلم شأنه وما أراد وكان أراد خالداً ليضربه بالسيف ، وكان خالد بن الوليد قد أمر به أن يضرب عنقه ، فكلمه فيه مجاعة فقال : هبه لي يا أبا سليمان ، فوهبه له ، ثم قال خالد لمجاعة أحسن أدبه ،فذلك حين حذره مجاعة ، فخرج بالسيف واكتنفه أهل اليمامة ، فلما رأى ما يصنعون به أمال السيف على حلقه ، فقطع أوداجه ، وسقط في بئر هناك ، وانقطع ذكره .

ومن ذكر ثابت بن قيس بن شماس فيما ذكره محمد بن ثابت ابنه ، أنه كانت على ثابت بن قيس يوم اليمامة درع نفيسة كانت لآبائه ، فلما قتل مر بها رجل من الضاحية ، فأخذها ، فأري بلال بن رباح ثابت بن قيس في منامه يقول له : إني موصيك بوصية إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ، إني لما قتلت بالأمس جاء رجل من ضاحية نجد، وعلي درعي فأخذها فأتى بها منزله فأكفأ عليها برمة [1]

---

(١) البرمة : القدر مطلقاً . النهاية لابن الأثير .

وجعل على البرمة رحلاً وخباؤه في أقصى العسكر إلى جنب خبائه فرس يستن في طوله ، فأت خالد بن الوليد فأخبره ، فليبعث إلى درعي فليأخذها ، وإذا قدمت على خليفة رسول الله ﷺ فأخبره أن علي من الدين كذا ولي من الدين كذا ، وسعد ومبارك غلاماي حران ، وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ، فلما أصبح بلال ، أتى خالد بن الوليد فأخبره الخبر ،فبعث خالد إلى الدرع فوجدها كما قال : فأخبره بوصيته فأجازها ، ولا نعلم أحداً من المسلمين أجيزت وصيته على هذا الوجه ، يعني بعد الموت إلا ثابت بن قيس .

قال الواقدي : فذكرته لعبد الله بن جعفر فقال : حدثني عبد الواحد بن أبي عون قال : قال بلال : رأيت في منامي كأن سالماً مولى أبي حذيفة قال لي ونحن منحدرون إلى المدينة من اليمامة : إن درعي مع الرفقة الذين معهم الفرس الأبلق تحت قدرهم ، فاذا أصبحت، فخذها من تحت قدرهم فاذهب بها إلى أهلي، وإن علي شيئاً من دين فمرهم يقضونه ، قال بلال: فأقبلت إلى تلك الرفقة وقدرهم على النار فألقيتها ، وأخذت الدرع ، وجئت أبا بكر فحدثته الحديث ، فقال : نصدق قولك ونقضي دينه الذي قلت .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : كان أبو بكر حين وجه خالداً إلى اليمامة ، رأى في النوم كأنه أتي بتمر من تمر هجر ، فأكل منه فكان منها تمرة واحدة وجدها نواة على خلقه التمرة ، فلاكها ساعة ثم رمى بها فأولها ، فقال : ليلقين خالد من أهل اليمامة شدة وليفتحن الله على يديه إن شاء الله ،فكان أبو بكر يستروح الخبر من اليمامة بقدر ما يجيء رسول خالد ، فخرج أبو بكر يوماً بالعشي إلى ظهر الحرة [1] يريد أن يبلغ صراراً [2] ومعه عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد بن

---

(١) حرة المدينة .

(٢) موضع بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، وقيل : موضع بالمدينة . معجم البلدان .

عمرو بن نفيل وطلحة بن عبيد الله ، ونفر من المهاجرين والأنصار ، فلقي أبا خيثمة النجاري قد أرسله خالد ، فلما رآه أبو بكر قال له : ما وراءك أبا خيثمة؟قال:خير يا خليفة رسول الله ، قد فتح الله علينا اليمامة،قال:فسجد أبو بكر ، قال أبو خيثمة : وهذا كتاب خالد إليك ، فحمد الله تعالى أبو بكر وأصحابه ، ثم قال : أخبرني عن الوقعة كيف كانت ؟ فجعل أبو خيثمة يخبره كيف صنع خالد ، وكيف صف أصحابه وكيف انهزم المسلمون ،وما قتل منهم، وجعل أبو بكر يسترجع ويترحم عليهم ، وجعل أبو خيثمة يقول : يا خليفة رسول الله أتينا من قبل الأعراب ، انهزموا بنا وعودونا ما لم نكن نحسن حتى أظفرنا الله بعد ، قال أبو بكر : رحمهم الله ، ثم قال : كرهت رؤيا رأيتها كراهية شديدة، ووقع في نفسي أن خالداً سيلقى منهم شدة ، وليت خالداً لم يصالحهم وأنه حملهم على السيف فما بعد هؤلاء المقتولين يستبقى أهل اليمامة ولن يزالوا من كذابهم في فتنة إلى يوم القيامة إلا أن يعصمهم الله .

وعن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي قال : لما وقع الصلح خاف خالد بن الوليد من عمر بن الخطاب أن يحمل أبا بكر عليه فكتب إلى أبي بكر بكتاب فيه :

- بسم الله الرحمن الرحيم - :

لأبي بكر خليفة رسول الله .

من خالد بن الوليد .

أما بعد :

فإني أقسم بالله أني لم أصالحهم حتى قتل من كنت أقوى به وحتى عجف الكراع ، وهلك الخف ونهك المسلمون بالقتل والجراح ، حتى إني لأفعل أموراً أرى أني فيها مغرراً ،أباشر القتال بنفسي حتى ضعف المسلمون فنهكوا ،حتى إن كنت لأتنكر، ثم أدخل بسيفي فرقاً على المسلمين ، حتى جاء الله بالظفر،

فله الحمد ، فسر أبو بكر بذلك ، فدخل عليه عمر بن الخطاب وهو يقرأ كتاب خالد ، فدفعه إليه فقرأه فقال : إنما راقب ختونتهم[١] ، وخالف أمرك ، أولا ترى إلى ذكره أنه يباشر القتال بنفسه يمن عليك بذلك ؟ فقال أبو بكر : لا تقل ذلك يا عمر فإنه والي صدق ميمون النقيبة ناكى العدو ، وقد كان رسول الله ﷺ يقدمه ويقربه ، وقد ولاه رسول الله ﷺ. قال عمر : ولاه رسول الله ﷺ فخالف أمره وقتل بذحول[٢] الجاهلية حتى كان ما كان . قال أبو بكر : دع هذا عنك ، قال عمر : سمعاً وطاعة .

قال الواقدي : أجمع أصحابنا أن خالد بن الوليد قدم المدينة من اليمامة وقدم بوفد اليمامة فقدم معه سبعة عشر رجلاً من بني حنيفة ، فهم مجاعة بن مرارة وإخوته ، وأن أبا بكر حبسهم فلم يدخلهم عليه فدخلوا على عمر بن الخطاب يكلمونه في أن يكلم أبا بكر أن يأذن لهم فيدخلهم ، أو يأذن لهم في الرجوع إلى بلادهم ، قال : فوجدوه يحلب شاة على رغيف في صحفة ، ومعه عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وابنة زيد بن الخطاب قال : فهما ينزوان على ظهره ، قال: فنسبنا ، فانتسبنا ، قال : فقرب تلك الصحفة وما فيها إلا الغلامين وقال : أصيبوا فتجزمنا[٣] فأصبنا شيئاً ، فسألته من هذان الغلامان ؟ فقال: هذان ابنا زيد بن الخطاب ، ابنا أخي ، فوجمنا لأنا قتلنا زيد بن الخطاب ، فلما رأى وجومنا قال: ما لكم قد سكتم ؟ هذا أمر قد ذهب ، حاجتكم ؟ قالوا: فبسطنا ، فقلنا : احتبسنا ولا نقدر على الدخول على أبي بكر ولا السراح إلى بلادنا ، فقال عمر : عليكم عهد الله وكفالته أن تناصحوا الإسلام وأهله ؟ قال:

---

(١) الختونة : المصاهرة – القاموس .

(٢) الذحل : الثأر ، ويشير هنا إلى ما كان من خالد بعد فتح مكة حين سيره النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني جذيمة . انظر سيرة ابن هشام ط . القاهرة ١٩٥٥ : ٤ / ٤٢٨ – ٤٢٦ .

(٣) الجزمة : الأكلة الواحدة ، وجزم يجزم جزماً أكل أكلة – اللسان .

قلنا نعم قال: ارجعوا حتى تأتوني هذه الساعة من غد فأوصلكم إلى أبي بكر، فلما كان ذلك الوقت جاؤوا عمر فخرج معهم حتى أوصلهم إلى أبي بكر .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما دخلوا على أبي بكر الصديق قال : ويحكم هذا الذي استذل منكم ما استذل وخدعكم، قالوا: يا خليفة رسول الله قد كان الذي بلغك مما أصابنا ، كان امرأ لم يبارك الله له ولا لعشيرته فيه ، ثم أقبل على مجاعة ، فقال : يا مجاعة ، أنت خرجت طليعة لمسيلمة حتى أخذك خالد أخذاً ، قال : يا خليفة رسول الله والله ما فعلت ، خرجت في طلب رجل من بني نمير قد أصاب فينا دماً فهجمت علينا خيل خالد ، ولقد كنت قدمت على رسول الله ﷺ ، فلما ذكر رسول الله قال أبو بكر: قل: ﷺ فقال : ﷺ ، ثم رجعت إلى قومي فوالله ما زلت معتزلاً أمر مسيلمة حتى كان أوان قدمت عليك مقدمي هذا ، ثم لم أزل لخالد كالخير فيما استشارني إلى اليوم ، وقد جئتك لترضى عن من أساء وتقبل منا إنا تبنا فإن القوم قد رجعوا وتابوا ، فقال أبو بكر : أما إني قد كتبت إلى خالد كتاباً في إثر كتاب آمره أن لا يستبقي من بني حنيفة أحداً مرت عليه الموسى ، قال مجاعة : الذي صنع الله لك ولخالد خير ، يفيء الله بهم إلى الإسلام ، قال أبو بكر : أرجو أن يكون ما صنع خالد خيراً للإسلام ، يا مجاعة أخدعتم بمسيلمة ؟

قال مجاعة: يا خليفة رسول الله لا تدخلني في القوم فإن الله يقول : ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى [1]﴾ قال أبو بكر : فما كان يقول لقومه ؟ قال : فكره مجاعة أن يخبره ، فقال أبو بكر : عزمت عليك لتخبرني ، قال : كان يقول[2]: فيما يقول: « يا ضفدع نقي نقي، لا الشرب تمنعين ولا الماء تكدرين، لنا

---

(١) سورة فاطر : ١٨ .

(٢) في الحاشية : « سجع مسيلمة » .

نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يعتدون ». قال أبو بكـــر : ويحكم أي كلام هذا ما خـــرج من إل ولا بر ، فأين ذهب بكم[١] ؟ الحمد لله الذي قتله .

قال : يا خليفة رسول الله قد أردنا الرجوع إلى بلادنا ، قـال : ارجعوا ، وكتب لهم كتاباً أمنهم فيه .

وفي كتاب يعقوب بن محمد الزهري بسنده عن يحيى بن عبد الأعلى الحنفي قال : وفد خالد معه من بني حنيفة على أبي بكر ثلاثة عشر فيهم : مجاعة بن مرارة ، ومطرف بن النعمان بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن أبي كسيب ، وأبو مريم اياس بن ضبيح ، فلما قدموا نادى أبو بكر ألا يؤذيهم أحد ولا يبايعهم ولا ينزلهم ولا يكلمهم فداروا في المدينة لا يكلمون ولا يبايعون فضاقت عليهم ، فقيل لهم ائتوا عمر فجاؤوا عمر فوجدوه معتقلا عنزاً يحلبها على رغيـــف ، فجلسوا إليه ، فلما رآهم حلب فاشتد حلبه حتى دار الرغيف في القدح من شدة حلبه ، ثم وضعه فدعاهم فأكلوا معه ، ومعه صبية صغيرة ، فقالوا : إنا نعوذ بالله أن يرد علينا من إسلامنا ما يقبل من غيرنا وإنا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال : الله الذي لا إله إلا الله هو الذي يعلم من السر ما يعلم من العلانية ان ما تقولون بألسنتكم لحق من قلوبكم ؟ قالوا : الله الذي لا إله إلا هو ما نقول بألسنتنا لحق من قلوبنا ، قال : الحمد لله الذي جعل لنا من الإسلام من يعزنا ويردنا اليه ، ثم قال : أفيكم قاتل زيد بن الخطاب ؟ قلنا : ما تريد بذلك ؟ قال : أفيكم قاتل زيد ؟ فقام أبو مريم ، فقال : أنا قاتل زيد ، قال : وكيف قتلته ؟ قال : اضطربت أنا وهو بالسيفين حتى انقطعا ثم اطعنّا بالرمحين حتى انكسرا ، ثم اصطرعنا فشحطته بالسكين شحطاً ، قال : يا بنية هذا قاتل أبيك فوضعت يدها على رأسها وصاحت : يا أبتاه .

---

(١) ورد مثل هذا الخبر من قبل وفيه مقارنة بإحدى آيات القرآن الكريم .

قال : ثم خرج حتى جاء أبا بكر فاستأذن لنا عليه ، فدخلنا فقلنا له كما قلنا لعمر ، فناشدنا كما ناشدنا عمر فحلفنا له ، فقال : الحمد لله الذي جعل لنا من الإسلام ما يعزنا ويردنا إليه ، ثم قال : أفيكم من رهط عامر بن مسلمة أحد ؟ قال خالد : وما تصنع بعامر ، وهذا مجاعة سيد أهل اليمامة فكرهها أبو بكر ، فقال : هل فيكم من رهط ثمامة بن اثال أحد ؟ قال خالد : وما تصنع بثمامة وهذا مجاعة سيد أهل اليمامة ، قال أبو بكر : إنهم أهل بيت اصطنعهم رسول الله ﷺ فأحب أن أصطنعهم ، فقام مطرف بن النعمان بن مسلمة فقال : عامر بن مسلمة عمي ، وثمامة ابن عمي ، فاستعمله أبو بكر على اليمامة .

وعن أبي سعيد الخدري قال . قتلت الأنصار في مواطن أربعة : سبعين سبعين ، يوم أحد سبعين ، ويوم بئر معونة سبعين ، ويوم اليمامة سبعين ، ويوم جسر أبي عبيد سبعين .

وعن سعيد بن المسيب قال : قتلت الأنصار في مواطن ثلاثة : سبعين سبعين، يوم أحد ويوم اليمامة ، ويوم جسر أبي عبيد .

وعن موسى بن محمد عن أبيه قال : قتل من قريش يوم اليمامة بضع وسبعون.

وعن زيد بن طلحة قال : قتل من قريش يوم اليمامة سبعون ، ومن الأنصار سبعون وقتل من سائر الناس خمسمائة .

وقال سالم بن عبد الله بن عمر : قتل يوم اليمامة ستمائة من المهاجرين والأنصار وغير ذلك ، وقد جاء كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد : إن ببابك دماء ألف ومائتين من المسلمين .

وفي كتاب التاريخ لأبي بشر الدولابي عن أبي معشر قال : كانت اليمامة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وأميرهم يومئذ خالد بن الوليد ، وقتل من المسلمين يوم اليمامة مع خالد ممن يحصى منهم من قريش ثم من بني عبد شمس بن

عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومخرمة [١] بن شريح ، ومن حلفائهم من بني أسد بن خزيمة : شجاع ابن وهب بن ربيعة وغيره . ومن بني أمية بن عبد شمس : الحكم بن سعيد بن العاصي بن أمية . ومن بني أسد بن عبد العزى : السائب بن العوام أخو الزبير . ومن بني عبد الدار بن قصي : يزيد بن أوس حليف لهم . ومن بني زهرة بن كلاب : يعلى بن جارية [٢] حليف من ثقيف . ومن بني مخزوم : الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ، وحكيم بن حزن بن أبي وهب . ومن بني عدي بن كعب : زيد بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن نجرة ، وعامر بن البكير حليف لهم من بني سعد بن ليث . ومن بني سهم : عبد الله بن الحارث بن قيس ، وأبو قيس بن الحارث . ومن بني عامر بن لؤي : عبد الله بن مخرمة ابن عبد العزى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو وغيرهما .

ومن الأنصار ثم من بني الحارث بن الخزرج : ثابت بن قيس بن شماس ، وبشر ابن عبد الله .

ومن بني عوف بن بلحبلى : عبد الله بن عتبان حليف لهم ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول .

ومن بني سالم بن عوف : ثابت بن هزال وإياس بن ودقة .

ومن بني ساعدة : أسيد بن النعمان ، وسعد بن حارثة بن لوذان ، وسماك ابن خرشة ، وأبو دجانة وغيرهما .

ومن بني سلمة : عقبة بن عامر بن نابي .

ومن بني غنم بن سلمة : مسعود بن سنان . ومن بني سواد بن سلمة : ضمرة

---

(١) في حاشية الأصل : قال سيف : ومن حلفاء قريش مخرمة بن شريح الحضرمي . انظر تاريخ خليفة بن خياط : ١ / ٩١ .

(٢) في حاشية الأصل : وقال ابن اسحق : حي بن جارية ، انظر تاريخ خليفة : ١ / ٩٢ .

ابن عياض . ومن بني النجار ، ثم من بني مالك : عمارة بن حزم بن زيد ويزيد بن ثابت بن الضحاك رمي بسهم فمات في الطريق ، وثابت بن معمر بن خنساء وفروة بن النعمان .

ومن بني عمرو بن مبذول : حبيب بن عمرو بن عتيك ، قتل بالطريق وهو ذاهب .

ومن بني مازن بن النجار : حبيب بن زيد الذي قطعة مسيلمة وأبو حبة ابن غزية .

ومن بني عبد الأشهل : عباد بن بشر بن وقش ، ورافع بن سهيل ، وعبدالله ابن عتيك ، وخباب بن يزيد ، وسهل بن عدي .

ومن بني عجلان : معن بن عدي بن الجد ، وجرو بن عياش [١] وعامر بن ثابت ، ومن بني جحجبا بن كلفة جزء [٢] بن مالك بن عامر بن حذيم ، وسعد ابن الربيع بن عدي بن مالك ، وطلحة بن عتبة ورباح مولاهم .

ومن بني أنيف : أبو عقيل .

فجميع من قتل من قريش والأنصار ممن أحصي ممن سمي منهم ومن لم يسم يوم اليمامة أربعون ومائة رجل . سبعون من قريش ، وسبعون من الأنصار [٣] . انتهى كلام الدولابي مختصراً [٤] .

وفي كتاب يعقوب بن محمد الزهري : وقتل من بني حنيفة أكثر من سبعة آلاف .

وعن عيسى بن الحارث السحيمي وعبد المؤمن بن يحيى بن أبي كثير

---

(١) في تاريخ خليفة : ١/٩٥ « جرول بن العباس » وهذا ما ورد في أسد الغابة : ١/٣٣١ .

(٢) ويقال « جرول بن مالك » انظر أسد الغابة : ١ / ٣٣٠ .

(٣) انظر القائمة الوافية التي أثبتها خليفة بن خياط في تاريخه : ١ / ٩١ - ٩٧ .

(٤) الدولابي هو محمد بن أحمد بن حماد (٢٢٤ - ٣١٠) وصلنا من كتبه الكنى والأسماء وقد طبع بحيدر أباد - الدكن سنة ١٣٢٢ هـ ، ويعتبر كتابه بالتاريخ في حكم المفقود .

قالا : أصيب يومئذ من صليبة بني حنيفة سبعمائة مقاتل ، وقتل رجال من بني حزم ، ورجال من بني سعد ، ورجال من بني المجلان ، ورجال من بني الحارث .

وعن أبي يزيد العنزي قال : قتل يومئذ مع مسيلمة فارس بني يشكر يزد ابن الحارث بن الحر بن مالك بن ثعلبة ، وولده ينزلون بكسكر [١] ، وقتل رجال ورحال ابنا عنفوة وهما من بني عاصم [٢] بن حنيفة .

وعن الواقدي قال : قال أبو مريم الحنفي : أنشدنيها ابن أبي الزناد :

رب رخو النجاد مضطمر الكشح ... ونـدب يلوح كالمخراق
أتلفتـه النفوس يوم التقينـا ... كان في أهله عزيـز الفراق
من يرى البرق من أباض [٣] يخله ... أنتـا والحروب ذو مصداق
ساقهم ربهم لميقات يـوم ... من تهام وشـامه وعـراق

وقال شاعر بني حنيفة :

وسجاع اليمامة قد أتانـا ... يخبرنـا بما قـال الرسول
فأعطينا المقادة إذ دعانـا ... وقلنا قد صدقت بمـا تقول
فقالوا ما يقول فقلت خير ... شهدت بأنني عبـد ذليل
وأن البعث بعد الموت حق ... فليس إلى خلافهما سبيـل
وأن الله ليس له شريك ... وأن محمداً هـاد دليل

وقال الزبرقان بن بدر : أنشدنيها عبدالله بن حمزة أبو عاصم الأسلمي وكان ثقة :

من مبلغ قيسـاً وخندف أنه ... عزم الإله لنا وأمـر محمد

---

(١) في العراق المنطقة المحيطة بمدينة واسط – معجم البلدان .

(٢) جاء في حاشية الأصل مع اشارة التصحيح « عامر » .

(٣) قرية في العرض ،عرض اليمامة لها نخل أطول منها ، وعندها كانت وقعة خالد بن الوليد مع مسيلمة الكذاب ، معجم البلدان .

رأي امرىء جلد النحيزة [١] حازم ... لا يستطير فؤاده في المشهد
وشريكه في الأمر كل مبرأ ... عاري الأشاجع نوره كالموقد
حدر الخيول إلى اليمامة قانصاً ... سلساً قلائدها روح وتغتدي
يهدي إلى طلع النجوم صدورها ... وبنات نعش أو بضوء الفرقد
يخبطن بالأيدي حياض محكم ... شرب لعمر أبيك غير مصرد [٢]
حتى رأى أهل اليمامة غدوه ... فوق الكثيب أشم غير معرد [٣]
قاتل فإنك لو أقمت بدومة ... في رأس غرفة بيتها لم تخلد
إن امرأً يرضى بأدنى سعيه ... نقصت مروءته إذا لم يزدد
فعلى يديك بإذن ربك فتحت ... أبوابها وفككت كل مقيد

وقال ضرار بن الأزور ، ويقال : قالها وهو مجروح :

إن تتبعي الكفار غير ملومة ... جنوب فإني تابع الدين مسلم
وأقسم بالرحمن أن قد غويتم ... بني أسد فاستأخروا أو تقدموا
وقد بعثوا جيشاً إلى أهل دومة ... فقبح من جيش ومن يتأمم
ولو سألت عنا جنوب لأخبرت ... عشية سالت عقرباء من الدم
عشية لا تغني الرماح مكانها ... ولا النبل إلا المشرفي المصمم
نجاهد إذا كان الجهاد غنيمة ... ولله بالمرء المجاهد أعلم
عصيتم ذوي أحلامكم وأطعتم ... نعيماً وأمر ابن الفطيمة أشأم
بني أسد قد ساءني ما فعلتم ... وليس لقوم حاربوا الله محرم

---

(١) النحيزة : الطبيعة — القاموس .
(٢) مصرد : مخطىء . القاموس .
(٣) المعرد : الصلب الشديد ، القاموس .

ذكر ردة بني سُليم

قال الواقدي : حدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل بن الخطمي عن أبيه عن سفيان بن أبي العوجاء السلمي وكان عالماً بردة قومه ، مع أنه كان من وعاة العلم وممن يوثق به في الدين ، قال : أهدى ملك من ملوك غسان إلى النبي ﷺ لطيمة [١] وفيها مسك وعنبر وخيل فخرجت بها الرسل حتى إذا كانوا بأرض بني سليم ، بلغهم وفاة النبي ﷺ فتآمر بعض بني سليم عليها فتشجع بعض بني سليم على أخذها والردة ، وأبى بعضهم أن يشجع وأن يرتد ، وقال : إن كان محمد قد مات فإن الله حي لا يموت ، وكان الذين ارتدوا من سليم بنو عصية ، وبنو عميرة ، وبنو عوف ، وبعض بني جارية ، وكان الذين انتهبوا اللطيمة : بنو الحكم بن مالك بن خالد بن الشريد ، فتمزقوا اللطيمة ، فلما ولي أبو بكر كتب إلى معن بن حاجر فاستعمله على من أسلم من بني سليم ، وكان قد قام في ذلك قياماً حسناً .

ذكر وفاة رسول الله ﷺ

وذكر الناس ما قال الله لنبيه ﷺ: ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾[٢] وقال: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾[٣] الآية والتي قبلها مع آي من كتاب الله ، فاجتمع إليه بشر كثير من بني سليم ، وانحاز أهل الردة من بني سليم ، فجعلوا يغيرون على الناس ، ويقطعون السبيل ، فلما بدا لأبي بكر أن

---

(١) اللطيمة : الجمال التي تحمل العطر والبز ، غير الميرة ، ولطائم المسك : أوعيته . النهاية لابن الأثير .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

يوجه خالد بن الوليد إلى الضاحية، كتب الى معن بن حاجر أن يلحق بخالد بن الوليد بمن معه من المسلمين ويستعمل على عمله طريفة بن حاجر، أحد بني خزيمة، وكان أبو شجرة فيمن ارتد من بني سليم، وهو أبو شجرة بن عبد العزى، فقال حين ارتد، أنشدنيها ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه:

فلو سألت عنا غداة مرامر [١] كما كنت عنها سائلاً إذ أتيتها
لقاء بني فهر وكان لقاؤها غداة جريج حاجة فقضيتها
صبرت لهم نفسي وعرجت مهرتي على الطعن حتى عاد ورداً كميتها
إذا هي صدت عن كميّ أريده عدلت إليه صدرها فهديتها

وقال أبو شجرة حين ارتد، أنشدنيها ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه:

صحا القلب عن حبي هواه وأقصرا [٢] وطاوع فيها العاذلين فأبصرا
وأصبح أدنى رأيه الوصل منهم كما ودّها عنا كذاك تغيرا
ألا أيها المدلي بكثرة قومه وحظك منهم أن تهان وتكثرا
سل الناس عنها [٣] عند كل كريهة إذا ما التقينا دارعين وحسرا
ألسنا نعاطي ذا الطماح لجامه ونطعن في الهيجا إذا الموت أقفرا
وعارفة صهباء [٤] تخطر في القنا ترى البلق [٥] في حافاتها والسنورا [٦]
فرويت رمحي من كتيبة خالد وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

---

(١) ذكرها ياقوت في معجمه دون أن يحدد مكانها.
(٢) في حاشية الاصل. وأصبح حيا من هواها مجرداً.
(٣) في حاشية الاصل: «عنا».
(٤) العارفة المعروفة أو الطويلة العرف والصهباء: الحمراء أو الشقراء - القاموس.
(٥) البلق: التحجيل حين يرتفع إلى الفخذين - القاموس.
(٦) السنور: جلة السلاح - القاموس.

قال : فأقام طريفة بن حاجر يكالب من ارتد بمن معه من المسلمين يغير عليهم ويغيرون عليه ، إذ قدم الفجاءة وهو اياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عمير بن خفاف إلى أبي بكر، فقال : يا أبا بكر إني مسلم وقد أردت جهاد من ارتد من الكفار، فاحملني وأعني فإنه لو كان عندي قوة لم أقدم عليك،ولكنني مضعف من الظهر والسلاح ، فسر أبو بكر بمقدمه فحمله على ثلاثين بعيراً ، وأعطاه سلاح ثلاثين رجلاً،فخرج يستعرض المسلم والكافر يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم مع قوم من أهل الردة قد تبعوه على ذلك ، لقد أغار على قوم بالأرحضية [١] مسلمين جاؤوا يريدون أبا بكر فسلبهم وقتلهم ومعه رجل من بني الشريد يقال له نجبة بن أبي المثنى [٢] فلما بلغ أبا بكر خبره وما صنع كتب إلى طريفة بن حاجر :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى طريفة بن حاجر : سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد ﷺ ، أما بعد : فإن عدو الله الفجاءة . أتاني ، فزعم أنه مسلم ، وسألني أن أقويه على قتال من ارتد عن الاسلام فقويته ، وقد انتهى إلي الخبر اليقين : إنه قد استعرض المسلم والمرتد يأخذ أموالهم ويقتل من امتنع منه ،فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله ، أو تأسره ، فتأتيني به في وثاق إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله » .

فقرأ طريفة كتاب أبي بكر على قومه المسلمين ، فحشدوا وصاروا ، وانتهى طريفة ومن معه من المسلمين إلى الفجاءة فقدم نجبة بن أبي المثنى فناوش المسلمين وقتل نجبة وهرب من كان معه إلى الفجاءة،ثم زحف طريفة إلى الفجاءة،

---

(١) موضع قرب بئر معونة بين مكة والمدينة – معجم البلدان .

(٢) في الحاشية « الميثا » ولم أجده في كتب الصحابة .

فلما التقيا وتصادما وجعل المسلمون يرمون بالنبل ، ورمى أصحاب الفجـــاءة شيئاً من مراماة وهم منكسرون لما يرون من انكسار الفجاءة وندامته ،فقال: يا طريفة والله ما كفرت وإني لمسلم ، وإني لعلى ديني ،وما أنت بأولى بأبي بكر مني ، أنت أميره ، وأنا أميره ، فقال طريفة فإن كنت صادقاً فألق السلاح ، ثم انطلق إلى أبي بكر فأخبره خبرك ، فوضع الفجاءة السلاح ، وأوثقه طريفة في جامعة ، فقال : يا طريفة لا تفعل فإنك إن أقدمتني في وثاق أشعرتني ، فقال طريفة : هذا كتاب أبي بكر إليّ أن أبعثك في وثاق. فقال الفجاءة : سمعاً وطاعة ،فبعث به طريفة في جامعة في عشرة من بني سليم، قال : فقدم بالفجاءة على أبي بكر ، فأرسل به إلى بني جشم فحرقه بالنار .

وعن سفيان بن أبي العوجاء ، قال : قدم على أبي بكر قبيصة أحد بني الضربان من بني خفاف فذكر أنه مسلم، وأن قومه لم يرتدوا فأمره أبو بكر أن يقاتل بمن معه من بني سليم على الإسلام من ارتد منهم عن الإسلام ، فرجع قبيصة إلى قومه فاجتمع إليه ناس كثير ممن ثبت على الإسلام فخرج يتبع بهم أهل الردة يقتلهم حيث وجدهم، حتى مر ببيت خميصة بن الحكم الشريدي فيجده قبيصة غائباً ، فجمع أهل الردة ووجد جاراً لخميصة مرتداً فقتله واستاق ماله ومضى حتى نزل منزلاً فذبح أصحابه شاة من غنم جار خميصة ثم راحوا، ويقبل خميصة بن الحكم حتى أتى أهله فأخبروه خبر جاره ، فخرج في طلب القـــوم حتى مر بمنزلهم حيث ذبحوا الشاة فيجد رأس الشاة مملولاً[1] قد تركه القوم، فأخذه فجعل ينهش منه وهو يطلبهم ،فأدركهم وهو ينهش ذلك الرأس والدم يسيل على لحيته، وكان رجلاً أيداً [2] فقال لقبيصة: قتلت جاري، قال إن جارك ارتد عن الإسلام ، قال : فاردد ماله ، فرد قبيصة ماله ، قال : وفقد الشـاة التي ذبحوا فقال : أين الشاة التي ذبحت ؟ فقال: لا سبيل إليها قد أكلها القوم وهم مستحقون

(١) مشوياً أو مدفوناً بالرماد الحار ـ اللسان .
(٢) قوياً .

لذلك في طلب قوم كفروا بعد إسلامهم ، فقال : يا قبيصة أمن بين من كفر تعدو على جار لجأ إلي لأمنعه ، فقال قبيصة : قد كان ذلك فاصنع ما أنت صانع ، فطعن قبيصة بالرمح فوقع في وسط الرحل فدقه وانثنى سنان الرمح وخر قبيصة عن بعيره ، فقال قبيصة لخميصة : إنك قد أشويتني [١] فاكفف فعدل خميصة سنان رمحه بين حجرين ثم شد على قبيصة وهو يقول : أكفف بعد قتل جاري ، لا والله أبداً فطعنه بالرمح فقتله ،وكان أصحاب قبيصة قد فرقهم وبثهم قبل أن يلحقه خميصة ، ثم قدم على أبي بكر .

وعن زيد بن أسلم أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد أما بعد : « فإن أظفرك الله ببني حنيفة فأقلل اللبث فيهم حتى تحدر إلى بني سليم فتطأهم وطأة يعرفون بها ما منعوا فإنه ليس بطن من العرب أنا أغيظ مني عليهم ، قدم قادمهم يذكر إسلاماً ، ويريد أن أعينه ، فأعنته بالظهر والسلاح ، ثم جعل يعترض الناس ، فإن أظفرك الله بهم فلا ألومنك فيهم في أن تحرقهم بالنار ،وأن تهول فيهم القتل حتى يكون نكالاً لهم » .

قالوا : فجعل خالد بن الوليد يبعث الطلائع أمامه وسمعت بنو سليم بمقبل خالد بن الوليد ، فاجتمع منهم ناس كثير ، وجلهم بنو عصية ، واجتمعوا يعترضون لخالد بن الوليد ، واستجلبوا من بقي من العرب مرتداً ، وكان الذي جمعهم أبو شجرة بن عبد العزى فانتهى خالد بن الوليد إلى جمعهم بالجواء [٢] مع الصبح فصاح خالد بن الوليد في أصحابه وأمرهم بلبس السلاح ، ثم صف أصحابه وصفت بنو سليم وقد كل المسلمون وعجف كراعهم وخفهم ، وجعل خالد بن الوليد يلي القتال بنفسه حتى أثخن فيهم القتل ،ثم حمل عليهم حملة واحدة فهربوا

---

(١) أي أصبتني بجراح – النهاية لابن الاثير .

(٢) لم يحدد ياقوت في معجمه مكان الجواء ، وذكر أكثر من موقع في شبه الجزيرة حمل هذا الاسم ، كما تحدث عن واقعة الردة هذه .

وأسر منهم بشر كثير ،فجعل يضرب أحدهم على عاتقه فيجزله باثنين ويبدو سحره، ويضرب الآخر من وسطه .

وعن سفيان بن أبي العوجاء أن خالد بن الوليد حظر لهم حظائر فأحرقهم فيها بالنار فكان ممن أحرق يومئذ : هبيرة بن المرداس ، وسراقة بن المرداس ، وخميصة بن ضرار بن أبي عامر ، وابن خلف بن مرة بن جارية في بشر كثير منهم ، وأعجزه الآخرون ، وكان يومئذ أبو شجرة قد أصاب في المسلمين ، وجرح جراحات كثيرة ، فلما قدم خالد بن الوليد على أبي بكر كان أول ما سأل عنه خبر بني سليم ، فأخبره خالد ، فحمد الله وأثنى عليه،ثم قدم على أبي بكر معاوية بن الحكم ومعه أخوه خميصة بن الحكم مسلمين فقال أبو بكر لخميصة : أنت قتلت قبيصة ورجعت عن الإسلام ؟ قال : إنه قتل جاري ،قال: وإن قتل جارك على ردة قتلته ، ولن تفلت مني حتى أقتلك ، قال أخوه : يا خليفة رسول الله كان يومئذ مرتداً كافراً موتوراً ، وقد تاب اليوم ، وراجع ولكن يا خليفة رسول الله هو يديه ، قال أبو بكر : فأخرج ديته،قال : أفعل يا خليفة رسول الله ، فقال أبو بكر :فنعم الرجل كان قبيصة ونعم السبيل مات عليه ، ثم قال أبو بكر لمعاوية : وعمدتم يا بني الشريد إلى لطيمة بعث بها إلى رسول الله ﷺ فانتهبتموها ، وقلتم إن يقم بهذا الأمر رجل من قريش فلعمري ليرضى أن تدخلوا في الإسلام مع الناس ،فكيف يأخذكم بأمن الطريق إلى رجل قد مات ، فإن طلب ما أخذتم فإنما يطلبها أهل بيته فما كانوا يطلبون ذلك منكم وأنتم أخوالهم ، قال معاوية : نحن نضمنها حتى نؤديها إليك فحمل أبو بكر معاوية اللطيمة التي أصابوها ، ووقت لهم شهرين أو ثلاثة ، قال : فأداها إلى أبي بكر ، ثم إن أبا شجرة أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس ، فجعل يعتذر ويجحد أن يكون قال هذا البيت :

فرويت رمحي من كتيبة خالد ... وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

قال : فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم أبو شجرة، فأناخ راحلته بصعيد بني قريظة، وجاء من حرة شوران [١] ثم أتى عمر وهو يقسم بين فقراء العرب فقال: يا أمير المؤمنين أعطني فإني ذو حاجة، فقال عمر بن الخطاب : من أنت ؟ قال : أنا أبو شجرة بن عبد العزى، قال له عمر : يا عدو الله ألست الذي تقول :

فرويت رمحي من كتيبة خالد وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

فقال عمر: عمر والله سوء ما عشت لك ، ثم جعل عمر يعلوه بالدرة على رأسه حتى سبقه عدواً ، وعمر في طلبه ، فرجع أبو شجرة مولياً إلى راحلته فارتحلها ثم شد بها في حرة شوران راجعاً إلى أرض بني سليم ، فما استطاع أبو شجرة أن يقرب عمر حتى توفي وإن كان إسلامه لا بأس به ، وكان إذا ذكر عمر ترحم عليه ويقول : ما رأيت أحداً أهيب من عمر بن الخطاب .

قال الواقدي : حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد ، حديث عبد الله بن الحارث عن أبيه عن سعيد بن أبي العوجاء ، فقال : حدثني هشام بن عروة عن أبيه قال : لما قدم أبو شجرة أدخل راحلته بعض دور المدينة ، ودخل المسجد متنكراً فاضطجع فيه ، وكان عمر قل شيء يظنه إلا كان حقاً ، فبينا عمر رحمه الله جالساً في أصحابه وأبو شجرة مضطجع ، فقال عمر : إني لأرى هذا أبا شجرة، فقام حتى وقف عليه، فقال: من أنت ؟ قال رجل من بني سليم، قال: انتسب ، قال : فلان بن عبد العزى ، قال فما كنيتك ، قال أبو شجرة ، قال : فعلاه بالدرة وهو يقول له : أنت الذي قلت :

فرويت رمحي من كتيبة خالد وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

ثم يقول عمر رحمه الله : عمر والله سوء ما عشت لك يا خبيث فقال أبو شجرة : في ذلك .

---

(١) ليس بعيداً عن المدينة - انظرها في معجم البلدان .

قال الواقدي : أنشدنيها ابن أبي ذئب عن هشام بن عروة عن أبيه :

ضن علينا أبو حفص بنـــائله ... وكل مختبط يومـــاً له ودق (١)
ما زال يرهقني حتى حذيت له ... وحال من دون بعض البغية الشفق
لما لقيت أبا حفص وشرطتـــه ... والشح يقرع أحيـــاناً فينحمق
ثم ارعويت إلى وجناء كاسرة ... مثل الطريرة لم تثبت لهـا الأفق
أقبلها الخل من شوران صادرة ... إني لأزري عليهـا وهي تنطلق
تطير مروراً خطاها عن مناسمها ... كما ينقد عنـــد الجهبذ الورق
إذا يعارضها خرق تعارضه ... ورهاء فيها إذا استعجلتها خرق
ينوء آخرها منها وأولهـــا ... سرح اليدين معاً نهاضة العنق

(١) الودق – المطر .

ردة البحرين

يعقوب بن محمد الزهري عن إسحق بن يحيى بن طلحة عن عمه عيسى بن طلحة قال : لما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ ، قال صاحب المدائن: من يكفيني أمر العرب فقد مات صاحبهم ، وهم الآن يختلفون بينهم إلا أن يريد الله عزوجل بقاء ملكهم فيجتمعوا على أفضلهم ، فإنهم إن فعلوا صلح أمرهم وبقي ملكهم وأخرجوا من أرضهم العجم ، قالوا : نحن ندلك على أكمل الرجال ، قال : من ؟ قالوا : نخارق بن النعمان ليس في الناس مثله ، وهو من أهل بيت قد دوخوا العرب وذلت لهم ،وهؤلاء جيرانك بكر بن وائل فأرسل منهم ناساً مع نخارق ، فأرسل معه ستمائة من بكر بن وائل ، الأشرف فالأشرف ، وارتد أهل هجر عن الإسلام فتوجه نخارق نحو هجر .

وعن الحسن بن أبي الحسن أن الجارود قام في قومه ، فقال : يا قوم ألستم تعلمون ما كنت عليه من النصرانية وإني لم آتكم قط إلا بخير ، وإن الله تعالى بعث نبيه فنعى له نفسه وأنفسكم فقال : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وقال : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً﴾ وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأتحملها عن من أبى .

وعن اسماعيل بن عبيد الله بن عبد الله عن أبيه بسنده قال : لما قبض رسول الله ﷺ قام الجارود في قومه ،فقال : ماشهادتكم أيها الناس على موسى؟ قالوا : نشهد أنه رسول الله ، قال : فما شهادتكم على عيسى ؟ قالوا : نشهد أنه رسول ، قال : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عاش كما عاشوا

ومات كما ماتوا ، وأتحمل شهادة من أبى أن يشهد على ذلك ، فلم يرتد من عبد القيس أحد ، وكان رسول الله ﷺ قال حين وفدوا عليه : « عبد القيس خير أهل المشرق ، اللهم اغفر لعبد القيس ثلاثاً ، وبارك لهم في ثمارهم » فخرجوا مسرورين بدعوته ، وأهدوا له من طرائف ثمارهم وثبتوا على الإسلام حين الردة وكان الثمر الذي أهدوا له التمضوض [١] قال بعضهم : وكان النبي ﷺ استعمل: أبان بن سعيد بن العاصي على البحرين ، وعزل العلاء بن الحضرمي فسأل أبان رسول الله ﷺ أن يحالف عبد القيس فأذن له فحالفهم .

قال إسحق بن يحيى في حديثه : فلما بلغ أبان بن سعيد مسير من سار إليه مرتدين ، قال لعبد القيس : بلغوني مأمني فأشهد أمر أصحاب رسول الله ﷺ ، فليس مثلي يغيب عنهم فأحيا بحياتهم وأموت بمماتهم ، قالت عبد القيس : لا تفعل فأنت أعز الناس علينا وهذا علينا وعليك فيه مقالة ، يقول قائل : فر من القتال ، فأبى وانطلق معه ثلاثمائة رجل يبلغونه المدينة ، فوجدوا أبا بكر قد بعث البعوث وفتح اليمامة ، فقال أبو بكر لأبان : ألا ثبت مع قوم لم يبدلوا ولم يرتدوا ؟ ! فقال : ما كنت لأعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ .

وذكر أبان من عبدالقيس خيراً، فدعا أبو بكر العلاء بن الحضرمي فبعثه إلى البحرين في ستة عشر راكباً ، وقال : امض فإن أمامك عبد القيس ، فسار بهم حتى بلغ عبد القيس ، ومر بثمامة بن اثال الحنفي فأمده برجال من قومه من بني سحيم ، ولحق به ثمامة ، فخرج العلاء بمن معه حتى نزل بحصن يقال له جواثى ، وكان بخارق قد نزل بمن معه من بكر بن وائل المشقر [٢] فسار إليهم العلاء بن الحضرمي فيمن اجتمع إليه من المسلمين فقاتلوهم قتالاً شديداً حتى

---

(١) هو ضرب من التمر . النهاية لابن الاثير .

(٢) جواثى : مدينة الخط ، المشقر مدينة هجر بالبحرين . معجم البلدان

كثرت القتلى ، وأكثرها في أهل الردة ، والجارود بالخط [١] يبعث البعوث إلى العلاء بن الحضرمي ، فبعث مخارق الحطم بن شريح بن شرحبيل بن ضبيعة بن عمر وبن مرثد ، أحد بني قيس بن ثعلبة إلى مرزبان الخط يستمده فأمده بالأساورة ، فنزل الحطم ردم القراح [٢] ، وقد كان الحطم قد حلف أن لا يشرب الخمر حتى يرى هجر ، فقالوا له : هذه هجر ، وأخذ المرزبان الجارود رهينة عنده .

قال يعقوب بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال : أخذ الحطم الجارود فشده في الحديد وجعله في الزأرة [٣] ، فسار الحطم وأبجر بن جابر العجلي فيمن معهما حتى حصروا العلاء بن الحضرمي بجواثى . فقال عبد الله بن حذف أحد بني عامر بن صعصعة :

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً ... وسكان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى نفر يسير ... مقيم في جواثى محصرينا
كأن دماءهم [٤] في كل شمس ... شعاع الشمس يغشين العيونا
توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا الربح [٥] للمتوكلينا

فمكثوا كذلك محصورين .

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، قال: كتب الجارود إلى العلاء بن الحضرمي: إنهم ضباع الليل ليوث النهار ، فسمع العلاء وأصحابه ذات ليلة لغطاً في عسكر المشركين ، فقالوا : والله لوددنا أن لو علمنا أمرهم ، فقال عبد الله بن حذف :

---

(١) خط عمان من قراه القطيف والعقير وقطر . معجم البلدان .
(٢) قرية كبيرة لبني عامر بالبحرين – معجم البلدان .
(٣) في حاشية الاصل : الزاوة : جماعة الابل والله أعلم ، وفي النهاية لابن الاثير : الزأرة هي الاجمة .
(٤) في حاشية الاصل : الضمر للدماء ؟
(٥) في حاشية الاصل : النصر .

أنا أعلم لكم علمهم فدلوني بحبل ، فدلوه ،وأمه امرأة من بني عجل ، فأقبل حتى يدخل على أيحر بن جابر ، قال : فلما رآه أيحر بن جابر ، قال : ما جاء بك لا أنعم الله بك عيناً ؟ قال : يا خال الضر والجوع وشدة الحصار ، وأردت اللحاق بأهلي فزودني ، قال أيحر : أفعل والله ، على أني لأظنك غير ذلك ، بئس ابن الأخت سائر هذه الليلة ، فزوده وأعطاه بغلين . قال : عبد الله بن حذف وأخرجني من العسكر ، فخرج معه أيحر حتى برزا ، فقال له أيحر : انطلق فو الله إني لأراك بئس ابن الأخت أنت هذه الليلة ، فمضى ابن حذف كأنه لا يريد الحصن حتى أبعد ، ثم عطف فأخذ بالحبل فصعد الحصن ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ورائي والله إني تركتهم سكارى لا يعقلون قد نزل بهم تجار من تجار الخمر ، فاشتروا منهم ثم وقعوا فيها ، فإن كانت بكم حاجة بهم فالليلة فنزل إليهم المسلمون فبيتوهم ووضعوا فيهم سلاحهم حيث شاؤوا .

وفي حديث آخر قال عن أبي بكرة : جاء العلاء بن الحضرمي في ثلاثمائة ليلاً فوضعوا سيوفهم على عواتقهم ، وقال اسحق بن يحيى بن طلحة في حديثه : كان العلاء بن الحضرمي في ثلاثمائة وستة وعشرين من المهاجرن فطوقوهم فوجدوهم قد ثملوا فقتلوهم ، فلم يفلت منهم أحد ، ووثب الحطم وهو سكران فوضع رجله في ركاب فرسه ، ثم جعل يقول : من يحملني فسمعه عبد الله بن حذف فأقبل نحوه ، وهو يقول : أبا ضبيعة ؟ قال : نعم ، قال : أنا أحملك ، فلما دنا منه ابن حذف ضربه حتى قتله وقطعت رجل أيحر ابن جابر العجلي ، قال غيره : قطعها قيس بن عاصم المنقري فمات منها ، وقد كان حين قطعت رجله قال : قاتلك الله يا بن حذف ما أشأمك ، وقتل ليلتئذ مسمع بن سنان أبو المسامعة ، وانهزم الذين بقوا حتى صاروا في ناحية من البحرين فعصموا بمفروق الشيباني .

وقال اسحق بن يحيى في حديثه : فأصبح ما أفاء الله تعالى على المسلمين من

خيولهم وما سوى ذلك عند العلاء في حصن جواثى ، ثم سار العلاء إلى المدينة فقاتلهم قتالاً شديداً ، وهزمهم الله حتى لجؤوا إلى باب المدينة فضيق عليهم ، فلما رأى ذلك مخارق ومن معه قالوا : إن خلوا عنا رجعنا من حيث جئنا ، فشاور العلاء أصحابه فأشاروا عليه أن يخلي عنهم ، فخرجوا فلحقوا ببلادهم وبقي أهل المدينة قالوا : نكر بمفروق الشيباني فنقاتلهم ، قال عبد الله ابن حذف :

لا توعدونا بمفروق وأسرته ... إن يأتنا يلق فينا سنة الحطم
النخل ظاهرها خيل وباطنها ... خيل تكدس بالفتيان كالنعم
وإن ذا الحي من بكر وإن كثروا ... لأمة داخلون النار في أمم

فطلب أهل المدينة الصلح والأمان فيها ، فصالحهم العلاء على ثلث ما في المدينة من أموالهم وما كان من شيء خارجاً منها فهو له ، فبعث العلاء بمال كثير إلى المدينة ، ثم سار العلاء إلى الخط حتى نزل على الساحل .

وعن إبراهيم بن أبي حبيبة قال : حبس لهم البحر حتى خاضوه إليهم وجازه العلاء وأصحابه مشياً على أرجلهم ، كانت تجري فيه السفن قبل ، ثم جرت فيه بعد ، فقاتلهم فأظفره الله بهم وسلموا له ما كانوا منعوا من الجزية التي صالحهم عليها رسول الله ﷺ .

وقال اسحق في حديثه : جاء العلاء نصراني وهو على الساحل فقال له : ما لي إن دللتك على مخاضة تخوض منها الخيل إلى دارين[1] ؟ قال : وماتسألني ؟ قال أهل بيت بدارين قال : هم لك . قال : فخاض به وبالخيل إليهم فظهر عليهم عنوة ، وسبى أهلها ، ثم رجع إلى عسكره ، فلما رأى ذلك أهل الردة من أهل البحرين سألوه الصلح على ما صالح عليه أهل هجر ، وكان صلح البحرين إن لنا ذمة الله ، وذمة رسوله ، وذمة أبي بكر ، وذمة العلاء بن الحضرمي ، قال : فأقام العلاء

(١) فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان .

عليها أميراً ووفد منهم أربعة عشر رجلاً إلى أبي بكر ، فنزل سبعة على طلحة ابن عبيد الله وسبعة على الزبير ، فقبل أبو بكر منهم .

وفي كتاب الواقدي عن موسى بن عقبة عن ابن كعب قال : ارتدت ربيعة بالبحرين فيمن ارتد إلا الجارود العبدي ، فإنه ثبت على الإسلام هو ومن معه من قومه ، وقام حين بلغته وفاة رسول الله ﷺ وارتدت العرب ، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأكفر من لم يشهد ، ويلكم اتقوا الله فإن كنتم تعبدون الله في حياة محمد فاعبدوه بعد وفاته ، فاجتمعت ربيعة البحرين ، فقالوا : قد رجع الملك إلى المنذر ، وملك المنذر بن النعمان ، وكان يسمى الغرور، فقال بعد أن أسلم الناس وأسلموا ، وغلبهم السيف : لست بالغرور ولكني المغرور ، فسار الخارق بن النعمان فيمن معه وهم ستمائة ، فنزلوا المشقر وقدم المرزبان من اصطخر[1] ، ويقال : الخارق بن النعمان وذكر نحو ما تقدم مما في كتاب يعقوب الزهري من أول القصة إلى آخرها .

وفي كتاب الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة عن أبي الحويرث : لما ظهر العلاء بن الحضرمي على البحرين من أهل الردة والمجوس ، بعث العلاء أربعة عشر رجلاً وفدوا الى أبي بكر من أهل البحرين ، حتى قدموا المدينة ، فنزلوا على طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وهم يعني الوفد من عبد القيس من رؤسائهم وأخبروا الزبير وطلحة بمسارعتهم الى الإسلام وقيامهم في الردة ، فقالا : تدخلون على أبي بكر ، فدخل القوم على أبي بكر وحضر الزبير وطلحة ، فقالوا : يا خليفة رسول الله إنا قوم أهل سلام ، وليس شيء أحب الينا من رضاك ، ونحن نحب أن تعطينا أرضاً من أرض البحرين وطواحين ، فأبى أبو بكر ، وكلمه في ذلك طلحة والزبير فقال أبو بكر : أفعل ، وقال : اشهدوا اني قد فعلت وأعطيتهم كل ما سألوني وعرفت لهم قدر اسلامهم ،

---

(١) من أقدم مدن فارس وعواصم ملكهم الاولى ـ معجم البلدان .

فجزوه خيراً ، فلما خرجوا من عنده قال لهم طلحة : ان هذا الأمر لا نراه يليه بعد أبي بكر إلا عمر ، فكلموا أبا بكر يكتب لكم كتاباً ويشهد فيه عمر فلا يكون لعمر بعد هذا اليوم كلام، فعادوا الى أبي بكر فذكروا له ذلك فدعا عبد الله بن الأرقم ، فقال اكتب لهم بهذا الذي أعطيتهم واشهدوا عشرة رجال من قريش والأنصار فيهم : طلحة والزبير وعثمان بن عفان ، وسعيد بن زيد ، وعاصم بن عدي وأسيد بن حضير ، وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ،وعمر ابن الخطاب ليس بحاضر ،فقالوا: نلقاه فنخبره بشهادته ،فانطلقوا إلى عمر فأقرؤوه الكتاب فلما قرأه فض الخاتم ثم تفل فيه ، ورده عليهم ، فأقبل الوفدعلى طلحة، فقالوا : هذا عملك . أنت أمرتنا أن يشهد عمر ، واتهموه في أمرهم ، فقال طلحة : والله ما أردت به إلا الخير فرجعوا إلى أبي بكر غضاباً فخبروه الخبر ودخل طلحة والزبير على تلك الحال ، فقالا : والله ما ندري أنت الخليفة أو عمر ؟ فقال أبو بكر : وما ذاك ؟ فأخبروه الخبر ، فقال أبو بكر فما صنع عمر بالكتاب ؟ فأخبروه أنه فض الخاتم وتفل في الكتاب ومحاه ، فقال أبو بكر : لئن كان عمر كره من ذلك شيئاً فإني لا أفعله ، فبينا هم كذلك إذ جاء عمر ، فقال له أبو بكر : ما كرهت من هذا الكتاب ؟ فقال : كرهت أن تعطي الخاصة دون العامة ، ولكن اجعل أمر الناس واحداً ، لا يكون عندك خاصة دون عامة ، وإلا فأنت تقسم على الناس فيئهم فتأبى تفضل أهل السابقة وأهل بدر على ما تعطي الناس ، وتعطي هؤلاء قيمة عشرين ألفاً دون الناس ، فقال أبو بكر : وفقك الله وجزاك خيراً فهو هذا الحق .

ذكر ردة أهل دَبا[١] وأزد عُمان

قال الواقدي : قالوا : وقدم وفد الأزد من دبا مقرين بالإسلام على النبي ﷺ فبعث عليهم مصدقاً منهم يقال له حذيفة بن اليمان الأزدي من أهل دبا ، وكتب له رسول الله ﷺ فرائض صدقات أموالهم فكان يأخذها من أغنيائهم ويردها على فقرائهم وبعث إلى رسول الله ﷺ بفرائض لم يجد لها موضعاً ، فلما توفي النبي ﷺ منعوا الصدقة وارتدوا ، فدعاهم حذيفة إلى التوبة ، فأبوا وأسمعوه شتم النبي ﷺ ، وقال : يا قوم أسمعوني الأذى في أبي وأمي ، ولا تسمعوني الأذى في رسول الله ، فأبوا إلا ذلك ، وجعلوا يرتجزون ويقولون :

لقد أتانا خبر ردي .

أمست قريش كلها نبي .

ظلم لعمر الله عبقري .

قال : فكتب حذيفة إلى أبي بكر يخبره بشتمهم رسول الله ﷺ وأبا بكر وامتناعهم من الصدقة ، فاغتاظ أبو بكر عليهم غيظاً شديداً ، فقال : من لهؤلاء ؟ ويل لهم ، وبعث عكرمة بن عمرو[٢] .

وعن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، قال : كتب أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل ، وكان النبي ﷺ استعمله على سفلي بني عامر بن صعصعة مصدقاً ، فلما توفي النبي ﷺ انحاز عكرمة إلى تبالة[٣] في أناس من العرب ثبتوا على

---

(١) سوق من أسواق العرب بعمان . معجم البلدان .

(٢) جاء بالحاشية : هو ابن أبي جهل . ومعروف أن اسمه « عمرو بن هشام » .

(٣) بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن ـ معجم البلدان .

الإسلام فكان مقيماً بتبالة من أرض كعب بن ربيعة ، فجاءه كتاب من أبي بكر الصديق ، وكان أول بعث بعثه أبو بكر إلى أهل الردة: أن سر فيمن قبلك من المسلمين إلى أهل دبا .

فسار عكرمة في نحو من ألفين من المسلمين ، ورأس أهل الردة لقيط بن مالك ، فلما بلغه مسير عكرمة في المسلمين بعث لقيط ألف رجل من الأزد يلقون عكرمة ، فبلغ عكرمة أنهم في جموع كثيرة، فلقيهم عكرمة في أصحابه، ولعكرمة طليعة ولأصحاب لقيط طليعة فالتقت الطليعتان ، فتناوشوا ساعة ثم انكشف أصحاب لقيط ، وبعث أصحاب عكرمة فارساً يخبر عكرمة ، فلما أتاه الخبر أسرع عكرمة بأصحابه ومن معه حتى لحق طليعته ثم زحفوا جميعاً ميمنة وميسرة وسار على تعبئة حتى أدرك القوم ، والتقوا فاقتتلوا ساعة ، ثم رزق الله عكرمة عليهم الظفر ، وهزمهم وأكثروا فيهم القتل ، وخرجوا منهزمين راجعين إلى لقيط بن مالك ، فأخبروه أن جمع عكرمة مقبل إليهم ، وأنه لا طاقة لهم به ، وفقدوا من أصحابهم بشراً كثيراً ، منهم من قتل ومنهم من أسره عكرمة أسراً ، فلما انتهوا إلى لقيط مفلولين ، قوي حذيفة بن اليمان بمن معه من المسلمين فناهضهم حذيفة وناوشهم ، وجاء عكرمة في أصحابه ، فقاتل معه فأصابوا منهم مائة أو نحوها في المعركة ، ثم انهزموا حتى دخلوا مدينة دبا، فتحصنوا فيها وحصرهم المسلمون في حصنهم شهراً أو نحوه ، وشق عليهم الحصار ، وذلك أنهم لم يأخذوا للحصار أهبته فأرسلوا إلى حذيفة رجلاً منهم يسألونه الصلح ، فقال : لا إلا بين حرب مجلية ، أو سلم مخزية ، قالوا: أما الحرب المجلية فقد عرفناها فما السلم المخزية ؟ قال : تشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، وأن ما أخذنا منكم فهو لنا ، وأن ما أخذتموه منا فهو رد علينا ، وأنا على حق وأنكم على باطل وكفر ، ونحكم فيكم بما رأينا فأقروا بذلك ، فقال : اخرجوا من مدينتكم عزلاً لا سلاح معكم ، ففعلوا

فدخل المسلمون حصنهم، فقال حذيفة : إني قد حكمت فيكم أن أقتل أشرافكم، وأسبي ذراريكم ، فقتل من أشرافهم مائة رجل ، وسبى ذراريهم، وقدم حذيفة بسبيهم إلى المدينة ، وأقام عكرمة بدبا عاملاً عليها لأبي بكر، فلما قدم حذيفة بسبيهم إلى المدينة اختلف فيهم المسلمون .

وعن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده ، قال : لما قدم بسبي أهل دبا وفيهم أبو صفرة غلام يومئذ لم يبلغ ، فأنزلهم أبو بكر دار رملة بنت الحارث ، وهو يريد أن يقتل من بقي من المقاتلة ، وهم ثلاثمائة من المقاتلة، وأربعمائة من الذرية والنساء ، فكان من كلام عمر له : يا خليفة رسول الله قوم مؤمنون إنما شحوا على أموالهم ، والقوم يقولون : والله ما رجعنا عن الإسلام ، ولكن شححنا على أموالنا ، فيأبى أبو بكر أن يدعهم بهذا القول ، ولم يزالوا موقفين في دار بنت الحارث حتى توفي أبو بكر رحمه الله وولي عمر، فدعاهم ، فقال : قد كان من رأيي يوم قدم بكم على أبي بكر أن يطلقكم ، فكان يومئذ ذلك ، وقد أفضى إلي الأمر فانطلقوا إلى أي البلاد شئتم فأنتم قوم أحرار لا فدية عليكم، فخرجوا حتى نزلوا البصرة ورجع بعضهم إلى بلاده، فكان أبو المهلب [1] ممن نزل البصرة .

وعن عمر بن عبد العزيز قال : كان أهل دبا سبوا ، فقضى فيهم عمر بن الخطاب بأربعمائة درهم فداء ، ثم نظر في ذلك فقال : لا سبو في الإسلام فهم أحرار حيث أدركتموهم .

وعن ابن عباس قال : استشار أبو بكر فيهم ، فكان رأي المهاجرين قتلهم أو يفديهم بأغلى الفداء ، وكان عمر يرى أن لا قتل عليهم ، ولا فداء ، فلم يزالوا محتبسين حتى ولي عمر ، فأرسلهم بغير فداء .

---

(١) أبو المهلب القائد الكبير في الحروب ضد الخوارج في العصر الاموي .

وفي كتاب يعقوب بن محمد الزهري نحو ما ذكر الواقدي ، وفيه عن عروة قال : لما قدم أهل غزو ديا المدينة قافلين ، أعطاهم أبو بكر خمسة دنانير خمسة دنانير .

قال يعقوب عن ابن معن: وأقام عكرمة بعمان ، ثم مضى يطأ مهرة ويقتلهم ويسبي منهم ناساً ، ومضى حتى خرج على اليمن .

* * *

ردة صنعاء

ذكر يعقوب بن محمد الزهري عن محمد بن معن عن أشياخه أن الأسود بن كعب [١] العنسي ، كان ادعى النبوة في عهد النبي ﷺ واتبع على ذلك ، فتزوج المرزبانة امرأة باذان الفارسي وكانت من عظماء فارس وقسرها [٢] على نكاحها فأبغضته أشد البغض ، وسمعت به بنو الحارث بن كعب من أهل نجران وهم يومئذ مسلمون ، فأرسلوا إليه يدعونه أن يأتيهم في [٣] بلادهم فجاءهم فاتبعوه وارتدوا عن الإسلام .

قال بعض أهل صنعاء من الأبناء وهو يحدثني : دخلها الأسود يوم دخلها في آلاف من حمير ، يدعي النبوة ويشهدون له بها ، فنزل غمدان [٤] ، فلم يتبعه من النخع ولا من جعفى أحد ، وتبعه ناس من : زبيد ، ومذحج ، وعنس ، وبني الحارث ، وأود ، ومسلية ، وحكم .

قال ابن معن : وأقام الأسود بنجران يسيراً ، ثم رأى أن صنعاء خير له من نجران ، فسار إليها في ستمائة راكب من بني الحارث فنزل صنعاء فأبت الأبناء أن يصدقوه ، فغلب على صنعاء واستذل الأبناء بها وقهرهم وأساء

---

(١) شهر باسم « عبهلة » وأنه كان من أقيال اليمن ، كما كان كاهناً وقد أقر على قيالته ، انظر مادة قيل في النهاية لابن الاثير ومادة عبهل في القاموس ، وانظر أيضاً فتوح البلدان للبلاذري ط . القاهرة ١٩٣٢ ص ١١٣ .

(٢) أي أجبرها ، هذا ويرى بعض العرب الذين أسلموا قيادهم الفكري إلى الماركسية في ردة اليمن حركة تمرد فلاحية ضد الارستقراطية القرشية والمتعاونين معها من الابناء .

(٣) كانت بلادهم نجران ، انظر ما يلي .

(٤) من قصور اليمن القديمة وهو أكثرها شهرة هدم أيام عثمان بن عفان ، معجم البلدان .

جوارهم لتكذيبهم اياه ، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد ،وقال بعضهم: هو خزاعي يقال له وبر بن يحنس ، الى الأبناء في أمر الأسود ، فدخل صنعاء مختفياً ، فنزل على داذوي [1] الأبناوي ، فخبأه عنده ، وتآمرت الأبناء بقتله فتحرك في قتله نفر منهم : قيس بن عبد يغوث المكشوح ، وفيروز بن الديلمي وداذوي الأبناوي ، وكانت المرزبانة قد أبغضت الأسود أشد البغض فوعدتهم موعداً فسقت الأسود الخمر فسكر فسقط نائماً كالميت ، فدخل عليه فيروز الديلمي وقيس ونفر معهما فوجدوه على فراش عظيم من ريش قد غاب فيه ، فأشفق فيروز أن يتعادى عليه السيف ان ضربه به ، فوضع فيروز ركبته على صدر الكذاب ، ثم فتل عنقه فحولها حتى حول وجهه من قبل ظهره ، وأمر فيروز قيساً فاحتز رأسه فرمى به الى الناس،ففض الله الذين اتبعوه وألقى عليهم الخزي والذلة .

قال غير ابن معن : وخطب الناس قيس بن مكشوح ، وأظهر أن الكذاب قتل بتكذيبه على الله ، وأن محمداً رسول الله .

قال صالح مولى التوأمة: قال رسول الله ﷺ حين ذكر الأسود : « قتله الرجل الصالح فيروز بن الديلمي » ، وانما علم النبي ﷺ بمقتله في مرضه الذي توفي فيه ، فلما قتل الأسود ، وتوفي النبي ﷺ ، رد فيروز وداذوي الأمر الى قيس بن المكشوح ، فكان أمير صنعاء وبها يومئذ جماع من أصحاب الأسود الكذاب ، فلما بلغتهم وفاة رسول الله ﷺ ثبت قيس والأبناء وأهل صنعاءعلى الإسلام الا أصحاب الأسود ، ثم ان قيس بن المكشوح خاف فيروز وداذويأن يغلباه على سلطان صنعاء فأجمع أن يفتك بهما فأرسل اليهما فدعاهما ، فجاءه دادوي فقتله ، وأقبل فيروز يريده فأخبر بقتل داذوي فهرب الى أبي بكر رحمه الله .

---

(١) ويرسم « داذويه » .

وعن عبد الرحمن بن خلف قال : خرج داذوي الى ثات [١] فدعاه قيس ابن المكشوح الى منزله فقال له قيس:هل لك في « ما هي تازاه وماي، بختج» ؟ يعني « بما هي تازاه » : سمك طري ، « وماي بختج » طلاء [٢] منصفاً [٣] ، فأجابه داذويه الى منزله ، فسقاه الخمر ، ثم غدر به فقتله ، فبلغ فيروز الخبر وفي رجليه خفان ساذجان فهرب ماشياً فقطع خفيه فحلف فيروز ألا يكسو أحداً من ولده خفاً ساذجاً ، فقال قيس :

قد علمت سلمى وجاراتها ... ما قطر الفارس [٤] الا أنا
هتكت بالرمح سرابيله ... والخيل تغدو زيما حولنا
سررت عنساً وبني عامر ... وكنت من قبل لها محسنا

فقال عمرو بن معدي كرب :

سبى الأطفال واجتز النواصي ... من الأبطال وانتسف الديارا
فلم يقتله مستلماً حنيفاً ... ولكن بعدما شرب العقارا [٥]

قال وارتد قيس بن المكشوح : قال بعضهم : واخرج الأبناء من صنعاء فلم يبق بها أحداً الا في جوار، فقال الشعبي [٦] : باليمن رجلان لو انبغى لأحد أن

---

(١) مخلاف باليمن – معجم البلدان .

(٢) الطلاء الشراب ، وهو ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه وتسميه العجم المبختج، لسان العرب ،

(٣) أي مخدوما – اللسان .

(٤) في حاشية الاصل « الاسود » .

(٥) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي . ط . دمشق ١٩٧٤ . ص : ١٠١ مع فوارق بالرواية .

(٦) هو عامر بن شراحيل (١٩ - ١٠٣ / ٦٤٠ - ٧٢١) الشعبي الحميري ، من التابعين يضرب المثل بحفظه ، نال شهرة كبيرة في العصر الاموي ، ولد بالكوفة وفيها مات فجأة ، الاعلام الزركلي .

يسجد لشيء دون الله لانبغي لأهل اليمن أن يسجدوا لهما : سيف بن ذي يزن في الحبشة ، وقيس بن مكشوح في الأبناء الذين بصنعاء ، يعني اخراجه اياهم ، وكان خالد بن سعيد بن العاصي في ناحية أرض مراد فسار يؤم صنعاء .

وعن النعمان بن فروخ الفارسي وكان قد أدرك ذلك قال : لما بلغ خالد بن سعيد رحبة صنعاء قتل شرحبيل بن الصباح صبراً [١] ، وكان مرتداً ، ثم دخل صنعاء فسأله أبو حبة بن الصباح جيفة أخيه المقتول شرحبيل فوهبها له فدفنه .

قال : في الحديث الأول : فاستعدى فيروز خالد بن سعيد على قيس في قتل داذوي ، فبعث إليه من يأتي به ، فذهب الرسول فأخذه ثم أقبل به حتى اذا كان قريباً من صنعاء اختدع قيس الرسول حتى انفلت منه ، فدخل على خالد ابن سعيد فقال : من جاءكم مسلماً قد أصاب في الجاهلية أشياء ما عليه ؟ فقال له خالد : هدم الإسلام ما قبله ، قال: فأسلم قيس ثم خرج مع خالد الى الصلاة فيجد فيروز في المسجد ، فقال له قيس : يا فيروز هل لك حاجة الى الأمير ، فانكسر فيروز ثم دخل فيروز على خالد فاستعداه على قيس فأعلمه أن اسلامه قد أحرزه ، فركب فيروز الى أبي بكر فاستعداه على قيس .

قال ابن معن : فبعث أبو بكر الى عكرمة بن أبي جهل ، وهو يومئذ بأرض عمان أن سر في بلاد مهرة حتى تخرج على صنعاء ،فخذ قيس بن مكشوح المرادي فابعث به الي في وثاق ، فسار عكرمة حتى دخل أرض مهرة فقاتلهم فقتل فيهم وسبى ، ووطئهم كذلك ، لا يطأ قوماً الا قاتلوه وقاتلهم ، فقتل منهم وسبى حتى رجعوا الى الإسلام ، وبعث بسبيهم الى أبي بكر بالمدينة ، ثم مضى على وجهه حتى خرج الى صنعاء ، فلقيه قيس بن عبد يغوث وهو لا يدري بالذي أمر فيه ، فأمر به عكرمة فجعل في جامعة ، ثم بعث به الى أبي

---

(١) أي أعدمه بالسيف .

بكر، فلما دخل عليه عرّفه أبو بكر بقتل داذوي فحلف له ما يدري من أمره شيئاً وما يدري من قتله ، وكتب أبو بكر الى عكرمة فقفل هو وجيشه الى المدينة ، ورغب قيس بن عبد يغوث في الجهاد في سبيل الله ، فخرج الى قومه من مذحج فاستجلبهم الى الجهاد ، ورغبهم فيه ، فخفوا في ذلك ، فخرجوا حتى توجهوا الى من بعث أبو بكر الى الشام ، فذلك أول نزول مذحج الشام .

قال ابن معن: ثم ان الأصفر العكي خرج هو وجماعة من قومه ممن ثبت على الإسلام حتى دخل نجران وهو يريد قتال بني الحارث ، فلما دخل عليهم الأصفر رجعو إلى الإسلام من غير قتال ، فأقام الأصفر على نجران وضبطها وغلب عليها، ثم أمر أبو بكر المهاجر بن أبي أمية أن يستنفر من مر به من مضر ويقويهم ويعطيهم من مال أعطاه أبو بكر ، فسار المهاجر يؤم صنعاء معه سرية من المهاجرين والأنصار ، فيجد المهاجر بنجران الأصفر العكي ، ثم سار المهاجر إلى صنعاء ومعه بشر كثير ، فلقي جماعة من أصحاب الأسود منفضين فأخذ عليهم المهاجر الطريق وألجأهم إلى غيضة ، فقتل منهم وأسر ، ثم أقبل بالأسرى ومضى حتى دخل صنعاء وقد كانت طوائف من زبيد ارتدت منهم عمرو بن معديكرب ، وقال عمرو وهو يهجو فروة بن مسيك وهو يومئذ عامل النبي ﷺ :

وجدنا ملك فروة شر[1] ملك ... حمار حاف منخره بعذر
وكنت إذا رأيت أبا عمير ... ترى الحولاء من كذب وعذر[2]

وكان فروة يكنى أبا عمير ، فاجتمع إلى خالد بن سعيد من ثبت على الإسلام من مراد وسائر مذحج ، فلقي فيهم بني زبيد فانهزمت زبيد وظفر بهم خالد فسبى منهم نسوة منهم امرأة عمرو بن معديكرب جلالة ، وكانت جلالة

---

(١) في حاشية الاصل : شان .

(٢) ديوانه : ١٠٩ مع فوارق شديدة .

أحسن الناس ، وكان عمرو فيما ذكروا غائباً عن قتال أصحابه ، فلما ظفر خالد سألت زبيد من خالد بن سعيد أن يقرهم على الإسلام ، ويكف عنهم ، فكف عنهم خالد وأسلموا ، وبلغ عمرو بن معديكرب الخبر، فأقبل حتى نزل بجانب عسكر خالد ، ثم خرج ليلاً فتلطف حتى يلقى جلالة ، فقال : يا جلالة ما صنع بك خالد ؟ قالت : لم يصنع بي إلا خيراً ولم يعرض علي من أمره إلا كرماً ، قال : هل قربك ؟ قالت : لا والله ما يحل ذلك له في دينه ،قال: فورب الكعبة إن ديناً منعه منك لدين صدق .

فلما أصبح عمرو ، غدا على خالد فقال : ما تريد يا خالد بجلالة ؟ قال : قد أسلمت فإن تسلم أردها إليك ، فأسلم عمرو ، فردها إليه ، وقدم خالد المدينة .

وعن الزهري قال : لما قدم خالد لقي علياً رحمه الله ، فقال : أغلبتم على أمركم بني عبد مناف ؟! فقال عمر : وينزل أمر الله على المغالبة، فحملها عمر ولم يحملها عليه أبو بكر .

وقال غيره من علماء قريش : فكف خالد عن بيعة أبي بكر ، وكف أبو بكر عن طلب البيعة منه حتى مر به أبو بكر ذات يوم منقلباً من السوق،فدعاه خالد ، فأتاه فبايعه .

ثم قدم عمرو بن معديكرب المدينة فدخل على خالد داره ، فقال له :إني والله ما وجدت شيئاً أكافيك به في جلالة إلا سيفي الصمصامة [1] ثم خلعه من عنقه ، فناوله إياه وقال عمرو :

وهبت لخالد سيفي ثواباً ... على أم صمصامة ام سيف ام سلام
خليل لم أخنه ولم يخني ... ولكن التواهب في كرام

(١) حظيت صمصامة عمرو بشهرة كبيرة في التاريخ الإسلامي .

وكنت إذا نزلت بدار قوم تجاوب صوت نوح بالتدام [١]

قال يعقوب : فحدثني شيخ من مذحج قال : قدم قيس بن هبيرة وعمرو بن معديكرب على أبي بكر ، فقال لقيس : كيف الذي بينك يا قيس وبين عمرو ؟ قال : ياخليفة رسول الله أنا خير له منه لي ، فقال عمرو : كذبت ، فقال أبو بكر : مه ، لا يحل لك أن تكذب مسلماً .

وعن عبد الله بن عمر قال: كان خالد بن سعيد باليمن زمان رسول الله ﷺ فتوفي النبي ﷺ وهو بها ، فقدم والأمير أبو بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ بشهر وعليه سلاح فلقيه عمر وعلي ، رحمهما الله ، فقال عمر لمن يليه : مزقوا عليه جبته ، أيلبس الحرير وهو في رحالنا مهجور ؟ فمزقوا جبته عليه ، فقال خالد: يا أبا حسن ، يا بني عبد مناف أغلبتم على أمركم ؟ فقال عمر : أعلى مغالبة ترى أو خلافة ، لا يغالب على هذا الأمر أولى منكم يا بني عبد مناف ، والله لا يزال كاذب يحرض فيها ثم لا يضر إلا نفسه ، قال : ثم أبلغ عمر أبا بكر كلمته فلما عقد أبو بكر الألوية لقتال أهل الردة . عقد لخالد فنهاه عمر ، وقال : هو مخذول فلاتستنصر به ، فلم يحمل عليه أبو بكر ؛ وجعله رداً بتيماء .

---

(١) ديوانه : ١٤٦ - ١٥١ مع فوارق شديدة .

ذكر ردة كندة وحضرموت

قال الواقدي : حدثنا عبد الله بن كثير عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال: لما قدم وفد كندة مسلمين أطعم رسول الله ﷺ بني وليعة من كندة طعمة من ثمار حضرموت ، وجعل على أهل حضرموت نقلها إليهم ، وكتب لهم رسول الله ﷺ بذلك كتاباً ، وأقاموا أياماً ثم سألوا رسول الله ﷺ أن يبعث عليهم رجلاً منهم ، فقال رسول الله ﷺ لزياد بن لبيد البياضي الأنصاري : سر مع هؤلاء القوم ، فقد استعملتك عليهم ، فسار زياد معهم عاملاً لرسول الله ﷺ على حضرموت ، صدقاتها : الثمار والخف والماشية والكراع والعشور .

وعن زرعة بن عبد الله بن زياد بن لبيد قال : أقام زياد بن لبيد معهم في ديارهم يأخذ صدقاتهم حياة رسول الله ﷺ ، وكان رجلاً صليباً ، فلما توفي رسول الله ﷺ وولي أبو بكر بعث أبا هند مولى بني بياضة بكتاب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى زياد بن لبيد .

سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد :

فإن النبي ﷺ توفي ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فانظر ولا قوة إلا بالله أن تقوم قيام مثلك وتبايع من عندك فمن أبى وطئته بالسيف وتستعين بمن أقبل على من أدبر فان الله مظهر دينه « على الدين كله ولو كره المشركون [1] » .

---

(١) سورة التوبة – آية : ٣٣ .

فلما قدم أبو هند على زياد قدم من الليل بكتاب أبي بكر رحمه الله وأخبر باجتماع الناس على أبي بكر ، وأنه لم يكن بين المسلمين اختلاف فحمد الله زياد على ذلك فلما أصبح زياد غدا يقرىء الناس كما كان يفعل قبل ذلك ، ثم دخل بيته لعذر كان يدخل من النهار ،فلما جاءت الظهر خرج إلى الصلاة وعليه السيف، فقال بعض الناس ما شأن أميركم والسيف؟ فصلى الظهر بالناس ، ثم قال أيها الناس إن رسول الله ﷺ توفي فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد توفي ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، وقد اجتمع المسلمون على أفضلهم في أنفسهم ، ولم يكن بينهم اختلاف في أبي بكر بن أبي قحافة ، وقد كان النبي ﷺ يأمره في مرضه أن يصلي بالناس . أيها الناس فبايعوا ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً ، فقال الأشعث بن قيس : إذا اجتمع الناس فما أنا إلا كأحدهم ، ونكص عن التقدم إلى البيعة ، فقال امرؤ القيس ابن عابس الكندي : أنشدك الله يا أشعث ووفادتك على النبي ﷺ وإسلامك أن تنقضه اليوم ، والله ليقومن بهذا الأمر من بعده من يقتل من خالفه فإياك إياك ، أبق على نفسك فإنك إن تقدمت تقدم الناس معك ، وإن تأخرت افترقوا واختلفوا ، فأبى الأشعث ، وقال : قد رجعت العرب إلى ما كانت الآباء تعبد ، ونحن أقصى العرب داراً من أبي بكر ، أيبعث أبو بكر إلينا الجيوش ؟ فقال : أي والله ، وأحرى أن لا يدعك عامل رسول الله ﷺ ترجع إلى الكفر ، قال الأشعث : من ؟ قال : زياد بن لبيد ، قال : فتضاحك ، ثم قال : أما يرضى زياد أن أجيره ، فقال امرؤ القيس : سترى ، ثم قام الأشعث فخرج من المسجد إلى منزله ، وقد أظهر ما أظهره من الكلام القبيح من غير أن يكون نطق بالردة ، ووقف يتربص ،وقال : نقف أموالنا بأيدينا، ولاندفعها، ونكون من آخر الناس ، قال : وبايع زياد بن لبيد البياضي لأبي بكر بعد الظهر إلى أن قامت العصر ، فصلى بالناس العصر ، ثم انصرف إلى بيته ، ثم غدا على الصدقة من الغد كما كان قبل وهو أقوى ما كان نفساً وأشده لساناً ،

فبينا هو يصدق إلى أن أخذ قلوصاً في الصدقة من فتى من كندة ، فلما أمر بها زياد تعقل وتوسم بميسم السلطان ، وكان الميسم « لله » ، أتى الفتى وصاح : ياحارثة بن سراقة بن معديكرب ، يا أبا معديكرب ، عقلت المهرة ، فأتى حارثه الى زياد ، فقال : أطلق للفتى بكرته ، فأبى زياد ، فقال : قد عقلتها ووسمتها بميسم السلطان ، فقال حارثة : أطلقها أيها الرجل طائعاً خيراً من أن تطلقها وأنت كاره ، قال زياد : لا والله لا أطلقها ولا نعمة عين ، فقام حارثة فحلّ عقالها وضرب على جنبها ، فخرجت القلوص تمدو إلى ألافها ، فجعل حارثة يقول :

يمنعها شيخ بخديه الشيب .
يلمع كما يلمع الثوب .
ماض على الريب إذا كان الريب .

فنهض زياد بن لبيد وصاح بأصحابه المسلمين، ودعاهم إلى النصرة لله وكتابه ، فانحازت طائفة من المسلمين إلى زياد بن لبيد وجعل من يرتد ينحاز إلى حارثة وجعل حارثة يقول :

أطعنا رسول الله ما كان وسطنا ... فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر
أيورثها بكراً إذا كان بعده ... فتلك إذن والله قاصمة الظهر (١)

قالوا : فكان زياد بن لبيد يقاتلهم النهار إلى الليل فلما كان يوم من تلك الأيام أقام زياد يومه يضاربهم حتى أمسى ، وكانت بينهم يومئذ قتلى وجراح ، ولم يكن فيما مضى من تلك الأيام يوم أشد منه .

وعن ابن أبي هند عن أبيه قال : برز يومئذ رجل منهم يدعو إلى البراز ، فبدرت إليه فتشاولنا بالرمحين نهاراً طويلاً ، فلم يظفر واحد منا بصاحبه ، ثم صرنا إلى السيفين فما قدر واحد منا على صاحبه ونحن فارسان إلى أن عثر فرسه ،

(١) سبقت الإشارة إلى أن هذين البيتين قالها الحطيئة .

فاقتحم وصار راجلاً ، ويدرك فرسي فيضرب عرقوبيه ، فوقعت إلى الأرض وأفضى أحدنا إلى صاحبه ، فبدرته فأضربه فأقطع يده من المنكب ، فوقع السيف من يده وولى منهزماً ، وألحقه فأجهزت عليه ، فما خرج أحد يدعو إلى البراز حتى صلح أمرهم .

قالوا : فلما أمسوا من ذلك اليوم وتفرقوا ، وزياد في بيته قد بعث العيون ، إذ جاءه عين له بعد أن ذهب عامة الليل فدله على عورة من عدوه ، وقال : هل لك في الظفر ؟ قال : ما هو ؟ قال : ملوكهم الأربعة في محجرهم [١] قد ثملوا من الشراب ، فسار من ساعته في مائة رجل من أصحابه حتى انتهوا إلى المحجر ، فقدم العين ، فاستمع الصوت فـــإذا القوم هدأوا وناموا ، فأغار عليهم فقتل الملوك الأربعة مخوس ، ومشرح ، وجمد ، وأبضعة وأختهم العمردة ذبحهم ذبحاً ، وكانوا ملوك كندة وأشرافهم فقال زياد بن لبيد في ذلك :

نحن قتلنـــا الملوك الأربعة جمدا ومخوساً ومشرحاً وأبضعه

وعن حبيب بن عمير قال : كان الملوك سبعة : الأشعث بن قيس ، ومخوس ، وجمد ، ووديعة ، ووليعـــة ، وأبضعة ، ومشرح فقتل منهم أربعة ، قالوا : ثم رجع زياد بن لبيـــد إلى أهله ، فلما أصبح القوم أصبحوا وقد انكسر حدهم وذلوا .

وقالوا : إن العَمَرَّدة لما توفي رسول الله ﷺ ضربت بغربال [٢] فقطع يدها وصلبها ، فهي كانت أول امرأة قتلت في الردة ، وبعث زياد أبا هند إلى أبي بكر وكتب معه كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم :

لأبي بكر خليفة رسول الله ﷺ . من زياد بن لبيد : سلام عليك ، فـإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :

---

(١) انظر صفة الجزيرة الهمداني – ط . بيروت ١٩٧٤ : ١٩٢ .

(٢) الغربال هنا الدف لأنه يشبه الغربال في استدارته ، النهاية لابن الاثير .

فإن الناس قبلنا منعوا الصدقة ، أو عامتهم ، وأبوا أن يسلموها ، وقاتلوا دونها أشد القتال ، وأظهروا الردة عن الإسلام ، فبعثت عيوناً في طلب غرتهم فأتاني آت منهم يخبرني بغرة منهم فزحفت إليهم ليلاً ، وقتلتهم في محجرهم ، وكانوا أربعة مخوس، ومشرج و جمد، وأبضعة، وأختهم العمردة ، فأصبحوا وذلوا وانكسروا وإني كتبت إليك والسيف على عاتقي ، وبعثت إليك أبا هند بالكتاب وأمرته أن يجد السير وأن يخبرك بما رأى وشهد ، وإن الكتاب موجز ، وعنده علم ما كنا فيه والسلام .

وعن من سمع أبا هند يقول : خرجت من عند زياد بن لبيد بعد أن صليت الغداة على راحلتي ومعي رجل من بني قتيرة على راحلة خفيراً لي ، فبلغ بي صنعاء ، انصرف ، فسرت من حضرموت إلى المدينة تسع عشرة ، فأزحفت راحلتي وما مشيت عنها أكثر مما ركبت ، وانتهيت إلى أبي بكر فأجده حين خرج إلى الصلاة ، فلما رآني قال : أبا هند ، ما وراءك ؟ قلت : خير ، والذي يسرك قتل الملوك الأربعة : جمد ، ومشرح ، ومخوس ، وأبضعة ، وأختهم العمردة ، قال : قد كنت كتبت إلى زياد أنهاه أن يقتل الملوك من كندة ، وبعثت المغيرة بن شعبة ما لقيته ؟ قلت : ما لقيته ، وقدم المغيرة بن شعبة خلافي وذلك أنه أخطأ الطريق ، فذلك الذي بطأ به ، وجعل أبو بكر يسألني فجعلت أخبره على كل ما يسره ، ثم قال : ما فعل الأشعث بن قيس ؟ قال : قلت يا خليفة رسول الله هو أول من نقض ، وهو رأس من بقي وقد ضوى إليه ناس كثير ، وقد تحصن في النجير [1] بمن معه ممن هو على رأيه ، والله مخزيهم ، وقد تركت زياد بن لبيد يريد محاصرتهم ، فقال أبو بكر : قد كتبت إلى المهاجر بن أبي أمية يمد زياداً ويكون أمرهما واحداً ، قال : وكان النبي ﷺ لما

(١) حصن باليمن قرب حضرموت . معجم البلدان .

قتل العنسي بعث المهاجر بن أبي أمية على صنعاء والياً ، فتوفي رسول الله ﷺ وهو عليها .

وعن زرعة بن عبد الله بن زياد قال : انحاز المهاجر إلى زياد بحضرموت ، وكانت قتيرة من كندة قد ثبتت على الإسلام لم يرجع منهـــا رجل واحد ، فلما قدم المهاجر على زياد اشتد أمرهما وكانا يحاصران أهل النجير ، وكان أهل النجير قد غلقوا النجير ، فلما قتل الملوك الأربعة دخلوا مع الأشعث بن قيس وجثم زياد ومهاجر على النجير فحاصروا أهله بالمسلمين لا يفارقونه ليلا ولا نهاراً ، وقذف الله الرعب في أفئدتهم ، فلما اشتد عليهم الحصار بعثوا إلى زياد بن لبيد أن تنح عنا حتى نكون نخرج ونخليك والحصن ، فقـــال : لا أبرح شبراً واحداً حتى نموت عن آخرنا أو تنزلوا على حكمنا ورأينا ، وجعل يكايدهم لما يرى من جزعهم من الحصر فيكتب الكتاب ثم يبعث به في السر مع رجل من بني قتيرة من الليل مسيرة يوم أو بعض يوم ، ثم يأتيه بكتابه الذي كتبه فيقرأه على الناس .

من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى زياد بن لبيد ، سلام عليك : فـإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد :

فقد بلغني ردة من ارتد قبلك بعـد المعرفة بالدين غرة بالله ، والله مخزيهم إن شاء الله ، فأحصرهم ولا تقبل منهم إلا ما خرجوا منه أو السيف ، فقـــد بعثت إليك عشرة آلاف رجل عليهم فلان بن فلان ، وخمسة آلاف عليهم فلان ابن فلان ، وقد أمرتهم أن يسمعوا لك ويطيعوا ، فإذا جاءك كتابي هذا فإن أظفرك الله بهم فإياك والبقيـــة في أهل النجير ، حرق حصنهم بالنار ، واقطع معاشهم واقتل المقاتلة ، واسب الذرية وابعث بهم إن شاء الله .

وإنما هذا الكتاب كتاب كتبه زياد بيده ، فكان إذا قرأ عليهم هذا الكتاب أيقنوا بالهلكة ، واشتد عليهم الحصار ، وندموا على ما صنعوا ، فبينا هم على ذلك والحصار قد جهدهم ، قال الأشعث بن قيس : إلى متى هذا الحصر قـــد

غرثنا [١] وغرث عيالنا ، وهذه البعوث تقدم علينا بما لا قبل لنا بـــه ، وقد ضعفنا عن من معنا فكيف بمن يأتينـــا من هذه الأمداد ، والله للموت بالسيف أحسن من الموت بالجوع ، أو يؤخذ برقبة الرجل كما يصنع بالذريـة ، قالوا : وهل لنا قوة بالقوم فيما ترى لنا ، فأنت سيدنا ؟ قـال : أنزل فآخذ لكم أماناً تأمنون به قبل أن تدخل هذه الأمداد بما لا قبل لنا به ولا يدان .

قال : فجعل أهل الحصن يقولون للأشعث افعل وخذ لنا أماناً فإنـه ليس أحد أجرأ على ما قبل زياد منك ، قال : فأنا أنزل ، فأرسل الأشعث إلى زياد أنزل فأكلمك وأنا آمن ؟ قال زياد : نعم ، فنزل الأشعث من النجير فخلا بزياد ، فقال : يا ابن عم قد كان هذا الأمر ولم يبارك لنا فيه ، وإن لي قرابة ورحماً وإن أوصلتني إلى صاحبك قتلني ـ يعني المهاجر بن أبي أمية ـ وإن أبا بكر يكره قتل مثلي ، وقد جاءك كتـــاب أبي بكر ينهاك عن قتل الملوك من كندة ، فأنا أحدهم ، وأنا أطلب منك الأمان على أهلي ومالي ، فقال زياد : لا أومنك أبداً على دمك وأنت كنت رأس الردة والذي نقض علي كندة ، فقال : أيها الرجل دع عني ما مضى واستقبل الأمور إذا أقبلت ، قـــال زياد : وماذا ؟ قال : وأفتح لك النجير ، فأمنه زياد على أهله وماله على أن يقـدم به على أبي بكر ، فيرى فيه رأيه ، وفتح له النجير .

وعن مصعب بن عبد الله بن أبي أمية قال : لما نزل الأشعث من الحصن وقد أمنوه حتى يكلمهم ، قال المهاجر بن أبي أمية لزياد : رده إلى الحصن حتى ينزل على حكمنا فنضرب عنقه فنكون قد استأصلنا شأفة الردة ، ويكون رجلاً من أصحابه ، فأبى زياد إلا أن يؤمنه ، وقال: أخشى أن يلومني أبو بكر في قتله ، وقد جاءني كتابه ينهاني عن قتل الملوك الأربعة ، فأخاف مثل ذلك مع أن أبا بكر إن أراد قتله فله ذلك ، إنما أجعل له الأمان على نفسه وماله إلى أن يبلغ أبا

---

(١) أي جعنا وجاعت عيالنا . النهاية لابن الاثير .

بكر ، لا أدع من عين ماله شيئاً يخف حمله معه إلا سار به معه ، وأحول بينه وبين ما ها هنا مما لا يطيق حمله حتى يأتي رأي أبي بكر فيه ، فأمنه زياد على أن يبعث به وبأهله وبماله إلى أبي فيحكم فيه بما يرى ، وفتح له النجير فأخرجوا المقاتلة فعمد زياد إلى أشرافهم وهم سبعمائة رجل فضرب أعناقهم على دم واحد ، ولام القوم الأشعث ، وقالوا لزياد : غدر بنا الأشعث فأخذ الأمان لنفسه وأهله ، ولم يأخذ لنا ، وإنما نزل على أن يأخذ لنا جميعاً ، فنزلنا ونحن آمنون ، فقتلنا فقال زياد : ما آمنتكم ، قالوا : صدقت خدعنا الأشعث .

قال الواقدي : وقد ذكروا في فتح النجير وجهاً آخر .

عن أبي مغيث قال : كنت فيمن حضر أهل النجير ، فصالح الأشعث زياداً على أن يؤمن من أهل النجير سبعين رجلا ، ففعل فنزل سبعون رجلا ، ونزل معهم الأشعث بن قيس ، فكانوا أحداً وسبعين رجلا ، فقال زياد : أقتلك لم يكن لك أمان ، فقال الأشعث : تؤمنني على أن أقدم على أبي بكر فيرى في رأيه ، فأمنه على ذلك ، والقول الأول أثبت ، قال : وعزل زياد من بقي من أهل النجير من المقاتلة وعزل الذرية على حدة .

وعن داود بن الحصين قال : بعث أبو بكر نهيك بن أوس بن خزيمة إلى زياد ابن لبيد يقول : إن ظفرت بأهل النجير فاستبقهم ، فقدم عليه ليلا وقد قتل في أول النهار سبعمائة في صعيد واحد ، قال نهيك : فما هو إلا أن رأيتهم فشبهت بهم قتلى بني قريظة يوم قتلهم النبي ﷺ ، وأبى زياد أن يواري جثثهم تركهم للسباع ، فكان هذا أشد على من بقي من القتل ، وهرب أهل الردة في كل وجه وكان لا يوجد منهم إنسان إلا قتل ، ثم بعث بالسبي مع نهيك بن أوس بن خزيمة ، وبعث معه ثمانين رجلا من قتيرة ، وبعث بالأشعث معهم في وثاق .

وعن عبد الرحمن بن الحويرث قال : رأيت الأشعث يوم قدم به المدينة في حديد مجموعة يداه إلى عنقه ، بعث به زياد بن لبيد والمهاجر بن أبي أمية

إلى أبي بكر ، وكتبا إلى أبي بكر : إنا لم نؤمنه إلا على حكمك ، وحملنا معه أهله ، وماله الذي خف حمله ، فترى فيه رأيك .

وعن عبد الرحمن بن مالك قال : قدم المهاجر بالسبي على أبي بكر وقدم معه بامرأة فاستنكحها .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : تلك السنة التي قدم فيها بالأشعث اشتراني عمر بن الخطاب وهي سنة اثنتي عشرة ، فأنا أنظر إلى الأشعث بن قيس في الحديد يكلم أبا بكر وأبو بكر يقول له : فعلت فعلت حتى كان آخر ذلك أني أسمع الأشعث يقول : استبقني لحربك وزوجني أختك ، ففعل أبو بكر وزوجه أخته ، قال : ونزل نهيك بن أوس بالسبي في دار الحارث ومعهم الأشعث بن قيس ، فجعل يقول : يا خليفة رسول الله ﷺ والله ما كفرت بعد إسلامي ولكني شححت على مالي ، فقال أبو بكر : ألست الذي تقول : قد رجعت العرب إلى ما كانت الآباء تعبد ، وأبو بكر يبعث إلينا الجيوش ونحن أقصى العرب داراً ، فرد عليك من هو خير منك ، فقال : لا يدعك عامله ترجع إلى الكفر ، فقلت: من؟ قال : زياد بن لبيد؟ فتضاحكت فكيف وجدت زياداً أذْكَرَت به أمه؟ قال الأشعث : نعم كل الإذكار ، وقال الأشعث : أيها الرجل : أطلق إساري واستبقني لحربك وزوجني أختك أم فروة بنت أبي قحافة فإني قد تبت مما صنعت ورجعت إلى ما خرجت منه من منع الصدقة ، قال : فزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة ، فكان الأشعث مقيماً بالمدينة حتى كانت ولاية عمر بن الخطاب ، وثاب الناس إلى فتح العراق ، فخرج الأشعث مع سعد بن أبي وقاص .

قالوا: أمر أبو بكر زيد بن ثابت بسبي النجير أن يخرج خمسه ، فأخرجه ففرق الخمس في الناس وبقي ما بقي من سهمان على أهل النجير أربعة أخماس ، فقدم أربعة عشر رجلاً من وفد كندة إلى أبي بكر يطلبون أن يفادوا سبيهم ، وقالوا: يا خليفة رسول الله ما رجعنا عن الإسلام ولكن شححنا على أموالنا وقد رجع من وراءنا إلى ما خرجوا منه ، وبايعنا لك راضين ، فقال أبو بكر : بعد ماذا ،

بعد أن وطئكم بالسيف ؟ فقالوا : يا خليفة رسول الله إن الأشعث غدر بنا ، كنا في الحصن جميعاً فكان أجزعنا ، وكان أول من نقض وأبى أن يدفع الصدقة ، وأمرنا بذلك ورأسنا ، فلم يبارك لنا في رئاسته ، فقال : أنزل فآخذ لكم الأمان جميعاً ، فإن لم يفعل رجعت إليكم فيصيبني ما يصيبكم ، فنزل فأخذ الأمان لنفسه وأهله ومواليه وقتلنا صبراً بالسيف .

فقال أبو بكر : قد كنت كتبت إلى زياد ومهاجر كتاباً مع نهيك بن أوس إن ظفرتما بأهل النجير فلا تقتلاهم وأنزلاهم على حكمي ، فقال المتكلم : قد والله قتل منا سبعمائة على دم واحد، وقد رجوناك يا خليفة رسول الله.

وعن مسلم بن جندب قال : لما كلمه الوفد في أن يرد عليهم السبي ويقبل منهم الفداء أجاب إلى ذلك ، وخطب أبو بكر الناس على المنبر .

وعن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم ، قال : خطب أبو بكر الناس فقال: أيها الناس ردوا على هؤلاء القوم نساءهم وذراريهم لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يغيب منهم عنهم أحداً قد جعلنا الفداء على كل رأس منهم أربعمائة درهم وكان المهاجر قد أصاب امرأة من سبيهم فاستنكحها فكلم زوجها أبا بكر فكتب إليه بردها ويغيظ عليه فيما صنع .

وروي عن عروة بن الزبير أن أبا بكر خير المرأة التي استنكحها المهاجر ، فاختارت قومها فردها أبو بكر عليهم .

وعن مسلم بن جندب قال : أمر أبو بكر زيد بن ثابت فأخذ فداء كل إنسان منهم أربعمائة درهم فنظرت عجوز منهم إلى الأشعث ، فقالت : قبحت من وافد قوم ورسولهم ، أخذت الأمان لأهلك ومواليك ، وعرضتنا للسباء وقتلت رجالنا بغدرك ولم تواسهم بنفسك ، وأنت شأمتهم رأسوك فلم يبارك لهم في رئاستك ، والله ما رجعوا عن الإسلام ولكن شحوا على أموالهم ، فقتلوا ، ورجعت أنت عن الإسلام ، فنجوت ما كان أحد قط أشأم على قومه منك .

وعن زرعة بن عبد الله قال : قال الأشعث :

فـــلا رزء إلا يوم أقرع بينهم ... وما الدهر عندي بعدهم بأمـــين
فليت جنوب الناس تحت جنوبهم ... ولم تمش أنثى بعدهم بجنـــين
فكنت كذات البوّ حنت فأقبلت ... إلى بوّها أو طربت بحنـــين
لعمري وما عمري عليّ بهين ... لقد كنت بالقتلى أحق ضنين

قال : يعني السبعمائة الذين ضرب أعناقهم زياد من أهل النجير .

قال الواقدي : سألت معاذ بن محمد فقلت : رأيت الأربعة الأخماس حيث أمر أبو بكر أن يفدوا بأربعمائة أربعمائة ؟ قـــال : جمع أبو بكر ذلك كـله فجعله سهما منا لأهل النجير مع ما استخرج زياد بن لبيد والمهاجر مما وجدوا في حصن النجير من الرثة والسلاح ، ومما أصابوا من غير ذلك فجعلوه مغنماً .

وعن الحارث بن الفضيل قال : لما جاء كتاب زياد والمهاجر إلى أبي بكـر بما هم فيه من مكالبة [٢] العدو ، كتب إلى عكرمة بن أبي جهل بدبا أن يمدهم ، وأن يسير إلى زياد والمهـاجر في سبعمائة فارس ، فقدم بعد فتح النجير بأربعة أيام ، فكلموهم في أن يسهموا لهم ، فقالا لعكرمة ما كان من نصيبنـا فهو في يديك ، وهؤلاء القوم على حقوقهم وهم بنو قتيرة [٣] كانوا قد ثبتوا على الإسلام. ولكن نكتب إلى أبي بكر في أمرهم ، وكتب إلى أبي بكر ، فكتب أبو بكر أن يسهم لهم فأسهم لهم .

وحدثنا ابن أبي سبرة عن عبد العزيز بن عياش بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن أبا بكر أسهم لعكرمة وأصحابه .

---

(١) البو : ولد الناقة ، وجلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليـــه فتدر . القاموس .

(٢) في الحاشية : « مكالبة بالمثلثة أي مقاربة ومخالطة ».

(٣) في الحاشية : قتيرة بطن من تجيب .

ذكر بدء الغزو إلى الشام

وما وقع في نفس أبي بكر الصديق رضي الله عنه من ذلك وما قوى عزمه عليه .

روى محمد بن يوسف الأنصاري عن سهل بن سعد الساعدي قال : لما فرغ أبو بكر من أهل الردة واستقامت له العرب حدث نفسه بغزو الروم ، ولم يطلع عليه أحداً ، فبينما هو كذلك إذ جاءه شرحبيل بن حسنة ، فجلس إليه ،فقال: يا خليفة رسول الله : حدثتك نفسك أن تبعث إلى الشام جنداً ؟ قال : نعم حدثت نفسي بذلك ولم أطلع عليه أحداً وما سألتني إلا لشيء ، قال : أجل . إني رأيت فيما يرى النائم كأنك تمشي في ناس من المسلمين فوق حرشفة [١] من الجبل ، فأقبلت تمشي معهم حتى صعدت قلة [٢] في أعاليه ، فأشرفت على الناس ومعك أصحابك أولئك ثم هبطت من تلك القلة إلى أرض سهلة دمثة فيها الزروع والعيون والقرى والحصون ، فقلت يا للمسلمين شنوا الغارة على المشركين فأنا ضامن لكم بالفتح والغنيمة ، فشد المسلمون وأنا فيهم معي راية ، فتوجهت بها إلى أهل قرية ، فسألوني الأمان فأمنتهم ، ثم جئت فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم ففتح لك ، وألقوا إليك السلم ، ووضع لك عريش ، فجلست عليه ، ثم ثم قال لك قائل : يفتح عليك ، وتنصر ، فاشكر ربك واعمل بطاعته ، ثم قرأ : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً .

---

(١) الحرشفة : الارض الغليظة .

(٢) أي قمة .

فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾[١] ثم انتبهت . فقال له أبو بكر رضي الله عنه : نامت عينك ، ثم دمعت عين أبي بكر رحمه الله ، فقال : أما الحرشفة التي كنا نمشي عليها حتى صعدنا منها إلى القلة العالية فأشرفنا منها على الناس ، فإنا نكابد من أمر هذا الجند مشقة ويكابدونه ، ثم يعلو بعد ، ويعلو أمرنا ، وأما نزولنا من القلة إلى الأرض السهلة الدمثة والزروع والعيون والقرى والحصون فإنا ننزل إلى أمر أسهل مما كنا فيه الخصب والمعاش ، وأما قولي للمسلمين : شنوا الغارة عليهم فإني ضامن لكم بالفتح والغنيمة فإن ذلك توجيهي المسلمين إلى بلاد المشركين واحتثاثي إياهم على الجهاد ، وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها إلى قرية من قراهم فدخلتها فاستأمنوك فأمنتهم ، فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك ، وأما الحصن الذي فتح لك فهو ذلك الوجه يفتح ، وأما العريش الذي رأيتني عليه جالساً فإن الله يرفعني ويضع المشركين ، وأما الذي أمرني بالعمل وبالطاعة ، وقرأ علي السورة فإنه نعى إلي نفسي ، إن هذه السورة حين أنزلت على النبي ﷺ علم أن نفسه قد نعيت إليه ، ثم سالت عيناه ، فقال : لآمرن بالمعروف ولأنهين عن المنكر ، ولأجاهدن من ترك أمر الله ، ولأجهزهن الجنود إلى العادلين بالله في مشارق الأرض ومغاربها حتى يقولوا : الله أحد ، الله أحد ، ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون أمر الله وسنة رسوله فإذا توفاني الله لم يحدني وانياً[٢] ، ولا في ثواب المجاهدين فيه زاهداً . ثم إنه عند ذلك أمر الأمراء وبعث إلى الشام البعوث .

وعن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي ، وكانت له صحبة ، قال : لما أراد أبو بكر أن يجهز الجنود إلى الشام دعا عمر ، وعثمان ، وعلياً ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبا عبيدة بن الجراح ، ووجوه

---

(١) القرآن – سورة الفتح ،

(٢) جاء في حاشية الاصل : مقصراً .

المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم ، فدخلوا عليه وأنا فيهم ، فقال: إن الله لا تحصى نعمه ، ولا تبلغ جزاءها الأعمال ، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم ، قد جمع كلمتكم ، وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ، ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا بالله ولا أن تتخذوا إلهاً غيره فالعرب اليوم بنو أم وأب ، وقد رأيت أن أستنفرهم إلى الروم بالشام ، فمن هلك منهم هلك شهيداً ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ثواب المجاهدين ، هذا رأيي الذي رأيت فأشار امرؤ علي بمبلغ رأيه .

فقام عمر رضي الله عنه ، فقال : الحمد لله الذي يختص بالخير من شاء من خلقه والله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقتنا إليه ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾[1] قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت غير مرة فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته ، فقد أصبت أصاب الله بك سبل الرشاد ، سرب إليهم الخيل في اثر الخيل، وابعث الرجال بعد الرجال ، والجنود تتبعها الجنود فإن الله تعالى ناصر دينه ، ومعز الإسلام وأهله ، ومنجز ما وعده رسوله .

ثم ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام فقال : يا خليفة رسول الله : انما الروم وبنو الأصفر حد حديد ، وركن شديد ، والله ما أرى أن تقحم الخيل عليهم اقحاماً ، ولكن تبعث فتغير في أدنى أرضهم وترجع إليك ، فإذا فعلوا ذلك مراراً ضروا بهم ، وغنموا من أدنى أرضهم فقووا بذلك على قتالهم ، ثم تبعث الى أقصى أهل اليمن ، وأقصى ربيعة ومضر فتجمعهم إليك، فإن شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك ، وان شئت أغزيتهم غيرك ، ثم جلس وسكت ، وسكت الناس ، فقال لهم أبو بكر : ماذا ترون رحمكم الله ؟ فقام عثمان بن عفان رحمه الله ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ، ثم قال :

---

(١) سورة المائدة - الآية ٥٤ .

أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شفيق عليهم ، فاذا رأيت رأياً تراه لعـــامتهم رشداً وصلاحاً فاعزم على إمضائه فإنك غير ظنين عليهم ، ولا متهم ، فقـــام طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار ، فقالوا : صدق عثمان ما رأيت من رأي فأمضه فـــإنا سامعون لك مطيعون لا نخالفك ولا نتهمك ، ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك فذكروا هذا وأشباهه ، ، وعلي رضي الله عنه في القوم لا يتكلم ، فقال له : ماذا ترى يا أبا الحسن ؟ فقال : أرى أنك مبارك الأمر ميمون النقيبة ، وانك ان صرت اليهم بنفسك أو بعثت اليهم نصرت ان شاء الله تعالى ، قال : بشرك الله بخير ، ومن أين علمت هذا ؟ قال : سمعته عليه السلام يقول : « لا يزال هـــذا الدين ظاهراً على كل من ناوءه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون [1] » فقال أبو بكر : سبحان الله ما أحسن هذا الحديث لقد سررتني به سرك الله .

ثم انه قام في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه ﷺ ، ثم قال : أيها الناس ان الله تعالى قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأعزكم بالجهاد ، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين ، فتجهزوا عباد الله الى غزو الروم بالشام فإني مؤمر منكم أمراء ، وعاقد لهم عليكم ، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكـــم ، ولتحسن نيتكم وسريرتكم وطعمتكم فإن الله تعالى ﴿ مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [2] قال : فسكت القوم فوالله ما أجابه أحد هيبة لغزو الروم ، لما يعلمون من كثرة عددهم وشدة شوكتهم ، فقام عمر رحمه الله فقال : يا معشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله ﷺ ﴿ إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ [3]

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ في كتب الصحاح أو غيرها ، انظر الكامل في الضعفـــاء لابن عدي : ٣ / ٧٢٦ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٢٨ .

(٣) سورة الانفال الآية : ٢٤ .

أما ﴿ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً ﴾ (١) لا بتدرتموه ، فقام اليه عمرو بن سعيد ، فقال : يابن أم الخطاب ألنا تضرب أمثال المنافقين ؟ فما يمنعك فيماعتبت علينا فيه ؟ فقال له : التكلة ، على أنه يعلم أني أجيبه لو يدعوني ، وأغزو لو يغزيني ، فقال عمرو : لكن نحن لا نغزو لكم ان غزونا فإنما نغزو لله ، فقال أبو بكر لعمرو : اجلس رحمك الله فإن عمر لم يرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه انما أراد أن يبعث بما سمعت المتثاقلين (٢) الى الأرض ، الى الجهاد ، فقام خالد بن سعيد فقال : صدق خليفة رسول الله ﷺ ، اجلس يا أخي ، فجلس أخوه . فقال خالد : الحمد لله الذي لا إله إلا هو الذي بعث محمداً ﷺ ﴿ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾(٣) ، فالله منجز وعده ، ومعز دينه ومهلك عدوه ، ثم أقبل على أبي بكر فقال : ونحن أولاء غير مخالفين لك ، ولا مختلفين عليك ، وأنت الوالي الناصح الشفيق ننفر اذا استنفرتنا ، ونطيعك اذا أمرتنا ، ونجيبك اذا دعوتنا ، ففرح بمقالته أبو بكر رحمه الله ، وقال : جزاك الله خيراً من أخ وخليل ، فقد كنت أسلمت مرتغباً وهاجرت محتسباً ، وهربت بدينك من الكفار وكيما يطاع الله ورسوله وتعلو كلمته ، فأنت أمير الناس فتيسر رحمك الله ، ثم انه نزل ورجع خالد بن سعيد فتجهز ، وأمر أبو بكر رحمه الله بلالاً فأذن في الناس أن انفروا أيها الناس الى جهاد عدوكم الروم بالشام ، وأمير الناس خالد بن سعيد ، فكان الناس لا يشكون أن خالداً أميرهم .

قال عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي : كان خالد بن سعيد من عمال رسول الله ﷺ على اليمن ، فلما قبض النبي ﷺ جاء المدينة ، وقد استخلف الناس أبا

---

(١) سورة التوبة – الآية : ٤٢ .

(٢) انظر سورة التوبة – الآية : ٣٨ .

(٣) سورة التوبة – الآية : ٣٣ .

بكر فاحتبس عن أبي بكر ببيعته ، فلم يبايعه أياماً ، وأتى بني هـاشم ، فقال : أنتم الظهر والبطن والشعار دون الدثار ، والعصا دون اللحاء ، فـاذا رضيتم رضينا ، واذا سخطتم سخطنا ، حدثوني أقد بايعتم هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : على بر ورضى من جماعتكم ؟ قالوا : قد بايعنا ، قال : فـاني أرضى اذا رضيتم ، وأبايع اذا بايعتم ، أما والله انكم يا بني هاشم فينـا لطوال الشجر ، طيبو الثمـر ، ثم إنه بايع بعد ذلـك أبا بكر ، وبلغت مقالته أبا بكر فلم يبـال ، واضغن ذلك عليه عمر رحمه الله ، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام ، أتى عمر أبا بكر ، فقـال : أتولي خالد بن سعيد هذا الجيش الخارج إلى الشام ، وقد حبس عنك بيعته ، وقال لبني هاشم ما بلغك وقد جاء بورق [1] اليمن وعبيد له حبشان وبدروع ورماح مـا أرى أن تولية وما آمن خلافه ، وكان أبو بكر لا يخالف عمر ولا يعصيه ، فدعا يزيد بن أبي سفيان ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، فقال لهم : إني باعثكم في هذا الوجه ، ومؤمركم على هذا الجند ، وأنا مكثف مع كل رجـل منكم من الرجال ما قدرت عليه ، فإذا قدمتم البلد ولقيتم به العدو فاجتمعتم على قتالهم فأميركم أبو عبيدة بن الجراح ، وإن أبو عبيدة لم يلقكما وجمعتكما حرب ، فيزيد بن أبي سفيان الأمير ، انطلقوا فتجهزوا ، فخرج القوم يتجهزون ، وبلغ ذلك خالد بن سعيد فتيسر وتهيأ بأحسن هيئته ، ثم أقبل نحو أبي بكر ، وعنده المهاجرون والأنصار أجمع ما كانوا ، وقد تيسر النـاس ، وأمروا بالعسكرة مع هؤلاء النفر الثلاثة ، فسلم على أبي بكر وعلى المسلمين ، ثم جلس ، فقال لأبي بكر : أما إنك وليتني أمر الناس وأنت لي غير متهم ورأيك في حسن حتى خوفت مني أمراً ، والله لأن أخر من رأس حالق أو تخطفني الطـير في الهواء بين الأرض والسماء أحب إلي من أن يكون ما ظن : والله ما أنا في الإمـارة براغب ولا على

---

(١) جاء في حاشية الاصل : لعله « من » والورق هو الفضة .

البقاء في الدنيا بحريص ، وإني أشهدكم أني وإخوتي وفتياني ومن أطـــاعني من أهلي حبس في سبيل الله نقاتل المشركين أبداً حتى يهلكهم الله أو نموت، لا نريد به حمد الناس ، ولا جزاءهم ، فقال له الناس خيراً ، ودعوا له بـــه .

وقال أبو بكر رحمه الله : أتيت في نفسي وولدي ما أحب لك ولإخوتك ، والله إني لأرجو أن تكون من نصحاء الله في عباده وإقامة كتابه ، واتباع سنـة رسوله ﷺ ،فخرج هو وإخوته وغلمته ومن معه ،فكان أول خلق الله عسكر، ثم إن الناس خرجوا إلى معسكرهم من عشرة ، وعشرين ، وثلاثين ، وأربعين، وخمسين ، ومائة في كل يوم ، حتى اجتمع الناس وكثروا ، فخرج أبو بكر ذات يوم ومعه من الصحابة كثير حتى انتهى إلى عسكرهم فرأى عدة حسنة فلم يرض كثرتها للروم ، فقال لأصحابه : ماذا ترون في هؤلاء ؟ أترون أن نشخصهم إلى الشام في هذه العدة ؟ فقال له عمر : ما أرضى هذه العـدة لجموع بني الأصفر ، فأقبل على أصحابه فقال : ماذا ترون ؟ فقالوا : ونحن أيضاً نرى مـــا رأى عمر ، فقال أبو بكر : أفلا نكتب كتاباً إلى أهل اليمن ندعوهم إلى الجهـــاد ونرغبهم في ثوابه ؟ فرأى ذلك جميع أصحابه ، فقالوا : نعم ما رأيت فـافعل فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من خليفة رسول الله ﷺ إلى من قرىء عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن .

سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :

فإن الله تبارك وتعالى كتب على المسلمين الجهاد ، وأمرهم أن ينفروا فيـــه خفافاً وثقالاً فقال جل ثناؤه: ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾[1]

(١) سورة التوبة – الآية : ٤١ .

فالجهاد فريضة مفروضة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ، وقد سارعوا إلى ذلك ، وخرجوا وعسكروا وحسنت في ذلك نيتهم ، وعظمت حسبتهم ، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم ، وسنة نبيكم ، وإلى إحدى الحسنيين : إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة ، إن الله جل ذكره لم يرض من عباده بالقول دون العمل ولا بترك الجهاد فيه أهل عداوته حتى يدينوا بالحق ويقروا بحكم الكتاب ، حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم وزكى أعمالكم ، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين والسلام .

وبعث بالكتاب مع أنس بن مالك .

وعن أنس بن مالك قال : أتيت اليمن ، فبدأت بهم حياً حياً وقبيلة قبيلة أقرأ عليهم كتاب أبي بكر الصديق ، فإذا فرغت من قراءته قلت : الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ ، أما بعد : فإني رسول خليفة رسول الله إليكم ورسول المسلمين ، ألا وإني قد تركتهم معسكرين ليس يمنعهم عن الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم ، فعجلوا إلى إخوانكم بالنصر رحمة الله عليكم أيها المسلمون ، قال : فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع مني هذا القول يحسن الرد ، ويقول : نحن سائرون وكأن قد فعلنا ، حتى انتهيت إلى ذي الكلاع ، فلما قرأت عليه الكتاب ، وقلت له هذا المقال ، دعا بفرسه وسلاحه ونهض في قومه ، وأمر بالعسكرة فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن وسارعوا ، فلما اجتمعوا إليه قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال : أيها الناس إن من رحمة الله إياكم ونعمته عليكم أن بعث فيكم نبياً أنزل عليه الكتاب فأحسن عنه البلاغ ، فعلمكم ما يرشدكم ، ونهاكم عما يفسدكم حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ورغبكم من الخير فيما لم تكونوا ترغبون ، وقد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين واكتساب

الأجر العظيم فلينفر من أراد النفر الساعة معي ، قال : فنفر بعدد من النـــاس كثير ، وأقبل بهم إلى أبي بكر رحمه الله ، قال : فرجعنا نحن فسبقنـــاه بأيام فوجدنا أبا بكر بالمدينة ، ووجدنا ذلك المسكر على حاله ، وأبو عبيـدة يصلي بأهل ذلك المسكر ، فلما قدمت حمير معها أولادها ونساؤها فرج أبو بكر بهم ، وقام ، فقال : عبـاد الله ألم نكن نتحدث فنقول : إذا مرت حمير معهانساؤها تحمل أولادها نصر الله المسلمين ، وخذل المشركين ، فأبشروا أيها المسلمون قد جاءكم النصر ، قال : وجاء قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي معه جمع كثير ، حتى أتى أبا بكر ، فسلم عليه ، ثم جلس فقال له : ماتنتظر ببعثة هذه الجنود؟ قال : ما كنا ننتظر إلا قدومكم ، قال : فقد قدمنا فـــابعث الناس الأول فالأول فإن هذه البلدة ليست ببلدة خف ولا كراع ، قال : فعند ذلك خرج أبو بكر رضي الله عنه : يمشي فدعا يزيد بن أبي سفيان فعقد له ودعا ربيعة بن عامر من بني عامر بن لؤي فعقد له ، ثم قال له : أنت مع يزيد بن أبي سفيان لا تعصه ولا تخالفه ، ثم قال ليزيد : إن رأيت أن توليه مقدمتك فافعل فانـه من فرسان العرب وصلحاء قومك ، وأرجو أن يكون من عباد الله الصـالحين ، فقال يزيد: لقد زاده إلي حباً حسن ظنك به ، ورجاؤك فيه ، ثم إنه خرج معه يمشي ، فقال له يزيد : يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن تأذن لي فأمشي معك فاني أكره أن أركب وأنت تمشي ، فقال له أبو بكر : مـا أنا براكب وما أنت بنازل إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله ثم أوصاه فقال : يايزيد إني أوصيك بتقوى الله وطاعته والإيثار له والخوف منـه ، وإذا لقيتم العدو فأظفركم الله به فلا تغلل ، ولا تمثل ، ولا تغدر ، ولا تجبن ، ولا تقتلن وليداً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا تعقروا بهيمة إلا بهيمة لمأكل ، وستمرون بقوم في هذه الصوامع يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجـدون آخرين فحص

الشيطان أوساط رؤوسهم ، كأن أوساطها أفاحيص القطا فاضربوا بالسيوف ما فحصوا من رؤوسهم حتى ينيبوا إلى الإسلام، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب وأقرأ عليك السلام ، وأستودعك الله ، ثم أخذ بيده فودعه ، ثم قال له : إنك أول أمرائي قد وليتك على رجال من المسلمين أشراف غير أوضاع في الناس ، ولا ضعفاء ولا أدناء ولا جفاة في الدين ، فأحسن صحبتهم ، وألن لهم كنفك واخفض لهم جناحك ، وشاورهم في الأمر ، أحسن الله لك الصحابة ، وعلينا الخلافة .

فخرج يزيد في جيشه قبل الشام،وكان أبو بكر رحمه الله كل غدوة وعشية يدعو في صلاة الغداة ، ويدعو بعد صلاة العصر ، فيقول : اللهم إنك خلقتنا ولم نك شيئاً ، ثم بعثت إلينا رسولاً رحمة منك وفضلاً علينا فهديتنا ، وكنا ضلالاً وحببت إلينا الإيمان وكنا كفاراً ، وكثرتنا وكنا قليلاً ، وجمعتنا وكنا أشتاتاً، وقويتنا وكنا ضعفاء،ثم فرضت علينا الجهاد ، وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله ، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، اللهم إنا قد أصبحنا نطلب رضاك ، بجهاد من عاداك ثم عدل بك ، وعبد معك آلهة غيرك لا إله إلا أنت تعاليت عما يقول الظالمون علواً كبيراً،اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين ، اللهم افتح لهم فتحاً يسيراً ، وانصرهم نصراً عزيزاً وشجع جبنهم وثبت أقدامهم وزلزل بعدوهم ، وأدخل الرعب قلوبهم واستأصل شأفتهم واقطع دابرهم ، وأبد خضراءهم ، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم وآثارهم ، وكن لنا ولياً وبنا حفياً ، وأصلح لنا شأننا وقضاءنا [1] وتبعاتنا واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، واغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنه بالمؤمنين رؤوف رحيم .

---

(١) في حاشية الاصل : وقضاتنا وسعاتنا .

وعن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : لما بعث أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام لم يسر من المدينة حتى جاء شرحبيل بن حسنة إلى أبي بكر ، فجلس إليه ، فقال : يا خليفة رسول الله إني قد رأيت فيما يرى النائم كأنك في جماعة من المسلمين كثيرة ، وكأنك بالشام ونحن معك إذ استقبلتك النصارى بصلبها والبطارقة بكتبها وانحطوا عليك من كل شرف وحدب وكأنهم السيل ، فاعتصمنا بلا إله إلا الله وقلنا حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم نظرنا فاذا نحن بالقرى والحصون من ورائهم وعن أيمانهم وشمائلهم ، فاذا نحن بآت قد أتى فنزل من أعلى شاهقة في الجبل حتى استوى بالحضيض ، ثم أخرج كفه وأصابعه فاذا هي نار ثم إنه أهوى بها إلى ما قابله من القرى والحصون فصارت ناراً تأجج، ثم إنها خمدت فصارت رماداً، ثم نظرنا الى ما استقبلنا من نصاراهم وبطارقتهم وجموعهم ، فاذا الأرض قد ساخت بهم ، فرفع الناس رؤوسهم وأيديهم إلى ربهم يحمدونه ويمجدونه ويشكرونه ، فهذا ما رأيت ثم انتبهت ، فقال أبو بكر رحمه الله : نامت عينك هذه بشرى ، وهو الفتح إن شاء الله لا شك فيه ، أنت أحد أمرائي ، فاذا سار يزيد بن أبي سفيان فأقم ثلاثاً ثم تيسر للسير ، ففعل ، فلما مضى اليوم الثالث أتاه من الغد يودعه ، فقال له يا شرحبيل ألم تسمع وصيتي يزيد بن أبي سفيان ؟ قال : بلى ، قال : فإني أوصيك بمثلها وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن لابن أبي سفيان ، أوصيك بالصلاة لوقتها ، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل ، وبعيادة المرضى وحضور الجنائز ، وبذكر الله كثيراً على كل حال ، فقال له أبو سفيان : ان هذه الخصال كان يزيد بهن مستوصياً وعليهن مواظباً قبل أن يسير الى الشام ، فهو الآن لهن ألزم ان شاء الله تعالى ، فقال شرحبيل : الله المستعان وما شاء الله أن يكون كان ، ثم ودع أبا بكر رحمه الله ، وخرج في جيشه قبل الشام ، وبقي عظم الناس وهم مع أبي عبيدة في العسكر يصلي بهم ، وأبو عبيدة ينتظر كل يوم أن يدعوه أبو بكر فيسرحه ، وأبو بكر ينتظر به قدوم العرب عليه من

كل مكان ، يريد أن يشحن أرض الشام من المسلمين ، ويريد ان زحفت اليهم الروم أن يكونوا مجتمعين ، وقدمت عليهم حمير فيها ذو الكلاع واسمه أيفع ، وجاءت مذحج فيها قيس بن هبيرة المرادي ومعه جمع عظيم من قومه ، وفيهم الحجاج بن عبد يغوث الزبيدي من بني زبيد ، وجاء حابس بن سعد الطائي في عدد كثير من طيء ، وجاءت الأزد فيهم جندب بن عمرو بن حممة الدوسي في جماعة الأزد فيهم أبو هريرة ، وجاءت جماعة من قبائل قيس فعقد أبو بكر رحمه الله لميسرة بن مسروق العبسي عليهم ، وجاء قباث بن أشيم في بني كنانة ، فأما ربيعة وأسد وتميم فانهم كانوا بالعراق .

وعن سهل بن سعد أن أبا بكر رحمه الله لما أراد أن يبعث أبا عبيدة دعاه فأتاه فسلم عليه ، ثم جلس فمكث أبو بكر مليا لا يكلمه ، فظن أبو عبيدة أنه هم بعزله كما عزل خالد بن سعيد ، وهو يستحيي أن يستقبله به ، فقال : يا خليفة رسول الله ان كنا لا نصلح لكم ولا نحبكم ولا ننصحكم إلا أن تولونا ، فلسنا باخوان في الله وان كنا لا نجاهد في سبيل ولا نقاتل أعداء الله إلا أن نكون امراء أو رؤساء فلسنا الله نريد بجهادنا انما ننوي به اذن الفخر في الدنيا ، انني أطلب اليك أن تعزلني عن هذا الجند ، وتولي عليه من أحببت ، وأنا أخرج معه فأشير عليه برأيي وأنصحه وأواسي المسلمين بنفسي ، فقال أبو بكر : سبحان الله يا أبا عبيدة أظننت أنك ممن نتهمه ، أو ممن نبتغي به بدلاً ، أوممن نتخوف أن يأتي المسلمين من قبله وهن أو خلاف أو فساد ، معاذ الله أن تكون من أولئك ، ثم قال له : اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أمر به ، إنك تخرج في أشراف العرب وبيوتات الناس ، وصلحاء المسلمين ، وفرسان الجاهلية ، كانوا اذ ذاك يقاتلون حمية وهم اليوم يقاتلون على النية الحسنة والحسبة ، أحسن صحبة من صحبك ، وليكونوا عندك في الحق سواء ، فاستعن بالله ، وكفى به معيناً ، وتوكل عليه وكفى به وكيلاً ، اخرج من غد

ان شاء الله ، فخرج من عنده فلما ولى قال : يا أبا عبيدة ، فانصرف اليه ، قال : اني أحب أن تعلم كرامتك علي ومنزلتك مني ، والذي نفسي بيده ما على الأرض رجل من المهاجرين ولا غيرهم أعدله بك ولا بهذا - يعني عمر رحمه الله - ولا له عندي من المنزلة الا دون مالك ، فقال : رحمك ربك يا خليفة رسول الله هذا كان ظني بك .

قال : فانصرف فلما كان من الغد خرج أبو بكر في رجال من المسلمين على رواحلهم حتى أتى أبا عبيدة فسار معه حتى بلغ الثنية - ثنية الوداع [١] - ثم قال حين أراد أن يفارقه : يا أبا عبيدة اعمل صالحاً ، وعش مجاهداً ، وتوف شهيداً ، وليعطك الله كتابك بيمينك ، ولتقر عينك في دنياك وأخراك ، فوالله اني لأرجو أن تكون من التوابين الأوابين الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ، إن الله تبارك وتعالى قد صنع بك خيراً وساقه اليك اذ جعلك تسير في جيش المسلمين تقاتل به من كفر بالله وعبد غيره ، فقال أبو عبيدة : رحمك الله يا خليفة رسول الله فنشهد بفضلك في اسلامك ، ومناصحتك الله ، ومجاهدتك بعد رسول الله من تولى عن دين الله حتى ردهم الله بك الى الدين وهم صاغرون ، ونشهد أنك رحيم بالمؤمنين ، ذو غلظة على الكافرين [٢] ، فبورك لك فيما عملت وسددت فيما حملت ، ان أكن صالحاً فاربي المنة علي بإصلاحي ، وان أكن فاسداً فهو ولي اصلاحي ، وأما أنت فنرى أن نجيبك اذا دعوت ، وأن نطيعك اذا أمرت ثم إنه تأخر ، وتقدم إليه معاذ بن جبل ، فقال : يا خليفة رسول الله إني أردت أن يكون ما أكلمك به الآن بالمدينة قبل شخوصنا عنها ، ثم بدا لي أن أؤخر ما أريد من ذلك حتى يكون عند وداعي ، فيكون ذلك آخر ما أفارقك عليه ، فقال : هات يا معاذ فو الله إنك ما علمت لسديد القول ، موفق الرأي ، رشيد الأمر ، فأدنى راحلته ومقود فرسه في يده ، وهو متنكب القوس ، متقلد

---

(١) في ظاهر المدينة المنورة .

(٢) انظر سورة الفتح - الآية ٢٩ .

السيف ، فقال : ان الله تعالى بعث محمداً ﷺ برسالته إلى خلقه ، فبلغ ما أحب أن يبلغ ، وكان كما أحب ربه أن يكون ، فقبضه الله إليه وهو محمود مبزور ، صلوات الله عليه وبركاته إنه حميد مجيد ، جزاه الله عن أمته كأحسن ما يجزي النبيين ، ثم إن الله تبارك وتعالى استخلفك أيها الصديق عن ملأ من المسلمين ورضى منهم بك ، فارتد مرتدون ، وأرجف مرجفون ، ورجعت راجعة عن هذا الدين ، فأدهن بعضنا وخار جلدنا وأحب المحادثة [٢] والموادعة طائفة منا ، واجتمع رأي الملأ الأكابر منا أن يتمسكوا بدينهم ، وأن يأكلوا قرى عربية [٣] ، ويعبدوا الله حتى يأتيهم اليقين ويدعو الناس وما ذهبوا إليه ، فلم ترض منهم بشيء كان رسول الله ﷺ يرده عليهم ، فنهضت بالمسلمين ، وشمرت للمجرمين ، وشددت بالمطيع المقبل على العاصي المدبر ، حتى أجاب إلى الحق من كان عابداً [٤] عنه ، وزحل عن الباطل من كان فيه مرتكساً ، فلما تمت نعمة الله عليك وعلى المسلمين في ذلك ندبت المسلمين إلى الوجه الذي يضاعف الله لهم فيه الأجر ويعظم لهم الفتح والمغنم فأمرك مبارك ، ورأيك محمود رشيد ونحن وصالح المؤمنين نسل الله لك المغفرة والرحمة الواسعة ، والقوة في العمل بطاعة الله في عافية ، وإن هذا الذي تسمع من دعائي وثنائي ومقالتي لتزداد في فعل الخير رغبة ، وتحمد الله على النعمة ، وأنا معيد هذا على المؤمنين ليحمدوا الله على ما أبلاهم واصطنع عندهم بولايتك عليهم . ثم أخذ كل واحد منهما بيد

---

(١) انظر سورة الفتح ـ الآية : ٢٩ .

(٢) في حاشية الاصل : لعله المهادنة .

(٣) ويروى « عربية » و « عرنية » والصحيح ما أثبتناه في النص ، وقد كانت قريبة من خيبر . انظر تاريخ خليفة بن خياط : ١ / ٧٢ ؛ المغانم المطابة في معالم طابة للفيروز أبادي . ط بيروت ١٩٦٩ : ٢٦١ .

(٤) في حاشية الاصل « لعله عائداً » ، وما جاء في المتن صحيح ففي القاموس « العبدة : الانفة » .

صاحبه فودعه ، ودعا الله ثم تفرقا ، وانصرف أبو بكر رحمه الله ، ومضى ذلك الجيش .

وعن سعيد بن العاص قال : قال رجال من المسلمين لخالد بن سعيد وقد تهيأ للخروج مع أبي عبيدة : لو كنت خرجت مع ابن عمك يزيد بن أبي سفيان كان أمثل من خروجك مع غيره ، فقال ابن عمي أحب إلي من هذا في قرابته ، وهذا أحب إلي من ابن عمي في دينه ، هذا كان أخي في ديني على عهد الرسول ، وولي وناصري على ابن عمي قبل اليوم ، فأنا به أشد استئناساً ، وإليه أشد طمأنينة ، فلما أراد أن يغدو سائراً إلى الشام لبس سلاحه ،وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم: عمراً وأبانا ، والحكم ، وغلمته ومواليه ، ثم أقبل إلى أبي بكر رحمه الله عند صلاة الغداة فصلى معه ، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته فجلسوا إليه ،فحمد الله خالد ، وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم قال : يا أبا بكر إن الله تبارك وتعالى قد أكرمنا وإياك والمسلمين عامة بهذا الدين ، فأحق من أقام السنة ، وأمات البدعة وعدل في السيرة الوالي على الرعية ، وكل امرىء من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ، ومعدلة الوالي أعم نفعاً ، فاتق الله يا أبا بكر فيمن ولاك أمره ، وارحم الأرملة واليتيم وأعن الضعيف والمظلوم ، ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك في الحق منه إذا سخطت عليه ، ولاتغضب ما قدرت على ذلك فإن الغضب يحر الجور ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع ، فإن حقدك على المسلم يحملك له عدواً ، وإن اطلع على ذلك منك عاداك ، وإذا عادى الوالي الرعية ، وعادت الرعية الوالي كان ذلك قمنا [1] أن يكون إلى هلاكهم داعياً ، ولن للمحسن ، واشتد على المريب ولا تأخذك في الله لومة لائم، ثم قال:هات يدك يا أبا بكر فإني لا أدري أنلتقي في الدنيا أم لا ، فإن قضى الله لنا في الدنيا التقاء فنسأل الله عفوه وغفرانه ، وإن كانت هي الفرقة التي ليس

(١) أي خليقا أو جديراً . النهاية لابن الاثير .

بعدها لقاء فعرفنا الله وإياك وجه النبي ﷺ في جنات النعيم ، فأخذ أبو بكر رحمه الله بيده فبكى وبكى خالد ، وبكى المسلمون ، وظنوا أنه يريد الشهادة، وطال بكاؤهم ، ثم إن أبا بكر قال : انتظر نمش معك ، قال : ما أريد أن تفعل ، قال : لكني أريد ذلك ومن أراده من المسلمين ، فقام وقام الناس معه حتى خرج من بيوت المدينة ، فما رأيت مشيعاً من المسلمين شيعه من الناس أكثر ممن شيع خالد بن سعيد يومئذ وإخوته ، فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر : إنك قد أوصيتني ترشدني وقد وعيت ، وأنا موصيك فاستمع :وعها، إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة في الإسلام ، وفضيلة عظيمة ، والناس ناظرون إليك ومستمعون منك ، وقد خرجت في هذا الوجه العظيم الأجر ، وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه بحسبة ونية صادقة إن شاء الله تعالى ، فثبت العالم وعلم الجاهل ، وعاتب السفيه المسرف ، وانصح لعامة المسلمين ، واخصص الوالي على الجند من نصيحتك ومشورتك بما يحق لله وللمسلمين عليك ، واعمل كأنك تراه واعدد نفسك من الموتى ، واعلم أنا عما قليل ميتون ،ثم مبعوثون ، ثم مسؤولون ومحاسبون ، جعلنا الله وإياك لأنعمه من الشاكرين ولنقمه من الخائفين ، ثم أخذ بيده فودعه ، وأخذ بأيدي إخوته بعد ذلك فودعهم واحداً واحداً، ثم ودعهم المسلمون ، ثم إنهم دعوا بإبلهم فركبوها ، وكانوا قبل ذلك يمشون مع أبي بكر رحمه الله ، ثم قيدت معهم خيلهم ، فخرجوا بهيئة حسنة ، فلما أدبروا ، قال أبو بكر : اللهم احفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، واحط أوزارهم وأعظم أجورهم ، ثم انصرف أبو بكر ومن معه من المسلمين .

وعن محل بن خليفة أن ملحان بن زياد الطائي أخا عدي بن حاتم لأمه أتى أبا بكر رحمه الله في جماعة من قومه من طيء نحو ستمائة ، وقال له : إنا أتيناك رغبة في الجهاد وحرصاً على الخير ، ونحن القوم الذين تعرف ، الذين قاتلنا معكم من ارتد منا حتى أقر بمعرفة ما كان ينكر ، وقاتلنا معكم من ارتد

منكم حتى أسلموا طوعاً وكرهاً ، فسرحنا في أثر الناس واختار لنا والياً صالحاً نكون معه ، وكان قدومهم على أبي بكر بعد مسير الأمراء كلهم إلى الشام ؛ فقال أبو بكر : قد اخترت لك أفضل أمرائنا أميراً، وأقدم المهاجرين بهجرة، الحق بأبي عبيدة بن الجراح فقد رضيت لك صحبته وحمدت لك أدبه ، فنعم الرفيق في السفر ونعم الصاحب في الحضر ، قال : فقلت لأبي بكر : فقدرضيت بخيرتك التي اخترت لي ، قال : فالبعته حتى لحقته بالشام فشهدت معه مواطنه التي شهدها كلها لم أغب عن يوم منها .

وعن أبي سعيد المقبري ، قال : قدم ابن ذي السهم الخثعمي على أبي بكر وجماعة من خثعم فوق السبعمائة ودون الألف ، فقال ابن ذي السهم لأبي بكر : إنا قد تركنا الديار والأصول والعشائر والأموال ، وأقبلنا بنسائنا وأبنائنا ونحن نريد جهاد المشركين فماذا ترى لنا في أولادنا ونسائنا ، أنخلفهم عندك ونمضي ، فإذا جاء الله بالفتح بعثنا إليهم فأقدمناهم علينا ، أم ترى لنا أن نخرجهم معنا ونتوكل على الله ربنا ؟ ، فقال أبو بكر سبحان الله يا معشر المسلمين هل سمعتم أحداً ممن سار من المسلمين إلى أرض الروم وأرض الشام ذكر في الأولاد والنساء مثل ما ذكر أخو خثعم ؟ أما إني أقسم لك يا أخا خثعم لو سمعت هذا القول منك والناس مجتمعون عندي قبل أن يشخصوا لأحببت أن أحبس عيالاتهم عندي وأسرحهم ليس معهم من النساء والأبناء ما يشغلهم ويهمهم حتى يفتح الله عليهم ، ولكنه قد مضى عظم الناس ومعهم ذراريهم ، ولك بجماعة المسلمين أسوة وأنا أرجو أن يدفع الله بعزته عن حرمة الإسلام وأهله، فسر في حفظ الله وكنفه فإن بالشام أمراء قد وجهنا إليها ، فأيهم أحببت أن تصحبه فاصحب ، قال : فسار حتى لقي يزيد بن أبي سفيان فصحبه .

وعن يحيى بن هانىء بن عروة أن أبا بكر كان أوصى أبا عبيدة بقيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي ، وقال له : إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف ، فارس من فرسان العرب ، لا أظن له عظيم حسبة ولا كبير نية في الجهاد ، وليس

بالمسلمين غنى عن مشورته ورأيه وبأسه في الحرب فأدنه وألطفه وأره أنك غير مستغن ولا مستهين بأمره فإنك تستخرج بذلك نصيحته لك وجهده وحدّه على عدوك .

قال : ودعا أبو بكر قيساً فقال له : إني قد بعثتك مع أبي عبيدة الأمين الذي إذا ظلم كظم ، وإذا أسيء إليه غفر ، وإذا قطع وصل ، رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين ، فلا تعصين له أمراً ولا تخالفن له رأياً فإنه لن يأمرك إلا بخير ، وقد أمرته أن يسمع منك ، فلا تأمره إلا بتقوى الله فقد كنا نسمع انك شريف بئس محرب ، وذلك في زمان الشرك والجاهلية الجهلاء إذ ليس فيهم إلا الإثم ، فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك اليوم في الإسلام على من كفر بالله ، وعبد غيره فقد جعل الله فيه الأجر العظيم والعز للمسلمين ، فقال : إن بقيت وبقيت فسيبلغك من حيطتي على المسلم وجدي على الكافر ما يسرك ويرضيك ، فقال أبو بكر رحمه الله : فافعل ذلك ، فلما بلغ أبا بكر مبارزته البطريقين بالجابية وقتله إياهما ، قال : صدق قيس ووفى وبر .

وعن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، قال : لما مضت جنود أبي بكر إلى الشام وبلغ ذلك هرقل ملك الروم وهو بفلسطين ، وقيل له : قد أتتك العرب وجمعت لك جموعاً عظيمة ، وهم يزعمون أن نبيهم الذي بعث إليهم أخبرهم أنهم يظهرون على أهل هذه البلاد وقد جاؤوك وهم لا يشكون أن هذا يكون ، وجاؤوك بأبنائهم تصديقاً لمقالة نبيهم ، يقولون : لو قد دخلناها وافتتحناها نزلناها بأولادنا ونسائنا ، فقال هرقل: ذلك أشد لشوكتهم إذا قاتل القوم على تصديق ويقين فما أشد على من كابدهم أن يزيلهم أو يصدهم ، قال : فجمع إليه أهل البلاد وأشراف الروم ، ومن كان على دينه من العرب ، فقال : يا أهل هذا الدين ، إن الله قد كان إليكم محسناً ، وكان لدينكم هذا معزاً ، وله ناصراً على الأمم الخالية وعلى كسرى والمجوس وعلى الترك الذين لا يعلمون ، وعلى سواهم من الأمم كلها ، وذلك أنكم كنتم تعملون بكتاب ربكم وسنة نبيكم الذي كان

أمره رشداً وفعله هدى ، فلما بدلتم وغيرتم أطمع ذلك فيكم قوماً ، والله ما كنا نعتد بهم ، ولا نخاف أن نبتلى بهم ، وقد ساروا إليكم حفاة عراة جياعاً ، اضطرهم إلى بلادكم قحط المطر وجدوبة الأرض وسوء الحال ، فسيروا إليهم فقاتلوهم عن دينكم وعن بلادكم وعن أبنائكم ونسائكم وأنا شاخص عنكم وممدكم بالخيول والرجال ، وقد أمرت عليكم أمراء فاسمعوا لهم وأطيعوا ، ثم خرج حتى أتى دمشق ، فقام فيهم مثل هذا المقام وقال فيها مثل هذا المقال ثم خرج حتى أتى حمص ، فقام فيهم مثل هذا المقام ، وقال فيها مثل هذا المقال ، ثم خرج حتى أتى أنطاكية فأقام بها ، وبعث إلى الروم فحشرهم إليه ، فجاءه منهم ما لا يحصى عدده ونفر إليه مقاتلتهم وشبابهم وأتباعهم ، وأعظموا دخول العرب عليهم ، وخافوا أن يسلبوا ملكهم .

وأقبل أبو عبيدة حتى مر بوادي القرى ، ثم أخذ على الحجر[١] وهي أرض صالح النبي عليه السلام مما يلي الحجاز وهم دون الحجر مما يلي الشام ، ثم على ذات المنار[٢] ، ثم على زيزاء[٣] ثم سارو إلى مآب بعمان فخرجوا إليهم -أعني الروم- فلم يلبثهم المسلمون أن هزموهم حتى دخلوا مدينتهم فحاصروهم فيها وصالحهم أهل مآب عليها فكانت أول مدائن الشام صالح أهلها ثم سار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية[٤] أتاه آت فخبره أن هرقل بانطاكية وأنه قد جمع لكم من الجموع ما لم يجمعه ولا أحد كان قبله من آبائه لأحد من الأمم قبلكم ، وكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر رضي الله عنه :

لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ من أبي عبيدة بن الجراح : سلام

---

(١) قرية صغيرة قليلة السكان على يوم من وادي القرى . معجم البلدان .

(٢) موضع في أول أرض الشام من جهة الحجاز . معجم البلدان .

(٣) من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحجاج ، ويقام بها لهم سوق ، وفيها بركة عظيمة . معجم البلدان .

(٤) قرب بلدة قوى في حوران في سورية حالياً .

عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزاً مبيناً ، وأن يفتح لهم فتحاً يسيراً فإنه بلغني أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى أنطاكية ، وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه ، وأنهم نفروا إليه على الصعب والذلول ، وقد رأيت أن أعلمك ذلك فانظر رأيك فيه ، والسلام عليك ورحمة الله تعالى .

فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد : فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم ، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه وفتح من الله عليك وعلى المسلمين ، وأما حشده أهل مملكته وجمعه لكم الجموع ، فإن ذلك ما قد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم ، ما كان قوم ليدعوا سلطانهم ولا ليخرجوا من مملكتهم بغير قتال ، ولقد علمت ، والحمد لله ، أن قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة ، يحتسبون من الله في قتالهم الأجر العظيم ، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم ، وعقائل أموالهم ، الرجل منهم عند الهيج خير من ألف رجل من المشركين ، فالقهم بجندك ، ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين ، فإن الله تعالى ذكره معك وأنا مع ذلك ممدك بالرجال بعد الرجال حتى تكتفي ولا تريد أن تزداد ، والسلام عليك .

وبعث بهذا الكتاب مع دارم العبسي .

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر رحمه الله ، أما بعد : فإن هرقل ملك الروم لما بلغه مسيرنا إليه ألقى الله الرعب في قلبه فتحمل ونزل أنطاكية ، وتخلف أمراء من جنده على جند الشام وأمرهم بقتالنا ، وقد تيسروا لنا

واستعدوا وقد نبأنا مسلمة [١] الشام أن هرقل قد استنفر أهل مملكته ، وأنهم قد جاؤوا يجرون الشوك والشجر ، فمرنا بأمرك وعجل علينا في ذلك برأيك نتبعه ، نسأل الله النصر والصبر والفتح ، وعافية المسلمين ، والسلام عليك .

فكتب إليه ، أما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحول ملك الروم إلى أنطاكية ، وإلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين ، وأن الله تبارك وتعالى ، وله الحمد ، قد نصرنا ونحن مع رسول الله ﷺ بالرعب ، وأيدنا بملائكته الكرام ، وأن ذلك الدين الذي نصرنا الله عليه [٢] بالرعب هو هذا الدين الذي ندعو الناس إليه اليوم ، فوربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين ، ولا من يشهد أنه الله لا إله غيره كمن يعبد معه آلهة أخرى ، ويدين بعبادة آلهة شتى ، فإذا لقيتهم فانبذ إليهم بمن معك ، وقاتلهم ، فإن الله لن يخذلك ، وقد نبأنا الله أن الفئة القليلة مما يغلب الفئة الكثيرة [٣] بإذنه ، وأنا مع ما هناك ممدكم بالرجال في أثر الرجال حتى تكتفوا ولا تحتاجون إلى زيادة إنسان ، إن شاء الله ، والسلام .

وبعث بهذا الكتاب مع عبد الله بن قرط الثمالي وقد كان قال له أبو بكر : أخبرني خبر الناس ؟ قال : المسلمون بخير قد دخلوا أدنى أرض الشام وقد رعب أهلها منهم وقد ذكر لنا قد جمعت لنا الروم جموعاً عظاماً ، ولم نلق عدونا بعد ونحن في كل يوم نتوكف [٤] لقاء العدو ، أو نتوقعه وإن نحن لم تأتنا جيوش من قبل هرقل فليست الشام بشيء ، قال أبو بكر رحمه الله : صدقتني

---

(١) جاء في حاشية الاصل : مسالة عرب الشام » .

(٢) كذا بالاصل وكان يحسن أن يقول « به » وأوردالازدي في فتوح الشام : ٣٢ نص هذه الرسالة بشكل يختلف بعض الشيء عما جاء هنا ونقرأ لديه : « وأمدنا بملائكته الكرام ، وأن ذلك الدين الذي نصرنا الله به بالرعب » .

(٣) انظر سورة البقرة ـ الآية : ٢٤٩ .

(٤) توكف الخبر إذا انتظر وقوعه .

الخبر ، فقال له : ومالي لا أصدقك ويحل لي الكذب ويصلح لمثلي أن يكذب مثلك ، ولو كذبت في هذا ألم أخن أمانتي وأخن ربي وأخن المسلمين ؟ قال : معاذ الله لست من أولئك ، وكتب حينئذ أبو بكر معه بهذا الكتاب ورده إلى يزيد ، وقال أخبره والمسلمين أن مدد المسلمين آتيهم مع هاشم بن عتبة وسعيد ابن عامر بن حذيم ، فخرج عبد الله بن قرط بكتاب أبي بكر حتى قدم به على يزيد بن أبي سفيان ، وقرأه على المسلمين فتباشروا به وفرحوا وسروا .

وعن أبي عبادة عن جده أن أبا بكر رحمه الله دعا هاشم بن عتبة ، فقال له : يا هاشم إن من سعادة جدك ووفاء حظك أنك أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها من المشركين ، وممن يثق الوالي بنصيحته وصحته وعفافه وبأسه وقد بعث إلي المسلمون يستنصرون على عدوهم من الكفار فسر إليهم فيمن يتبعك فإني نادب الناس معك فاخرج حتى تقدم على أبي عبيدة أو يزيد بن أبي سفيان ، قال : لا بل على أبي عبيدة ، قال : فاقدم على ابي عبيدة ، قال : فقام ابو بكر رضي الله عنه في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : اما بعد : فإن إخوانكم من المسلمين معافون مكلؤون ، مدفوع عنهم ، مصنوع لهم ، قد القى الله جل ثناؤه الرعب في قلوب عدوهم منهم ، وقد استعصموا بحصونهم وغلقوا أبوابها دونهم ، وقد جاءتني رسلهم يخبروني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم حتى نزل قرية من أقصى قرى الشام ، وقد بعثوا إلي يخبروني أنه قد وجه إليهم جنداً من مكانه ذلك ، فرأيت أن أمد إخوانكم من المسلمين بجند منكم يشد الله بهم ظهورهم ، ويكبت به عدوهم ، ويلقي به الرعب في قلوبهم ، انتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص ، فاحتسبوا في ذلك الأجر والخير ، فإنكم إن نصرتم فهو الفتح والغنيمة ، وإن هلكتم فهي الشهادة والكرامة .

ثم انصرف إلى منزله ، ومال الناس على هاشم بن عتبة حتى كثروا عليه فلما

تموا ألفاً أمره أبو بكر رحمه الله أن يسير ، فسلم عليه وودعه ، وقال له أبو بكر: يا هاشم إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره ، وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته ، وإن الله تعالى قد جمع لك تلك الخصال كلها ، وأنت حديث السن مستقبل الخير ، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر ، واعلم أنك لا تخطو خطوة ولا تنفق نفقة ، ولا يصيبك ظمأ ، ولا نصب ، ولا مخمصة [١] في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً ، ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[٢] ، فقال : إن يرد الله جل ثناؤه لي خيراً يجعلني كذلك وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله . أما أنا فأرجو إن لم أقتل أن أقتل ثم أقتل ثم أقتل ، فقال له عمه سعد [٣] : يا بن أخي لا تطعنن طعنة ولا تضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله ، واعلم أنك خارج من الدنيا وشيكاً ، وراجع إلى الله قريباً ، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته ، وعمل صالح أسلفته ، فقال: يا عم لا تخافن هـذه مني ، إني إذاً لمن الخاسرين إن جعلت حلي وارتحالي ، وغدوي ورواحي ، وسعيي واجلابي ، وطعني برمحي ، وضربي بسيفي ، رياء الناس ، ثم خرج من عند أبي بكر فلزم طريق أبي عبيدة حتى قدم عليه . فتسار المسلمون بمقدمه وتباشروا به .

وبلغ سعيد بن عامر بن حذيم أن أبا بكر رحمه الله يريد أن يبعثه ، فلما أبطأ ذلك عليه ، ومكث أياماً لا يذكر ذلك له ، أتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر والله لقد بلغني أنك كنت أردت أن تبعثني في هذا الوجه ، ثم رأيتك قد سكت ، فما أدري ما بدا لك في ، فإن كنت تريد أن تبعث غيري فابعثني معه فما أرضاني بذلك ، وإن كنت لا تريد أن تبعث أحداً فإني راغب

---

(١) النصب : التعب والمخمصة : الجوع .

(٢) سورة التوبة ـ الآية : ١٢٠ .

(٣) سعد بن أبي وقاص .

في الجهاد ، فأذن لي يرحمك الله كيما ألحق بالمسلمين ، فقد ذكر لي أن الروم قد جمعت لهم جمعاً عظيماً ، فقال أبو بكر: رحمك أرحم الراحمين يا سعيد بن عامر ابن حذيم فإنك ما علمت من المتواضعين المتواصلين المخبتين [١] المتهجدين بالأسحار الذاكرين الله كثيراً ، فقال : رحمك الله نعم الله عليّ أفضل ، وله الطول والمن وأنت والله ما علمت صدوع بالحق قؤوم [٢] بالقسط ، رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين ، تحكم بالعدل ولا تستأثر بالقسم ، فقال له : حسبك يا سعيد حسبك اخرج رحمك الله فتجهز فإني مسرح إلى المسلمين جيشاً وأؤمرك عليهم ، فأمر بلالاً فنادى في الناس أن انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد ابن عامر إلى الشام ، فانتدب معه سبعمائة رجل في أيام ، فلما أراد سعيد الشخوص بالناس جاء بلال فقال : يا خليفة رسول الله إن كنت إنما أعتقتني لله تعالى لأملك نفسي وأضطرب فيما ينفعني فخل سبيلي حتى أجاهد في سبيل الله ، فإن الجهاد أحب إلي من المقام ، قال أبو بكر : فإن الله يشهد أني لم أعتقك إلا له وأني لا أريد منك جزاء ولا شكورا ، فهذه الأرض ذات العرض فاسلك أي فجاجها أحببت فإن شئت فافدع [٣] وإن شئت فاصعد فقال : كأنك أيها الصديق عتبت علي في مقالتي ، أو وجدت في نفسك منها ؟ قال : لا والله ما وجدت في نفسي من ذلك ، وإني لأحب أن لا تدع هواك لهواي ، ما دعاك هواك إلى طاعة ربي ، قال له : فان شئت أقمت معك ؟ قال له : أما إذ كان هواك الجهاد فلم أكن لآمرك بالمقام ، وإنما أردتك للأذان ولأجدن لفراقك وحشة يا بلال ، وما بد من التفرق ، فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث ، فاعمل صالحاً يا بلال يكن زادك من الدنيا يذكرك الله به ما حييت ، ويحسن لك

---

(١) أي الخاشعين . النهاية لابن الاثير .

(٢) قائم بالقسط .

(٣) الفدع الميل أو الالتواء ـ اللسان .

به الثواب إذا توفيت ، فقال له بلال : جزاك الله من ولي نعمة وأخ في الإسلام خيراً ، فو الله ما أمرك لنا بالصبر على الحق والمداومة على العمل بالطاعة ببدع ، وما كنت لأؤذن لأحد بعد النبي ﷺ ، ثم خرج بلال مع سعيد بن عامر ، وجاء سعيد على راحلته حتى وقف على أبي بكر والمسلمين ، فقال له : إنا نؤم هذا الوجه فجعله الله وجه بركة ، اللهم فان قضيت لنا التقاء فاجمعنا على طاعتك ، وإن قضيت علينا الفرقة فإلى رحمتك ، والسلام عليكم ، ثم ولى فذهب ، فقال أبو بكر : عباد الله أدعوا الله كيما يصحب صاحبكم ويسلمه ، ارفعوا أيديكم رحمكم الله فرفع القوم أيديهم إلى ربهم وهم أكثر من خمسين رجلاً فقال علي رضي الله عنه : ما رفع عدتكم من المسلمين أيديهم إلى ربهم يسألونه شيئاً إلا استجاب لهم ، ما لم تكن معصية ، أو قطيعة رحم ، فبلغه ذلك بعدما واقع أرض الشام ، وقاتل العدو ، فقال : رحم الله اخواني ليتهم لم يكن دعوا لي ، قد كنت خرجت وإني على الشهادة لحريص جاهد ، فما هو إلا أن لقيت العدو فعصمني الله من الهزيمة والفرار ، وذهب من نفسي ما كنت أعرف من حب الشهادة فلما خبرت إن أخواني دعوا لي بالسلامة عرفت أنهم استجيب لهم ، وكان أبو بكر أمره أن يسير حتى يلحق بيزيد بن أبي سفيان فسار حتى لحق به وشهد معه وقعة العربة (١) والداثنة (٢) .

وعن حمزة بن مالك الهمداني ثم العذري أنه قدم في جمع من همدان عظيم ، على أبي بكر رحمه الله ، قال : فقدموا وهم ألفا رجل وأكثر ، فلما رأى أبو بكر عددهم وعدتهم سره ذلك ، فقال : الحمد لله على صنعه للمسلمين ما يزال الله تبارك وتعال يرتاح لهم بمدد من أنفسهم يشد الله به ظهورهم ويقصم به عدوهم .

قال : ثم إن أبا بكر أمرنا فعسكرنا بالمدينة وكنت أختلف إلى أبي بكر

---

(١) العربة موضع بفلسطين ، ولعله المعروف الآن باسم وادي عربة . انظر معجم البلدان .

(٢) ناحية قرب غزة بأعمال فلسطين . معجم البلدان ، وفيه « داثن » .

غدوة وعشية وعنده رجال من المهاجرين والأنصار ، فكان يلطفني ويدني مجلسي ويقول لي : تعلم القرآن ، وأسبغ الوضوء ، وأحسن الركوع والسجود ، وصل الصلاة لوقتها ، وأد الزكاة في حينهـا ، وانصح المسلم وفارق المشرك ، واحضر البأسِ يوم البأس .

فقلت : والله لأجهدن أن لا أدع شيئاً مما أمرتني به إلا عملتـه ، إني لأعلم أنك قد اجتهدت لي في النصيحة ، وأبلغت في الموعظة .

قال : ثم إنه خرج إلى عسكرنا وأمرنا أن نتيسر ونتجهز ونشتري حوائجنا ثم نعجل على أصحابنا ، فتحشحشنا [١] لذلك ، وعجلنا بالجهاز ، فلما فرغنا وعلم ذلك بعث إلي فقال: يا أخا همدان إنـك شريف بَيْس ذو عشيرة فأحضرهم البأس ولا تؤذ بهم الناس ، قال : وكان معي رجـال من أهل القرى من همدان فيهم جهل وجفاء ، فكانوا قد تأذى منهم أهل المدينة ، فشكوا ذلك إلى أبي بكر ، فقال أبو بكر : نشدت الله امرأً مسلماً سمع نشيدي لما كف عن هؤلاء القوم ، ومن رأى لي عليه حقاً فليحتمل ذرب ألسنتهم أو عجلة يكرهها منهم ما لم يبلغ ذلك الحد ، إن الله تعالى مهلك بهؤلاء وأشباههم غـداً جموع هرقل والروم ، وإنما هم إخوانكم ، فلو أن أخا أحدهم في دينه عجل عليه في شيء ألم يكن أصوب في الرأي وخيراً في المعاد أن يحتمل له ؟ قـال المسلمون : بلى ، قال : فهـم إخوانكم في الدين وأنصاركم على الأعـداء ، ولهم عليكم حق فاحتملوا لهم ذلك . قال : ثم نظر إلي ، فقال : ارتحل ما تنتظر .

قال : فارتحلت ، وقـد قلت له قبل أن نرتحل : علي أمير دونك ؟ قال : نعم هناك ثلاثة أمراء قد أمرناهم ، فأيهم شئت فكن معه ، قال : فأقبلت حتى دخلت على أدنى الشام فلما لحقت بالمسلمين سألتهم أي الأمراء أفضل ، وأيهم

(١) التحشحش : الحركة للنهوض . النهاية لابن الاثير .

كان أفضل عنـــد النبي ﷺ صحبة ؟ فقيل : أبو عبيدة بن الجراح ، فقلت في نفسي : لا والله لا أعدل بهذا أحداً أبداً ، فجئت حتى آتي أبا عبيدة ، فدخلت عليه ، ثم قصصت عليه قصة مخرجي ومقدمي على أبي بكر رحمه الله ، وما كان من أمري وأمر أصحابي بالمدينة ، وبمقدمي عليه واختياري له ، فقـال : بارك الله لك في إسلامك وجهادك ، وقدومك علينا ، وبارك لنا فيك ، وفيمن قدمت به علينا من المسلمين [١] .

وعن عمرو بن محصن قال : لم يكن أبو بكر رحمه الله يسأم بتوجيه الجنود إلى الشام وامداد الأمراء الذين بعث إليها بالرجال بعد الرجال إرادة إعزاز أهل الإسلام ، وإذلال أهل الشرك .

وعن أبي سعيد المقبري ، قال : لما بلغ أبا بكر رحمه الله جمع الأعاجم لم يكن شيء أعجب إليه من قدوم المجاهدين عليه من أرض العرب ، فكانوا كلما قدموا عليه سرح الأول فالأول ، فقدم عليه فيمن قدم أبو الأعور السُّلَمي ، وهو عمرو بن سفيان ، فدخل عليه ، فقال : إنا قد جئناك من غير قحمة ولا عدم ، فإن شئت أقمنا معك مرابطين ، وإن شئت وجهتنا إلى عدوك من المشركين ؟ فقال له أبو بكر : لا بل تجاهدون الكافرين ، وتواسون المسلمين ، فبعثه فسار حتى قدم على أبي عبيدة ، قال : ثم إنه قدم عليه معن بن يزيـــد بن الأخنس السلمي في رجال من بني سُلَيم نحو من مائة ، فقال أبو بكر : لو كان هؤلاء أكثرهما هم أمضيناهم ، فقال له عمر : والله لو كانوا عشرة لرأيت لك أن تمد بهم إخوانهم ، أي والله ، وأرى لك أن تمدهم بالرجل الواحد إذا كان ذا جزاء وغناء ، فقال حبيب بن مسلمة الفهري : عندي نحو من عدتهم رجال من أفناء القبـائل ذوو رغبة في الجهاد ، فاجمعنا وهؤلاء جميعاً يا خليفة رسول الله ثم ابعثنا ، فقال له : إما لا ، فاخرج بهم جميعاً حتى تقدم على إخوانهم .

---

(١) في حاشية الاصل : تم ، بلغ مقابلة على أصله .

فخرج فعسكر معهم ، ثم جمع أصحابه إليهم ثم مضى حتى قدم بهم على يزيد بن أبي سفيان ، قال : واجتمعت رجال من كعب وأسلم وغفار ومزينة نحو من مائتين ، فأتوا أبا بكر رحمه الله ، فقالوا: ابعث علينا رجلاً وسرحنا إلى إخواننا ، فبعث عليهم الضحاك بن قيس ، فسار حتى أتى يزيد بن أبي سفيان فنزل معـــه .

وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال : لما رأى أهل مدائن الشام أن العرب قد جاشت عليهم من كل وجه ، وكثرت جموعهم بعثوا الرسل إلى ملكهم يعلمونه ذلك ، ويسألونه المـــدد ، فكتب إليهم إني قد عجبت لكم حين تستمدوني ، وحين تكثرون عليّ عدة من جاءكم ، وأنا أعلم بكم وبمن جاءكم منهم ، ولأهل مدينة واحدة من مدائنكم أكثر ممن جاءكم منهم أضعافاً ، فالقوهم فقاتلوهم ، ولا تحسبوا أني كتبت إليكم بهذا وأنا لا أريد أن أمدكم ، لأبعثن إليكم من الجنود ما تضيق بهم الأرض الفضاء ، قال : فكانت مدائن أهل الشام من الروم قد أرسلوا إلى كل من كان على دينهم من العرب فأطعمهم أكثرهم في النصر ، ومنهم من حمي للعرب ، فكان ظهور العرب أحب إليه ، وذلك من لم يكن في دينه راسخاً منهم .

وبلغ خبرهم وتراسلهـــم أبا عبيدة بن الجراح ، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر :

بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد : فالحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وكرمنا بالإيمان ، وهدانا لمـــا اختلف فيه المختلفون بإذنه ، انه « يهدي من يشاء الى صراط مستقيم [1] » ، وإن عيوني من أنباط الشام نبأوني أن أول أمداد ملك الروم قد وقعوا إليه ،

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢١٣ .

وأن أهل مدائن الشام بعثوا رسلهم إليه يستمدونه ، وأنه كتب إليهم : إن أهل مدينة من مدائنكم أكثر ممن قدم عليكم من عدوكم ، فانهضوا إليهم فقاتلوهم ، فإن مدي إياكم من ورائكم ، فهذا ما بلغنا عنهم ، وأنفس المسلمين طيبة بقتالهم ، وقد خبرنا أنهم تيسروا لقتالنا فأنزل الله على المسلمين نصره ، وعلى عدوهم رجزه إنه بما يعملون عليم ، والسلام .

قال : فجمع أبو بكر رحمه الله أشراف قريش من المهاجرين وغيرهم من أهل مكة ، ثم دعا بأشراف الانصار . وذوي السابقة منهم ، فقال عمر : لأي شيء دعوت بهؤلاء : فقال : لأستشيرهم في هذا الأمر الذي كتب إلينا فيه أبو عبيدة ، قال له : أما المهاجرون والأنصار فأهل الاستنصاح والمشورة ، وأما رجال أهل مكة الذين كنا نقاتلهم لتكون كلمة الله العليا ويقاتلوننا ليطفئوا نور الله بأفواههم جاهدين على قتلنا أن قلنا ليس مع الله آلهة ، قالوا : مع الله آلهة أخرى ، فلما أعز الله دعوتنا وصدق احدوثتنا ، ونصرنا عليهم اردنا ان نقدمهم في الأمور ، ونستشيرهم فيها ونستنصحهم فيها وندنيهم دون من هو خير منهم ، ما نصحنا إذن صلحاءنا الذين كانوا يقاتلونهم في الله حين نقدمهم دونهم ولا نراهم وضعهم عندنا إذن جهادهم إيانا وجهدهم علينا ، لا والله لا نفعل ذلك أبداً ، قال أبو بكر رحمه الله : قد كنت أردت إدناءهم وإنزالهم منا بالمنازل التي كانوا بها في قومهم من الشرف ، فأما الآن حيث ذكرت ما ذكرت فو الله ما أرى الرأي في هذا إلا رأيك ، فبلغ ذلك أشراف قريش أولئك ، فشق عليهم ، وقال الحارث بن هشام : فإن عمر كان في شدته علينا قبل أن هدانا الله للاسلام مصيباً ، فأما الآن حيث هدانا الله فلا نراه إلا قاطعاً في شدته علينا ، ثم خرج هو وسهيل بن عمرو مع عكرمة بن أبي جهل في رجال من أشراف قريش حتى أتوا أبا بكر رحمه الله ، وعنده عمر ، فقال الحارث : يا عمر إنك قد كنت في شدتك علينا قبل الإسلام مصيباً فأما الآن وقد هدانا

الله لدينه فلا نراك إلا قاطعاً ، ثم جثا سهيل بن عمرو على ركبتيه ، فقال : إياك يا عمر نخاطب وعليك نعتب ، فأما خليفة رسول الله ﷺ فبريء عندنا من الضغن والحقد والقطيعة ، ألسنا إخوانكم في الإسلام وبني أبيكم في النسب ؟! فإنكم إن كان الله قد قدم لكم في هذا الأمر قدماً صالحاً لم نؤت مثله أقاطعون قرابتنا ومستهينون بحقنا ؟ ثم قال لهم عكرمة : أما إنكم وإن كنتم تجدون في عداوتنا قبل اليوم مقالاً فلستم اليوم بأشد على من ترك هذا الدين ولا أعدى منا .

فقال لهم عمر رحمه الله : إني والله ما قلت ما بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم بالإسلام وتحرياً للعدل فيما بينكم وبين من هو أفضل منكم .

فقال لهم سهيل بن عمرو : فإن كنتم إنما فضلتمونا بالجهاد في سبيل الله ، فو الله لنستكثرن منه ، أشهدكم أني حبيس في سبيل الله ، وقال الحارث بن هشام وأنا أشهدكم أني حبيس في سبيل الله ، والله لأنفقن مكان كل نفقة أنفقتها على حرب رسول الله ﷺ نفقتين في سبيل الله ، ولأقفن مكان كل موقف وقفته على رسول الله ﷺ موقفين على أعداء الله ، وقال عكرمة : وأنا أشهدكم أني حبيس في سبيل الله .

قال أبو بكر رحمه الله : اللهم ابلغ بهم أفضل ما يأملون واجزهم بأحسن ما يعملون فقد أصبتم فيما صنعتم فأرشدكم الله ، قال : فلما خرجوا من عند أبي بكر أقبل سهيل بن عمرو وكان شريفاً عاقلاً على أصحابه ، فقال لهم : لا تجزعوا مما ترون فإنهم دعوا ودعينا ، فأجابوا وأبطأنا ، ولو ترون فضائل من سبقكم إلى الإسلام عند الله عليكم ما نفعكم عيش ، وما من أعمال الله عمل أفضل من الجهاد في سبيل ، فانطلقوا حتى تكونوا بين المسلمين وبين عدوهم فتجاهدوهم دونهم حتى تموتوا ، فلعلنا أن نبلغ بذلك فضل المجاهدين فخرجوا حينئذ إلى جهاد الروم .

قال : فبلغني أنهم ماتوا مقترنين بين المسلمين وبين الروم رحمهم الله .

ثم دعا أبو بكر رحمه الله عمرو بن العاص ، فقال : يا عمرو هؤلاء أشراف قومك يخرجون مجاهدين ، فاخرج فعسكر حتى أندب الناس معك ، فقال : يا خليفة رسول الله ألست أنا الوالي على الناس ؟ قال : نعم أنت الوالي على من أبعثه معك من ها هنا ، قال : لا بل وال على من أقدم عليه من المسلمين ، قال : لا ولكنك أحد الأمراء ، فإن جمعتكم حرب فأبو عبيدة أميركم ، فسكت عنه ، ثم خرج فعسكر ، واجتمع إليه ناس كثير ، وكان معه أشراف قريش أولئك ، فلما حضر خروجه جاء إلى عمر رحمه الله فقال : يا أبا حفص إنك قد عرفت بصري بالحرب ، ويمن نقيبتي في الغزو ، وقد رأيت منزلتي عند رسول الله ﷺ ، وقد علمت أن أبا بكر ليس يعصيك ، فأشر عليه أن يوليني أمر هذه الجنود التي بالشام ، فإني أرجو أن يفتح الله على يدي هذه البلاد ، وأن يريكم الله والمسلمين من ذلك ما تسرون به ، فقال له عمر : لا أكذبك ما كنت لأكلمه في ذلك ، إنه لا يوافقني أن يبعثك على أبي عبيدة وأبو عبيدة أفضل عندنا منزلة منك ، قال : فإنه لا ينقص أبا عبيدة شيئاً من فضله أن أولى عليه ، فقال له : ويحك يا عمرو إنك ما تطلب بهذه الرئاسة إلا شرف الدنيا فاتق الله ولا تطلب بشيء من سعيك إلا وجه الله ، واخرج في هذا الجيش فإنك أن يكون عليك أمير في هذه المدة فما أسرع ما تكون إن شاء الله أميراً ليس فوقك أحد ، فقال : قد رضيت فخرج واستتب له المسير ، فلما أراد الشخوص خرج معه أبو بكر رحمه الله يشيعه ، وقال : يا عمرو إنك ذو رأي وتجربة للأمور ، وبصر بالحرب ، وقد خرجت في أشراف قومك ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك ، فلا تألهم نصيحة ، ولا تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأي لك محمود في الحرب ، مبارك في عواقب الأمور ، فقال له عمرو : ما أخلقني أن أصدق ظنك ، وأن أقبل رأيك ، ثم ودعه وانصرف عنه ، فقدم الشام فعظم غناؤه وبلاؤه عند المسلمين .

وكتب أبو بكر رحمه الله إلى أبي عبيدة أما بعد :

فقد جاءني كتابك تذكر فيه تيسر عدوكم لمواقعتكم ، وما كتب إليهم به ملكهم من عدته إياهم أن يمدهم من الجنود بما تضيق بـــه الأرض الفضاء ، ولعمر الله لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه برحبها ، وايم الله : ما أنا بآيس أن تزيلوه من مكانه الذي هو به عاجلاً إن شاء الله تعالى ، فبث خيلك في القرى والسواد ، وضيق عليهم بقطع الميرة ، ولا تحاصر المدائن حتى يأتيك أمري ، فإن ناهدوك فانهض إليهم واستعن بالله عليهم ، فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناكم بمثلهم أو ضعفهم ، وليس بكم والحمد لله قلة ولا ذلة ، ولا أعرفن ما جبنتم عنهم ، فإن الله فاتح لكم ومظهركم على عدوكم ومعزكم بالنصر وملتمس منكم الشكر لينظر كيف تعملون .

وعمرو فأوصيك بـــه خيراً ، فقد أوصيته أن لا يضيع لـك حقاً ، والسلام عليك .

وجاء عمرو بالناس حتى نزل بأبي عبيدة

وعن عبد الملك بن نوفل عن أبيه قال: خرج مع أبي عبيدة ضرار بن الخطاب وكان شجاعاً شاعراً فقال :

أبلغ أبا بكر إذا مـــا القيتـه ... بأن هرقلا عنكم غير نائم
فجيشك لا يخذل وأمرك لا يهن ... الا رُبّ مولى نصره غير عاتم[1]

قال أبو بكر بن عبد العزيز : عاتم متأخر ، ومنه أخذت العتمة .

وعن عمرو بن شعيب أن عمرو بن العاصي كان في مسيره الذي بعثه فيـــه أبو بكر رحمه الله إلى الشام يستنفر من مر به من الأعراب قال : فتبعه ناس منهم

(١) انظر فتوح الشام للأزدي : ٥١ .

كثير فلما اجتمعوا هم ومن كان قدم بهم معه من المدينة كانوا نحواً من ألفين فلما قدم بهم على أبي عبيدة سربهم هو والناس معه واستأنس بهم ، وكان عمرو ذا رأي في الحرب وبصر بالأشياء ، فقال أبو عبيدة لعمرو : أبا عبد الله رب يوم قد شهدته فبورك للمسلمين فيه برأيك ومحضرك إنما أنا رجل منكم لست وإن كنت الوالي عليكم بقاطع أمراً دونكم فاحضرني رأيك في كل يوم بما ترى ، فإنه ليس بي عنك غناء ، قال له : أفعل والله يوفقك لما يصلح المسلمين .

وعن أبي أمامة الباهلي قال : كنت ممن سرح أبو بكر مع أبي عبيدة في في نفر من قومه [١] وأوصاني به وأوصاه بي ، قال : فكانت أول وقعة كانت في الشام يوم العربة ، ثم يوم الداثنة وليسا من الأيام العظام ، خرج ستة قواد من الروم مع كل قائد خمسمائة ، فكانوا ثلاثة آلاف ، فأقبلوا حتى انتهوا إلى العربة ، فبعث يزيد بن أبي سفيان إلى أبي عبيدة يكلمه فبعثني إليه في خمسمائة ، فلما أتيته بعث معي رجلاً في خمسمائة ، وأقبل في آثارنا في الصف فلما رأيناهم حملنا عليهم فهزمناهم ، وقتلنا قائداً من قوادهم ، ثم مضوا وأتبعناهم فجمعوا لنا بالداثنة فسرنا إليهم فقدمني يزيد وصاحبي في عدتنا فهزمناهم ، فعند ذلك فزعوا واجتمعوا وأمدهم [٢] ملكهم .

وعن سهيل بن سعد قال : ما زال أبو بكر رحمه الله يبعث الأمراء إلى الشام أميراً أميراً ويبعث القبائل قبيلة قبيلة حتى ظن أنهم قد اكتفوا ، وأنهم لا يريدون [٣] أن يزدادوا رجلاً .

قال أبو جعفر : ففيها ـ يعني في سنة ثلاث عشرة : وجه أبو بكر رحمه الله الجيوش إلى الشام بعد منصرفه من مكة إلى المدينة .

---

(١) كذا في الاصل ، والاحسن « قومي » فهكذا وردت في فتوح الشام للأزدي : ٥٢ . حيث أورد الرواية نفسها .

(٢) في الاصل « وأمرهم » وهو تصحيف قوم من الازدي : ٥٢ .

(٣) في رواية الازدي : ٥٦ « وأنهم لا يبالون ألا يزدادوا » .

وحكى بسنده عن محمد بن اسحاق قـــال : لما قفل أبو بكر رحمه الله من الحج سنة اثنتي عشرة جهز الجيوش إلى الشام ، فبعث عمرو بن العـــاص قبل فلسطين فأخذ طريق المعرقة [١] على أيلة وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة ابن الجراح وشرحبيل بن حسنة وهو أحـــد البعوث [٢] وأمرهم أن يسلكوا التبوكية من علياء [٣] الشام . ثم وجه أبو بكر الجنود إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة فأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاصي ، ثم عزله قبل أن يسير ، وولى يزيد بن أبي سفيان فكان أول الأمراء الذي خرجوا إلى الشام وخرجوا في سبعة آلاف وكان سبب عزل أبي بكر رحمه الله خالد بن سعيـد فيما ذكره محمد بن اسحاق أن خالد بن سعيد حين قدم من اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ تربص ببيعته شهرين ، يقول : قـد أمرني رسول الله ﷺ لم يعزلني حتى قبضه الله ، وقد لقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ، فقال : يا بني عبد منـاف لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم فأما أبو بكر فلم يحفلها عليه وأما عمر فاضطغنها عليه ، ثم بعث أبو بكر الجنود إلى الشام ، وكان أول من استعمل على ربع منها خالد بن سعيد ، فأخذ عمر يقول : أتؤمره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ؟ فلم يزل بأبي بكر حتى عزله ، وأمر يزيد بن أبي سفيان [٤] ، وقيل إن أبا بكر رحمه الله جعله ردءاً بتيماء ، أطاع عمر رحمه الله في بعض أمره وعصاه في بعض .

---

(١) جاء في حاشية الاصل « المغربة » وفي معجم البلدان ، المعرقة : هي الطريق التي كانت قريش تسلكها إذا أرادت الشام ، وهي طريق تأخذ على ساحل البحر ، وفيهـــا سلكت عير قريش حتى كانت وقعة بدر . وأيلة هي العقبة الحالية في الاردن .

(٢) في الحاشية « الغوث » وهو يتوافق مع ما أورده الطبري مصدر روايتنا هذه ، انظر حوادث سنة ١٣ هـ من ط . دار المعارف : ٣ / ٣٨٧ .

(٣) في الطبري : ٣ / ٣٨٧ « التبوكية على البلقاء من علياء الشام » .

(٤) تاريخ الطبري : ٣ / ٣٨٧ - ٣٨٨ .

وعن المغيرة وأبي عثمان قـــالا : أمر أبو بكر خالداً أن ينزل بتيماء ففصل رداً حتى ينزل بتيماء وقد أمره أبو بكر أن لا يبرحها ، وأن يدعو من حوله بالانضمام إليه ، وأن لا يقبل إلا ممن لم يرتد ، ولا يقاتل إلا من قاتله حتى يأتيه أمره ، فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة ، وبلغ الروم عظم ذلـــك العسكر ، فضربوا على العرب الضاحية البعوث بالشام إليهم ، فكتب خالد بن سعيد بذلك إلى أبي بكر رحمه الله ، وبنزول من استنفرت الروم ، ونفر إليهم من : بهراء أو كلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان من دون زيزاء بثلاث ، فكتب إليه أبو بكر : أن اقدم ولا تحجم واستنصر الله فسار إليهم خالد فلما دنا منهم تفرقوا وأعروا [١] منزلهم فنزله ، ودخل من كان يجمع له في الإسلام ، وكتب إلى أبي بكر بذلك ، فكتب إليه أبو بكر : أقدم ولا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك ، فسار فيمن كان خرج معه من تيماء وفيمن لحق به من طرف الرمل حتى نزلوا فيما بين ايل وزيزاء ، والقسطل [٢] ، فسار إليه بطريق من بطارقة الروم يدعى باهان فهزمه وفل جنده ، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمده ، وقد قدم على أبي بكر أوائل مستنفري اليمن ومن بين مكة واليمن فيهم ذو الكلاع ، وقدم عليه عكرمة قافلاً وغازياً فيمن كان معـــه من تهامة وعمان والبحرين والسرو [٣] ، فكتب لهم إلى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استبدل ، فكلهم استبدل فسمي ذلك الجيش جيش البدال ، فقدموا على خالد بن سعيـد وعند ذلك امتاح أبو بكر للشام ، وعناه أمره ، وقد كان أبو بكر رد عمرو بن العاصي على عمالته التي كان رسول الله ﷺ ولاهـــا إياه من صدقات سعد هذيم وعذرة ومن لفها من جذام وجدس قبل ذهابه إلى عمان ، فخرج إلى عمان وهو

---

(١) أي تخلوا عنه ، من عري يعرى إذا خلع ثوبه ـ النهاية لابن الاثير .

(٢) موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة . معجم البلدان .

(٣) السرو : الشرف، والسرو من الجبل ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل، وفي بلاد اليمن أكثر من سرو أشهرها سرو حمير . انظر معجم البلدان .

على عدة من عمله إذا هو رجع فأنجز له ذلك أبو بكر رحمه الله ، فكتب أبو بكر عند اهتياجه للشام إلى عمرو : إني كنت قد رددتك على العمل الذي كان رسول الله ﷺ ولاكه مرة ، وسماه لك أخرى فبعثتك إلى عمان انجازاً لموعد رسول الله ﷺ ، فقد وليته ثم وليته ، وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه ، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك ، فكتب إليه عمرو : إني سهم من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامي بها ، والجامع لها ؛ فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي ، وكتب إلى الوليد بن عقبة بنحو ذلك ، فأجابه بإيثار الجهاد .

وعن القاسم بن محمد ، قال : كتب أبو بكر إلى عمرو ، وإلى الوليد بن عقبة وكان على النصف من صدقات قضاعة ، وقد كان أبو بكر شيعهما فبعثهما على الصدقة وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة ، وكتب إليهما : استخلفا على أعمالكما ، واندبا من يليكما ، فولى عمرو على علياء قضاعة : عمرو بن فلان العذري ، وولى الوليد على ضاحية قضاعة مما يلي دومة [1] امرأ القيس ، وندبا الناس فتتام إليهما بشر كثير وانتظرا امراء أبي بكر رحمه الله .

وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ﷺ ، وقال : ألا إن لكل أمر جوامع فمن بلغها فهو حسبه ، ومن عمل له كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد فإن القصد أبلغ إلا أنه لا دين لمن لا إيمان له ، ولا أجر لمن لاحسبة له ، ولا عمل لمن لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به أهل التجارة التي دل الله عليها ، ونجى بها من الخزي وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة .

فأمد عمراً ببعض من انتدب إلى من اجتمع إليه ، وأمره على فلسطين ،

---

(١) ليس المقصود هنا دومة الجندل ـ انظر صفة الجزيرة للهمداني : ٣٩٧ .

وأمره بطريق سماها له ، وإلى الوليد وأمره بالأردن وأمـده ببعضهم ، ودعا يزيد بن أبي سفيان وأمره على جند عظيم هم جمهور من انتدب له ، وفي جنـده سهيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكة ، وشيعه ماشياً ، واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع وأمره على حمص ، وخرج معه وهما ماشيان والناس معهما وخلفهما ، وأوصى كل واحد منهما .

وعن محمد بن اسحاق عن صالح بن كيسان أن أبا بكر رحمه الله حين سار القوم ، خرج مع يزيد بن أبي سفيان يوصيه وأبو بكر يمشي ويزيد راكب ، فلما فرغ من وصيته ، قال : أقرؤك السلام واستودعك الله ، ثـم انصرف ومضى يزيد فأخذ التبوكية ، ثم تبعـــه شرحبيل بن حسنة ، ثم أبو عبيدة بن الجراح مدداً لهما على ربع ، فسلكوا ذلك الطريق ، وخرج عمرو بن العاصي حتى نزل بغمر العربات [١] ، ونزلت الروم بثنية جلق [٢] بأعلى فلسطين في سبعين ألفـاً عليهم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمـــه ، فكتب عمرو بن العاص إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمـده ، وخرج خالد بن سعيد بن العاصي وهو بمرج الصفر [٣] من أرض الشام في يوم مطير يستمطر فيه ، فتعادى عليه أعلاج الروم فقتلوه ، وقد كان عمرو بن العـــاصي كتب إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمده ، وذكر أن أبا بكر وجه بعد خروج يزيد بن أبي سفيان متوجهاً إلى الشام بأيام شرحبيل بن حسنة ، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عمرو من كندة ، ويقال من الأزد ، فسار في سبعة آلاف ، ثم أبو عبيـدة بن الجراح في سبعة آلاف ، فنزل يزيد البلقاء ، ونزل شرحبيل الأردن ، ويقال بصرى ونزل

---

(١) الغمر الماء الكثير المغرق ، ومن المرجح أنه أراد بالعربات « وادي عربة » .

(٢) المشهور أن جلق هي دمشق والثنية هي ثنية العقاب خارجها وتعرف الآن باسم «الثنايا».

(٣) مرج الصفر : المنطقة المحيطة بالكسوة جنوب دمشق .

أبو عبيدة الجابية [١] ، ثم أمدهم بعمرو بن العاص فنزل بغمر العربات ، ثم رغب الناس في الجهاد ، فكانوا يأتون المدينة فيوجههم أبو بكر إلى الشام ، فمنهم من يصير مع أبي عبيدة ، ومنهم من يصير مع يزيد ، يصير كل قوم مع من أحبوا .

قالوا : فأول صلح كان بالشام صلح مآب [٢] وهي فسطاط ليست بمدينة ، مر بهم أبو عبيدة في طريقه وهي قرية من قرى البلقاء ، فقاتلوه ثم سألوه الصلح فصالحهم .

واجتمع الروم بالعربة من أرض فلسطين ، فوجه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة الباهلي ففض ذلك الجمع .

قالوا : فأول حرب كانت بالشام بعد سرية أسامة بالعربة ، ثم أتوا الداثنة ، ويقال : الداثن فهزمهم أبو أمامة وقتل بطريقاً منهم ، ثم كانت مرج الصفر استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاصي أتاهم اذرنجار في أربعة آلاف وهم غارون فاستشهد خالد بن سعيد وعدة من المسلمين .

قال أبو جعفر : وقيل إن المقتول في هذه الغزوة كان ابناً لخالد بن سعيد ، وأن سعيداً انحاز حين قتل ابنه [٣] .

وعن سيف بسنده قالوا : لما قدم الوليد على خالد بن سعيد فسانده ، وقدمت جنود المسلمين الذين كان أبو بكر أمده بهم ، وسموا جيش البدال ، وبلغه عن الأمراء وتوجههم إليه اقتحم على الروم وطلب الحظوة ، وأعرى ظهره ، وبادر

---

(١) قرب بلدة نوى في حوران في سورية .

(٢) مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء . معجم البلدان ، والفسطاط هو المعسكر أو المخيم .

(٣) انظر تاريخ الطبري : ٣ / ٣٨٨ - ٣٩١ .

الأمراء لقتال الروم واستطرد له باهان فأرز [١] ومن معه إلى دمشق واقتحم خالد في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى ينزل بالمرج مرج الصفر ، من بين الواقوصة ودمشق ، فانطوت مسالح باهان عليه وأخذوا عليه بالطرق ولا يشعر ، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر في الناس فقتلوهم ، وأتى الخبر خالداً فخرج هارباً في جريدة خيل فأفلت من أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل وقد اجهضوا عن عسكرهم ، ولم تنته بخالد الهزيمة عن ذي المروة ، وأقام عكرمة في الناس رداً لهم ، فرد عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه ، وأقام من الشام على قريب [٢] ، ولما نزل أبو عبيدة بالجابية كتب إلى أبي بكر الصديق رحمه الله منها :

« أما بعد : فإن الروم ، وأهل البلد ، ومن كان على دينهم من العرب قد أجمعوا على حرب المسلمين ونحن نرجو النصر وإنجاز موعود الرب تبارك وتعالى وعادته الحسنى ، أحببت إعلامك ذلك لترينا رأيك .

فقال أبو بكر رحمه الله : والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك ، فإنهم قد شجوا وأشجوا ، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجيك ، ولم ينزع الشجا من الناس نزعك ، فلتهنك أبا سليمان النعمة والحظوة ، فاتمم تمم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل ، وإياك أن تدل بعمل فإن الله تعالى له المن وهو ولي الجزاء .

ووافى خالداً كتاب أبي بكر هذا بالحيرة منصرفاً من حجة حجها مكتتماً بها ، وذلك أنه لما فرغ من إيقاعه بالروم ، ومن انضوى إليهم مغيثاً لهم من

---

(١) أي تراجع . النهاية لابن الأثير .

(٢) تاريخ الطبري : ٣ / ٣٩١ .

مسالح فارس بالفراض [١] ، والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة ، وأقام بالفراض عشراً، ثم أذن في القفل إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم ابن عمرو أن يسير بهم، وأمر شجرة بن الأغر أن يسوقهم، وأظهر خالد أنه في الساقة، فخرج خالد من الجزيرة ومعه عدة من أصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ولا رئبال [٢] فسار طريقاً من طرق الجزيرة لم ير طريق أعجب منه ولا أشد على صعوبة فيه ، فكانت غيبته عن الجند يسيرة ، فما توافى إلى الحيرة آخرهم حتى وافاهم مع صاحب الساقة الذي وضعه ، فقدما معا ، وخالد وأصحابه محلقون لم يعلم بحجه إلا من أفضى إليه بذلك من الساقة ، ولم يعلم أبو بكر رحمه الله بذلك إلا بعد فعتب عليه العتاب الذي تقدم قبل هذا في كتابه إليه الذي أمره فيه بالمسير إلى الشام ، وفي هذه أقر له الأدلة بالسير ، ورجز الرجاز به وفي تلك التي تغلغل فيها إلى البشر [٣] فقال بعضهم :

إنك لا تستطيع سير خالد ... أبي سليمان بسير قاصد
منتهجاً في عبر الفدافد [٤] ... لكل حي عانـد معاند

وقال الآخر :

إنك لا تستطيع يا بن سعد ... سير مسير أحد بالوحد
كمثل سير خالد بالصمد ... على طريق كحواشي البرد

واجتمعت الروم باليرموك ، ونزلوا به ، قالوا : والله لنشغلن أبا بكر في نفسه عن تورد بلادنا بخيوله فكتب أبو بكر رحمه الله إلى عمرو بن العاص ، وكان

---

(١) سيروي خبر الفراض بالتفصيل بالجزء اللاحق المتعلق بفتوح العراق . انظر تاريخ الطبري : ٣/٣٨٥ .

(٢) سمي الاسد رئبالا لانه يغير وحده . النهاية لابن الاثير .

(٣) كانت معركة الفراض قرب جبل البشر .

(٤) الفدافد : المواضع التي فيها غلظ وارتفاع . النهاية لابن الاثير .

في بلاد قضاعة بالسير إلى اليرموك ففعل ، وبعث أبا عبيدة ابن الجراح ، ويزيد ابن أبي سفيان وأمر كل واحد منهما بالغارة وأن لا تعلوا [1] حتى لا يكون وراءكم أحد من عدوكم .

وقدم عليه شرحبيل بن حسنة بفتح من فتوح خالد فسرحه نحو الشام في جند ، وسمى لكل رجل من أمراء الجند كور الشام فتوافوا باليرموك ، فلما رأت الروم توافيهم نـــدموا على الذي ظهر منهم ونسوا ما كانوا يتوعدون به أبا بكر ، واهتموا وهمتهم أنفسهم فأشجوهم وشجوا بهم ، ثم نزلوا الواقوصة فقال أبو بكر رحمه الله مقالته التي تقدمت ، وكتب إلى خالد : سر من العراق إلى الشام ، كتابه الذي تقـــدم قبل هذا يقاربه فيه ويباعده ويعاتبه على فعلته التي فعل ، وقال له :

أما بعد : فدع العراق وخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه ، وامض متخففاً في أهل القوة من أصحابك الذين قدموا معك العراق من اليمامة وصحبوك في الطريق ، وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة ومن معه من المسلمين ، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة ، والسلام .

وقدم عليه بالكتاب عبد الرحمن بن حنبل الجمحي ، فقـــال له خالد : ما وراءك حين قدم عليه ، قبل أن يقرأ كتابه ؟ فقـال له : خير تسير إلى الشام ففضب وشق عليه ذلك ، وقـــال : هذا عمل عمر نفس علي أن يفتح الله علي العراق ، وكانت الفرس قد هابوه هيبة شديـدة وخافوه ، وكان خالد إذا نزل بقوم من المشركين كان عذاباً من عذاب الله عليهم وليثاً من الليوث ، وقد كان خالد رجا أن يفتح عليه ، فلما قرأ كتاب أبي بكر فرأى أنه قد ولاه على أبي عبيدة وعلى الشام ، كان ذلك سخي بنفسه ، وقال : أما إذ ولاني فإن في الشام

---

(١) أي لا يتوغلوا شمالاً .

من العراق خلفاً فقام إليه النسير بن دسيم بن ثور العجلي ، وكان من أشراف بني عجل وفرسان بكر بن وائل ، ومن رؤوس أصحاب المثنى بن حارثة ، فقال : لخالد : أصلحك الله والله ما جعل الله في الشام من العراق خلفاً ، للعراق أكثر من الشام حنطة وشعيراً وديباجا وحريرا ، وفضة وذهباً ، وأوسع سعة وأعرض عرضاً ، والله ما الشام كله إلا كجانب من العراق ، فكره المثنى مشورته عليه ، وكان يحب أن يخرج عن العراق ويخليه وإياها ، فقال خالد : إن بالشام أهل الإسلام ، وقد تهيأت لهم الروم وتيسرت ، فإنما أنا مغيث وليس لهم متروك فكونوا أنتم ما هنا على حالكم التي كنتم عليها ، فإن نفرغ مما شخصنا له عاجلاً عجلنا إليكم ، وإن أبطأت رجوت أن لا تعجزوا ولا تهنوا ، وليس خليفة رسول الله ﷺ بتارك إمدادكم بالرجال حتى يفتح الله عليكم هذه البلاد إن شاء الله .

ثم إنه خرج من الحيرة فصار [١] على الانبار وعلى صيدوداء [٢] ، وخلف سعيد بن عمرو بن خذام [٣] الأنصاري ، ثم انحط على عين التمر [٤] فانتقضت ببشير بن سعد جراحته بعين التمر ، وكانت بها مسلحة لأهل فارس مرابطة فرمى رجل منهم عمير بن رباب بن حذيفة بن المغيرة بنشابة فمات شهيداً فدفن إلى جنب بشير بن سعد .

---

(١) في حاشية الاصل : « لعله فسار » .

(٢) ورد هذا الاسم في معجم البلدان « صندوداء » ونقل عن ابن الكلبي أصل التسمية وقوله : سار خالد بن الوليد من العراق يريد الشام فأتى صندوداء وبها قوم من كندة وإياد والعجم ، فقاتلهم أهلها فظفر بهم وخلف بها سعد بن عمرو بن حرام الانصاري ، فولده بها .

(٣) جاء في حاشية الاصل : « لعله حرام » انظر أسد الغابة / ٢٠٩٤ / .

(٤) بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا ، وهي على طرف البرية معجم البلدان .

رجع إلى كتاب فتوح الشام

قال : ثم إن خالداً رد الضعفاء من أصحابه مع عمير بن سعد الأنصاري ، ومضى في ستمائة ، وقال للمثنى انصرف إلى سلطانك غير مقصر ولا ملوم ولا وان .

وعن عبد الله بن قرط الثمالي قال : لما خرج خالد من عين التمر مقبلاً إلى الشام كتب إلى المسلمين مع عمرو بن الطفيل بن عمرو الأزدي وهو ابن ذي النور .

أما بعد : فإن كتاب خليفة رسول الله ﷺ أتاني يأمرني بالمسير اليكم وقد شمرت وانكمشت واحترزت وكأني قد أطلت عليكم خيلي ورجالي، فأبشروا بإنجاز موعود الله ، وحسن ثواب الله ، عصمنا الله وإياكم باليقين وأثابنا أحسن ثواب المجاهدين ، والسلام عليكم .

وكتب معه إلى أبي عبيدة .

أما بعد فإني أسأل الله تبارك وتعالى لنا ولك الأمن يوم الخوف ، والعصمة في دار الدنيا من كل سوء ، فقد أتاني كتاب خليفة رسول الله ﷺ يأمرني بالمسير إلى الشام ، وبالقيام على جندها ، والتولي لأمرها ، والله ما طلبت ذلك قط ولا أردته إذ وليته ، فأنت على حالك التي كنت لا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع أمراً دونك ، فإنك سيد المسلمين لا ننكر فضلك ولا نستغني عن رأيك ، تمم الله ما بنا وبك من إحسان ، ورحمنا وإياك من صلي بالنار ، والسلام عليك ورحمة الله [1] .

---

(١) روى الازدي : ٧٢ نص هذه الرسالة إنما مع خلاف كبير .

قال : فلما قدم علينا عمرو بن الطفيل قرأ كتاب خالد على النـاس وهم بالجابية ، ودفع إلى أبي عبيدة كتابه فقرأه ، فقال : بارك الله لخليفة رسول الله فيما رأى وحيا الله خالداً .

قال : وشق على المسلمين أن ولي خالد على أبي عبيدة ، ولم أره على أحد أشد منه على بني سعيد بن العاصي ، وإنما كانوا متطوعين حبسوا أنفسهم في سبيل الله حتى يظهر الله الإسلام ، فأما أبو عبيدة فإنا لم نتبين في وجهه ولا في شيء من منطقه الكراهية لأمر خالد .

ثم إن خالداً خرج من عين التمر حتى أغار على بني تغلب والنّمِر بالبشر فقتلهم وهزمهم وأصاب من أموالهم طرفاً .

قال : فإن رجلاً منهم ليشرب من شراب له في جفنة وهو يقول :

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب ولا نـدري

فما هو إلا أن فرغ من قوله شد عليه رجل من المسلمين فضرب عنقه فإذا رأسه في الجفنة .

وذكر سيف بسنده عن عدي بن حاتم قال : أغرنا على أهل المصيخ [١] وإذا رجل يدعى باسمه حرقوص بن النعمان من النمر ، وإذا حوله بنوه وامرأته وبينهم جفنة من خمر ، وهم عليها عكوف ، يقولون له : ومن يشرب هذه الساعة وفي أعجاز الليل ؟ فقال : اشربوا شرب وداع ، فما أرى أن تشربوا خمراً بعدهـا أبداً ، هذا خالد بالعين وجنوده بحصيد [٢] ، وقد بلغه جمعنا ، وليس بتاركنا :

---

(١) مصيخ بهراء ماء ورده خالد بن الوليد بعد سوى في مسيره إلى الشام وهو بالقصواني . معجم البلدان .

(٢) موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة ، ويقال هو واد بين الكوفة والشـام . معجم البلدان .

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر بعد انتفاخ القوم بالمكر[١] الدثر
وقبل منايانا المصيبة بالقدر لحين لعمري لا يزيد ولا يحر

فسبق إليه وهو في ذلك بعض الخيل ، فضرب رأسه فإذا هو في جفنته ، فأخذنا بناته وقتلنا بنيه .

وذكر صاحب فتوح الشام [٢] بسنده أن رجلا من محارب يقال له محرز بن حريش بن ضليع يلقب مخضخضاً[٣] ، وكان يتجر بالحيرة ويسافر إلى الشام ، قال لخالد : اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ثم أمه حتى تصبح فإنك لا تجور ، فجرب ذلك فوجده كذلك ، ثم إنه أخذ في السماوة [٤] حتى انتهى إلى قراقر[٥] ففوز[٦] من قراقر إلى سوى[٧] وهما منزلان بينهما خمس ليال فلم يهتدوا للطريق ، فدل على رافع بن عميرة الطائي فقال : خلف الأثقال ، واسلك هذه المفازة إن كنت فاعلا ، قال : قد أتاني أمر لا بد من إنفاذه ، قال : والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه ما سلكها إلا مغررا ، قال : إنه لا بد قد أتتني عزمة ، فقال : من استطاع منكم أن يصر اذن راحلته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما وقى الله ، ابغني عشرين جزوراً عظاما سمانا مسان ، فأتاه بهن فظمأهن حتى إذا أجهدهن عطشا سقاهن حتى أرواهن ، ثم قطع مشافرهن ثم

---

(١) العكر بقية النبيذ أو الزيت والدثر هو الوسخ أو الصدأ . القاموس .

(٢) من المرجح أن صاحب فتوح الشام الذي قصده المؤلف هو الازدي (ص : ٧٣ - ٧٥) ويلاحظ أن الرواية المطبوعة أصابها تصحيف كبير .

(٣) خضخضت الارض إذا قلبتها والخضخضة أصلها من خاض يخوض . اللسان .

(٤) بادية السماوة هي التي بين الكوفة والشام . معجم البلدان .

(٥) واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق . معجم البلدان .

(٦) فوز : قطع المفازة . النهاية لابن الاثير .

(٧) اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة . معجم البلدان ، وجرت أكثر من محاولة لتحديد معالم طريق رحلة خالد كان من أحدثها محاولة العميد محمد علي ما دون في بحثه « مسيرة خالد من الحيرة إلى اليرموك » ط . بيروت ١٩٨٢ ، وما تزال القضية تحت المناقشة والبحث .

كعمهن [١] ، ثم قال لخالد سر بالخيول والأثقال فكلما نزل منزلا تحر من تلك الشرف أربعاً فافتظ ماءهن فسقاه الخيول ، وشرب الناس مما تزودوا حتى إذا كان آخر ذلك ، قال خالد لرافع : ويحك ما عندك يا رافع ؟ فقال أدركك الري إن شاء الله ، فقال : انظروا هل تجدون شجرة عوسج على ظهر الطريق ؟ قالوا: لا ، قال : إنا لله إذاً قد والله هلكت وأهلكت ، لا أبالكم انظروا فوجدوها ، فكبروا وكبر ، وقال : احفروا في أصلها ، فاحتفروا فوجدوا عيناً فشربوا وارتووا ، وقال رافع : ما وردتها إلا مرة مع أبي وأنا غلام ، وقال راجز من المسلمين :

لله در رافع أنى اهتدى ... فوز من قراقر إلى سوى
أرضاً إذاماسارهاالجبس[٢]بكى ... ما سارها من قبله إنس أرى
لكن بأسباب مبينات الهدى ... نكبها الله بينات الردى

وذكر الطبري رحمه الله أن خالداً رحمه الله لما أراد المسير إلى الشام دعا بالأدلة ، فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة ثم طعن بالبر إلى قراقر ، ثم قال : كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فإني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين؟فكلهم قال : لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش يأخذه الفذ[٣] والراكب فإياك أن تغرر بالمسلمين فعزم عليه ولم يجبه إلى ذلك إلا رافع بن عميرة على تهيب شديد ، فقام فيهم فقال : لا يختلفن هديكم ولا تضعفن تعبيتكم ، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ، وأن المسلم لا ينبغي أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله ، فقالوا له : أنت رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك ، فطابقوه وقووا واحتسبوا واشتهوا مثل الذي اشتهى

---

(١) في حاشية الاصل : كعمه : شد فاه لئلا يعض أو يأكل .
(٢) اللئيم .
(٣) الفذ : الفرد .

خالد ، فأمرهم خالد فاروا الشفة الخمس ، وأمر صاحب كل خيل بقدر مايسقيها فظماً كل قائد من الإبل الشرف [١] الجلال ما يكتفي به ، ثم سقوها العلل بعد النهل ثم صروا آذان الإبل وكعموها وخلوا أدبارها، ثم ركبوا من قراقرمفوزين إلى سوى وهي على جانبها الآخر مما يلي الشام فلما ساروا يوما افتظوا [٢] لكل عدة من الخيل عشراً من تلك الإبل فمزجوا ما في كروشها بما كان من الألبان ، ثم سقوا الخيل وشربوا الشفة جرعاً ، ففعلوا ذلك أربعة أيام .

وحكى سيف أن محرز بن حريش قال لخالد : اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ثم أمه تفض إلى سوى ، وكان أدلهم ، وقال : ولما نزل سوى وخشي أن يفضحهم حر الشمس نادى خالد رافعاً : ما عندك ؟ قال : خيراً ، أدركتم الري وأنتم على الماء ، وشجعهم وهو متحير أرمد وقال : أيها الناس انظروا علين كأنها ثديان ، فأتوا عليهما وقالوا : علمان ، فقام عليهما ، وقال : اضربوا يمنة ويسرة لعوسجة [٣] كعقدة الرجل فوجدوا جذمها ، فقالوا : جذم ولا نرى شجرة ، فقال : احتفروا حيث شئتم ، فاستثاروا أوشالاً وأحساءرواه فقال رافع : والله أيها الأمير ما وردت هذا الماء منذ ثلاثين سنة ، وما وردته إلا مرة وأنا غلام مع أبي ، فاستعدوا ثم أغاروا والقوم لا يرون أن جيشاً يقطع إليهم .

وعن ظفر بن دهي قال : فأغار بنا خالد من سوى على مصيخ بهراءبالقصواني ـ ماء من المياه ـ فصبح المصيخ والنمير [٤] ،وإنهم لغارون ، وإن رفقة لتشرب في وجه الصبح وساقيهم يغنيهم ويقول :

---

(١) الشارف الناقة قد أسنت .

(٢) أي نحروا .

(٣) نوع من الشجر كثير الشوك .

(٤) كذا بالاصل ، ويرجح أنه تصحيف صوابه « النمر » انظر تاريخ الطبري : ٣ / ٤١٠ .

ألا علـلاني قبل جيش أبي بكـر لعل منايانا قريب وما ندري

فضربت عنقه فاختلط دمه بخمره .

وعن كتاب سيف بسنده قال : ولمـا بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتسافها ، وغارته على مصيخ بهراء وانتسافهـا ، فاجتمعوا بمرج راهط [١] ، وبلغ ذلك خالدا وقد خلف ثغورا الشام وجنودها مما يلي العراق ، فصار بينهم وبين اليرموك ، صمد لهم ، فخرج من سوى بعدما رجع إليها بسبي بهراء ، فنزل الرمانتين ـ علمين على الطريق ـ ثم نزل الكثيب ، حتى صار إلى دمشق ، ثم مرج الصفر فلقي عليه غسان ، وعليهم الحارث بن الأيهم فانتسف عسكرهم ، ونزل بالمرج أياماً ، وبعث إلى أبي بكر بالأخماس مع بلال بن الحارث المزني ، ثم خرج من المرج حتى ينزل مياه بصرى ، فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدي خالد فيمن معه من جنود العراق ، وخرج منها فوافى المسلمين بالواقوصة فنازلهم بها في تسعة آلاف .

وفيه لما رجع خالد من حجه ، ووافـاه كتاب أبي بكر بالخروج في شطر الناس ، وأن يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة ، وقال : لا تأخذ نجداً إلا خلفت له نجداً ، فإذا فتح عليكم فارددهم إلى العراق ، وأنت معهم ، ثم أنت على عملك ، وأحصى خالد أصحاب رسول الله ﷺ واستأثر بهـم على المثنى ، وترك للمثنى أعدادهم من أهل الغناء عنـه [٢] ممن لم يكن له صحبة ، ثم نظر فيمن بقي فاختلج من كان قدم على النبي ﷺ وافداً أو غير وافد ، وترك للمثنى أعدادهم من أهل الغناء عنه ، ثم قسم الجند نصفين ، فقال المثنى : والله لا أقيم إلا على انفاذ أمر أبي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف ، وبالله ما أرجو النصر إلا بهم ، فأنى تعريني منهم ، فلما رأى ذلك خالد بعد ما

(١) على مقربة من بلدة جوبر في أحواز دمشق .

(٢) صحفت في المطبوع من الطبري ٥ / ٤١١ « القناعة » .

تلكأ عليه أعاضه منهم حتى رضي ، وكان فيمن أعانه منهم فرات بن حيان العجلي ، وبشر بن الخصاصية ، والحارث بن حسان الذهليان ، ومعبد بن أم مبعد الأسلمي ، وبلال بن الحارث المزني ، وعاصم بن عمرو التميمي حتى إذا رضي المثنى وأخذ حاجته ، انحدر خالد فمضى لوجهه وشيعه المثنى إلى قراقر ، ثم رجع إلى الحيرة في المحرم فأقام في سلطانه وسيأتي تمام خبره هذا [١] .

رجع إلى قصة خالد

فشخص خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ويقال في خمسمائة ، واستخلف على عمله المثنى بن حارثة ، فلقيه عدو بصيدوداء ، وظفر بهم ، وخلف بها ابن حرام الأنصاري ، ولقي جمعاً بالمصيخ والحصيدعليهم ربيع بن بجير التغلبي فهزمهم وسبى وغنم ، وسار ففوز من قراقر إلى سوى فأغار على أهل سوى ، واكتسح أموالهم وقتل حرقوص بن النعمان البهرائي ، ثم أتى أرك [٢] فصالحوه ، وأتى تدمر فتحصنوا ثم صالحوه وأتى القريتين فقاتلهم فظفر بهم وغنم ، وأتى حوارين فقاتلهم فهزمهم وقتل وسبى وأتى قُضَم فصالحه بنو مشجعة من قضاعة ، وأتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم فقتل وسبى ، ووجه بسر بن أرطاة وحبيب بن مسلمة إلى الغوطة فأتيا كنيسة فسبوا الرجال والنساء وساقوا العيال إلى خالد .

وذكر سعيد بن الفضل قال : حدثني المستنير بن الزبير بن يعقوب بن عمرو ابن ضريس المشجعي وهو حي من قضاعة قال : أقبل نحونا خالد بن الوليد من

(١) انظر تاريخ الطبري : ٤٠٨ - ٤١١ .

(٢) ما تزال تحمل هذا الاسم ليس بعيداً عن تدمر .

العراق على قراقر ثم سوى وثم اللوى ثم قضم وكتب لنا أيها الحي من مشجعة كتاباً هو عندنا .

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا كتاب من خالد من الوليد لبني مشجعة إن لهم ساقية قصم [١] أعذاها وسقيها وحدها ما شرقيها ، وإن لأهل الغوطة ما غربيها .

قال : ونفر معه يعبوب بن عمرو بن الضريس برجال مع الذين كان تلقاهم ، فأخذ على الغديرين ، ثم على ذات الصنمين [٢] ثم خرج على أهل الغوطة حتى أغار عليهم فقتل ما شاء وغنم ، ثم إن العدو دخلوا دمشق فتحصنوا وأقبل أبو عبيدة وكان بالجابية مقيماً ، فأقبل إليه حتى نزل معه بالغوطة فحاصر أهل دمشق .

وعن قيس بن أبي حازم قال : كان خرج مع خالد من بجيلة وعظمهم أحمس نحو من مائتي رجل ، ومن طيء ، قال : وكان معنا المسيب بن نجبة في نحو من مائتي فارس من بني ذبيان ، قال : وكان في نحو من ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار فكان أصحابه الذين دخلوا معه الشام ثمانمائة وخمسين رجلاً كلهم ذو نية وبصيرة لأنه كان يقحمهم أموراً يعلمون أنه لا يقوى على ذلك إلا كل قوي جلد ، فأقبل بنا حتى مر بنا على أرك ، فحاصر أهلها ، وأغار عليهم ، فأخذ الأموال وتحصن منه أهلها فلم يبارحهم حتى صالحهم .

وعن عبد الله بن قرط بمثل ذلك ، قال : ومر بتدمر فتحصنوا منه ، فأحاط بهم من كل جانب وأخذهم من كل مأخذ فلم يقدر عليهم ، فلما لم يطقهم ترحل عنهم ، فلما فصل قال علماؤهم واجتمعوا : إنا لا نرى هؤلاء القوم الذين نزلوا بكم إلا الذين كنا نتحدث أنهم يظهرون علينا فافتحوا لهم ، فبعثوا إلى خالد ،

---

(١) موضع بالبادية قرب الشام عن نواحي العراق ، معجم البلدان .

(٢) من المرجح أنها بلدة الصنمين جنوب دمشق حاليا .

فجاء ففتحوا له وصالحوه ، وقـــال لهم خالد حين أراد أن يرتحل فيما روي عن عبد الله بن قرط : والله لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم ، وظهرنا عليكم مـــا جئناكم إلا ونحن نعلم أنـــكم ستستفتحون علينا، وإن أنتم لم تصالحونا هذه المرة لأرجعن عليكم لو قد انصرفت من وجهي هذا ، ثم لا أرحل عنـــكم حتى أقتل مقاتلتكم ، وأسبي ذراريكم ، فلمـــا ارتحل فمضى ، بعثوا إليه ، فرجع إليهم فصالحوه .

وعن سراقة بن عبد الأعلى بن سراقة أن خالداً في طريقه ذلك مر على حوارين فهابوه فتحرز أكثرهم منه ، وأغار عليهم فاستاق الأموال ، وقتل الرجال ، وأقام عليهم أياماً فبعثوا إلى ما حولهم لينذروهم فأمدوهم من مكانين اثنين جاءهم مدد من بعلبك وهي أرض دمشق ، ومن قبل بصرى ، وبصرى مدينة حوارين وهي من أرض دمشق أيضاً ، فلما رأى المددين قد أقبلا خرج ، فصف بالمسلمين، ثم تجرد في مائتي فارس فحمل على مدد بعلبك وهم أكثر من ألفين فما وقفوا حتى انهزموا فدخلوا المدينة ، ثـــم انصرف يوجف [1] في أصحابه وجيفاً حتى إذا كان بحذاء مدد بصرى وانهم لأكثر من ألفين فحمل عليهم فما ثبتوا له فواقاً حتى هزمهم ، فدخلوا المدينة ، وخرج أهل المدينـــة فرموا المسلمين بالنشاب فانصرف عنهم خالد وأصحابه حتى إذا كان من الغد خرجوا إليـــه ليقاتلوه فعجزوا وأظهر الله عليهم المسلمين ، فصالحوهم .

وقال عمرو بن محصن : حدثني علج من أهل حوارين كان يشجع قال : والله لخرجنا إليهم بعدما جاءنا مدد أهل بعلبك وأهل بصرى بيوم ، فلخرجنا وإنا لاكثر من خالد وأصحابه بعشرة أضعافهم وأكثر ، قـــال : فما هو إلا أن دنونا منهم فثاروا في وجوهنا بالسيوف وكأنهم الأسد فانهزمنا أقبح الهزيمـــة وقتلونا أشد المقتلة ، فما عدنا نخرج إليهم حتى صالحناهم ، ولقد رأيت منا رجلاً كنـــا

(١) الإيجاف : سرعة السير . النهاية لابن الاثير .

نعده بألف رجل ، قال : لئن رأيت أميرهم لأقتلنه فلما رأى خالداً ، قيل له هذا خالد أمير القوم ، قال : فحمل عليه وإنا لنرجو لبأسه أن يقتله ، فما هو إلا أن دنا منه فضرب خالد فرسه فأقدمه عليه ثم استعرض وجهه بالسيف فأطار قحف رأسه ، ودخلنا مدينتنا فما كان لنا هم إلا الصلح حتى صالحناهم .

وعن قيس بن أبي حازم ، قال : كنت مع خالد حين مر بالشام ، فأقبل حتى نزل بقناة بصرى من أرض حوارين ، وهي مدينتها ، فلما اطمأننا ونزلنا ، خرج إلينا درنجار[١] في خمسة آلاف ، فأقبل إلينا وما يظن هو وأصحابه إلا أنما نحن في أكفهم ، فخرج فينا خالد يصفنا ثم جعل على ميمنتنا رافع بن عميرة الطائي ، وعلى ميسرتنا ضرار بن الأزور[٢] وعلى الرجال عبد الرحمن بن حنبل الجمحي وقسم خيله فجعل على شطرها المسيب بن نجبة ، وعلى الشطر الآخر رجلا كان معه من بكر بن وائل ، ولم يسمه فظننت أنا أنه مذعور بن عدي العجلي ، وكان قد توجه من العراق إلى الشام مع خالد ، ثم صار بعد ذلك إلى مصر فداره اليوم بها معروفة ، قال : مر بها خالد حين قسم الخيل بينهما ، ثم أمرهما أن يرتفعا فوق القوم عن يمين وشمال ، ثم ينصبان على القوم ، فانطلقا ففعلا ذلك ، قال : وأمرنا خالد أن نزحف إلى القلب فزحفنا إليهم ، والله ما نحن إلا ثمانمائة وخمسون رجلا وأربعمائة رجل من مشجعة من قضاعة استقبلنا بها يغبوب رجل منهم ، وكنا ألف رجل ومائتي رجل ونيف رجال ، فلما دنونا منهم شدوا علينا شدتين فلم نبرح ، ثم إن خالداً نادى بصوت له جهوري شديد عال : فقال : يا أهل الإسلام الشدة الشدة فإنكم إن قاتلتموهم محتسبين يريدون بذلك وجه الله فليس لهم أن يواقفوكم ، قال فشددنا عليهم فوالله الذي لا إله إلا هو ما ثبتوا لنا فواقاً حتى انهزموا فتبعناهم نكردهم[٣] ونصيب منهم حتى

(١) ضابط من كبار القادة البيزنطيين مرتبة

(٢) سبقت الرواية أنه قتل خلال حروب الردة .

(٣) نطردهم ونضرب رقابهم . انظر النهاية لابن الاثير .

انتهينا إلى مدينة بصرى وهي مدينة حوارين ، فأخرج لنا أهلهـــا الأسواق واستقبلوا المسلمين بكل ما يحبون ، ثم انهم سألوا المسلمين الصلح فصالحناهم ، فخرج خالد من فوره ذلك فأغـار على غسان في جانب من مرج راهط في يوم فصحهم فقتل وسبى .

وعن أبي الخزرج الغساني قال : كانت أمي في ذلك السبي ، فلمـا رأت هدي المسلمين وصلاحهم وصلاتهم وقع الإسلام في قلبها فأسلمت ، فطلبها أبي في السبي فعرفها فجاء المسلمين فقال : يا أهل الاسلام إني رجل مسلم ، وقد جئتكم مسلماً وهذه امرأتي قد أصبتموها ، فإن رأيتم أن تصلوني وتحفظوا حقي فتردوا علي أهلي فعلتم ، وقد كانت امرأته أسلمت فحسن إسلامها ، فقال لها المسلمون : ما تقولين في زوجك جاء يطلبك وهو مسلم ؟ قالت : إن كان مسلماً رجعت إليه ، وإلا فلا حاجة لي فيه ، ولست براجعة إليه .

وقعة أجنادين

ذكر سعيد بن الفضل وأبو اسماعيل وغيرهما في كتب فتوح الشام عن يزيد ابن يزيد بن جابر قال : لما رحل خالد إلى الغوطة كان قد مر بثنية فجزعها [١] فخرج منها ومعه راية له بيضاء تدعى العقاب [٢] ، فلما قطع تلك الثنية سميت ثنية العقاب ، ثم إنه نزل ديراً يقال له دير خالد [٣] ، به يعرف ، فنزله وهو مما يلي باب الشرقي ، وجاء أبو عبيدة من قبل الجابية حتى نزل باب الجابية ، ثم شنا الغارات في الغوطة وفي غير الغوطة ، فبينما هما كذلك إذ أتاهما أن وردان صاحب حمص قد جمع الجموع يريد أن يقتطع شرحبيل بن حسنة وهو ببصرى ، قال : وأتاهما أن جموعاً من الروم قد نزلت أجنادين [٤] وأن أهل البلد ومن به من نصارى العرب قد سارعوا إليهم فأتاهما خبر أفظعهما وهما مقيمان على عدو يقاتلانه فالتقيا فتشاورا في ذلك فقال أبو عبيدة أرى أن نسير حتى نقدم على شرحبيل بن حسنة قبل أن ينتهي إليه العدو الذي قد صمد صمده ، فإذا اجتمعنا سرنا إليه حتى نلقاه ، قال له خالد : إن جمع العجم ها هنا يعني أجنادين ، وإن نحن سرنا إلى شرحبيل تبعنا هؤلاء من قريب وهم عدد عدونا ، ولكن رأيي

---

(١) أي قطعها عرضاً . انظر النهاية لابن الاثير .

(٢) كان من أسماء راية الحرب عند العرب « العقاب » ولم تكن تزين بصورة من أي نوع كما وهم بعض الباحثين .

(٣) عرف أيضاً باسم دير صليبا ودير السائمة درست معالمه قبل القرن الثامن للهجرة . غوطة دمشق لمحمد كرد علي . ط . دمشق ١٩٨٤ : ١٩٣ - ١٩٤ .

(٤) موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين ليس بعيداً من الرملة من كورة بيت جبرين . معجم البلدان .

أن نصمد صمد عظمهم ، وأن نبعث إلى شرحبيل فنحذره مسير العدو إليه ، ونأمره فيوافينا بأجنادين ، ونبعث إلى يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاصي فيوافيانا بأجنادين ، ثم نناهض عدونا ، فقال له أبو عبيدة : هذا رأي حسن ، فأمضه على بركة الله .

وعن سهل بن سعد قال : قام خالد وقد هم بالرحلة من دمشق إلى أهل أجنادين ، حين بلغه أن الروم قد جمعت له بها ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد : فإنه بلغني أن طائفة من الروم نزلوا بأجنادين ، وأنهم استعدوا أناساً قليلا من أهل البلد ، وسألوا النصر من كان على دينهم استيحاشاً إلى الكفرة[1]، وذلاً ولؤماً، والله جاعل عليهم الدبرة، وقاتلهم كل قتلة ، فاقصدوا بنا قصدهم ، فإني كاتب إلى يزيد بن أبي سفيان حتى يوافيني لديهم من البلقاء ، وإلى عمرو بن العاصي حتى يوافيني هنالك من أرض فلسطين ، وكاتب إلى شرحبيل ابن حسنة بمثل ذلك ، وكان شرحبيل ببصرى ، وكان هؤلاء الأمراء الذين كان أبو بكر قد عقد لهم ، وبعثهم إلى الشام ، وقال لهم إذا جمعتكم حرب فأبو عبيدة أمير الناس ، فلم يزل أبو عبيدة أميرهم حتى قدم خالد عليه بإمرة من أبي بكر ، وكان عمر قد كره تأمير أبي بكر خالداً على أبي عبيدة ، فلم يطعه أبو بكر وكتب أبو بكر إلى أبي عبيدة .

أما بعد :

فإني قد وليت خالداً قتال العدو بالشام ، فلا تخالفه واسمع له ، وأطع أمره فإني لم أبعثه عليك ألا تكون عندي خيراً منه ، ولكني ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك ، أراد الله بنا وبك خيراً ، والسلام .

فولي خالد أمر الناس ، فلما أراد الشخوص من أرض دمشق إلى الروم الذين اجتمعوا بأجنادين كتب نسخة واحدة إلى الأمراء .

---

(١) جاء في حاشية الاصل : استقلالا لمن معهم إلى الكثرة .

أما بعد : فإنه قد نزل بأجنادين جمع من جموع الروم غير ذي قوة ولا عدة ، والله قاصمهم ، وقاطع دابرهم ، وجاعل دائرة السوء عليهم وقد شخصت إليهم يوم سرحت رسولي إليكم ، فإذا قدم عليكم فانهضوا إلى عدوكم بأحسن عدتكم ، وأصح نيتكم ، ضاعف الله أجوركم ، وحط أوزاركم والسلام .

فسرح بهذه النسخ مع أنباط كانوا مع المسلمين يكونون لهم عيوناً وفيوجاً [١] وكان المسلمون يرضخون [٢] لهم ويعطونهم ، ودعا خالد الرسول الذي بعثه إلى شرحبيل ، فقال : كيف علمك بالطريق ؟ قال : أنا أدل الناس بالطريق ، قال فادفع إليه هذا الكتاب وحذره الجيش الذي ذكر لنا أنه يريده ، وخذ به وبأصحابه طريقاً تعدل به عن سنن العدو الذي قد شخص إليه وتأتي به حتى تقدمه علينا بأجنادين .

قال: فخرج الرسول إلى شرحبيل ، وخرج رسول آخر إلى عمرو بن العاصي ، وآخر إلى يزيد بن أبي سفيان ، وخرج خالد وأبو عبيدة بالناس إلى أهل أجنادين ، والمسلمون حينئذ سراع إليهم جرأ عليهم ، فلما شخصوا ومضوا لم يرعهم إلا وأهل دمشق في آثارهم فلحقوا أبا عبيدة وهو في أخريات الناس ، فلما رآهم قد لحقوا به نزل وأحاطوا به ، فاستلحموه في نحو مائتين من أصحابه ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وأتى خالد وهو أمام الناس فخبر وهو في الفرسان والخيل فعطف راجعاً ، ورجع الناس معه وتعجل في الخيل وأهل القوة فينتهي إلى أبي عبيدة وأصحابه وهم يقاتلون العدو قتالاً حسناً ، فحمل الخيل على الروم ، فقتلهم ثلاثة أميال حتى دخلوا دمشق ، ثم انصرف ، ومضى بالناس نحو الجابية ، وأخذ يلتفت وينظر قدوم أصحابه عليه ، ومضى رسول خالد إلى شرحبيل فوافاه وليس بينه وبين الجيش الذي سار إليه من حمص مع وردان إلا مسيرة

---

(١) الفيج : المسرع في مشيه الذي يحمل من بلد إلى بلد . النهاية لابن الاثير .
(٢) الرضخ : العطية القليلة .

يوم وهو لا يشعر ، فدفع إليـــه الرسول الكتاب ، وأخبره الخبر ، واستحثه بالشخوص فقام في الناس فقال: أيها الناس ، اشخصوا إلى أميركم فإنه قد توجه إلى عدو المسلمين بأجنادين ، وقد كتب إلي يأمرني بموافاته هنالك ، ثم خرج بالناس ومضى بهم الدليل .

ويبلغ ذلك الجيش الذي جاء في طلبهم فعجل المسير في آثارهم ، وجـاءه كتاب من الروم الذين بأجنادين أن عجل علينا فإنا مؤمروك علينا ، ومقاتلون معك العرب حتى تنفيهم من بلادنا ، فأقبل في آثار هؤلاء رجاء أن تستأصلهم أو تصيب طرفاً منهم ، فيكون قد نكب طائفة من المسلمين ، فأسرع السير فلم يلحقهم ، وجاؤوا حتى قدموا على المسلمين ، وجاء وردان فيمن معه حتى وافى جمع الروم بأجنادين فأمروه عليهم ، واشتد أمرهم ، وأقبل يزيد بن أبي سفيان حتى وافى أبا عبيدة وخـــالداً ، ثم إنهم ساروا حتى نزلوا بأجنادين ، وجاء عمرو بن العاصي فاجتمع المسلمون جميعـــاً بأجنادين ، وكان أبان بن سعيد بن العاصي قد خطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة ، فتزوجها فدخلت عليـه ليلة الجمعة وباتت عنده ليلة السبت ، وتزاحف النـــاس يوم السبت وخرج خالد بن الوليد فأنزل أبا عبيدة في الرجال ، وبعث معـــاذ بن جبل على الميمنة ، وبعث سعيد بن عامر بن حذيم على الميسرة ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل على الخيل ، وأقبل في الناس لا يقر في مكان واحد يحرض الناس وقـــد أمر نساء المسلمين فاحتزمن وقمن وراء الناس ، فهن يدعون الله ويستغثنه ، وكلما مر بهن رجل من المسلمين رفعن أولادهم إليه وقلن لهم : قـاتلوا دون أولادكم ونسائكم ، وأقبل خالد يقف على كل قبيلة ، فيقول : اتقوا الله وقاتلوا في الله من كفر بالله ، ولا تنكصوا على أعقابكم ولا تهنوا من عدوكم ولكن إقدام كإقدام الأسد ، أو ينجلي الرعب وأنتم أحرار كرام ، قد أوتيتم الدنيا ، واستوجبتم على الله ثواب الآخرة ، وقال للناس : إذا حملت فاحملوا .

وعن أبي سعيد المقبري أن معاذ بن جبل قـــال : يا معشر المسلمين اشروا أنفسكم لله اليوم فإنكم إن هزمتموهم اليوم كانت لكم دار الشام أبداً ، هذا مع رضوان الله والثواب العظيم ، فكان خالد يدافعهم يريد أن يؤخر القتال إلى صلاة الظهر عند مهب الأرواح ، وكانت الساعة التي يقاتل فيها النبي ﷺ ، فأعجلوه فحملوا على الناس مرتين من قبل الميمنة على معاذ بن جبل ، ومن الميسرة على هاشم فلم يتخلخل واحد منهما ، ورموا الناس بالنشاب فنادى سعيد بن زيد : يا خالد علام نستهدف لهؤلاء الأعلاج وقد رشقونا بالنشاب حتى شمست الخيل؟ فأقبل إلى الخيل فقال: احملوا على اسم الله فحمل الناس بأجمعهم فهزمهم الله وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا وأصابوا عسكرهم وما فيه ، وأصابت أبان بن سعيد نشابة فنزعها وعصبها بعمامته ، فحمله إخوته فقال لا تنزعوا عمامتي عن جرحي ، فـــلو قد نزعتموها تبعتها نفسي ، أما والله ما أحب أنها ، لحجر من جبل الخمر [١] وهو جبل السمان ، ومات رحمه الله، فدفن وقالت امرأته أم ابان : قد كنت غنية غن ليلة أبان وقتل اليغبوب بن عمرو بن ضريس سبعة من المشركين بأجنادين وكان من أشد الناس فطعن طعنة كان يرجى له أن يبرأ ، فبرأ فمكث أربعة أو خمسة أيام ثم إنها انتقضت به، فاستأذن أبا عبيدة أن يأذن له في الرجوع إلى أهله حتى إذا برأ وأقبل رجع فأذن له، فرجع إلى أهله بالغمر غمر المداهن فمات فدفن هنالك، وقتل سلمة بن هشام المخزومي ، ونعيم بن عدي بن صخر العدوي ، وهشام بن العاصي السهمي ، وهبـــار بن سفيان ، وعبـد الله بن عمرو الدوسي ، وقتل المسلمون منهم في المعركة ثلاثة آلاف وأتبعوهم يأسرونهم ويقتلونهم ، فخرج فل الروم بإيلياء [٢] وقيساريـــة [٣] ، ودمشق ، وحمـص ، فتحصنوا في المدائن العظام [٤] .

---

(١) يراد به جبل بيت المقدس ، سمي بذلك لكثرة كرومه .

(٢) هي القدس .

(٣) بلدة مشهورة على ساحل فلسطين .

(٤) الخبر في الازدي : ٩١ - ٩٢ ، وقد لحق المطبوع بعض التصحيفات .

وكتب خالد إلى أبي بكر :

لعبد الله أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ .

من خـالد بن الوليد سيف الله المصبوب على المشركين : سلام عليك ، فإني أخبرك أيها الصديق أنا التقينا والمشركون، وقد جمعوا لنا جموعاً جمة بأجنادين، وقد رفعوا صلبهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرون، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله ، فطاعناهم بالرماح شيئاً، ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم بها مقدار جزر جزور ، ثم إن الله تبارك وتعالى أنزل نصره ، وأنجز وعـــده وهزم الكافرين فقتلناهم في كل فج وشعب وغائط ، وهزموا ، فالحمد لله على اعزاز دينه ، واذلال عدوه وحسن صنعه لأوليائه والسلام .

وعن سهل بن سعد قال : كانت وقعة أجنادين أول وقعـــة عظيمة كانت بالشام ، وكانت سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى لليلتين بقيتا يوم السبت نصف النهار ، وكانت قبل وفاة أبي بكر بأربع وعشرين ليلة ، وبعث خالد بكتابه هذا الى أبي بكر مع عبد الرحمن بن حنبل الجمحي فجاء بالكتاب حتى قـدم على أبي بكر ، فلما قرىء على أبي بكر أعجبه،وقال عمر:قبح الله صلفه وتيهه وعجبه بنفسه ، سيـــف الله المصبوب على المشركين ، ان سيوف الله والله التي صبها على المشركين هي التي وضعتك هذا الموضع ، فسكت أبو بكر ساعـة ، وقال : الحمد لله الذي نصر المسلمين وأقر عيني بذلك .

وذكر الطبري عن محمد بن اسحاق أن خالداً لما أغار على غسان بمرج راهط سار حتى نزل على قناة بصرى ، وعليهـــا أبو عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان فاجتمعوا عليها ، فرابطوهـا حتى صالحت بصرى على الجزية ، وفتحها الله على المسلمين، وكانت أول مدينة فتحت من مدائن الشام في خلافة أبي بكر رحمه الله، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاصي وعمرو مقيم بالقريات من غور فلسطين ، وسمعت الروم بهم فانكشفوا عن جلق

إلى أجنادين ، وعليهم قذارق أخو هرقل لأبيه وأمه ، وأجنادين بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين ، وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ويزيد حتى لقيهم فاجتمعوا بأجنادين حتى عسكروا عليهم .

وعن ابن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير أنه قال : كان على الروم رجل منهم يقال له القلنقار ، وكان هرقل استخلفه على أمراء الشام حين سار إلى القسطنطينية ، وإليه انصرف قذارق ومن معه من الروم ، فأما علماء أهل الشام فيزعمون أنما كان على الروم قذارق والله أعلم (١) .

وعنه قال : لما تراءى العسكران بعث القلنقار رجلاً عربياً ، قال: فحدثت أن ذلك الرجل رجل من قضاعه من تزيد بن حيدان يقال له ابن هزارف،فقال: ادخل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوماً وليلة ، ثم ائتني بخبرهم ، فدخل في الناس رجل عربي لا ينكر ، فأقام فيهم يوماً وليلة ، ثم أتاه فقال له:ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رجم لإقامة الحق فيهم ، فقال له القلنقار : لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي .

قال : ثم تزاحف الناس فاقتتلوا فلما رأى القلنقار ما رأى من قتال الروم والمسلمين ، قال للروم : لفوا رأسي بثوب، قالوا له : لم ؟ قال : يوم البئيس لا أحب أن أراه ما رأيت في الدنيا يوما اشد من هذا ، قال : فاحتز المسلمون رأسه وإنه لملفف ، وكانت أجنادين في سنة ثلاث عشرة، لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ، قال : ولم يسم لنا من الأنصار أحد استشهد بها (٢) .

---

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٤١٧ ، مع تصحيفات عديدة .

(٢) تاريخ الطبري : ٣ / ٤١٨ .

وعن غيره قال : أتى خالد دمشق فجمع له صاحب بصرى ، فسار إليه هو وأبو عبيدة فلقيهم بأذريحا [١] ، فظفر بهم وهزمهم فدخلوا حصنهم ، وطلبوا الصلح فصالحهم على كل رأس دينار في كل عام ، وجريب حنطة ، ثم رجع العدو للمسلمين .

قال : فتوافت جنود المسلمين والروم بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، فظهر المسلمون وهزم الله المشركين وقتل خليفة هرقل ، واستشهد رجال من المسلمين [٢] .

رجع الى كتاب فتوح الشام

قال : ثم أمر خالد الناس أن يسيروا إلى دمشق ، فأقبل بالناس حتى نزلها وأقبل إلى ديره الذي كان ينزل به فنزله ، وهو دير خالد به يدعى اليوم ، وهو من دمشق على ميل على باب الشرقي ، وجاء أبو عبيدة حتى نزل على باب الداثنة ، ونزل يزيد بن أبي سفيان على جانب آخر من دمشق ، وأحاطوا بها ، فكثروا حولها وحصروا أهلها حصاراً شديداً ، وجاء عبد الرحمن بن حنبل حتى أتى يزيد بن أبي سفيان ومعه كان يكون ، فقال له يزيد: هل لقيت أبي ؟ قال: نعم ، قال : فهل سألك عني ؟ قال : نعم ، قال : فما قلت له ؟ قال : قلت له إنه حازم الرأي ، متواضع في ولايته بشيس الناس ، محبب في الإخوان ، فقال: كذلك ينبغي لمثله أن يكون ، قال : فقال لي : بينوا لي حالكم واكتبوا إلي بما يكون

---

(١) هناك من يذهب إلى أنها درعا الحالية ، وصحف الاسم في الطبري : ٣ / ٤١٨ فصار « أدرنجا » .

(٢) انظر بعض أسماء من استشهدوا في تاريخ خليفة بن خياط : ١ / ١٠٤ .

من أمركم ، فخرجوا ذات يوم فأحاطوا بالمدينة ودنوا من بابها ، فرماهم أهلها بالحجارة ، ورموهم من فوق السور بالنشاب فقال ابن حنبل :

بلغ أبا سفيان عنـــا بأننا على خير حال كان جيش تكونها
وأنا على بـــابي دمشقة نرتمي وقد حان من بابي دمشقة حينها [1]

وقعة مرج الصفر

قال: فإن المسلمين لكذلك يقاتلونهم ، ويرجون فتح مدينتهم إذ أتي المسلمون ، قيل لهم هذا جيش قد جاءكم من قبل ملك الروم ، فنهض خالد بالناس على تعبئة وسكينة ، فقدم الأثقال والنساء وخرج معهن يزيد بن أبي سفيان ، ووقف خالد وأبو عبيدة وراء الناس ، ثم أقبلوا نحو ذلك الجيش فاذا هو درنجار بعثه ملك الروم في خمسة آلاف ليغيث أهل دمشق فصمد المسلمون صمدة ، وخرج إليهم أهل القوة من أهل دمشق ، وصحبهم ناس كثير من أهل حمص فالقوم نحو من خمسة عشر ألفاً ، فلما نظر إليهم خالد بن الوليد عبأ لهم أصحابه كتعبئته يوم أجنادين ، وجعـــل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته هاشم بن عتبة ، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، ونزّل أبا عبيدة في الرجال ، فزحف إليهم ، وذهب خالد فوقف في أول الصف يريد أن يحرض الناس ، ثم نظر إلى الصف من أوله إلى آخره حتى حملت لهم خيل على خالد بن سعيد ، وقـد كان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يدعون الله ويقص عليهم ، فحملت طائفة منهم عليه ، فنازلهم فقاتل حتى قتل وحمل عليهم معاذ بن جبل فهزمهم من الميمنة ، وحمل عليهم خالد من الميسرة فهزم من يليه ، وحمل سعيد بن زيد على عظم جميعهم فهزمهم الله وقتلهم ، واجتث عسكرهم ، ورجـع الناس وقد

(١) الأزدي : ٩٤ - ٩٥ .

ظفروا وقتلوهم كل قتلة، وذهبوا على وجوههم فمنهم من دخل مدينة دمشق من أهلها ، ومنهم من رجع إلى حمص ومنهم من لحق بقيصر [١] .

وعن عمرو بن محصن أن قتلاهم كانت يوم مرج الصفر خمسمائة في المعركة، وقد قتلوا وأسروا ، فقتلوا نحواً من خمسمائة أخرى ، ثم إن المسلمين أقبلوا عودهم على بدئهم حتى نزلوا دمشق .

وعن أبي أمامة قال: كان بين أجنادين وبين مرج الصفر عشرون يوماً ، فحسبت لذلك فوجدته يوم الخميس لثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ، قبل وفاة أبي بكر بأربعة أيام ، ثم إن الناس أقبلوا بأجمعهم حتى نزلوا على دمشق فحاصروا أهلها ، وضيقوا عليهم ، وعجز أهلها عن قتال المسلمين، ونزل خالد منزله الذي كان به على باب الشرقي ، ونزل أبو عبيدة منزله ، ونزل يزيد بن أبي سفيان جانباً آخر فكان المسلمون يغيرون فكلما أصاب رجل نفلا جاء بنفله حتى يلقيه عند صاحب القبض، حتى إن كان الرجل منهم ليجيء بالكبة الغزل ، وبالكبة الصوف ، أو الشعر ، أو المسلة والإبرة ، فيلقيها في القبض لا يستحل أن يأخذها ، فسأل صاحب دمشق بعض عيونه عن أعمالهم وسيرتهم فوصفهم له بهذه الصفة في الأمانة ، ووصفهم بالصلاة بالليل ، وطول القيام ، فقال هؤلاء رهبان بالليل أسد بالنهار لا والله ما لي بهؤلاء طاقة، وما لي في قتالهم خير ، قال : فراوض المسلمين على الصلح فأخذ لا يعطيهم ما يرضيهم ولا يتابعونه على ما يسأل ، وهو في ذلك لا يمنعه من الصلح والفراغ إلا أنه قد بلغه أن قيصر يجمع الجموع للمسلمين يريد غزوهم ، فكان ذلك مما يمنعه من تعجيل الصلح [٢] .

---

(١) المصدر السابق: ٩٥ - ٩٦ .

(٢) المصدر السابق : ٩٦ - ٩٨ .

وفاة أبي بكر رضي الله عنه

وتوفي أبو بكر رضي الله عنه لثمان بقين لجمادى الآخرة مساء يوم الاثنين سنة ثلاث عشرة وولي عمر بن الخطاب رحمه الله .

فكتب إلى أبي عبيدة : أما بعد فإن أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ توفي فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ورحمة الله على أبي بكر القائل بالحق ، والآمر بالقسط ، والآخذ بالعرف واللين ، الشفيق الورع ، الحليم والسهل القريب ، نرغب إلى الله في العصمة برحمته والعمل بطاعته والحلول في جنته ، إنه على كل شيء قدير والسلام عليك .

وجاء بالكتاب يرفأ حتى أتى أبا عبيدة به ، فقرأه ، فلم يسمع من أبي عبيدة حين قرأه شيء ينتفع به مقيم ولا ظاعن ، ودعا أبو عبيدة معاذ بن جبل وأقرأه الكتاب ، فالتفت معاذ الى الرسول فقال: رحمة الله على أبي بكر ، ويح غيرك ما فعل المسلمون ؟ قال : استخلف أبو بكر عمر ، فقال : الحمد لله وفقوا وأصابوا ، فقال أبو عبيدة : ما منعني من مسألته منذ قرأت الكتاب حتى دعوتك لقراءته إلا مخافة ان يستقبلني فيخبرني أن الوالي غير عمر ، فقال له الرسول: يا أبا عبيدة إن عمر يقول لك أخبرني عن حال الناس ، وأخبرني عن خالد بن الوليد أي رجل هو ، وأخبرني عن يزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاصي كيف هما في حالها ونصيحتها للمسلمين ؟ فقال له خالد : خير أمير ، أنصحه للاسلام ، وأشده على عدوهم من الكفار ، ويزيد وعمرو في نصيحتهما وجدهما كما يحب عمر ، ونحب .

قال : فأخبرني عن أخيك سعيد بن زيد ، ومعاذ بن جبل ، قال له : هما كما عهدت إلا أن يكون السن زادهما في الدنيا زهادة وفي الآخرة رغبة ، قال : ثم إن الرسول وثب فقالا له : سبحان الله انتظر نكتب معك ، فكتبا :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب : سلام عليك فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم يا عمر ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يقعد بين يديك العدو والصديق والضعيف والشديد ، ولكل عليك حصته من العدل فانظر كيف يكون عندك ذلك يا عمر ، وأن يذكرك يوماً تبلى فيه السرائر وتكشف فيه العورات ، وتعنى فيه الوجوه لعزة ملك قهرهم بجبروته ، فالناس له داخرون يخافون عقابه وينتظرون قضاءه ، وإنه بلغنا أنه يكون في هذه الأمة رجال يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة ، وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا منك بغير المنزلة التي هو بها في أنفسنا ، والسلام .

فمضى رسوله بالكتاب إليه .

وقال أبو عبيدة لمعاذ بن جبل : والله ما أمرنا عمر أن نظهر هلاك أبي بكر للناس ، وما نعاه إليهم ، فما أرى أن نذكر من ذلك شيئاً دون أن يكون هو يذكره فقال له معاذ : فإنك نعم ما رأيت ، فسكتا ولم يذكرا للناس، ولم يلبثا إلا مقدار ماقدم رسول عمر عليه حتى بعث إليهما جواب كتابهما وبعهد أبي عبيدة ، وأمره بعظة الناس فجاء به شداد بن أوس بن ثابت ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري ، فكان جواب عمر أبا عبيدة ومعاذ بن جبل :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ،

سلام عليكما فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :

فإني أوصيكما بتقوى الله فإنه رضى ربكما وحفظ أنفسكما ، وغنيمة الأكياس لأنفسهم عند تفريط العجزة ، وقد بلغني كتابكما تذكران أنكما عهدتماني وأمر نفسي لي مهم ، وما يدريكما ، وكتبتما تذكران أني قد وليت أمر هذه الأمة ، يقعد بين يدي العدو والصديق ، والضعيف والقوي ، ولكل علي حصته من العدل وتسألاني كيف بي عند ذلك ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكتبتما تخوفاني بيوم هو آت وذلك لاختلاف الليل والنهار يسلبان كل جديد ويقربان كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود ، حتى يأتيا بيوم القيامة ، يوم تبلى فيه السرائر وتكشف فيه العورات وتعنى فيه الوجوه لعزة ملك قهرهم سلطانه وجبروته فالناس له داخرون يخافون عقابه ، وينتظرون قضاءه ، وذكرتما أنه بلغكما أنه يكون في هذه الأمة رجال يكونون إخوان العلانية أعداء السرائر ، وإنا نعوذ بالله أن نكون من أولئك ، ونعوذ بالله أن ننزل كتابكما مني بغير المنزلة التي هو بها في أنفسكما لي ، فإنا لسنا بأولئك ، وليس هذا بزمان ذلك ، وإنما ذلك إذا كانت الرغبة والرهبة رغبة الناس بعضهم إلى بعض ورهبة الناس بعضهم من بعض وإنه لا غنى بي عنكما فتعاهداني بكتبكما ، والسلام عليكما [١] .

---

(١) الأزدي : ٩٨ - ١٠٢ مع فوارق شديدة .

حصار أهل دمشق

وعن عباس بن سهل بن سعد قال : قـــدم شداد بن أوس بعهد أبي عبيدة فدفعه إليه ، وشداد شاك ، فنزل مع أبي عبيدة ومعـــاذ بن جبل في منزلهما وأمرهما واحد ، فكانا يقومان عليه حتى تماثل ، فمكث أبو عبيدة خمس عشرة ليلة يصلي خالد بالناس ، ويأمر بالأمر وما يعلم أن أبا عبيدة الأمير ، حتى جاء كتاب من عمر إلى أبي عبيدة ، فكره أن يخفيه .

بسم الله الرحمن الرحيم :

سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أمـا بعد : فإنك في كنف من المسلمين وعـــدد يكفي حصار دمشق فابعث سراياك في نواحي أرض حمص ودمشق وما سواهما من أرض الشام ، ولا يحملك قولي هذا على أن تعري عسكرك فيطمع فيك عدوك ، ولكن انظر برأيك فما استغنيت عنه منهم فسر به ، وما احتجت إليه منهم في حصارك فاحبسه ، وليكن فيمن تحبس خالد بن الوليد فإنه لا غنى بك عنه ، والسلام .

فلما قرأ أبو عبيدة كتابه على الناس ، قال خالد : رحم الله أبا بكر لو كان حياً ما عزلني ، وولي عمر فولى أبا عبيدة فعافى الله أبا عبيدة كيف لم يعلمني بولايته علي ، فجاءه الكتاب فدفعه إليه ، وقال له أنت الأمير ولا تعلمني وأنت تصلي خلفي ، والسلطان سلطانك ، فقال له : ما كنت لأعلمك بـه أبداً حتى تعلمه من عند غيري ، وما سلطان الدنيا إمارتها ، فإن كل مـــا ترى يصير إلى زوال وإنما نحن أخوان ، فأينا أمـــه أخوه أو أمر عليه لم يضره الله بذلك في

دينه ولا دنياه ، بل لعل المولى أن يكون أقربهما إلى الفتنة وأوقعهما بالخطيئة أنه بعرض هلكة إلا من عصم الله، وقليل ما هم، وتولى أبو عبيدة حصار دمشق وولى خالداً القتال على الباب الذي كان يكون عليه وهو باب الشرقي ، وولاه الخيل إذا كان يوم يجتمع المسلمون فيه للقتال ، فحاصروا دمشق بعد مهلك أبي بكر رحمه الله وولايته حولاً كاملاً وأياماً ، ثم أنه لما طال على صاحب دمشق انتظار مدد قيصر ورأى المسلمين لا يزدادون إلا كثرة وقوة، وأنهم لا يفارقونه أقبل إلى أبي عبيدة يسأله الصلح، وكان أبو عبيدة أحب إلى الروم وسكان الشام من خالد ، وكان أن يكون الكتاب منه أحب إليهم لأنه الينهما وأشدهما منهم استماعاً، وأقربهما منهم قرباً، وكان قد بلغهم أنه أقدمهما هجرة وإسلاماً، وكانت رسل صاحب دمشق إنما تأتي أبا عبيدة وخالد ملح على الباب الذي يليه ، فأرسل صاحب دمشق الرجال إلى أبي عبيدة فصالحه وفتح له باب الجابية ، وألح خالد بن الوليد على باب الشرقي ففتحه عنوة فقال خالد لأبي عبيدة : اسبهم إني قد فتحتها عنوة ، فقال أبو عبيدة : لا إني قد أمنتهم .

وعن عمرو بن عبد الرحمن أن صفوان بن المعطل حمل بداريا على رجل من الروم عليه من حلية الأعاجم فطعنه صفوان فصاحت امرأته إلي يابن المعطل ، وأقبلت تجره . فقال صفوان :

ولقد شهدت الخيل يعلو نقعها ... ما بين داريا دمشق إلى نوى
فطعنت ذا حلي فصاحت عرسه ... يابن المعطل ما تريد مما أرى
فأجبتها إني سأترك بعلها ... بالدير منعقر المضاحك بالثرى
وإذا عليه حلية فشهرتها ... إني كذلك مولع بذوي الحلى

ودخل المسلمون دمشق وتم الصلح .

وعن محرز بن أسد الباهلي قال : افتتحنا دمشق سنة أربع عشرة في رجب لخمس عشرة مضت من الشهر، يوم الأحد لثلاثة عشر شهراً من إمارة عمر إلا

سبعة أيام ، قال : وكان أهل دمشق قد بعثوا الى قيصر وهو بأنطاكية رسولاً ان العرب قد حصرتنا وضيقت علينا ، وليس لنا بهم طاقة ، وقد قاتلناهم مراراً فعجزنا عنهم ، فإن كان لك فينا وفي السلطان علينا حاجة ، فأمددنا وأغثنا فعجل فإنا في ضيق وجهد والا فإنا قد أعذرنا ، والقوم قد أعطونا الأمان ورضوا منا من الجزية باليسير ، فأرسل إليهم أن تمسكوا بحصنكم ، وقاتلوا عدوكم فإنكم ان صالحتموهم وفتحتم حصنكم لهم لم يفوا لكم ، وأجبروكم على ترك دينكم ، واقتسموكم بينهم ، وأنا مسرح اليكم الجيش في اثر رسولي ، فانتظروا جيشه . فلما أبطأ عليهم ، وألح عليهم المسلمون بالتضييق وشدة الحصار ، سألوا الصلح حتى أعطاهموه أبو عبيدة وتممه لهم ، وجاء الجيش من قبل أنطاكية مدداً لأهل دمشق ، فلما قدموا بعلبك أتاهم الخبر بأن دمشق قد افتتحت فأقاموا وكان عليهم درنجاران عظيمان ، كل درنجار على خمسة آلاف ، فكانوا عشرة آلاف فأقاموا وبعثوا الى ملكهم يخبرونه بالمكان الذي هم فيه وبالخبر الذي بلغهم عن دمشق [1] .

وحكى الطبري في كتابه بسنده عن صالح بن كيسان قال : أول كتاب كتبه عمر حين ولي الى أبي عبيدة يوليه على جند خالد .

أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه ، الذي هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات الى النور ، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد ، فقم بأمرهم الذي يحق عليك ولا تقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه ولا تبعث سرية الا في كثف من الناس ، واياك والقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك ، فغض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها ، واياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم .

---

(١) الأزدي : ١٠٤ - ١٠٦ .

وفيه أنه قدم بوفاة أبي بكر رضي الله عنه إلى الشام شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، وعمية بن جزء ، ويرفأ ، فكتموا الخبر الناس حتى ظهر المسلمون ، وكانوا بالواقوصة يقاتلون عدوهم من الروم ، وذلك في رجب فأخبروا أبا عبيدة بوفاة أبي بكر وولايته حرب الشام ، وبضم عمر إليه الأمراء ، وعزل خالد بن الوليد [١] .

وعن محمد بن اسحاق قال : لما فرغ المسلمون من أجنادين ساروا إلى فحل [٢] من أرض الأردن ، وقد اجتمعت فيها رافضة الروم والمسلمون على أمرائهم ، وخالد على مقدمة الناس ، فلما نزلت الروم بيسان بثقوا أنهارها وهي أرض سبخة ، وكانت وحلا ونزلوا فحلا وبيسان بين فلسطين وبين الأردن ، فلما غشيها المسلمون ولم يعلموا ما صنعت الروم وحلت خيولهم فيها ولقوا عناء ثم سلمهم الله عز وجل ، وسميت بيسان ذات الردغة [٣] لما لقي المسلمون فيها ، ثم يمموا إلى الروم وهم بفحل فاقتتلوا فهزمت الروم ، ودخل المسلمون فحل ، ولحقت رافضة الروم بدمشق فكانت فحل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ، على ستة أشهر من خلافة عمر رضي الله عنه .

ثم صار إلى دمشق وخالد على مقدمة الناس ، وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له باهان بدمشق ، وقد كان عمر عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس ، فالتقى المسلمون والروم فيها حول دمشق ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم هزم الله الروم وأصاب منهم المسلمون ، ودخلت الروم دمشق فغلقوا عليها ، وجثم المسلمون عليها فرابطوها حتى فتحت دمشق ، وأعطوا الجزية ، وقد قدم الكتاب على أبي عبيدة بإمارته ، وعزل خالد فاستحيا أبو

---

(١) الطبري : ٣ / ٤٣٤ .

(٢) انظره في معجم البلدان .

(٣) الردغة : طين ووحل كثير . النهاية لابن الاثير .

عبيدة أن يقرىء خالد الكتاب حتى فتحت دمشق ، وجرى الصلح على يدي خالد ، وكتب الكتاب باسمه ، فلما صالحت دمشق لحق باهان صاحب الروم الذي قاتل بهرقل ، وكان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب، وأظهر أبو عبيدة إمارته ، وعزل خالد ، وقد كان المسلمون التقوا هم والروم ببلد يقال له عين فحل بين فلسطين والأردن ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم لحقت الروم بدمشق .

قال أبو جعفر الطبري: أما سيف فذكر بسنده أن البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة ، وهم باليرموك ، وقد التحم القتال بينهم وبين الروم ، وقص من خبر دمشق وخبر اليرموك غير الذي اقتصه ابن اسحاق [1] .

خبر دمشق من رواية سيف

عن أبي عثمان عن خالد وعبادة قالا : لما هزم الله جند اليرموك ، وتهافت أهل الواقوصة ، وفرغ من المقاسم والأنفال ، وبعث بالأخماس ، وسرحت الوفود، استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب بن أُبَيّ الحميري ، كي لا تغتال بردة ، ولا يقطع الروم عنها مواده ، وخرج أبو عبيدة حتى نزل بالصفرين وهو يريد اتباع الفالة ولا يدري أيجتمعون أو يفترقون ، فأتاهم الخبر بأنهم أرزوا إلى فحل ، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص ، فهو لا يدري أبدمشق يبدأ أم بفحل من بلاد الأردن ، فكتب في ذلك إلى عمر وانتظر الجواب مقيماً بالصفرين ، فلما جاء عمر فتح اليرموك أقر الأمراء على ما

---

(١) الطبري : ٣ / ٤٣٤ - ٤٣٥ .

كان استعملهم عليه أبو بكر ، إلا ما كان من عمرو بن العاصي ، وخالد بن الوليد ، فانه ضم خالداً إلى أبي عبيدة وأمر عمراً بمعونة الناس حتى تصير الحرب إلى فلسطين ، ثم يتولى حربها ولما جاء عمر الكتاب من أبي عبيدة ، كتب إليه :

أما بعد : فابدؤوا بدمشق ، وانهدوا لها ، فإنها حصن الشام ، وبيت مملكتهم واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بازائهم في نحورهم ، وأهل فلسطين ، وأهل حمص إن فتحها الله قبل دمشق ، فذلك الذي نحب ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فلينزل دمشق من تمسك بها ودعوها ، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل ، فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص ، ودع شرحبيل وعمراً وأخلها بالأردن وفلسطين وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته .

فسرح أبو عبيدة إلى اهل فحل عشرة قواد : أبو الأعور السلمي ، وعمرو بن كليب ، وعمارة بن الصعق ، وصيفي بن علية ، وعبد عمرو بن يزيد بن عامر الحرشي ، وعامر بن حثمة بن شامل ، وعمرو بن الحبيب بن عمرو ، ولبدة بن عامر بن خثعمة ، وبشر بن عصمة ، وعمارة بن محشي قائد الناس ، ومع كل رجل خمسة قواد وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك منهم فصاروا [1] من الصفرين حتى نزلوا قريباً من فحل ، فلما رأت الروم أن الجنود تريدهم بثقوا المياه حول فحل ، فأردغت الأرض ، ثم وحلت واغتنم المسلمون ذلك فحبسوا عن المسلمين ثمانين ألف فارس ، وكان أول محصور بالشام أهل فحل ، ثم أهل دمشق ، وبعث أبو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص ردءاً ، وبعث علقمة بن حكيم ومسروقاً فكانا بين دمشق وفلسطين ، والأمير يزيد ، ففصل وفصل بأبي عبيدة من المرج ، وقدم خالد بن الوليد

(١) في الحاشية : لعله فساروا . وهكذا جاءت بالطبري : ٣ / ٤٣٨ .

وعلى مجنبتيه عمرو ، وأبو عبيدة ، وعلى الخيل عياض ، وعلى الرجل شرحبيل ، فقدموا على دمشق وعليهم نسطاس بن نسطوس ، فحصروا أهل دمشق، ونزلوا حواليها ، فكان أبو عبيدة على ناحية ، وعمرو على ناحية ، وهرقل يومئذ بحمص ، ومدينة حمص بينه وبينهم ، فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً ، وقاتلوهم قتالاً عظيماً بالزحوف والترامي والمجانيق ، وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث ، وهرقل منهم قريب ، وقد استمدوه وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص على رأس ليلة من دمشق ، كأنه يريد حمص وجاءت جنود [١] هرقل مغيثة لأهل دمشق ، فأشجتها الخيول التي مع ذي الكلاع وشغلتها عن الناس ، فأرزوا ونزلوا بإزائه ، وأهل دمشق على حالهم، فلما أيقن أهل دمشق أن الامداد لا يصل إليهم فشلوا ووهنوا وأبلسوا ، وازداد المسلمون طمعاً فيهم ، وقد كانوا يرون أنها كالغارات قبل ذلك ، إذا أتاهم البرد قفل الناس ، فسقط النجم والقوم مقيمون ، فعند ذلك انقطع رجاؤهم ، وندموا على دخول دمشق ، وولد للبطريق الذي دخل على أهل دمشق مولود ، فصنع عليه ، فأكل القوم وشربوا وغفلوا عن مواقفهم ، ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد ، فإنه كان لا ينام ولا ينيم ، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء ، عيونه ذاكية وهو معني بما إليه قد اتخذ حبالاً كهيئة السلالم وأوهاقاً [٢] ، فلما أمسى من ذلك اليوم نهد ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم ، وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وأمثاله من أصحابه في أول يوم ، وقالوا : إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا ، وانهدوا للباب ، فلما أتى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدمون رموا بالحبال الشرف [٣] ، وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها خندقهم ، فلما ثبت لهم وهقان

---

(١) جاء بالحاشية ما يفيد أنه ورد في نسخة أخرى « خيول » وهكذا وردت الكلمة في الطبري : ٣ / ٤٣٩ .

(٢) الوهق حبل له أنشوصه يرمى لإمساك دابة أو انسان أو للتعلق بشيء ثابت .

(٣) أي شرف السور .

تسلق فيها القعقاع ومذعور ، ثم لم يدعا أحبولة إلا اثبتاها والأوهاق بالشرف، وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق ، أكثره ماء ، وأشده مدخلاً وتوافوا لذلك فلم يبق مما دخل معه أحد إلا رقي ، أو دنا من الباب حتى إذا استووا على السور ، حدر عامة أصحابه وانحدر معهم ، فكبر الذين على رأس السور فنهد المسلمون إلى الباب ، ومال إلى الحبال بشر كثير ، فوثبوا فيها ، وانتهى خالد إلى أول من يليه فأنامهم ، وانحدر إلى الباب فقتل البوابين ، وثار أهل المدينة ، وفزع سائر الناس ، فأخذوا مواقفهم ولا يدرون ما الشأن ، وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم ، وقطع خالد بن الوليد ومن معه اغلاق الباب بالسيوف ، وفتحوا للمسلمين فأقبلوا عليهم من داخل حتى ما بقي مما يلي باب خالد مقاتل إلا أنيم ، ولما شد خالد على من يليه ، وبلغ منهم الذي أراد عنوة ، وأزر من أفلت إلى أهل الأبواب التي تلي غيره ، وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فأبوا وأبعدوا ، فلم يفجأهم إلا وهم يبوحون لهم بالصلح ، فأجابوهم وقبلوا منهم ، وفتحوا لهم الأبواب ، وقالوا : ادخلوا وامنعونا من أهل ذلك الباب ، فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم ، ودخل خالد مما يليه عنوة ، فالتقى خالد والقواد في أوساطها هذا استعراضاً وانتهاباً وهذا صلحاً وتسكيناً فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح ، فصار صلحاً ، وكان صلح دمشق على المقاسمة : الدينار والمقار ، ودينار عن كل رأس ، فاقتسموا الأسلاب ، فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القواد ، وجرى على الديار ومن بقي في الصلح جريب [1] من كل أرض ، ووقف ما كان للملوك

---

(١) مكيال قدره أربعة أقفزة ، والقفيز أيضاً مكيال يسع ثمانية مكاكيك ، والمكوك مكيال يسع صاعاً ونصف الصاع ، ومن المقدر أن الصاع يساوي خمسة أرطال وثلث الرطل . القاموس . المكاييل في صدر الإسلام للدكتور سامح عبد الرحمن فهمي . ط . مكة المكرمة ١٩٨١ : ٢٥ — ٤٠ .

ومن صوب معهم فيئاً ، وقسموا لذي الكلاع ومن معه ، ولأبي الأعور ومن معه ، ولبشير ومن معه ، وبعثوا بالبشارة إلى عمر .

وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر بأن اصرف جند العراق إلى العراق ، وأمرهم بالحث إلى سعد بن مالك ، فأمر على جند العراق هاشم بن عتبة ،وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى مجنبتيه عمرو بن مالك الزهري وربعي بن عامر ، وصرفوا بعث دمشق نحو سعد ، فخرج هاشم نحو العراق في جند العراق ، وخرج القواد نحو فحل ، وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلا من أصيب منهم ، فأتموهم بأناس ممن لم يكن منهم ، منهم قيس والأشتر .

وخرج علقمة ومسروق إلى ايلياء فنزلا على طريقها ، وبقي بدمشق مع يزيد بن أبي سفيان من قواد أهل اليمن عدد ، وبعث يزيد دحية بن خليفة الكلبي في خيل بعد فتح دمشق إلى تدمر ، وأبا الزهراء القشيري إلى البثنية[1] وحوران فصالحوهما على صلح دمشق ، ووليا دمشق ، ووليا القيام على فتح ما بعثا إليه .

وقال ابن اسحاق كان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب ، وقال أيضاً : كانت وقعة فحل قبل دمشق وإنما صار إلى دمشق رافضة فحل واتبعهم المسلمون إليها وزعم أن وقعة فحل كانت سنة ثلاث عشرة في ذي القعدة منها .

وأما الواقدي فإنه زعم أن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة كما قال ابن اسحاق ، وزعم أن حصار المسلمين لها كان ستة أشهر ، وزعم أن وقعة اليرموك كانت في سنة خمس عشرة، وزعم أن هرقل جلا في هذه السنة بعد وقعة اليرموك في سبعين من انطاكية إلى قسطنطينية ، وأنه لم يكن له بعد اليرموك وقعة .

---

(١) بين دمشق وأذرعات . معجم البلدان .

وذكر سيف على ما سيأتي أن وقعة اليرموك كانت في سنة ثلاث عشرة، وأن المسلمين ورد عليهم البريد بوفاة أبي بكر باليرموك في اليوم الذي هزمت الروم في آخره ، وان عمر رحمه الله أمرهم بعد فراغهم من اليرموك بالمسير إلى دمشق ، وزعم أن فحلاً كانت بعد دمشق ، وأن حروباً كانت بعد ذلك بين المسلمين والروم سوى ذلك قبل شخوص هرقل إلى قسطنطينية [1] .

* * *

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٤٣٨ - ٤٤١ .

ذكر أمر فحل من رواية سيف

حكى عن أشياخه قالوا : خلف الناس بعد فتح دمشق يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق ، وسار نحو فحل على الناس شرحبيل بن حسنة ، فبعث خالداً على المقدمة وأبا عبيدة وعمراً على مجنبتيه ، وعلى الخيل ضرار بن الأزور ، وعلى الرجل عياض ، وكرهوا أن يصمدوا لهرقل وخلفهم ثمانون ألفاً ، وعلموا أن بإزاء فحل جند الروم ، وإليهم ينظرون ، وأن الشام بعدهم تسلم ، فلما انتهوا الى أبي الأعور قدموه الى طبرية ، فحاصرهم ونزلوا على فحل[1] من الأردن ، وقد كان أهل فحل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأزروا الى بيسان ، وبينهم وبين المسلمين تلك المياه والأوحال ، وكتبوا الى عمر بالخبر وهم يحدثون أنفسهم بالمقام ولا يريدون أن يريحوا فحلا حتى يرجع كتابهم من عند عمر ولا يستطيعون الاقدام على عدوهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال ، وكانت العرب تسمي تلك الغزاة فحل وذات الردغة ، وبيسان .

وأصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل مما فيه المشركون ، مادتهم متواصلة ، وخصبهم رغد ، فاغترهم القوم ، وعلى القوم سقلار بن مخراق ، ورجوا أن يكونوا على غرة فأتوهم والمسلمون لا يأمنون مجيئهم فهم على حذر ، وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح الا على تعبئة ، فلما هجموا على المسلمين غافصوهم[2] فلم يناظروهم فاقتتلوا بفحل كأشد قتال اقتتلوه قط ليلتهم ويومهم الى الليل ،

---

(١) في الحاشية : فحل بكسر الفاء وسكون الحاء ، ذكره ابن الأثير في النهاية .

(٢) غافصه : فاجأه وأخذه على غرة . القاموس .

فأظلم الليل عليهم وقد حاروا ، فانهزموا وهم حيارى وقـــد أصيب رئيسهم سقلار والذي يليه فيهم نسطورس،وظفر المسلمون أحسن ظفر وأهنأه،وركبوهم وهم يرون أنهم على قصد وجـــدد فوجدوهم حيارى لا يعرفون مأخذهم، فأسلمتهم هزيمتهم وحيرتهم الى الوحل فركبوه ، ولحق أوائل المسلمون بهم،وقد وصلوا ، فركبوهم ولا يمنعون يد لامس فوخزوهم بالرماح ، فكانت الهزيمة في فحل، وكان مقتلهم في الرداغ،فأصيب الثمانون الألف لم يفلت منهم الا الشديد، وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون كرهوا البثوق فكانت عوناً لهم على عدوهم وأناة من الله ليزدادوا بصيرة وجداً واقتسموا ما أفاء الله عليهم وانصرف أبو عبيدة بخالد من فحل الى حمص ، وصرفوا بشير بن كعب معهم ، ومضوا بذي الكلاع ومن معه وخلفوا شرحبيل ومن معه [1] .

ذكر بيسان

ولما فرغ شرحبيل من وقعة فحل نهد في الناس ومعه عمرو الى أهل بيسان فنزلوا عليهم وأبو الأعور والقواد معه على طبرية ، وقد بلغ أفناء أهل الأردن ما لقيت دمشق ، وما لقي سقلار والروم بفحل في الردغة ، ومسير شرحبيل إليهم ومعهم [2] عمرو والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو يريد بيسان ، تحصنوا بكل مكان ، فسار شرحبيل بالناس الى أهل بيسان فحصروهم أياماً، ثم انهم خرجوا فقاتلوهم ، فأناموا من خرج اليهم ، وصالحوا بقية أهلها، فقبل ذلك على صلح دمشق .

---

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٤٤٢ – ٤٤٣ مع تصحيفات كثيرة .

(٢) كذا بالأصل ، والأصح قوله « ومعه » فهكذا وردت في الطبري : ٣ / ٤٤٣ .

الطبريّـــة [١]

وبلغ أهل طبرية الخبر فصالحوا أبا الأعور على أن يبلغهم شرحبيل ففعل فصالحوهم وأهل بيسان على صلح دمشق ، على أن شاطروا المسلمين المنازل في المدائن وما أحاط بها ممـا يصلها ، فيدعون لهم نصفاً ويجتمعون في النصف يغادون المسلمين ويراوحونهم في كل يوم بارد ، ولقي المسلمون بها برداً شديداً ، والروم حصاراً طويلاً ، فأما المسلمون فصبروا ورابطوا ، وأفرغ الله تعـــالى عليهم الصبر ، وأعقبهم النصر حتى اضطرب [٢] الشتاء ، وإنمـا تمسك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء [٣] .

وعن أبي الزهراء القشيري عن رجل من قومه ، قال : كان أهـــل حمص يتواصون فيما بينهم ويقولون : تمسكوا فإنهم حفـاة ، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون ، فكانت الروم تراجع وقـد سقطت أقدام بعضهم في خفافهم ، وإن المسلمين في النعال ما أصيب أصبع أحد منهم حتى إذا انخنس [٤] الشتاء قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين ، قالوا : كيف والملك في سلطانه وعزه ، ليس بيننا وبينهم شيء ، فتركهم وقام فيهـــم آخر فقال : ذهب الشتاء ، وانقطع الرجاء فما تنتظرون ؟ فقالوا : البرسام [٥] فإنما يسكن في الشتاء ويظهر في الصيف ، فقال إن هؤلاء قوم يعانون ولأن تأتوهم بعهد وميثاق خير من أن تؤخذوا عنوة ، أجيبوني محمودين قبل أن تجيبوني مذمومين ، فقالوا : شيخ خرف ولا علم له بالحرب .

---

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٤٤٣ .

(٢) في حاشية الأصل : لعله انصرف .

(٣) تاريخ الطبري : ٣ / ٤٤٤ مع فوارق شديدة .

(٤) خنس : انقبض وتأخر . النهاية لابن الأثير .

(٥) البرسام : علة يهذى فيها . القاموس .

وعن أشياخ من غسان وبلقين، قالوا : أثاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص أن زلزل بأهل حمص وذلك أن المسلمين ناهزوهم ، فكبروا تكبيرة زلزلت معها الروم في المدينة ، وتصدعت الحيطان ،ففزعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوي رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة فلم يجيبوهم وأدلوهم بذلك ، ثم كبروا الثانية فتهافتت منها دور كثيرة وحيطان وفزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم فقالوا ألا ترون إلى عذاب الله ؟ فأجابوهم لا يطلب الصلح غيركم،فأشرفوا فنادوا الصلح الصلح، ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم، وقبلوا منهم على أنصاف دورهم،وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنيانهم لا ينزلونه عليهم فتركوه لهم ، فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار وطعام على كل جريب أبداً أيسروا أو أعسروا، وصالح بعضهم على قدر طاقته [١] ، إن زاد ماله زيد عليه ، وان نقص نقص ، وكذلك كان صلح دمشق والأردن : بعضهم ان أيسروا وإن أعسروا ، وبعضهم على قدر طاقته ، وولوا معاملتها جلا ملوكهم عنه .

وبعث أبو عبيدة السمط بن الأسود في بني معاوية والأشعث بن ميناس في السكون معه ابن عابس ، والمقداد في بلي ، وبلالاً وخالداً في الجيش والصباح بن شتير ، وذهيل بن عطية وذو شمسان ، فكانوا في قصبتها ، وأقام في عسكره وكتب إلى عمر بالفتح،وبعث بالأخماس مع عبد الله بن مسعود وقد وفده، وأخبر خبر هرقل ، وأنه عبر الماء إلى الجزيرة ، فهو بالرها [٢] ينغمس أحياناً ، ويطلع أحياناً ، فقدم ابن مسعود على عمر فرده ، ثم بعثه بعد ذلك إلى سعد بالكوفة ، ثم كتب إلى أبي عبيدة أن أقم في مدينتك ، وادع أهل القوة والجلد من عرب الشام فإني غير تارك البعثة إليك بمن يكانفك إن شاء الله[٣] .

---

(١) جاء في حاشية الأصل : لعله « على شيء معين » .

(٢) الرها هي أورفا في تركيا الحالية على مقربة من الأراضي السورية .

(٣) انظر الطبري : ٣ / ٥٩٩ - ٦٠١ .

حديث حمص الآخرة[١]

وعن سيف بسنده عن رجاء بن حيوة وغيره قالوا: أغزى هرقل أهل حمص في البحر وقد اتخذوا [٢] مسالح ، وأنزل علقمة بن محرز ، وعلقمة بن حكيم الرملة وعسقلان وذواتها ، وفعل يزيد وشرحبيل نحواً من ذلك واستمد [٣] أهل الجزيرة ، واستشار أهل حمص ، فأرسلوا إليه بأنا قد عاهدناهم فنخاف أن لا ننصر ، وخرج على أبي عبيدة في حلبة الروم ، فاستمد أبو عبيدة خالداً فأمده بمن معه جميعاً لم يخلف أحداً ، فكفر أهل قنسرين [٤] بعده ، وتابعوا هرقل ، وكان أكثر من هنالك تنوخ الحاضرة ، وكان يمسك كل أمير بكورته من القوة ، وهو الجزء من المسلمين .

ودنا هرقل من حمص وعسكر ، وبعث البعوث إلى حمص ، فأجمع المسلمون على الخندقة ، والكتاب إلى عمر رحمه الله ، إلا ما كان من خالد فإن المناجزة كانت رأيه ، فخندقوا على حمص ، وكتبوا إلى عمر ، واستصرخوه ، وجاء الروم

---

(١) جاء في حاشية الاصل : « الظاهر أن هذه الوقعة آخر وقعات الشام ، وإن تقديمها إلى هنا خطأ ، ولعل هذا إنما هرقل المراد في قوله لها : حتى يولد الولد المشؤوم ويا ليته لم يولد ، ما أحلى فعله ، يعني في كثرة جوعه وحصره أهل الإسلام ، وأمر عاقبته ، يعني بسبب أنهم يقتلون لم يفلت منهم أحد ، وكأن هرقل كان يعلم هذا من كتبهم التي لم تبدل ، والله أعلم ، وأن الذي أشار إليه ما في صحيح مسلم من الجيش الذي يأتي في آخر الزمان حتى ينزلوا بالأعماق ، أو بدابق ، ثم تكون عاقبة أمرهم أنهم ينهزمون ، وتفتح القسطنطينية ، فقد روي أن ملك ذلك الجيش من أولاده ، والأعماق ودابق من أراضي حلب ، والله أعلم . يراجع من التذكرة للقرطبي . انظر صحيح مسلم . ط . دار فكر بيروت : ٨ / ١٧٦ . الطبري : ٣ / ٦٠٣ .

(٢) كتب فوقها بالأصل : أي المسلمون من أهل حمص .

(٣) كتب فوقها بالأصل : أي هرقل .

(٤) على مقربة من حلب .

ومن أمدهم حتى نزلوا عليهم فحصروهم ، وبلغت أمداد الجزيرة ثلاثين ألفاً سوى أمداد قنسرين من تنوخ وغـــيرهم ، فبلغوا من المسلمين كل مبلغ ، وجاء الكتاب إلى عمر وهو موجه إلى مكة للحج، فمضى لحجه وكتب إلى سعد : إن أبا عبيدة قد أحيط به ولزم حصنه ، فبث المسلمين بالجزيرة ، واشغلهم بالخيول عن أهل حمص وذمهم، وأمد أبا عبيدة بالقعقاع بن عمرو والبشير فخرج القعقاع ممداً لأبي عبيدة ، وخرجت الخيول نحو الرقة وحران ونصيبين ، فلما وصلوا الجزيرة، وبلغ ذلك القوم ، وهم بحمص ، تقوضوا إلى مدائنهم، وبادروا المسلمين إليها فتحصنوا ، ونزل عليهم المسلمون فيها .

ولما دنا القعقاع من حمص راسلت بنؤ[1] طائفة من تنوخ خالداً ، ودلوه وأخبروه الخبر ، فأرسل إليهم : إني والله لولا أني في سلطان غيري ما باليت أقللتم أم كثرتم ، أو أقمتم أو ذهبتم ، فإن كنتم صادقين فانفشوا[2] كما أنفش أهل الجزيرة ، فساموا سائر تنوخ ذلك فأجابوهم ، وراسلوا خالداً إن ذلك إليك فإن شئت فعلنا وإن شئت ان تخرج علينا فننهـــزم بالروم ، وأوثقوا له فقال : بل أقيموا ، فاذا خرجنا فانهزموا بهم ، فقال المسلمون لأبي عبيدة: قد أنفش أهل الجزيرة ، وقد قدم أهل قنسرين وواعدوا من أنفسهم ، وهم العرب، فاخرج بنا ، وخالد ساكت ، فقال : يا خالد ما لك لا تتكلم ؟ قال : قد عرفت الذي كان من رأيي ، فـــلم تسمع من كلامي ، قال : فتكلم فإني أسمع منك ، وأطيعك ، قال : فاخرج بالمسلمين فإن الله تعالى قد نقص من عدتهم ، وبالعدد يقاتلون ، وإنما نقاتل منذ أسلمنا بالنصر فلا تحفلك كثرتهم .

وعن علقمة بن النضر وغيره قالوا: فجمع أبو عبيدة الناس، فحمد الله وأثنى

---

(١) هكذا ورد رسم هذا الاسم في الاصل ولـــم أجده في مصدر آخر لضبطه والتأكد من صحته .

(٢) أي تفرقوا . النهاية لابن الاثير .

عليه، وقال : أيها الناس إن هذا يوم له ما بعده أما من حيي منكم فإنه يصفو له ملكه وقراره ، وأما من مات منكم فإنها الشهادة ، فأحسنوا بالله الظن ، ولا يكرهن إليكم الموت أمراً افترصه أحدكم دون الشرك ، توبوا إلى الله وتعرضوا للشهادة ، فإني أشهد وليس أوان الكذب - أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة [١] » ، وكأنما كان في الناس عقل تنشطت ، فخرج بهم وخالد على الميمنة وعباس على الميسرة ، وأبو عبيدة في القلب ، وعلى باب المدينة معاذ بن جبل ، فاجتلدوا بها، فإنهم كذلك إذ قدم القعقاع متعجلاً في مائة ، وانهزم أهل قنسرين بالروم فاجتمع القلب والميمنة على قلبهم وقد انكسر احد جناحيه ، وأوعبوا [٢] المدد ، فما افلت منهم مخبر وذهبت الميسرة على وجهها ، وكان آخر من أصيب منهم بمرج الديباج [٣] انتهوا إليه فكسروا سلاحهم ، وألقوا يلامقهم [٤] تخفيفاً فأصيبوا وتُغنموا ولما ظفر المسلمون جمعهم ابو عبيدة ، فخطبهم ، وقال لا تنكلوا ولا تزهدوا في الدرجات فلو علمت أنه يبقى منا احد لم أحدثكم بهذا الحديث [٥] ، وتوافى إليه آخر اهل الكوفة في ثالث من يوم الرقة .

---

(١) رواه كتب الصحاح ، انظره في الجامع الصغير للسيوطي : ٢ / ٦٤٧ (٩٠٣٩) .

(٢) في حاشية الاصل : لعله « أرعب » . وأرعب : استأصل واستقصى . النهاية لابن الاثير .

(٣) واد عجيب المنظر تزه بين الجبال ، بينه وبين المصيصة عشرة أميال . معجم البلدان .

(٤) اليلمق القباء ، فارسي معرب . القاموس .

(٥) في الحاشية : يعني خطبته فيها .

حديث قنسرين

وعن ابي عثمان وجارية قالا : وبعث ابو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قنسرين ، فلما نزل بالحاضر [١] زحف إليهم الروم وعليهم ميناس ، وهو رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل ، فالتقوا بالحاضر فقتل ميناس ومن معه مقتلة لم يقتلوا قبلها ، فأما الروم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد، واما اهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد انهم عرب ، وانهم انما حشروا ، ولم يكن من رأيهم حربه، فقبل منهم وتركهم، ولما بلغ عمر ذلك قال: أمّر خالد نفسه يرحم الله ابا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني ، وقد كان عزله والمثنى مع قيامه، وقال : إني لم أعزلها عن ريبة ولكن الناس عظموهما ، فخشيت أن يوكلوا إليهما ، فلما كان من أمره وأمر قنسرين ما كان رجع عن رأيه ، وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه ، فقال : إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا .

قال: فنظروا في أمرهم وذكروا ما لقي أهل حمص فصالحوه على صلح حمص، فأبى إلا على إخراب المدينة، فأخربها واتطأت حمص وقنسرين ، فعند ذلك خنس هرقل ، وإنما كان سبب خنوسه أن خالداً حين قتل ميناس ومات الروم على دمه ، وعقد لأهل الحاضر ، وترك قنسرين طلع من قبل الكوفة عمر بن مالك من قبل قرقسياء [٢] وعبد الله بن المعتم من قبل الموصل، والوليد بن عقبة من بلاد بني تغلب في تغلب وعرب الجزيرة ، وطووا مدائن الجزيرة عن نحو هرقل،

---

(١) أي حاضر قنسرين ، خارجها ، والقاعدة في بلاد الشام أن الضاحية التي يسكنها ذوو الاصل البدوي كانت تعرف بالحاضر ، وكان لكل مدينة حاضرها ، وما زال حتى الآن شطر حماه المرتبط بالبادية يعرف باسم الحاضر .

(٢) هي البصيرة حالياً في سورية حيث يلتقي الخابور بالفرات .

وأهل الجزيرة في حران والرقـــة ونصيبين وذواتها لم يفرضوا غرضهم حتى يرجعوا إليهم إلا أنهم خلفوا في الجزيرة الوليد لئلا يؤتوا من خلفهم ، فأدرب خالد وعياض مما يلي الشام ، وأدرب عمر وعبد الله مما يلي الجزيرة ، ولم يكونوا أدربوا قبله ، ثم رجعوا فهي أول مدربـــة كانت في الإسلام سنة ست عشرة ، فرجع إلى قنسرين فنزلها ، وأتته امرأته فلما عزله ، قال : ان عمر ولاني الشام حتى إذا صارت رعية وعملاً عزلني .

قال أبو جعفر الطبري : ثم خرج هرقل نحو القسطنطينية فاختلف في حين شخوصه إليها وتركه بلاد الشام ، فقال ابن اسحاق : كان ذلك سنـــة خمس عشرة ، وقال سيف : كان سنة ستة عشرة .

ذكر خبر ارتحال هرقل الى القسطنطينية

ذكر سيف عن أبي الزهراء القشيري عن رجل من بني قشير ، قالوا : لمـــا خرج هرقل من الرها واستتبع أهلها ، قالوا : نحن ها هنا خير منا معك ، وأبوا أن يتبعوه ، وتفرقوا عنه وعن المسلمين ، وكان أول من أنبح كلابهـــا وأنفر دجاجها زياد بن حنظلة ، وكان من الصحابة ، وكان مع عمر بن مالك مساندة ، وكان حليفاً لبني عبد بن قصي ، وقبل ذلك ما قد خرج هرقل (٢) حتى شمشاط فلما نزل القوم الرها أدرب فنفذ نحو قسطنطينية ، ولحقه رجل من الروم كان أسيراً في أيدي المسلمين ، فأفلت ، فقال له : أخـبرني عن هؤلاء القوم ، فقال : أحدثك كأنك تنظر إليهم ، فرسان بالنهار ورهبان بالليل ما يأكلون في ذمتهم

---

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٦٠١ - ٦٠٢ .

(٢) في الحاشية : لعله « إلى » واسم شمشاط الآن شوشط في جنوبي تركيا في مقابلة الجزيرة.

إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه ، فقال: لئن كنت صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين .

وعن عبادة وخالد أن هرقل كان كلما حج بيت المقدس ، فخلف سورية ، وظعن في أرض الروم التفت، فقال : عليك السلام يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطره ، وهو عائد ، فلما توجه المسلمون نحو حمص عبر الماء ، فنزل الرها ، فلم يزل بها حتى طلع أهل الكوفة ، وفتحت قنسرين وقتل ميناس فخنس عند ذلك إلى شمشاط حتى إذا فصل منها نحو الروم علا على شرف ، فالتفت ونظر نحو سورية ، وقال : عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم ، وياليته لا يولد ما أحلى فعله وأمر عاقبته على الروم !

وعن أبي الزهراء وعمرو بن ميمون ، قالا : لما فصل هرقل من شمشاط داخلاً الروم التفت إلى سورية ، فقال : قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر ، فأما اليوم فعليك السلام ياسورية تسليم المفارق ولا يعود إليك رومي أبداً ، إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم ، وليته لم يولد ، ومضى حتى نزل قسطنطينية [1] .

وفي كتاب فتوح الشام[2] عن عبد الله بن قرط أن أهل قيسارية وأهل إيلياء بعد فحل تواطؤوا وتآمروا أن يبعثوا وفداً منهم بعد فحل إلى هرقل بأنطاكية فيخبروه بتمسكهم بأمرهم وإقامتهم على طاعتهم وخلافهم العرب ويسألونه المدد والنصر ، فلما جاءه هؤلاء رأى أن يبعث الجنود ، ثم يقيم هو ، وأرسل إلى أهل رومية ، وأهل قسطنطينية ، وإلى أرمينية ، ومن كان من جنوده على

---

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٦٠٢ - ٦٠٣ .

(٢) في حاشية الاصل : أسباب وقعة اليرموك .

دينه من أهل الجزيرة ، فأقبلوا إليه ، وبعث إلى عماله أن يحشروا إليه كل من أدرك الحلم من أهل مملكته فما فوق ذلك إلا الشيخ الفاني ، فجاءه منهم ما لا تحمله الأرض ، وجاءه جرجير صاحب أرمينية في ثلاثين ألفاً ، وأتاه أهل الجزيرة ونزع إليه أهل دينه ومن كان في طاعته ، فدعا باهان ، وكان من عظمائهم وأشرافهم فعقد له على مائة ألف ، ودعا ابن قناطر فعقد له على مائة ألف ، فيهم جرجير ومن معه من أهل أرمينية ، ودعا الدرنجار فعقد له على مائة ألف ، ثم أعطى الأمراء مائة ألف مائة ألف ، وأعطى باهان مائتي ألف ، وقال لهم : إذا اجتمعتم فأميركم باهان ، وقال : يامعشر الروم إن العرب قد ظهروا على سورية ، ثم لم يرضوا بها حتى تعاطوا أقصى بلادكم ، وهم لا يرضون بالبلاد والمدائن والبر والشعير والذهب والفضة حتى يسبوا الأمهات والبنات والأخوات والأزواج ، ويتخذوا الأحرار وأبناء الملوك عبيداً فامنعوا حرمتكم وسلطانكم ودار ملككم ، ثم وجههم إلينا فقدمت عيوننا قبلهم فخبرونا بقلة ملكهم وبمسيرهم وجموعهم ، ومن أجلب معهم من غيرهم ممن كان على دينهم وفي طاعتهم ، فلما جاء أبا عبيدة عددهم وكثرتهم رأى أن لا يكتم ذلك المسلمين وأن يستشيرهم فيهم ، فينظر إلى ما يؤول إليه رأي جماعتهم ، فدعا رؤوس المسلمين وذوي الهيئة منهم فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أما بعد : فإن الله تعالى قد أبلاكم بلاء حسناً وصدقكم الوعد ، وأعزكم بالنصر ، وأراكم في كل موطن ما تسرون به ، وقد سار إليكم عدوكم من المشركين بعدد جم نفر إليكم فجاؤوكم براً وبحراً حتى خرجوا إلى صاحبهم بأنطاكية ، ثم قد وجه إليكم ثلاثة عساكر كل عسكر فيها ما لا يحصى ما فيه من البشر وقد أحببت أن لا أغركم من أنفسكم ، ولا أطوي عنكم خبر عدوكم ، ثم أريكم برأيي وتروني برأيكم ، فقال له يزيد بن أبي سفيان : نعم ما رأيت ، وأرى أن تعسكر على باب حمص بجماعة المسلمين وتدخل النساء والأبناء داخل المدينة ثم

تجعل المدينة في ظهورنا، ثم تبعث الى خـــالد بن الوليد فيقدم عليك من دمشق وإلى عمرو بن العاصي فيقدم عليك من الأردن وجانب فلسطين .

فقال شرحبيل بن حسنة : ان هذا المقام لا بد فيه من النصيحة ولا أرى أن ندخل ذراري المسلمين مع أهل حمص ، وهم على دين عدونا هذا الذي أقبل إلينا فلا نأمن أن لو قد وقع بيننا وبينهم من الحرب ما نتشاغل به ساعة من النهار أن ينقضوا عهدنا، ويثبوا على ذرارينا ، فيتقدموا بهم إلى عدونا ، فقال أبو عبيدة: إن الله قد أذلهم وسلطانكم أحب إليهم من سلطان عدوكم ، فأمـا اذ خوفتنا ما خوفت فإني أخرج أهل المدينة وأنزلها عيالنا وأدخلها رجـالاً من المسلمين يقومون على سورها وأبوابها ، ونقيم نحن بمكاننا هذا حتى يقدم علينا اخواننا فقال شرحبيل: انه ليس لك ولا لنا معك ذلك ، قال: فماذا ترون؟ قالوا: نقيم وتكتب الى امير المؤمنين فتعلمه نفير الروم ، وتبعث الى من بالشام من اخوانك فيقدمون عليك ، فقال ابو عبيدة : ان الأمر اعظم مما تحسبون .

فقام اليه ميسرة بن مسروق فقال : أصلحك الله انا لسنا بأصحـاب القلاع ولا الحصون ولا المدائن انما نحن اصحاب البر والبلد القفر ، فأخرجنا من بـــلاد الروم الى بلادنا او الى بلاد من بلادهم ان كانوا قد جاشوا علينا بما ذكرت ، ثم اضمم إليك قواصيك ثم ابعث الى امير المؤمنين فليمددك ، فقـــال كل من حضر ذلك المجلس : الرأي ما رأى ميسرة فقال ابو عبيدة فتهيأوا وتيسروا حتى ارى من رأي .

ثم بعث إلى حبيب بن مسلمة ، فقال : ما كنت جبيت من حمص فاحتفظ به حتى آمرك بأمري ، ولا تجب أحداً ممن بقي ، فلما أراد أبـو عبيدة أن يشخص دعا حبيباً فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد مـا كنا أخذناه منهم ، وقل لهم نحن على ما كان بيننا وبينكم من الصلح لا نرجـع عنه إلا أن يرجعوا ، وإنما رددنا إليكم أموالكم كراهيـة أن نأخذها ولا

نمنعكم ولا كنا نتنحى إلى بعض الأرض، ونبعث إلى إخواننا فيقدمون علينا، ثم نقاتل عدونا ، فإذا اظهرنا عليهم قمنا لكم بعهدكم ، ثم أمر الناس بالرحيل إلى دمشق ، ورد حبيب بن مسلمة إلى أهل البلد الذي أخذ منهم ، فقالوا : ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ، والله لو كانوا ما ردوا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا .

وعن سفيان بن عوف بن مقبل ، قال : بعثني أبو عبيدة ليلة غدا من حمص إلى دمشق ، فقال ائت عمر فأبلغه عني السلام ، وأخبره بما قد رأيت وعاينت، وبما جاءتنا به العيون ، وبما استنفر من كثرة العدو ، وبالذي رأى المسلمون من التنحي عنهم ، وكتب إليه معه :

أما بعد : فإن عيوني قدمت علي من أرض قنسرين ومن القرية التي فيها ملك الروم ، فحدثوني بأن الروم قد توجهت إلينا ، وجمعت لنا جمعاً لم تجمع قط لأمة كانت قبلنا ، وقد دعوت المسلمين فأخبرتهم الخبر واستشرتهم في ذلك فرأوا أن أتنحى عنهم حتى يأتينا رأيك فيهم، وقد بعثت إليك رجلاً عنده علم ما قبلنا فاسأله ، عما بدا لك ، فإنه بذلك عليم ، وفي الأمانة أمين ، ونستعين العزيز الرحيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والسلام عليك .

فلما أتيته فسلمت عليه، قال : أخبرني عن الناس فأخبرته بصلاحهم وبدفع الله عنهم ، قال : فأخذ الكتاب فقرأه ، فقال : ويحك ما فعل المسلمون ؟ فقلت : أصلحك الله خرجت من عندهم ليلاً من حمص ، وتركتهم وهم يقولون نصلي الغداة ، ثم نرحل إلى دمشق ، وقد أجمع رأيهم على ذلك ، قال : فكأنه كرهه ورأيت ذلك في وجهه ، فقال : لله أبوك وما رجوعهم عن عدوهم وقد أظفرهم الله بهم في غير موطن، وما تركهم أرضاً قد حووها وفتحها الله عليهم، وصارت في أيديهم ، إني لأخاف أن يكونوا قد اساؤوا الرأي وجاؤوا بالعجز وضروا عليهم عدوهم ؟ قال : فقلت اصلحك الله إن الشاهد يرى ما لا يرى

الغائب إن صاحب الروم قد جمع لنا جموعاً لم يجمعها هو ولا أحد كان قبله لأحد كان قبلنا ، فلقد جاء بعض عيوننا فحدثنا أن عسكراً واحداً من عساكرهم أمر بالعسكرة في أصل جبل فهبطوا من الثنية نصف النهار إلى عسكرهم فما تكاملوا فيه حتى أمسوا ثم ما تكاملوا فيه حتى ذهب نصف الليل ، فهذا عسكر واحد من عساكرهم ، فما ظنك بما بقي ؟ قال : فقال لولا أني ربما كرهت الشيء من أمرهم يصنعونه فأرى الله تعالى يخير لهم في عواقبه لكان هذا رأياً أنا له كاره ، أخبرني أأجمع رأي جميعهم على التحول ؟ قلت : نعم ، قال : فأرجو إن شاء الله أن لا يجتمع رأيهم إلا على ما هو خير لهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين اشدد أعضاد المسلمين بمدد قبل الوقعة ، فإن هذه الوقعة هي الفيصل بيننا وبينهم ، فقال : أبشر بما يسرك ويسر المسلمين ، احمل كتابي هذا إلى أبي عبيدة وإلى المسلمين ، واعلمهم أن سعيد بن عامر بن حذيم قادم عليهم بالمدد ، وكتب .

أما بعد : فقد بلغني توجهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق وتركك بلاداً فتحها الله عليكم ، ليس فيها منكم غريب ، وخلفتموها لعدوكم وخرجتم منها طائعين ، فكرهت هذا من رأيكم وفعلكم ، وإني سألت رسولكم أرأي من جميعكم كان ذلك ؟ فزعم أن ذلك كان رأياً من أماثلكم وأولي النهى منكم ، فعلمت أن الله لم يكن يجمع رأيكم إلا على توفيق وصواب ورشد في العاجلة والعاقبة فهون ذلك علي ما كان قد دخلني من الكراهية قبل ذلك لتحولكم ، وقد سألني رسولكم المدد وأنا ممدكم لن يقرأ عليكم كتابي حتى يشخص إليك المدد من قبلي إن شاء الله ، واعلم أنه ليس بالجمع الكثير تهزم الجموع وينزل الله النصر ، وربما خذل الله الجموع الكثيرة ففضت وفلت ولم تغن عنهم فئتهم شيئاً ، وربما نصر الله العصابة القليل عددها ، الكثير عددها ، أنزل الله عليكم نصره وبعدو المسلمين بأسه ورجزه والسلام ، فجاء سفيان بالكتاب إلى أبي عبيدة . فقرأه على الناس وسروا به .

وعن عبد الله بن قرط قال : لما صلينا الغداة بحمص ، خرجنا مع أبي عبيدة نسير حتى قدمنا دمشق وبها خالد بن الوليد ، وتركنا أرض حمص ليس فيهـــا منا ديار ، بعد ما كنا قد افتتحناها وآمنا أهلها ، وكتبنا لهم الكتب فلما قدمنا دمشق ولقينا خالد بن الوليد وضممنا عسكرهم وعسكرنا مكانا واحداً ، وخلا أبو عبيدة بخالد فأخبره الخبر ونبأه بمشورة الناس عليه بالرحـــلة ، وبمقالة العبسي ، قال له : أما إنه ما الرأي إلا الإقامة بمكاننا هذا حتى نناجزهم ، فأما إذا أجمع رأيكم على أمر واحد فإني أرجو أن لا يجمع الله رأيكم إلا على مـا هو خير لكم ، فأقام بدمشق يومين ، وأمر سويد بن كلثوم العبسي أن يرد على أهل دمشق الذين كانوا آمنوا وصولحوا ما كان أخذ منهم ، وقال لهم المسلمون : نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم ، ثم إن أبا عبيدة قال لأصحـابه : ماذا ترون ؟ فقال له يزيد بن أبي سفيان : أرى أن تخرج حتى تنزل الجابيـــة ، ثم تبعث إلى عمرو بن العاصي فيقدم عليك بمن معه من جنده ثم نقيم للقوم حتى يقدموا علينا فنقاتلهم ونستعين بالله عليهم ، فقال شرحبيل : أرى إذ خلينـــا لهم ما خلينا من أرضهم ، أن ندعها كلها وننزل التخوم بين أرضنا وأرضهم فندنوا من خليفتنا ومددنا ، فإذا أتانا من المدد ما نرجو أن نكون به لهـــم مقرنين (١) قاتلناهم إن أتونا ، وإلا اقدمنا عليهم إن أقاموا ، فقال رجـــال من المسلمين : هذا رأي أصلحك الله حسن فاقبله واعمل به ، فقال معاذ : هـــل يريد بهؤلاء القوم عدوهم أمراً أضر بهم مما يريدون بأنفسهم ، تخلون لهم عن أرض فتحها الله عليكم ، وقتل بها صناديدهم ، وأهلك فيها جنودهم ، فإذا خرج المسلمون منها وتركوها لهم فكانوا على مثل حالهم الأول ، فما أشد على المسلمين دخـولها بعد الخروج منها ، وهل يصلح لكم أن تدعوها وتدعوا البلقـــاء والأردن ، وقد أخذتم خراجهم لتدفعوا عنهم ، أما والله لئن أردتم دخولها بعد الخروج منهـا

(١) في حاشية الاصل : أي مطيقين قرنين .

لتكابدن مشقة من ذلك ، فقال أبو عبيدة : صدقت لا ينبغي لنا ترك قوم قد جئناهم وعقدنا لهم حتى نعذر إلى الله في الدفع عنهم إن شئتم نزلنا الجابية ، وبعثنا إلى عمرو فيقدم علينا ، ثم نقيم للقوم حتى نلقاهم بها ، فإنهم لكذلك يجيلون الرأي إذ قدم على أبي عبيدة عبد الله بن عمرو بن العاصي بكتاب من أبيه .

أما بعد : فإن أهل إيلياء وكثيراً ممن صالحناهم من أهل الأردن قد نقضوا العهد فيما بيننا وبينهم ، وذكروا أن الروم قد أقبلت من الشام بقضها وقضيضها ، وإنكم قد خليتم لهم عن الأرض وأقبلتم منصرفين فقد جرأهم ذلك على من قبلي من المسلمين ، وقد سروا به وتراسلوا وجمعوا وأجمعوا على المسير إلي ، فاكتب إلي فإن كنت تريد القدوم علي أقمت لك حتى تقدم ، وإن كنت تريد أن تنزل منزلاً من الشام أو من غيرها وأن أقدم عليك فأعلمني برأيك اوافك فيه ، فأنا صائر إليك أينما كنت ، وإلا فابعث الي مدداً اقوى به على عدوي ، وعلى ضبط ما قبلي ، فإنهم قد أرجفوا بنا ، واغتمزوا فينا ، واستعدوا لنا ولو يجدون فينا ضعفاً او يرون فينا فرصة ما ناظرونا ، والسلام عليك .

فكتب إليه أبو عبيدة ، أما بعد : فقد قدم علي عبد الله بن عمرو بكتابك تذكر فيه إرجاف المرجفين واستعدادهم لك وجرأتهم عليك للذي بلغهم من انصرافنا عن الروم وما خلفنا لهم من الأرض ، وإن ذلك والحمد لله لم يكن من المسلمين عن ضعف من بصائرهم ، ولا وهن ، ولكنه كان رأياً من جماعتهم كادوا به عدوهم من المشركين ليخرجوا لهم من مدائنهم وحصونهم وقلاعهم ، وليجتمع بعض المسلمين إلى بعض وينتظروا قدوم مددهم ، ثم يناهضوهم إن شاء الله فعند ذلك فارتقب نصر الله اولياءه ، وانجاز موعوده وإعزاز دينه واذلاله المشركين حتى لا يمنع أحد أمته ولا حليلته ولا نفسه ، وحتى يتوقلوا (١)

---

(١) أي يصعدوا — القاموس .

في شعف الجبال ، ويعجزوا عن منع الحصون ، ويجنحوا للسلم، ويلتمسوا الصلح ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾[1] ، أعلم من قبلك أني قادم عليكم بجماعة المسلمين إن شاء الله ، فأحسنوا بالله ظناً لا يجدن عدوكم فيكم ضعفاً ولا يؤنسوا منكم رعباً فيطمعوا فيكم ويجترئوا عليكم أعزنا الله وإياكم بنصره ، وعمنا بعافيته وعفوه ، والسلام عليك .

ثم قال لعبد الله : أخبر أباك أني في اثرك ، وأعلم ذلك المسلمين ، وكن يا عبد الله ممن يشد الله به ظهور المسلمين ، ويحسن ظنهم ، ويستأنس به ، فإن للصحابة فضلاً لصحبتهم ولا تتكل على أبيك ، كن أنت في جانب تحرض المسلمين وتمنيهم النصر،وتأمرهم بالصبر ، ويكون أبوك يفعل ذلك في جانب، قال: ليبلغنك عني إن شاء الله ما تسر به ؛ ثم خرج حتى قدم على أبيه بكتاب أبي عبيدة فقرأه على الناس ، ثم قال : أما بعد فبرئت ذمة الله من رجل من أهل عهدنا من أهل الأردن ثقف[2] رجلاً من أهل إيلياء فلم يأتنا به ، ألا ولا يبيتن رجل من أهل عهدنا إلا تهيأ واستعد ليسير معي إلى أهل إيلياء ، فإني أريد السير اليهم والنزول بساحتهم ، ثم لا أزايلهم حتى يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، أو أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم .

ثم نادى في المسلمين أن ارتحلوا إلى أهل ايلياء فسار نحواً من ميلين ، ثم نزل وقال لأهل الأردن : أخرجوا إلينا السوق ونادى مناديه ألا برئت الذمة من رجل من أهل الصلح لم يخرج بسلاحه ، ثم يحضر معنا معسكرنا ، وينتظر ما نأمره به من أمرنا ، فاجتمع أهل الصلح عليهم ، وخرجوا بعدتهم ، وقدم ابنه فأنزله معهم في خمسمائة من المسلمين ، وإنما أراد بذلك أن يشغل أهل الأردن عن الإرجاف ، وأن يبلغ أهل ايلياء أنه يريد المسير إليهم والنزول بهم،فيرعب

---

(١) سورة الاحزاب ـ الآية : ٦٢ .

(٢) أي علم بخبر ـ القاموس .

قلوبهم ويشغلهم في أنفسهم وحصونهم من الغارة عليهم ، أو أن يتعاطوا شيئاً مما في أيديهم ، فخرجت التجار من الأردن ومن كان فيها من أهل ايلياء عند حميم أو ذي قرابة ، فلحقوا بإيلياء فقالوا لهم: هذا عمرو، وقد ازدلف إليكم بالناس ، فاجتمعوا من كل مكان وتراسلوا ، وأخذوا لا يجيئهم أحد من قبل الأردن إلا أخبرهم بمعسكره ومسيره ، فأيقنوا أنه يريدهم ، فكانوا من ذلك في هول شديد .

وعن عمرو بن شعيب قال : ردفهم كتاب من عمرو إليهم فيما كان من قولهم :

من عمرو بن العاصي إلى بطارقة أهل إيلياء سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله الذي لا إله إلا هو وبنبوة محمد ﷺ أما بعد :

فإنا نثني على الله تبارك وتعالى خيراً ونحمده كما رحمنا بنبيه ﷺ، وشرفنا برسالته ، وأكرمنا بدينه وأعزنا بطاعته ، وأكرمنا بتوحيده وإخلاص اسمه ، فلسنا بحمده نجعل له نداً ، ولا نتخذ من دونه إلهاً ﴿لقد قلنا إذا شططا﴾[1] سبحانه ، والحمد لله الذي جعلكم شيعاً ، وجعلكم في دينكم أحزاباً ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [2] فمنكم من يزعم أن لله ولداً ، ومنكم من يزعم أن الله ثاني اثنين ، ومنكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة ، فبعداً لمن أشرك بالله وسحقاً ، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، والحمد لله الذي قتل بطارقتكم ، وسلب عزكم وطرد ملوككم وأورثنا أرضكم ودياركم وأموالكم ،ذلك بكفركم بالله وشرككم به وتركم ما دعيتم إليه بالإيمان به وبرسوله ، وأعقبكم لباس الجوع والخوف ونقصاً في الأموال والأنفس وما الله بظلام للعبيد،فإذا بلغكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا ، وإلا فأقبلوا إلي أكتب لكم أماناً ، وأعقد لكم عقداً وإلا فوالله لأرمينكم

(١) سورة الكهف ـ الآية : ١٤ .

(٢) سورة الروم ـ الآية : ٣٢ .

بالخيل بعد الخيل ، وبالرجال بعد الرجال ، ثم لا نقلع عنكم حتى نقتل المقاتلة ونسبي الذرية وحتى تكونوا كأمة كانت ثم أصبحت لم تكن .

ثم أرسل بالكتاب إليهم مع فيج نصراني على دينهم ، وقال له عجل علي فإني انتظرك ، فلما قدم عليهم ، قالوا له : ويحك ما وراءك ؟ قال: لا أدري إلا أن هذا الرجل قد بعثني اليكم بهذا الكتاب ، وقد وجه عسكره نحوكم ، وقال لي : إنما يمنعني من المسير اليهم انتظار قدومك علي ، فقالوا : انتظرنا ساعة من النهار ، فإنا ننتظر عيناً لنا يقدم من قبل أمير العرب الذي بدمشق ، ومن قبل جند الملك الذي أقبل الينا ، فننظر ما يأتينا به ، فان ظننا أن لنا بالعرب قوة لم نصالحهم ، وان ظننا أن لا نقوى عليهم صنعنا ما صنع أهل الأردن وغيرهم ، فما نحن الا كغيرنا من أهل الشام ، فأقام لهم الفيج حتى أمسى .

ثم ان رسول أهل ايلياء الذي بعثوه عيناً لهم أتاهم ، فخبرهم أن باهان قد أقبل من عند ملك الروم في ثلاثة عساكر ، في كل عسكر منها أكثر من مائة ألف مقاتل، وأن العرب لما بلغهم ما سار اليهم من تلك الجموع علموا أنه لا قبل لهم بما جاءهم فانصرفوا راجعين ، وقد كان أوائل العرب دخلوا أرض قنسرين فأخرجوهم منها ، ثم أتوا أرض دمشق فأخرجوهم منها ، ثم أقبلت العرب الآن نحو الأردن ، نحو صاحبهم هذا الذي به ، والروم في آثارهم يسوقونهم فتباشروا بذلك وسروا به ، ودعوا العلج الذي بعث عمرو بن العاص ، وقالوا: اذهب بكتابنا هذا الى صاحبك فكتبوا :

أما بعد فانك كتبت الينا تزكي نفسك وتعيبنا وقول الباطل لا ينفع قائله نفسه ، ولا يضر فيه عدوه ، وقد فهمنا ما دعوتنا اليه ، هؤلاء ملوكنا وأهل ديننا قد جاؤوكم ؛ فان أظهرهم الله عليكم فذلك بلاء الله عندنا في القديم ، وان ابتلانا بظهوركم فلعمري لنقرن لكم بالصغار ، وما نحن الا كمن ظهرتم عليه من اخواننا ، ثم دان لكم فأعطاكم ما سألتم .

فقدم الرسول بالكتاب الى عمرو ، فقال له عمرو : ما حبسك ؟ فأخبره الخبر وانما أراد عمرو بهذا الكتاب الذي كتبه اليهم ، وبالجموع التي جمع لهم ردهم عن الجمع والغازة عليهم للذي علم من نفير الروم الى المسلمين ، فلم يكن الا يومه ذلك حتى قدم خالد بن الوليد في مقدمة أبي عبيدة ، وكان أبو عبيدة قد خرج من أرض دمشق بالمسلمين الى بلاد الأردن ، وأمر عبد الرحمن بن حنبل فنادى في الناس : أن سيروا الى بلاد الأردن ، وأمر خالد بن الوليد فتقدم في مقدمته فجاء حتى نزل اليرموك ، وأقبل عمرو حتى نزل معه .

وعن أبي معشر أن الروم حين جاشت على المسلمين ، ودنوا منهم ، دعا أبو عبيدة رؤوس المسلمين فاستشارهم ، فقال له يزيد بن أبي سفيان: أرى أن تعتزل بالمسلمين فتنزلهم إيلة ، فتقيم بها ، وتبعث الى أمير المؤمنين فتعلمه بالعدد الذي جاءنا من عدونا ، وننتظر قدوم المدد علينا ، فقال عمرو بن العاصي : ما إيلة عندي إلا كقرية من قرى الشام ، ولكن نرى أن نسير حتى ننزل قَرْدَى (١) فنكون في أرضنا قريباً من مددنا فاذا جاءنا المدد نهضنا الى القوم ، قال : وخالد ابن الوليد ساكت ، وكانت إذا كانت نائبة أو شدة فإليه وإلى رأيه يفزعون ، اذ كان لا يهوله من أمر الروم شيء ، فقال له أبو عبيدة : ماذا ترى ؟ فقال : إن كنا إنما نقاتل بالكثرة والقوة فهم أكثر منا وأقوى ، وان كنا انما نقاتلهم بالله ولله ، فما أرى أن جماعتهم تغني عنهم شيئاً ، ثم غضب فقال لأبي عبيدة : أتطيعني فيما آمرك به ؟ قال : نعم ، قال : فولني ما وراء بابك ، وخلني والقوم ، فوالله اني لأرجو أن ينصرني الله عليهم .

قال : قد فعلت فولاه ذلك فكان خالد من أعظم الناس بلاء وأحسنه غناء ، وأعظمه بركة ، وأيمنه نقيبة ، وكانوا أهون عليه من الكلاب .

---

(١) ذكرها ياقوت دون أن يحدد مكانها من دمشق ، ونقل كرد علي في غوطة دمشق : ١٧٦ عن لسترانج أنها من الغوطة ، وأستبعد هذا وأرجح أنها من قرى حوران : وجاء الاسم في الازدي : ١٧٠ « قرحا » .

وقعة اليرموك

فيما حكاه عن شيوخهم أصحاب كتب فتوح الشام عن يونس بن حلبس، قال: كان أبو عبيدة بدمشق بعد فتحها، وبعد وقعة فحل وفتحها وفتح حمص، فكتب اليه عمرو وهو بالأردن ومعه جنده :

ان الروم الذين بفلسطين والأردن قد أجمعوا المسير إليّ .

فأمر أبو عبيدة خالد بن الوليد أن يسير بالمقدمة نحو عمرو ، ثم اتبعه أبو عبيدة حتى أتى اليرموك ، فنزل به ، وأقبل عمرو حتى نزل معهم ، وكان أبو عبيدة قد أمر عبد الرحمن بن حنبل فنادى في الناس بالمسير إلى الأردن ، فلما اجتمع جمع المسلمين باليرموك واستشار أبو عبيدة أهل الرأي من المسلمين : أين ترون أن نعسكر حتى يقدم مددنا؟ فقال يزيد بن أبي سفيان : أرى أن نسير بمن معنا حتى ننزل إيلة فنقيم بها حتى يقدم عليك المدد ، فقال عمرو : ما إيلة إلا كبعض الشام ولكن سر بنا حتى ننزل الحجر [1] فننتظر المدد ، فقال قيس المرادي : لا ردنا الله أبداً إن خرجنا لهم من الشام أكثر مما خرجنا لهم عنه ، أتدعون هذه العيون المتفجرة والأنهار المطردة ، والزروع والجفان والأعناب والخير [2] والذهب والفضة والقباب ، وترجعون إلى أكل الضباب ولبس العباء، وأنتم تعلمون أن من قتل منكم صار إلى الجنة يصيبون فيها نعيماً لا شاكله النعيم ، ولا صحب الله من سار منا إلى الحجر تخرجون منها ، ثم تعودون إليها، هذا رأي مضلل ، فقال خالد بن الوليد : رأيي كذلك يا قيس .

---

(١) الحجر : اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام . معجم البلدان .

(٢) ما واراك من شجر وغيره . القاموس .

وقال خالد : إن كنا إنما نقاتلهم بالكثرة فهم أكثر منا وما لنا بهم طاقة ، وإن كنا إنما نقاتلهم بالله فإن الله أقوى منهم ، فقال أبو عبيدة: لن أبرح الأرض حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين ، وقال قيس لأبي عبيـــدة : أصلحك الله لا تبرح مكانك ، وتوكل على الله ، وقاتل عدوك فوالله إني لأرجـو أن ينصرك الله ، وإني خائف إن خرجنا أن لا نرجع إليها أبداً ، علام ندع لهم البلاد وقد قاتلناهم عليها حتى نفيناهم عنها ، وقتلنا بطارقتهم وفرسانهم فيها يوم أجنادين، ويوم فحل ! فقال أبو عبيدة : لست ببارح وقـــد وليت خالد بن الوليد الأمر وأنا معكم .

وعن مالك بن قسامة بن زهير عن رجل من الروم كان يدعى جرجه، وكان قد أسلم فحسن إسلامه ، قال : كنت في ذلك الجيش الذي بعثه قيصر مـــن أنطاكية مع باهان ، فأقبلنا ونحن لا نحصى عدداً، ولا نرى أن أحداً غالب لنا، فأخرجنا أوائل العرب من قنسرين ، ثم أقبلنا في آثارهم حتى أخرجناهم مـــن حمص ، ثم أقبلنا في آثارهم فخرجوا لنا عن دمشق ، قال : ولحق بنا كل من كان على ديننا ورأينا من النصارى ، حتى إن كان الراهب لينزل عن صومعته قد كان فيها حيناً من الدهر ، فيتركها ثم يجيء فيقاتل معنا غضباً لديننا ، ومحاماة عليه. قال : وكان من كان من العرب بالشام ممن كان على طاعة قيصر ثلاثة أصناف : فأما صنف فكانوا على دين العرب فكانوا معهم ، وأما صنف فكانوا نصارى ، وكانت لهم في النصرانية نية ، فكانوا معنا وأما الصنف الآخر فكانوا نصارى ليس لهم في النصرانية تلك النية ، فقالوا : نكره أن نقاتل أهل ديننا ونكره ان ننصر العجم على قومنا ، فأقبلت الروم تتبـع اهل الإسلام ، وقد كانوا لهـم هائبين، منهم مرعوبين ، ولكنهم لما رأوهم قد خلوا لهم البلاد ، وتركوا لهـــم ما كانوا افتتحوا ، جرأهم ذلك عليهم مع عددهم الذي لم يجتمعوا مثله قط .

وعن عبد الله بن قرط قال : لمـا اقبلت الروم من عند ملكهم يوم اليرموك

جاؤوا في عدد لم ينفروا في مثله قط ، فأخذوا لا يمرون بأرض قد كنا افتتحناها فأجليناهم عنها إلا وقعوا بهم ولاموهم وعذبوهم وشتموهم ، وخوفوهم ، فيقولون لهم : انتم ألوم منا ، انتم وهنتم فأسلمتمونا ، وخذلتمونا ، ولم يكن لنا بهم قوة ولا طاقة ، فكانوا يعرفون صدقهم ، فيكفون عنهم ، وأقبلوا يتبعون آثار المسلمين حتى نزلوا بمكان من اليرموك يدعى دير الجبل [١] مما يلي المسلمين، والمسلمون قد جعلوا نساءهم وأولادهم على جبل خلف ظهورهم، فمر قيس بن هبيرة بنسوة من نساء المسلمين مجتمعات، فلما رأينه تقدمت أميمة بنت ابي بشر بن زيد بن الأطول الأزدية إليه ، وكانت تحت عبد الله بن قرط الثالي وكان باد قيس يشبه باد عبد الله بن قرط وفرسه يشبه فرسه فظنت انه زوجها، فقالت : اسمع ، بنفسي انت فظن قيس انها شبهته بزوجها ، فقال : أظنك شبهتني بزوجك ، فقالت : واسوأتاه ، ثم انصرفت ، وأقبل قيس على النساء فقال لهن : قبح الله امرأة منكن تضطجع لزوجها، وهذا عدوه قد حل بساحته يقاتله عنها ، إذا أراد ذلك منها فلتمتنع عليه ، ولتحث في وجهه التراب ، ثم لتقل له : قاتل عني فإني لست لك بامرأة حتى تمنعني فلعمري ما يقرب النساء على هذه الحال إلا أهل الفسولة [٢] والنذالة ، ثم مضى ، فقالت المرأة: واسوأتاه منه لقد ظن اني ظننت انه زوجي ، فقمت إليه أتعرض له انما ظننت انه ابن قرط ، ولم يكن تعشى البارحة الا عشاء خفيفاً آثر بعشائه رجلين من اخوانه تعشيا عنده ، فكنت قد هيأت له غداءه فأردت ان ينزل فيتغدى.

وعن عبد الله بن قرط قال : لما نزل الروم منزلهم الذي نزلوا به دسسنا لهم

---

(١) كذا في الاصل وهو في معجم البلدان « دير الحل» ، ووافق ما جاء بالاصل ما ورد في الازدي : ١٧٣ . فهو المصدر هنا .

(٢) في حاشية الاصل : الباد باطن الفخذ .

(٣) في حاشية الاصل : الفسل : الرذل الذي لا مروءة له .

رجالا من اهل البلد كانوا نصارى قد اسلموا ، فأمرناهم ان يدخلوا عسكرهم فيكتموا ايمانهم ، ويأتوا بأخبارهم ، فكانوا يفعلون ذلك ، قال : فلبثوا اياماً مقابلينا ثلاثاً أو أربعاً لا يسألوننا عن شيء ولا نسألهم عن شيء ، ولا يعرضون لنا ولا نعرض لهم ، فبينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتاً وجلبة وأصواتاً رفيعة ، فظننا ان القوم يريدون النهوض الينا فتهيأنا وتيسرنا .

ثم إنا دسسنا عيوننا ليأتونا بالخبر ، فما لبثنا إلا قليلاً حتى رجعوا يخبروننا أن بريداً جاءهم من قبل ملك الروم ، فبشرهم بمال يقسم بينهم ، وبمدد يأتيهم ، ففرحوا بذلك ، ورفعوا له أصواتهم ، فقام فيهم ملكهم فاجتمعوا اليه فقال : إن الله لم يزل لدينكم هـذا ناصراً ومعزاً ومظهراً ، وإنه قد جاءكم قوم يريدون أن يفسدوا عليكم دينكم ، ويغلبوكم عن دنياكم وأنتم عدد لا يحصى ووالله إن في هذا الوادي منكم لنحو من أربعمائة ألف مقاتل سوى أتباعكم وأعوانكم ومن اجتمع اليكم من سكان بـلادكم ، وممن هو معكم على دينكم ، فلا يهولنكم أمر هؤلاء القوم ، فإن عددهم قليل ، وهم أهل الشقاء والبؤس وجلهم حاسر جائع ، وأنتم الملوك ، وأهل الحصون والقلاع ، والقـوة والعدة ، فلا تبرحوا العرصة حتى تهلكوهم ، أو تهلكوا ، فقام إليـه بطارقتهم فقالوا له : مرنا بأمرك ، ثم انظر ما نصنع ، قال : فتيسروا حتى تؤمروا .

وعن رجل من تنوخ ، قال : كان مع باهان رجل يقال له أبو بشير ، قال : كنت نصرانياً فنصرت النصارى على العرب ، فأقبلت مع الروم فإذا من نمر به من أهل البلد أحسن شيء ثناء على العرب في سيرتهم ، وأقبلت الروم يفسدون في الأرض ويسيئون السيرة ويعصون الأمراء ، حتى ضج منهم الناس وشكاهم أهل القرى ، فلا تزال جماعة قد جاءت معها جارية قد افتضت ، وجماعـة يشكون أن أغنامهم ذبحت وأخرى تشكو أن قـد حربت وسلبت ، فلما أتي باهان بذلك قام فيهم ، فقال : يا معشر أهل هذا الدين إن حجة الله عليكم

نستقيم نحن وهؤلاء . وكيف صبرنا معهم ، واعلموا معشـــر الروم والله إني لا أخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه ، وإني لأعلم أنكم سترجعون غـداً إلى رأيي وقولي ، وتتمنون أن لو كنتم أطعتموني ، وذلك أني قد عـــاينت وعرفت ورأيت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ، ويحكم أما يرضى أحدكـم أن يكون آمناً في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة .

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاصي فقال له : إن الملك قد كره ما فعلت وعجزني وكتب إلي وإلى جماعة الروم أن لا نرضى بما صالحتكم ، وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ، ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه ، وعـاقدتك عليه ، وإنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني ، وقد تم صلح القبط فيما بينـــك وبينهم ، ولم يأت من قبلهم نقض ، وأنا متم لك على نفسي ، والقبط متمون ذلك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا منهم براء ، وأنا أطلب إليك أن تعطيني ثلاث خصال ، قال له عمرو : ما هن ؟ قال : ألا تنقـــض ، وأدخلني معهم ، وألزمني ما لزمهم ، وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على مـــا عاهدتك عليه ، فهم متمون لك ما تحب ، وأما الثانية إن سألك الروم بعـــد اليوم أن تصالحهم حتى تجعلها فيئاً وعبيداً ، فإنهم أهل لذلك ، لأني نصحتهم فاستغشوني ، ونظرت لهم فاتهموني ، وأما الثالثة أطلب إليك أن إذا[1] مت أن تأمرهم يدفنوني في أبي يحنس الاسكندرية ، فأنعم له عمرو بن العاص بذلك ، وأجابه إلى ما طلب على أن ضمنوا له الجسر جميعاً ويقيموا لهم الأنزال والضيافة والأسواق والجسور ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية ففعلوا .

قال : وصارت لهم القبط أعواناً ويقال إن المقوقس إنما صالح عمـــرو بن العاصي على الروم ، وهو محاصر الاسكندرية .

وعن يزيد بن أبي حبيب : إن مقوقس الرومي الذي كان ملكاً على مصر ،

---

(١) في ابن عبد الحكم : ٧٢ « أنا » .

وأنا لا أرى ولا أسمع إن كنتم تؤمنون أن لهؤلاء المستضعفين المظلومين إلهاً ينصف المظلوم من الظالم فأيقنوا بالقصاص ، ومن الآن بتعجيل الهلاك ، وإن كنتم لا تؤمنون بذلك ، فانتم والله عندي شر من الكلاب والحمير ، ولعمري إنكم لتعملون أعمال قوم لا يؤمنون ، ولقد سخط الله أعمالكم ، فليكلنكم إلى أنفسكم ، فأما أنا فأشهد الله أني بريء من أعمالكم ، وسترون عاقبة الظلم إلى ما يوديكم ، وإلى أي مصير يصيركم ، ثم نزل .

قال : وكنا نزلنا بالمسلمين، ونحن لهم هائبون،وقد كان بلغنا أن نبيهم ﷺ قد كان قال لهم : إنكم ستظهرون على الروم ، وقد كانوا أوقعوا بنا غير مرة ، كل ذلك يكون لهم الظفر علينا ، غير أنا إذا نظرنا إلى عددنا وجموعنا طابت أنفسنا ، وظننا أن مثل جمعنا لا يفل .

قال : فأقام باهان أياماً يراسل من حوله من الروم، ويأمرهم أن يحملوا إلى أصحابه الأسواق ، فكانوا يفعلون ، فلم يكن ذلك يضر بالمسلمين ، لأن الأردن في أيديهم فهم مخصبون بخير،فلما رأى باهان أن ذلك لا يضرهم،وأنهم مكتفون بالأردن ، بعث خيلاً عظيمة لتأتيهم من ورائهم وعليها بطريق من بطارقتهم يريد أن يكشفهم جنوده من كل جانب ، فعلم المسلمون ما يريد ، فدعا أبو عبيدة خالد بن الوليد في ألفي فارس وألفي راجل ، فخرج حتى اعترضه، فلما استقبله نزل خالد في الرجالة وبعث قيس بن هبيرة في الخيل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فحمل قيس في خيل المسلمين على خيلهم فهزمهم الله حتى اضطرهم إلى الرجال، ومشى خالد في الرجال حتى إذا دنا شد برايته وشد معه المسلمون فضربوهم بالسيوف حتى تبددوا .

وقال قيس لرجل من بني نمير ومر به البطريق يركض : يا أخا بني نمير لا يفوتك البطريق فإني والله لقد كددت فرسي على هذا العدو اليوم حتى ما عنده جري ، فحمل عليه النميري فركض في إثره ساعة، ثم أدركه فلما رآه البطريق،

قد غشيه وأحرجه ، عطف عليه البطريق فاضطربا بسيفيهما، فلم يصنع السيفان شيئاً ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا إلى الأرض فاعتركا ساعة ، فوقع النميري على صدر البطريق في ساقية ، فضمه البطريق إليه فأخذ لا يستطيع أن يتحرك ، وجاء قيس حتى وقف عليهما ، فقال : يا أخا بني نمير قتلت الرجل؟ قال : لا والله لا أستطيع أن أضربه لقد ضمني بعجزيه وأمسك يدي بيديه ، فنزل إليه قيس فقطع إحدى يديه ، ثم تركه وانطلق ، وقام النميري فضربه بسيفه ومر به خالد بن الوليد فقال : من قتل هـذا ؟ فقال له قيس : قتله هذا النميري .

وعن عبد الله بن قرط أن معاذ بن جبل، ورجالا معه من المسلمين قالوا لأبي عبيدة حين سار من دمشق إلى اليرموك: اكتب إلى أمير المؤمنين أعلمه علم هذه الجيوش التي قد جاءتنا ، واسأله المدد فكتب إليه :

أما بعد : فإن الروم نفرت إلينا براً وبحراً ولم يخلفوا فيما بلغنا وراءهم أحداً يطيق حمل السلاح إلا جاشوا به على أهل الإسلام ، وخرجوا معهم بالقسيسين والأساقفة ، ونزلت الرهبان من الصوامع، فكشفت للمسلمين الخبر، وشرحت الأمر ، وكرهت أن أكتمهم وأن أغرهم ، وسألتهم عن الرأي ، فرأى المسلمون ان يتنحوا إلى جانب أرض الشام ، ثم نضم إلينا قواصينا ، ثم ننتظر المدد فالعجل علينا بالمدد ، والرجال بعد الرجال ، وإلا فاحتسب أنفس المسلمين إن هم اقاموا او اديانهم إنهم هربوا ، فقد جاءنا ما لا قبل لنا به، إلا ان يمدنا الله بملائكته ، ويأتينا بغياث من عنده ، والسلام .

قال عبد الله بن قرط : وبعثني بكتابه، فلما قدمت على عمر وقرأ الكتاب بعث إلى ناس من المهاجرين والأنصار ، فقرأ عليهم كتاب ابي عبيدة ، فبكى المسلمون ، وقالوا : وجهنا يا امير المؤمنين إلى اخواننا وابعث علينا والياً وإلا فسر انت بنفسك بنا فوالله ما في العيش خير بعدهم ، قالوا : وأظهر المسلمون

الجزع والشفقة على اخوانهم مخافة الهلاك عليهم ، ولم أر منهم احداً كان اظهر شفقاً وجزعاً من عبد الرحمن بن عوف ، ولا اكثر قولاً لعمر : سر بنا يا امير المؤمنين ، فإنك لو قدمت الشام قـــد شد الله قلوب المسلمين وأرعب قلوب الكافرين ، قال : فأجمع رأي اصحابه على ان يقيم ويبعث المدد ويكون ردءاً للمسلمين ، فقال لي عمر رحمه الله : كم بين الروم والمسلمين يوم خرجت ؟ قال : فقلت : نحو من ثلاث ليال، فقال عمر : هيهات متى يأتي هؤلاء غياثنا ؟ وكتب إلى ابي عبيدة .

أما بعد : فقد قدم علينا اخو ثمالة بكتابك يخبرني فيـــه بنفير الروم الى المسلمين ، وإن ربنا المحمود ذا الصنع العظيم والمن الدائم ، قـــد رأى مكان الروم وأساقفتهم ورهبانهم حيث بعث محمـداً ﷺ فنصره بالرعب ، وأعزه بالنصر ، ﴿ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون [1] ﴾ فلا يهولنك كثرة من جاءك منهم ، فإن الله منهم بريء ، ومن برىء الله منه كان قمناً ان لا تنفعه كثرته وان يكله الى نفسه ، ويخذله ، ولا يوحشنك قلة المسلمين في المشركين ، فإن الله معك ، وليس قليلاً من كان الله معه ، فأقم بمكانك الذي انت بـــه حتى يلقاك عدوك وتناجزهم إن شاء الله ، وستظهر [2] بالله عليهم وكفى بالله ظهيراً ووليا وناصراً ، وقد فهمت مقالتك احتسب أنفس المسلمين ان هـــم اقاموا ، او اديانهم إن هم هربوا ، إلا ان يمدهم الله بملائكته او يأتيهم بغياث من قبله، وايم الله لولا استثناؤك بهذا لقد كنت اسأت لعمري، لئن اقام المسلمون وصبروا واصيبوا لما عند الله خير للأبرار .

ولقد قال تعالى : ﴿ فمنهم من قضى نحبـــه ومنهم من ينتظر وما بدلوا

---

(١) سورة التوبة ـ الآية : ٣٣ .

(٢) في حاشية الأصل : لعله « واستظهر » .

تبديلا [١] ﴾ فطوبى للشهداء ولمن عقل عن الله ممن معك مـــن المسلمين لأسوة بالمصرعين حول رسول الله ﷺ في موطنه فما عجز الذين قاتلوا في سبيل الله ولا هابوا لقاء الموت في جنب الله ، ولا وهن الذين بقوا من بعدهم ، ولا استكانوا لمصيبتهم ، ولكن تأسوا بهم وجاهدوا في الله من خالفهم وفارق دينهم .

ولقد انبأنا الله عز وجل عن قوم بصّرهم ، فقال : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا ومـــا استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيـا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين [٢] ﴾ .

فأما ثواب الدنيا فالفتح والغنيمة ، وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنـــة ، واقرأ كتابي هذا على الناس ، ومرهم فليقاتلوا في سبيل الله وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، وأما قولك قد جاءهم ما لا قبل لهم به ، فإن لا يكن لهم به قبل ، فإن لله تعالى بهم قبلا ، ولم يزل ربنا عليهم مقتدراً ، ولو كنا إنما نقاتل عدونا بحولنا وقوتنا وكثرتنا فهيهات ما قد بدنا وهلكنا ، ولكنا نتوكل على الله ربنا ، ونفوض إليه أمرنا ، ونبرأ إليـه من الحول والقوة ونسأله النصر والرحمة ، وانكم منصورون على كل حال ، فأخلصوا لله نيتكم وارفعوا إليه رغبتكم ، ﴿ واصبروا وصابروا ورابطوا واتقـــوا الله لعلكم تفلحون [٣] ﴾ ، والسلام .

قال عبد الله بن قرظ فدفع إلي عمر الكتاب وأمرني أن أعجل السير ، وقال : إذا قدمت على المسلمين فسر في صفهم ، وقف على كل صاحب راية منهم وأخبرهم

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران : ١٤٦ ـ ١٤٨ .

(٣) سورة آل عمران ـ الآية : ٢٠٠ .

أنك رسولي إليهم ، وقل ان عمر يقرئكم السلام ، ويقول : يا أهـــل الإسلام اصدقوا وشدوا على عدوكم شد الليوث، وأعضوا هامهم السيوف، وليكونوا أهون عليكم من الذر ، لا تهلكم كثرتهم ولا تستوحشوا لمن لم يلحق بكم منكم .

قال: فركبت راحلتي وأقبلت مسرعاً أتخوف أن لا آتي الناس حتى تكون الوقعة ، فانتهيت إلى أبي عبيدة يوم قدم عليه سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي في ألف رجل من قبل عمر ، فسر بمقدمه المسلمون وشجعهم ذلك على عـــدوهم، فدفعت إلى أبي عبيدة كتاب عمر فقرأه على الناس ، فاشتد سرورهم برأيه لهم، وبما أمرهم به من الصبر وما رجا لهم في ذلك من الأجر ، وقـد كان أبو عبيدة بعث سفيان بن عوف من حمص إلى عمر حين بلغه أن الروم قـد جاشوا ليخبره بذلك ويستمده ، فقدم سفيان على عمر فأخبره الخبر ، وقد كان أبو بكر بعث سعيد بن عامر بن حذيم في جيش إلى الشام ، فكان مع أبي عبيدة حتى شهد معه وقعة فحل فأرسل أبو عبيدة سعيد بن عامر الى عمر بفتح فحل ، فكان بالمدينة مقيماً حتى بعثه ، وقد كان سعيد يريد أن يستأذن أبا عبيدة في الحج ، فلما قدم على عمر حج، ثم رجع فلم يزل مقيماً بالمدينة حتى بعثه عمر عند قـدوم سفيان بن عوف عليه .

وعن حسان بن عطيـــة قال : لما عقد عمر لسعيد بن عامر على من وجهه معه الى الشام ، قال له : ياسعيد اني قد وليتك على هذا الجيش ولست بخـــير رجل منهم الا ان تكون أتقى منه ، فلا تشتم أعراضهم ، ولا تضرب أبشارهم، ولا تحقر صغيرهم ، وكن للحق تابعاً ، ولا تتبع هواك سادراً ، فإنـه ان بلغني عنك ما أحب لم يعدمك مني ما تحب . قال له سعيد : قد أوصيتني فاستمع مني أوصيك ، قال : هات فقد آتاك الله علماً ياسعيد ، قال :

خف الله في الناس ولا تخف الناس في الله ، وأحب لقريب الناس وبعيدهـم ماتحب لنفسك وأهل بيتك ، واكره لهم ما تكره لنفسك واهل بيتك، والزم

الأمر ذا الحجة يكفك الله ما أهمك ، ويعنك على مـــا ولاك ولا تقض في امر واحد بقضاءين فيختلف قولك وفعلك ، ويلتبس الحـق بالباطل وتشتبه عليك الأمور، ويدفع عن الحق ، وخض الغمرات الى الحق حيث علمته ، ولا تأخذك في الله لومة لائم .

قال : فأكب عمر طويلا وهو متوكىء على عصا ، ثم رفـع رأسه فقال : من يطيق هذا ياسعيد ؟ قال : من طوق ما طوقت وحمل ماحملت من هـــذا الأمر ، وانما عليك ان تأمر فتطاع فتؤجر أو تعصى فتبوء بالحجة ، ويبوء القوم بالمعصية .

وعن الحارث بن عبد الله الأزدي ثم النميري ، قال : لمـــا نزل أبو عبيدة اليرموك وضم اليه قواصيه وجاءتنا جمـوع الروم وهم يحرون الشوك والشجر ومعهم القسيسون والرهبان والأساقفة والبطارقة ورهبـــانهم يقصون عليهم ، وبطارقتهم يحرضونهم ، فجاؤوا حتى نزلوا دير الجبل ، فلما اقبلوا الي المسلمين بتلك الجموع خافهم المسلمون ، فما كان شيء أحب إليهم من ان يخرجوا لهـــم ويتنحوا عن بلادهم حتى يأتيهم مدد يرون انهم يقوون به على من جاءهـــم من الروم ، فدعا ابو عبيدة الناس فاستشارهم فكل من استشار من الناس أشار عليه بالخروج من الشام الا خالد بن الوليد ، فإنه أشار عليه بالمقـــام ، وقال لأبي عبيدة خلني والناس ، ودعني والأمر ، وولني ما وراء بابك فانا اكفيك بإذن الله أمر هذا العدو، فقال له ابو عبيدة شأنك بالناس فخلاه واياهم .

قال، وكان قيس بن هبيرة المرادي على مثل رأي خالد في المقام بأرض الشام ولم يكن في المسلمين أحـــد يعدلهما في الحرب وشدة البأس ، قال فخرج خالد بالناس وهم أحسن شيء دعة ورعة وهيئة [1]، وأشدهم في لقاء عدوهم بصيرة،

---

(١) في حاشية الأصل : الرعة : الشأن .

وأطيبه أنفساً بقتالهم، قال: فصفهم خالد ثلاثة صفوف، وجعل ميمنة وميسرة، ثم إن خالداً أتى أبا عبيدة ، فقال من كنت تجعل على ميمنتك ؟ قال معاذ بن جبل ، قال : أهل ذلك ، هو الرضي الثقة ، فولها إياه ، فأمر أبو عبيدة معاذاً فوقف في الميمنة .

ثم قال خالد : من كنت تولي الميسرة ؟ قال : غير واحد ، قال : فولها إن شئت قباث بن أشيم ، فأمره أبو عبيدة فوقف في الميسرة ، وكان فيها كنانة وقيس ، وكان قباث بن أشيم كنانياً ، وكان شجاعاً بئيساً قال خالد : وأنا على الخيل ، وول على الرجال من شئت ، قال أوليها إن شاء الله من لا يخاف نكوله ولا صدوده عند البأس ، أوليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، قال : أصبت ووفقت ورشدت، قال أبو عبيدة : انزل يا هاشم فأنت على الرجالة وأنا معك، وقال خالد لأبي عبيدة : أرسل إلى أهل كل راية فمرهم أن يطيعوني ، فدعا أبو عبيدة الضحاك بن قيس ، فأمره بذلك ، فخرج الضحاك يسير في الناس ويقول لهم : إن أميركم أبا عبيدة يأمركم بطاعة خالد بن الوليد فيما أمركم به ، فقال الناس : سمعاً وطاعة .

ومر الضحاك بمعاذ بن جبل فأمره بطاعة خالد بن الوليد ، فقال معاذ : سمعنا وأطعنا ، ثم نظر إلى الناس ، فقال : أما إنكم إن أطعتموه لتطيعن مبارك الأمر ميمون النقيبة عظيم الغناء حسن الحسبة والنية . قال الضحاك : فحدثت خالداً بمقالة معاذ بن جبل ، فقال لي : رحم الله أخي معاذاً أما والله إنه إن أحبني إني لأحبه في الله لقد سبقت له ولأصحابه سوابق لا ندركها ولا نبلغها ولا ننالها فهنيئاً لهم ما خصهم الله به من ذلك .

قال : ثم إن خالداً سار في الصفوف يقف على أهل كل راية ويقول : يا أهل الاسلام إن الصبر عز وإن الفشل عجز، وإن مع الصبر تنصرون فإن الصابرين هم الأعلون، وما زال يقف على أهل كل راية يعظهم ويحضهم ويرغبهم حتى مر بجماعة

الناس ، ثم إنه جمع إليه خيل المسلمين ، ودعا قيس بن هبيرة بن مكشوح وكان يساعده ويوافقه ويشبهه في جلده وشدته وشجاعته وإقدامه على المشركين، فقال له خالد : أنت فارس العرب ولقل من حضرها اليوم يعدلك عندي ، فاخرج معي في هذه الخيل ، وبعث الى ميسرة بن مسروق العبسي ؛ وكان من أشراف العرب وفرسانهم ، ودعا عمرو بن الطفيل بن عمرو ذي النور الدوسي ، فخرج معه ، وكان قيس شديداً شجاعاً بئيساً ؛ فقال : اخرج معي فخرجوا معه .

ثم قسموا الخيل أرباعاً فبعث كل رجل منهم على ربع وخرج خالد في ربع منها في خيل المسلمين حتى دنا من عسكر الروم الأعظم الذي فيه باهان ، فلما رأتهم الروم فزعوا لجيشهم ، وقد كانوا أتوا فأخبروا أن العرب يريدون الانصراف عن أرض الشام ، وأن يخلوكم وإياها ، فكان ذلك قد وقع في أنفسهم وطمعوا به ، ورجوا أن لا يكون بينهم قتال ، وصدق ذلك عندهم خروجهم من بين أيديهم يسوقونهم وهم يدعون لهم الأرض والمدائن التي كانوا قد غلبوا عليها فيما بينهم وبين اليرموك ودمشق وحمص وما حولها .

فلما رأى خالداً قد أقبل إليهم في الخيل أفزعهم ذلك، وخرجوا على راياتهم، وخرجوا بصلبهم والقسيسين والرهبان والبطارقة ، فصفوا عشرين صفاً لا ترى أطرافهم ، ثم أخرجوا للمسلمين خيلاً عظيمة تكون أضعاف المسلمين مضاعفة، فلما دنت خيلهم من خيل المسلمين ، خرج بطريق من بطارقتهم وشجعانهم يسأل المبارزة ، ويتعرض لخيل المسلمين ، فقال خالد : أما لهذا رجل يخرج إليه ، ليخرجن إليه بعضكم ، أو لأخرجن إليه ، فتفلت إليه عدة من المسلمين ليخرجوا إليه ، وأراد ميسرة بن مسروق أن يخرج إليه ، فقال له خالد أنت شيخ كبير ، وهذا الرومي شاب ولا أحب أن تخرج اليه فإنه لا يكاد الشيخ الكبير يقوى على الشاب الحديث السن ، فقف لنا يرحمك الله في كتيبتك ،

فإنك لمـــا علمت حسن البـلاء عظيم الغناء ، وأراد عمرو بن الطفيل أن يخرج اليه فقال له خالد : يا بن أخي ، إنك غـلام حدث ، وأخـاف أن لا تقوى عليه .

قال الحارث بن عبد الله الأزدي ، وكان في خيل خالد : إني خرجت معه ، فأنا أخرج اليه ، فقال : ما شئت ، قال فلما خرجت لأذهب اليه ، قال لي خالد: هل بارزت رجلاً قبله قط ؟ قلت : لا ، قال : فلا تخرج اليه ، فقال قيس بن هبيرة : يا خالد كأنك علي تحوم ، قال : أجل وإني لأرجو ان خرجت اليه أن تقتله ، وإن أنت لم تخرج اليه لأخرجن اليه أنا ، قال قيس : بل أنا أخرج اليه ، فخرج إليه قيس ، وهو يقول :

سائل نساء الحي في حجالها
ألست يوم الحرب من أبطالها
ومقعص [١] الأقران من رحالها

فخرج اليه فلما دنا منه ضرب فرسه ثم حمل عليه فما هلل [٢] أن ضربه بالسيف على هامته فقطع ما عليه من السلاح وفلق هامته ، فإذا الرومي بين يدي فرسه قتيلاً ، وكبر المسلمون فقال خالد: ما بعد ما ترون الا الفتح احمل عليهم يا قيس ، ثم أقبل خالد على أصحابه ، فقال : احمـــلوا عليهم فوالله لا يفلحون وأولهم فارس [٣] متعفر في التراب ، قال : فحملنا عليهم وعـــلى من يلينا منهم ومن خيلهم ، وهم مستقدمة أمام صفوفهم ، وصفوفهم كأنها أعراض الجبال ، قال قيس: فحملنا عليهم فكشفنا خيلهم حتى لحقت بالصفوف ، وحمل خالد عليهم وأصحابه على

(١) قعصته وأقعصته إذا قتلته سريعاً . النهاية لابن الأثير .
(٢) هلل : قال لا إله إلا الله . القاموس .
(٣) في حاشية الأصل : لعله « فارساً » .

من قبلهم حتى لفوهم [١] بالصفوف ، وحمل عمرو بن الطفيل الأزدي وميسرة ابن مسروق في أصحابها حتى ألحقوهم بالصفوف صفوف المشركين، ثم إن خالداً أمر خيله فانصرفت عنه ، ثم أقبل بها حتى لحق بجماعة المسلمين ، وقد أراهم الله السرور في المشركين.

قال : وتلاومت بطارقة الروم وقال بعضهم لبعض : جاءتكم خيل لعدوكم ليست بالكثيرة ، فكشفت خيولكم من كل جانب ، وأقبل منهم كتائب في أثر كتائب، فطبقوا الأرض مثل الليل والسيل، كأنها الجراد السود ، وظن المسلمون أنهم يخالطونهم ، والمسلمون جراء عليهم سراع اليهم ، فأقبلوا حتى اذا دنوا من جماعة المسلمين ، واقتربوا منهم ومن خيلهم ، وقفوا ساعة وقد هابوهم، وامتلأت صدورهم من المسلمين خوفاً .

فقال خالد : قد رجعنا عنهم ولنا الظفر عليهم ، والدبرة عليهم ، فاثبتوا لهم ساعة فإن أقدموا علينا قاتلناهم، وإن رجعوا عنا كان الظفر والفضل عليهم فأخذوا يقتربون من المسلمين ، ثم يزحفون والمسلمون في مصافهم وتحت راياتهم سكوت لا يتكلم رجل منهم بكلمة إلا أن يدعو الله في نفسه ويستنصره على عدوه ، فلما نظرت الروم إلى خيلهم تلك ، وإلى خيل المسلمين ورجالتهم ومصافهم وحدهم وجدهم وصبرهم وسكوتهم ، ألقى الله الرعب في قلوبهم ، فواقفوهم ساعة ثم انصرفوا راجعين عنهم إلى عسكرهم .

فاجتمعت بطارقتهم وفرسانهم إلى باهان ، وهو أمير جماعتهم ، فقال لهم باهان : إني قد رأيت رأياً وأنا ذاكره لكم : إن هؤلاء القوم قد نزلوا في بلادكم ، وركبوا مراكبكم وطعموا من طعامكم، ولبسوا من ثيابكم ، فصار يعدل الموت عندهم أن يفارقوا ما قد تطعموه من عيشكم الرفيع، وقد رأيت أن أسألهم أن

---

(١) أي ألحقوهم بهم وخلطوهم . القاموس – مادة لف .

يبعثوا إلينا رجلاً منهم له عقل فنناطقه ونشافهه ونطمعهم في شيء يرجعون به إلى أهليهم ولعل ذلك يسخي بأنفسهم عن بلادنا ، فإن هم فعلوا ذلك فان الذي يريدون منا قليل فيما يخاف ويدفع به خطر الوقعة التي لا يدرون علينا تكون أم لنا ، فقالوا قد أصبت وأحسنت النظر لجماعتنا ، فاعمل لجماعتنا برأيك .

فبعث رجلاً من خيارهم وعظمائهم يقال له جرجه إلى أبي عبيدة فأتى أبا عبيدة فقال له : إني رسول باهان عامل ملك الروم على الشام وعلى هذه الجنود وهو يقول لك : أرسل إلي الرجل منكم الذي كان قبلك أميراً ، فانه قد ذكر لي أنه رجل له عقل ، وله فيكم حسب ، وقد سمعنا أن عقول ذوي الحسب أفضل من غيرهم ، فنخبره بما نريد ونسأله عما تريدون ، فان وقع فيما بيننا وبينكم أمر لنا ولكم فيه صلاح أو رضى أخذنا به ، وحمدنا الله عليه ، فان لم نر ذلك فيما بيننا وبينكم كان القتال من وراء ما هنالك .

فدعا أبو عبيدة خالداً فأخبره بالذي جاء فيه الرومي ، وقال لخالد : القهم فادعهم إلى الاسلام ، فان قبلوا فهو حظهم وكانوا قومنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإن أبوا فاعرض عليهم الجزية أن يؤدوها وهم صاغرون ، فان أبوا فأعلمهم أننا نناجزهم ونستعين بالله عليهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .

قال : وجاء رسولهم هذا الرومي عند غروب الشمس ، فلم يمكث إلا يسيراً حتى حضرت الصلاة فقام المسلمون يصلون صلاتهم ، فلما قضوا صلاتهم ، قال ذلك الرومي : هذا الليل قد غشينا ولكن اذا أصبحت غدوت الى صاحبنا ان شاء الله ، فارجع إليه فأعلمه ذلك ، وجعل المسلمون ينتظرون أن يقوم الى صاحبه فيرجع إليه فيخبره بما ردوا عليه ، وأخذ الرومي لا يبرح ، وجعل ينظر الى

رجال من المسلمين يصلون وهم يدعون الله ، ويتضرعون اليه ، فقال عمرو ابن العاص : ان رسولكم هـذا الذي أرسل اليكم لمجنون ، فقال أبو عبيدة : كلا أو ما تنظر الى نظره الى المصلين ، وجعل الرومي ما يفيق ومـا يصرف بصره عنهم ، فقال أبو عبيدة : إني والله لأرجو أن يكون الله قد قذف في قلبه الإيمان وحببه اليه وعرفه فضله .

ولبث الرومي بذلك قليلاً ، ثم أقبل على أبي عبيدة ، فقال : أيها الرجل ، أخبرني متى دخلتم في هذا الدين ، ومتى دعوتم الناس اليـــه؟ فقال أبو عبيدة : دعينا اليه منذ بضع وعشرين سنة ، فمنا من أسلم حين أتاه الرسول ومنا من أسلم بعد ذلك ، فقال هل كان رسولكم أخبركم أنه يأتي من بعـده رسول ؟ فقال : لا ولكنه أخبرنا أنه لانبي بعده ، وأخبرنا أن عيسى بن مريم قد بشر به قومه ، فقال الرومي : وأنا على ذلك من الشاهدين ان عيسى بن مريم قد بشرنا براكب الجمل ، وما أظنه الا صاحبكم.

قال الرومي: أخبروني عن قول صاحبكم في عيسى ما كان، وما قولكم أنتم فيه ؟ قال له أبو عبيدة : قول صاحبنا قول الله تبارك وتعالى ، وهو أصدق القائلين وأبره ، قال الله تعالى في عيسى : ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾[1] ، وقال الله تعالى: ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ﴾[2] الى آخر الآية ، والى قوله : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾[3] .

فلما فسر له الترجمان هذا بالرومية ، وبلغ هذا المكان ، قال : أشهد أن هذه

---

(١) سورة آل عمران – الآية : ٥٩ ، وسقط من الأصل كلمة « عيسى » .

(٢) سورة النساء – الآية : ١٧١ .

(٣) سورة النساء – الآية : ١٧٢ .

صفة عيسى نفسه ، وأشهد أن نبيكم صادق ، وأنه الذي بشر به عيسى ، وأنكم قوم صدق،وقال لأبي عبيدة : ادع لي رجلين من أول أصحابك اسلاماً، وهما فيما ترى أفضل من معك؛فدعا أبو عبيدة بمعاذ بن جبل، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، فقال : هذان من أفضل المسلمين فضلاً ، ومن أول المسلمين إسلاماً ؛ فقال لهما الرومي، ولأبي عبيدة تضمنون لي الجنـــة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم ؟ فقالوا له : نعم إن أنت أسلمت واستقمت ، ولم تغير حتى تموت، وأنت على ذلك فأنت من أهل الجنة ، فقال : إني أشهدكم أني من المسلمين ، فأسلم وفرح المسلمون بإسلامه وصافحوه ودعوا له بخير ، وقالوا له : إنا إن أرسلنا رسولنا غـداً إلى صاحبكم وأنت عندنا يظنون أنا حبسناك عنهـم ، فنتخوف أن يحبس صاحبنا ، فإن شئت أن تأتيهم الليلة ، وتكتم إسلامك حتى نبعث إليهم رسولنا غداً ، وننظر على ما ينصرم الأمر بيننا وبينهم ، فإذا رجع رسولنا إلينـــا أتيتنا عند ذلك ، فما أعزك علينا، وأرغبنا فيك، وأكرمك علينا ، وما أنت الآن عند كل امرىء منا إلا بمنزلة أخيه لأبيه ولأمه ، قال : فانكم نعم ما رأيتم ، فخرج فبات في أصحابه ، وأتى باهان ، فقال له غداً يجيئكم رسول القـــوم الذي سألتم فلما أصبح الرومي وانصرف خالد راجعاً الى أصحابه من قبل باهان ، أقبل الرومي حتى لحق بالمسلمين ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكانت له نجدة ونكاية في المشركين رحمه الله .

فلما أصبحوا بعث خالد بن الوليد بقبة له حمراء من أدم [1] كان اشتراها من امرأة ميسرة بن مسروق العبسيـــة بثلاثمائة دينار فضربت له في عسكر الروم ، ثم خرج خالد حتى أتاها فأقام فيها ساعة، وكان خالد رجلاً طويلاً جميلاً جليلاً مهيباً لا ينظر إليه رجـل إلا مـلأ صدره وعرف أنـــه من جلد الرجال وشجعانهم وأشدائهم .

---

(١) أي من جلد .

وبعث باهان أمير الروم إلى خـــالد وهو في قبته أن القني ، وصف له في طريقه عشرة صفوف عن يمينه ، وعشرة صفوف عن شماله مقنعين في الحديد عليهم الدروع والبيض ، والسواعد والجواشن والسوق ، لايرى منهم إلا الحدق ، وصف من وراء تلك خيلاً عظيمة لايرى طرفهم ، وإنما أراد بذلك أن يريه عدد الروم وعدتهم ليرعبه بذلك ، وليكون ذلك أسرع له الى ما يريد أن يعرض عليه ، فأقبل خالد غير مكترث لما رأى من هيئتهم وجماعتهم ، ولكانوا عليه أهون من الكلاب ، فلما دنا من باهان رحب به ، ثم قال بلسانه : ها هنا عندي اجلس معي فإنك من ذوي أحساب العرب فيما ذكر لي ، ومن شجعانهم ، ونحن نحب الشجاع ذا الحسب ، وقد ذكر لي أن لك عقلاً ووفاء والعاقل ينفعك كلامـه ، والوفي يصدق قوله ويوثق بعهده ، وأجلس فيما بينه وبين خالد ترجماناً له يفسر لخالد ما يقول ، وخالد جالس الى جنبه .

وعن الحارث بن عبد الله الأزدي قال : كنت صديقاً لخالد بن الوليد ، وقلما أفارقه ، وكان يستشيرني في الأمـــر إذا نزل به ، وكنت أشير عليـــه بمبلغ رأيي .

قال : فكان خالد يقول لي : إنك لما علمت لميمون الرأي ، وقلمـــا أشرت علي بمشورة إلا وجدت عاقبتها تؤدي إلى سلامة ، فلما كان يوم غدا خـــالد إلى عسكر الروم قال لي : اخرج معي فخرجت معه حتى إذا دخلنا عسكرهـــم ، وضربت قبته وبعث إليه باهان ليتلقاه ، قال لي : انطلق معي ، فقلت له : إن القوم إنما أرادوك ولا أراهم يدعونني أدنو إليهم معـــك ، فقال لي : امضه فمضيت معه ، فلما دنونا من باهان وعلى رأسه ألوف رجال بعضهم خلف بعض ، وخلفهم من لا يرى منهم إلا أعينهم ، وفي أيديهم العمد ، فلما دنونا منـه جاءنا الترجمان فقال : أيكما خالد ؟ فقال خالد : أنا ، فقال : أقبل أنت وليرجـــع

هذا ، فقام خالد فقال : هذا رجل من أصحابي ولست استغني عن رأيه ، فرجع إلى باهان ، فأخبره فقال : دعوه فليأت معه .

قال : فأقبلنا نحوه فلم يمش إلا خطى خمساً أو ستاً حتى جاء نحو من عشرة ، فقالوا للحارث بن عبد الله : ضع سيفك ، ولم يقولوا لخالد شيئاً ، فنظرت ما يقول لي خالد ، فقال لهم خالد : ما كان ليضع عزه من عنقه أبداً ، وقد بعثتم إلينا فأتينا كم ، فإن تكرمونا جلسنا إليكم ، وسمعنا منكم ، وإن أبيتم فخلوا سبيلنا فننصرف عنكم ، فرجع الترجمان إلى باهان ، فأخبره ، فقال : دعوهما .

قال : فأقبلنا إليه فرحب بخالد وأجلسه معه ، قال : وأقبلت أنا فجلست على نمارق مطروحة للناس قريباً منهما ، وحيث أسمع كلامهما فلما قال باهان لخالد : إنك من ذوي أحساب العرب ، فيما ذكر لي ، ومن شجعانهم ، وإن لك عقلاً ووفاء ، والعاقل ينفعك كلامه ، والوفي يصدق قوله ، ويوثق بعهده . فلما فسر له الترجمان ذلك ، قال خالد : إن حسب المرء دينه ومن لم يكن له دين فلا حسب له ، وقال : إن أفضل الشجاعة وغيرها في العاجلة والعاقبة ما كان منها في طاعة الله ، وأما ما ذكرت أني أوتيت عقلاً ووفاء فإن أكن أوتيت ذلك فلله المن والفضل علينا ، وهو المحمود عندنا ، وقد قال لنا نبينا ﷺ : « إن الله عز وجل لما خلق العقل وصوره وفرغ من خلقه ، قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي ما خلقت من خلقي شيئاً هو أحب إلي منك ، بك أحمد ، وبك أعبد ، وبك أعرف ، وبك تنال طاعتي ، وبك تدخل جنتي[1] » ، ثم قال : والوفاء لا يكون إلا من العقل فمن لم يكن له عقل فلا وفاء له ، ومن لا وفاء له لا عقل له .

قال له باهان : أنت أعقل أهل الأرض ، ما يتكلم بكلامك ولا يفطن له

---

(١) انظر الكامل لابن عدي : ٢ / ٧٩٨ ، ٦ / ٢٠٤٠ .

ولا يبصره إلا الفائق من الرجال ، ثم قال باهان : لخالد : أخبرني عنك وأنت هكذا تحتاج إلى مشورة هذا الرجل ؟ فقال له خالد : وأعجب من ذلك إن في عسكرنا هذا لأكثر من ألف رجل لا يستغني عن رأيه ولا عن مشورته هذا الرجل ، فقال باهان : ما كنا نظن ذلك عندكم ولا نراكم به ، فقال له خالد: ما كل ما تظنون ونظن يكون صواباً ، فقال باهان : صدقت ، ثم قال باهان لخالد : إن أول ما أكلمك به أن أدعوك إلى خلتي ومصافاتي ، فقال له خالد : كيف لي ولك أن نتم هذا بيني وبينك وقد جمعتني وإياك بلدة لا أريد أنا ولا تريد أنت أن نفترق حتى تصير البلدة لأحدنا ؟ فقال له باهان : فلعل الله أن يصلح بيننا وبينك فلا يهراق دم ولا يقتل قتيل ، قال خالد : إن شاء الله فعل .

فقال له باهان : فإني أريد أن ألقي الحشمة فيما بيني وبينك وأكلمك كلام الأخ أخاه ، وإن قبتك هذه الحمراء قد أعجبتني وأنا أحب أن تهبها لي فإني لم أر قبة من القباب أحسن منها فخذ ما بدا لك فيها ، وسلني ما أحببت فهو في يدك وهب لي هذه القبة فإنها أظرف مما عندنا فقال له خالد : فهي لك فخذها ولست أريد من متاعك شيئاً ، فقال الحارث بن عبد الله والله ما ظننته سألها : إلا لينظر إليها ، فإذا هو قد أخذها ، ثم قال له باهان : إن شئت بدأناك فتكلمت ، وإن شئت أنت فتكلم ، فقال له خالد : ما أبالي أي ذلك كان ، أما أنا فلا أخالك إلا وقد بلغك وعلمت ما أسأل وأطلب وأدعو إليه ، وقد جاءك بذلك أصحابك ومن لقينا منكم بأجنادين ومرج الصفر وفحل ومدائنكم وحصونكم ، وأما أنت فلست أدري ما تريد أن تقول ، فإن شئت فتكلم وإن شئت بدأتك فتكلمت .

فتكلم باهان ، وقال : الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء ، وملكنا أفضل الملوك ، وأمتنا خير الأمم ، فلما بلغ هذا المكان قال خالد للترجمان ،

وقطع على صاحب الروم منطقه ، ثم قال : والحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وبجميع الأنبياء وجعل الأمير الذي ولياه أمورنا رجلاً كبعضنا ، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا ؛ ولسنا نرى أن له على رجل من المسلمين فضلاً إلا أن يكون أتقى منه عند الله وأبر ، والحمد لله الذي جعل أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقر بالذنب وتستغفر الله منه ، وتعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً ، قل الآن ما بدا لك ، فاصفر وجه باهان ومكث قليلاً .

ثم قال باهان : الحمد لله الذي أبلانا فأحسن البلاء عندنا ، فأغنانا من الفقر ، ونصرنا على الأمم ، وأعزنا فلا نذل ، ومنعنا من الضيم فلا يباح حريمنا ، ولسنا فيما أعزنا الله به وأعطانا من دنيانا ببطرين ولا مرحين ولا باغين على الناس ، وقد كانت لنا منكم يا معشر العرب جيران نحسن جوارهم ونعظم وفدهم ونفضل عليهم ، ونفي لهم بالعهد وخيرنا لهم بلادنا ينزلون منها حيث شاؤوا ينزلون آمنين ، ويرحلون آمنين ، وكنا نرى أن جميع العرب ستشكر لنا ذلك الذي أتينا إلى اخوانهم وما اصطنعنا عندهم ، فلم يرعنا منكم إلا وقد فاجأتمونا بالخيل والرجال تقاتلوننا على حصوننا ، وتريدون أن تغلبونا على بلادنا ، وقد طلب هذا منا قبلكم من كان أكثر منكم عدداً ، وأعظم مكيدة ، وأقوى جنداً ، ثم رددناهم عنها ، فلم يرجعوا عنا إلا وهم بين قتيل وأسير ، وأرادت ذلك منا فارس ، فقد بلغكم كيف صنع الله بهم ، وأراد ذلك منا الترك فلقيناهم بأشد ما لقينا به فارس ، وأرادنا غيركم من أهل المشرق والمغرب من ذوي المنعة والعز والجنود العظيمة ، فكل أظفرنا الله عليهم ، وصنع لنا عليهم ، ولم تكن أمة من الأمم بأدق عندنا منكم شأناً ، ولا أصغر اخطاراً إنما عامتكم رعاء الشاة والإبل ، وأهل الصخر والحجر والبؤس والشقاء ، فأنتم تطمعون أن نجلي لكم عن بلادنا لبئس ما طمعتم فيه منا ، وقد ظننا أنه لم يأت بكم إلى بلادنا ، ونحن نتقى لكل من حولنا من الأمم العظيمة الشأن بالكثيرة العدد مع كثرتنا وشدة شوكتنا ، إلا جهد

نزل بكم من جدوبة الأرض وقحط المطر ، فعشتم في بلادنا ، وأفسدتم كل الفساد . وقد ركبتم مراكبنا ، وليست كمراكبكم ، ولبستم ثيابنا وليست كثيابكم ، وثياب الروم كأنها صفائح الفضة ، وطعمتم من طعامنا وليس كطعامكم ، وأصبتم منا وملأتم أيديكم من الفضة البيضاء ، والذهب الأحمر ، والمتاع الفاخر ، ولقد لقيناكم الآن ، وذلك كله لنا ، وهو في أيديكم ، فنحن نسلمه لكم ، وانصرفوا فاخرجوا به عن بلادنا ، فإن أبت أنفسكم إلا أن تحرصوا وتشرهوا ، وأردتم أن أزيدكم من بيوت الأموال ما يقوى به الضعيف منكم ، ويرى الغائب أن قد رجع إلى أهله بخير فعلنا ، ونأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار ، ونأمر لك بمثلها ، ونأمر لرؤسائكم بألف دينار ألف دينار ، ونأمر لجميع أصحابك بمائة دينار لكل واحد على أن توافوا لنا بالأيمان المغلظة أن لا تعودوا إلى بلادنا أبداً ، ثم سكت .

فقال خالد بن الوليد : الحمد لله الذي لا إله إلا هو ، فإذا فسر له الترجمان قوله : الحمد لله الذي لا إله إلا هو ، رفع يديه إلى السماء ثم أشار اليه بيده ، ثم قال لخالد : نعم ما قلت ، قال خالد : وأشهد أن محمداً رسول الله ، فلما فسر الترجمان ، قال باهان : الله أعلم ، ما أدري لعله كما تقول ، فأخبر خالداً الترجمان ، ثم قال :

أما بعد: فإن كل ما ذكرت به قومك من الغناء والعز ومنع الحريم والظهور على الأعداء والتمكن في البلاد نحن به عارفون ، وكل ما ذكرت من إنعامكم على جيرانكم منا فقد عرفناه ، وذلك لأمر كنتم تصلحون به دنياكم ، وصلاحكم كان لكم واحسانكم اليهم كان ذلك زيادة في ملككم وعزاً لكم ، ألا ترون أن ثلثيهم أو شطرهم قد دخلوا معكم في دينكم ، فهم يقاتلوننا معكم ، وأما ما ذكرتنا به من رعي الإبل والغنم فما أقل ما رأيت واحداً منا يكرهه وما لمن يكرهه منا فضل على من يفعله .

وأما قولك إنا أهل الصخر والحجر والبؤس والشقاء فحالنا والله كماوصفته ما ننتفي من ذلك ولا نتبرأ منه ، وكنا على أسوأ وأشد مما ذكرت ، وسأقص عليك قصتنا ، وأعرض عليك أمرنا وأدعوك الى حظـــك إن قبلت ، ألا إنا كنا معشر العرب أمة من هذه الأمم ، أنزلنا الله – فله الحمد – منزلا من الأرض ليست به أنهار جارية ، ولا يكون به من الزرع إلا القليل وجل أرضنا الهامة والقفار ، وكنا أهل حجر ومدر وشاة وبعير ، وعيش شديد ، وبلاء دائم لازم نقطع أرحامنا ونقتل خشية الإملاق أولادنا ويأكل قوينـا ضعيفنا ، وكثيرنا قليلنا ، ولا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة ، نعبد من دون الله أوثاناً وأصناماً نتخذها بأيدينا من الحجارة التي نختارهـا على أعيننا ، وهي لا تضر ولا تنفع ، ونحن عليها مكبون .

فبينا نحن كذلك على شفا حفرة من النـار ، من مات منا مات مشركاً ، وصار الى النار ، ومن بقي منا بقي مشركاً كافراً بربه ، قاطعاً لرحمه ، إذ بعث الله فينا رسولاً من صميمنا وشرفائنا وخيارنا وكرمائنا وأفاضلنا ، دعانا الى الله وحده ، أن نعبده ، ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع الأنداد التي يعبدهـــا المشركون ، وقال لنا : لا تتخذوا من دون ربكم إلهاً ولا وليـاً ولا نصيراً ولا تجعلوا معه صاحبة ، ولا ولـــداً ، ولا تعبدوا من دونه ناراً ولا حجراً ، ولا شمساً ولا قمراً ، واكتفوا به رباً وإلهاً من كل شيء دونه ، وكونوا أولياءه ، واليه فارغبوا .

وقال لنا : قاتلوا من اتخذ مع الله إلهاً آخر ، وكل من زعم أن لله ولداً ، وأنه ثاني اثنين ، أو ثالث ثلاثة ، حتى يقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ويدخلوا في الإسلام ، فإن فعلوا حرمت عليكم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها ، وهم اخوانكم في الدين ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، فإن هم أبوا أن يدخلوا في دينكم وأقاموا على دينهم ، فاعرضوا عليهم الجزيـــة أن

يؤدوها عن يد وهم صاغرون ، فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم فإن أبوا فقاتلوهم ، فإنه من قتل منكم كان شهيداً حياً عند الله مرزوقاً ، وأدخله الله الجنة . ومن قتل من عدوكم قتل كافراً وصار الى النار مخلداً فيها أبداً .

ثم قال خالد : وهذا والله الذي لا إله إلا هو أمر أمر الله به نبيه ﷺ فعلمناه وأمرنا به ، وأن ندعو الناس إليه ، فندعوكم إلى الإسلام وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتقروا بما جاء من عند الله ، فإن فعلتم فأنتم اخواننا في الدين ، لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، فإن أبيتم ، فإنا نعرض عليكم أن تعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، فإن فعلتم قبلنا منكم وكففنا عنكم ، وإن أبيتم أن تفعلوا فقد والله جاءكم قوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، فاخرجوا بنا على اسم الله حتى نحاكمكم إلى الله ، فإنما ﴿الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ (١) ثم سكت خالد .

فقال باهان : أما أن ندخل في دينكم فما أبعد من ترى من الناس أن يترك دينه ويدخل في دينكم ، وأما أن نؤدي الجزية — ثم تنفس صعداء وثقلت عليه وعظمت عنده — فسيموت من ترى جميعاً قبل أن يؤدوا الجزية إلى أحد من الناس وهم يأخذون الجزية وَيُعْطَوْنَها (٢) ، وأما قولك فاخرجوا حتى يحكم الله بيننا فلعمري ما جاءك هؤلاء القوم وهذه الجموع إلا ليحاكموك إلى الله ، وأما قولك ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء﴾ فقد كان فيها قوم من الأمم كانوا قبلنا فقاتلناهم عليها فأخرجناهم منها ، وقد كانت قبل ذلك لقوم آخرين

---

(١) سورة الأعراف — الآية : ١٢٧ .

(٢) في الأزدي : ٢٠٧ « ولا يعطونها » .

فأخرجهم منها هؤلاء الذين كنـــا قاتلناهم عنها فابرزوا على اسم الله فإنا خارجون إليكم .

قال الحارث بن عبد الله الأزدي : فلما فـرغ باهان من كلامه ، وثب خالد فقام وقمت معه فمر بقبته فتركها ومضينا حتى خرجنا من عسكرهم ، وبعث معنا صاحب الروم رجالاً حتى أخرجونا من عسكرهم وأمنا ، فرجعنا إلى أبي عبيدة فقص عليهم خالد بن الوليد الخبر وأخبرهم بأن القتال سيقع بينهم ، وقال للناس استعدوا أيها الناس استعداد قوم يرون أنهم عن ساعة مقاتلون .

وحدثنا أبو جهضم الأزدي عن رجـــل من الروم قال : كنت مع باهان في عسكرهم ذلك ، قال : وكان قد أسلم وحسن إسلامـه ، قال : كتب باهان إلى قيصر كتاباً يخبره فيه بحاله وحال أصحـابه ، وحال المسلمين ، وكان قد جمع أصحابه يوم انصرف خالد عنهم ، فقال : أشيروا علي بأمركم ورأيكم في أمر هؤلاء القوم ، فإني قد هيبتهم فلم أرهم يهابون ، وقد أطمعتهم فليس يطمعون ، وأردتهم على الخروج والرجوع عن بلادنا بكل وجه فليسوا براجعين ، والقوم ليس يريدون إلا هلاككم واستئصالكم ، وسلب سلطانكم وأكل بلادكم وسبي أولادكم ونسائكم ، وأخذ أموالكم ، فإن كنتم أحراراً فقاتلوا عن سلطانـكم وامنعوا حريمكم ونساءكم وأولادكم وبلادكم وأموالكم .

فقامت البطارقة رجلاً بعد رجل فكلهم يخبره أنه طيب النفس بالموت دون بلاده وسلطانه ، وقالوا له : إذا شئت فانهض بنا ، فقال لهم باهان : فكيف ترون نقاتلهم فإنا أكثر من عشرة أضعافهم ، نحن نحو من أربعمائة ألف ، وهم نحو من ثلاثين ألفاً ، أو أقل أو أكثر ؟ فقال بعضهم : أخرج إليهم في كل يوم مائة ألف يقاتلونهم وتستريح البقية ونسرح عيالنا وأثقالنا إلى البحر فلا يكون معنا شيء يهمنا ولا يشغلنا ، ويقاتلهم منا كل يوم مائة ألف ، فهم في كل يوم في قتل وجراحة وعناء ومشقة وشدة ونحن لا نقاتل إلا في كل أربعـة أيام يوماً ،

وإن هم هزموا منا في كل يوم مائة ألف بقي لهم أكثر من مائة الف لم ينهزموا فقال آخرون : ولكنا نرى إذا هم خرجوا إلينا أن نبعث إلى كل رجل منهم عشرة من أصحابك ، فلا والله ما انبعث عشرة على واحد إلا غلبوهم ، فقال لهم باهان : هذا ما لا يكون وكيف أقدر على عددهم ؟ حتى أبعث إلى كل رجل منهم عشرة من أصحابي ، وكيف نقدر أن ينفرد الرجل منهم عن صاحبه ، وهذا ما لا يكون .

قال : فأجمع رأيهم جميعاً أن يخرجوا بأجمعهم خرجة واحدة فيناجزوهم فيها ، ثم لا يرجعون عنهم حتى يحكم الله بينهم .

قال : فأجمع رأي الروم كلهم على هذا ، وكتب باهان إلى قيصر أما بعد : فإنا نسأل الله أيها الملك لك ولجندك وأهل مملكتك النصر ، ولدينك وسلطانك العز ، فإنك بعثتني فيما لا يحصيه من العدد إلا الله ، فقدمت على القوم فأرسلت إليهم وهيبتهم فلم يهابوا ، وأطمعتهم فلم يطمعوا ، وخوفتهم فلم يخافوا ، وسألتهم الصلح فلم يقبلوا ، وجعلت لهم الجعل على أن ينصرفوا فلم يفعلوا ، وقد ذعر منهم جند الملك ذعراً شديداً ، وقد خشيت أن يكون الفشل قد عمهم والرعب قد دخل في قلوبهم ، إلا أن منهم رجالاً قد عرفتهم ليسوا بفرارين عن عددهم ، ولا شكاك في دينهم ، ولو قد لقوهم لم يفروا حتى يظهروا أو يقتلوا ، وقد جمعت أهل الرأي من أصحابي والنصيحة لملكنا ودیننا ، فأجمع رأيهم على النهوض إليهم جميعاً في يوم واحد ولا نزايلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

وكان باهان رأى رؤيا فكتب بها إلى ملك الروم في كتابه هذا ، فقال : وقد أتاني آت في منامي فقال لي: لا تقاتل هؤلاء القوم فإنهم يهلكونك ويهزمونك فلما انتبهت من منامي عبرت أنه من الشيطان أراد أن يحزنني فخسأته فإن يكن الشيطان فقد خسأته ، وإن لم يكن الشيطان فقد بين لي الأمر ، فابعث أنت أيها الملك بثقلك وحرمك ومالك فألحقهم بأقصى بلادك ، وانتظر وقيعتنا هذه فإن

أظهر الله عليهم حمدت الله الذي أعز دينك ومنع سلطانك ، وإن هم ظهروا علينا فارض بقضاء الله ، واعلم أن الدنيا زائلة عنك كما زالت عن من كان قبلك ، فلا تأسف منها ، ولا تغتبط منها بشيء مما بيدك ، والحق بمعاقلك ، ودار مملكتك وأحسن إلى رعيتك وإلى الناس يحسن الله إليك ، وارحم الضعفاء والمساكين ترحم ، وتواضع لله يرفعك الله فإن الله لا يحب المتكبرين والسلام » .

قال : ثم إن باهان خرج إلى المسلمين في يوم ذي ضباب ورذاذ وصف لهم عشرين صفاً لا يرى طرفهم ، ثم جعل على ميمنته ابن قناطر ، وجعل معه جرجير في أهل أرمينية ، وجعل الدرنجار في ميسرته ، وكان من خيارهم ونساكهم ، فأقبلوا نحو المسلمين .

فلما نظر اليهم المسلمون وقد أقبلوا كلهم وقد ملؤوا الأرض كأنهم أعراض الجبال ، نهضوا إلى راياتهم ، وجاء خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاصي وشرحبيل بن حسنة إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وهم الأمراء الذين كان أبو بكر رحمه الله عليه أمرهم وبعثهم إلى الشام ، فأتوا أبا عبيدة ومعه معاذ لا يفارقه ، فقالوا له : إن هؤلاء قد زحفوا إلينا هذا اليوم المطير ، وإنا لا نرى أن نبرح ولا نخرج إليهم فيه حتى يلظوا [1] بمسكرنا ونضطر إلى ذلك ، قال : فإنكم قد أصبتم ، قال : وخرج أبو عبيدة ومعه معاذ بن جبل فصفوا الناس وعبوهم ووقفوهم على مراكزهم ، وأقبلت الروم في المطر ووقفوا ساعة وتصبروا عليه ، فلما رأوا أن المطر لا يقلع ولا يرتفع انصرفوا الى عسكرهم .

قال : ودعا الدرنجار وكان فيهم ناسكاً ، رجلاً من العرب ممن كان على دين النصرانية فقال له : ادخل في عسكر هؤلاء القوم ، فانظر ما حالهم ، وما أعمالهم وما يصنعون وكيف سيرتهم ؟ ثم القني بها ، فخرج ذلك الرجل حتى

---

(١) أي يلزموا – وفي الأزدي : ٢١٠ « يلطوا » أي يلتصقوا ، وهو أفضل وأقرب إلى الصحة .

دخل عسكر المسلمين، فلم يستنكروه لأنه كان رجلاً من العرب لسانه ووجهه فمكث في عسكرهم ليلة حتى أصبح، فوجد المسلمين يصلون الليل كله كأنهم في النهار، ثم أصبح فأقام عامة يومه ثم خرج اليه، فقال: جئتك من عند قوم يقومون الليل كله، ويصومون النهار؛ ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، رهبان بالليل وأسد بالنهار، لو سرق ملكهم فيهم لقطعوه، ولو زنى لرجموه، لإيثارهم الحق واتباعهم إياه على الهوى، فقال: لئن كان هؤلاء القوم هكذا كما تزعم، وكما ذكرت ليطن الأرض خير من ظهرها لمن يريد قتالهم ولقاءهم.

فلما كان من الغد خرجوا أيضاً في يوم ذي ضباب، وأتى المسلمين رجال من العرب كانوا نصارى، فأسلموا فقال لهم أبو عبيدة وخالد بن الوليد: ادخلوا في عسكر الروم واكتموهم إسلامكم، والقونا بأخبارهم فإن لكم في هذا أجراً، والله يحسبه لكم جهاداً وتدفعون بذلك عن حرمة الإسلام، وتدلون على عورة أهل الشرك فانطلقوا فدخلوا عسكر الروم، ثم جاؤوا بعد ما مضى من الليل نصفه، فأتوا أبا عبيدة فقالوا له: إن القوم قد اوقدوا النيران وهم يتعبئون لكم ويتهيؤون للقائكم، وهم مصبحوكم بالغداة، فما كنتم صانعين فاصنعوا الآن فخرج أبو عبيدة ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمرو ابن العاصي فعبوا الناس وصفوهم، فلم يزالوا في ذلك حتى أصبحوا.

وعن راشد بن عبد الرحمن الأزدي، قال: صلى بنا أبو عبيدة يومئذ صلاة الغداة في عسكره في الغداة التي لقينا فيها الروم باليرموك، فقرأ في أول ركعة بالفجر وليال عشر، فلما مرّ بقول الله تعالى: ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد ﴾ إلى قوله: ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ (١) قلت في نفسي: ظهرنا والله على القوم، للذي أجرى الله على لسانه، وسررت بذلك سروراً شديداً

(١) سورة الفجر - الآيات: ٦ - ١٤.

وقلت : عدونا والله هذا نظير لهذه الأمة في الكفر والكثرة والمعاصي ، قال : ثم قرأ في الركعة الثانية : بالشمس وضحاها فلما مر بقول الله تعالى : ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ [١] إلى خاتمة السورة ، قلت في نفسي : هذه والله أخرى إن صدق الفأل ليصبن الله عليهم سوط عذاب وليدمدمن الله عليهم كما دمدم على هذه القرون من قبلهم .

فلما قضى أبو عبيدة صلاته أقبل على الناس بوجهه فقال أيها الناس أبشروا فإني رأيت في ليلتي هذه فيما يرى النائم كأن رجالاً أتوني فحفوا بي وعلي ثياب بيض ، ثم دعوا لي رجالاً منكم أعرفهم ، ثم قالوا لنا : أقدموا على عدوكم ولا تهابوهم فانكم الأعلون ، وكأنا مضينا إلى عسكر عدونا ، فلما رأونا قاصدين اليهم انفرجوا لنا انفراج الرأس ، وجئنا حتى دخلنا عسكرهم ، وولوا مدبرين ، فقال له الناس : أصلحك الله نامت عينك هذه بشرى من الله بشرك بخير ، وقال أبو مرثد الخولاني : وأنا أصلحك الله قد رأيت رؤيا إنها لبشرى من الله ، فاني رأيت في هذه الليلة فيما يرى النائم كأنا خرجنا إلى عدونا فلما تواقفنا صب الله عليهم من السماء طيراً بيضاً عظاماً ، لها مخالب كمخالب الأسد ، وهي تنقض من السماء انقضاض العقبان فاذا أحاطت بالرجل من المشركين ضربته ضربة يخر منها متقطعاً ، وكان الناس يقولون أبشروا معاشر المسلمين فقد أيدكم الله عليهم بالملائكة ، قال فتباشر المسلمون بهذه الرؤيا وسروا بها ، فقال أبو عبيدة : هذه والله بشرى من الله ، فحدثوا بهذه الرؤيا الناس فان مثلها من الرؤيا ما يشجع المسلم ويحسن ظنه وينشطه للقاء عدوه ، قال : وانتشرت هذه الرؤيا ورؤيا أبي عبيدة في المسلمين واستبشروا بها .

وحدثني أبو جهضم الأزدي عن رجل من الروم أن رجلاً من عظماء الروم أتى باهان في صبيحة الليلة التي خرج الى المسلمين ، فقال : إني قد رأيت رؤيا

---

(١) سورة الشمس – الآيات : ١ – ١٥ .

أريد أن أحدثك بها ، قال : هاتها ، قال : رأيت كأن رجالاً نزلوا إلينا من السماء طول أحدهم أبعد من مد بصره ، فنزعوا سيوفنا من أغمادها ، وأسنة رماحنا من أطرافها ، ثم لم يدعوا منا رجلاً إلا كتفوه. ثم قال (١) لنا : اهربوا وأكثركم هالك ، فأخذنا نهرب فمنا من يسقط على وجهه ، ومنا من يتلبد لا يستطيع أن يبرح من مكانه ، ومنا من يحل كتافه ثم يسعى حتى لا نراه .

قال له باهان : أما من رأيت يسقط على وجهه ، ومن رأيته يتبلد لا يطيق أن يسعى ولا يتنحى من مكانه فهم الذين يهلكون وأما الذين رأيت يحلون كتافهم ويسعون فلا تراهم أولئك الذين ينجون ، ثم قال له باهان : أما أنت فوالله لا تسلم مني أبداً فوجهك الوجه الذي بشر بالشر ، وقنط من الخير ، ألست أنت الذي كنت أشد الناس علي في أمر الرجل الذي قتل رجلاً من أهل الذمة ، فأردت أن أقتله فكنت أنت من أشد الناس علي في أمره ، حتى عطلت حداً من حدود الله ، وتركته ، وكان علي من الحق أن أقيمه فحلت بيني وبينه في جماعة من السفهاء وتركته كراهية أن أفرق جماعتكم ، وأن أفرق بينكم أو أن يضرب بعضكم بعضاً ، فأما الآن فقد حدثت نفسي بالموت ، وإنما ألقى القوم عن ساعة فان شئتم الآن فتفرقوا ، وإن شئتم فاجتمعوا ، وأنا أتوب إلى الله من ترك ذلك الحد يومئذ ، فانه لم يكن يسعني ولا ينبغي لي إلا قتله ولو قتلتموني معه ، ثم أمر به فضربت عنقه ، قال : وطلب الرومي الذي كان قتل الذمي فهرب منه فلم يقدر عليه .

قال أبو جهضم : فسألت الرومي ما كان من قصة ذلك الذمي ، فقال : ان بطريقاً من بطارقة الروم نزل بيت رجل من أهل الذمة ، وكان عظيماً من عظمائهم وأشدائهم فوقع على امرأة الذمي فنكحها ، فجاء زوجها ليمنعه فقتله ، فخرج أخوه فاستعدى عليه أميرهم الأعظم باهان وأخبره خبره ، فدعاه باهان

---

(١) في حاشية الاصل : لعله قالوا : وهذا ما ورد في الازدي : ٢١٥ .

فقال : أحق ما يزعم هذا ؟ قال : نعم ، قال : وما حملك على ما صنعت ؟قال: انما هي أمتي ، وانما زوجها عبـــدي أفيمنعني أن أقضي أربي من أمتي ، أوتريد أن تقتلني بعبدي؟فقال له باهان : في الحق أن أقتلك،وأن أمنع نساءهم من أشباهك ، فقام رجل كبير من سفهاء الروم وشرارهم ، فقال : أتقتل رجلاً من عظمائنا وأشرافنا بعبد من عبيده ؟ فمنعوه من ذلك ، وكان ذلك الرجل الذي قتله باهان من أشدهم يومئذ على باهان ، فقال لهم باهان : أما أنتم فقد أتيتم أمراً عظيمـــاً وعصيتم ربكم وأغضبتموه عليكم ، واذا غضب على قوم فهو ينتقم منهم ، ثم كف عنهم فقال أخو المقتول : أمـــا اذا لم تعدني عليهم فاني استعدي عليهم ملك السماء .

وعن راشد بن عبد الرحمن الأزدي قال : فخرج إلينا باهان يوم اليرموك في يوم ذي ضباب في عشرين صفاً ، وهم في نحو من أربعمائة ألف مقاتل فجعل ابن قناطر في ميمنته وجعل معه جرجير صاحب أرمينية ، وجعل الدرنجـــار في ميسرته ، وكان من نساكهم ثم زحف إلى المسلمين مثل الليل والسيل ، وأصبح المسلمون طيبة أنفسهم بقتال المشركين ، وقد شرح الله صدورهم ، وشجع قلوبهم على لقاء عدوهم ، فهم أشد شيء بصيرة، وأحسنه نية، وأعظمه حسبة وأحرصه على لقائهم ، فأخرجهم أبو عبيدة وجعل على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسرته قباث بن الأشيم وجعل على الرجالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وجعل على الخيل خالد بن الوليد،وكان الأمراء : يزيد بن أبي سفيان على ربع وشرحبيل بن حسنة على ربع ، وعمرو بن العاصي على ربع ، وكان أبو عبيدة على ربـــع ، وخرج الناس على راياتهم وفيها أشراف العرب وفرسانهم من رجالهم وقبائلهم ، وفيهـا الأزد، وهم ثلث الناس ، وفيها حمير وهم عظم الناس ، وفيها همدان وخولان، ومذحج وخثعم وقضاعة ، ولخم وجذام وعاملة وغسان وكندة وحضرموت ، ومنهم جماعة من كنانة ، ولكن عظم الناس أهل اليمن ولم تحضرهـــا يومئذ

لا تميم ولا ربيعة ولم تكن دارهم هنالك ، إنما كانت دارهم عراقيـة ، فقاتلوا أهل فارس بالعراق .

فلما برز المسلمون إليهم سار أبو عبيدة في المسلمين ، ثم قال : يا عباد الله : انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، فإن وعد الله حق يامعشر المسلمين، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ، ومرحضة للعار [١] ـ أي مغسلة ـ فلا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم بخطوة ولا تبدؤوهم بقتال ، واشرعـوا الرماح واستتروا بالدرق والزمـوا الصمت إلا من ذكر الله ، حتى آمركم إن شاء الله .

قال : وخرج معاذ يقص على الناس، ويقول لهم: يا قراء القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى ، وأولياء الحق إن رحمة الله لا تنال : وجنته لا تدخل بالآمال ، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بماوعدهم الله ، ألم تسمعوا لقول الله تعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم [٢] ﴾ إلى رأس الآية ، أنتم إن شاء الله منصورون ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعـوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [٣] واستحيوا من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضته ورحمته وليس لأحد منكم ملجـأ ولا منجى [٤] من دونه ، ولا متعزز بغير الله، وجعل يمشي في الصفوف ويحرضهم ويقص عليهم ، ثم انصرف إلى موضعه .

قال: ومر عمرو بن العـاصي على الناس يومئذ فجعل يعظهم ويقص عليهم

---

(١) في الازدي : ٢١٨ « ومدحضة للعار » أي مشلة وهو تصحيف واضح .

(٢) سورة النور ـ الآية : ٥٥ .

(٣) سورة الانفال ـ الآية : ٤٦ .

(٤) في الازدي : ٢١٩ : ملتجأ ، وهو تصحيف .

ويحرضهم ، ويقول : أيها الناس : غضوا أبصاركم واجثوا على الركب وأشرعوا الرماح ، والزموا مراكزكم ومصافكم ، فإذا حمل عليكم عدوكم فامهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنـــة فثبوا في وجوههم وثوب الأسد ، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ، ويمقت الكذب ، ويعاقب عليه ، ويجزي بالإحسان لقد بلغني أن المسلمين سيفتتحونها كفراً كفـــراً [١] وقصراً قصراً ، ولا يهولنكم جموعهم ولا عددهم فإنكم لو صدقتموهـــم الشدة لقد ابذعروا ابذعرار أولاد الحجل [٢] .

وعن ثابت عن سهل بن سعد الأنصاري : أن أبا سفيـان بن حرب استأذن عمر بن الخطاب في جهاد الروم بالشام ، فقال له : إني أحب أن تأذن لي فأخرج إلى الشام متطوعاً بمالي فأنصر المسلمين ، وأقاتل المشركين ، وأحض جماعة من هناك من المسلمين فلا آلوهم نصيحة ولا خيراً ، فقال لي عمر : قد أذنت لك يا أبا سفيان ، تقبل الله جهادك ، وبارك لك في رأيك ، وأعظم أجرك فيما نويت من ذلك ، فتجهز أبو سفيان في أحسن الجهاز وأحسن هيئة ، ثم خرج وصحبـــه أناس من المسلمين كثير كانوا خرجوا متطوعين فأحسن أبو سفيان صحبتهم حتى قدموا على جماعة المسلمين .

فلما كان يوم خرج المسلمون إلى عدوهم باليرموك كان أبو سفيان يومئذ يسير في الناس ، ويقف على أهل كل راية ، وعلى كل جماعة فيحرض الناس ويحضهم ويعظهم ، ويقول إنكم يا معشر المسلمين أصبحتم في دار العجم منقطعين عـن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتم بإزاء عـدو كثير عددهم ، شديد حنقهم عليكم ، وقد وترتموهم في أنفسهم ونسائهم وأولادهم

---

(١) أي بلدة بلدة .

(٢) أي تفرقوا وتبددوا . النهايـــة لابن الأثير ، وفي الأزدي : « انذعروا انذعار » وهو تصحيف زاده جهلاً ما جاء من شرح الحاشية لأولاد الحجل قوله : « صغار الإبل » .

وأموالهم وبلادهم ، فلا والله لا ينجيكم منهم اليوم ، ولا تبلغوا رضوان الله إلا بصدق اللقاء والصبر في مواطن المكروه ، فامتنعوا بسيوفكم وتقربوا إلى خالقكم، ولتكن هي الحصون التي إليها تلجأون وفيها تمتنعون، قال : وقاتل أبو سفيان يومئذ قتالاً شديداً ، وأبلى بلاء حسناً .

قال : وزحف الروم إلى المسلمين وهم يزفون زفاً ومعهم الصلبان ، وأقبلوا بالأساقفة والقسيسين والرهبان والبطارقة والفرسان ، ولهم دوي كدوي الرعد، وقد تبايع عظمهم على الموت ، ودخل منهم ثلاثون ألفاً ، كل عشرة في سلسلة ، لأن لا يفروا ، فلما نظر إليهم خالد بن الوليد مقبلين أقبل على نساء المسلمين وهن على تل مرتفع في العسكر فقال : يا نساء المسلمين : أيما رجل أدركتنه منهزماً فاقتلنه فأخذن الخناجر[1] ، ثم أقبلن نحو المسلمين ، فقلن لستم بعولتنا ان لم تمنعونا اليوم .

وأقبل خالد بن الوليد إلى أبي عبيدة فقال : إن هؤلاء قد أقبلوا بعدد وحد وجد وإن لهم لشدة لا يردها شيء، وليست خيل المسلمين بكثيرة ولا والله لا قامت خيلي لشدة حملتهم وخيلهم ورجالتهم أبداً ، وخيل خالد يومئذ أمام صفوف المسلمين ، والمسلمون ثلاثة صفوف ، قال خالد : فقد رأيت أن أفرق خيلي فأكون أنا في إحدى الخيلين ، ويكون قيس بن هبيرة في الخيل الأخرى ، ثم تقف خيلنا من وراء الميمنة والميسرة ، فإذا حملوا على الناس، فإن ثبت المسلمون فالله ثبتهم وثبت أقدامهم ، وإن كانت الأخرى حملت عليهم خيولنا وهي جامة[2] على ميمنتهم وميسرتهم وقد انتهت شدة خيلهم وقوتها وتفرقت جماعتهم ، ونقضوا صفوفهم وصاروا نشراً ، ثم نحمل عليهم وهم على

---

(١) في الحاشية : لعله العناهر ، ووافق ما جاء هنا ما أورده الأزدي : ٢٢١ ، ومع ذلك فإن العناهر هي الأصح ، وسيرد ذلك فيما يلي مع شرحها « العناهر : عمد البيوت ».

(٢) أي مرتاحة .

تلك الحال، فأرجو عندها أن يظفر الله بهم ويجعل دائرة السوء عليهم .

وقال لأبي عبيدة : قد رأيت لك أن توقف سعيد بن زيد موقفك هـــذا ، وتقف أنت بجذائه من ورائه في جماعة حسنة، فتكون رداً للمسلمين، فقبل أبو عبيدة مشورته ، وقال : افعل مـا أراك الله ، وأنا فاعل ما ذكرت ، فأمر أبو عبيدة سعيد بن زيد فوقف في مكانـــه ، وركب أبو عبيدة فسار في الناس يحرضهم ، وأوصاهم بتقوى الله ، ثم انصرف فوقف من وراء الناس رداً لهم .

وأقبلت الروم كقطع الليل حتى إذا حاذوا الميمنة ، نادى معـــاذ بن جبل الناس فقال : ياعباد الله المسلمين إن هؤلاء قد تيسروا للشدة عليكم ، ولا والله لا يردهم إلا صدق اللقاء والصبر في البأساء ، ثم نزل عن فرسه وقال : من يريد أن يأخذ فرسي ويقاتل عليه فليأخذه، فوثب إليه ابنه عبدالرحمن بن معاذ وهو غلام حين احتلم ، فقال يا أبة إني لأرجو أن أكون أنا فارساً أعظم غناء عـــن المسلمين مني راجلاً ، وأنت يا أبة راجلاً أعظم غناء منك فارساً ، وعظم المسلمين رجالة ، وإذا رأوك صابراً محافظاً صبروا إن شاء الله وحافظوا ، فقال له معاذ : وفقني الله وإياك يابني لما يحب ويرضى ، فقاتل معاذ وابنه قتالاً مـا قاتل مثله كثير من المسلمين ثم إن الروم تحاضوا وتداعت وقصت عليهم الأساقفة والرهبان وقد دنوا من المسلمين ، فإذا سمع ذلك معاذ منهم قال : اللهم زلزل أقـــدامهم وأرعب قلوبهم ، وأنزل علينا السكينة وألزمنا التقوى ، وحبب إلينا اللقاء ورضّنا بالقضاء .

قال : وخرج باهان صاحب الروم فجال في أصحابه وأمرهم بالصبر والقتال دون ذراريهم وأموالهم وسلطانهم وبلادهم ، ثم بعث إلى صاحب الميسرة أن احمل عليها ، وكان عليهـا الدرنجار ، وكان متنسكاً فقالت البطارقة والرؤوس الذين معه قد أمـركم أميركم أن تحملوا عليهم ، وتهيأت البطارقة ، ثم شدوا على أهل الميمنة وفيها الأزد ومذحج وحمير وحضرموت وخولان فثبتوا حـــين

صدموا ، واقتتلوا قتالاً شديـــداً ، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال فأزالوا المسلمين عن الميمنة إلى ناحية من القلب ، وانكشفت طائفـــة من المسلمين إلى العسكر وثبت عظم الناس ، فلم يزولوا وقاتلوا تحت راياتهم فلم ينكشفوا، ولم تنكشف زبيد يومئذ وهي في الميمنة وفيهم الحجاج بن عبد يغوث أبو عمرو بن الحجاج، فنادى ياخيفان ياخيفان فاجتمعوا إليه ، ثم شدوا على الروم وهم في نحـــو من خمسمائة رجل شدة شديدة فلم يتنهنهوا حتى خالطوا الروم ، ثم قاتلوا قتالاً شديداً ، وشغلوهم عن اتباع من انكشف من المسلمين، وشدت عليهم حضرموت وحمير وخولان بعد ما كانوا زالوا، ثم رجعوا إلى مواقفهم حتى وقفوا في الصف حيث كانوا ، واستقبل النساء منهزمة المسلمين ومعهن العناهر ، قال : والعناهر عمد البيوت ، فأخذن يضربن بها وجوههم .

وعن ثابت عن سهل بن سعد قال : أخذت خولة ابنة ثعلبـــة بن مالك بن الدخشم عموداً من تلك العمد ، ثم أقبلت نحو المنهزمة وهي ترتجز وتقول :

يا هارباً عن نسوة تقيات رميت بالسهم وبالمنيات [1]
فعن قليل ما ترى سبيات غير حظيات ولا رضيات

قال : وثبتت الأزد وقاتلت قتالا شديداً لم يقاتل مثله أحد من تلك القبائل وقتل منهم مقتلة لم يقتل مثلهـــا من القبائل وقتل يومئذ عمرو بن الطفيل ذي النور ، وهو يقول : يا معشر الأزد لا يؤتين المسلمون من قبلكم ، وأخـــذ يضرب بسيفه متقدماً عليهم وهو يقول :

قد علمت دوس ويشكر تعلم أني إذا الأبيض يومـــاً مظلم
وعرد [2] النكس وفر الأبهم أني عفرناً [3] في الوقاع ضيغم

(١) في الحاشية ما يفيد في رواية أخرى : رمين بالشام وبالثنيات ، ووافق ما جاء هنا ما أورده الأزدي : ٢٢٣ .
(٢) عرد : هرب : القاموس .
(٣) العفرن : الهزبر . القاموس .

فقاتل قتالا شديدا وقتل رحمه الله ، وقتل من أشدائهم تسعة ثم قتل هو رحمه الله .

وقال جندب بن عمرو بن حمثة ورفع رايته يا معشر الأزد انه لا يبقى منكم ولا ينجو من الإثم والعار إلا من قاتل ألا وإن المقتول شهيد ، والخائب من هرب اليوم ، ثم أخذ يقول :

يا معشر الأزد احتداد[1] الأقيال
هيهات هيهات وفوت الحال
لا يمنع الراية إلا الأبطال

وقاتل حتى قتل رحمه الله .

ونادى أبو هريرة : يا مبرور يا مبرور ، فأطافت به الأزد .

وعن عبد الله بن سراقة قال : انتهيت إلى أبي هريرة وهو يقول : تزينوا للحور العين ، وارغبوا في جوار ربكم في جنات النعيم ، فما أنتم إلى ربكم في موطن من مواطن الخير أحب إليه منكم في هذه المواطن ، ألا وإن للصابرين فضلهم ، قال : فأطافت به الأزد ثم اضطربوا هم والروم ، فوالذي لا إله إلا هو لرأينا الروم وإنها لتدور بهم الأرض وهم في مجال واحد كما تدور الرحى ، وما برحوا ولا زالوا ، وركبهم من الروم أمثال الجبال ، فما رأيت موطناً قط أكثر قحفاً ساقطاً ومعصماً نادراً[2] وكفاً طائحة من ذلك الموطن ، وقد والله أوصلناهم شراً وأوصلونا ، فنحن في ذلك وكان جل القتال في الميمنة ، وإن القلب ليلقون مثل ما نلقى ، ولكن حمة القوم وجدهم وحردهم ، وحقدهم علينا ، وكنا في آخر الميمنة فقد لقينا من قتالهم ما لم يلق أحد مثله ، فوالله إنا

(١) أي : بأس ونزق الأقيال ، والأقيال هم السادة .
(٢) مبتوراً .

لكذلك نقاتلهم وقد دخل عسكرنا منهم نحو من عشرين ألفـــاً من ورائنا ، فعصمنا الله من أن نزول .

قال : وحمل عليهم خالد بن الوليد فقصف بعضهم على بعض وشدخ منهم في العسكر نحواً من عشرة آلاف رجل ودخل سائرهم بيوت المسلمين في العسكر مجرحين وغير مجرحين ، ثم خرج خالد في خيله يكرد[1] ويقتل كل من كان قريباً منا من الروم من عسكرنا ، حتى إذا حاذانا ألف خالد خيله بعضها الى بعض، ثم قال : يا أهل الاسلام إنه لم يبق عند القوم من الجد والقتال إلا مـــا قد رأيتم فالشدة الشدة ، فوالذي نفسي بيده ليعطينكم الله الظفر الساعة عليهم ، فجعل لا يسمع هذا القول من خالد أحد من المسلمين الا شجعه عليهم ، ثم ان خالداً اعترض الروم وإلى جنبه منهم أكثر من مائة ألف ، فحمل عليهم وما هو إلا في نحو من ألف فارس ، قال : فوالله ما بلغتهم الحملة حتى فض الله جمعهم ، وقال : وشددنا على من يلينا منهم من رجالتهم ، فانكشفوا واتبعناهم نقتلهم كيف شئنا ما يمتنعون من قبل ميمنتنا لميسرتهم .

قال : ثم ان خالداً انتهى الى الدرنجار ، وقد قال لأصحابه : لفوني بالثياب فليت أني لم أقاتل هؤلاء القوم ، فلفوه بالثياب وقال : لوددت أن الله عافاني من حرب هؤلاء القوم ولم أرهم ولم يروني ولم أنصر عليهم ولم ينصروا علي، وهذا يوم سوء ، فما شعر حتى غشيه المسلمون فقتلوه ، وقال ابن قناطر وهو في ميمنة الروم لجرجير صاحب أرمينية . احمل عليهم ، فقال له : أنت تأمرني أن أحمل عليهم ، وأنا أمير مثلك ؟ فقال له ابن قناطر ، أنت أمير وأنا أمير فوقك، وقد أمرت بطاعتي ، فاختلفا ، قال : ثم ان ابن قناطر حمل على المسلمين حملة شديدة على الميسرة وفيها كنانة وقيس ولخم وجذام وخثعم وغسان وقضاعة وعاملة ،

---

(١) يكردهم بسيفه : يكفهم ويطردهم . النهاية لابن الأثير .

وهم فيما بين ميسرة المسلمين الى القلب ، فانكشف المسلمون وزالت الميسرة عن مصافها، وثبت أهل الرايات وأهل الحفاظ فقاتلوا قتالاً شديداً ، وركبت الروم أكتاف من انهزم من المسلمين حتى دخلوا معهم العسكر فاستقبلتهم نساء المسلمين بالمناهر يضربن بها وجوههم .

وعن حنظلة بن حوية قال : والله إنا لفي الميسرة إذ مـــر بنا رجال من الروم على خيل من خيل العرب لا يشبهون الروم ، وهم أشبه شيء بنا ، فـلا أنس قول قائل منهم : يا معشر العـرب الحقوا بوادي القرى ويثرب ، قال : وهو يقول :

في كل حين خيلنـا تغير نحن لنـا البلقاء والسدير
هيهات يأبى ذلك الأمير والملك المتوج المحبـــور

قال : فحملت عليه وحمل علي فاضطربنا بسيفينا فلم يغنيا شيئاً ، قال : ثم اعتنقنا فخررنا جميعاً فاعتركنا ساعة ثم إنا تحاجزنا،فنظرت الى عنقه وقد بدأ منها مثل شراك النعـــل ، فمشيت اليه فاعتمدت ذلـك الموضع بسيفي فوالله ما أخطأته فقطعته ، وصرع فضربته حتى قتلته ، وأقبلت الى فرسي وقد كان عار وإذا فرسي قد حبسوه علي، فأقبلت حتى ركبته .

قال : وقاتل قباث بن الأشيم يومئذ قتالاً شديداً، وأخذ يقول :

إن تفقدوني تفقدوا خير فارس لدى الغمرات والرئيس المحاميا
وذا فخرة لا يملأ الهول صـــدره ضروباً بنصل السيف أروع ماضيا

وكسر في القوم يومئذ ثلاثة أرماح وقطع سيفين ، وأخذ يقول كلما قطع سيفاً ، أو قطع رمحاً : من يعين بسيف أو برمح في سبيل الله رجـــلاً قد حبس نفسه مع أولياء الله ، وقد عاهد الله ألا يفر ولا يبرح يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت ، وكان من أحسن الناس بلاء يومئذ .

ونزل أبو الأعور السلمي فقال : يا معشر قيس خـــذوا بحظـكم من الصبر والأجر ، فان الصبر في الدنيا عـز ومكرمة ، وفي الآخرة رحمـة وفضيلة ، فاصبروا وصابروا .

وعن حبيب بن مسلمة قال : اضطررنا يوم اليرموك الى سعيد بن زيد فلله سعيد ، ما سعيد يومئـــذ الا مثل الأسد جثا والله على ركبتيه ، حتى اذا دنوا وثب في وجوههم مثل الليث ، فطعن برايته أول رجل من القوم فقتله ، وأخذ والله يقاتل راجلاً قتال الرجل البئيس الشجاع فارساً.

قال : وكان يزيد بن أبي سفيان من أعظم الناس غناء وأحسنهم بـــلاء هو وأبوه جميعاً ، وقد كان أبوه مر به وهو يحرض الناس ويعظهم ، فقال : يا بني إنك تلي من أمر المسلمين طرفاً ويزيد حينئذ على ربع الناس ، وانه ليس بهذا الوادي رجل من المسلمين الا وهـو محقوق بالقتال فكيف بأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ، أولئك أحق الناس بالجهاد والصبر والنصيحة ، فاتق الله يا بني وأكرم في أمرك ، ولا يكونن أحـد من أصحابك أرغب في الآخرة ، ولا في الصبر ولا في الحرب ، ولا أشد نكاية في المشركين ، ولا أجهد على عدو الاسلام ولا أحسن بلاء منك ، فقال : أفعل والله يا أبة ، فقاتل يزيد في الجانب الذي كان فيه قتالاً شديداً .

قال : وشد على عمرو بن العاصي جماعة من الروم فانكشف عنـه أصحابه وثبت عمرو وجالدهم طويـــلاً ، وقاتل قتالاً شديداً ، ثم ان أصحابـه تراجعوا اليه .

قال : فسمعت أم حبيبة ابنة العاصي ، وإنها لتقول : قبح الله رجلاً يفر عن حليلته وقبح الله رجلاً يفر عن كريمته .

قال : وسمعت نسوة من المسلمين يقلن : قاتلوا أيهـا المسلمون فلستم بعولتنا

ان لم تمنعونا، وأخذن العناهر، فكلما مر بهن منهزم من المسلمين حملن عليه حتى يضربن وجهه ، ويرددنه الى جماعة المسلمين .

وقاتل شرحبيل بن حسنة في ربعه الذي كان فيه قتالاً شديداً ، وكان وسطا من الناس الى جنب سعيد بن زيد ، وجعل ينادي ، ويقول : ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنـــة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً ﴾[1] الى آخر الآية ، ثم يقول : اين الشارون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله ، أين المشاؤون الى جوار الله غـــدا في داره ؟ فاجتمع اليه ناس كثير ، وبقي القلب لم ينكشف فيه أهله الذين كانوا مع سعيد بن زيد .

وكان أبو عبيدة من وراء ظهور المسلمين ردءاً لهم ، فلما رأى قيس بن هبيرة أن خيل المسلمين مما يلي الميسرة قـــد شدت عليهم الروم ، اعترض قيس الروم بخيله تلك وهي شطر خيل خـالد بن الوليد ، فقصف بعضهم على بعض،ورجع المسلمون في آثار الروم يقاتلونهم وحمل خالد بن الوليد على من يليه من الروم في ميمنة المسلمين يحمل عليهم ففرقهم حتى اضطرهم الى صفوفهم ، فلما رأى خالد أن قيس بن هبيرة قد كشف من يليه من الروم ، وأن المسلمين قد شدوا عليهم حمل خالد على من يليه من الروم فقصف بعضهم على بعض ، وزحف المسلمون اليهم بجماعتهم رويداً رويداً ، حتى اذا دنوا منهم حمـلوا عليهم فجعلت الروم ينقضون صفوفهم وينهزمون .

وبعث أبو عبيدة إلى سعيد بن زيد أن احمل عليهم ، فحمل عليهـم ، وشد المسلمون عليهم بأجمعهم ، فضرب الله وجوه الروم ، ومنـح المسلمين أكتافهم يقتلونهم كيف شاؤوا ، وجعلوا لا يمتنعون من أحد من المسلمين ، وانتهى خالد ابن الوليد إلى الدرنجار ، وقـــد كان أمر أصحابه أن يلفوا رأسه بكساء ،

---

(١) سورة التوبة ـ الآية: ١١١ .

فقال خالد : إني كنت لأحب أن أراه فضربه المسلمون حتى قتلوه ، وإنه لملفف رأسه بكساء ، وكان كارهاً لقتال المسلمين لما كان يجد صفتهم ونعتهم في الكتب ، وكان يقرؤها ، وكان من نساكهم .

قال : واتبعهم المسلمون يقتلونهم كل قتلة ، وركب بعضهم بعضاً حتى انتهوا إلى مكان يشرف على أهوية تحتهم ، وأخذوا يتساقطون فيها ولا يبصرون ، وهو يوم ذو ضباب ، فأخذوا لا يعلم آخرهم ما يلقى أولهم ، وهم يرتكسون فيه حتى سقط فيها نحو من مائة ألف رجل ما أحصوا إلا بالقصب ، وبعث أبو عبيدة شداد بن أوس بن ثابت ابن أخي حسان بن ثابت فعدهم من الغد بعد الوقيعة بيوم ، فوجد من سقط في تلك الأهوية حين عدهم بالقصب أكثر من ثمانين ألفاً ، فسميت تلك الأهوية الواقوصة حتى اليوم ، لأنهم وقصوا فيها وما فطنوا بتساقطهم فيها حتى انكشف الضباب ، وأخذوا في وجه آخر ، وقتل المسلمون منهم في المعركة بعد ما أدبروا نحواً من خمسين ألفاً ، واتبعهم خالد على الخيل يقتلهم في كل واد ، وكل شعب ، وفي كل جبل ، وفي كل ناحية ، فلم يزل يقتلهم حتى انتهى إلى دمشق ، فخرج إليه أهل دمشق فاستقبلوه ، وقالوا له : نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم ، فقال لهم خالد : نعم أنتم على عهدكم ، ثم اتبعهم خالد فجعل يقتلهم في القرى وفي الأودية ، وفي الجبال حتى انتهى إلى حمص ، فخرج إليه أهل حمص ، فقالوا له مثل ما قال أهل دمشق ، وقال لهم : نحن على ما كان بيننا وبينكم ، وأقبل أبو عبيدة على قتلى المسلمين رحمهم الله ، وجازاهم عن الإسلام وأهله خيراً فدفنهم .

فلما فرغ من ذلك جاء النعمان بن محمية ذو الأنف الخثعمي ، فقال : اعقد لي على قومي ، فعقد له عليهم ، وكان من شأنه أنه أتاه رجل من قومه من بني عمرو يدعى ابن ذي السهم ، وقد رأسته خثعم وولوه عليهم ، فاختصموا إلى أبي عبيدة في الرئاسة فأخرهم أبو عبيدة إلى أن يفرغوا من حربهم ويناجزوا عدوهم من

الروم ، ثم ينظر في أمرهم ، فلمـــا التقى الناس واقتتلوا قتل ابن ذي السهم واستشهد يومئذ فعقد أبو عبيدة للنعمان بن محمية ذي الأنف على خثعم .

قال : وجاء الأشتر مالك بن الحارث النخعي ، فقال لأبي عبيدة : اعقد لي على قومي فعقد له ، وكانت قضيته مثل قضية الخثعمي ، وكان مالك بن الحارث النخعي أتى قومـــه وعليهم رجل منهم ، فخاصمهم الأشتر في الرئاسة إلى أبي عبيدة ، فدعا أبو عبيدة النخـع ، فقـال : أي هذين أرضى فيكم وأعجب إليكم أن يرأس عليـكم ؟ قالوا : كلاهما شريف وفينا رضي وعندنا ثقة ، فقال أبو عبيدة : كيف أصنع بكما ؟ ثم أقبل على الأشتر ، فقـال : أين كنت حين عقدت لهذا الراية ؟ قال : كنت بالمدينة عند أمير المؤمنين ، ثم أقبلت إليكم ، قال : فقدمت على هذا وهو رأس أصحابك ؟ قال : نعم ، قال : فإنه لا ينبغي لك أن تخاصم ابن عمك وقد رضيت به جماعة قومك قبل قدومك عليهم ، قال الأشتر : فإنه رضي شريف وأهل ذلك هو ، وأنا أهل للرئاسة أيضاً فليعقبني من رئاسة قومي فأليهم كما وليهم هذا ، فقال أبو عبيدة : فأخروا ذلـك اليوم حتى تكون هذه الوقعة ، فإن استشهدتما جميعاً فما عند الله خير لكما ، وإن هلك أحدكما وبقي الآخر كان الباقي منكما الرأس على قومه ، وإن بقيتما جميعاً اعقبناك منه إن شاء الله تعالى ، قال الأشتر : فقد رضيت ، فلما كانت الوقعـة استشهد فيها رأس النخع الأول .

قال : وحدثني أبو عبـد الله بن الحسين أن الأشتر كان من جلداء الرجال ، ومن أشدائهم وأهل القوة والنجدة ، وأنـه قتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلاً من بطارقتهم ، وقتل منهم ثلاثة مبـارزة ، وأقبل الأشتر مع خالد حين طلب الروم وحين انهزموا فلما بلغوا ثنية العقاب من أرض دمشق ، وهي التي يهبط الهابط منهـا من قبل حمص ، فيقع في الغوطة غوطة دمشق ، وعلى ثنية العقاب جماعة عظيمة من الروم ، فلما انتهوا إلى تلك الجماعة من الروم ،

أقبلوا يرمون المسلمين من فوقهم بالصخر ، فتقدم اليهم الأشتر في رجال من المسلمين ، واذا أمام الروم رجل من عظمائهم وأشدائهم ، وهو عظيم جسيم ، فمضى اليه الأشتر ، فلما دنا منه وثب الأشتر فاستوى هو والرومي على صخرة مستوية ، فاضطربا بسيفيهما ، فضرب الأشتر كف الرومي فأطار كف الرومي ، وضرب الرومي الأشتر بسيفه فلم يضره شيئاً ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه ، ثم دفعه الأشتر من فوق الصخرة فوقعا منها ، ثم تدحرجا فأخذ الأشتر يقول ، وهو في ذلك ملازم العلج لا يتركه ، وهما يتدحرجان : « ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »[1] فلم يزل يقول ذلك حتى انتهيا إلى موضع مستو من الجبل وقرار ، فلما استقرا جميعاً وثب الأشتر على الرومي فقتله . ثم صاح في الناس : أن جوزوا فجاز الناس ، فلما رأت الروم أن صاحبهم قد قتله الأشتر خلوا سبيل العقبة للناس ، ثم انهزموا ، وأقبل أبو عبيدة في إثر خالد حتى انتهى الى حمص ، فامر خالداً أن يتقدم إلى أرض قنسرين [2] .

وعن ابن اسحاق قال : لما دخل أبو عبيدة بن الجراح دمشق شتى بها ، فلما أصافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل أنطاكية ، ومعه من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبلي وعاملة ، وتلك القبائل من قضاعة وغسان بشر كثير ، ومعه من أهل أرمينية مثل ذلك ، فلما نزلها أقام بها ، وبعث الصقلار خصياً له فسار بمائة ألف مقاتل معه من أهل ارمينية اثنا عشر ألفاً عليهم جرجة ، ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاعة اثنا عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم الغساني وسائرهم من الروم ، وعلى جماعة الناس الصقلار خصي هرقل وسار اليهم المسلمون وهم أربعة وعشرون ألفاً عليهم أبو عبيدة بن الجراح ،

---

(١) سورة الأنعام ـ الآيتان : ١٦٢ – ١٦٣ .

(٢) مصدر مؤرخنا في أخبار ما ساقه حول اليرموك هو الازدي : ١٤٩ – ٢٣٤ .

فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة ، فاقتتل النـاس قتالاً شديداً حتى دخل عسكر المسلمين ، وقاتل نساء من قريش بالسيوف حين دخـل العسكر منهن أم حكيم ابنة الحارث بن هشام حتى سابقن الرجال ، وقد كان انضم الى المسلمين حين ساروا الى الروم ناس من لخم وجذام ، فلما رأوا جد القتال فروا ونجوا الى ما كان قربهم من القرى وخذلوا المسلمين .

وعن عروة بن الزبير قال : قال قائل من المسلمين حين رأى من لخـم وجذام ما رأى :

القوم لخم وجذام في الهرب
ونحن والروم بمرج نضطرب
وإن يعودوا بعدها لا نصطحب

ثم إن الله أنزل نصره فهزمت الروم وجموع هرقـل الذي جمع ، فأصيب من الروم أهل أرمينية والمستعربة بسبعين ألفاً ، وقتـل الله الصقلار وباهان ، وقد كان هرقل قدمه مع الصقلار حـين لحق به ، فلمـا هزمت الروم بعث أبو عبيدة في طلبهم فسلك الأعماق [١] حتى بلغ ملطية [٢] فصالحه أهلها على الجزية ، ثم انصرف ، ولما سمع هرقـل بذلك بعث إلى مقاتليها ومن فيها فساقهم اليه وأمر بملطية فاحرقت .

قال : وحدثني عبيد الله بن العباس : أن الهزيمة لما انتهت الى ملك الروم ، وهو بانطاكية ، فكان أول من جاءه رجل من المنهزمة ، فاخبره بهزيمة الروم فقال : قد كنت أعلم أنهم سيهزمونـكم ، فقـال له بعض جلسائه : من أين علمت ذلك أيها الملك ؟ قال : من حيث إنهم يحبون المـوت كما تحبون أنتم

(١) منطقة الاعماق هي منطقة العمق كانت تتبع حلب .
(٢) ملطية بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام . معجم البلدان .

الحياة ويرغبون هم في الآخـــرة أشد من رغبتكم أنتم في الدنيا ، ولا يزالون ظاهرين ما كانوا هكذا ، وليغيرن كما غيرتم ولينقضن كما نقضتم .

وعن عبد الله بن قرط الثمالي ، قال : لما انتهت الى قيصر الهزيمة ، وكان أول من جاءه رجل من الروم قال له : ما وراءك قال له : خير أيها الملك هزمهم الله وأهلكهم ، قال : ففرح بذلك من حوله وسروا ورفعوا أصواتهم ، فقال لهم : ويحكم هذا كاذب وهل ترون هيئة هذا إلا هيئة منهزم ، سلوه مـــا جاء به فلعمري ما هو ببريد ولو لم يكن هـــذا منهزماً ما كان ينبغي له إلا أن يكون مع أميره مقيماً ، فما كان بأسرع من أن جاء آخر ، فقال له : ويحك ما وراءك؟ فقال : هزم الله العدو وأهلكهم ، قال له هرقل : فإن كان الله أهلكهم فما جاء بك ؟ قال : وفرح أصحابه ، وقالوا : صدقك أيها الملك ، قال لهـم : ويحكم أتخادعون أنفسكم إن هؤلاء والله لو كانوا ظهروا أو ظفروا ما جاؤوكم على متون خيولهم يركضون ولسبقهم البريد والبشرى ، قال فإنهم لكذلك إذ طلع عليهم رجل من العرب من تنوخ على فرس له عربية يقـال له حذيفة بن عمرو : وكان نصرانياً ، فقال قيصر : ما أظن خبر السوء إلا عند هذا ، فلما دنا منه ، قال : ما عندك ؟ قال : الشر ، قـال : وجهك الوجه بشر بالشر ، ثم نظر إلى أصحابه فقال : خبر سوء جاء به رجل سوء من قوم سوء ، قال: فإنهم لكذلك إذ جاءه رجل عظيم من عظماء الروم ، فقال له الملك : ما وراءك ؟ قـال الشر هزمنا قال : فما فعل أميركم باهان ؟ قال : قتل ، قال : فلان ، وفلان ، وفلان ، فسمى له عدداً من أمرائه وبطارقته ، وفرسان من الروم ، فقـــال : قتلوا ، فقال له : ولكنـــك والله أنت أخبث وألأم وأكفر من أن تذب عن دين أو تقاتل عن دنيا ، ثم قال لشرطه : أنزلوه فأنزلوه ، فجاؤوا به ، فقـال له : ألست كنت أشد الناس علي في أمر محمد نبي العرب حين جاءني كتابه ورسوله ، وكنت قد أردت أن أجيبه إلى ما دعاني إليه ، وأدخل في دينه ، فكنت أنت

من أشد الناس علي حتى تركت ما أردت من ذلك ، فهلا قاتلت الآن قوم محمد وأصحابه دون سلطاني ، وعلى قدر ما كنت لقيت منك إذ منعتني من الدخول في دينه ، اضربوا عنقه ؛ فقدموه فضربوا عنقه ، ثم نادى في أصحابه بالرحيل راجعاً إلى القسطنطينية ، فلما خرج من الشام وأشرف على أرض الروم ، استقبل الشام ، فقال : السلام عليك يا سورية [1] سلام مودع لا يرى انه يرجع إليك أبدا ، ثم أقبل على أرضه فنظر إليها فقال : ويحك أرضاً ما أنفعك لعدوك لكثرة ما فيك من العشب والخصب والخير .

قال : وحدثني عمر بن عبد الرحمن أن هرقل حين خرج من أنطاكية أقبل حتى نزل الرها ، ثم منها كان خروجه إلى القسطنطينية ، وأقبل خالد في طلب الروم حتى دخل أرض قنسرين ، فلما انتهى إلى حلب تحصن منه أهل حلب ، وجاء أبو عبيدة حتى نزل عليهم فطلبوا إلى المسلمين الصلح والأمان ؛ فقبل منهم أبو عبيدة ، فصالحهم وكتب لهم أماناً .

وعن الحسين بن عبد الله أن الأشتر قال لأبي عبيدة : ابعث معي خيلا أتبع آثار القوم وأمضي نحو أرضهم فإن عندي جزاء وغناء ، فقال له أبو عبيدة : والله إنك لخليق بكل خير فبعثه في ثلاثمائة فارس ، قال له : لا تتباعد في الطلب وكن مني قريباً ، فخرج الأشتر ، فكان يغير منه على مسيرة اليوم واليومين ونحو ذلك ، ثم إن أبا عبيدة دعا ميسرة بن مسروق فسرحه في في ألفي فارس ، فمر على قنسرين في الجبل فأخذ ينظر إليها ، فقال : ما هذه ؟ فسميت له بالرومية ، فقال : إنها لكذلك ، والله كأنها قن نسر ، ثم إنه مضى في آثار الروم حتى قطع الدروب ، وبلغ الأشتر أنه قطع الدروب ، فمضى قبله حتى لحقه فاذا ميسرة مواقف جمعاً من الروم وهم كثير ، وكان ميسرة في

---

(١) في حاشية الاصل : سورية مضمومة مخففة اسم للشام .

ألفي فارس من المسلمين ، وكان أولئك أكثر من ثلاثين ألفا من الروم ، فكان ميسرة قد أشفق على من معه وخاف على نفسه وعلى أصحابه الهلاك ، فانهم لكذلك إذ طلع عليهم الأشتر في ثلاثمائة فارس من النخع ، فلما رآهم أصحاب ميسرة كبروا وكبر الأشتر وأصحابه ، وإن الأشتر حمل عليهم من مكانه ذلك ، وحمل ميسرة عليهم فهزمهم ، وركب بعضهم بعضاً فهزموهم ، وركبوا رؤوسهم واتبعتهم خيل المسلمين يقتلونهم حتى انتهوا إلى موضع مرتفع من الأرض ، فعلوا فوقه ، ونزلت رجالة منهم إلى خيل المسلمين فرموهم ، فوقف المسلمون حين رمتهم رجالة الروم ، وقال بعض المسلمين لبعض دعوهم فانهم قد انهزموا وأخذت الروم يمضون على وجوههم ، وأقبل عظيم من عظمائهم مع رجالة كثيرة من رجالتهم ، فجعلوا يرمون خيل المسلمين وهم على مكان مشرف فإن خيل المسلمين لواقفتهم إذ نزل الى المسلمين رجل من الروم أحمر عظيم جسيم ، فتعرض للمسلمين ليخرج اليه رجل منهم ، قال : فوالله ما خرج اليه رجل منهم ، فقال لهم الأشتر : ما منكم من أحد يخرج الى هذا العلج ؟ فلم يتكلم أحد ، قال : فنزل الأشتر ، ثم خرج اليه فمشى كل واحد منهما الى صاحبه ، وعلى الأشتر الدرع والمغفر ، وعلى الرومي مثل ذلك ، فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه شد الأشتر عليه فاضطربا بسيفيهما ، فوقع سيف الرومي على هامة الأشتر فقطع المغفر ، واسرع السيف في رأسه حتى كاد ينشب في العظم ، ووقعت ضربة الأشتر على عاتق الرومي فلم يقطع شيئاً من الرومي إلا أنه ضربه ضربة شديدة أوهنت الرومي وأثقلت عاتقه ، ثم تحاجزا ، فلما رأى الأشتر أن سيفه لم يصنع شيئاً انصرف فمشى على هينته حتى أتى الصف وقد سال الدم على لحيته ووجهه ، فقال أخزى الله هذا سيفاً وجاءه أصحابه ، فقال علي بشيء من حناء فأتوه به من ساعته ، فوضعه على جرحه ثم عصبه بالخرق ثم حرك لحيته وضرب أضراسه بعضها ببعض،ثم قال: ما أشد لحيي ورأسي وأضراسي،

فقال لابن عم له أمسك سيفي هذا وأعطني سيفـــك ، فقال له : دع لي سيفي رحمك الله فإني لا أدري لعلي احتاج اليه ، فقال أعطنيه ولـــك أم النعمان ، يعني ابنته ، فأعطاه إياه فذهب ليعود الى الرومي ، فقال له قومه : إنا ننشدك الله أن لا تتعرض لهذا العلج ، فقال : والله لأخرجن اليه فليقتلني أو لأقتلنـه ، فتركوه فخرج اليه ، فلما دنا الأشتر منه شد عليه وهو شديـد الخنق فاضطربا بسيفيهما ، فضربه الأشتر على عاتقه فقطع ما عليه حتى خالط السيف رئتـه ، ووقعت ضربة الرومي على عاتق الأشتر فقطعت الدرع ، ثـم انتهت ولم يضره شيئاً ، ووقع الرومي ميتاً وكبر المسلمون ، ثم حملوا على صف رجـالة الروم ، فجعلوا ينتفضون ويرمون المسلمين وهم من فوق فما زالوا كذلك حتى أمسوا ، وحال بينهم الليل .

فلما أمسوا نادى منادي العبسي بالصلاة فلما أقام تقدم ميسرة بن مسروق يصلي بأصحابه ، وتقدم الأشتر بأصحابه فصلى بهم ، وباتوا ليلتهم يتحارسون ، فلما أصبحوا وصلوا الغداة أصبحت الأرض من الروم بلاقع فارتحـــل الأشتر منصرفاً بأصحابه ومضى ميسرة بن مسروق في أثر القوم حتى بلغ مرج القبائل وهي ناحية انطاكية والمصيصة ، ثم انصرف راجعاً .

وكان أبو عبيدة قد أشفق عليهم حين بلغه أنهم قد أدربوا ، وجزع جزعـاً شديداً ، وندم على إرساله اياهم في طلب الروم ، قال : فإنه لجالس في أصحابه مستبطئاً لقدومهم متأسفاً على تسريحه إياهم إذا أتي فبشر بقدوم الأشتر ، وجاءه فحدثه بما كان من أمره ولقائهم ذلك الجيش وهزيمتهم إياهم ، ومـــا صنع الله لهم ، ولم يذكر مبارزة الرومي وقتله اياه حتى أخبره غيره وسأله عن ميسرة بن مسروق وأصحابه فأخبره بالوجه الذي توجه فيه ، وأخبره أنه لم يمنعه من التوجه معه بأصحابه إلا الشفقة على أصحابه ، وأن لا يصابوا بعدما ظفروا ، فقال : قد أحسنت وما أحب الآن أنك معهم ، ولوددت أنهم كانوا معكم .

قال : فدعا ناساً من أهل حلب فقال : اطلبوا لي إنساناً دليلاً عالماً بالطريق أجعل له جعلاً على أن يتبع آثار هذه الخيل التي بعثتها في طلب الروم ، فيتبعها حتى يلحقها ، ثم يأمرها بالانصراف إلي ساعة يلقاها ، فلم يمكث إلا ساعة حتى جاؤوه بثلاثة رجال أدلاء فقالوا : هؤلاء علماء بالطريق جراء عليها ، أدلاء بها ، وهم يخرجون في آثار خيلك حتى يأتوا بها بأمـــرك ، فكتب أبو عبيدة إلى ميسرة :

« أما بعد : فإذا أتاك رسولي هذا فأقبل إلي حـــين تنظر في كتابي هـذا ولا تعرجن على شيء فإن سلامة رجل واحد من المسلمين أحب إلي من جميـــع أموال المشركين ، والسلام عليك .

فأخذوا كتابه ثم خرجوا به فاستقبلوه حين هبط من الدروب راجعاً ، وقد عافاه الله هو وأصحابه وغنمهم وسلمهم ، فدفعوا اليه كتاب أبي عبيدة ، فلمـــا قرأه ، قال : جزاه الله من وال على المسلمين خيراً ، ما أشفقه وأنصحه ، ثم أقبل رسله الذين كانوا توجهوا اليه حتى أتوا أبا عبيدة فبشروه بسلامتهم وانصرافهم ، فحمد الله على ذلك ، فأقام حتى قدم عليه ميسرة ، وكتب كتاباً أماناً للناس من أهل قنسرين ، ثم أمر مناديه فنادى بالرحيل إلى إيليا ، وقدم خالداً على مقدمته بين يديه ، وأقبل يسير حتى انتهى إلى حمص فبعث على حمص حبيب بن مسلمة القرشي ، وأرض قنسرين إذ ذاك مجموعة إلى صاحب حمـــص ، وإنما فتحت قنسرين بعد ذلك في خلافة يزيد بن معاوية [1] وإنما سميت حمص الجنـــد القدم لأنها كانت أدناها من الروم ، ودمشق والأردن وفلسطين ، وهن كلهن وراءها ، ثم خرج من حمص ومر بدمشق ، فولاها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيـــل ، ثم خرج حتى مر بالأردن فنزلها فعسكر بها ، وبعث إلى أهل إيليا الرسل ، وقال :

---

(١) كذا والمشهور أنه في أيام يزيـــد بن معاوية أفردت قنسرين عن حمص فجعلت جنداً خامساً لاجناد الشام .

اخرجوا إلي أكتب لكم أماناً على أنفسكم وأموالكم ، ونفي لكم كما وفينه لغيركم ، فتثاقلوا وأبوا ، فكتب اليهم أبو عبيدة :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله العظيم وبرسله ، أما بعد : فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، فإذا شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم ، وكنتم إخواننا في ديننا ، وإن أبيتم فأقروا لنا بإعطاء الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، فإن أبيتم سرت اليكم بقوم هم أشد للموت حباً منكم لشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتل مقاتلتكم ، وأسبي ذراريكم .

قال : وكتب إلى أمير المؤمنين عمر حين أظهره الله على أهل الشرك وخرج يطلبهم .

بسم الله الرحمن الرحيم :

لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من أبي عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، أما بعد : فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ، والحمد لله الذي أهلك المشركين ونصر المسلمين ، وقديماً ما تولى الله أمرهم ، وأظهر فلحهم وأعز دعوتهم ، فتبارك الله رب العالمين ، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله انا لقينا الروم في جموع لم يلق العرب جموع قط مثلها ، فأتوا وهم يرون أن لا غالب لهم من الناس أحد ، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً ما قوتل المسلمون مثله في موطن قط ، ورزق الله المؤمنين الصبر ، وأنزل عليهم النصر فقتلهم الله في كل قريبة وكل شعب ، وواد وسهل وجبل ، وغنم المسلمون عسكرهم وما كان فيه من أموالهم ومتاعهم ، ثم إني بعثت إلى أهل ايلياء أدعوهم الى الإسلام ، فإن قبلوا وإلا فليؤدوا الجزية

عن يد وهم صاغرون فإن أبوا سرت إليهم حتى أنزل بهم ، ثم لا أزايلهم حتى يفتح الله على المسلمين إن شاء الله ، والسلام عليك .

فكتب اليه عمر رضي الله عنه : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة ابن الجراح ، سلام عليك ، أما بعد : فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من اهلاك المشركين ونصرة المؤمنين ، وما صنع الله بأوليائه ، وأهل طاعته ، فالحمد لله على صنعه الينا ونستتم الله ذلك بشكره ، ثم اعلم أنكم لم تظهروا على عدوكم بعدد ولا عدة ولا حول ولا قوة ، ولكنه بعون الله ونصره وفضله ، فله المن والطول ، والفضل العظيم ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، والحمد لله رب العالمين .

وفيما حكاه الطبري بسنده عن سيف عن شيوخه قالوا : أوعب القواد بالناس نحو الشام وعكرمة ردء لهم ، وبلغ الروم ذلك ، فكتبوا الى هرقل ، وخرج هرقل حتى نزل بحمص ، فأعد لهم الجنود ، وعبأ لهم العساكر ، وأراد إشغال بعضهم ببعض لكثرة جنده ، وفضول رجاله ، وأرسل إلى عمرو أخاه لأمه وأبيه تذارق ، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً ، وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة ثنية جلق بأعلى فلسطين ، وبعث جرجه بن تودرا نحو يزيد بن أبي سفيان ، فعسكر بإزائه ، وبعث الدراقص ، فاستقبل شرحبيل بن حسنة ، وبعث القيقار بن نسيطوس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة ، فهابهم المسلمون وجميع فرق المسلمين أحد وعشرون ألفاً ، سوى عكرمة في ستة آلاف ففزعوا جميعاً بالكتب والرسل إلى عمرو أن ما الرأي ؟ فكاتبهم وراسلهم إن الرأي الاجتماع وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة ، وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لنا لكل طائفة منا ، فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا فيه ، وقد كتبوا الى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عمراً ، وطلع عليهم كتابه بمثل ما كاتبهم به عمرو سواء ، بأن اجتمعوا والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين ، فإنكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره وخاذل من كفره ،

ولن يؤتى مثلكم من قلة ، وإنما تؤتى العشرة الآلاف ، والزيادة على العشرة الآلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين ، وليصل كل رجل منكم بأصحابه .

وبلغ ذلك هرقل فكتب إلى بطارقته أن اجتمعوا اليهم ، وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس التذارق ، وعلى المقدمة جرجة وعلى مجنبته باهان والدراقص ، وعلى الحرب القيقسار وأبشروا فإن باهان في الأثر مدداً لكم ففعلوا، فنزلوا الواقوصة وهي على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقاً لهم وهو لهب لا يدرك ، وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستبين الروم ، ويأنسوا بالمسلمين ، وترجع اليهم أفئدتهم عن طيرتها ، وانتقل المسلمون من عسكرهم الذي اجتمعوا به فنزلوا عليهم بحذائهم على طريقهم وليس للروم طريق إلا عليهم ، فقال عمرو : أيها الناس ألا أبشروا حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير ، فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم ومخرجهم لا يقدرون من الروم على شيء ، ولا يخلصون إليهم اللهب – وهو الواقوصة – من ورائهم ، والخندق من أمامهم ، ولا يخرجون خرجة إلا أديل المسلمون منهم ، حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول ، وقد استمدوا أبا بكر رحمه الله وأعلموه الشأن في صفر ، فكتب إلى خالد بن الوليد يلحق بهم فوافاهم في ربيع .

وعن سيف عن أشياخه قالوا: ولما نزل المسلمون اليرموك واستمدوا أبا بكر قال : خالد لها ، فبعث إليه وهو بالعراق وعزم عليه واستحثه في السير ، فنفذ خالد لذلك ، وطلع عليهم خالد ، وطلع باهان على الروم ، وقد قدم قدامه الشماسة والرهبان والقسيسين يعيرونهم[1] ويحضونهم على القتال ، ووافق قدوم

(١) في الطبري : ٣ / ٣٩٣ : يغرونهم .

خالد قدوم باهان ، فخرج باهان بهم كالمقتدر فولي خالد قتاله، وقاتل الأمراء من بإزائهم ، فهزم باهان وتتابع الروم على الهزيمة فاقتحموا خندقهم ، وتيمنت الروم بباهان ، وفرح المسلمون بخالد ، وقال راجز المسلمين في ذلك .

دعوا هرقلاً ودعونا الرجمن
والله قد أخرى جنود باهان
بخالد اللج [١] أبي سليمان
ليس بوهراء [٢] ولا بوان [٣]
لا نزق فيه ولا أرنان [٤]

وحرّب المسلمون وجرّد المشركون[٥] وهم أربعون ومائتا ألف ، منهم ثمانون ألف مقيد ، وأربعون ألفاً منهم مسلسل للموت،وأربعون ألفاً مربوطون بالعمائم ، وثمانون ألف فارس ، وثمانون ألف راجل ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفاً ممن كان مقيماً ، إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف فصاروا ستة وثلاثين ألفاً .

ومرض أبو بكر الصديق في جمادى الأولى وتوفي للنصف من جمادى الآخرة، ولما رأى خالد أن المسلمين يقاتلون متساندين قال لهم: هل لكم يا معشر الرؤساء في أمر يعز الله به الدين ، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه ، وكان أبو بكر رحمه الله قد سمى لكل أمير من أمراء الأجناد كورة ، فسمى لأبي عبيدة بن الجراح حمص ، وليزيد بن أبي سفيان دمشق ، ولشرحبيل بن

---

(١) اللج : السيف . القاموس .
(٢) في اللسان : وهر فلان فلاناً إذا أوقعه فيما لا مخرج منه .
(٣) البون : الفراق : اللسان .
(٤) الأرن : البطر . هذا وسقطت هذه الابيات من الطبري : ٣ / ٣٩٤ .
(٥) في الطبري : ٣ / ٣٩٤ « وحرد المسلمون ، وحرب المشركون » .

حسنة الأردن ، ولعمرو بن العاصي وعلقمة بن مجزز فلسطين . فإذا فرغوا منها ترك عمرو علقمة ، وسار عمرو إلى مصر ، فلما شارفوا الشام دهم كل أمير منهم قوم كثير ، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد ، وأن يلقوا جمع المشركين بجمع المسلمين .

وعن أشياخ سيف قالوا : توافى إليها مع الأمراء والجنود الأربعة سبعة وعشرون ألفاً وثلاثة آلاف من فلال خالد بن سعيد ، أمر عليهم أبو بكر رحمه الله معاوية وشرحبيل ، وعشرة آلاف أمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد ، سوى ستة آلاف ثبتوا مع عكرمة رداً بعد خالد بن سعيد ، فكانوا ستة وأربعين ألفاً ، وكل قتالهم على تساند كل جند وأميره لا يجمعهم أحد حتى قدم عليهم خالد بن الوليد من العراق ، وكان عسكر أبي عبيدة باليرموك مجاوراً لعسكر عمرو بن العاصي ، وعسكر شرحبيل مجاوراً لعسكر يزيد بن أبي سفيان فكان أبو عبيدة ربما صلى مع عمرو وشرحبيل مع يزيد ، وأما عمرو ويزيد فإنهما كانا لا يصليان مع أبي عبيدة وشرحبيل .

وقدم خالد بن الوليد وهم على حالهم هذه فعسكر على حدة ، فصلى بأهل العراق ، ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضايقون بمدد الروم عليهم باهان ، ووافق الروم وفيهم نشاط بمددهم ، فالتقوا فهزمهم الله حتى ألجأهم وأمدادهم إلى الخنادق — والواقوصة أحد حدوده فلزموا خندقهم عامة شهر يحضضهم القسيسون والشمامسة والرهبان وينعون لهم النصرانية ، حتى استبصروا فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة . فلما أحس المسلمون خروجهم وأرادوا الخروج متساندين سار فيهم خالد بن الوليد فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه العجز ولا البغي ، أخلصوا جهادكم وأريدوا بعملكم الله ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوماً على

نظام وتعبئة وأنتم على تساند [١] وانتشار ، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا فيه بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبته .

قالوا : فهات فيما الرأي قال: إن أبا بكر ما يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر ولو علم بالذي كان ويكون لقد جمعكم ، ان الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما غشيهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله ، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان أن لا يتنقصه منه ان دان لأحد من أمراء الجنود ولا يزيده عليه ان دانوا له، وان تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ ، هلموا فإن هؤلاء قد تهيؤوا ، وهذا يوم له ما بعده. فإن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لن نفلح بعدها . فهلموا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غداً والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ، ودعوني ألكم اليوم ، فأمروه وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وأن الأمر أطول مما صاروا إليه .

فخرجت الروم في تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط وخرج خالد في تعبئة لم يبعثها العرب قبل ذلك خرج في ستة وثلاثين كردوساً الى الأربعين، وقال : ان عدوكم قد كثر وطغى وليس من التعبئة تعبئة أكثر من رأي العين من الكراديس فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو ابن العاصي وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان وكان على كردوس من كراديس أهل العراق القعقاع بن عمرو، وعلى كردوس مذعور بن عدي وعياض بن غنم على كردوس ، وهاشم بن عتبة على كردوس ، وزياد بن حنظلة على كردوس، وخالد في كردوس وعلى فالة خالد

(١) خرج القوم متساندين : أي على رايات شتى . اللسان .

ابن سعيد دحية بن خليفة على كردوس وامرؤ القيس ويزيد بن بحنس وأبو عبيدة وعكرمة وسهيل وعبد الرحمن بن خالد وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة ، وحبيب بن مسلمة وصفوان بن أمية وأبو الأعور بن سفيان وسعيد بن خالد وابن ذي الخمار ، كل واحد منهم على كردوس .

وفي الميمنة عمارة بن مخشي بن خويلد وشرحبيل ومعه خالد بن سعيد ، وعبد الله بن قيس ، وعمرو بن عليسة ، والسمط بن الأسود وذو الكلاع ومعاوية ابن حديج وجندب بن عمرو بن حممة ، وعمرو بن فلان ، ولقيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبني ظفر من فزارة .

وفي الميسرة يزيد بن أبي سفيان والزبير ، وحوشب ذو ظليم ، وقيس بن عمرو بن يزيد بن عوف بن مبذول بن مازن بن صعصعة من هوازن حليف لبني النجار ، وعصمة بن عبدالله حليف لبني النجار من بني أسد ، وضرار بن الأزور[1] ومسروق بن فلان وعقبة بن ربيعة بن بهز حليف لبني عصمة ، وجارية بن عبد الله الأشجعي حليف لبني سلمة ، وقباث كل واحد منهم على كردوس وكان القاضي أبو الدرداء والقاص أبو سفيان بن حرب ، وعلى الطلائع قباث بن أشيم ، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود ، والقارىء المقداد ، ومن السنة التي سن رسول الله ﷺ بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ، وهي الأنفال ، ولم يزل الناس على ذلك بعد ذلك .

وعن عبادة وخالد قالا : شهد اليرموك ألفا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم نحو من مائة رجل من أهل بدر ، وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول : الله ، الله إنكم زادة العرب وأنصار الإسلام ، وإنهم زادة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك ، قالا : وقال رجل لخالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد :

---

(١) سبقت إشارة إلى مقتله في حروب الردة .

ما أقل الروم وأكثر المسلمين : إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعـــدد الرجال ، والله لوددت أن الأشقر بريء من توجيه [١] وأنهم أضعفوا في العدد ، وكان فرسه قد حفي في مسيره ، قالا : فأمر خالد عكرمـة والقعقاع وكانا على مجنبتي القلب ، فأنشبا القتال ، وارتجز القعقاع وقال .

يا ليتني ألقـــاك في الطراد
قبل اعترام الجحفـــل الوراد
وأنـــت في حليتك الوراد

وقال عكرمة :

قد علمت بهكنة [٢] الجواري
أني على مكرمـــة أحامي

فنشب القتال ، والتحم الناس وتطارد الفرسان فإنهم لعلى ذلك قدم البريد من المدينة ، فأخذته الخيول وسألوه الخبر فلم يخبرهم إلا بسلامة وأخبرهم عـن أمداد وإنما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة فأبلغوه خالداً فأخبره خـبر أبي بكر أسره إليه وأخبره بالذي أخبر الجند قال : أحسنت فقف وأخـــذ الكتاب فجعله في كنانته وخاف إن هـــو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند فوقف محمية بن زنيم مع خالد وهو الرسول ، وخرج جرجـــة حتى كان بين الصفين ونادى : ليخرج إلي خالد ، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه ، فواقفه بين الصفين اختلفت أعناق دابتيهما وقد أمن أحدهما صاحبـــه ، فقال جرجة : يا خالد صدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب ، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم ؟ قال : لا . قال : فبم سميت سيف الله ؟ قال :

---

(١) يريد به فرسه ، وكان يشكو من باطن حافر .
(٢) البهكنة الجارية اللطيفة الطيبة الرائحة والحلوة . اللسان .

إن الله بعث فينا نبيه ﷺ فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم إن الله تعالى أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وتابعناه فقال : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ، ودعا لي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين ، قال : صدقتني .

ثم أعاد عليه جرجة يا خالد أخبرني إلام تدعوني؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والاقرار بما جاءه من عند الله ، قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعهم . قال : فإن لم يعطها ؟ قال : نؤذنه بحرب ثم نقاتله . قال : فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا .

ثم أعاد عليه جرجة هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل ، قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ قال : إنا دخلنا في هذا الأمر وتابعنا نبينا ﷺ وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكسب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويتابع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا .

قال جرجة : بالله صدقتني ولم تخادعني ولم تؤلفني ،قال : بالله لقد صدقتك وما بي إليك ولا لأحد منكم حاجة وإن الله لولي ما سألت عنه ، فقال:صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد ، وقال : علمني الاسلام فمال به خالد الى فسطاطه فشن عليه قربة ، ثم صلى به ركعتين وحملت الروم مع انقلابه الى خالد وهم يرون أنها حيلة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا الحامية عليهم عكرمة والحارث بن هشام ، فركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين ، فتنادى المسلمون

فآبوا، وتراجعت الروم الى مواقعهم، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار الى جنوح الشمس للغروب، ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة يسجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما ، وصلى للناس الأولى والعصر إيماء وتضعضع الروم ، ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم ، وكان مقاتلهم واسع المطرد ضيق المهرب ، فلما وجدت خيلهم مذهباً ذهبت ، وتركوا رجلهم في مصافهم ، وخرجت خيلهم تشد بهم في الصحراء ، وأخر الناس الصلاة حتى صلوا بعد الفتح ، ولما رأى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب أفرجوا لها ولم يحرجوها فذهبت فتفرقت في البلاد .

وأقبل خالد والمسلمون على الرجل فقضوهم فكأنما هدم بهم حائط، فاقتحموا في خندقهم فاقتحمه عليهم فعمدوا الى الواقوصة حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم، فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من جشعت نفسه فيهوي الواحد بالعشرة لا يطيقونه كلما هوى اثنان كان البقية أضعف فتهافت في الواقوصة عشرون ومائة ألف ثمانون ألف مقترن ، وأربعون ألف مطلق سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجال، فكان سهم الفارس يومئذ ألفاً وخمسمائة ، وتجلل القيقار وأشراف من أشراف الروم برانسهم ، ثم جلسوا وقالوا : لا نحب أن نرى يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية فأصيبوا في تزملهم .

وعن أبي عثمان وعبادة قالا : أصبح خالد من تلك الليلة وهو في رواق تذارق ، ولما دخل الخندق نزله وأحاطت به خيله وقاتل الناس حتى أصبحوا .

وعن أبي عثمان الغساني عن أبيه قال : قال عكرمة بن أبي جهل يومئذ : قاتلت رسول الله ﷺ في كل موطن ، وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى من يبايع على الموت فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين

وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً وقتلوا إلا من برأ منهم ضرار بن الأزور ، وأتي خالد بعدما أصبحوا بعكرمة جريحاً فوضع رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقيه ، وجعل يمسح عن وجوههما ويقطر في حلوقهما المـــاء ، ويقول : كلا زعم ابن الحنتمة [١] أنا لا نستشهد .

وعن أبي أمامة وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت أن النساء قاتلن في يوم اليرموك في جولة ، فخرجت جويرية بنت أبي سفيان في جولة ، وكانت مع زوجها ، في قتال شديد وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان فأخرج السهم من عينيه حشمة [٢] .

وعن أرطاة بن جهيش قال: كان الأشتر قد شهد اليرموك ،ولم يشهد القادسية فخرج يومئذ رجل من الروم ، فقال : من يبارز فخرج اليـــه الأشتر فاختلفا ضربتين ، فقال للرومي خذها وأنا الغـلام الإيادي [٣] فقال الرومي : أكثر الله في قومي مثلك ، أما والله لولا أنك من قومي لذدت [٤] : فأمـــا الآن فلا أعينهم .

وعن عبد الرحمن بن غنم وشهدها قال : كان أبو سفيان وأشياخ المسلمين محامية لا يحولون ولا يقاتلون يفيء إليهم الناس ويأوون ، وكان إذا كانت على الروم قال : وقالوا : هلك بنو الأصفر ، اللهم اجعله وجههم ، وإذا كانت على المسلمين ، قال : وقالوا : يا بني الأخوان أين أين ؟ اللهم اردد لهم الكرة ، وإذا كروا قالوا : إليها بني الأخوة ، فإذا حملوا قالوا : اللهم أعنهم وانصرهم حتى

---

(١) يريد به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان عكرمة وابنه من بني مخزوم مثل خالد .

(٢) في الطبري : ٣ / ٤٠١ « أبو حشمة » .

(٣) كذا بالاصل وفي الطبري : ٣ / ٤٠١ « علماً بأن الأشتر كان من النخع » .

(٤) في الطبري : ٣ / ٤٠١ « لآزرت الروم » .

إذا فتح الله عز وجل على المسلمين من آخر الليل وقتلوهم حتى الصباح، ثم أصبحوا واقتسموا الغنائم ، ودفنوا قتلى المسلمين وبلغوا ثلاثة آلاف وصلى كل أمير على قتلاهم ، ودفع خالد بن الوليد العهد الى أبي عبيدة بعدما فرغ من القسم، ودفن الشهداء وتراجع الطلب فوالى أبو عبيدة رحمه الله النفل من الأخماس فنفل وأكثر وكتب الكتاب بالفتح والإرسال بالأخماس، وبعث أبا جندل بشيراً ووفداً، وكان في الوفد قباث بن أشيم .

قالوا : وكان في الثلاثة آلاف الذين أصيبوا يوم اليرموك عكرمة، وعمرو بن عكرمة ، وسلمة بن هشام ، وعمرو بن سعيد وأبان بن سعيد ، وأثبت خالد بن سعيد فلا ندري أين مات بعد، وجندب بن عمرو بن حممة الدوسي والطفيل بن عمرو ، وضرار بن الأزور، وأثبت فبقي وطليب بن عمير بن وهب من بني عبد ابن قصي ، وهمار بن سفيان ، وهشام بن العاصي .

وعن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لقي خالد مقدمه الشام مغيثاً لأهل اليرموك ، فقال له رجل من روم العرب : يا خالد إن الروم [1] في جمع كثير مائتي ألف أو يزيدون ، فإن رأيت أن ترجع على حاميتك فافعل ، فقال خالد: بالروم تخوفني والله لوددت أن الأشقر بريء من توجيه وإنهم أضعفوا ضعفهم فبرأ ، فهزمهم الله على يديه .

وعن محمد بن طلحة وعمرو بن ميمون قالوا: وقد كان هرقل حج قبل فهزم خالد بن سعيد فحج بيت المقدس فبينا هو مقيم به أتاه الخبر بقرب الجنود منه ، فجمع الروم وقال أرى من الرأي أن لا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وأن تصالحوهم فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام وتأخذوا نصفاً وتقر لكم جبال الروم خير لكم من أن يغلبوكم على الشام ويشاركوكم في جبال الروم، فتخر أخوه

---

(١) في الطبري : ٣ / ٤٠٢ « لقي خالداً مقدمه الشام مغيثاً لاهل اليرموك رجل من روم العرب ، فقال : يا خالد إن الروم ... » .

ونخر ختنه ، وتصدع عنه من كان حوله ، فلما رآهم يعصونه ويردون عليه بعث أخاه وأقر الأمراء ، ووجه الى كل جند جنداً ، فلما اجتمع المسلمون ، أمرهم بمنزل جامع حصين ، فنزلوا بالواقوصة وخرج فنزل حمص ، فلما بلغه أن خالداً قد طلع على سوى وانتسف أهله وأموالهم ، وعمد الى بصرى ، وافتتحها ، وأباح عذراء ، قال لجلسائه : ألم أقل لكم لا تقاتلوهم فإنه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم ، إن دينهم جديد يجدد لهم ثيارهم[1] فلا يقوم لهم أحد حتى يبلى ، فقالوا : قاتل عن دينك ولا تجبن الناس واقض الذي عليك . قال : وأي شيء أطلب إلا توفير دينكم ؟

ولما نزل جنود المسلمين اليرموك بعث إليه المسلمون إنا نريد كلام أميركم وملاقاته فدعونا نأته ونكلمه ، فأبلغوه فأذن لهم فأتاه أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان كالرسول ، والحارث بن هشام وضرار بن الأزور وأبو جندل بن سهيل ، ومع أخي الملك يومئذ في عسكره ثلاثون سرادقاً كلها من ديباج فلما انتهوا اليها أبوا أن يدخلوا عليه فيها وقالوا : لا نستحل الحرير فابرز لنا ، فبرز الى فرش ممهدة[2] ، وبلغ ذلك هرقل ، فقال : ألم أقل لكم هذا أول الذل ، أما الشام فلا شام ، وويل للروم من المولود المشؤوم ولم يتأت بينهم وبين المسلمين صلح ، فرجع أبو عبيدة وأصحابه واتعدوا ، فكان القتال حتى جاء الفتح .

وعن يزيد بن سنان عن رجال من أشياخهم[3] قالوا : لما كان اليوم الذي تأمر فيه خالد هزم الله الروم مع الليل ، وعمد المسلمون العقبة وأصابوا ما في العسكر ، وقتل الله صناديدهم ورؤوسهم وفرسانهم ، وقتل الله أخا هرقل ،

---

(١) أي مواظبتهم .

(٢) في حاشية الاصل : لعله ممهدة ، وهذا ما جاء بتاريخ الطبري : ٣ / ٤٠٣ .

(٣) في الطبري : ٣ / ٤٠٣ « عن رجال من أهل الشام ومن أشياخهم » .

وأخذ التذارق ، وانتهت الهزيمة الى هرقل وهو دون مدينة حمص ، وارتحل فجعل حمص بينه وبينهم ، وأقر عليها أميراً وخلفه فيها كما كان أمر على دمشق ، واتبع المسلمون الروم حين هزموهم خيولا يثفنونهم [١] ، ولما صار الأمر الى أبي عبيدة بعد الهزيمة نادى بالرحيـــل ، وارتحل المسلمون بزحفهم حتى وضعوا عسكرهم بمرج الصفرين [٢] .

قال أبو أمامة : فبعث طليعة من مرج الصفرين معي فارسان حتى دخلت فحبستها بين أبياتها وشجراتها ، فقال أحد صاحبي قد بلغت حيث أمرت فانصرف ولا تهلكنا ، فقلت قف مكانك حتى تصبح أو نأتيك ، فسرت حتى دفعت الى باب المدينة وليس في الأرض أحد ظاهر فنزعت لجام فرسي وعلقت عليه مخلاته وتركت رمحي ، ثم وضعت رأسي فلم أشعر إلا بالمفتاح تحرك عند الباب ليفتح فقمت فصليت الغداة ، ثم ركبت فرسي فحملت عليه فطعنت البواب فقتلته ، ثم انكفأت راجعاً وخرجوا يطلبونني ، وجعلوا يكفون عني مخافة أن يكون لي كمين ، فدفعت الى صاحبي الـــذي أمرته أن يقف ، فلما رأوه قالوا : هذا كمين انتهى إلى كمينه ، فانصرفوا ، وسرت أنا وصاحبي حتى دفعنا الى صاحبنا الثاني ، فسرنا حتى انتهينا الى المسلمين ، وقد عزم أبو عبيدة أن لا يبرح حتى يأتيه رأي عمر وأمره ، فأتاه فرحلوا حتى نزلوا على دمشق ، وخلفوا باليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميري في خيل .

---

(١) أي يطردونهم .

(٢) في الطبري : ٣ / ٤٠٤ « الصفر » .

قصة صلح إيلياء
وقدوم عمر رحمه الله الشام

وفي كتب فتوح الشام أن أبا عبيدة انتظر أهل إيلياء فأبوا أن يأتوه وأن يصالحوه ، فأقبل إليهم خالد حتى نزل بهم فحاصرهم حصاراً شديداً ، وضيق عليهم من كل جانب فقاتلوهم ساعة ثم انهزموا فدخلوا في حصنهم ، وكان الذي ولي قتالهم خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان كل واحد منهما في جانب ، فبلغ ذلك سعيد بن زيد وهو على دمشق ، فكتب إلى أبي عبيدة .

من سعيد بن زيد إلى أبي عبيدة : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإني لعمري ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد في سبيل الله على نفسي ، وعلى ما يقربني من مرضاة ربي ، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إلى عملك من هو أرغب فيه مني فليعمل عليه ما بدا لك ، فاني قادم عليك وشيكاً إن شاء الله ، والسلام عليك .

قال : فلما وصل كتابه إلى أبي عبيدة قال : أشهد ليفعلنها ، فقال ليزيد بن أبي سفيان : اكفني دمشق فوجهه إليها فسار يزيد إليها فوليها .

قال : وكان في المسلمين رجل من بني نمير يقال له نخشي بن حابس بن معاوية ، وكان شجاعاً فارساً ، وكان الناس يذكرون منه صلاحاً ففقده أصحابه أياماً وكانوا يطلبونه ويسألون عنه فلا يخبرون عنه بشيء ، فلما يئسوا منه ظنوا أنه قد هلك ، وأنه قد اغتيل ، فبينما هم جلوس ذات يوم إذ طلع عليهم وأقبل إليهم ففرحوا به فرحاً شديداً ، قال : وإذا في يده ورقتان لم ينظر الناس إلى

مثل تينك الورقتين قط أخضر خضرة ، ولا أعرض عرضاً ، ولا أطول طولاً ، ولا أحسن منظراً ولا أطيب رائحة ، فقال له أصحابه ، أين كنت ؟ قـــال : وقعت في جب فمضيت فيه حتى انتهيت إلى جنة مغروسة فيها من كل شيء ، ولم تر عيني مثل ما فيها قط في مكان ، ولم أظن أن الله خلق مثلها ، فلبثت فيهـا هذه الأيام التي فقدتموني كلهـــا في نعيم ليس مثله نعيم ، وفي منظر ليس مثله منظر ، وفي رائحة لم يجد أحد من الناس قط أطيب ريحاً منها ، فبينا أنا كذلك إذ أتاني آت فأخذ بيدي ثم أخرجني منها إليكم ، وقـد كنت أخذت هاتين الورقتين من شجرة كنت تحتها جالساً ، فبقيت الورقتان في يدي ، فأقبل الناس يأخذونها فيشمونها فيجدون لها ريحاً لم يجدوه لشيء قط قبله أطيب منها ريحاً ، فأهل الشام يزعمون أنه أدخل الجنة وإنما تلك الورقتان من ورق الجنة ، ويقولون قد كانت الخلفاء رفعت تينك الورقتين في الخزانة .

قال : فلما حصر أبو عبيدة أهل إيلياء ، ورأوا أنه غير مقلع عنهم ، وظنوا أنهم لا طاقة لهم بحربه ، قالوا له : نحن نصالحك ، قـــال : فاني أقبل منكم الصلح ، قالوا فأرسل إلى خليفتكم عمر فيكون هو الذي يعطينا العهـــد وهو يصافحنا ويكتب لنا الأمان ، فقبل ذلك أبو عبيدة وهم بالكتاب ، وكان أبو عبيدة قد بعث معاذ بن جبل على الأردن ، وكان معاذ لا يكاد يفارق أبا عبيدة لرغبته في الجهاد في سبيل الله ، وكان أبو عبيدة لا يقطع أمراً دون رأي معاذ ، فأرسل إلى معاذ ، فلما قدم عليه أخبره بما سأله القوم ، فقال له معاذ : تكتب إلى أمير المؤمنين فتسأله القدوم عليك ، فلعله أن سيقدم عليك فيـــأبوا الصلح فيكون مسيره عناء وفضلاً ، فلا تكتب إليه حتى يوثق لك هؤلاء وتستحلفهم بأيمانهم المغلظة لئن أنت سألت أمير المؤمنين القدوم عليهم ، وكتبت إليه بذلك فقدم عليهم فأعطاهم الأمان ، وكتب لهـــم كتاباً على الصلح ليقبلن ذلك وليصالحن عليه ، فأخذ أبو عبيدة عليهم الأيمان المغلظة فحلفوا بأيمانهم لئن عمر

أمير المؤمنين قدم عليهم ، ونزل بهم فأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ، وكتب لهم على ذلك كتاباً ، ليقبلن ذلك وليؤدن الجزية ، وليدخلن فيما دخل فيه أهل الشام ، فلما فعلوا ذلك كتب أبو عبيدة إلى عمر أمير المؤمنين .

بسم الله الرحمن الرحيم :

لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح .

سلام عليك فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنا أقمنا على إيلياء، وظنوا أن لهم في المطاولة فرجا ورجاء، فلم يزدهم الله بها إلا ضيقاً وهزلاً[1] ونقصا وأزلاً[2] ، فلما رأوا ذلك سألونا أن نعطيهم ما كانوا ممتنعين قبل ذلك ، وله كارهين ، وإنهم سألونا الصلح على أن يقدم عليهم أمير المؤمنين ، فيكون هو المؤمن لهم والكاتب لهم كتاباً ، وإنا خشينا أن يقدم أمير المؤمنين ثم يغدر القوم فيرجعون فيكون مسيرك أصلحك الله عناء وفضلاً ، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم لئن أنت قدمت عليهم فأمنتهم على أنفسهم وأموالهم ليفعلن ذلك وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ففعلوا ، وأخذنا عليهم الأيمان بذلك ، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تقدم علينا فافعل ، فإن في مسيرك أجراً وصلاحا وعافية للمسلمين ، آتاك الله رشدك ويسر أمرك ، والسلام عليك .

فلما رأى عمر رحمه الله كتابه جمع رؤوس المسلمين فقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة اليه ، واستشارهم بالذي كتب اليه أبو عبيدة ، فقال له عثمان بن عفان : أصلحك الله قد أذلهم وحصرهم وضيق عليهم ، وأراهم ما صنع يحموعهم وماوكهم . وقتل من صناديدهم ، وفتح على المسلمين من بلادهم فهم في كل يوم يزدادون هزلا وأزلا ، وذلا ونقصاً وضيقاً ورغما ، فإن أنت أقمت ولم تسر اليهم علموا أنك بهم وبأمرهم مستخف ولشأنهم محتقر ، وغير معظم فلم يلبثوا

---

(١) كتب تحتها في حاشية الاصل : أي ضيقاً وجدباً .

(٢) الازل : الضيق والشدة : القاموس .

إلا يسيراً حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وإلا حاصرهم المسلمون وضيقوا عليهم حتى يعطوا بأيديهم ، فقال عمر : ماذا ترون هل عند أحد منكم غير هذا الرأي فقال علي بن أبي طالب : نعم يا أمير المؤمنين عندي غير هذا ، فقال: ما هو ؟ قال : إنهم يا أمير المؤمنين قد سألوك المنزلة التي لهم فيها الذل والصغار ، وهي على المسلمين فتح ، ولهم عز وهم يعطونكها الآن في العاجل في عافية ليس بينك وبين ذلك إلا أن تقدم عليهم ، ولك يا أمير المؤمنين في القدوم عليهم الأجر في كل ظمأ ، وكل مخمصة ، وفي قطع كل واد ، وفي كل فج وشعب وفي كل نفقة تنفقها حتى تقدم عليهم ، فان قدمت عليهم كان في قدومك عليهم الأمن والعافية والصلح والفتح ، ولست آمن لو أنهم أيسوا من قبولك الصلح، ومن قدومك عليهم أن يتمسكوا بحصنهم ولعلهم أن يأتيهم من عدونا مدد لهم ، فيدخلون معهم في حصنهم ، فيدخل على المسلمين من حربهم وجهادهم بلاء ومشقة ، ويطول لهم الحصار ، ويقيم المسلمون عليهم فيصيب المسلمين من الجهد والجزع نحو ما يصيبهم ، ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرمونهم بالنشاب ويقذفونهم بالحجارة ، فان قتل رجل من المسلمين تمنيتم أنكم فديتم رجلاً من المسلمين بمسيركم إلى منقطع التراب ، ولكان المسلم بذلك من اخوانه أهلا ، فقال عمر : قد أحسن عثمان في مكيدة العدو ، وقد أحسن علي النظر لأهل الإسلام ، ثم قال : سيروا على اسم الله فاني معسكر وسائر وخرج الناس معهم [1] أشراف الناس وبيوتات العرب والمهاجرين والأنصار ، وأخرج عمر معه العباس بن عبد المطلب .

وعن أبي سعيد المقبري أن عمر رحمه الله في مسيره ذلك كان يجلس لأصحابه إذا صلى الغداة ، فيقبل عليهم بوجهه ، ثم يقول : الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام وبالإيمان ، وأكرمنا بمحمد عليه السلام، فهدانا به من الضلالة،

---

(١) كتب فوقها بالاصل « معه » .

وجمعنا به من الفرقة وألف بين قلوبنا ، ونصرنا به على الأعداء ومكننا به في البلاد ، وجعلنا به إخوانا متحابين ، فاحمدوا الله عباد الله على هـذه النعم وسلوه المزيد فيها ، وتمام ما أصبحتم تقلبون فيه منها ، فان الله يريد الرغبة اليه ، ويتم نعمته على الشاكرين .

قال : فكان عمر لا يدع هذا القول كل غداة في مبتدئه ومرجعه .

وعن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ، أن عمر رحمه الله مضى في وجهه ذلك حتى انتهى إلى الجابية ، فقام في الناس ، فقال : الحمد لله المستحمد الدفاع الودود الغفور ، الذي من أراد أن يهديه من عباده اهتدى ، ﴿ومن يضلل فلن تجد له ولياً [1] مرشدا﴾ .

قال : وإذا رجل من القسيسين من النصارى عندهم ، وعليه جبة من صوف ، فلما قال عمر : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ﴾ [1] قال النصراني : وأنا أشهد ، فقال عمر : ﴿ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ [1] فنفض النصراني جبته عن صدره ثم قال: معاذ الله ، لا يضل الله أحداً يريد الهدى ، فقال عمر : ماذا يقول عدو الله هذا النصراني ؟ قالوا : يقول الله يهدي ، وإنه لا يضل أحدا ، فرفع عمر صوته وعاد في خطبته مثل مقالته الأولى ففعل النصراني كفعلته الأولى ، فغضب عمر رحمه الله ، وقال : والله لئن أعادها لأضربن عنقه ففهمها العلج فسكت .

قال : ثم إن عمر عاد في خطبته فقال : من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، فسكت النصراني ، ثم قال : أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن خيار أمتي الذين يلونكم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل على الشهادة ولم يستشهد عليها ، وحتى يحلف على اليمين ولم يسأل عنها ، فمن أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة ولا يبال الله بشذوذ من شذ ، ألا لا يخلون رجل منكم بامرأة إلا أن يكون لها محرماً ، فإن ثالثهما الشيطان .

---

(١) سورة الكهف ـ الآية: ١٧ .

ثم خرج من الجابية إلى ايلياء ، فخرج إليه المسلمون يستقبلونه ، فخرج إليه أبو عبيدة بالناس أجمعين ، وأتوا عمر ببرذون ليركبه ، وأقبل عمر على جمل له ، وعليه رحله ، وعليه صفة [1] من جلد كبش حولي ، فانتهى إلى مخاضة ، وأقبلوا يبتدرونه ، فقال للمسلمين : مكانكم ، ثم نزل عمر رحمه الله عن بعيره فأخذ بزمام جمله ، وزمامه من ليف ، ثم دخل الماء بين يدي جمله حتى جاز الماء إلى أصحاب أبي عبيدة ، فإذا معهم برذون يجنبونه قالوا له : يا أمير المؤمنين اركب هـذا البرذون ، فإنه أجمل بك وأهون عليك في ركوبك ، ولا نحب أن يراك أهل الذمة في مثل هذه الهيئة التي نراك فيها ، فاستقبلوه بثياب بيض فنزل عمر عن جمله ، وركب البرذون وترك الثياب ، فلما هملج به البرذون نزل عنه ، وقال : خذوا هذا عني فإن هذا شيطان وأخاف أن يغير على قلبي ، فقالوا : يا أمير المؤمنين لو لبست هذه الثياب البيض وركبت هذا البرذون ، لكان أجمل في المروءة وأحسن في الذكر ، وخيراً في الجهاد ، فقال لهم عمر رحمه الله : ويحكم لا تعتزوا بغير ما أعزكم الله به فتذلوا ، ثم مضى ، ومضى المسلمون معه حتى أتى إيلياء فنزل بها ، فأتاه رجال من المسلمين فيهم أبو الأعور السلمي ، وقد لبسوا لباس الروم وتشبهوا بهم في هيئتهم ، فقال عمر : احثوا في وجوههم التراب حتى يرجعوا إلى هيئتنا وسنتنا ولباسنا ، وكانوا قد أظهروا شيئاً من الديباج ، ثم أمر بهم فخرق ذلك عليهم ، فقال يزيد بن أبي سفيان : يا أمير المؤمنين إن الثياب والدواب عندنا ، كثيرة ، والعيش عندنا رفيع ، والسعر رخيص ، وحال المسلمين كما يحب ، فلو أنك لبست من هذه الثياب البيض ، وركبت من هذه الدواب الفره ، وأطعمت المسلمين من هذا الطعام الكثير ، كان أبعد في الصوت ، وأزين في هذا الأمر ، وأعظم لك في الأعاجم ، قال له : يا يزيد لا والله لا أدع الهيئة التي فارقت عليها صاحبي ، ولا أتزين للناس بما أخاف أن يشينني عند ربي ، ولا

---

(١) الصفة : الظلة . اللسان .

أريد أن يعظم أمري عند الناس ويصغر عند الله ، فلم يزل عمر رحمه الله على الأمر الأول الذي كان عليه في حياة رسول الله ﷺ حتى خرج من الدنيا .

قال : فلما نزل عمر رحمه الله بايلياء واطمأن الناس بعث أبو عبيدة إلى أهل إيلياء أن انزلوا إلى أمير المؤمنين واستوثقوا لأنفسكم ، فنزل إليه ابن الجعيد في ناس من عظمائهم ، فكتب لهم عمر كتاب الأمان والصلح فلما قبضوا كتابهم وأمنوا ، دخل الناس بعضهم في بعض ، وولى أبو عبيدة عمرو بن العاص فلسطين ، فأقام عمر أياماً ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين إن أهل هذه البلاد يأتوننا بعصير قد عصروه وطبخوه قبل أن يغلي ، فيأتون به حلواً كأنه الرب قد طبخوه حتى ذهب ثلثاه ، وبقي الثلث ، فقال لهم عمر : كيف تصنعون به ؟ ونظر اليه ، فقال : ما أظن بهذا بأساً ، قالوا : نعصره ثم نأخذه قبل أن يغلي فنطبخه حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، فقال عمر : ذهب حرامه وبقي حلاله ، ثم قال اشرب منه يا عمرو فلا بأس به ، وقال : كأن هذا طلاء الإبل فسمي يومئذ الطلاء .

ثم إن عمر رحمه الله كتب فيه بعد ذلك إلى عمار بن ياسر ، أما بعد : فإني هبطت أرض الشام . فأتوني بشراب لهم فسألتهم عنه كيف تصنعون به ، فأخبروني أنهم يطبخونه حتى يذهب ثلثاه ، ويبقى ثلثه ، وذلك حين تذهب ريبته (١) وريح جنونه ، ويذهب حرامه ويبقى حلاله والطيب منه ، فمر من قبلك من المسلمين فليستعينوا به في شرابهم والسلام .

ولم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزار عمر ، فيصنع له ويسأله أن يزوره في رحله ففعل ذلك عمر إكراماً لهم ، فيزورهم غير أبي عبيدة فإنه لم يستزره ، فقال له عمر : إنه لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزارني غيرك ؟ فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين إني أخاف إن استزرك تعصر عينيك ، فأتاه عمر في بيته فإذا ليس في بيته شيء إلا لبد فرسه ، وإذا هو فراشه وسرجه ، وإذا هو

---

(١) في الحاشية : صوته .

وسادته ، وإذا كسر يابسة في كوة بيته ، فجاء بها فوضعها على الأرض بين يديه ، وأتى بملح جريش وكوز خزف فيه ماء ، فلما نظر عمر إلى ذلك بكى ثم التزمه ، وقال : أنت أخي وما من أحد من أصحابي إلا وقد نال من الدنيا ، ونالت منه غيرك ، فقال له أبو عبيدة : ألم أخبرك أنك ستعصر في بيتي عينيك ؟ .

قال : إن عمر قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال : يا أهل الإسلام إن الله قد صدقكم الوعد ونصركم على الأعداء ، وورثكم البلاد ، ومكن لكم في الأرض ، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعاصي فإن العمل بالمعاصي كفر للنعم وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ، ثم لم يفزعوا إلى التوبة ، إلا سلبوا عزهم ، وسلط عليهم عدوهم ، ثم نزل وحضرت الصلاة ، فقال عمر رحمه الله : يا بلال ألا تؤذن لنا رحمك الله ؟ فقال بلال : يا أمير المؤمنين أما والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ ، ولكن سأطيعك اليوم إذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها ، فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته ، ذكروا نبيهم ﷺ فبكوا بكاء شديداً ، ولم يكن يومئذ أحد أطول بكاء من أبي عبيدة ، ومعاذ بن جبل ، حتى قال لهما عمر : حسبكما رحمكما الله ، فلما قضى عمر صلاته قام إليه بلال ، فقال : يا أمير المؤمنين إن أمراء أجنادك بالشام والله ما يأكلون إلا لحوم الطير والخبز النقي ، وما يجد ذلك عامة المسلمين ، فقال لهم عمر : ما يقول بلال ؟ فقال له يزيد بن أبي سفيان : يا أمير المؤمنين إن سعر بلادنا رخيص وإنا نصيب هذا الذي ذكر بلال ها هنا بمثل ما كنا نقوت به عيالاتنا بالحجاز ، فقال عمر : والله لا أبرح العرصة أبداً حتى تضمنوا إلي أرزاق المسلمين في كل شهر ، ثم قال : انظروا ما يكفي الرجل ما يسعه ويكتفي به في كل يوم ، فقالوا : كذا وكذا ، فقال كم يكون ذلك في الشهر ؟ قالوا جريبين من قمح مع ما يصلحه من الزيت والخل عند رأس كل هلال ، فضمنوا له ذلك ، ثم قال : يا معشر المسلمين هذا لكم سوى أعطياتكم ، فان

وفى لكم أمراؤكم بهذا الذي قد فرضت عليهم وأعطوكموه في كل شهر فذلك ما أحب وإن هم لم يفعلوا فأعلموني حتى أعزلهم عنكم ،وأولي أمركم غيرهم . قال : فلم يزل ذلك جارياً لهم حتى قطعه عنهم الولاة بعد ذلك .

وعن شهر بن حوشب أن اسلام كعب الحبر إنما كان في قدوم عمر الشام ، وكان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله ﷺ ، وكان من عظمائهم وأحبارهم ، وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران من التوراة وبكتب الأنبياء .

قال كعب ولم يكن أبي يدخر عني شيئاً مما كان يعلم ، فلما حضرته الوفاة دعاني ، فقال : قدعلمت أني لم أكن أدخر عنك شيئاً مما كنت أعلم إلاأنه حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث ، وقد أظل زمانه ، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه وتقطعها من كتابك ، وقد جعلتها في هذه الكوة التي ترى وطينت عليها فلا تتعرض لها ولا تنظر فيها زمانك هذا ، وأقرها حتى يخرج ذلك النبي ، فاذا خرج فاتبعه وانظر فيها فان الله يزيدك بذلك خيراً .

فلما مات والدي لم يكن شيء أحب إلي من أن ينقضي المأتم حتى أنظر ما في الورقتين ، فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فاذا فيهما « محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده ، مولده بمكة ، ومهاجره بطيبة ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح ،أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال ، ويذلل ألسنتهم بالتكبير ، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه ، يغسلون فروجهم بالماء، ويأتزرون على أوساطهم،وأناجيلهم في صدورهم ، ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها ، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم والأب،وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، وهم السابقون المقربون والشافعون والمشفع لهم » .

فلما قرأت هذا قلت في نفسي : والله ما علمني أبي شيئاً هو خير لي من هذا الكتاب ، فلبثت بهذا مـــا شاء الله ، وبقيت بعد والدي حتى بعث النبي ﷺ وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه ، وذكر حاله إلى أن قـدم علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت انتظر ، فحدثت نفسي بالدخول في الإسلام،فو الله إني ذات ليلة فوق سطح لي ، فاذا رجل من المسلمين يصلي ويتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية : ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتـاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً﴾[1] ،فلما سمعت هذه الآيـة خشيت والله أن لا أصبح حتى يحول وجهي في قفاي فما كان شيء أحب إلي من من الصباح فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت .

وعن شهر عن كعب قال : قلت لعمر وهو بالشام عند انصرافه: يا أمـــير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيـــل وكانوا أهلها ، مفتوحة على رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، سره مثل علانيته ، وعلانيته مثل سره ، وقوله لا يخالف فعله والقريب والبعيد عنده في الحق سواء ، وأتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار ، متراحمون متواصلون متباذلون ، فقال عمر : ثكلتك أمك أحق ما تقول ؟ قلت : اي والذي أنزل التوراة على موسى ، والذي يسمع ما نقول إنه لحق ، فقال رحمه الله : فالحمد لله الذي أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد ﷺ ،ورحمته التي وسعت كل شيء، قال : وكان كعب رجلاً من أهل اليمن من حمير .

---

(١) سورة النساء ـ الآية : ٤٧ .

ذكر وقعة أجنادين

وما بعدها من صلح إيلياء من رواية سيف

ذكر سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة عن خالد وعبادة ، قالا : لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص من فحل نزل عمرو وشرحبيل على بيسان فافتتحاها ؛ وصالحته الأردن ، واجتمع عسكر الروم بأجنادين وبسيان وغزة ، وكتبوا إلى عمر بتفرقهم فكتب إلى يزيد بأن يدفىء ظهورهم بالرجـــال ، وأن يسرح معاوية إلى قيسارية ، وكتب إلى عمرو يأمره بصدم الأرطبون وإلى علقمة بصدم القيقار .

وكان كتاب عمر إلى معاوية أما بعد : فاني قد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر بالله عليهم ، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير .

فانتهى الرجلان إلى ما أمرا به ، وسار معاوية في جنده حتى نزل على أهل قيسارية وعليهم أبني ، فهزمه وحصره في قيسارية ، ثم إنهم جعلوا يزاحفونه وجعلوا لا يزاحفونه من مرة إلا هزمهم وردهم إلى حصنهم ثم زاحفوه آخر ذلك وخرجوا من صياصيهم فاقتتلوا في حفيظة واستماتة فبلغت قتلاهم في المعركـة ثمانين ألفاً وكلها في هزيمتهم مـــائة ألف ، وبعث بالفتح مع رجلين من بني الضبيب ، ثم خاف منهما الضعف فبعث عبـــد الله بن علقمة الحرامي وزهير بن الحلاب الختعمي وأمرهما أن يتبعاهما فلحقا فطوياهما وهما نائمان وعلقمة يتمثل وهي هجيراه :

أرق عيني أخوا جذام كيف أنام وهما أمـــامي
إذ يرحلان والهجير طامي أخو خعثم وأخو حـــرام

وانطلق علقمة بن مجزز فحصر القيقار بغزة وجعل يراسله فلم يشفه مما يريد أحد ، فأتاه كأنه رسول علقمة فأمر القيقار رجلاً أن يقعد له بالطريق فاذا مرّ قتله ، ففطن علقمة فقال : إن معي نفراً شركائي في الرأي فأنطلق فآتيك بهم، فبعث إلى ذلك الرجل لا تعرض له ، فخرج من عنده ، ولم يعد وفعل كل مـا فعل عمرو بالأرطبون [١] .

وانتهى بريد معاوية إلى عمر بالخبر فجمع الناس ، وأبائهم على الفرح ليـلاً ، فحمد الله وقال : لتحمدوا الله على فتح قيسارية ،وجعل معاوية قبل الفتح وبعده يحبس الأسرى عنده . ويقول ما صنع ميخائيل بأسرانا صنعنـــا بأسراهم مثله ففطمه عن العبث بأسرى المسلمين حتى افتتحها.

ولما توجه علقمة إلى غزة وتوجه معاوية إلى قيسارية ، صمـــد عمرو بن العاصي إلى الأرطبون ومر بازائه، وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته، واستخلف على عمل الأردن أبا الأعور ، وولى عمرو بن العاصي مجنبتيه عبد الله ابن عمرو وجنادة بن تميم المالكي مالك بن كنانة ، فخرج حتى ينزل على الروم بأجنادين والروم في حصونهم وخنادقهم ، وعليهم الأرطبون ، وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غوراً ، وأنكاها فعلاً ،وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً وبايلياء جنداً عظيماً .

وكتب عمرو إلى عمر بالخبر فلما جاءه كتاب عمرو ، قال : قد رمينـــا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عم تنفرج، وجعل عمر رحمه الله من لدن وجه أمراء الشام يمد كل أمير جند ويرميه بالأمداد حتى إذا أتاه كتاب عمرو

(١) سيرد بعد قليل ذكر ذلك .

بتفريق الروم ، كتب إلى يزيد بأن يبعث معاوية في خيله إلى قيسارية ، وكتب إلى معاوية بامرته على قتال أهل قيسارية وليشغلهم عن عمرو ، وكان عمرو قد استعمل علقمة بن حكيم الفراسي ، ومسروق بن فلان العكي على قتال أهل إيلياء فصاروا بازاء أهل إيلياء فشغلوهم عن عمرو وبعث أبا أيوب المالكي إلى الرملة وعليها التذارق ، وكان بإزائه ولما تتابعت الأمداد على عمرو ، بعث محمد ابن عمرو مدداً لعلقمة ومسروق ، وبعث عمارة بن عمرو بن أمية الضمري مدداً لأبي أيوب ، وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ، ولا تشفيه الرسل ، فوليه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد ، وسمع كلامه ، وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد ، وقال أرطبون في نفسه والله إن هذا لعمرو ، أو إنه للذي يأخذ عمرو برأيه وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله ، ثم دعا حرسياً فسارّه بقتله فقال: اخرج فقم مكان كذا وكذا فاذا مر بك فاقتله ، وفطن له عمرو ، فقال : قد سمعت مني وسمعت منك فأما ما قلته فقد وقع مني موقعاً ، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكانفه [1] ويشهدنا أموره فأرجع فآتيك بهم الآن ، فان رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى فقد رآه أهل العسكر والأمير وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم ، وكنت على رأس أمرك ، قال : نعم ودعا رجلاً فسارّه ، وقال : اذهب إلى فلان فرده إلي فرجع اليه الرجل ، وقال لعمرو : انطلق فجيء بأصحابك ، فخرج عمرو ورأى أن لا يعود لمثلها .

وعلم الرومي بأنه قد خدعه فقال: خدعني الرجل هذا أدهى الخلق ، فبلغت عمر فقال: غلبه عمرو ، ولله عمرو ، وناهده عمرو ، وقد عرف مأخذه وعاقبته ، والتقوا ولم يجد من ذلك بداً ، فالتقوا بأجنادين فاقتتلوا قتالا شديداً كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم ، ثم إن أرطبون انهزم في الناس فآوى إلى إيلياء ونزل

---

(١) أي نعاونه .

عمرو أجنادين ، ولما أتى أرطبون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها ثم أزالهم إلى أجنادين فانضم علقمة ، ومسروق ، ومحمد بن عمرو ، وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين، وكتب أرطبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري أنت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين فارجع ولا تغـــر فتلقي ما لقي الذين قبلك من الهزيمة ، فدعـا عمرو رجلاً يتكلم بالرومية فأرسله إلى أرطبون ، وأمره أن يغرب ويتنكر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرني به إذا رجعت إن شاء الله ، وكتب إليه جاءني كتابك وأنت نظيري ، ومثلي في قومك لو اخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي ، وقد علمت أني صاحب فتح هـذه البلاد واستعدي عليك فلانا وفلانا وفلاناً لوزرائه ، فأقرئهم كتابي ولينظروا فيما بيني وبينك ، فخرج الرسول على أمره به حتى أتى أرطبون ، فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر فاقترأه فضحكوا وتعجبوا واقبلوا على أرطبون فقالوا من أين علمت أنه ليس بصاحبها ؟ قال صاحبها : رجـــل اسمه عمر ثلاثة أحرف، فرجع الرسول إلى عمرو ، فعرف أنه عمرو .

وكتب الى عمر يستمده ويقول : إني أعالج حرباً كؤوداً صدوماً ، وبلاداً ادخرت لك فرأيك ، ولما كتب عمرو الى عمر بذلك عرف أن عمراً لم يقل إلا بعلم فنادى في الناس ، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية ، وجميع ما خرج عمر إلى الشام أربع مرات، فأما الأولى فعلى فرس وأما الثانية فعلى بعير واما الثالثة فقصر[1] عنها ان الطاعون مستعر ، وأما الرابعة فدخلها على حمار ، فاستخلف عليها وخرج ، وقد كتب مخرجه أول مرة إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية — ليوم سماه لهم في المجردة — وأن يستخلفوا على أعمالهم ؛ فلقوه حيث رفعت لهم الجابية فكان أول من لقيه يزيد ، ثم أبو عبيدة ، ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير ، فنزل وأخذ الحجارة فرماهم بها ، وقال : سرع ما لفتم عن

(١) في حاشية الاصل « لعله فقصره » ووافق ما جاء بالمتن ما أورده الطبري: ٣ / ٦٠٧.

رأيكم، إياي تستقبلون في هذا الزي، وإنما شبعتم منذ سنتين، سرع ما ندت[١] بكم البطنة وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنها يلامقة[٢]، وإن علينا السلاح، قال فنعم إذاً وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشرحبيل بأجنادين لم يخرجا من مكانهما.

وعن سالم بن عبد الله قال: لما قدم عمر رحمه الله الجابية قال له رجل من يهود: يا أمير المؤمنين لا ترجع الى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء، فبينا عمر ابن الخطاب بها إذ نظر الى كردوس من خيل مقبل، فلما دنوا منه سلوا السيوف فقال عمر: هؤلاء قوم يستأمنون فأمنوهم، فأقبلوا فإذا هم أهل إيلياء فصالحوه على الجزية، وفتحوها لهم فلما فتحت عليه دعا ذلك اليهودي فقيل له إن عنده لعلماً، قال: فسأله عن الدجال وكان كثير المسألة عنه فقال له اليهودي: وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين، فأنتم والله معشر العرب تقتلونه دون باب لد ببضع عشرة ذراعاً.

وعن سالم[٣] قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق، فقال السلام عليك يا فاروق أنت صاحب إيلياء، لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء، وكانوا قد أشجوا عمراً وأشجاهم ولم يقدر عليها ولا على الرملة فبينا عمر معسكراً بالجابية فزع الناس الى السلاح، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا ألا ترى الخيل والسيوف، فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف، فقال عمر: مستأمنة، ولا تراعوا وأمنوهم، فأمنوهم وإذا هم أهل إيلياء فأعطوه واكتتبوا منه على إيلياء وحيزها، والرملة وحيزها، فصارت فلسطين نصفين نصف مع أهل إيلياء، ونصف مع أهل الرملة، وهم عشر كور، وفلسطين تعدل الشام كله، وشهد ذلك

---

(١) أي شردت ونفرت.

(٢) مفردها يلمق، وهو القباء، فارسي معرب. المعرب للجواليقي: ٣٥٥.

(٣) في الطبري: ٣ / ٦٠٧ «سالم بن عبد الله».

اليهودي الصلح، فسأله عمر عن الدجال، فقال : هو من بني بنيامين ، وأنتم والله يا معشر العرب تقتلونه على بضع عشرة ذراعاً من باب لد .

وعن خالد وعبادة قالا : كان الذي صالح على فلسطين العوام من أهل إيلياء والرملة ، وذلك أن أرطبون والتذارق لحقا بمصر مقدم عمر الجابية وأصيبا بعد في بعض الصوائف .

وعن عدي بن سهل قال : لما استمد أهل الشام عمر على أهـــل فلسطين، استخلف علياً وخرج مدداً لهم ، فقال علي أين تخرج بنفسك إنك تريد عدواً كلباً ، فقال : إني أبادر بجهاد العـــدو موت العباس ، إنكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما تنتقض أول الخيل ، قال : وانضم عمرو وشرحبيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم ، فشهدا الكتاب .

وعن خالد وعبادة قالا: صالح عمر أهل إيلياء بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتاباً واحداً ، ما خلا أهل إيلياء .

بسم الله الرحمن الرحيم :هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمـــاناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها ، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من غيرها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهوا على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت[1] فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهـــل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم

(١) أي اللصوص .

وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاصي وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان .

وكتب وحضر سنة خمس عشرة .

فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لد :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من مالها ، ولا من صلبهم ولا من أموالهم ، ولا يكرهوا على دينهم ولا يضار أحد منهم وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل مدائن الشام ، وعليهم إن خرجوا مثل ذلك الشرط إلى آخره . ثم سرح إليهم .

وفرق فلسطين على رجلين فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة . وعلقمة بن مجزز على نصفها وأنزله إيلياء ، فنزل كل واحد منهما في عمله في الجنود التي معه .

وعن سالم قال : استعمل علقمة بن مجزز على إيلياء وعلقمة بن حكيم على الرملة في الجنود التي كانت مع عمرو ، وضم عمراً وشرحبيل إليه بالجابية ، فلما

انتهيا إلى الجابية وافقا عمر رحمه الله راكباً ، فقبلا ركبته وضم عمر كل واحد منهما عتضنها .

وعن عبادة وخالد قالا : ولما بعث عمر بأمان أهل إيلياء ، وسكنها الجند شخص إلى بيت المقدس من الجابية، فرأى فرسه يتوجى نزل عنه،وأتي ببرذون فركبه فهزه فنزل ، فضرب وجهه بردائه ، ثم قال : قبح الله من علمك هذا ، ثم دعا بفرسه بعدما أجمه أيامـــاً يوقحه[1] فركبه ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس .

وعن أبي صفية شيخ من بني شيبان قال : لما أتى عمر الشام أتي ببرذون فركبه فلما سار جعل يتخلج به ، فنزل عنه وضرب وجهـه ، وقال : لا علم الله من علمك هذا من الخيلاء ، ولم يركب برذوناً قبله ولا بعـــده ، وفتحت إيلياء وأرضها كلها على يديه ، ما خلا أجنادين على يدي عمرو ـ وقيسارية ، على يدي معاوية .

وعن أبي عثمان وأبي حارثة قالا : افتتحت إيلياء وأرضها على يـدي عمرو في ربيع الآخر سنة ست عشرة .

وعن أبي مريم مولى سلامة قال : شهدت فتح إيلياء مـــع عمر رحمه الله ، فسار من الجابية فاصلاً حتى يقدم إيلياء ، ثم مضى حتى يدخل المسجد ، ثم مضى نحو محراب داود ونحن معه ، فدخله ، ثم قرأ سجدة داود فسجـــد ، وسجدنا معه .

وعن رجاء بن حيوة عن من شهد قال: لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء فدنا من باب المسجد ، قال : ارقبوا لي كعباً ، فلما انفرق به الباب قال : لبيك اللهم لبيك بما هو أحب إليك ، ثم قصد المحراب محراب داود عليـــه السلام ،

---

(١) أي حتى يصلب حافره .

وذلك ليلاً فصلى فيه ، ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة فتقدم فصلى بالناس وقرأ بهم « ص » وسجد فيها ، ثم قام وقرأ بهم في الثانية صدر بني اسرائيل ، ثم ركع ، ثم انصرف ، فقال : علي بكعب فأتي به فقال أين ترى أن نجعل المصلى ؟ فقال : إلى الصخرة فقال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب، وقد رأيتك وخلعك نعليك ، فقال : أحببت أن أباشره بقدمي ، فقال : قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورها ، اذهب إليك فإنا لم نؤمر بالصخرة ، ولكنا أمرنا بالكعبة ، فجعل قبلته صدره ، ثم قام من مصلاه إلى كناسة ، قد كانت الروم قد دفنت بها ببيت المقدس في زمان بني اسرائيل ، فلما صار إليهم أبرزوا بعضها ، وتركوا سائرها ، وقال : يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع ، وجثا في أصلها ، وجثا في فرج من فروج قبائه، وسمع التكبير من خلفه ، وكان يكره سوء الرعة في كل شيء فقال : ما هذا ؟ فقالوا: كبر كعب فكبر الناس بتكبيره ، فقال علي به فأتي به، فقال : يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة سنة ، فقال : وكيف ؟ فقال: إن الروم أغاروا على بني اسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ، ثم أديلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس ، فبغوا على بني اسرائيل ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت ، فبعث الله نبياً على الكناسة فقال : أبشري « أوري» شلم عليك الفاروق ينقيك مما فيك ، وبعث إلى القسطنطينية نبي فقام على تلها فقال : يا قسطنطينية ما فعل أهلك ببيتي أخربوه وشبهوك كعرشي ، وتأولوا علي فقد قضيت عليك أن أجعلك جلحاء [1] يوماً ما ، لا يأوي إليك أحد ولا يستظل فيك على أيدي بني الغادر [2] وسبأ وودان ، فما أحسوا حتى ما بقي منه شيء .

وعن ربيعة الشامي بمثله، وزاد: أتاك الفاروق في جندي المطيع ويدركون

---

(١) أي مقفرة لا شجر فيها .

(٢) في الطبري : ٣ / ٦١٢ « بني القاذر سبأ وودان » .

لأهلك بثأرك في الروم ، وقال في قسطنطينية : أدعك جلحـــاء بارزة للشمس لا يأوي إليك أحد ولا تظلينه .

وعن أنس بن مالك قال : شهدت إيلياء مع عمر ، فبينا هو يطعم الناس يوماً بها أتاه راهبها وهو لا يشعر أن الخمر محرمة ، فقال له : هل لك في شراب نجده في كتبنا حلالا إذا حرمت الخمر ؟ فدعاه به فقال : من أي شيء هذا ؟ فأخبره أنه طبخه عصيراً حتى صار إلى ثلثه ، فغرف بأصبعه ثم حركه في الإناء فشطره فقال : هذا طلاء فشبهه بالقطران وشرب منه ، وأمر أمراء الأجناد بالشام به ، وكتب في الأمصار إني أتيت بشراب مما قد طبخ من العصير حتى ذهب ثلثاه ، وبقي ثلثه كالطلاء ، فاطبخوه وارزقوه المسلمين .

وعن أبي عثمان وأبي حارثة قالا : ولحق أرطبون بمصر مقدم عمر الجابية ، ولحق به من أحب ممن أبى الصلح ثم لحق عند صلح أهل مصر وغلبهم بالروم في البحر ، وبقي بعد ذلك فكان يكون على صوائف الروم ، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له ضريس فقطع يد القيسي ، فقتله القيسي فقال :

فإن يكن أرطبون الروم أفسدها ... فإن فيهـــا بحمد الله منتفعا
بنانتان وجرموز أقيم بـــه ... صدر القناة إذا ما آنسوا فزعا
وإن يكن أرطبون الروم قطعها ... فقد تركت بهـا أوصاله قطعا

وقال زياد بن حنظلة :

تذكرت حرب الروم لما تطاولت ... وإذ نحن في عام كثير نزائله
وإذ نحن في أرض الحجاز وبيننا ... مسيرة شهـــر بينهن بلابله
وإذا أرطبون الروم يحمي بلاده ... يحـــاوله قرم هناك يساجله
فلما رأى الفاروق أزمان فتحها ... سمـــا يجنود الله كيما يصاوله
فلما أحسوه وخافـــوا صواله ... أتوه وقالوا أنت ممن نواصله

وألفت إليه الشام أفلاذ بطنها ... وعيشاً خصيباً ما تعد مآكله
أباح لنا ما بين شرق ومغرب ... مواريث أعقاب نبتها[1] قراملة
وكم مثقل لم يضطلع باحتماله ... تحمل عبئاً حين شالت شوائله

وقال أيضاً :

سمـــا عمر لمـا أتته رسائل ... كأصيد يحمي صرمة الحي أغيدا
وقد عضلت بالشام أرض بأهلها ... تريد من الأقوام من كان ألحدا[2]
فلمـا أتاه ما أتاه أجابهـــم ... بجيش ترى منه الشبائك سجدا
وأقبلت الشام العريضة بالذي ... أراد أبو حفص وأزكى وأزيدا
فقسط فيما بينهم كل جزية ... وكل رفاد كان أهنا وأحمـدا

فمكث المسلمون بالشام عليها أبو عبيدة بن الجراح، فمكث فيها بعد خروج عمر منها ثلاثة أعوام ، ثم توفي في طاعون عمواس بالأردن وبها قبره فاستخلف معاذ بن جبل فعاش بعده أياماً ، ثم توفي بطاعون عمواس، واستخلف عمرو بن العاصي وذلك سنة ثمان عشرة .

ولما أتت عمر رحمه الله وفاة أبي عبيدة ومعاذ فرق كـــور الشام فبعث عبد الله بن قرط الثمالي على حمص ، وعزل عنها حبيب بن مسلمة ، واستعمل على دمشق أبا الدرداء الأنصاري ، واستعمل يزيد بن أبي سفيـــان على الجنود التي كانت بالشام ، وكتب إليه أن يسير إلى قيسارية ، فعمل عبـد الله بن قرط على حمص سنة ، ثم وجد عليه عمر فعزله ثم رده إلى حمص .

---

(١) في الطبري : ٣ / ٦١٣ « بنتها » .
(٢) في الطبري : ٣ / ٦١٣ « أنجدا » .

فتح قيسارية

فيما ذكر أصحاب فتوح الشام وولاية يزيد بن أبي سفيان أجناد الشام كلها.

كتب عمر رضي الله عنه إلى يزيد بن أبي سفيان .

أما بعد : فقد وليتك أجناد الشام كله وكتبت إليهم أن يسمعوا لك ويطيعوا ، وأن لا يخالفوا لك أمراً ، فاخرج بعسكر المسلمين إلى قيسارية فانزل عليها ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك فإنه لا ينفعني افتتاح ما افتتح من أرض الشام مع مقام أهل قيسارية وهم عدو لكم ، وإلى جانبكم ، وإنه لا يزال قيصر طامعاً في الشام ما بقي فيها أحد من أهل طاعته ممتنعاً ولو قد فتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام ، والله فاعل ذلك ، وصانع للمسلمين إن شاء الله .

فخرج يزيد فعسكر بالمسلمين ، وجاءه كتاب من عمر إلى أمراء الأجناد نسخة واحدة .

أما بعد : فقد وليت يزيد أجناد الشام كله ، وأمرته أن يسير إلى قيسارية ، فلا تعصوا له أمراً ، ولا تخالفوا له رأياً والسلام .

وكتب يزيد إلى أمراء الأجناد نسخة واحدة .

أما بعد : فإني قد ضربت على الناس بعثاً أريد أن أسير بهم إلى قيسارية ، فأخرجوا من كل ثلاثة رجلاً وعجلوا إشخاصهم إلي ، والسلام .

فلم يمكث إلا قليلاً حتى توافت عنده عساكر الأجناد كلها ، فلما اجتمعوا عنده قام يزيد فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : اما بعد فإن كتاب أمير

المؤمنين عمر المبارك الفاروق أتاني يحثني على المسير إلى قيسارية ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، أو أن يدخلوا فيما دخل فيه أهل الكفر من أهل الشام فيؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فإن أبوا نزلت عليهم ، فلم أزايلهم حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم ، فسيروا رحمكم الله فاني أرجو أن يجمع الله لكم الغنيمة في الدنيا ، والأجر في الآخرة .

ثم قال للناس ارتحلوا، وجاء رسول يزيد بن أبي سفيان إلى حبيب بن مسلمة: أن سر في المقدمة ، فاني قد جعلتك عليها، ثم امض حتى تنزل بأهل قيسارية، فاني أسرع شيء في أثرك ولحاقاً بك ، فمضى في المقدمة في جماعة عظيمة من المسلمين إلى قيسارية، وبها جموع من بطارقة الروم وفرسانهم وأشدائهم كثيرة، وكل من كان كره الدخول في دين الإسلام من النصارى ، ومن كره الجزية ، ومن بقي من أهل تلك المواطن التي كانوا يقاتلون المسلمين من الروم ، فكانت بها جموع كثيرة وجند شديد ، فلما أقبل حبيب في المقدمة ، ودنا من الحصن خرج إليه فرسان ورجال من قيسارية فنضحوهم بالنبل والنشاب ، وحملت خيلهم على المسلمين فانحدر حبيب بن مسلمة وخيله حتى انتهى إلى يزيد ، فنزل يزيد وجعل على ميمنته عبادة بن الصامت الأنصاري ، وجعل على الميسرة الضحاك بن قيس ، ورد حبيب بن مسلمة على الخيل ، ومشى يزيد في الرجال فحمل عليهم ، فاقتتلوا طويلاً قتالاً شديداً ، ثم بعث إلى الضحاك بن قيس أن احمل على ميمنتهم ، فحمل عليهم فهزمهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم بعث إلى عبادة بن الصامت أن احمل على ميسرتهم ، فحمل عليهم فثبتوا له ، فقاتلهم طويلاً وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم تحاجزوا وانصرف عبادة إلى موقفه فحرض أصحابه وحضهم ووعظهم ، ثم قال : يا أهل الإسلام إني كنت أحدث النقباء سناً ، وأبعدهم أجلاً ، وقد قضى الله لي أن أبقاني حتى قاتلت هذا العدو معكم ، وإني أسأل الله أن يؤتيني وإياكم حسن ثواب المهاجرين والمؤمنين ،

والذي نفسي بيده ما حملت قط في عصابة من المؤمنين على جماعة من المشركين إلا خلوا لنا العرصة ، وأعطانا الله عليهم الظفر غيركم ، فما بالكم حملتم على هؤلاء ، فلم تزيلوهم ، وإن عمر رحمه لما بلغه شدة قتال أهل اليرموك لكم قال : سبحان الله أو قد واقفوهم ما أظن المسلمين إلا وقد غلوا ، وقال : لو لم يغلوا ما واقفوهم ولظفروا بغير مؤونة ، وإني والله لخائف عليكم خصلتين أن تكونوا قد غللتم ، أو لم تناصحوا الله في حملتكم عليهم فشدوا عليهم رحمكم الله معي إذا شددت ، فلا والله لا أرجع إلى موقفي هذا إن شاء الله ولا أزايلهم حتى يهزمهم الله أو أموت دونهم ، ثم حمل عليهم وحملت معه الميمنة على ميسرة الروم فصبروا لهم ، حتى تطاعنوا بالرماح ، واضطربوا بالسيوف ، واختلفت أعناق الخيل ، فلما رأى ذلك عبادة ترجل ، ثم نادى في المسلمين عمير بن سعد الأنصاري ، فقال : يا أهل الإسلام إن عبادة بن الصامت سيد المسلمين صاحب راية رسول الله ﷺ قد نزل وترجل ، فالكرة الكرة إلى رحمة الله والجنة ، واتقوا عواقب الفرار فإنها تقود إلى النار ، وأقبل المسلمون إلى عبادة وهو يحالدهم ، وقد كانوا أحاطوا به ، فحمل عليهم فقصف بعضهم على بعض فأزالوهم عن موقفهم ، ثم شدوا عليهم وحمل حبيب بن مسلمة على من يليه منهم ، ثم حمل يزيد بن أبي سفيان بجماعة المسلمين عليهم فانهزموا انهزاماً شديداً ، ووضع المسلمون سيوفهم حيث شاؤوا ، واتبعوهم يقتلونهم فهزموهم ، واتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤوا حتى أجحروهم في حصنهم ، وقد قتلوا من رؤسائهم وبطارقتهم وفرسانهم مقتلة عظيمة ، ثم أقاموا عليهم فحصروهم ، وقطعوا عنهم المادة ، وضيقوا عليهم وحصروهم أشد الحصار ، فلما طال عليهم البلاء تلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : اخرج بنا إليهم نقاتلهم حتى نظفر بهم أو نموت كراما فاستعدوا في مدينتهم ، وخرجوا على تعبئتهم والمسلمون غارون لا يشعرون ولا يعلمون أنهم يخرجون إليهم ، وقد كانوا أذلوهم وأجحروهم وضيقوا عليهم حتى أجهدوا ، وظنوا أنهم أوهى أمراً ، وأضعف من أن يخرجوا عليهم ، فما راع المسلمين إلا

وأهل قيسارية يقاتلونهم بالسيوف بأجمعهم ، فجال المسلمون جولة منكرة ، ثم إن يزيد خرج مسرعاً يمشي إليهم حتى إذا دنا منهم جالدهم طويلاً ، وتنامت إليه خيل المسلمين ورجالتهم ، وخرج المسلمون على راياتهم وصفوفهم ، فلما كثر المسلمون عنده أمر الخيل فحملت عليهم ، ونهض الرجال في وجوههم ، ثم حمل عليهم فانهزموا انهزاماً قبيحاً شديداً ، وقتلوهم قتلاً ذريعاً وركب بعضهم بعضاً ، وذهب بعضهم على وجهه فلم يدخلوا المدينة ، ودخل بعضهم المدينة ، وقتل الله منهم في المعركة نحواً من خمسة آلاف رجل ، فلما رأى يزيد ما قد أنزل الله بهم من الخزي والقتل وما صيرهم إليه من الذل ، قال لمعاوية : أقم عليها حتى تفتحها ، وانصرف يزيد عنها ، فلم يلبث معاوية عليها إلا يسيراً وقد ضيقها عليهم حتى فتحها الله على يديه ، وذلك سنة تسع عشرة ، وكانت هي وجلولاء في سنة واحدة ، وفرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً لأنه لم يبق بالشام في أقصاها وأدناها عدو حينئذ ، وقد نفى الله المشركين عنها ، وصار الشام كله في أيدي المسلمين .

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر أمير المؤمنين مع رجلين من جذام .

أما بعد : فإن رأي أمير المؤمنين لأهل الشام كان رأياً أرشده الله به ، وبارك له ، ولأهل طاعته فيه ، وإني أخبر أمير المؤمنين أنا التقينا نحن وأهل قيسارية غير مرة ، وكل ذلك يجعل الله حدهم الأسفل وكيدهم الأخسر ، ويجعل الله عليهم الظفر ، فلما رأوا أن الله قد أذهب ريحهم ، وأذلهم وأنزل عليهم الصغار والهوان ، وقتل صناديدهم وفرسانهم وملوكهم ، لزموا حصنهم وانجحروا في مدينتهم فأطلنا حصارهم وقطعنا موادهم وميرتهم وضيقنا عليهم أشد الضيق ، فلما جهدوا هزلاً وأزلاً فتحها الله علينا ، والحمد لله رب العالمين .

فكتب إليه عمر رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد بن أبي سفيان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من الفتح على المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ، فاشكروا الله يزدكم ويتم نعمته عليكم ، فإن الله قد كفاكم مؤونة عدوكم وبسط لكم من الرزق ومكن لكم في البلاد ، وآتاكم من كل ما سألتموه ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾[1] ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأقبل يزيد بن أبي سفيان حتى نزل دمشق ، فلم يلبث إلا سنة حتى هلك ، رحمة الله عليه .

---

(١) سورة إبراهيم – الآية : ٣٤ .

ذكر فتح مصر

روى أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث عن الليث بن سعد عن مشايخ أهل مصر قال : لما قدم عمر بن الخطاب الجابية خلا به عمرو بن العاصي فقال يا أمير المؤمنين : ائذن لي فأسير إلى أرض مصر فإنك إن فتحتهـــا كانت قوة للمسلمين وعونا لهم ، وهي أكثر الأرضين أموالاً وأعجزه عن القتال ، فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين ، وكره ذلك فلم يزل عمرو بن العاصي يعظم أمرها في نفسه ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها ، حتى ركن لذلـــك عمر فعقد على الأربعة آلاف رجل كلهم من عك وقال : سيروا وأنا مستخير الله عز وجل في مسيرك ، وسيأتيك كتابي سريعاً فإن لحقك كتابي آمرك فيه بالانصراف فانصرف وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتـــابي ، ثم جاءك فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فمضى عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس ، واستخار عمر رحمه الله ربه ، فكأنه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك ، فكتب إلى عمرو بن العاصي : أن انصرف بمن معك من المسلمين إن أدركك كتابي قبل أن تدخل مصر فأدرك الكتاب عمراً وهو برفح ، فتخوف إن هو أخذه فقرأه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ، وسار كما هو حتى مر بقرية صغيرة بين رفح والعريش ، فسأل عنها فقيل إنها من مصر ، فدعا بالكتاب فقرأه فإذا فيه أن انصرف بمن معك من المسلمين فقال لمن حوله ألستم تعلمون أن هذه من مصر ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن أمير المؤمنين عهد إلي وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع ولم يلحقني حتى دخلت

مصر ، فسيروا على بركة الله ، فسار عمرو بن العاصي إلى مصر ، وكتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ويستمده .

قال : ويقال : كان عمرو في جنده على قيسارية مع من كان بها من أجناد المسلمين ، وعمر بن الخطاب إذ ذاك بالجابية ، فكتب سراً واستأذن إلى مصر وأمر أصحابه فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتحولوا من منزل إلى منزل قريب ،ثم سار بهم ليلاً ، فلما فقده أمراء الأجناد استكروا الذي فعل ، ورأوا أنه قد غرر ، فرفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب ، فكتب اليه عمر : إلى العاصي ابن العاصي ، أما بعد : فانك قد غررت بمن معك ، فان أدركك كتابي ، ولم تدخل مصر فارجع ، وان أدركك وقد دخلت ، فامض واعلم أني ممدك .

ويقال إن عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاصي بعد ما فتح الشام أن اندب الناس الى المسير معك الى مصر ، فمن خف معك فسر به ، وبعث به مع شريك بن عبدة فندبهم عمرو ، فأسرعوا الى الخروج معه ، ثم ان عثمان بن عفان دخل على عمر الخطاب ، فقال عمر : كتبت الى عمرو أن يسير الى مصر من الشام ، فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ان عمراً له جرأة ، وفيه اقدام وحب للامارة ، فأخشي أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة ، رجاء فرصة لا يدرى أتكون أم لا ، فندم عمر بن الخطاب على كتابه الى عمرو اشفاقاً مما قال عثمان : فكتب اليه : ان أدركك كتابي قبل أن تدخل مصر فارجع الى موضعك ، وان كنت دخلت مصر فامض لوجهك .

وكانت صفة عمرو بن العاصي قصير عظيم الهامة ، ناتىء الجبهة ، واسع الفم ، عظيم اللحية ، عريض ما بين المنكبين ، عظيم الكفين والقدمين ، قال الليث : يملأ هذا المسجد .

قال عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم : فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاصي توجه الى الفسطاط وكان يجهز على عمرو الجيوش وكان على القصر رجل

من الروم يقال له الأعيرج ، والياً عليها ، وكان تحت يد المقوقس ، وأقبل عمرو ابن العاصي حتى اذا كان بجبل الحلال [١] نفرت معه راشدة وقبائل من لخم ، فتوجه عمرو حتى اذا كان بالعريش أدركه النحر ، فضحى عمرو يومئذ عن أصحابه بكبش ، وكان رجل ممن خرج مع عمرو أصيب بحمل له ، فأتى الى عمرو يستحمله ، فقال له عمرو : تحمل مع أصحابك حتى نبلغ أوائل العامر ، فلما بلغوا العريش جاءه فأمر بحملانه ، ثم قال له : لن تزالوا بخير ما رحمتكم أئمتكم ، واذا لم يرحموكم هلكتم وهلكوا .

قال : فتقدم عمرو بن العاصي فكان أول موضع قاتل فيه الفرما [٢] ، قاتلته الروم قتالاً شديداً نحواً من شهر ، ثم فتح الله على يديه ، وكان على ميمنته عبد الله بن سعد منذ توجه من قيسارية الى أن فرغ من حربه .

قال بعضهم : وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو ميامين [٣] ، فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر ، كتب الى القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة ، وأن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقي عمرو ، فيقال : ان القبط الذين كانوا بالفرما ، كانوا يومئذ لعمرو أعواناً ، قال : ثم توجه عمرو لا يدافع الا بالأمر الخفيف حتى نزل القواصر [٤] .

فحكى عن رجل من لخم قال : كنت أرعى غنماً لأهلي بالقواصر ، فنزل عمرو ومن معه الى أقرب منازلهم ، فاذا بنفر من القبط كنت قريباً منهم ، فقال بعضهم لبعض ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جمع الروم ، وانما هم

---

(١) جبل في طريق مصر من الشام دون العريش إلى الشام ، وكان من منازل بني راشدة ، فلما قصد عمرو بن العاصي فتح مصر نفرت منه بنو راشدة من جبل الحلال . معجم البلدان .

(٢) مدينة على الساحل من ناحية مصر . معجم البلدان .

(٣) في كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ـ ط . ليدن ١٩٢٠ ، وهو المصدر الذي استقى منه ابن حبيش : ٥٨ « أبو بنيامين » .

(٤) موضع بين الفرما والفسطاط . معجم البلدان .

في قلة من الناس،فأجابه رجل منهم آخر ، فقال: ان هؤلاء القوم لا يتوجهون الى أحد الا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم ، قال : فقمت اليه فأخذت بتلابيبه فقلت : أنت تقول هذا ، انطلق معي الى عمرو بن العاصي حتى يسمع الذي قلت ، فطلب الى أصحابه وغيرهم حتى خلصوه ، ثم تقدم عمرو لا يدافع الا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس[1] فقاتلوه بها نحواً من شهر حتى فتح الله عز وجل عليه ، ثم مضى لا يدافع الا بالأمر الخفيف حتى أتى دينين [2] فقاتلوه قتالاً شديداً وأبطأ عليه الفتح ، فكتب الى عمر يستمده فأمده باربعة آلاف تمام ثمانية آلاف فقاتلهم .

وعن رجل من لخم قال : جاء رجل الى عمرو بن العاصي فقال: اندب معي خيلاً حتى آتي من ورائهم عند القتال فأخرج معه خمسمائة فارس فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل [3] قبل الصبح ، وكانت الروم قد خندقوا خندقاً وجعلوا أبواباً ، وبثوا في أفنيتها حسك الحديد ، فالتقى القوم حين أصبحوا، وخرج اللخمي بمن معه من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن، وقيل كان على هذا البعث خارجة بن حذافة ، فلما كان في وجه الصبح نهض القوم فصلوا الصبح ، ثم ركبوا خيلهم ، وغدا عمرو بن العاصي على القتال فقاتلهم من وجوههم ، وحملت الخيل التي كان وجه من ورائهم ، وأقحمت عليهم ، فانهزموا ، وكانوا قد خندقوا حول الحصن ، وجعلوا للخندق أبواباً .

قال : فسار عمرو بمن معه حتى نزل الحصن فحصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ، ففعل ذلك .

قال : فلما أبطأ الفتح على عمرو بن العاصي قال الزبير : اني أهب نفسي

---

(١) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام . معجم البلدان .

(٢) في معجم البلدان « أم دنين » والشيء نفسه عند ابن عبد الحكم : ٥٩ ، وروى ياقوت أنها كانت قرية بين القاهرة والنيل اختلطت بمنازل ربض القاهرة .

(٣) لم أجده في معجم البلدان أو سواه .

لله أرجو أن يفتح الله عز وجل بذلك على المسلمين ، فوضع سلماً الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ، ثم صعد وأمرهم اذا سمعوا تكبيرة أن يجيبوه جميعاً، فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر معه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر .

قال : فلما اقتحم الزبير ، وتبعه من تبعه ، وكبر من كبر معه ، وأجابهم المسلمون من خارج ، لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعاً ، فهربوا فعمد الزبير وأصحابه الى باب الحصن ففتحوه ، واقتحم المسلمون الحصن ، فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه ، فحينئذ سأل عمرو بن العاصي الصلح ، ودعاه اليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم ، فأجابه عمرو إلى ذلك .

قال : وصعد مع الزبير الحصن محمد بن مسلمة ومالك بن أبي سلسلة السلامي ورجال من بني حرام، وان شراحيل بن حجبه المرادي نصب سلماً آخر من ناحية الزمامرة اليوم ، فصعد عليه ، وكان بين الزبير وشراحيل شيء على باب أو على مدخل ، فكان شراحيل نال من الزبير بعض ما كره ، فلما بلغ عمراً ذلك قال له : استقد منه إن شئت ، فقال الزبير : أمن نغفة [١] من نغف اليمن أستقيد يابن النابغة ؟ [٢] وكان صفة الزبير: أبيض حسن القامة، ليس بالطويل قليل شعر اللحية ، أهلب [٣] كثير شعر الجسد ، وكان مكثهم على ما حكى الليث بن سعد على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر .

قال ابن عبد الحكم : وقد سمعت في فتح القصر وجهاً آخر ، أن المسلمين

---

(١) دودة تكون في أنوف الإبل والغنم ، وما تخرجه من أنفك من مخاط يابس ونحوه ، ومنه قالوا للمستحقر : يا نغفة. القاموس .

(٢) يلاحظ أن المصنف اختصر رواية ابن عبد الحكم اختصاراً شديداً، انظر: ٥٩-٦٤.

(٣) كثير الشعر . القاموس .

لما حصروا باب اليون [١] وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم ؛ وعليهم المقوقس فقاتلوهم بها شهراً ، فلما رأى القوم منهم الجد على فتحه والحرص ، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه ، خافوا أن يظهر عليهم ؛ فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط ، وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصباغة اليوم ، وأمروا بقطع الجسر وذلك في جري النيل .

وزعم بعض مشايخ أهل مصر أن الأعرج [٢] كان يخلف في الحصن بعد المقوقس ، فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف ، وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ، ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة .

قال : فأرسل المقوقس الى عمرو بن العاصي : إنكم قوم قد ولجتم بلادنا وألجئتم على قتالها ، وقد طال مقامكم في أرضنا ، وإنما أنتم عصبة يسيرة ، وقد أظلتكم الروم ، وجهزوا إليكم ومعهم من العدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى في أيدينا فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامكم فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم ، فلا ينفعنا كلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لطلبتكم ورجائكم فابعث إلينا رجالا من أصحابك نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء .

فلما أتت عمرو بن العاصي رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك في دينهم ؟ إنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين ، فرد عليهم عمرو مع رسله إنه ليس بيننا وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال : أما إن

---

(١) ليس بعيداً عن موقع القاهرة الحالي .

(٢) سبق ذكره باسم « الاعيرج » .

دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا، وكان لكم ما لنا ، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون وأما إن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، وهو خير الحاكمين .

فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال : كيف رأيتموهم ؟ قالوا : رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليه من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا رهبة ، إنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد منهم ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويتخشعون في صلاتهم . فقال عند ذلك المقوقس : والذي يحلف به ، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض ، وقووا على الخروج من موضعهم ، فرد إليهم المقوقس رسله أن ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاح لنا ولكم ، فبعث عمرو بن العاصي عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت .

وعن ابن عمير قال : أدرك الاسلام من العرب عشرة نفر ، طول كل واحد منهم عشرة أشبار ، عبادة بن الصامت أحدهم .

قال: وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم وأن لا يجيبهم الى شيء دعوه اليه إلا إحدى هذه الثلاث خصال ، وكان عبادة أسود ، فلما ركبوا السفن الى المقوقس ، ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه لسواده ، فقال : تحوا عني هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمني ، فقالوا جميعاً : ان هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً ، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ، وإنما نرجع جميعاً الى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به ، وأمرنا بأن لا نخالف رأيه وقوله ، قال : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ، وإنما كان ينبغي أن يكون هو دونكم ! قالوا :

كلا إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً ، وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً وليس ينكر السواد فينا ، فقال المقوقس لعبادة : تقدم يا أسود كلمني برفق فإني أهابك وأهاب سوادك ، فان اشتد كلامك علي ازددت لذلك هيبة ، فتقدم اليه عبادة ، فقال : قد سمعت مقالتك وإن في من خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سواداً مني وأفظع منظراً ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي ، وأنا قد وليت وأدبر شبابي ، وأنا مع ذلك بحمد الله مـا أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً ، وكذلك أصحابي ، وذلك أنا إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ، ولا طلباً للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا ، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً ، وما يبالي أحـــدنا أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك الا درهماً ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليله ونهاره ، وشملة يلتحفها ، فان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاه ، وان كان لـه قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله ، واقتصر على هـــذا الذي بيده ، ويبلغه ما كان في أيدينا ، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء في الآخرة ، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا ، وعهد الينا أن لا يكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، ويكون همته وشغله في رضى ربه وجهاد عدوه .

فلما سمع ذلك المقوقس منه ، قال لمن حوله : سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره وان قوله لأهيب عنـــدي من منظره ، ان هذا وأصحابه أخرجهم الله لخـراب الأرض ، مـا أظن ملكهم الا سيغلب على الأرض كلها .

ثم أقبل المقوقس على عبادة فقال أيها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغتم إلا بما ذكرت وما ظهرتم على من

ظهرتم عليه إلا بحبهم الدنيا ، ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جموع الروم ما لا يحصى عدده ، قوم يعرفون بالنجدة والعدة ، وما يبالي أحدهم من لقي ، ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تطيقوهم ، لضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ، ونحن نطيب أنفساً أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ، ولأميركم مائة دينار ، ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به .

فقال عبادة بن الصامت : يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك ، أما ماتخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم ، وأنا لا نقوى عليهم ، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما نكون في قتالهم ، وأشد لحرصنا ، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنته ، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك ، وإنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسنيين إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا ، وإن الله تعالى قال لنا في كتابه ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ (١) وما من رجل الا وهو يدعو ربه صباحاً ومساء أن يرزقه الله الشهادة ، وأن لا يرده الى بلده ولا الى أرضه ولا الى أهله وولده ، وليس لأحد منا هم فيما خلفه ، قد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همتنا ما أمامنا .

أما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا ، فنحن في أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما ازددنا لأنفسنا أكثر مما نحن عليه ، فانظر الذي تريد

---

(١) سورة البقرة ـ الآية : ٢٤٩ .

فبينه لنا فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ، ولا نجيبك إليها الا خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل .

بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل الينا اما أجبتم الى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله عز وجل غيره، وهو دين أنبيائه وملائكته ورسله أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فان فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا في دين الله فان قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم فان أبيتم الا الجزية فأدوا الينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام ما بقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم في ذمتنا ، وكان لكم به عهد علينا، فان أبيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا ، أو نصيب ما نريد منكم ، هذا ديننا الذي ندين به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، وانظروا لأنفسكم .

فقال له المقوقس : هذا ما لا يكون أبداً ما تريدون الا أن تتخذونا نكون لكم عبيداً ما كانت الدنيا ، فقال له عبادة بن الصامت : هو ذلك فاختر ما شئت ، فقال له المقوقس أفلا تجيبوننا الى خصلة غير هذه الثلاث الخصال فرفع عبادة يديه فقال: لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء ما لكم عندنا خصلة غيرها ، فاختاروا لأنفسكم .

فالتفت المقوقس عند ذلك الى أصحابه فقال : قد فرغ القوم فما تريدون ؟ فقالوا : أونرضى بهذا الذل ؟ أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا ما لا يكون أبداً ، أنترك دين المسيح بن مريم وندخل في دين غيره لا نعرفه ، وأما ما أرادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيداً أبداً فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مراراً كان أهون علينا .

فقال المقوقس لعبادة: قد أتى القوم بما ترى فراجع صاحبك على أن نعطيكم في مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون ، فقام عبادة وأصحابه .

فقال المقوقس عند ذلك لمن حوله : أطيعوني وأجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ، ولئن لم تجيبوا اليها طائعين لتجيبنهم الى ما هو أعظم كارهين، فقالوا : وأي خصلة نجيبهم اليها ؟ قال : اذاً أخبركم: أما دخولكم في غير دينكم فلا آمركم به ، وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ، ولا بد من الثالثة قالوا : نكون لهم عبيداً أبداً قال : نعم تكونون عبيداً مسلطين في بلادكم ، آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم ، خير لكم من أن تموتوا من آخركم ، وتكونوا عبيداً تباعون وتزقون في البلاد مستبدين أبداً ، أنتم وأهليكم وذراريكم ، قالوا : فالموت أهون علينا ، وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط والجزيرة ، وبالقصر من جميع القبط والروم جمع كثير ، فألح عليهم المسلمون عند ذلك بالقتال على من في القصر حتى ظفروا بهم، وأمكن الله عز وجل منهم ، فقتل منهم خلق كثير، وأسر من أسر ، وانحازت السفن كلها الى الجزيرة ، وصار المسلمون قد أحدق بهم الماء من كل جهة لا يقدرون على أن يتقدموا نحو الصعيد، ولا الى غير ذلك من المدائن والقرى، والمقوقس يقول لأصحابه : ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم، ما تنتظرون فوالله لنجيبن الى ما أرادوا طوعاً ، ولنجيبنهم الى ما هو أعظم منه كرهاً ، فأطيعوني من قبل أن تندموا .

فلما رأوا منهم ما رأوا ، وقال لهم المقوقس ما قال ، أذعنوا بالجزية ، ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه ، فأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص اني لم أزل حريصاً على اجابتك الى خصلة من تلك الخصال التي أرسلت الي بها ، فأبى ذلك من حضرني من الروم والقبط ، فلم يكن لي أن أفتات عليهم في أموالهم ، وقد عرفوا نصحي لهم وحبي صلاحهم ، ورجعوا الى قولي

فاعطني أماناً أجتمع أنا وأنت في نفر من أصحابي ، وأنت في نفر من أصحابك فان استقام الأمر بيننا تم ذلك لنا ، وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه .

فاستشار عمرو أصحابه في ذلك ، فقالوا : لا نجيبهم الى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله عز وجل علينا ، ويصير كل لنا فيئاً وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه ، فقال عمرو : قد علمتم ما عهد إلي أمير المؤمنين في عهده ، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إلي فيها أجبتهم إليها وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم ، فاجتمعوا على عهد بينهم ، واصطلحوا على أن يعرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين دينارين على كل نفس شريفهم ودنيهم ووضيعهم ، ومن بلغ الحلم منهم ، وليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء ، وعلى أن للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا ، وإن نزل ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترض عليهم ، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يعرض لهم في شيء منها فشرط هذا كله على القبط خاصة ، وأحصى عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم وفرض عليه الدينارين ، رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة ، فكان جميع من أحصي يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس ، فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة . .

وعن يحيى بن ميمون الحضرمي قال: لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي ، فأحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغ عدتهم ثمانية آلاف ألف .

قال : وشرط المقوقس للروم أن يخيروا، لمن[1] أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام ، وكان ذلك لازماً له مفترضاً عليه ممن أقام بالاسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج ، وعلى أن للمقوقس الخيار في الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل ، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم ، وإلا كانوا جميعاً على ما كانوا عليه ، وكتبوا به كتاباً ، وكتب المقوقس كتاباً الى ملك الروم يعلمه وجه الأمر كله ، فكتب إليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ، ويقول في كتابه : إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا، فإن عندك من الروم بمصر والإسكندرية ، ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم في حال القبط ، أذلاء ألا قاتلتهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت ، أو تظفر عليهم ، فإنهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم ، وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة فناهضهم القتال ولا يكون لك رأي غير ذلك .

وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتاباً إلى جماعة الروم ، فقال المقوقس لما أتاه كتاب ملك الروم :والله انهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا ، إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا ، وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل يتمنى ألا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده ، ويرون أن لهم أجراً عظيماً فيمن قتلوه منا ، ويقولون إنهم إن قتلوا دخلوا الجنة، وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة إلا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ، ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها ، فكيف

(١) في ابن عبد الحكم : ٧٠ « فمن » .

نستقيم نحن وهؤلاء . وكيف صبرنا معهم ، واعلموا معشـــر الروم والله إني لا أخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه ، وإني لأعلم أنكم سترجعون غـداً إلى رأيي وقولي ، وتتمنون أن لو كنتم أطعتموني ، وذلك أني قد عـــاينت وعرفت ورأيت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ، ويحكم أما يرضى أحدكـم أن يكون آمناً في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة .

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاصي فقال له : إن الملك قد كره ما فعلت وعجزني وكتب إلي وإلى جماعة الروم أن لا نرضى بما صالحتكم ، وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ، ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه ، وعـاقدتك عليه ، وإنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني ، وقد تم صلح القبط فيما بينـــك وبينهم ، ولم يأت من قبلهم نقض ، وأنا متم لك على نفسي ، والقبط متمون ذلك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا منهم براء ، وأنا أطلب إليك أن تعطيني ثلاث خصال ، قال له عمرو : ما هن ؟ قال : ألا تنقـــض ، وأدخلني معهم ، وألزمني ما لزمهم ، وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على مـــا عاهدتك عليه ، فهم متمون لك ما تحب ، وأما الثانية إن سألك الروم بعـــد اليوم أن تصالحهم حتى تجعلها فيئاً وعبيداً ، فإنهم أهل لذلك ، لأني نصحتهـم فاستغشوني ، ونظرت لهم فاتهموني ، وأما الثالثة أطلب إليك أن إذا[1] مت أن تأمرهم يدفنوني في أبي يحنس الاسكندرية ، فأنعم له عمرو بن العاص بذلك ، وأجابه إلى ما طلب على أن ضمنوا له الجسرين جميعاً ويقيموا لهم الأنزال والضيافة والأسواق والجسور ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية ففعلوا .

قال : وصارت لهم القبط أعواناً ويقال إن المقوقس إنما صالح عمـــرو بن العاصي على الروم ، وهو محاصر الاسكندرية .

وعن يزيد بن أبي حبيب : إن مقوقس الرومي الذي كان ملكاً على مصر ،

---

(١) في ابن عبد الحكم : ٧٢ « أنا » .

صالح عمرو بن العاصي على أن يصير من الروم من أراد المسير ، ويقر من أراد الإقامة على أمر قد سماه له ، فبلغ ذلك هرقل فتسخطه أشد التسخط، وأنكره أشد الإنكار، وبعث الجيش فأغلقوا الاسكندرية وآذنوا عمرو بن العاصي بالحرب فخرج إليه المقوقس ، فقال : أسالك ثلاثاً ، فذكر نحو ما تقدم .

قال : فخرج عمرو بن العاصي بالمسلمين حين أمكنهم الخروج ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط قد أصلحوا لهم الطريق ، وأقاموا لهم الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من قتال الروم ، وسمعت به الروم فاستعدت واستجاشت ، وقدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح، فخرج إليهم عمرو بن العاصي من الفسطاط متوجهاً إلى الإسكندرية ، ولم يلق أحداً منهم حتى بلغ ترنوط[1] فلقي بها طائفة من الروم فقاتلوه قتالاً خفيفاً ، فهزمهم الله ، ومضى عمرو بمن معه حتى لقي جمع الروم بكوم شريك فاقتتلوا به ثلاثة أيام ، ثم فتح الله للمسلمين وولى الروم أكتافهم ، ويقال : بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سمي ، وعمرو بترنوط فالجأوه إلى الكوم ، فاعتصم به ، وأحاط الروم به ، فلما رأى ذلك شريك بن سمي أمر أبا ناعمة مالك بن ناعمة الصدفي، وهو صاحب الفرس الأشقر الذي يقال له : أشقر صدف ، وكان لا يجارى سرعة فالمحط عليهم من الكوم ، وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى إلى عمرو فأخبره، فأقبل عمرو متوجهاً نحوه وسمعت به الروم فانصرفت وبالأشقر سميت خوخة الأشقر التي بمصر ، وذلك أن هذا الأشقر نفق ، فدفنه صاحبه هناك فسمي المكان به .

قال : ثم التقوا بسلطيس[2] فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ، ثم هزمهم الله ثم

---

(١) قرية بين مصر والإسكندرية ، وهي قرية كبيرة جامعة على النيل ، فيها أسواق ومسجد جامع وكنيسة خراب كبيرة. معجم البلدان .

(٢) من قرى مصر القديمة . معجم البلدان .

التقوا بالكريون [١] فاقتتلوا بها بضعة عشر يوماً ، وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة ، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو .

قال : فأصابت عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة ، فقال : يا وردان لو قهقرت قليلاً نصيب الروح فقال وردان الروح تريد ، الروح أمامك وليس هو خلفك فتقدم عبد الله فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه فقال عبد الله :

أقول إذا ما جالت [٢] النفس اصبري فعما قليل تحمدي أو تسلامي

فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال ، فقال عمرو : هو ابني حقاً .

وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاصي صلى يومئذ صلاة الخوف .

وعن بكر بن سوادة أن شيخاً حدثهم أنه صلى صلاة الخوف بالإسكندرية مع عمرو بن العاصي بكل طائفة ركعة وسجدتين ، قال : ثم فتح على المسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية ، فتحصن بها الروم ، وكانت عليهم حصون مبنية لا ترام حصن دون حصن ، فنزل المسلمون ما بين حلوة إلى قصر فارس ، إلى ما وراء ذلك معهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة .

وعن محمد بن يحيى الاسكندري قال : نزل عمرو بن العاص بحلوة [٣] فأقام بها شهرين وتحول إلى المقس فأخرجت عليه الخيل من ناحية البحيرة مستترة بالحصن فواقعوه ، فقتل من المسلمين يومئذ بكنيسة الذهب اثنا عشر رجلاً .

قال : ورسل ملك الروم تختلف إلى الإسكندرية في المراكب بسيادة الروم وكان ملك الروم يقول : لئن ظهرت العرب على الإسكندرية إن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية ،

---

(١) اسم موضع قرب الإسكندرية . معجم البلدان .

(٢) في ابن عبد الحكم : ٧٤ « جاشت » .

(٣) موضع بمصر ـ معجم البلدان .

وإنما كان عيد الروم حيث غلبت العرب على الشام بالإسكندرية ، فقال الملك : لئن غلبونا على الإسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكهم وأمر بجهازه ومصلحته لخروجه إلى الإسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه إعظاماً لها ، وأمر أن لا يتخلف عنه أحد من الروم ، وقال ما بقاء الروم بعد الإسكندرية ، فلما فرغ من جهازه صرعه الله فأماته ، وكفى المسلمين مؤونته ، فكان موته في سنة تسع عشرة [1] فكسر الله بموته شوكة الروم ورجع جمع كثير ممن كان قد توجه إلى الإسكندرية ، قال : واستأسدت العرب عند ذلك ، وألحت بالقتال على أهل الإسكندرية فقاتلوهم قتالاً شديداً .

وعن يزيد بن أبي حبيب قال : خرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية ، فحملوا على الناس فقتلوا رجلاً من مهرة فاحتزوا رأسه وانطلقوا به ، فجعل المهريون يتغضبون ويقولون لا ندفنه أبداً إلا برأسه ، فقال عمرو بن العاصي : تتغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالي بغضبكم ، احملوا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا رجلاً منهم ، فارموا برأسه يرموا برأس صاحبكم ، فخرجت الروم عليهم فاقتتلوا فقتل من الروم رجل من بطارقتهم فاحتزوا رأسه فرموا به إلى الروم ، فرمت الروم برأس المهري إليهم ، فقال : دونكم الآن فادفنوا صاحبكم .

وكان عمرو بن العاصي يقول : ثلاث قبائل في مصر : أما مهرة فقوم يَقْتُلون ولا يُقْتَلون ، واما غافق فقوم يُقْتَلون ولا يَقْتُلون ، واما بلي فأكثرها رجلاً صحب رسول الله ﷺ ، وأفضلها فارساً .

وعن موسى بن علي : ان رجلاً قال لعمرو بن العاصي : لو حصلت المنجنيق ورميتهم به لتهدم منه حائطهم ، فقال عمرو : تستطيع ان تغني مقامك من

---

(١) في حاشية الاصل : تاريخ موت هرقل .

الصف ، وقيل لعمرو : إن العدو قد غشوك ونحن نخاف على رالطة ، يريدون امرأته ، فقال : إذاً يجدون رئاطاً كثيرة .

وعن خالد بن نجيح قال : أخبرني الثقة ان عمرو بن العاصي قاتل الروم بالإسكندرية يوماً من الأيام قتالا شديداً فلما استمر القتال بينهم بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومي وألقاه عن فرسه وأهوى إليه بسيفه ليقتله حتى حماه رجل من اصحابه ، وكان مسلمة لا يقام بسبيله ولكنهامقادير ففرحت بذلك الروم وشق على المسلمين ، وغضب عمرو بن العاصي لذلك ، وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن ، فقال عمرو بن العاصي عند ذلك : ما بال الرجل المسته الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال يتشبه بهم ، ففضب من ذلك مسلمة ولم يراجعه .

ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الاسكندرية فقاتلتهم العرب في الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى اخرجوهم جميعاً من الحصن إلا أربعة نفر بقوا في الحصن ، وأغلقوا عليهم باب الحصن أحدهم عمرو بن العاصي والآخر مسلمة بن مخلد ، ولم نحفظ الآخرين ، وحالوا بينهم وبين أصحابهم ولا يدري الروم من هم ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاصي وأصحابه التجأوا إلى دياس من حماماتهم فدخلوا فيه فاحترزوا به فأمروا رومياً أن يكلمهم بالعربية فقال لهم : إنكم قد صرتم بأيدينا أسارى فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم ، فامتنعوا عليهم ، ثم قال لهم : إن في أيدي أصحابكم منا رجالا أسروهم ونحن نعطيهم العهود ونفادي بكم أصحابنا ولا نقتلكم ، فأبوا عليهم فلما رأى ذلك الرومي منهم ، قال لهم : هل لكم إلى خصلة وهي نصف فيما بيننا وبينكم ، أن تعطونا العهد ونعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل ومنا رجل فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا وأمكنتمونا من أنفسكم ، وإن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم إلى أصحابكم ، فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمرو ومسلمة وصاحباهما

في الحصن في الديماس ، فتداعوا إلى البراز فبرز رجـــل من الروم وثقت الروم بنجدته وشدته ، وقالوا : يبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسلمة ، وقال : يا هذا تخطىء مرتين تشذ من أصحابك وأنت أمير ، وإنمـــا قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحـــوك لا يدرون ما أمرك ثم لا ترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل ، فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك ، مكانك وأنا أكفيكه إن شاء الله ، قال عمرو : دونك فربما فرجها الله بك فبرز مسلمـــة والرومي فتجاولا ساعة ثم أعانه الله تعالى عليه ، فقتله وكبر مسلمة وأصحابـه ، ووفى لهم الرومي بما عاهدهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن ، فخرجوا ولا يدري الروم أن أمير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك ، وأكلوا أيديهم تغيظاً على ما فاتهم ، فلما خرجوا استحى عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب ، فقال عمرو عند ذلك : استغفر لي ما كنت قلت لك فاستغفر له . وقال عمرو : أما والله ما أفحشت قط إلا ثلاث مرات : مرتين في الجاهلية ، وهذه الثالثة ومـــا منها مرة إلا وقد ندمت واستحييت ، وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك ، ووالله إني لأرجو أن لا أعود إلى الرابعـة ما بقيت .

وعن أسلم مولى عمر رحمه الله قال : لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص أما بعد: فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، إنكم تقاتلونها منذ سنتين وما ذلك إلا لما أمدحتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم وإن الله عز وجل لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم ، وقـــد كنت وجهت إليك أربعة نفر وأعلمتك أن الرجل منهم مقام الف [1] رجل . مـــا كنت أعرف إلا أن يكونوا غيّرهم ما غير غيّرهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية ، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس

(١) جاء في حاشية الاصل : من هؤلاء الاربعة ؟ تقدموا في الدرجة فـــانهم : الزبير ، والمقداد ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، أو خارجة بن حذافة .

ومر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحـــد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإن بها تنزل الرحمة ، ووقت الإجابة ، وليضج الناس إلى الله ويسألونه النصر على عدوهم .

فلما أتى عمراً الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر ، ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ، ثم يرغبوا إلى الله عز وجل ويسألوه النصر ففعلوا ، ففتح الله عز وجل عليهم ، ويقال : إن عمرو ابن العاصي استشار مسلمة بن مخلد فقال له أشر علي في قتال هؤلاء ، فقـــال له مسلمة : أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله ﷺ ، فتعقد له على الناس ، فيكون هو الذي يباشر القتال ، ويكفله فقال عمرو من ذلك؟ فقال: عبادة بن الصامت ، فدعا عمرو عبادة فأتاه وهو راكب على فرسه ، فلـما دنا منه أراد النزول ، فقال له عمرو : عزمت عليك أن تركب ، ناولني سنان رمحك فناوله إياه فنزع عمرو عمامته عن رأسه ، وعقد له وولاه قتـــال الروم ، فتقدم عبادة مكانه ، فصاف الروم وقاتلهم ، ففتح الله على يديـــه الإسكندرية من يومهم ذلك .

وعن جنادة بن أبي أمية قال : دعاني عبادة بن الصامت يوم الإسكندرية ، وكان على قتالهم ، فأغار المدو على طائفة من الناس ، ولم يأذن بقتالهم فبعثني أحجز بينهم ، فأتيتهم فحجزت بينهم ، ثم رجعت إليه ، فقال: أقتل أحد من الناس ؟ قلت : لا ، قال : الحمد لله الذي لم يقتل أحد منهم عاصياً .

وعن مالك بن أنس أن مصر فتحت سنة عشرين ، فلـــما هزم الله الروم وفتحت الإسكندرية ، وهرب الروم في البحر والبر خلف عمرو بن العـاصي بالإسكندرية من أصحابه ألف رجل ، ومضى عمرو من معه في طلب من هرب من الروم في البر ، فرجع من كان هرب من الروم في البحر إلى الإسكندرية ، فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب منهم ، وبلغ ذلك عمراً ، فكـر

راجعاً ، ففتحها وأقام بها ، وكتب إلى عمر بن الخطاب : إن الله عز وجل قد فتح علينا الإسكندرية عنوة ، بغير عقد ولا عهد ، فكتب إليه عمر بن الخطاب يقبح رأيه ، ويأمره أن لا يجاوزها .

قال ابن لهيعة : وهو فتح الإسكندرية الثاني .

قال : وكان سبب فتحها أن رجلاً يقال له ابن بسامة كان بواباً ، فسأل عمرو ابن العاصي أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب ، فأجاب عمرو إلى ذلك ففتح ابن بسامة الباب ، فدخل عمرو ، وكان مدخله هذا من ناحية القنطرة التي يقال لها : قنطرة سليمان ، وكان مدخل عمرو الأول من باب المدينة الذي من ناحية كنيسة الذهب ، وقد بقي لابن بسامة بالإسكندرية عقب إلى اليوم .

وعن سليم بن اسماعيل المعافري ، قال : قتل من المسلمين من حين كان من أمر الإسكندرية ما كان إلى أن فتحت اثنان وعشرون رجلاً ، وبعث عمرو ابن العاصي معاوية بن حديج وافداً إلى عمر بن الخطاب بشيراً بالفتح ، فقال له معاوية : ألا تكتب معي كتاباً ؟ فقال له عمرو : ما أصنع بالكتاب ؟ ألست رجلاً عربياً يبلغ الرسالة ، وما رأيت وحضرت ؟ فلما قدم على عمر رحمه الله أخبره بفتح الإسكندرية فخر عمر ساجداً ، وقال : الحمد لله .

وعن موسى بن علي عن أبيه أنه سمع معاوية بن حديج يقول بعثني عمرو بن العاصي إلى عمر رحمه الله بفتح الإسكندرية ، فقدمت المدينة في الظهيرة فأنخت راحلتي بباب المسجد ، ثم دخلت المسجد فبينا أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب فرأتني شاحباً علي ثياب السفر ، فأتتني فقالت : من أنت ؟ فقلت : أنا معاوية بن حديج رسول عمرو بن العاصي ، فانصرفت عني ثم أقبلت تشتد أسمع حفيف إزارها على ساقها أو على ساقيها حتى دنت مني ، فقالت : قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك فتبعتها ، فلما دخلت إذا بعمر بن الخطاب

يتناول رداءه بإحدى يديه ، ويشد إزاره بالأخرى ،فقال : ما عندك ؟ فقلت: خير يا أمير المؤمنين فتح الله عز وجل الإسكندرية ، فخرج معي للمسجد فقال للمؤذن : أذن في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال عمر : قم فأخبر أصحابك ، فقمت فأخبرتهم ، ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة ودعا بدعوات ، ثم جلس فقال : يا جارية هل من طعام فأتت بخبز وزيت فقال :كل فأكلت على حياء ، ثم قال : يا جارية هل من تمر؟ فأتت بتمر في طبق فقال كل فأكلت على حياء ، قال : ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد ؟ قال : قلت: أمير المؤمنين قائل ، قال : بئس ما قلت ، أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي ، فكيف لي بين هذين بالنوم يا معاوية [1] .

وكتب عمرو إلى عمر رحمه الله ، أما بعد : فإني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أني أصبت فيها أربعة آلاف مُنْشِيَة [2] بأربعة آلاف حمام .

قال : ووجد فيها اثني عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر ، وأربعين ألف يهودي على الجزية ، وأربعمائة ملهى للملوك ، وقيل كان بالإسكندرية فيما أحصي من الحمامات اثنا عشر دياساً أصغر دياس فيه سبعة آلاف مجلس ، كل مجلس يسع جماعة نفر ، وكان عدة من بالإسكندرية من الروم يومئذ مائتي ألف من الرجال ، فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن ، وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفاً ما قدروا عليه من المتاع والأهل والمال ، وبقي من بقي ممن بلغ الخراج ، فأحصي يومئذ ستمائة ألف بين النساء والصبيان ، فاختلف الناس على عمرو في قسمهم ، فكان أكثر الناس يريدون قسمها ، فقال عمرو : لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى امير المؤمنين،

---

(١) في ابن عبد الحكم : ٨١ « فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية » .

(٢) أى قرية .

فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها ، ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها ، فكتب إليه عمر رحمه الله : لا تقسمها وذرهم حتى يكون خراجهم فيئاً للمسلمين وقوة لهم على جهادهم عدوهم فأقرها عمرو ، وأحصى أهلها ، وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صلحاً بفريضة دينارين دينارين على كل رجل لا يزاد على أحد منهم في جزية رأسه على دينارين ، إلا أنه يلزمه بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع ، إلا الإسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم ، لأن الإسكندرية فتحت عنوة بغير عقد ولا عهد ، ولم يكن صلح ولا ذمة .

وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاصي استحل مال قبطي من قبط مصر لأنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين ، ويكتب إليهم بذلك ، فاستخرج منه بضعة وخمسين إردباً [1] دنانير ، ويقال إن عمراً لما فتح مصر قال للقبط : إن من كتمني كنزاً عنده فقدرت عليه قتلته ، فقيل لعمرو إن قبطياً يقال له بطرس عنده كنز ، فأرسل إليه فجحد فحبسه عمرو ، وسأل هل يسمع بذكر أحداً ، فقيل له : إنه يسأل عن راهب بالطور ، فأخذ خاتم بطرس ، وكتب إلى ذلك الراهب أن ابعث إلي بما عندك وختم بخاتمه ، فأرسل إليه بقلة شامية مختومة بالرصاص ، فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها: ما لكم تحت الفسقية الكبيرة ، فأرسل عمرو إلى الفسقية ، فحبس عنها الماء وقلع البلاط تحتها ، فوجد فيها اثنين وخمسين إردبا ذهباً مضروبة ، فضرب عمرو رأسه فأخرج القبط كنوزهم خشية أن يقتلوا .

وعن سفيان بن وهب الخولاني أنه قال : لما فتحنا مصر بغير عهد ، قام الزبير ابن العوام فقال : اقسمها يا عمرو ، فقال عمرو : لا أقسمها ، فقال الزبير : والله لتقسمها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر ، فقال عمرو : والله لا أقسمها حتى

(١) مكيال ضخم بمصر ، يعدل أربعة وعشرين صاعاً أو ست ويبات . القاموس .

أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إليه: أقرها حتى تغزو منها جبلَ الجبلة، وفي حديث آخر أن الزبير صولح على شيء أرضي به .

وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أشياخه أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

وعن عروة بن الزبير مثله .

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن نحوه وأن عمر رحمه الله حبس درهما وضرعها أن يخرج منه شيء ، نظراً للإسلام وأهله .

وعن زيد بن أسلم قال : كان لعمر رحمه الله ثابوت فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده ، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد .

وعن ابن شهاب أنه قال : كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة ، وبعضها عنوة، فجعلها عمر بن الخطاب جميعاً ذمة ، وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم إلى اليوم .

قال ابن لهيعة : وأخبرنا بعض شيوخنا : أن عبد العزيز بن مروان لما قدم الإسكندرية ، سأل هل بقي بالإسكندرية أحد ممن أدرك فتحها ؟ فأتوه بشيخ من الروم من أكابر أهل الإسكندرية يومئذ ، فأعلموه أنه قد أدرك فتح الإسكندرية ، وهو رجل قد بلغ مبلغ الرجال ، فسأله أن يخبره من أعجب ما رأى يومئذ من المسلمين ، فقال : أخبرك أيها الأمير : إنه كان لي صديق من أبناء بطارقة الروم يومئذ منقطع إلي ، وإنه أتاني فسألني أن أركب معه حتى ننظر إلى المسلمين وإلى حالتهم وهيئتهم ، والعرب يومئذ محاصرون الإسكندرية قبل فتحها ، فخرجت معه [1] وهو على برذون له كثير [2] اللحم ، وأنا على برذون

---

(١) في الحاشية : قد لبس ثياب ديباج ، وعصابة ذهب ، وسيفاً محلى . ابن عبد الحكم .

(٢) كتب تحتها : سمين . انظر انظر ابن عبد الحكم : ٧٥ ، هذا ويلاحظ أن ابن حبيش اختار بعضاً من روايات ابن عبد الحكم ، ولذلك قام أحدهم بإثبات بعض روايات ابن عبد الحكم على أوراق مضافة وبخط مخالف دقيق جداً .

لي خفيف ، فلما خرجنا من الحصن الثالث وقفنا على كوم مشرف ننظر إلى العرب ، وإذا هم في خيام لهم ، وإذا على باب كل خيمة فرس واقف ورمح مركوز ، ورأينا قوماً ضعفاء فعجبنا من ضعفهم وقلنا : كيف بلغ هؤلاء القوم ما بلغوا ؟

فبينا نحن وقوف ننظر إليهم ونتعجب إذ خرج رجل من بعض تلك الخيام ، فلما نظر إلينا اختلع رمحه ، ووثب على ظهر فرسه ، ثم أقبل نحونا ، فقلت لصاحبي : إنه والله ليريدنا ، فلما رأيناه قد توجه نحونا مسرعاً ولينا هاربين ، ومضيت أنا وصاحبي فما كان بأرشك من أن أدركه فطعنه بالرمح فصرعه ثم تركه صريعاً ، وأقبل في أثري وأنا خائف ألا أفلت منه حتى دخلت الحصن الأول فنجوت منه ، ثم صعدت على سور الحصن لأبصر ما يفعل فرجع وهو يتكلم بكلام ، ويرفع به صوته ، فظننت أنه يقرأ ، ثم مضى فاعترض برذون صاحبي حتى أخذه ، ورجع إلى صاحبي وهو صريع فأخذ سيفه وترك سلبه فلم يأخذه تهاوناً به ، وكانت ثيابه ديباجاً كلها ، فلم يأخذها ولم ينزعها عنه ، قال : فقال له عبد العزيز : صف لي ذلك الرجل وشبهه ببعض من عندي فأشار إلى رجل مخفف كوسج [1] ، فقال : هو يشبه هذا ، قال عبد العزيز يخبرك أنه يماني .

وعن يزيد بن أبي حبيب قال : كان في كتاب عمر رحمه الله إلى عمرو بن العاصي : إنه قد بلغني أنك سرت بمن معك إلى أرض مصر وبها جموع الروم وإنما معك نفر يسير ولعمري لو كان ثكل أمك ما تقدمت بهم ، فإذا جاء كتابي هذا ، فإن كنت بلغت أرض مصر فلا ترجع ، فقال : الحمد لله قد أتيت أرض مصر فسار كما هو حتى أتى الفرما ، فوجد بها الروم ، فقاتلهم بها

(١) الكوسج : الناقص الأسنان . القاموس .

فهزمهم الله ، ثم اتبعهم حتى أتوا إلى باب اليون ، فوضع المنجنيق على القصر فقال عمرو هذه الأبيات :

يوم لهمدان ويوم للصدف

والمنجنيق في بلي يختلف

وعمرو يرقل إرقال الشيخ الخرف

فقاتلهم حتى هزمهم الله ، ثم سار نحو الإسكندرية فبعث شريك بن سمي إثرهم فأدركهم عند الكوم الذي يقال له : كوم شريك ، فقاتلهم شريك بها فهزمهم الله ، ثم ساروا إلى الإسكندرية واتبعهم عمرو في آثارهم حتى أدركهم عند الكريون ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى صلى عمرو يومئذ صلاة الخوف من شدة القتال ، فهزمهم الله فساروا فأدركهم عمرو عند الإسكندرية فقاتلهم فهزمهم ودخلها عنوة .

وفي كتاب سيف عن أبي عثمان عن خالد وعبادة قالا : خرج عمرو بن العاصي إلى مصر بعدما رجع عمر إلى المدينة حتى انتهى إلى باب مصر [1] ، واتبعه الزبير فاجتمعا فلقيهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف في أهل النيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم ، فلما نزل به عمرو قاتلوه ، فأرسل اليهم عمرو : لا تعجلونا لننذر اليكم وترون رأيكم بعد فكفوا أصحابهم فأرسل إليهم عمرو : إني بارز فليبرز لي أبو مريم وأبو مريام ، فأجابوه إلى ذلك وأمن بعضهم بعضاً ، فقال لهما عمرو : أنتما راهبا أهل هذه البلدة ، فاسمعا فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق ، وأمره به ، وأمرنا به محمد ، وأدى الينا كل الذي أمر به ، ثم مضى صلوات الله عليه ، وقد قضى الذي عليه وتركنا على الواضحة .

---

(١) في الطبري : ٤ / ١٠٧ « باب إليون » .

(٢) في الطبري : ٤ / ١٠٧ « لننذر » .

وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا إليه عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة ، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا فيكم ، وإن لكم إن أجبتمونا إلى ذلك ذمة إلى ذمة .

ومما عهد الينا أميرنا : استوصوا بالقبطيين خيراً ، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً ، لأن لهم رحماً وذمة ، فقالا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها الأنبياء وأتباع الأنبياء ، معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا ، وكان من أهل منف ، والملك فيهم فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوا ملكهم ، واغتربوا فلذلك صارت إلى ابراهيم عليه السلام ، مرحباً بكم وأهلاً أمنا حتى نرجع إليك ، فقال عمرو : إن مثلي لا يخدع ، ولكني أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتناظرا قومكما ، وإلا ناجزتكم ، قالا : زدنا فزادهم يوماً ، فقالا : زدنا فزادهم يوماً ، فرجعوا الى المقوقس ، فهم ، فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم ، فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ، لا نرجع اليهم ، وقد بقيت أربعة أيام فلا تصابون فيها بشيء إلا رجونا أن يكون له أمان ، فلم يفجأ عمراً والزبير إلا البيات من قريب [1] ، وعمرو على عدة ، فلقوه وقتلوه ومن معه ثم ركبوا أكساءهم [2] وقصد عمرو والزبير لعين الشمس وبها جمعهم ، وبعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح ، فنزل عليها ، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية فنزل عليها ، فقال : كل واحد منهما لأهل مدينته إن شئتم أن تنزلوا فلكم الأمان ، فقالوا : نعم فراسلوهم وتربصوا [3] بهم أهل عين شمس وسبى المسلمون من بين ذلك .

---

(١) في الطبرى : ٤/ ١٠٨ « فرقب » .

(٢) في حاشية الاصل : لعله أقفاءهم ، ووافق ما جاء بالمتن ما ورد عند الطبرى ٤/١٠٨ .

(٣) في الطبرى : ٤/١٠٨ « وتربص » .

وقال عوف بن مالك : ما أحسن مدينتكم يا أهل الاسكندرية ، فقالوا : إن الإسكندر قال : إني ابني مدينـــة الى الله فقيرة وعن الناس غنيـة فبقيت بهجتها .

وقال أبرهة لأهل الفرما : ما أخلق مدينتكم يا أهـل الفرما ، قالوا : ان الفرما قال : اني أبني مدينة عن الله غنية وإلى الناس فقيرة ، فذهبت بهجتها ، وكان الاسكندر والفرما أخوين .

قال الكلبي : كان الاسكندر والفرما أخوين [1] ، ثم حـــدث مثل ذلك فنسبنا اليها ، فالفرما ينهدم فيهـا كل يوم شيء ، واختلفت مرآتها ، وبقيت جدة الاسكندرية .

وعن أبي حارثة وأبي عثمان قالا : ولما نزل عمرو على القوم بعين شمس ، وكان الملك بين القبط والنوب [2] ، ونزل معه الزبير عليها ، قال أهل مصر لملكهم : ما تريد الى قوم قـد فلوا كسرى وقيصر ، وغلبوهم على بلادهم ، صالح القوم واعتقد منهم ولا تعرض ولا تعرضنا لهم ، وذلك في اليوم الرابع فأبى وناهدوهم ، فقاتلوهم وارتقى الزبير سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو ، وخرجوا اليه مصالحين ، فقبل منهم ، ونزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم ، فاعتقدوا بعدما أشرفوا على الهلكة ، فأجروا مـــا أخذ عنوة ، مجرى ما صالح عليه ، فصاروا ذمة ، وكان صلحهم :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما أعطى عمرو بن العاصي أهل مصر من الأمان على أنفسهم ، وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم ، وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك

---

(١) الطابع الأسطورى واضح هنا .

(٢) في حاشية الأصل « لعله الروم » ووافق ما ورد بالمتن ما ذكره الطبرى : ٤ / ١٠٨ .

ولا ينتقض [١] ، ولا يساكنهم النوب ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ماجنى لصوتهم [٢] فإن أبى أحد أن يجيب رفع عنهم من الجزي فقدرهم ، وذمتنا ممن أبى بريئة ، وإن نقص نهرهم من عادته اذا انتهى ، رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ، أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم ، لهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله ﷺ وذمة الخليفة أمير المؤمنين ، وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً معونة على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة .

شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابنا عمرو [٣] ، وكتب وردان وحضر .

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم ، وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول ، فمصر عمرو الفسطاط ، ونزله المسلمون ، وظهر أبو مريم وأبو مريام فكلما عمراً في السبايا التي أصيبت بعد المعركة فقال أولهم عهد أو عقد ؟ ألم نحالفكما ويغار علينا من يومكما وطردهما ، فرجعا وهما يقولان كل شيء أصبتموه الى أن نرجع اليكم ففي ذمة ، فقال لهم : أتغيرون علينا وهم في ذمة ؟ قالا : نعم وقسم عمرو ذلك السبي على الناس وتوزعوه ، ووقع في بلدان العرب ، وقدم البشير الى عمر بعد بالأخماس ، وبعث الوفود فسألهم عمر فما زالوا يخبرونه حتى مروا بحديث الجاثليق وصاحبه فقال : ألا أراهما يبصران ، وأنتم تجاهلون ولا

---

(١) في الطبرى : ٤ / ١٠٩ « ينتقص » .

(٢) في الحاشية الأصل ما يفيد أنه ورد في نسخة أخرى «لصوصهم» ، ووافق ما ورد في الطبرى ما أثبت في المتن هنا.

(٣) في الطبرى : ٤ / ١٠٩ « الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب » وهو خطأ ، صوابه ما ورد في متن كتابنا .

تبصرون ، من قاتلكم فهذا الأمان له ، ومن لم يقاتلكم وأصابه منكم شيء من أهل القرى فله الأمان في الأيام الخمسة ، فجعل يجاء بهم من اليمن ومكة حتى ردوا ، وكتب عمر إلى عمرو : أما ما أصاب المسلمون في الأيام الخمسة إلا ممن قاتل بعد ، أو قاتل فيهن فاردوهم إلا من كان من ذلك الصوب.

وحضرت القبط باب عمرو ، وبلغ عمراً أنهم يقولون ما أرث العرب وأهون عليهم أنفسهم ، وما رأينا مثلنا دان لهم ، فخاف أن يستثيرهم ذلك من أمرهم ، فأمر بجزر فنحرت فطبخت بالماء والملح ، وأمر أمراء الأجناد أن يحضروا ، وأعلموا أصحابهم وجلس وأذن لأهل مصر ، وجيء باللحم والمرق فطافوا به على المسلمين فأكلوا أكلاً عربياً اقتشلوا وحسوا[1] وهم في العباء ولا سلاح ، فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعاً وجرأة ، وبعث في أمراء الجنود في الحضور بأصحابهم من الغد وأمرهم أن يجيئوا في ثياب مصر وأحذيتهم ، وأمرهم أن يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا ، وأذن لأهل مصر فرأوا شيئاً غير ما رأوا بالأمس وقام عليهم القوام بألوان مصر فأكلوا أكل أهل مصر ونحوا نحوهم ؛ فافترقوا وقد ارتابوا وقالوا : كدنا وبعث إليهم أن يتسلحوا للعرض غداً : وغدا على العرض ، وأذن لهم فعرضهم عليهم ، ثم قال : إني قد علمت أنكم أريتم أنفسكم بأنكم في شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم[2] فخشيت أن تهلكوا فأحببت أن أريكم حالهم وكيف كانت في أرضهم ، ثم حالهم في أرضكم ، ثم حالهم في الحرب وظفروا بكم ، وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني ، فأحببت أن تعلموا أن ما رأيتم في اليوم الثالث غير

---

(١) في حاشية الأصل : اقتشلوا يعني القشول بالقاف والمثلثة ، وهو القطعة الكبيرة من اللحم يعضها ، أي كانوا يتناولون القطع التي على هذه الصفة من اللحم ، وجاء أيضاً : حسوا بالمهملتين مخففاً : أي شربوا المرق .

(٢) التزجية : السوق والدفع . النهاية لابن الأثير .

تارك عيش اليوم الثاني ، وراجع إلى عيش اليوم الأول فتفرقوا وهم يقولون : لقد رمتكم العرب برجلهم .

وبلغ عمر رحمه الله ، فقال لجلسائه : والله إن حربه لينة ، ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره ، إن عمراً لعض [١] ثم أمره عليها وقام بها .

وعن عمرو بن شعيب قال : لما التقى عمرو والمقوقس بعين شمس ، واقتتلت خيلاهما ، جعل المسلمون يحولون بعد البعد [٢] ، فذمرهم عمرو ، فقال رجل من أهل اليمن : إنا لم نخلق من حكار [٣] ولا حديد ، فقال : اسكت فإنما أنت كلب ، فقال : فأنت أمير الكلاب ، قال : فلما جعل ذلك يتواصل ، نادي عمرو : أين أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : فحضر من شهدها من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : تقدموا فبكم ينصر المسلمون ، فتقدموا وفيهم يومئذ أبو بردة وأبو برزة ، وشاهدهم الناس يتبعون الصحابة ، وفتح الله عز وجل على المسلمين ، وظفروا أحسن الظفر ، وافتتحت مصر ، وقام فيها ملك الإسلام على رجل وجعل يفيض على الأمم والملوك ، وكان أهل مصر يتدفقون على الأجل ، وأهل مكران على راسل وداهر ، وأهل سجستان على الشاه وذويه ، وأهل خراسان والباب على خاقان ومن دونها من الأمم ، فكفكفهم عمر إبقاء على الإسلام ، ولو خلى سربهم لبلغوا كل منهل .

وعن محمد بن إسحق بسنده عن زياد بن جزء الزبيدي أنه حدثه أنه كان في جند عمرو بن العاصي حين افتتح مصر والإسكندرية ، قال : افتتحنا

---

(١) العض : الخبيث الشرس جمعه عضوض ، وفي الحديث « ثم يكون ملك عضوض » . النهاية لابن الأثير .

(٢) في حاشية الأصل : لعله « بعض البعد » ، ووافق ما ورد هنا ما جاء عند الطبري : ٤/١١١ .

(٣) في حاشية الأصل : لعله « حجارة » وهذا ما ورد في الطبري : ٤ / ١١١ .

الإسكندرية في خلافة عمر بن الخطاب فلما افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف فيما بيننا وبين الاسكندرية قرية فقرية حتى انتهينا إلى بلهيث قرية من قرى الريف يقال لها : قرية الريس ، وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن ، فلما انتهينا إلى بلهيث أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاصي إني كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض منكم معشر العرب كفارس والروم ، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبايا أرضي فعلت .

قال : فبعث إليه عمرو بن العاصي إن ورائي أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه ، فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني حتى أكتب إليه بالذي عرضت علي ، فإن قبل ذلك منك قبلت ، وإن أمرني بغير ذلك مضيت لأمره ، قال: فقال: نعم ، قال: فكتب عمرو بن العاصي إلى عمر بن الخطاب ، قال: وكانوا لا يخفون علينا كتاباً كتبوا به ، يذكر له الذي عرض عليه صاحب الإسكندرية ، قال: وفي أيدينا بقايا من سبيهم ، ثم وقفنا ببلهيث وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا عمرو فقرأه علينا ، وفيه : أما بعد فإنه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض عليك أن يعطيك الجزية ، على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه ، ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلي من فيء يقسم ، ثم كأنه لم يكن ، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية ، على أن تخيروا من في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه ، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما توضع على أهل دينه ، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإنا لا نقدر على ردهم ، ولا يجب أن تصالحه على أمر لا نفي له به .

قال : فبعث عمرو بن العاصي إلى صاحب الإسكندرية بعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين ، قال : فقال : قد فعلت ، قال : فجمعنا ما في أيدينا من السبايا ،

واجتمعت النصارى فجعلنا نأتي بالرجل ممن بأيدينا، ثم نخيره بين الإسلام وبين النصرانية ، فإذا اختار الإسلام كبرنا التكبيرة فهي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية ، قال : ثم نحوزه إلينا ، وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حازوه إليهم ، ووضعنا عليه الجزية ، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً ، حتى كأنه رجل خرج منا إليهم ، قال : فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منه ، وقد أتي فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن ، قال القاسم : وقد أدركته وهو عريف بني زبيد ، قال : فوقفنا فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية ، وأبوه وأمه وإخوته في النصارى ، فاختار الإسلام فحزناه إلينا ، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يحابذوننا حتى شققوا عليه ثيابه ، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى ، ثم فتحت لنا الإسكندرية ، فدخلناها وإن هذه الكناسة التي ترى يا بن أبي القاسم ، لكناسة بناحية الإسكندرية حولها أحجار ، كما ترى فما زادت ولا ولا نقصت ، فمن زعم غير ذلك أن الإسكندرية وما حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لأهلها عهد ، فقد كذب ، قال القاسم : وإنما هاج هذا الحديث أن ملوك بني أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر : إن مصر إنما دخلت عنوة ، وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ، ونضع ما شئنا .

وقد اختلف في وقت فتح مصر ، فذكر محمد بن اسحق أنها فتحت سنة عشرين ، وكذلك قال أبو معشر ، وقد روي عن أبي معشر أن الإسكندرية فتحت سنة خمس وعشرين ، وقال الواقدي : مثل ما قال ابن اسحق ، وأما سيف فزعم أن مصر والإسكندرية فتحتا في سنة ست عشرة .

وعن يزيد بن أبي حبيب : أن المسلمين لما فتحوا مصر ، غزوا نوبة مصر فقفل المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق من جودة رميهم فسموهم رماة الحدق، فلما ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان بن عفان صالحهم على هدية عدة رؤوس يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة ، ويهدي إليهم المسلمون في كل سنة

طعاماً مسمى وكسوة من نحو ذلك ، وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من ولاة الأمراء ، وأقره عمر بن عبد العزيز نظراً منه للمسلمين وإبقاء عليهم .

قال سيف : ولما كان ذو القعدة من سنة ست عشرة وضع عمر رحمه الله مسالح مصر على السواحل وغيرها ، وكان داعية ذلك أن هرقل أغزى مصر والشام في البحر ، ونهد لأهل حمص بنفسه وذلك لثلاث سنين وستة أشهر من إمارة عمر .

قال الطبري : وفي هذه السنة يعني سنة عشرين غزا أرض الروم أبو بحرة[1] الكندي عبد الله بن قيس وهو أول من دخلها فيما قيل ، وقيل أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي فسلم وغنم .

قال ابن عفير وغيره : لما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاصي جرائد الخيل إلى القرى التي حول الفسطاط ، وأقامت الفيوم سنة لا يعلم المسلمون بمكانها ، حتى أتاهم رجل فذكرها لهم ، فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفي ، فلما سلكوا في الجابه فلم يروا شيئاً هموا بالانصراف ، فقال : لا تعجلوا سيروا فان كذب فيما أقدركم على ما أردتم ، فلم يسيروا إلا قليلاً حتى طلع لهم سواد الفيوم ، فهجموا عليها ، فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم ، ويقال : بل خرج مالك بن ناعمة الصدفي ، وهو صاحب الأشقر على فرسه ببعض الجابه ، ولا علم له بما خلفها من الفيوم ، فهجم على الفيوم فلما رأى موادها رجع إلى عمرو فأخبره ، ويقال ، بل بعث عمرو بن العاصي قيس بن الحارث إلى الصعيد ، فسار حتى أتى القيس [2] فنزلها وسميت به ، فراث على عمرو خبره ، فقال ربيعة بن حبيش كفيت ، فركب فرسه فاجتاز عليها البحر وكانت أنثى ، فأتى

---

(١) في الطبري : ٤ / ١١٢ « أبو بجرية » .

(٢) قرية كانت في غربي النيل بعد الجيزة . معجم البلدان .

بالخبر ، ويقال إنما جاز من ناحية الشرقية حتى انتهى إلى الفيوم [١] .

ابن عبد الحكم عن شيوخه قالوا : لما استقامت البلاد وفتح الله على المسلمين الإسكندرية فرض عمرو بن العاصي من أصحابه لرباط الإسكندرية ربع الناس يقيمون ستة أشهر ، ثم يعقب بعدهم ستة أشهر ، وربع في السواحل ، والنصف الثاني مقيمون معه .

وقال غيرهم : كان عمر بن الخطاب يبعث كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية ، وكانت الولاة لا تغفلها ويكتبون مرابطتها ولا يأمنون الروم عليها ، وكتب عثمان بن عفان إلى عبد الله بن سعد : قد علمت كيف كان أمير المؤمنين يفعل بالإسكندرية ، وقد نقضت ، فالزم الاسكندرية مرابطتها وأمر عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر .

وكان عمرو يقول : ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة .

---

(١) ابن عبد الحكم : ١٦٩ .

ذكر فتح انطابلس وهي برقة

ابن عبد الحكم قال : كان البربر بفلسطين ، وكان ملكهم جالوت ، فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر ، فخرجوا منها متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية [١] ومراقية ، وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ، ولا ينالها النيل ، فتفرقوا هنالك ، فتقدمت زناتة ومغيلة إلى المغرب ، وسكنوا الجبال ، وتقدمت لواتة فسكنت أرض أنطابلس وهي برقة ، وتفرقت في هذا المغرب وانتشروا فيه حتى بلغوا السوس [٢] ونزلت هوارة مدينة لبدة [٣] ، ونزلت نفوسة إلى مدينة صبرة [٤] ، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك ، وأقام الأفارق - وكانوا خدماً للروم - على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم والأفارق بنو فارق بن منصور بن حام .

---

(١) إذا قصد القاصد من الاسكندرية إلى إفريقية فأول بلد يلقاه مراقية ثم لوبية . معجم البلدان .

(٢) تعني كلمة « سوس ، سوسة ، سوس » الثغر ، واختلف في موضع السوس من المغرب ، ولهذا قيل « السوس الأدنى » « والسوس الأقصى » ويرى بعض الباحثين أن السوس الأقصى حده نهر السنغال .

(٣) مدينة بين برقة وإفريقية . وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة ، وهو حصن من بنيان الأول بالحجر والآجر وحوله آثار عجيبة ، معجم البلدان . تقع خرائب لبدة في ليبيا بعيداً عن مدينة طرابلس بحوالى مائة وعشرين كلم ، وهي مدينة فينيقية ساحلية تطورت بشكل عظيم أيام أسرة سيروس التي حكمت روما .

(٤) في ضواحي مدينة القيروان . عظم شأنها في العصر الفاطمي . انظرها في معجم البلدان ، ويخيل إلي أنه قصد هنا صبراتة وهي مدينة ليبية تبعد حوالى الستين كلم عن طرابلس .

فسار عمرو بن العاصي في الخيل حتى قدم برقة [١] فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية ، على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم ، قال : ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج إنما يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها ، ووجه عمرو بن العاصي عقبة بن نافع حتى بلغ ذويلة وصار سائر برقة وذويلة للمسلمين .

فتح أطرابلس

قال : ثم سار عمرو بن العاصي حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرين فنزل القبة التي على الشرف من شرقيها فحاصرها شهراً لا يقدر منهم على شيء ، فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو في سبعة نفر ، فمضوا غربي المدينة حتى أمعنوا عن العسكر ، ثم رجعوا فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور ، وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر قد غاض وحسر من ناحية المدينة ، ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذي غاض فيه البحر ، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة فكبروا ، ولم يكن للقوم مفزع إلا سفنهم ، وأبصر عمرو وأصحابه السلة [٢] في جوف المدينة ، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم تفلت الروم إلا بما خف لهم من مراكبهم وغنم عمرو ما كان في المدينة .

---

(١) في الجبل الأخضر في ليبيا يعتقد أنها مدينة البرج الحالية .

(٢) أي الانسلال والفرار - القاموس .

قال : فلما بلغ أهل صبرة محاصرة عمرو مدينة أطرابلس، وصبرة هي المدينة العظمى ، وسوقها السوق القديم وأنه لم يصنع بهم شيئاً، ولا طاقة له بهم أمنوا، فلما ظفر عمرو بمدينة أطرابلس جرد خيلاً كثيفة من ليلته ، وأمرهم بسرعة السير ، فصبحت خيله مدينة صبرة ، وهم غافلون ، وقد فتحوا أبوابها لسرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد ، واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها ، ورجعوا إلى عمرو .

قال : ثم أراد عمرو أن يوجه إلى المغرب فكتب إلى عمر بن الخطاب : إن الله قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين إفريقية [1] إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل .

قال : فكتب إليه عمر :لا إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت [2] .

---

(١) افريقية هي تونس .

(٢) ابن عبد الحكم : ١٧٠ - ١٧٣ .

ذكر غزو إفريقية وفتحها

قال : لما عزل عثمان عمرو بن العاصي عن مصر ، وأمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في إمرة عمرو بن العاصي فيصيبون أطراف إفريقية ، ويغنمون ، فكتب في ذلك عبد الله بن سعد إلى عثمان وأخبره بقربها من حوز المسلمين ، واستأذنه في غزوها ، فندب عثمان الناس لغزوها بعد المشورة في ذلك، فلما اجتمع الناس أمر عليهم عثمان الحارث ابن الحكم إلى ان يقدموا على عبد الله بن سعد مصر ، فيكون إليه الأمر ، فخرج عبد الله بن سعد إليها ، وكان عليها ملك يقال له: جرجير ، كان هرقل استخلفه، فخلع هرقل ، وضرب الدنانير على وجهه وكان سلطانه بعد أطرابلس إلى طنجة، وكان مستقر سلطانه يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة (١) ، فلقيه جرجير ، فقاتله فقتله الله ، وكان الذي ولي قتله فيما يزعمون عبد الله بن الزبير ، وهرب جيش جرجير ، فبث عبد الله السرايا وفرقها ، وأصابوا غنائم كثيرة ، فلما رأى ذلك رؤساء أهل إفريقية سألوا عبد الله أن يأخذ منهم مالاً على أن يخرج من بلادهم ، فقبل منهم ذلك ، ورجع إلى مصر ولم يول عليها أحداً ولم يتخذ بها قيروانا (٢) .

وعن بعضهم أنه قال : لما نزل المسلمون لقتال جرجير ، أبرز جرجير ابنته ، وكانت من أجمل النساء ، أو كما قال، فقال: من يقتل عبد الله بن سعد وله نصف

---

(١) كذا بالأصل وعند ابن عبد الحكم : ١٨٣ ، والمقصود هنا مدينة قرطاج المدينة الفينيقية المشهورة في أحواز تونس العاصمة ، وقرطاجنة بلدة أيضاً فينيقية لكن بالأندلس .
(٢) أي معسكراً أو مقراً .

ملكي ، وأزوجه ابنتي ، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد ، فقـــال : أنا أصدق من العلج وأوفى بالوعد ، من يقتل جرجير فله ابنته ، فقتله عبد الله بن الزبـــير ، فدفع إليه عبد الله ابنته ، وكانت غنائم المسلمين يومئذ أنه بلغ للفارس بعـــد اخراج الخمس ثلاثة ألاف دينار للفرس ألفا دينار ولفارسه ألف دينار، وللراجل ألف دينار ، وقسم لرجل من الجيش توفي بذات الحمام [1] ، فدفع إلى أهله بعـد موته ألف دينار .

قال : وكان جيش عبد الله بن سعد بن أبي سرح في ذلك عشرين ألفاً ، وسار عبد الله بن الزبير على راحلته من إفريقية إلى المدينة عشرين ليلة ، بعثه عبد الله ابن سعد بن أبي سرح بالفتح .

فروي عن ابن شهاب الزهري ، قال : لما قدم ابن الزبير بفتح إفريقيـــة على عثمان بن عفان ، قال له عثمان : يا بني أتكلم الناس بهذا ، وكان عثمان رحمـه الله أكره شيء إليه الخطب ، وأحب الأشياء إليه ما كفى ، فقال له : نعم يا أمير المؤمنين أنا لك أهيب مني لهم ، فلما أصبح أمر عثمان الناس فجمعوا ، ثم صعـد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إن الله قد فتح عليكم إفريقية، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم بخبرها إن شاء الله ، ثم جلس على المنبر ، وقام ابن الزبير إلى جانب المنبر ، وكان أول من قام إلى جانبه ، فقال : الحمد لله الذي ألف بيننا بعد الفرقة ، وجعلنا متحابين بعد البغضة ، والحمد لله الذي لا يجحـد نعماؤه ، ولا يزول ملكه ، له الحمد كما حمد نفسه ، وكمـــا هو أهله ، انتخب محمداً ﷺ فاختاره بعلمه وائتمنه على وحيه، فاختار له من الناس أعواناً ، قذف في قلوبهم تصديقه ، فآمنوا به وعزروه ، ووقروه ونصروه ، وجاهدوا في الله حق جهاده فاستشهد الله منهم من استشهد على المنهـاج الواضح والبيع الرابح ، وبقي منهم من بقي لا تأخذهم في الله لومة لائم .

---

(١) بلد بين الإسكندرية وإفريقية ، وهو إلى إفريقية أقرب . معجم البلدان .

أيها الناس ، رحمكم الله : إنا خرجنا للوجه الذي قد علمتم فكنا مع وال بُلي فحمد ، وقسم فعدل ، لم نفقد من بر أمير المؤمنين شيئاً كان يسير بنا البردين يخفض [١] ما في الظهائر ، ويتخذ الليل جملاً ، يعجل الترحل من المنزل القفر ، ويطيل اللباثة في المنزل المخصب الرحب ، فلم يزل على أحسن حالة يتعرفها قوم من ربهم ، حتى إنتهى إلى إفريقية ، فنزل منها بحيث تسمع صهيل الخيل ، ورغاء الإبل وقعقعة السلاح ، فأقام أياماً يجم كراعه ، ويصلح سلاحه ، ثم دعاهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فبعدوا منه وسألهم الجزية عن صغار ، والصلح فكانت هذه أبعد ، فأقام عليهم ثلاث عشرة ليلة يتأنى بهم ، وتختلف رسله إليهم ، فلما يئس منهم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر النبي ﷺ فأكثر الصلاة عليه ثم ذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ، ثم نهد لعدوه فقاتلهم أشد القتال يومه ذلك ، وصبر فيه الفريقان جميعاً ، وكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، فاستشهد الله فينا رجالاً من المسلمين ، فبتنا وباتوا ، المسلمين بالقرآن دوي كدوي النحل ، وبات المشركون في ملاهيهم وخمورهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنا عليها بالأمس ، وزحف بعضنا إلى بعض فأفرغ الله علينا الصبر ، ثم أنزل علينا النصر ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة فبلغ فيها الخمس ، خمسمائة ألف دينار ، فصفق [٢] عليه مروان بن الحكم ، فتركت المسلمين قد قرت أعينهم ، قد أغناهم النفل ، ووسعهم الحق ، وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين ، وإلى المسلمين ، أبشره وإياهم بما فتح الله من البلاد ، وأقل من الشرك ، احمدوا الله على آلائه ، وما أحل بأعدائه من بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين .

ثم صمت ونهض إليه الزبير فقبل بين عينيه ، وقال : يا بني إذا نكحت

---

(١) في حاشية الأصل : لعله يخفض بنا .

(٢) أي تسلمه مروان نيابة عن الخليفة لصرفه في أوجهه .

المرأة فانكحها على شبه أبيها أو أخيها تأتك بأحدهما ، والله ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صمت ، قال : وعجب الناس من بلاغة ابن الزبير .

وذكر سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا : لما ولي عثمان أقر عمرو بن العاصي على عمله ، وكان لا يعزل أحداً إلا عن شكاة أو استعفاء من غير شكاة ، وكان عبد الله بن سعد من جند مصر ، فأمر عبد الله بن سعد على جنده ورماه بالرجال وسرحه إلى إفريقية ، وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين ، وقال لعبد الله بن سعد : إن فتح الله عز وجل عليك فلك مما أفاء الله عليك خمس الخمس من الغنيمة نفلاً ، وأمر العبدين ورماهما بالرجال وسرحهما إلى الأندلس ، وأمرهما وعبد الله بالاجتماع على الأجل" [1] ، ثم يقيم عبد الله بن سعد في عمله ، ويسيران إلى عملهما ، فخرجوا حتى قطعوا مصر ، فلما وغلوا في أرض إفريقية فأمعنوا انتهوا إلى الأجل" ، ومعه الأفناء فاقتتلوا ، فقتل الله الأجل" قتله عبد الله بن سعد وفتح إفريقية سهلها وجبلها واجتمعوا على الإسلام ، وحسنت طاعتهم ، وقسم عبد الله ما أفاء الله عز وجل عليهم على الجند وأخذ خمس الخمس ، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وثنة النصري ، وضرب فسطاطاً في موضع القيروان ، ووفد وفداً ، فشكوا عبد الله فيما أخذ ، فقال : أنا نفلته وكذلك كان يصنع ، وإنما النفل تضرية [2] وتدريب للرجال ، وقد أمرت له بذلك ، وذاك إليكم الآن ، فإن رضيتم فقد جاز ، وإن سخطتم فهو رد ، قالوا : فإنا نسخطه ، قال : فهو رد ، فكتب إلى عبد الله برد ذلك واستصلاحهم .

---

(١) لقب جرجير .

(٢) أي تشجيعاً .

وعن محمد وطلحة قالا : وأرسل عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين ، وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك من إفريقية إلى الأندلس، فأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان رحمه الله إلى من انتدب إلى الأندلس : أما بعد: فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن لم تفتحوها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام .

وقال كعب : يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتحونها ، يعرفون بنورهم يوم القيامة [1] .

(١) الطبري : ٤ / ٢٥٣ - ٢٥٤ .

ذكر صلح النوبة

قال ابن عبد الحكم : ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح الأساود ، وهم النوبة ، قال : وذلك في سنة إحدى وثلاثين ، فقاتلته النوبة ، فيومئذ سموا رماة الحدق ، فهادنهم عبد الله بن سعد إذ لم يطقهم وقال الشاعر :

لم تر عيني مثل يوم دمقلة[1] والخيل تعدو بالدروع مثقلة

قال: وصالحهم عبد الله على هدنة بينهم على أنهم لايغزونهم ولا تغزوا النوبة المسلمين ، وإن النوبة يؤدون إلى المسلمين كل سنة كذا وكذا رأساً من السبي، وأن يؤدوا إليهم من القمح كذا وكذا ، ومن العدس كذا وكذا في كل سنة ، وليس بينهم وبين أهل مصر عهد ولا ميثاق ، وإنما هي هدنة أمان بعضها[2] من بعض .

قال ابن عبد الحكم : وكان الذي صولح عليه النوبة ، كما ذكر بعض مشايخ أهل مصر على ثلاثمائة وستين رأساً ، ويقال على أربعمائة رأس في كل سنة منها لفيء المسلمين ثلاثمائة وستون رأساً ، ولوالي البلد أربعون رأساً ، وزعم بعض المشايخ أنه لا سنة للنوبة على المسلمين ، وأنهم أول عام بعثوا بالبقط[3] أهدوا لعمرو بن العاصي أربعين رأساً ، فكره أن يقبل منهم ، فرد ذلك على عظيم من عظماء القبط يقال له ستيفوس، وهو القيم لهم، فباع ذلك واشترى لهم

---

(١) مدينة كبيرة في بلاد النوبة هي منزل ملكهم . معجم البلدان .

(٢) جاء في حاشية الأصل : لعله بعضهم . وجاء في ابن عبد الحكم « هدنة أمان بعضنا من بعض » .

(٣) الضريبة السنوية المذكورة آنفاً .

جهازاً ، فاحتجوا بذلك أن عمراً بعث إليهم القمح والخيل وذلك أنهم زجروا عن القمح والخيل ، فكشفوا عن ذلك في الزمان الأول ، فأصيبوا ، هذه قصتهم .

ابن عبد الحكم قال: قال الليث بن سعد : وذكر له قول مالك بن أنس إنه لا يشترى رقيق النوبة ولا يباعو .

فقال الليث : مالك لا علم له بهذا ، نحن أعلم بهذا منه ، إنما صولحوا على أن نكف عنهم حربنا فقط ، على أنهم يعطوننا منهم رقيقاً في كل سنة ، وعلى أنا لا نمنع غزو غيرنا ، فبذلك نشتريهم منهم ، انما علينا الوفاء بأن لا نحاربهم فقط لا غير ذلك ، وقد كانت لليث جارية نوبية ، فكان يكون منه اليها ما يعلم يريد الوطء ، والذي صولحوا عليه على ما ذكر الليث إلى حد علموه ، وما كان بعد ذلك فلم يجر عليهم شيء من الصلح ، ومن جرى عليه هذا الصلح يشترى رقيقهم وأولادهم ، وما باع ملكهم عليهم فأما ما غصبهم المسلمون وأخذوه عنوة فلا يحل لنا شراؤهم الى حد علموه وما جاوز ذلك فلا بأس بأن يغزوا ويغنموا ويباعوا ويشتروا .

قال ابن عبد الحكم : ولم أر أحداً من أصحاب مالك بن أنس يقول بقول مالك في النوبة وكانوا كلهم يشترون النوبة .

قال ابن عبد الحكم : واجتمعت لعبد الله بن سعد في انصرافه من بلاد النوبة على شاطىء النيل البجة فسال عنهم فأخبر شأنهم ، فهان عليه أمرهم فنفذ وتركهم ولم يكن لهم عقد ولا صلح ، وأول من صالحهم عبيد الله ابن الحبحاب [1] .

---

(١) ابن عبد الحكم : ١٨٨ - ١٨٩ .

حديث البحر والغزو فيه

ذكر سيف والطبري عنه بسنده عن رجاء وعبادة وخالد قالوا: ألح معاوية في زمانه على عمر رحمه الله في غزو البحر ، وقرب الروم من حمص ، وقال : إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى إذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر رحمه الله أحب عمر أن يرد عنه ، وكتب الى عمرو بن العاصي : صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني اليه وإني أشتهي خلافها ، فكتب عمرو الى عمر: إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، إن ركد خرق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا فرق . فلما جاءه كتاب عمرو كتب الى معاوية : لا والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ، لا أحمل فيه مسلماً أبداً .

وعن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال : كان معاوية كتب الى عمر كتاباً في غزو البحر يرغبه فيه ، ويقول : يا أمير المؤمنين إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم ، وهم بلقاء ساحل من سواحل حمص ، فاتهمه لأنه المشير ، فكتب الى عمرو أن صف لي البحر ، ثم ائتني بخبره ، فكتب اليه يا أمير المؤمنين : إني رأيت البحر خلقاً عظيماً يركبه خلق صغير ، ليس إلا السماء والماء ، وانما هم كدود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا فرق ، قالوا : وكتب عمر الى معاوية إنا قد سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شيء في الأرض يستأذن الله في كل يوم وليلة أن يفيض على الأرض فيغرقها ، فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستصعب ، وتالله لمسلم أحب الي مما حوت الروم

فإياك أن تعترض لي ، وقد تقدمت اليك ، وقد علمت مـا لقي العلاء مني [١] ، ولم اتقدم اليه في مثل ذلك .

وحكى الطبري بسنده عن سيف بن عمر عن أبي حـارثة عن خالد بن معدان ، قال : أول من غزا في البحر معاوية بن أبي سفيان زمان عثمان بن عفان، وقد كان استاذن عمر فيه فلم يأذن له ، فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية حتى عزم على ذلك ، وقال : لا تنتخب الناس ، ولا تقرع بينهم ، خيرهم فمن اختـار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه ، ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة ، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البر والبحر ، ولم يغرق فيه أحد ، ولم ينكب ، كان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنـده ولا يبتليه بمصاب أحد منهم ، ففعل ، حتى اذا أراد الله أن يصيبه وحده خـرج في قارب طليعة فانتهى الى البر من أرض الروم ، وعليه سؤال يعترون ذلك المكان فتصدق عليهم ، فرجعت امرأة من السؤال الى قريتها ، فقالت للرجال : هـل لكم في عبد الله بن قيس ؟ قالوا : وأين هو ؟ قالت : في المرفـأ ، قالوا : أي عدوة الله ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس؟ فوبختهم وقالت : انهم [٣] أعجز من أن يخفى عبد الله على أحد ، فبادروا اليه فهجموا عليـه فقاتلوه ، وقاتلهم فأصيب وحده ، وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه فجاؤوا حتى أرقوا، والخليفة منهم سفيان بن عوف الأودي [٤] فخرج فقاتلهم فضجر وجعـل يعبث بأصحابه ويشتمهم ، فقالت جارية عبد الله : واعبد الله ما هكذا كان يقول حين يقاتل ، فقال سفيان : وكيف كان يقول ؟ قالت :

---

(١) ركب البحر من ساحل عمان أثناء فتوح العراق ، وسيرد خبره فيما بعد .

(٢) في الطبرى : ٤ / ٢٦٠ « الجاسي » هذا ويلاحظ أن نص الطبرى فيه سقط مع عدة تصحيفات .

(٣) في الطبرى : ٤ / ٢٦١ « أنتم » .

(٤) الطبرى : ٤ / ٢٦١ « الأزدى » .

الغمـــرات ثـم ينجلـــين

فترك مـا كان يقول ، ولزم :

الغمـــرات ثـــم ينجلـــين

فاصب في المسلمين يومئذ ، وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الحـــارثي ، وقيل لتلك المرأة بأي شيء عرفتيه ، فقالت : بصدقته أعطى كما يعطي الملوك ، ولم يقبض قبض التجار .

وكتب الى معاوية والعمال أما بعد : فدوموا [1] على ما فارقتم عليه عمر ، ولا تبدلوا مهما أشكل عليكم فردوه علينا نجمع الأمـــة ، ثم نرده عليكم واياكم أن تغيروا ، فإني لست قابلاً منكم الا ما كان عمر يقبـــل ، وقد كان ينتفض فيما بين صلح عمر وولاية عثمان الناحية ، فيبعث اليها الرجل فيفتحها الله على يديه فيحسب له ذلك ، فاما الفتوح فلأول من وليها .

قال أبو جعفر الطبري : ولما غزا معاوية قبرس صالح أهلهـا فيما حدث به عن الليث بن سعد وسليمان بن أبي كريمة وغيرهما أن صلح قبرس وقـــع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة ويؤدون إلى الروم مثلها ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك ، على أن لا يغزوهـــم ولا يقاتلوا من وراءهم ممن أرادهم من خلفهم وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهـــم من الروم إليهم وعلى أن يبطرق إمام المسلمين عليهم منهم .

وقال الواقدي : غزا معاوية في سنة ثمان وعشرين قبرس ، وغزاها أهـــل مصر وعليهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح حتى لقوا معاوية فكان على الناس .

وعن جبير بن نفير ، قال : لما سبيناهم نظرت إلى أبي الـــدرداء يبكي ، فقلت : ما يبكيك في يوم أعز الله به الإسلام وأهله ، وأذل الكفر وأهلـــه ؟

---

(١) الطبرى : ٤ / ٢٦١ « فقوموا » والكاتب هنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان .

قال : فضرب بيديه على منكبي ، فقال : ثكلتك أمك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره ، بينا هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك إذا تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى فسلط عليهم السباء ، وإذا سلط السباء على قوم فليس لله عز وجل فيهم حاجة .

قال الواقدي : وحدثني أبو سعيد أن معاوية بن أبي سفيان صالح أهل قبرس ، في ولاية عثمان ، رحمه الله وهو أول من غزا الروم .

وفي العهد الذي بينه وبينهم ، أن لا تتزوجوا في عدونا من الروم إلا بإذننا وفي هذه السنة : غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم .

قال ابن عفير : غزا معاوية بن أبي سفيان قبرس في البحر ومعه امرأته فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن عبد مناف ، وكان معه في غزاته أبو الدرداء شداد بن أوس وأبو ذر وعبد الله بن عمرو بن العاصي في عدة من أصحاب رسول الله ﷺ : وأم حرام الأنصارية فتوفيت هناك ، وقبرها يستسقي به أهل قبرس ، وتسميها قبر المرأة الصالحة ، فظفر معاوية ، وأخذ من أهل الأموال والحلي ما لا يحصى ، وذلك العام بالشام عام قبرس الأول ، وقيل انه توجه إليها من حصن عكا في مائتي مركب .

غزوة ذات الصواري

وذكر الواقدي أن أهل الشام خرجوا وعليهم معاوية بن أبي سفيان ، وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقية ، فخرجوا في جمع لم ير الروم مثله قط مذ كان الإسلام ،فخرجوا في خمسمائة مركب فالتقوا هم وعبد الله بن سعد ، فأمن بعضهم بعضاً حتى قرنوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواريها .

قال مالك بن أوس بن الحدثان : كنت معهم فالتقينا في البحر ، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط ، وكانت الريح علينا ، فأرسينا ساعة وأرسوا قريباً منا ، وسكنت الريح عنا فقلنا الأمن بيننا وبينكم ، قالوا ذلك لكم ولنا منكم ، ثم قلنا : إن أحببتم بالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم ، وإن شئتم بالبحر ، قال : فنخروا نخرة واحدة وقالوا : الماء ، فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها ببعض ، حتى كنا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم ، فقاتلنا أشد القتال ، ووثب الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن ، ويتواخزون بالخناجر حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج ،وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً ، قال بعض من حضر ذلك اليوم : رأيت الساحل حيث يضرب الريح الموج ، وإن عليه لمثل الظرب [1] العظيم من جثث الرجال ، وإن الدم الغالب على الماء ، ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير ، وقتل من الكفار ما لا يحصى ، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله ، ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام ، وانهزم القسطنطين مدبراً ، فما انكشف

---

(١) الجبل المنبسط أو الصغير . القاموس .

إلا لما أصابه من القتل والجراح ، ولقد أصابه يومئذ جراحات مكث منهـــا حيناً جريحاً .

وعن حنش بن عبد الله الصنعائي قال : ركب الناس البحر سنة إحـــدى وثلاثين مع عبد الله بن سعد ، فلما بلغوا ذات الصواري لقوا جمـــوع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل ، فقـال : أشيروا علي ، قالوا ننظر الليلة وباتوا يضربون بالنواقيس ، وبات المسلمون يصلون ، ويدعون الله ، ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل ، فقدموا سفنهم ، وقـــدم المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض ، وصف عبدالله بن سعد المسلمين على نواحي السفن وجعل يأمرهم بقراءة القرآن ، ويأمرهم بالصبر ، ووثبت الروم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها وكانوا يقتتلون على غير صفوف ، قـــال : واقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم إن الله نصر المؤمنين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج من الروم إلا الشديد .

وأقام عبد الله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم ثم أقبل راجعاً [١] .

وذكر ابن عبد الحكم أن عبد الله بن سعد لما نزل ذا الصواري أنزل نصف الناس مع بسر بن أبي أرطاة سرية في البر ، فلما مضوا أتى آت إلى عبد الله بن سعد ، فقال : ما كنت فاعلاً حين ينزل بك ابن هرقل في ألف مركب فافعله الساعة ، قال : وإنما مراكب المسلمين مائتا مركب ونيف ، فقام فقال : أشيروا علي فما كلمه رجل من المسلمين ، فجلس قليلاً لترجع إليهم أفئدتهم ، ثم قام الثـانية فكلمهم فما كلمه أحد ، ثم قال الثالثة : إنه لم يبق شيء فأشيروا علي ، فقـال رجل من أهل المدينة كان متطوعاً : أيها الأمير ان الله تعالى يقول : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ﴾ [٢] الآية ، فقال عبد الله : اركبوا باسم الله ، فركبوا .

---

(١) الطبرى : ٤ / ٢٨٨ - ٢٩٢ .

(٢) سورة البقرة - الآية : ٢٤٩ .

وانما في كل مركب نصف شحنته قد خرج النصف الآخر مع بسر في البر ، فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لئلا تصيبه الهزيمة ، وجعل القوارب تختلف اليه بالأخبار فقال : ما فعلوا ؟ فقال : اقتتلوا بالنبل والنشاب قال : غلبت الروم ، ثم أتوه فقال : ما فعلوا ؟ قال : قد نفدت النبل والنشاب فهم يرتمون بالحجارة ، قال : قد غلبت الروم ، ثم أتوه ، فقال : ما فعلوا ؟ قالوا : قد نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها الى بعض يقتتلون بالسيوف ، قال : غلبت الروم .

وعن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الله بن سعد غزا افريقية وذات الصواري ومعه امرأته بسيسة ابنة حمرة بن ليشرح بن عبد كلال وكان الناس فيما خلا يعبرون بنسائهم وكانوا اذ ذاك يقرنون السفن بالسلاسل عند القتال .

قال: فقرن مركب ابن سعد ، وهو الأمير ، بمركب من مراكب العدو فكاد مركب العدو يجتر مركبهم إليهم ، فقام علقمة بن يزيد ، وهو مع ابن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها ، فسأل ابن سعد امرأته بعد : أي أهل المراكب رأيت أشد قتالاً ؟ قال : علقمة صاحب السلسلة ، ثم إن عبد الله بن سعد هلك عنها فتزوجها علقمة بعده ، ثم هلك عنها ، فتزوجها كريب بن أبرهة فماتت عنه وكان عبد الله حين خطبها إلى أبيها قال له : إن علقمة بن يزيد القطيعي قد خطبها إلي ، ولك علي فيها رأي ، فإن يتركها أفعل ، قال : فكلمة فيها ابن سعد ، فتركها فتزوجها ابن سعد .

ابن عبد الحكم بسنده قال : مشت الروم إلى قسطنطين بن هرقل في سنة خمس وثلاثين ، فقالوا : نترك الإسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتنا الكبرى ، فقال : ما أصنع بكم تغرون إنما لكم ساعة إذا لقيتم العرب ، قالوا : فاخرج على أن نموت فتبايعوا على ذلك ، فخرجوا في ألف مركب يريدون الإسكندرية ، فخرج في أيام عاتية من الريح ، فبعث الله عليهم ريحاً ففرقتهم إلا

قسطنطين نجا بمركبه ، فألقته الريح إلى صقلية فسألوه عن أمره فأخبرهم فقالوا: أشمت بالنصرانية وأفنيت رجالها ، لو دخل علينا العرب لم نجد من يردهم ، فقال : خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال : ويحكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم ؟ قالوا : كأنه غرق معهم ، فقتلوه وقتلوا من كان معه في المركب .

قال محمد بن الربيع : إنما سميت غزوة ذات الصواري لكثرة المراكب التي اجتمعت فيها مع ابن هرقل في ألف مركب ،والمسلمون في مائتي مركب ونيف، فكثرت الصواري في البحر فسميت ذات الصواري [١] .

* * *

(١) ابن عبد الحكم : ١٨٩ - ١٩١ .

ذكر فتح العراق وما والاه [1]

على ما ذكره سيف بن عمر وأبو جعفر الطبري عنه وعن غيره عن علي رضي الله عنه وابن عباس رحمه الله قالا : حض الله عز وجل المسلمين على عهد نبيه ﷺ على الاستقامة على الدين ، وندبهم إلى فارس ووعدهموهم فتقدم إليهم في ذلك من قبل غزوهم ليحتشهم وليد ربهم ، فبدأ بالردة فقال : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ .. الآية إلى ﴿ الشاكرين ﴾ [2] . فسمى من ثبت على دينه بعد موت رسول الله ﷺ الشاكرين .

ثم عاد في وصفه من ناهض منهم أهل الردة والمنافقون حشو في المؤمنين ، وإنما يكلم الله عز وجل بما يعني به المنافقين ، فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ إلى قوله: ﴿ واسع عليم ﴾ [3] فسماهم أحباءه وأثابهم حيث كانوا أذلة أرقة على المؤمنين أعزة أشدة على الكافرين يجاهدون يعني جهاداً بعد جهادهم ، يقاتلون من بعدهم أهل فارس ولا يخافون تخويف من يخوفهم هذا فضل الله يخص به : ﴿ من يشاء والله واسع عليم ﴾ [3] عالم بهم ، فهم الشاكرون ، وهم الفاضلون وهم المقربون وهم أحباء الله .

وعن علي وابن عباس رحمهما الله في قول الله عز وجل : ﴿ وعدكم الله مغانم

---

(١) بداية مخطوطة مدريد ، ويوافق ذلك ورقة / ١٢٨ و / من مخطوطة ليدن .

(٢) سورة آل عمران ـ الآية : ١٤٤ .

(٣) سورة المائدة ـ الآية : ٥٤ .

كثيرة تأخذونها ﴾ الآيتين إلى قوله عز وجل : ﴿ على كل شيء قديراً ﴾ [١] . مغانم فتوح من لدن خيبر تأخذونها تلونها وتضمون ما فيها، عجل لكم من ذلك خيبر : ﴿ وكف أيدي الناس ﴾ [١] قريش بالصلح يوم الحديبية ولتكون آية للمؤمنين شاهداً على ما بعدها ، ودليلاً على إيجازها وأخرى لم تقدروا عليها ،على علم وقتها ، أفيئها عليكم فارس والروم ، قد أحاط الله بها قضى الله بها أنها لكم، منها الأيام والقوادس والواقوصة والمدائن الحمر بالشام ومصـــر والضواحي ، فاجتمعت هذه الصفات فيمن قاتل فارس والروم وسائر الأعاجم ذلك الزمان .

ذكر سيف قال : كان أول ملوك فارس قاتله المسلمون شيرين بن كسرى وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه حيث فرغ من أهل الردة وأقامت جنـــود المسلمين في بلدان من ارتد كتب إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن ائذن للمسلمين في القفل إلا من أحب المقام معك ، ولا تكرهن أحداً على المقام ، ولا تستعن في شيء من حربك بمشكاره ، وادع من يليك من تميم وقيس وبكـــر إلى موتان اليمامة ، فإن موات ما أفاء الله على رسوله لله ولرسوله ، فمن أحيا شيئاً من ذلك فهو له لا يدخل ذلك في شيء من موات كل بلد أسلم عليه أهله ففعل خالد فأنزل اليمامة من هؤلاء الأحياء من أقرن لبني حنيفة .

ولما أذن خالد في القفل ، قفل الناس أهل المدينة ومن حولها وسائر من كان معه من أهل القبائل ، وبقي خالد في ألفين من القبائل التي حول المدينـــة من مزينة وجهينة وأسلم وغفار وضمرة ، وأناس من غوث طيء ونبذ من عبدالقيس ولما قفل من قفل ، وكان وجه المثنى بن حارثة الشيباني ومـــذعور بن عدي العجلي ، وحرملة بن مريطة الحنظلي ، وسلمى بن القين الحنظلي .

وكان المثنى ومذعور قد وفدا على النبي ﷺ وصحباه ، وكان حرملة وسلمى

---

(١) سورة الفتح ـ الآيتان : ٢٠ ـ ٢١ .

من المهاجرين [١] ، فقدموا على أبي بكر رحمه الله ، فقال : حرملة وسلمى لأبي بكر : إنا معاشر بني تميم وبكر بن وائل قد دربنا بقتال فارس وأشجيناهم حتى اتخذوا الخنادق ، وعيقوا المياه ، واتخذوا المسالح في القصور المشيدة ، وتحصنوا بها منا ، فأذن لنا في حربهم ، فأذن لهما ، فولاهما على من تابعهما ، واستعملهما على ما غلبا عليه .

وحكى عمر بن شبة [٢] عن شيوخه من أهل الأخبار أن المثنى بن حارثة كان يغير على أهل فارس بالسواد ، فبلغ أبا بكر والمسلمين خبره ، فقال عمر : من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ، فقال له قيس بن عاصم : أما إنه غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا قليل العدد ، ولا ذليل العمارة ، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني .

ثم إن المثنى قدم على أبي بكر ، فقال له : يا خليفة رسول الله ﷺ ابعثني على قومي فإن فيهم إسلاماً أقاتل بهم أهل فارس ، وأكفك أهل ناحيتي من العدو ، ففعل ذلك أبو بكر ، فقدم المثنى العراق ، فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد حولا مُجَرّما ، ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر فسأله المدد ، ويقول : إنك ان أمددتني ، وسمعت بذلك العرب أسرعوا إلي وأذل الله المشركين ، مع أني أخبرك يا خليفة رسول الله أن الأعاجم تخافنا وتتقينا ، فقال له عمر رحمه الله يا خليفة رسول الله ابعث خالد بن الوليد مدداً للمثنى بن حارثة يكون قريباً من أهل الشام ، فإن استغنى عنه أهل الشام ألح على أهل العراق حتى يفتح الله عليه ، قال : فهذا الذي هاج أبا بكر رحمه الله على أن يبعث خالد بن الوليد إلى العراق .

وفي كتاب سيف : إن أول من قدم أرض فارس لقتال أهل فارس حرملة ابن مريطة ، وسلمى بن القين ، وكانا من المهاجرين ، ومن صالحي الصحابة ، فنزلا

---

(١) أي ممن هجر حياة البادية .

(٢) وصلنا من كتبه التاريخية كتاب تاريخ المدينة ، وقد طبع ، غير أن القسم المتعلق بعصر أبي بكر مفقود منه .

أطد ونعمان والجمرانة [١] في أربعة آلاف من تميم والرباب ، وكان بإزائهما النوشجان والقيرمان بالوركاء [٢] ، فزحفوا إليهما فغلبوهما على الوركاء وغلبا على هرمزجرد إلى فرات بادقلي [٣] ، وقال في ذلك سلمى بن القين :

ألم يأتيك والأنباء تنمى ... بما لاقى على الوركاء جان
وقد لاقى كما لاقى صبيب [٤] ... قبيل الطف [٥] إذ يدعوه مان

وقال حرملة بن مريطة :

شللنا مان ميسان بن قاما ... إلى الوركاء تثفنه الخيول
وحزنا ما جلوا عنه جميعاً ... غداة تغنمت منها الخيول

وقدم المثنى بن حارثة ومذعور بن عدي بعد القفل من اليمامة على أبي بكر رضي الله عنه وكانت لهما وفادة وصحبه .

قال سيف : فحدثنا مخلد بن قيس العجلي عن أبيه قال : لما قدما على أبي بكر استأذناه في غزو أهل فارس وقتالهم وان يتأمرا على من لحق بهما من قومهما وقالا : إننا وإخواننا من بني تميم قد دربنا بقتال أهل فارس وأخذنا النصف من أحدوثتي كل موسم ، فأذن لهما ، فولاهما على من تابعهما واستعملهما على ما غلبا عليه ، فسارا فجمعا جموعهما ، ثم سارا بهم حتى قدما بلاد فارس وكان أول من قدم أرض فارس لقتال فارس هما حرملة وسلمى ، وقدم المثنى ومذعور في أربعة آلاف من بكر بن وائل وغيره وضبيعة ، فنزل أحدهما

---

(١) مواضع قرب الكوفة من ناحية البادية ، معجم البلدان حيث نقل الخبر نفسه .
(٢) موضع من حدود كسكر . معجم البلدان حيث الخبر نفسه .
(٣) في أطراف العراق . معجم البلدان .
(٤) في م : صتيتا .
(٥) في أطراف العراق في شبه الجزيرة . معجم البلدان .

بخفان [١] ونزل الآخر بالنمارق [٢] وعلى فرج الفرس مما يليهما شهربراز بن بندا فنفيا شهربراز وغلبا على فرات بادقلي إلى السيلحين [٣] ، واتصل ما غلبا عليه وما غلب عليه سلمى وحرملة ، وفي ذلك يقول مذعور بن عدي :

غلبنا على خفـان بندى وشيخه إلى النخلات السحق فوق النمارق
وإنا لنرجو أن تجول خيولنا بشاطي الفرات بالسيوف البوارق

وقال في ذلك المثنى :

فنحن شللنا شيخه يوم بارق إلى شر دار تُنتَوى ومكان

وذكر الخطيب في تاريخه أن بغداد كانت في أيام مملكة العجم قرية يجتمع فيها رأس كل سنة التجار ، وتقوم بها للفرس سوق عظيمة فلما توجه المسلمون إلى العراق وفتحوا اول السواد ، ذكر للمثنى بن حارثـــة الشيباني امر سوق بغداد .

فروى بسنده عن ابن اسحق : أن اهل الحيرة قالوا للمثنى : ألا ندلك على قرية يأتيها تجار مدائن [٤] كسرى وتجار السواد ويجتمع بهـا في كل سنة من اموال الناس مثل خراج العراق ، وهذه أيام سوقهم التي يجتمعون فيها ، قال : فإن انت قدرت على أن تعبر اليهم وهم لا يشعرون أصبت بها مالاً يكون فيه عزاً للمسلمين ، وقـوة على عدوهم ، وبينها وبين مدائن كسرى عامة يوم ، فقال لهم : فكيف لي بها ؟ فقالوا له : إن أردتها فخـذ طريق البر حتى تنتهي إلى الأنبار [٥] ، ثم تأخذ رؤوس الدهاقين فيبعثون معك الأدلاء فتسير سوادليلة من الأنبار حتى تأتيهم ضحى .

---

(١) موضع قرب الكوفة . معجم البلدان .
(٢) موضع قرب الكوفة من أرض العراق . معجم البلدان .
(٣) قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية . معجم البلدان .
(٤) في الأصل « المدائن » والتقويم من م ومن تاريخ بغداد : ١ / ٢٦ .
(٥) موضع قرب الكوفة على سمت الشام . معجم البلدان .

قال فخرج من النخيلة ومعه أدلاء الحيرة حتى دخل الأنبار ، فنزل بصاحبها فتحصن منه ، فأرسل إليه مايمنعك من النزول فأرسل إليه إني أخاف ، فأرسل إليه انزل فإنك آمن على دمك وقريتك ، وترجع سالماً إلى حصنك فتوثق عليه ، ثم نزل ، فقال : إني أريد أن تبعث معي دليلاً يدلني على بغداد ، فإني أريد أن اعبر منها إلى المدائن قال : أنا أجيء معك ، قال المثنى : لا أريد ان تجيء معي ، ولكن ابعث معي من يعرف الطريق ، ففعل وأمر لهم بعلف وطعام وزاد ، وبعث معهم دليلاً فأقبل حتى إذا بلغ النصف [١] .

قال له المثنى : كم بيننا وبين هذه القرية قال : أربعة فراسخ او خمسة ، وقد بقي عليك ليل ، وقال لأصحابه : انزلوا فأقضموا وأطعموا وابعثوا الطلائع ، فلا يلقون أحداً إلا حبسوه ، ثم سار بهم فصبحهم في أسواقهم ، فوضع فيهم السيف فقتل ، وأخذ الاموال ، وقال لأصحابه : لا تأخذوا إلا الذهب والفضة ، ومن المتاع ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته ، وهرب الناس وتركوا أمتعتهم وأموالهم ، وملأ المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء ، ثم رجع راجعاً حتى نزل بنهر السالحين [٢] ، فقال للمسلمين : احمدوا الله الذي سلمكم وغنمكم ، انزلوا فاعلفوا خيلكم من هذا القصب ، وعلقوا عليها وأصيبوا من أزوادكم ، ثم سار .

وسمع القوم يهمس بعضهم إلى بعض : إن القوم سراع الآن في طلبنا ، فقال : قبح الله ما تتناجون به أيسر بعضكم إلى بعض : اتحسبونهم الآن في طلبكم ، فوالله لو كان الصريخ قد بلغهم الآن إنه لكثير ، ولو كان الصريخ عندهم لبلغهم من رعب غارتنا عليهم إلى جنب مدائنهم ما يشغلهم عن طلبنا حتى نلحق معسكرنا وجماعتنا ، ولو كان بهم من القوة ما يحملهم على طلبنا ثم جهدوا جهدهم

---

(١) هو من النهار والطريق وكل شيء وسطه . معجم البلدان .

(٢) كذا بالأصل وفي تاريخ بغداد : ١ / ٢٧ « السيلحين » .

ما أدركونا نحن على الجياد العراب وهم عـــلى المقارف [١] البطاء ، ولو أنهم طلبونا فأدركونا لم نقاتلهم إلا التماس الثواب ورجاء النصر ، عمركم الله لقد نصرتم عليهم وهم أكـــثر منكم وأعز ، فأقبلوا ومعهم دليلهم حتى انتهى إلى الأنبار ، فاستقبلهم صاحبها بالكرامة ، فوعده المثنى بالإحسان إليه لو قد استقام امرهم ، ورجع المثنى إلى عسكره [٢] .

وعن بشير بن الخصاصية والمغيرة بن عتيبة ان أبا بكر رضي الله عنه لما قضى ما يريد قضاءه من اليمامة ولى خالد بن الوليد حرب العراق وكتب الى المثنى ومذعور وسلمى وحرملة ان يسمعوا ويطيعوا لخالد بن الوليد، وقد تمثل ابوبكر رحمه الله عند الذي كان من فتح حرملة وسلمى ومثنى ومذعور ما بين السيلحين الى أسفل الفرات بقول الآخر :

متى تسلف في قبيل خطة تلق المنال مضاعفاً او موعبا
وإذا عقدت بحبل قوم مرة دربوا عليك فلم تجد لك مغضبا
حيان لا خطما بحبل هضيمة انفا الزمام فلم يقرا مركبا

وعن مخلد بن قيس قال: لما فرض عمر بن الخطاب رحمه الله العطاء قيل له ألحق من لم يشهد الأيام من اهل البويب والقوادس باهل الأيام التي كان قبلها قال : وكيف ألحقهم من لم يدركوا وهم وطؤوا البلاد لمن امدهم وعادوا ردءاً للاسلام، وشجاً للعدو ، وهما الصريحان ربيعة ومضر .

وعن هشام بن عروة قال : قيل لعمر رحمه الله أيام العطاء : لو فضلت من جاء من بعد على من قاتلهم بفنائهم ، فقال لا : لعمر الله ولولاهم ما أقدم عليهم احد خلفهم ، وما سويتهم بهم حتى استطبتهم ، أفلا ادلي الأنصار بمثل ذلك ، فقد قاتلوا بفنائهم ، فسوى بينهم وبين المهاجرين .

---

(١) أي الخيول المجينة . القاموس .
(٢) تاريخ بغداد : ١ / ٢٥ - ٢٧ .

وعن عروة بن الزبير قال امران يعرف بهما حال من شهد الفتوح : من ذكر أن أبا بكر رحمه الله استعان في حربه بأحد ممن ارتد فقد كذب ، وقال ابو بكر لا تستعينوا في حربكم بأحد ممن ارتد فاني لم أكن لأستنصر بجيش فيهم احد ممن قد ارتد وبالحري إن فعلت ان لا ينصروا ، ومن زعم ان عمر رحمه الله حين اذن لمن ارتد في الجهاد امر احداً ممن كان قد إرتد فقد كذب، وانما تألف من تألف بالامارة منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، رجا ما رجا منهم عمر حيث استعان بهم ، فمن قبلهم ابتدأت الفتنة ، وعلق عثمان رحمه الله عند الذي بدا منهم يتمثل قول الأول :

كنت وعمرو كالمسمن كلبه فخدشه أنيابه وأظافره

* * *

أخبار الأيام في زمان خالد بن الوليد

وكانت لهم الفضيلة والسابقة والقدمة لأنهم شركوا أهل القادسية والبويب ، وفضلوهم بولايتهم هذه ، وهذا كما اجتمعت للمهاجرين النصرة مع الهجرة وفضلوا الأنصار بالهجرة .

فروى الشعبي وهشام بن عروة قالا : لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة مما أمر به بعد ، كتب اليه أبو بكر رحمه الله وهو مقيم باليمامة : اني قد وليتك على حرب العراق فاحشر من ثبت على اسلامه وقاتل أهل الردة ممن بينك وبين العراق من بني تميم وقيس وأسد وبكر بن وائل وعبد القيس ، ثم سر نحو فارس واستنصر الله عز وجل ، وادخل العراق من أسفل العراق ، فابدأ بفرج الهند وهو يومئذ الأُبلة [١] وكان صاحبها يساجل أهل الهند والسند في البحر ويساجل العرب في البر وكان[٢] على كل مسلحة فيما بين الأبلة الى الشام، وقال له: تألف أهل فارس ومن كان في مملكتهم من الأمم وأنصفوا من أنفسكم فإنكم ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [٣] خير الناس للناس نسأل الله أن يجعل من ألحق بنا ، وصيره منا خير متبع بإحسان ، وان فتح الله عليك فعارق حتى تلقى عياضاً .

وكتب الى عياض بن غَنْم وهو بين الحجاز والنباج [٤] : أن سر حتى تأتي

---

(١) قرب البصرة .

(٢) في حاشية الأصل : أي صاحب الأبلة، أميراً على كل مسلحة .

(٣) سورة آل عمران – الآية : ١١٠ .

(٤) منزل لحجاج البصرة بين مكة والبصرة . معجم البلدان .

المصيخ [١] واحشر من بينك وبينها ممن ثبت على اسلامه وقاتل أهل الردة ، فابدأ بها ثم ادخل العراق من أعلاها فعارق حتى تلقى خالداً ، فاستمد خالد أبا بكر قبل خروجه من اليمامة ، واستمد عياض قبل تحركه فأمد خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي ، وأمد عياض بن غنم بعبد بن عوف الحميري ، فقيل له : أتمد خالداً برجل قد ارفض [٢] عنه الناس ؟ قال : لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع وسيحشر من بينه وبين أهل العراق ، وكتب اليهما انكما تكيدان حرباً وبلداً كؤودا والدول مولعة بالذنوب

فلما قدم الكتاب على خالد بتأمير العراق كتب الى حرملة وسلمى والمثنى ومذعور باللحاق به وأمرهم أن يواعدوا جنودهم الأبلة ليوم سماه ثم حشر من بينه وبين العراق فحشر ثمانية آلاف من مضر وربيعة الى ألفين كانا معه ، وقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممن كان مع الأمراء الأربعة فلقي هرمز في ثمانية عشر ألفاً .

وعن سيف عن أشياخه قالوا : كتب أبو بكر رحمه الله إلى خالد بن الوليد إذ أمره على حرب العراق أن يدخلها من أسفلها ، وإلى عياض إذ أمره على حرب العراق أن يدخلها من أعلاها ثم يستبقا إلى الحيرة فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه ، وقال : وإذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن أحد كما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن ، وكتب إليهما : استعينوا بالله واتقوه وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجمع الله لكم بطاعته الدنيا إلى الآخرة ، ولا تؤثروا الدنيا فتعجزكم ،

---

(١) كذا بالأصل ونسخة م ، والمصيخ موضع بالشام مر بـه خالد لدى جوازه إلى الشام ، ولعل المقصود « المضيح » وهو موضع في شبه جزيرة العرب .

(٢) جاء في حاشية الأصل : ما سبب ارفضاض الناس عنه .

ويسلبكم الله بمعصيته الدنيا والآخرة ، فما أهون العباد على الله إذا عصوه .

وعن محمد بن أبي عثمان قال : لما عزم خالد على المسير من اليمامة إلى العراق سأل عن الأدلة فأتي بنفر فسأل عن أسمائهم فتفاءل منهم إلى ثلاثة بأسمائهم إلى ظفر بن عمرو السعدي ورافع بن عميرة الطائي ومالك بن عباد الأسدي ، وجدد خالد التعبئة فعبأ الناس تعبئة مستأنفة على غير التعبئة التي دخل بها اليمامة ، ونصب لجنده أعلاماً غير الذين كانوا أعلامهم ، وذلك أن أعلامهم الذين دخل بهم اليمامة قفلوا ، فوضع مكانهم رجالاً وولاهم أمورهم ، وتوخى الصحابة ، ثم توخى منهم الكماة فاستعمل على مضر القعقاع بن عمرو ، وعلى ربيعة فرات بن حيان ، وعلى قضاعة وضم اليهم أهل اليمن جرير بن عبد الله الحميري أخا الأقرع بن عبد الله رسول رسول الله ﷺ إلى اليمن .

وجعل على القبائل دون ذلك على نصف خندف فارس أطلال بكير بن عبد الله الليثي ، وعلى النصف الآخر معقل بن مقرن المزني ، وعلى قيس عيلان على غطفان ومن يلاقيهم إلى سعد بن قيس سعد بن العذرة [1] الثعلبي ، وعلى هوازن ومن يلاقيهم إلى حفصة أبا حنش بن ذي اللحية العامري ، وضم جديلة اليهم وهم عمرو بن قيس بن عيلان ، وعلى اللهازم من بكر بن وائل عتيبة بن النهاس ، واللهازم : عجل وتيم اللات وقيس بن ثعلبة وعنزة ، وعلى الدعائم وهم : شيبان بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة وضبيعة بن ربيعة ويشكر بن بكر مطر ابن عامر الشيباني وعلى قضاعة الحارث بن مرة الجهني وعلى اليمن مالك بن مرارة الرهاوي وزيد الخيل بن مهلهل وهؤلاء تحت أيدي أولئك الثلاثة ، واستعمل على المقدمات المثنى بن حارثة الشيباني ، واستعمل على المجنبات عدي ابن حاتم وعاصم بن عمرو التميمي أخا القعقاع وعلى الساقة بسر بن أبي رهم

---

(١) في م « العمارة » .

الجهني صاحب جبانة بسر ، واستخلف على اليمامة وهوافي[١] قيس وتميم سبرة بن عمرو العنبري ، وكل من أمّر له صحبه وقدمـــه ، وخرج قاصداً لهرمز والأبلة .

وعن المغيرة بن عتيبة وكان قاضي الكوفة ، قال : فرق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جنده ثلاث فرق ، ولم يحملهم على طريق واحدة ، فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر ، وسرح عدياً وعاصماً ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر ، أحدهما قبل صاحبه بيوم ، وخرج خالد ودليله رافع ، فواعدهم جميعاً الحفير[٢] ليجتمعوا فيه وليصادموا به عدوهم ، وكان فرج الهند أعظم فروج فارس شأناً وأشده شوكة ، وكان صاحبه يحـــارب العرب في البر ، والهند في البحر .

وعن ابن اسحق عن صالح بن كيسان أن أبا بكر رحمه الله كتب إلى خالد بن الوليد يأمره أن يسير الى العراق ، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا[٣] وباروسما[٤] وأُلليس[٥] فصالحه أهلها ، وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا ، فقبل منهم خالد الجزية وكتب لهم كتاباً فيه .

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادي ومن له بشاطىء الفرات إنك آمن بأمان الله إذ حقن دمه بإعطاء الجزية ، وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك[٦] ومن كان في قريتك بانقيا وباروسما ألف درهم فقبلتها منك ،

---

(١) رجل هوف : لا خير عنده . اللسان .

(٢) أول منزل من البصرة لمن يريد مكة . معجم البلدان .

(٣) ناحية من نواحي الكوفة . معجم البلدان .

(٤) في سواد بغداد . معجم البلدان .

(٥) قرية من قرى الأنبار . معجم البلدان .

(٦) في م « وجزيتك » ، ووافق ما ورد بالأصل ما جاء بالطبري : ٣ / ٣٤٤ .

ورضي من معي من المسلمين بها منك ، ولك ذمة الله وذمة محمد ﷺ ، وذمة المسلمين على ذلك .

وشهد هشام بن الوليد .

ثم أقبل خالد بمن معه حتى نزل الحيرة فخرج اليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي ، وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر ، فقال له خالد ولأصحابه أدعوكم الى الله وإلى الإسلام ، فان أجبتم اليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، فقال له قبيصة بن إياس : ما لنا بحربك من حاجة بل نقيم على ديننا ، فعطيك الجزية فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أول جزية وقعت بالعراق هي والقريات التي صالح عليها ابن صلوبا .

وحكى ابن الكلبي أنه قال: كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن سر إلى الشام ، وأمره أن يبدأ بالعراق فيمر بها ، فأقبل خالد منها يسير حتى نزل النباج ، والمثنى بن حارثة بخفان معسكراً إذ كان أبو بكر الصديق قد أمره على من قبله من قومه ليقاتل من يليه من أهل فارس ويكفيه ناحيته ففعل ذلك وجمع قومه وجعل يغير بناحية كسكر مرة ، وفي أسفل الفرات مرة ، فكتب خالد إلى المثنى ليأتيه وبعث إليه بكتاب من أبي بكر يأمره فيه بطاعته فانقض إليه جواداً حتى لحق به .

وأقبل خالد يسير فعرض له جابان صاحب أُلليس ، فبعث إليه المثنى بن حارثة فقاتله فهزمه وقتل جل أصحابه إلى جانب نهر ثم يُدعى نهر دم لتلك الوقعة ، وصالح أهل أُلليس وأقبل حتى دنا من الحيرة وخرجت إليه خيول زادويه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح ما بينه وبين العرب ، فلقوهم بمجتمع الأنهار [1] فتوجه إليهم المثنى بن حارثة فهزمهم الله .

---

(١) في م « الأنبار » ووافق ما ورد بالأصل ما ذكره الطبري : ٣ / ٣٤٥

ولما رأى ذلك أهل الحيرة خرجوا يستقبلونه ، فيهم عبد المسيح بن عمرو ابن بقيلة وهانىء بن قبيصة ، فقال خالد لعبد المسيح : من أين أتيت ؟ قال : من ظهر أبي ، قال : من أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي ، قال : ويحك على أي شيء أنت : قال : على الأرض ، قال : ويلك في أي شيء أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : ويحك تعقل ؟ قال : نعم وأقيد ، قال : وإنما أسألك ، وقال : وإنما أجبتك ، قال : أسلم أنت أم حرب ؟ قال : بل سلم قال : فما هذه الحصون التي أرى ؟ قال : بنيناها للسفيه نحبسه حتى يأتي الحليم فينهاه .

ثم قال لهم خالد: إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام ، فإن قبلتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر ، فقالوا : لا حاجة لنا في حربك ، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق .

ثم نزل على بانقيا فصالحهم بُصبُهر [1] بن صلوبا على ألف درهم وطيلسان ، وكتب لهم كتاباً وكان صالح خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوناً ففعلوا.

وعن الشعبي قال : أقرأني [2] بنو بقيلة كتاب خالد بن الوليد الى أهل المدائن من خالد بن الوليد الى مرازبة أهل فارس :سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد : فالحمد لله الذي قضى جرمتكم [3] وسلبكم ملككم ، وأوهن كيدكم ، وانه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا .

أما بعد : فإذا جاءكم كتابي فابعثوا الي بالرهن ، واعتقدوا مني الذمة ،

---

(١) في م والطبري : ٣ / ٣٤٦ « بصهيري » .

(٢) في م « أقرأتني » ووافق ما ورد بالأصل رواية الطبري : ٣ / ٣٤٦ .

(٣) في م « حرمتكم » .

والا فوالذي لا إله غيره لأبعثن اليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة.

فلما قرأوا الكتاب أخذوا يتعجبون .

وعن الشعبي قال : كتب خالد الى هرمز قبل خروجه ، وهرمز صاحب الثغر يومئذ .

أما بعد : فاسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ، والا فلا تلومن الا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

ولما قدم كتاب خالد على[1] هرمز كتب بالخبر الى شيرين بن كسرى ، والى أزدشير بن شيرين ، وجمع جموعه ثم تعجل الى الكواظم[2] في سرعان أصحابه ليتلقى خالداً ، وسبق حلبته فلم يجدها[3] طريق خالد، وبلغهم أنهم تواعدوا الحفير، فعاج ببادله الى الحفير فنزله فتعبأ به وجعل على مجنبتيه أخوين يلاقيان أزدشير وشيرين إلى أزدشير الأكبر ، يقال لهما قباذ وألنوشجان واقترنوا في السلاسل فقال : من لم ير ذلك لمن رآه قيدتم أنفسكم لعدوكم ولا تفعلوا ان هذا طائر سوء فأجابوهم فقالوا : أما أنتم فتحدثوننا أنكم تريدون الهرب .

فلما أتى الخبر خالداً بأن هرمز في الحفير أمال الناس الى كاظمة وبلغ هرمز ذلك فبادره الى كاظمة فنزلها وهو حسير ، وكان من أسوأ أمراء ذلك الفرج جواراً للعرب ، فكل العرب عليه مغيظ، وقد كانوا ضربوه مثلاً في الخبث حتى قالوا : أخبث من هرمز وأكفر من هرمز ، وتعبأ هرمز وأصحابه واقترنوا في السلاسل والماء في أيديهم ، وقدم خالد عليهم فنزل على غير ماء ، فقالوا له في ذلك، فأمر مناديه فنادى ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين ، فحطت الأثقال والخيل

---

(١) في م « إلى » .

(٢) هي كاظمة بينها وبين البصرة مرحلتان ـ معجم البلدان .

(٣) في م « يحزها » ووافقت رواية الطبري : ٣ / ٣٤٨ ما ورد بالأصل .

وقوف ، وتقدم الرجل ثم زحف اليهم حتى لاقاهم فاقتتلوا، وأرسل الله سبحانه سحابة فأغدرت ما وراء صف المسلمين ، فقواهم بهـــا وما ارتفع النهار وفي الغائط مقاتل .

قال : وأرسل هرمز أصحابه ليغدروا بخالد فواطؤوه على ذلك ، ثم خرج هرمز فنادى رجل ورجل ، أين خالداً ؟ وقد عهد الى فرسانه عهده ، فلما برز خالد، نزل هرمز ودعاه الى البراز فنزل خالد يمشي إليه فالتقيا واختلفا ضربتين واحتضنه خالد ، وحملت حامية هرمز وغدرت فاستلحمـوا خالداً ، فما شغله ذلك عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو، واستلحم حماة هرمز فأتاهم واذا خالد يماصعهم [1] ، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم الى الليل ، وجمع خالد الرثاث وفيها السلاسل ، فكانت وقر بعير ألـــف رطل ، فسميت ذات السلاسل ، وأفلت قباذ وأنوشجان ، وفي ذلك يقول القعقاع بن عمرو بعد ذلك لخالد بن الوليد ووقع بينهما ما يقع بين الناس لشيء بلغ خالداً عن أبي بكر كان قاله في القعقاع قبل الفتح ، فقال القعقاع :

منعتك من قرني قباذ وليتني ... تركتك فاستذكت عليك المقانب
عطفت عليك المهر حتى تفرجت ... وملت من الطعن الدراك الرواجب
أجالدهم والخيل تنحط في القنا ... وأنت وحيد قد حوتك الكتائب
وكائن هزمنا من كتيبة قاهر ... وقد عجمتنا في الحروب المعاجب

وقال أيضاً :

ولقد شهدت البرق برق تهامة ... يهدي المقانب راكب العيار
في جند سيف الله سيف محمـد ... والسابقين بسنـــة الأحرار
لم تنفرج عني الأمور مفتنا ... إن الخيار هم بنو الأخيار [2]

---

(١) المماصعة : المقاتلة والمجالدة بالسيوف ـ لسان العرب .

(٢) سقط الشعر من الطبري : ٣ / ٣٤٩ .

وعن الشعبي قال : كان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائرهم، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف فكان هرمز ممن تم شرفه فكانت قيمة قلنسوته مائة ألف ، فنفلها أبو بكر رحمه الله خالداً ، وكانت مفصصة بالجوهر ، وتمام شرف أحدهم أن يكون من البيوتات السبعة .

وعن حنظلة بن زياد بن حنظلة قال : لما تراجع الطلب من ذلك اليوم نادى منادي خالد بالرحيل وسار بالناس واتبعته الأثقال حتى ينزل موضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم ، وقد أفلت قباذ وأنوشجان، وبعث خالد بالفتح وما بقي من الأخماس وبالفيل، وقرىء الفتح على الناس فلما مر بقوله: خرجت من اليمامة في ألفين وحشرت من ربيعة ومضر ثمانية آلاف، فقدمت في عشرة آلاف على ثمانية آلاف مع الأمراء الأربعة : المثنى ومذعور وحرملة وسلمى ، تمثل ابو بكر رضي الله عنه .

تمنانا ليلقانا بقوم ... تخال بياض لأمهم السرابا
فقد لاقيتنا قاربت يوماً ... عياساً يمنع الشيخ الشرابا
تبدل علقماً منها بحلو ... ينسيك الغنيمة والإيابا
إذا خرجت سوالفهن زوراً ... كأن على حوارکهن غابا
عليها كل مؤتصل بمجد ... من الجفين يلتهب التهابا[1]

ولما قدم زر بن كليب بالفيل مع الأخماس فطيف به في المدينة ليراه الناس جعل ضعيفات النساء يقلن أمن خلق الله ما نرى ، ورأينه مصنوعاً ، فرده أبو بكر رحمه الله مع زر .

وعن زياد بن حنظلة قال : إني لبالمدينة وقد قدمتها وافداً على أبي بكر من البحرين إذ أرسل إلي أبو بكر وقد قدم عليه الخبر بوقعة ذات السلاسل مع رجل

(١) الرواية بالطبري : ٣ / ٣٥٠ وقد سقط منها الشعر .

من بني عجل ثم أحد بني ضبيعة يدعى بجلاة ، فقال : ألم تعلم أنه كان من الشأن ذيت وذيت وأن خالداً لقي هرمز فاستلحم ، وأن القعقاع استلحم فقتلهم وتنقذه ، فأقبلت على نفسي أحدثها ، فقلت : الخليفة وفراسته ، وذكرت قوله فيه يوم بعثه : لا يهزم جيش فيه مثل هذا ، فما راعني إلا وأبو بكر يقول : أين أنت يا زياد ؟ أما إن خالداً سيتغير له ويتنكر ، وكذلك تأمير النفوس ثم يراجع ويعرف الحق ، فاستنكره القعقاع بعد ذلك فعاتبه بالشعر الذي قبل هذا ولم يكن إلا ذلك ، وقال القعقاع بن عمرو في ذات السلاسل :

وجدنا المسلمين أعز نصراً ... وخير الناس كلهم اقتدارا
دعانا [١] هرمز لما التقينا ... على ماء الكواظم فاستدارا
جذونا [٢] جمعهم حتى صبحنا ... فرات البصر موصلة جهارا

ولما نزل خالد في موضع الجسر الأعظم اليوم بالبصرة بعث المثنى بن حارثة في آثار القوم فمضى حتى انتهى إلى نهر المرأة [٣] ، فانتهى إلى الحصن الذي فيه المرأة فخلف المعنى [٤] بن حارثة عليها فحاصرها في قصرها ، ومضى المثنى إلى الرجل [٥] فحاصره ثم استنزلهم عنوة فقتلهم واستفاء أموالهم ، ولما رأت ذلك المرأة صالحت المثنى وأسلمت فتزوجها المثنى ، ولم يحرك خالد وأمراؤه الفلاحين في شيء من فتوحهم لتقدم أبي بكر إليه فيهم ، وسبى أولاد المقاتلة الذين كانوا يقومون بأمور الأعاجم ، وأقر من لم ينهض من الفلاحين وجعل لهم الذمة ، وبلغ سهم الفارس في يوم ذات السلاسل والثني ألف درهم ، والراجل على الثلث من ذلك .

---

(١) في حاشية الأصل : لعله دعونا .
(٢) أي لازمناه . القاموس .
(٣) بالبصرة – معجم البلدان .
(٤) في حاشية الاصل : يعني أخاه.
(٥) لعله النوشجان بن جسنساه ابن عم المرأة . انظر مادة نهر المرأة في معجم البلدان .

حديث الثني والمذار [١]

وكانت وقعة المذار في صفر سنة اثنتي عشرة يومئذ قال الناس صفر الأصفار فيه تقتل كل جبار على مجمع الأنهار .

سيف عن شيوخه قالوا : وقد كان هرمز كتب إلى أزدشير وشيرين بالخبر بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة نحوه فأمده بقارن بن قريانس فخرج قارن من المدائن ممداً لهرمز حتى إذا انتهى إلى المذار بلغته الهزيمة ، وانتهت إليه الفلال فتذامروا ، وقال فلال الأهواز وفارس لفلال الأهواز السواد والجبل: إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبداً فاجتمعوا على العود مرة واحدة فهذا مدد الملك وهذا قارن لعل الله يديلنا ويشفينا من عدونا وندرك فيهم بعض ما أصابوا منا ، ففعلوا وعسكروا بالمذار ، واستعمل قارن على مجنبتيه قباذ وأنوشجان ، وآرز المثنى والمعنى إلى خالد بالخبر ، فلما انتهى الخبر الى خالد عن قارن قسم الفيء على من أفاءه الله عليه ، ونفل من الخمس ما قضاه الله ، وبعث ببقيته وبالفتح إلى أبي بكر وبالخبر عن القوم وباجتماعهم إلى الثني المغيث منهم والمغاث مع الوليد بن عقبة والعرب تسمي كل نهر الثني .

وخرج خالد سائراً حتى نزل المذار في جموعه على قارن وجموعه فبيتهم ، وخالد على تعبئته فاقتتلوا قتالاً شديداً على حنق وحفيظة ، وخرج قارن يدعو للبراز فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النباش ، فابتدراه فسبقه إليه معقل فقتله ، وقتل عاصم الأنوشجان وقتل عدي قباذ وكان شرف

---

(١) بين واسط والبصرة . معجم البلدان .

فارس قد انتهى إليه ثم لم يقاتل المسلمون أحداً بعده ، انتهى شرفه في الأعاجم، وقتلت فارس مقتلة عظيمة فضموا السفن ، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم ، وأقام خالد بالمذار وسلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت وقسم الفيء ونفل من الأخماس ما نفل في أهل البلاء ، وبعث ببقية الأخماس ، ووفد وفداً مع سعيد بن النعمان أخي بني عدي بن كعب .

وعن عزيز بن مكنف قال : لم يدع خالد بعد هرمز واحداً من الأعاجم حتى هلك أزدشير إلا أن يدعو قوماً بعد ما يغلبهم على أراضيهم ، ويحليهم إلى الجزي والذمة فيرد عليهم أرضهم ، فيصيروا ذمة ما لم يقتسم وبذلك جرت السنة .

وعن الشعبي قال : دفع خالد إلى أبيض الركبان معقل بن الأعشى سلب قارن وقيمته مائة ألف ، وإلى عاصم وعدي أسلاب النوشجان وقباذ ، وقيمة سلب كل واحد ثلاثة أرباع الشرف ، وذلك أن كل واحد منهما رابع أربعة إخوة ، فورث كل واحد منهما اثنين ، ولم يكن لهما إخوة كانا ممن انتهى شرفه .

وعن أبي عثمان قال : قتل ليلة المذار ثلاثون ألفاً سوى من غرق ، ولولا المياه لأتي على آخرهم ولم يفلت منهم من أفلت إلا عراة ، وأشباه العراة .

وعن الشعبي قال : كان أول من لقي خالد مهبطه العراق هرمز بالكواظم، ثم نزل بشاطىء دجلة فلم يلق كيداً وتبجبح شاطىء دجلة ثم الثني ولم يلق بعد هرمز أحداً إلا كانت الوقعة الآخرة أعظم من التي قبلها حتى أتى دومة الجندل [1] ، وزاد سهم الفارس في يوم الثني على سهمه في ذات السلاسل ، فأقام خالد بالثني يسبي عيالات المقاتلة ومن أعانهم ، وأقر الفلاحين في يوم الثني

---

(١) هي في الاردن الآن ، وكانت فيما مضى حصناً وقرى بين الشام والمدينة ـ انظرها في معجم البلدان .

ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعدما دعوا ، وكل ذلك أخذ عنوة ولكن دعوا الى الجزى فأجابوا وتراجعوا ، وصاروا ذمة وصارت أرضهم لهم ، وكذلك جرى ما لم يقسم فإذا اقتسم فلا ، وكان من ذلك السبي حبيب أبو الحسن ، وكان نصرانياً ، يعني أبا الحسن البصري ، وما فتئ مولى عثمان ، وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبة وأمر على الوفد سعيد بن النعمان وعلى الجزي سعيد ابن مقرن المزني ، وأمره بنزول الحفير وأمره ببث عماله ، ووضع يديه في الجباية وقام لعدوه يتجسس الأخبار .

وقال عاصم بن عمرو :

جلبنا الخيل من بلد يباب ... إلى الآطام والبلد الرواء
وكن لهم بكاظمة المنايا ... أحاديث يذوب لها الرجاء
فلم أر مثل يوم السيف حتى ... رأيت الثني تخضبه الدماء
وألوت خيلنـــا لما التقينا ... بقارن والأمـــور لها انتهاء

★ ★ ★

حديث رأس الولجة

والولجة مما يلي كسكر من البر وكانت في صفر سنة اثنتي عشرة .

وعن الشعبي قال لما فرغ خالد من الثني وأتى الخبر أزدشير بعث الأندر زغر وكان فارسياً من مولدي السواد .

وعن غيره قالوا : لما وقع الخبر بأزدشير بمصاب قارن وأهل المذار ارسل الأندرزغر وكان فارسياً من مولدي السواد وتنائهم [1] ، ولم يكن ممن ولد في المدائن ، ولا نشأ بها ، وأرسل بهمن جاذويه في اثره في جيش وأمره بغير طريق الأندرزغر ، فقال اهل فارس ومولدي اهل المدائن هجاء للأندرزغر بالفارسية، وتفسير ذلك : لا يعود الخـــل عسلاً ولا السوادي فارسياً ، فأجابهم بالفارسية لا يلقي الفارسي إلا صلفاً .

وكان الأندرزغر قبل ذلك على فرج خراسان فخرج الأندرزغر سائراً من المدائن حتى أتى كسكر، ثم جازها الى الولجة، وخرج بهمن جاذوية في إثره وأخذ غير طريقه ، فسلك وسط السواد وقد حشر الى الأندرزغر من بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية والدهاقين فمسكروا الى جنب عسكره بالولجة ، فلما اجتمع له ما أراد واستتم له أعجبه ما هو فيه وأجمع السير الى خالد .

ولما بلغ خالداً وهو بالثني خبر الأندرزغر ونزوله الولجة نادى بالرحيل ، وخلف سعيد بن مقرن ، وأمره بلزوم الحفير ، وتقدم الى من خلف على أسفل دجلة ، وأمرهم بالحذر وقلة الغفلة، وترك الاغترار، وخرج سائراً في الجنود نحو

---

(١) أي من دهاقينهم – القاموس .

الولجة حتى ينزل على الأندرزغر وجنوده ، ومـن تأشب إليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً هو أعظم من قتال الثني .

وعن محمد بن أبي عثمان قال : نزل خالد على الأندرزغر بالولجة فاقتتلوا قتالاً طويلاً ، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ ، ورفع النصر ، واستبطأ خالد كمينه ، وكان قد وضع لهم كميناً في ناحيتين ، عليهم بسر بن ابي رهم وسعيد ابن مرة العجلي ، فخرج الكمين من وجهين ، فانهزمت صفوف الأعاجم وولوا وأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم ، فلم ير رجـل منهم مقتل صاحبه ، ومضى الأندرزغر في هزيمته فمات عطشاً ، وقام خالد في الناس خطيباً يرغبهم في بلاد العجم ، ويزهدهم في بلاد العرب ، وقال الا ترون الى الطعام كرفع التراب ، وتالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله عز وجل والدعاء اليه ، ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف ، حتى نكون أولى به ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثاقل عما أنتم عليه ، وسار خالد في الفـلاحين بسيرة ، فلم يقتلهم وسبى عيالات المقاتلة ومن أعانهم ، ودعا اهل الأرض الى الجزى والذمة فتراجعوا .

قال : وبارز خالد يوم الولجة رجل من اهل فارس يعدل بألف رجل فقتله ، فلما فرغ اتكا عليه ودعا بغدائه .

وقال خالد في يوم الولجة :

نهكناهم بها حتى استجاروا ولولا الله لم يرزوا قبالا
فولوا الله نعمته وقولوا ألا بالله نحتضر القتالا
ألا بـــالله قوتنا ونبرا من الحول المقدر والبسالا

وقال خالد أيضاً :

جمعت محاشي ثم يممت جمعه فضاق عليه كل قصع ومنفق
ولما رأيت أنه هو أنـــدر شددت عليه كل أفق ومرفق

وأرفدته لمـــا التقينا بطعنة فمج حسيراً من دم الجوف مزهق

وقال القعقاع في ذلك وأثنى على المسلمين :

لم أر قوماً مثل قوم رأيتهم على ولجات البر أحمى وأنجبا
وأقتل للرواس في كل مجمع إذا ضعضع الدهر الجموح وكبكبا
فنحن حبسنا بالزمازم بعد ما أقاموا لنا في عرصة الدار ترتبا
قتلناهم مـا بين قلع مطلق الى القيعة الغبراء يوماً مطنبا[1]

* * *

(١) خبر الولجة في الطبري : ٣ / ٣٥٣ - ٣٥٤ بدون الشعر .

حديث اللّيس

وهي على صلب الفرات .

عن سيف بسنده عن المغيرة بن عتيبة وغيره قالا: ولما أصاب خالد يوم الولجة من أصاب من بكر بن وائل من نصاراهم الذين أعانوا اهل فارس غضب لهم نصارى قومهم، فكاتبوا الأعاجم وكاتبتهم الأعاجم فاجتمعوا الى أللّيس وعليهم عبد الأسود العجلي ، فكان اشد الناس على أولئك النصارى مسلمو بني عجل عتيبة بن النهاس ، وسعيد بن مرة ، وفرات بن حيان ، والمثنى بن لاحق ، ومذعور بن عدي .

ـ كتب أزدشير الى بهمن جاذويه وهو بقسياثا[1] وكان رافد فارس في يوم من أيام شهرهم ، وبنوا شهورهم كل شهر على ثلاثين يوماً فكان لأهل فارس في كل يوم رافد قد نصب لذلك يرفدهم عند الملك ، وكان رافدهم بهمن روز ـ أن سر حتى تقدم أللّيس بجيشك الى من اجتمع لها من فارس ونصارى العرب ، فقدم بهمن جاذويه جابان ، وأمره بالحث ، وقال له : كفكف نفسك وجنودك عن قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يعجلوك ، فسار جابان نحو أللّيس وانطلق بهمن جاذويه ليحدث بأزدشير عهداً ، ويستأمره فيما يريد ان يشير به ، فوجده مريضاً فعرج عليه ، وأخلى جابان لذلك الوجه .

ومضى جابان حتى انتهى الى أللّيس فنزل بها ، واجتمعت اليه المسالح التي

---

(١) في الطبري : ٣/٣٥٥ « قسيانا » وهو تصحيف ، فقد ذكر ياقوت هذا المكان وقال عنه : « موضع بالعراق له ذكر في فتوح خالد بن الوليد » .

كانت بإزاء العرب وعبد الأسود في نصارى بني عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ، وكان جابر بن بجير نصرانياً فساند عبد الأسود ، وقد كان خالد بلغه يجمع عبد الأسود وجابر وزهير العبسي [1] فيمن تأشب اليهم فنهد لهم ، ولا يشعر بدنو جابان وليست لخالد همة إلا من تجمع له من عرب الضاحية ونصاراهم .

ولما طلع خالد على جابان بأليس قالت الأعاجم لجابان أنعاجلهم او نغدي الناس ولا نريهم أنا نحفل بهم ثم نقاتلهم بعد الفراغ؟ فقال جابان: إن تركوكم والتهاون بهم فتهاونوا بهم ، ولكن ظني بهم أنهم سيعجلونكم ويعجلونكم عن طعامكم ، فعصوه وبسطوا البسط ووضعوا الأطعمة وتداعوا اليها، وتوافوا عليها، فلما انتهى خالد اليهم وقف وأمر بحط الأثقال، فلما وضعت توجه اليهم ووكل خالد بنفسه حوامي يحمون ظهره ثم ندر أمام الصف فنادى : أين ابجر أين عبد الأسود، أين مالك بن قيس رجل من جدرة فنكلوا عنه جميعاً الا مالكاً فبرز له فقال له خالد : يابن الخبيثة ما جرأك علي من بينهم وليس فيك وفاء . وقال :

أيا ابن ذات الحسب المذوق إنك في ضيق اشد الضيق

وأجهض الأعاجم عن طعامهم قبل ان يأكلوا ، فقال جابان : ألم اقل لكم يا قوم ، لا والله ما دخلني من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم ، فقالوا حيث لم يقدروا على الأكل تجلداً : ندعها حتى نفرغ منهم ، ثم نعود اليها ، فقال جابان : وأيضاً أظنكم والله لهم وضعتموها، وأنتم لا تشعرون، والآن فأطيعوني وسُمّوها فإن كانت لنا فأهون هالك، وإن كانت علينا قد كنا صنعنا شيئاً وأبلينا عذراً ، فقالوا : لا لا اقتداراً عليهم ، وجعل جابان على مجنبتيه عبد الأسود وأبجر وخالد على تعبئته في الأيام التي قبلها ، فاقتتلوا قتالا شديدا والمشركون

(١) في م « القيني » وفي الطبري : ٣/٣٥٥ « زهير » فقط .

يزيدهم كلباً وشدة ما يتوقعون عن قدوم بهمن جاذويه فصابروا المسلمين للذي كان في علم الله تعالى ان يصيرهم اليه ، وحدب المسلمون عليهم .

وقال خالد: اللهم لك علي ان منحتنا أكتافهم ألا استبقي منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم،ثم إن الله عز وجل كشفهم للمسلمين ومنحهم اكتافهم ، فأمر خالد مناديه فنادى في الناس الأسر ، الأسر ، لا تقتلوا الا من امتنع ، فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سوقا ، وقد وكل بهم رجالا يضربون أعناقهم في النهر ففعل ذلك بهم يوماً وليلة ، وطلبوهم الغد وبعد الغد حتى انتهوا الى النهرين ومقدار ذلك من كل جوانب أليس،فضرب أعناقهم وقال القعقاع وأشباه له : إنك لو قتلت اهل الأرض لم تجر دمائهم ، ان الدماء لا تزيد على ان ترقرق منذ نهيت عن السيلان ، ونهيت الارض عن نشف الدماء فارسل عليها الماء تبر يمينك ، وقد كان صد الماء عن النهر، فأعاده فجرى دماً عبيطاً فسمي نهر الدم لذلك الشأن الى اليوم

وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصية : ان الأرض لما نشفت دم ابن آدم نهيت عن نشف الدماء ، ونهي الدم عن السيلان إلا مقدار برده .

ولما هزم القوم وأجلوا عن عسكرهم ، ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه ، وقف خالد على الطعام فقال: قد نفلتكموه فهو لكم،وقال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى على طعام مصنوع نفله ، فقعد عليه الناس لعشائهم بالليل ، وجعل من لا يرد الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول : ما هذه الرقاع البيض ، وجعل من قد عرفها يجيبهم ويقول لهم مازحاً هل سمعتم برقيق العيش؟فيقولون: نعم فيقولون: هو هذا ، فسمي الرقاق ، وكانت العرب تسميه القرى .

وعن خالد بن الوليد أن رسول الله ﷺ نفل الناس يوم خيبر الخبز والبطيخ والشواء وما أكلوا غير ذلك في بطونهم غير متأثليه .

وعن المغيرة بن عتيبة قال : كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر وهم ثمانية عشر ألفاً او يزيدون ثلاثة أيام ، وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جندل ، من بني عجل ، وكان دليلاً صارماً ، فقدم على أبي بكر رحمه الله بالخبر وبفتح أليس وبقدر الفيء ، وبعدة السبي ، وبما حصل من الأخماس وبأهل البلاء من الناس ، فلما قدم على أبي بكر فرأى صرامته وثبات خبره قال : ما اسمك ؟ قال : جندل ، قال : ويحاً جندل :

نفس عصام سودت عصاما وعودته الكر والإقداما

فأمر له بجارية من السبي ، فولدت له ، وكان خالد وجنده هم حد المسلمين وكتيبة الإسلام بهم فض الله عز وجل أهل فارس ورعبهم ، وما زالت بعدها مرعوبة منتشرة لم يأتوا في وقعة بمثل ذلك الجد والصبر الى أن فارقهم خالد الى الشام ، وبلغت قتلاهم يوم أليس سبعين ألفاً جلهم من أمغيشيا [1] .

حديث أمغيشيا

وأفاءها [2] الله بغير خيل .

ولما فرغ خالد من وقعة أليس نهض فأتى على أمغيشيا وقد أعجلهم عما فيها ، وقد جلا اهلها وتفرقوا في السواد ، ومن يومئذ صارت الشكرات [3] في السواد ، وصار الجلاء شكرات لمن ألجئوا اليه فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكل شيء كان في

---

(١) موضع كان بالعراق مصراً كالحيرة ، وكان فرات بادقلي ينتهي إليها وكانت أليس من مسالحها ، معجم البلدان .

(٢) زاد الطبري : ٣/٣٥٨ « في صفر » .

(٣) في الطبري : ٣/٣٥٨ « السكرات » وسقطت العبارة التالية ، والمعنى بذلك أنهم صاروا أجراء لأهل السواد .

حيزها ، وكانت مصراً كالحيرة ، وكان فرات بادقلي ينتهي اليها ، وكانت أليس من مسالحها ، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا قط مثله قبله .

وعن الفرات العجـــلي قال : لم يصب المسلمون فيما بين ذات السلاسل وأمغيشيا مثل ما أصابوه في أمغيشيا ، بلغ سهـــم الفارس ألفاً وخمسمائة سوى الأنفال التي نفلها اهل البلاء .

وقالوا جميعاً : قال ابو بكر لما بلغه ذلك : يـا معشر قريش ، يخبرهم بالذي أتاه : عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراديله اعجـز النساء أن ينشئوا مثل خالد ، وفي ذلك يقول أبو مُفـَزر الأسود بن قطبة :

فتينا يـوم أليس وأمغيشيا	ويوم المقر آساد النهـار
فلم أر مثلها فضلات حرب	اشد على الجماجمة الكبار
قتلنا منهـــم سبعين ألفـــا	بقية حـــربهم غب الإسار
سوى من ليس يحصى من قتيل	ومن قد جال جولان الغبار [1]

حديث يوم المقر[2] وفم فرات بادقلي

عن المغيرة وغيره ان الأزاذبة كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى الى ذلك اليوم ، فكان لا يمد بعضهم بعضاً إلا بإذن الملك، وكان قد بلغ نصف الشرف ، وكان قيمة قلنسوته خمسين الفاً، فلما اخرب خالد امغيشيا وعاد اهلها شكرات لدهاقين القرى ، علم الأزاذبة أنه غير متروك فأخذ في امره وتهيأ لحرب خالد ، وقدم ابنه ثم خرج في إثره حتى عسكر خارجاً من الحـــيرة ، وأمر ابنه بسد

(١) سقط الشعر من الطبري : ٣ / ٣٥٩ ، وأثبته ياقوت في معجم البلدان مادة أمغيشيا .
(٢) موضع قرب فرات بادقلي من ناحية البر من جهة الحيرة – معجم البلدان .

الفرات ، ولما استقل خالد من امغيشيا وحمل الرجل في السفن مع الانفال والاثقال لم يفاجأ خالد إلا والسفن جوانح فارتاعوا لذلك ، وقال الملاحون إن اهل فارس فجروا الانهار فسلك الماء في غير طريقه ، فلا يأتينا الماء إلا بسد الانهار وقال في ذلك مطر بن فضه :

إذا فجر العتيق ومقرماه[1] ونهر الري لا يأتيك ماه
فقدمنا هداك الله منهم فإن الثأر يشفيه اللقاء
لعل الله يشفينا جهاراً من الأزاذ إذ حمس الدعاء

فتعجل خالد في خيل نحو ابن الأزاذبة فلقي على فم العتيق خيلاً من خيله فجئهم ، وهم آمنون لغارة خالد في تلك الساعة فأنامهم بالمقر ، ثم سار من فوره وسبق الأخبار إلى ابن الأزاذبة حتى تلقاه وجنده على فرات بادقلي ، فاقتتلوا قتالاً فأنامهم وفجر الفرات .

وسلك الماء سبيله ، وقال في ذلك عاصم بن عمرو :

ألم ترنا غداة المقر فثنا بأنهار وساكنها جهارا
قتلناهم بها ثم انكفأنا إلى فم الفرات بما استجارا
لقينا من بني الأحرار فيها فوارس ما يريدون الفرارا
نكر الخيل عابسة عليهم نرى فيها من الطعن ازورارا
وما زلنا بهم حتى أتينا على أخراهم زمنا معارا[2]

---

(١) في حاشية الاصل : « ومقرميه » .

(٢) سقط الشعر من الطبري : ٣ / ٣٥٩ ، وأورد ياقوت ثلاثة أبيات منه في مادة مقر في معجم البلدان .

حديث الحيرة

قالوا: لما أصاب خالد ابن الأزاذبة على فم فرات بادقلي قصد للحيرة، واستلحق أصحابه وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف ، فقدم خالد الخورنق وقد قطع الأزاذبة الفرات هارباً من غير قتال ، وإنما جرأه على الهرب أن الخبر وقع إليه بموت أزدشير وبمصاب ابنه ، وكان عسكره بين الغريين والقصر الأبيض ، ولما تتام أصحاب خالد إليه بالخورنق ، خرج من الخورنق حتى يعسكر في موضع عسكر الأزاذبة بين الغريين والقصر الأبيض وأهل الحيرة متحصنون ، فأدخل خالد الحيرة الخيل من عسكره ، وأمر بكل قصر رجلاً من قواده يحاصر أهله ، ويقاتلهم ، فكان ضرار بن الأزور محاصراً للقصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر الغريين ، وفيه عدي بن عدي المقتول ، وكان ضرار بن مقرن المزني عاشر عشرة إخوة له محاصراً قصر بني زمان [٢] وفيه ابن أكال ، وكان المثنى محاصراً قصر بني بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح ، فدعوهم جميعاً ، وأجلوهم يوماً فأبى أهل الحيرة ولجوا ، فناوشهم المسلمون .

وعن رجل من بني كنانة قال: عهد خالد إلى أمرائه أن يبدؤوا بالدعاء فإن قبلوا قبلوا منهم وإن أبوا أن يؤجلوهم يوماً ، وقال : لا تؤخروهم ولا تمكنوا عدوكم من آذانكم فيتربصوا بكم الدوائر ، ولكن ناجزوهم ولا ترددوا المسلمين عن قتال عدوهم ، فكان أول القواد أنشب القتال – بعد يوم أجلوهم

---

(١) في الطبري : ٣/ ٣٦٠ « مازن » .

فيه ـ ضرار بن الأزور، وكان على قتال القصر الأبيض فأصبحوا وهم مشرفون، فدعاهم إلى إحدى ثلاث : الإسلام ، أو الجزي ، أو المنابذة ، فاختاروا المنابذة وتنادوا عليكم الخزازيف ، فقال ضرار: ارشقوهم فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل وأعروا رؤوس الحيطان ، ثم بثوا غارتهم فيمن يليهم وصبح أمير كل قوم أصحابه بمثل ذلك ، فافتتحوا الدور والديران ، وأكثروا القتل فتنادى القسيسون والرهبان بأهل القصور : ما يقتلنا غيركم .

فنادى أهل القصور يا معشر العرب قد قبلنا واحدة من ثلاث فادعوا [1] بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالداً ، فخرج إياس بن قبيصة وأخوه إلى ضرار ، وخرج عدي بن عدي وزيد بن عدي الأوسط إلى ضرار بن الخطاب ، وعدي الأوسط الذي رثته أمه وقتل يوم ذي قار هو وأخوه جميعاً ، وخرج عمرو بن عبد المسيح ، وخرج ابن أكال هذا إلى ضرار بن مقرن ، وهذا إلى المثنى بن حارثة ، فأرسلوهم إلى خالد وهم على مواقفهم .

وكان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن الحارث وهو بقيلة ، وإنما سمي بقيلة أنه خرج على قومه في بردين أخضرين ، فقالوا له : يا حمار ما أنت إلا بقيلة ، وتبايعوا [2] على ذلك ، فأرسلهم الرؤساء إلى خالد مع كل رجل منهم ثقته ليصالح عليه أهل الحصن ، فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين ، وبدأ بأصحاب عدي وقال : ويحكم ، ما أنتم ، أعرب ، فما تنقمون من العرب ، أو عجم ، فما تنقمون من الإنصاف والعدل ؟ فقال له عدي: بل عرب عاربة وأخرى متعربة ، فقال لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا .

---

(١) في حاشية الاصل « فدعونا » ووافقت رواية الطبري ٣ / ٣٦١ ما ورد بالمتن .

(٢) في الطبري : ٣/٣٦١ « وتتابعوا » .

فقال له عدي ليدلك على ما نقول إنه ليس لنا لسان إلا بالعربية ، فقال : صدقت ، وقال : اختاروا واحدة من ثلاث : أن تدخلوا في ديننا ، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم ، أو أقمتم في داركم ، أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة ، فقد والله أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، فقال : بل نعطيكم الجزية ، فقال خالد : تباً لكم إن الكفر فلاة مضلة فأحمق العرب من سلكها ، فلقيه دليلان أحدهما عربي فتركه ، واستدل الأعجمي ، وصالحوه على مائة ألف وتسعين ألفاً وتتابعوا على ذلك ، واهدوا له هدايا ، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر الصديق مع الهذيل الكاهلي فقبلها أبو بكر من الجزي ، وكتب إلى خالد أن احسب لهم هديتهم من الجزي إلا أن تكون من الجزي وخذ بقية ما عليهم فقو بها أصحابك .

وقال ابن بقيلة :

أبعد المنذرين أرى سواما ... تروح بالخورنق والسدير
وبعد فوارس النعمان أرعى ... قلوصاً بين مرة والحفير
فصرنا بعد ملك أبي قبيس ... كجرب المعز في يوم مطير
تقسمنا القبائل من معد ... علانية كأيسار الجذور
وكنا لا يرام لنا حريم ... فنحن كضرة الضرع الفخور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى ... وخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال ... فيوم من مساءة أو سرور

وعن رجل من كنانة ويونس بن أبي اسحاق نحو منه ، وقالا فكانوا يختلفون إليه ، ويقدمون في حوائجهم عمرو بن عبد المسيح ، فقال له خالد : كم أتت عليك ؟ فقال : مئو سنين ، قال : فما أعجب ما رأيت ؟ قال : رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفاً ، فتبسم خالد ، وقال : هل لك من شيخك إلا عقله ، خرفت والله يا عمرو ، ثم أقبل

على أهل الحيرة ، وقال : ألم يبلغني أنكم خبثة خدعة مكرة، فما لكم تتناولون حوائجكم بخرف لا يدرى من أين جاء .

فتجاهل له عمرو وأحب أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله ويستدل به على صحة ما حدث به ، فقال : وحقك أيها الأمير إني لأعرف من أين جئت ، قال : فمن أين جئت ؟ قال : أقرب أم أباعد ؟ قال : ما شئت ، قال : من بطن أمي ، قال : فأين تريد؟ قال : أمامي ، قال : وما هو؟ قال الآخرة : قال : فمن أين أقصى أثرك؟ قال : صلب أبي ، قال : ففيم أنت ؟ قال : في ثيابي ، فقال خالد : إنه ليعقل ، قال أي والله وأقيد ، فوجده حين فره عضاً [١] ، وكان أهل قريته أعلم به.

وقال خالد : قتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضاً عالمها ، القوم أعلم بما فيهم ، فقال عمرو : النملة أعلم بما في بيتها من الجمل بما في بيت النملة ، وشاركهم في هذا الحديث غيرهم ، وقالوا : وكان مع ابن بقيلة منصف له [٢] متعلقاً كيساً في حقوه فتناول خالد الكيس ونثر ما فيه في راحته ، وقال : ما هذا يا عمرو ؟ قال : هذا وأمانة الله سم ساعة ، قال : ولم تحتقب السم ؟ قال : خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت ، وقد أتيت على أجلي ، والموت أحب إلي من مكروه أدخله على قومي وأهل قريتي ، فقال خالد : إنها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها ، وقال : بسم الله خير الأسماء رب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم ، فأهووا إليه ليمنعوه منه ، وبادرهم فابتلعه .

فقال عمرو : والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن [٣] ، وأقبل على أهل الحيرة ، وقال : لم أر كاليوم أمراً أوضح اقبالاً ،

---

(١) أي وجده حين اختبره داهية .

(٢) المنصف : الخادم . القاموس .

(٣) أي أهل الجيل أو الزمان الواحد .

وأبى خالد أن يكاتبهم إلا على إسلام كرامة بنت عبد المسيح إلى شويل [١] ، فثقل ذلك عليهم ، فقالت : هونوا عليكم وأسلموني فإنني سأفتدى ، ففعلوا ، وكتب خالد بينه وبينهم كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عدياً وعمراً ابني عدي وعمرو بن عبد المسيح وإياس بن قبيصة وحيري بن آكال ، وهم نقباء أهل الحيرة ، ورضي بذلك أهل الحيرة وأمروهم به ، عاهدهم على تسعين ومائة ألف درهم تقبل في كل سنة جزي عن أبديهم في الدنيا : رهبانهم وقسيسيهم وجماعتهم إلا من كان غير ذي يد حبيساً عن الدنيا تاركاً لها ، وسائحاً تاركاً للدنيا، وعلى المنعة، فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم ، وإن غدروا بفعل أو قول فالذمة منهم بريئة ، وكتب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة [٢] .

ودفع الكتاب إليهم فلما كفر أهل السواد بعد موت أبي بكر استخفوا بالكتاب وضيعوه ، وكفروا فيمن كفر ، وغلب عليهم أهل فارس ، فلما افتتح المثنى ثانية أدلوا بذلك فلم يجبهم إليه وعاد بشرط آخر ، فلما غلب المثنى على البلاد كفروا فيمن كفر وأعانوا واستخفوا ، وأضاعوا الكتاب ، فلما افتتحها سعد وأدلوا بذلك سألهم واحداً من الشرطين ، فلم يجيئوا بهما ، فوضع عليهم ، وتحرى ما يرى أنهم يطيقون ، فوضع عليهم أربعمائة ألف سوى الخرزة [٣] .

وعن الكناني ويونس قالا : كان جرير بن عبد الله البجلي ممن خرج مع خالد ابن سعيد بن العاصي إلى الشـــام ، فاستأذن خالد إلى أبي بكر ليكلمه في

---

(١) كان قد وعده بها النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) إذا صح هذا وأمثاله ففيه دليل على أن التاريخ وضع قبل أيام عمر بن الخطاب .

(٣) الخرزة نوع من جزية الرؤوس ، كانت معروفة في أيام الاكاسرة يؤديهـــا كل من لم يدخل في جند الدولة . تاريخ الطبري : ٣ / ٣٦٤ (الحاشية) .

قومه ليجمعهم له ، وكانوا أوزاعاً في العرب وليتخلصهم ، فأذن له ، فقدم على أبي بكر ، فذكر له عدة من النبي ﷺ ، وأتاه على العدة بشهود ، وسأله انجاز ذلك ، فغضب أبو بكر رضي الله عنه ، وقال : ترى شغلنا وما نحن فيه من بعوث المسلمين فيمن بإزائهم من الأشدين [١] : فارس والروم ، ثم أنت تكلفني التشاغل بما لا يغني عني عما هو أرضى لله ولرسوله ، دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين ، فسار حتى قدم على خالد وهو بالحيرة ، ولم يشهد شيئاً مما كان بالعراق إلا ما كان بعد الحيرة ، ولا شيئاً مما كان خالد فيه من أهل الردة ، وقال القعقاع بن عمرو في أيام الحيرة :

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة ... وأخرى بأثباج النباج الكوانف
فنحن وطئنا بالكواظم هرمزاً ... وبالثني قرنى قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تتابعت ... على الحيرة الروحاء إحدى المصارف
حططناهم منها وقد كاد عرشهم ... يميل به فعل الجبان المخالف
مننا عليهم بالقبول وقد رأوا ... غبوق المنايا حول تلك المخارف
صبيحة قالوا نحن قوم تنزلوا ... إلى الريف من أرض العريب المقانف [٢]

وقال عاصم بن عمرو في ذلك :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً ... ورجلاً فوق انتاج [٣] الركاب
حصرنا في نواحيها قصوراً ... مشرفة كأضراس الكلاب
فنادوا بالعريب ولم يحاموا ... فقلنا دونكم فعل العراب
فقالوا بل نؤدي الخرج حتى ... تزول الراسيات من الظراب
صرفنا عنهم لما اتقونا ... وأبنا حيث أبنا بالنهاب [٤]

(١) في الطبري : ٣ / ٣٦٥ « الاسدين » .
(٢) انظر الطبري : ٣ / ٣٦٥ ، مع فوارق .
(٣) أي فوق الابل الحوامل .
(٤) لم يرد هذا الشعر بالطبري : ٣ / ٣٦٥ .

حديث ما بعد الحيرة

سيف عن جميل الطائي عن أبيه قال : لما أعطي شويل كرامة بنت عبد المسيح قلت لعدي بن حاتم : ألا تعجب من مسألة شويل على ضعفه كرامة بنت عبد المسيح ، قال : كان يهرف [٢] بها دهره ، وذلك أني لما سمعت رسول الله ﷺ يذكر ما رفع له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رفع له : وكأن شرف قصورها أضراس الكلاب ، عرفت أن قد أريها ، وأنها ستفتح فلقنته مسألتها .

وعن الشعبي قال : لما قام شويل إلى خالد قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتح الحيرة فسألته كرامة ، فقال : هي لك إذا فتحت عنوة ، وشهد له بذلك ، وعلى ذلك صالحهم ، فدفعها إليه فاشتد ذلك على أهل بيتها وقريتها ما وقعت فيه ، وأعظموا الخطر ،فقالت : لا تخطروه ولكن اصبروا ،ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين سنة ، وإنما هذا رجل أحمق رآني في شبيبتي فظن أن الشباب يدوم ، فدفعوها إلى خالد ، فدفعها خالد إليه ، فقالت : ما رأيك إلى عجوز كما قد ترى فادني ، قال : لا إلا على حكمي ، قالت : فلك حكمك مرسلاً فقال : لست لأم شويل إن نقصتك من ألف درهم ، فاستكثرت ذلك لتخدعه ، ثم أتته بها ، فرجعت إلى أهلها فتسامع الناس بذلك فعنفوه فقال : ما كنت أرى أن عدداً يزيد على الف ، فأبوا عليه إلا أن يخاصمهم ، فخاصمهم وقال : كانت نيتي غاية العدد وقد ذكروا أن العدد يزيد على ألف . فقال خالد: أردت أمراً وأراد الله غيره ، ونأخذ بما ظهر ، وندعك ونيتك كاذباً كنت أو صادقاً .

وعن الشعبي قال : لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثماني ركعات لا يسلم

---

(١) في حاشية الاصل : يهرف: يطري في المديح إعجاباً بها . قاموس .

فيهن ، ثم انصرف [١] وقال : لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أليس .

وعن قيس بن أبي حازم وكان قدم مع جرير على خالد ، فقال : أتينا خالداً بالحيرة وهو متوشح قد شد ثوبه في عنقه يصلي فيه وحده ، ثم انصرف فقال : اندق في يدي تسعة أسياف يوم مؤتة ، ثم صبرت صفيحة يمانية فما زالت معي.

حديث صلوبا وزاذ بن بهيش

عن جماعة قالوا : لما صالح أهل الحيرة خالداً خرج صلوبا بن نسطويا صاحب قس الناطف [٢] حتى دخل على خالد عسكره ، فصالحه على بانقيا [٣] وبسما ، وضمن له ما عليها وعلى أرضها من شاطىء الفرات جميعاً ، واعتقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة ، خرزة كسرى [٤] وكانت على كل رأس أربعة دراهم ، وكتب له خالد كتاباً فتمسك به وتم ، ولم يتعلق عليه في حال غلب فارس بغدر ، والكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطويا وقومه ، إني قد عاهدتكم

---

(١) في حاشية الاصل : الذى يفهم من كتب الفتوح ، أن الصلاة التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لأجل الفتح ، فلا تسن إلا في الفتح لا كل يوم .

(٢) موضع قريب من الكوفة . معجم البلدان .

(٣) ناحية من نواحي الكوفة – معجم البلدان .

(٤) خرزات الملك جواهر تاجه : كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه خرزة لتعلم سنو ملكه . القاموس .

على الجزية والمنعة عن كل ذي يد ، بانقيا وبسما جميعاً على عشرة آلاف دينار ، سوى الخرزة ، القوي على قدر قوته والمقل على قدر إقلاله في كل سنة وإنك قد نقبت على قومك ، وإن قومك قد رضوا بك ، وقد قبلت منك ومن معي من المسلمين رضيت ورضي قومك فلك الذمة والمنعة فإن منعناكم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم . شهد هشام بن الوليد والقعقاع بن عمرو وجرير بن عبد الله ، يعني البجلي وجرير بن عبد الله الحميري ، وحنظلة بن الربيع وكتب ، سنة اثنتي عشرة في صفر .

قالوا : وكان الدهاقين يتربصون بخالد وينظرون مايصنع أهل الحيرة فلما استقام مابين أهل الحيرة وبين خالد ، واستقاموا له على الصلح ، طلب صلوبا الصلح وسمحوا له ، فأتته دهاقين الملطاطين[١] وأتاه زاذ بن بهيش دهقان فرات سريا[٢] وصلوبا بن نسطويا بن بصبهري ، فصالحوه على ما بين الفلاليج[٣] إلى هرمزجرد[٤] على ألفي ألف ثقيل وأن للمسلمين ما كان لأهل كسرى ومن مال معهم على المقام في داره ، فلم يدخل في الصلح .

وضرب خالد رواقه في عسكره وكتب لهم كتاباً .

بسم الله الرحمن الرحمن :

هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاد بن بهيش وصلوبا بن نسطويا إن لكم الذمة وعليكم الجزية وأنتم ضامنون لمن نقبتم عليه من أهل البهقباذ الأسفل[٥] والأوسط على ألفي ألف ثقيل في كل سنة عن كل ذي يد سوى ما على بانقيا وبسما وإنكم قد أرضيتموني والمسلمين وإنا قد أرضيناكم وأهل البهقباذ الأسفل ومن

---

(١) كان يقال لظهر الكوفة اللسان ، وما ولي الفرات منه الملطاط . معجم البلدان .

(٢) عدد ياقوت بين فروع نهر الفرات فرعاً اسمه « نهر سورا » وهو نهر حلة بني مزيد .

(٣) فلاليج السواد قراها . معجم البلدان .

(٤) ناحية كانت بأطراف العراق . معجم البلدان .

(٥) اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات . معجم البلدان .

دخل معكم من أهل البهقباذ الأوسط على أموالكم ، ليس فيها مـــا كان لآل كسرى ومن مال ميلهم . شهد هشام بن الوليـد والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبد الله الحميري ، وبشير بن عبد الله بن الخصاصية ، وحنظلة بن الربيع وكتب .

وبعث خالد بن الوليد عماله ومسالحه .

فبعث في العمال عبد الله بن وثيمة النصري فنزل في أعلى العمل بالفلاليج على المنعة وقبض الجزية ، وجرير بن عبد الله على بانقيا وبسما ، وبشير بن عبد الله بن الخصاصية على النهرين فنزل الكوفة ببانبورا[1] وسويد بن مقرن المزني الى تستر فنزل العقر[2] فهي تسمى عقر سويد الى اليوم ، وليس بسويد المنقري وأط بن أبي أط الى روذمستان[3] فنزل منزلاً على نهر ، سمي ذلك النهر به ، يقال له نهر أط الى اليوم ، وهو رجل من بني سعد بن زيد مناة ، فهؤلاء كانوا عمال الخراج زمان خالد بن الوليد ، وكانت الثغور في زمان خالد بالسيب[4] بعث : ضرار ابن الخطاب والمثنى بن حارثة وضرار بن الأزور وضرار بن مقرن والقعقـاع بن عمرو وبسر بن أبي رهم ، وعتيبة بن النهاس ، فنزلوا على السيب في عرض سلطانه فهؤلاء أمراء ثغور خالد ، وأمرهم خالد بالغارة والإلحاح فمخروا ما وراء ذلك الى شاطىء دجلة .

ولما غلب خالد على أحد جانبي السواد[5] دعا من أهل الحيرة برجل وكتب معه الى أهل فارس بالمدائن وهم مختلفون متساندون لموت أزدشير ، الا أنهم قد أنزلوا

---

(١) بانبورا : ناحية بالحيرة من أرض العراق . معجم البلدان .

(٢) في معجم البلدان ، العقر : القصر الذى يكون معتمداً لاهل القرية .

(٣) ذكر ياقوت نهر أط دون أن يحدد موقعه ، وجاء عنده « دور قستان » وهو تصحيف لان الاسم مركب من روذ وتعني بالفارسية النهر ، ومستان ، أي كان اسم الموقع نهر مستان فصار نهر أط .

(٤) كورة من سواد الكوفة . معجم البلدان .

(٥) من نواحي سواد بغداد قرب المدائن . معجم البلدان .

بهمن جاذويه ببهرشير ، وكان على المقدمة [١] إذ هو ملك ملكوه بالشير ، ومع بهمن جاذويه الأزاذبة في أشباه له ، ودعا خالد صلوبا برجل [٢] وكتب معهما كتابين أحدهما الى الخاصة والآخر الى العامة أحدهما حي والآخر نبطي ، ولما قال خالد لرسول أهل الحيرة : ما اسمك ؟ قال : مرة قال : خذ الكتاب فأت به أهل فارس لعل الله يمر عليهم عيشهم ، أو يسلموا أو ينيبوا وقال لرسول صلوبا : ما اسمك ؟ قال : هزقيل ، قال: خذ الكتاب ، وقال : اللهم أزهق نفوسهم والكتابان :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من خالد بن الوليد الى ملوك فارس وفارس [٣] .

أما بعد : فالحمد لله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم لكان شراً لكم فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجزكم الى غيركم ، والا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب على أيدي قوم يحبون الموت كحبكم الحياة .

بسم الله الرحمن الرحيم .

من خالد بن الوليد الى مرازبة فارس أما بعد: فالحمد لله الذي فض حرمتكم وفرق كلمتكم ، وفل حدكم وكسر شوكتكم ، فأسلموا تسلموا والا فاعتقدوا مني الذمة وأدوا الجزية والا قد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

وعن جماعة من الرواة أن الخراج جبي الى خالد في خمسين ليلة ، وكان الذين

---

(١) عبارة الطبرى : ٣ / ٣٦٩ « وكأنه على المقدمة ، ومع بهمن جاذويه الازاذبه » وواضح أنها مصحفة وفيها سقط .

(٢) في حاشية الاصل « لعله برجلين » ووافق ما ورد بالاصل رواية الطبرى : ٣ / ٣٦٩ ، ويستقيم السياق لو قلنا « صلوبا وبرجل » .

(٣) في الطبرى : ٣ / ٣٧٠ « إلى ملوك فارس » .

ضمنوه والذين هم رؤوس الرساتيق رهن في يديه فأعطى ذلك كله [١] للمسلمين فقووا به على أمورهم، وكان أهل فارس بموت أزدشير مختلفين في الملك، مجتمعين على قتال خالد متساندين كان ذلك سنة والمسلمون يمخرون ما دون دجلة ، وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر وليست لأحد منهم ذمة الا الذين كاتبوه واكتتبوا منه، وسائر أهل السواد جلاء ومتحصنون ومحاربون، واكتتب عمال الخراج ، وكتبوا البراءات لأهل الخراج نسخة واحدة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، براءة لمن كان من كذا وكذا ، وهي الجزية التي صالحهم عليها الأمير خالد والمسلمون لكم يد على من بدل صلح خالد ما أقررتم بالجزية وكففتم، أمانكم أمان ، وصلحكم صلح ، نحن لكم على الوفـــاء ، واشهدوا لهم النفر من أصحابه الذين كان خالد يشهدهم: هشام وقعقاع وجرير وبشير وحنظلة ، وازدادوا الحجاج بن ذي العنق ، وجابر بن طارق ، ومالك ابن زيد . قالوا : وخرج خالد وقد كتب أهل الحيرة عنه كتاباً .

إنا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد العبد الصالح ، والمسلمون عبـاد الله الصالحون على أن يمنعونا وأميرهم خالد البغي من المسلمين وغيرهم .

قالوا : وأمر الرسولين اللذين بعثهما أن يوافياه بالحيرة ، وأقام خالد في عمله سنة ومنزله الحـــيرة يصعد ويصوب قبل خروجه إلى الشام وأهل فارس ، يخلعون ويملكون ليس إلا الدفع عن بهرشير ، وذلك أن شيرين بن كسرى قتل كل من يناسبه إلى كسرى بن قباذ ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أزدشير ابنه وقتلوا كل من بين كسرى بن قباذ وبين بهرام جور ، فبقوا لا يقدرون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه .

---

(١) كتب فوقها بالاصل : في المسلمين .

(٢) في الطبرى : ٣/٣٧١ « رأزداذ ، والحجاج » وهو تصحيف واضح لانه لم يكن بين المسلمين من اسمه « أزداذ » .

وعن الشعبي قال : أقام خالد بن الوليد فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشام أكثر من سنة يعالج عمل عياض الذي سمي له ، وقال خالد للمسلمين: لولا ما عهد إلي الخليفة ، ولولا ينفذ عياض وكان قد شجي وأشجى بدومة ، ما كان دون فتح فارس شيء ، إنها لسنة كأنها سنة نساء، وكان عهد إليه أن لا يقتحم عليهم ، وخلفه نظائر لهم [1] وكان بالعين عسكر لفارس ، وبالأنبار واحد ، وبالفراض آخر .

وقال أبو مفزر فيما بعد فتح الحيرة :

ألا أبلغا عني الخليفة أننـــا غلبنا على نصف السواد الأكاسرا
غلبنا على مـاء الفرات وأرضه عشية حزنـاً بالسيوف الأكابرا
فدرت علينا جزية القوم بعدما ضربناهم ضرباً يقط الشـــوابرا

وقال أبو مفزر أيضاً :

ألا أبلغا عني العريب رسالة فقد قسمت فينا فيوء الأعاجـم
ودرت علينا جزية القوم بالذي فككنا به عنهم وثاق المعاصم
فنحن أفأنا بالفـــرات وأرضه جميعا ولم نعدل بحز المقـــادم
وحيث نهى اللجي [2] عن رحلة السرى ورد اليها غربهـا [3] بالطماطم

ولما وقعت كتب خالد الى اهل المدائن تكلم نساء آل كسرى فولي الفرخزاد ابن البندوان إلى أن يجتمع آل كسرى على رجل إن وجدوه ، ولما استقام لخالد ما بين الفلاليج إلى أسفل السواد وفرق سواد الحيرة يومئذ على جرير الحميري ، وبشير بن الخصاصية ، وخالد بن واشمة ، وابن ذي العنق وأط وسويد وضرار، وفرق سواد الأبلة على سويد بن مقرن ، وحسكة الحبطي ، والحصين بن أبي الحر

---

(١) في الطبري : ٣ / ٣٧١ « نظام لهم » .
(٢) السيف ـ القاموس .
(٣) الغرب الدلو العظيمة ، وطمطم : معظم ماء البحر . النهاية لابن الأثير .

وربيعة بن عسل، وأقر أمراء المسالح على ثغورهم ، واستخلف على الحيرة القعقاع ابن عمرو .

وخرج خالد في عمل عياض ليقضي ما بينه وبينه ولإغاثته ، فسلك الفلوجة حتى ينزل بكربلاء وعلى مسلحتها عاصم بن عمرو ، وعلى مقدمة خالد الأقرع ابن حابس إلا أن المثنى كان على ثغر من الثغور التي تلي المدائن فكانوا يغاورون أهل فارس وينتهون الى شاطىء دجلة قبل خروج خالد من الحيرة وبعد خروجه في إغاثة عياض ، وأقام خالد على كربلاء أياماً وشكا إليه عبد الله بن وثيمة الذباب، فقال له خالد اصبر فإنني إنما أريد أن استفرغ المسالح التي أمر بها عياض فتسكنها العرب فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم ، وتجيئنا العرب آمنة وغير متعتعة [1] وبذلك أمرنا الخليفة ورأيه يعدل نجدة الأمة ، وقال رجل من أشجع في الذي شكا ابن وثمة النصري :

ولقد حبست بكربلاء مطيتي ... وبالعين حتى عاد غثاً سمينها
إذا رحلت من منزل رجعت له ... لعمر أبيها إنني لأهينها
ويمنعها من ماء كل شريعة ... رفاق [2] من الذبان زرق عيونها

(١) أي من دون أراجيف وتخليط . القاموس .
(٢) في حاشية الأصل : جمع رفيق بالفاء .

حديث الأنبار وهي ذات العيون

وخرج خالد بن الوليد في تعبئته التي خرج فيها من الحيرة على مقدمته الأقرع ابن حابس، فلما نزل الأقرع المنزل الذي يسلمه إلى الأنبار نتج قوم من المسلمين إبلهم ، فلم يستطيعوا العرجة [١] ، ولم يجدوا بداً من الإقـــدام ومعهم بنات مخاض تتبعهم .

فلما نودي بالرحيل صروا الامهات واحتقبوا المنتوجات لأنها لم تطق السير، فانتهوا ركباناً إلى الأنبار ، وقد تحصن أهل الأنبار وخندقوا عليهم ، فأشرفوا من حصنهم وعلى تلك الجنود شيرزاد صاحب ساباط ، وكان أعقل أعجمي يومئذ وأسوده وأقنعه في الناس العرب والعجم، فتصايح عرب الانبار من السور وقالوا صبح الانبار شرجبيل [٢] يحمل جميله وجمل تربه عوذ [٣] .

فقال شيرزاد : ما تقولون ؟ فعبر له فقال : أما هؤلاء فقد قضوا على أنفسهم وذلك أن القوم إذا قضوا على أنفسهم قضاء كاد يلزمهم ، والله لئن لم يكن خالد مجتازاً لأصالحنه، فبينا هم كذلك قدم خالد على المقدمة فأطاف بالخندق، وأنشب القتال ، وكان قليل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به ، وتقدم إلى رماته فأوصاهم ، وقال إنني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب فارموا عيونهم ولا توخوا غيرها فرموا رشقاً واحداً، ثم تابعوا ففقئت ألف عين يومئذ، فسميت تلك الوقعة ذات العيون، وتصايح القوم ذهبت عيون أهل الانبار .

---

(١) أى الإقامة .

(٢) في حاشية الأصل : تصغير جبل .

(٣) أى رفيقته حديثة النتاج – القاموس .

فقال شيرزاد : ما تقولون ؟ ففسر له فقال أباز أباز [١] وراسل خالداً في الصلح على أمر لم يرضه خالد فرد رسله، وأتى خالد أضيق مكان في الخندق برذايا الجيش فنحرها ثم رمى بها فيه فأفعمه، ثم اقتحم الخندق والرذايا جسورهم والمشركون في الخندق وآزر القوم إلى حصنهم وراسل شيرزاد في الصلح على ما أراد فقبل منه خالد ، على أن يخليه ويلحقه بمأمنه في جريدة خيل ليس معهم من المتاع والمال شيء ، فخرج شيرزاد ، فلما قدم على بهمن جاذويه وأخبره الخبر لامه وقال : إني كنت في قوم ليست لهم عقول ، وأصلهم من العرب ، فسمعتهم مقدمهم علينا يقضون على أنفسهم، وقل ما قضى قوم على أنفسهم قضاء إلا وجب عليهم ثم قاتلهم الجند ففقؤوا فيهم وفي أهل الارض الف عين ، فعرفت أن المسالمة أسلم وأن قرة العين لهم وأن العيون لا تقر منهم بشيء .

ولما أطمأن خالد بالأنبار والمسلمون ، وأمن اهل فارس وأمن اهل الأنبار وظهروا رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا فكانت أوائلهم نزلوها أيام بخت نصر حين أباح العرب ، ثم لم يزل عنها ، فقال : ممن تعلمتم الكتاب ؟ فقالوا : تعلمنا الخط من إياد وأنشدوه قول الشاعر :

قومي إيـاد لو أنهم أمم ... او لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحـة العراق إذا ... ساروا جميعا والخط والقلم [٣]

فصالح خالد من حولهم وبرأ اهل البوازيج وبعث إليه اهل كلوذاي ليعقد لهم وكاتبهم فكانوا عيبته [٤] من وراء دجلة ، ثم إن اهل الأنبار وما حولها

---

(١) كلمة ثناء فارسية .
(٢) الرذية هي الناقة المهزولة من السير – القاموس .
(٣) في السيرة النبوية ط . القاهرة ١٩٥٥ : ١ / ٤٧ هما لأمية بن أبي الصلت مع فوارق .
(٤) العيبة الرجل : موضع سره . القاموس

نقضوا فيما كان يكون بين المسلمين والمشركين من الدول، ما خلا اهل البوازيج فإنهم ثبتوا كما ثبت اهل بانقيا .

حديث عين التمر [١]

سيف عن محمد وطلحة وزياد والمهلب قالوا : ولما فرغ خالد من الأنبار ، واستخكمت له استخلف على الأنبار الزبرقان بن بدر وقصد لعين التمر وبها يومئذ مهران بن سوس في جمع عظيم من العجم وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وإياد ومن لافهم، فلما سمعوا بخالد قال عقة لمهران : إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالداً ، قال : صدقت لعمري لأنتم أعلم بقتال العرب وإنكم لمثلنا في قتال العجم فخدعه واتقى بـــه وقال : دونكموهم وإن احتجتم إلينا جئناكم ، فلما مضى لمحو خالد قالت له الأعاجم : ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب ؟ فقال : دعوني فإني لم أرد الا ما هو خير لكم وشر له إنه قد جاءكم من قتل ملوككم وفل حدكم فاتقيته بهم، فإن كانت على خالد فهي لكم وإن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن اقوياء، وهم مضعفون فاعترفوا له بفضل الرأي .

فلزم مهران العين ونزل عقـة لخالد على الطريق ، وعلى ميمنته بجير بن فلان أحد بني عبيد بن سعد بن زهير ، وعلى ميسرته الهذيل بن عمران ، وبين عقة وبين مهران روحة او غدوة ، ومهران في الحصن في رابطة فارس ، وعقة على طريق الكرخ كالخفير ، فقدم عليه خالد وهو في تعبئة جنـده فعبأ خالد جنده، وقال لجنبتيه : اكفوا ما عندكم فإني حامل ، ووكل بنفسه حوامي، ثم

(١) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة . معجم البلدان .

حمل وعقة يقيم صفوفه فاحتضنه فأخذه أسيراً وانهزم صفه من غير قتال فأكثروا فيهم من الأسر ، وهرب بجير والهذيل ، واتبعهم المسلمون ، ولما جاء الخبر مهران هرب في جنده وتركوا الحصن .

فلما انتهت فلال عقة من العرب والعجم الى الحصن اقتحموه واعتصموا به ، وأقبل خالد في الناس حتى ينزل على الحصن ومعه عقة أسير وعمرو بن الصعق وهم يرجون أن يكون خالد كمن كان يغير من العرب عليهم فلما رأوه يحاولهم سألوه الأمان فأبى إلا على حكمه ، فسلموا له به فلما فتحوا دفعهم الى المسلمين فصاروا مساكا[1] وأمر خالد بعقة وكان خفير القوم فضربت عنقه ليوئس الأسرى من الحياة ، فلما رآه الأسرى مطروحاً على الجسر يئسوا من الحياة .

ثم دعا بعمرو بن الصعق فضرب عنقه وضرب أعناق اهل الحصن أجمعين ، وسبى كل من حوى حصنهم ، وغنم ما فيه ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل ، عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم وقال : ما أنتم ؟ قالوا رهن فقسمهم في اهل البلاء منهم أبو زياد مولى ثقيف ومنهم نصير أبو موسى بن نصير ، ومنهم أبو عمرة جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر ، وسيرين ابو محمد بن سيرين وحريث وعباد وعلاثة ، فصار ابو عمرة لشرحبيل بن حسنة ، وحريث لرجل من بني عباد ، وعلاثة للمعنى ، وأما حمران فصار لعثمان ، ومنهم ابو قيس فثبت على نسبه من موالي اهل الشام القدماء وكان نصير ينسب إلى بني يشكر وأبو عمرة إلى بني مرة ، ومنهم ابن أخت النمر .

وعن محمد وطلحة وأبي سفيان والمهلب بن عقبة قالوا : ولما قدم الوليد بن عقبة من عند خالد على أبي بكر رحمه الله بما بعثه به إليه من الاخماس وجهه إلى عياض وأمده به ، فقدم عليه الوليد وعياض محاصرهم ، وهم محاصروه ، وقد

---

(١) في الأصل « مسافى » ولا معنى له والتقويم من م ومن الطبري : ٣/٣٧٧ .

أخذوا عليه بالطريق ، فقالوا له : الرأي في بعض الحالات خير من جند كثيف، ابعث إلى خالد فاستمده ففعل فقدم رسوله عليه غب وقعة العين مستغيثاً فعجله إلى عياض بكتاب :

من خالد إلى عياض إياك أريد .

لبّث قليلاً تأتك الحلائب يحملن آساداً عليها القاشب
كتائب تتبعها كتائب

وقال عاصم بن عمرو في ذلك يعير عقة :

ألا أبلغا الوركاء أن عميدها رهينة حش من حشوش الزعافر
فبهلاً [١] لمن غدت كفالة عقة بني عامر أخرى الليالي الغوابر
أتيح له ضرغامة لا يفله قراع الكماة والليوث المساعر
أتيحت له نار تشيح وتلتوي وترمي بأمثال النجوم العباهر [٢]

* *

(١) بهل : لعن . النهاية لابن الأثير .
(٢) العبهر : الممتلىء الجسم والعظيم .

حديث دومة الجندل [١]

ولما فرغ خالد من عين التمر خلف فيها هويمر بن الكاهل الأسلمي ، وخرج في تعبئته التي دخل فيها العين ، ولما بلغ اهل دومة مسير خالد إليهم بعثوا إلى إخوانهم [٢] من بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم ، وقبل ما أتاهم وديعة ابن كلب وبهراء ومساندة ابن وبرة بن رومانس وأتاهم الحدرجان في الضجاعم وابن الأيهم في طوائف من بني تنوخ وغسان ، فأشجوا عياضاً وشجوا به .

فلما بلغهم دنو خالد وهم على رئيسين: أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة اختلفوا ، فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد لا أحد أيمن طائراً منه ولا أجد في حرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قلوا ولا كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم ، فأبوا عليه ، فقال : لن أمالئكم على حرب خالد فشأنكم ، فخرج لطيته وبلغ ذلك خالداً، فبعث عاصم بن عمرو معارضا له فأخذه، وقال: إنما تلقيت الأمير خالداً فلما أتى به خالداً أمر به فضربت عنقه وأخذ ما كان معه من شيء، ومضى خالد حتى ينزل على أهل الدومة وعليهم الجودي بن ربيعة ووديعة الكلبي وابن رومانس الكلبي وابن الأيهم وابن الحدرجان فجعل خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض .

وكان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة لم يحملهم الحصن ، فلما اطمأن خالد خرج الجودي فنهض بوديعة فزحفا لخالد ،

---

(١) الموقع معروف حالياً بالأردن.

(٢) في م : أحزابهم والشيء نفسه في الطبرى : ٣ / ٣٧٨ .

وخرج ابن الحدرجان وابن الأيهم إلى عياض فاقتتلوا ، فهزم الله الجودي ووديعة على يدي خالد ، وهزم عياض من يليه ، وركبهم المسلمون فأما خالد فإنه أخذ الجودي أخذاً ، وأخذ الأقرع بن حابس وديعة وآرز بقية الناس إلى الحصن فلم يحملهم ، فلما امتلأ الحصن أغلق من في الحصن دون أصحابهم فبقوا حوله فرداء ، وقال عاصم بن عمرو : يا بني تميم حلفاؤكم كلب آسوهم وأجيروهم فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها ففعلوا ، وكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بن عمرو بني تميم بهم .

وأقبل خالد على الذين آرزوا إلى الحصن فقتلهم حتى رد بهم باب الحصن ، ودعا خالد بالجودي فضرب عنقه ، ودعا بالأسرى فضرب أعناقهم إلا أسرى كلب ، فإن عاصماً والأقرع وبني تميم قالوا : قد أمناهم ، فأطلقهم لهم خالد ، وقال : ما لي ولكم أتحوطون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام فقال لعاصم : لا تحسدهم العافية ولا تجزرهم الشيطان ، ثم أطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه ، واقتحموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا الشرخ [1] ، فأقاموهم فيمن يزيد فاشترى خالد ابنة الجودي ، وكانت موصوفة ، وأقام خالد بدومة ورد الأقرع إلى الأنبار ، وثبت خالد بدومة قليلاً ، ولما ارتحل خالد من دومة إلى الحيرة رجز به الرجاز :

نحن صبحنا دومة القنابلا
ثم ضممنا حولها الجنادلا
ثم انكفأنا بالمسال عاسلا

---

(١) في حاشية الأصل : الشرخ بالشين والخاء المعجمتين : الشباب ، والمراد به من السبي .

وقال أيضاً :

نحن وردنا والأمير خالد
حماة ماء حولها الأساود

ولما رجع خالد إلى الحيرة وكان منها قريباً حيث يصبحها أخذ القعقاع أهل الحيرة بالتقليس[١] فخرجوا يتلقونه وهم يقلسون وخرج بعضهم يقول لبعض مروا بنا فهذا فرخ الشر .

حديث ما بعد دومة

قالوا : وقد كان خالد أقام بدومة وفطن الأعاجم به ، وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لمقة ، فخرج رزمهر من بغداد ومعه روزبة يريدان الأنبار ، واتعدا حصيداً[٢] والخنافس[٣]، فكتب الزبرقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو، وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة فبعث القعقاع أعبد بن فدكي السعدي وأمره بحصيد وبعث عروة بن الجعد البارقي ، وأمره بالخنافس ، وقال لهما : إن رأيتما مقدماً فاقدما ، فخرجا فجالا بينهما وبين الريف ، وأغلقاهما ، وانتظر روزبة ورزمهر بالمسلمين اجتماع من كاتبهما من ربيعة ، وقد كانوا تكاتبوا واتعدوا ، فلما رجع خالد من دومة إلى الحيرة على الظهر ، وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة أهل المدائن كره خلاف أبي بكر وأن يتعلق عليه بشيء فجفل[٤] القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فدكي إلى روزبة ورزمهر فسبقاه إلى عين التمر ، وقدم على خالد كتاب امرىء القيس الكندي أن الهذيل بن عمران قد عسكر

---

(١) في حاشية الاصل : أى يرقصون ويغنون .
(٢) موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة . معجم البلدان.
(٣) أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار . معجم البلدان .
(٤) في حاشية الاصل : أى أزعجها بالتسيير إليهم وهو بالجيم والفاء : والله أعلم .

بالمصيخ ونزل ربيعة بن بجير بالثني [١] وبالبشر [٢] في عسكر غضباً لعقة يريدان رزمهر وروزبة ، فخرج خالد وجعل على مقدمته الأقرع بن حابس ،واستخلف على الحيرة عياض بن غنم ، وأخذ خالد طريق القعقاع وأبي ليلى إلى الخنافس، حتى قدم عليهما بالعين فبعث القعقاع إلى حصيد وأمره على الناس وبعث أبا ليلى إلى الخنافس وأمره على الناس ، وقال : زجيراهم ليجتمعوا ومن استثارهم ، وإلا فواقعاهم ، فأبيا إلا المقام .

حديث حصيد

فلما رأى القعقاع أن روزبة ورزمهر لا يتحركان نحو حُصيد ، وعلى من به من العرب والعجم روزبة ، ولما رأى روزبة أن القعقاع قد قصد له استمد برزمهر فأمده بنفسه ، واستخلف على عسكره المهبوذان فالتقوا حينئذ فاقتتلوا فقتل الله العجم مقتلة عظيمة ، وقتل القعقاع رزمهر ، وقتل روزبة قتله عصمة ابن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف من بني ضبة ، وكان عصمة من البررة، وكل فخذ هاجرت بأسرها تدعى البررة ، وكل قوم هاجروا من بطن يدعون الخيرة ، فكان المسلمون خيرة وبررة ، وغنم المسلمون يوم حصيد غنائم كثيرة وآرز فلال حصيد إلى الخنافس ، فاجتمعوا بها .

وقال القعقاع في ذلك اليوم .

ألم ينه عنا غي فارس أننا منعناهم من ريفهم بالصوارم

---

(١) موضع بالجزيرة شرقي الرصافة . معجم البلدان .

(٢) ما زال يحمل هذا الاسم .

(٣) في حاشية الاصل : من البررة والخيرة .

وأنا أناس قد تعود خيلنا ... لقاء الأعادي بالحتوف الفواطم
وروز قتلنا حيث أرحف[1] خده ... وكل رئيس زارنا بالمظائم
تركنا حصيداً لا أنيس يحوه ... وقد شقيت اربابه بالأعاجم
وإني لراجي أن تلاقي جموعهم ... غديا بإحدى المنكرات الصوارم
ألا أبلغا اسماء أن حليلها ... قضى وطرا من روزبى الأعاجم
غداة صبحنا في حصيد جموعهم ... بهندية تفري فراخ الجماجم
وروز أصابت بالمنايا فأوجعت ... سيوف بني عمرو بإحدى العظائم

حديث الخنافس

وسار أبو ليلى بن فدكي بمن معه ومن قدم عليه نحو الخنافس وقد آرزت فلال حصيد إلى المهبوذان ، فلما أحس بهم المهبوذان هرب ومن معه وآرزوا إلى المصيخ ، وبه الهذيل بن عمران ، ولم يلق بالخنافس كيداً وبعثوا إلى خالد بالخبر جميعاً ، وقال أبو ليلى في ذلك :

وقالوا ما تريد فقلت أرمي ... جموعا بالخنافس بالخيول
فدونكم الخيول فألجموها ... إلى قوم بأسفل ذي أثول
فلما أن أحسونا تولوا ... ولم يغررهم ضبح الفيول[2][3]

---

(١) أرحف : حدد سكينا ونحوه . القاموس .

(٢) ضبحت الخيل : أسمعت من أفواهها صوتا ليس بصهيل ولا حمحمة أو عدت دون التقريب . القاموس .

(٣) جمع فيل .

وقال أيضاً :

أنا أبو ليلى وتحتي العود [١]
ومن يعاديني فإنني العود [٢]
أنصف من قال هلم للعود [٣]

حديث المصيخ مصيخ بني البرشاء

قالوا: ولما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحصيد، وهرب أهل الخنافس كتب إليهم ، ووعد القعقاع وأبا ليلى وعروة ليلة وساعة يجتمعون فيهـــا إلى المصيخ وهم [٤] بين حوران والقلت [٥] ، وخرج خالد من العين قاصداً للمصيخ على الإبل بجنب الخيل ، فنزل الجناب [٦] فالبردان [٧] فالحني [٨] واستقل من الحني ، فلما كان في تلك الساعة من ليلة الموعـــد اتفقوا جميعاً معه بالمصيخ ، فأغاروا على الهذيل ومن معه ومن أوى إليه ، وهم نائمون، من ثلاثة أوجه فقتلوهم وأفلت الهذيل في أناس قليل ، وامتلأ الفضاء قتلى فما شبهوا بهم

---

(١) الفرس الذى غزا عليه صاحبه مرة بعد أخرى ـ النهاية لابن الاثير .
(٢) أى الشجاع والجمل الكبير المسن المدرب ـ النهاية لابن الاثير .
(٣) للحرب مجدداً . النهاية لابن الاثير .
(٤) في م : « وهو » ، والشيء نفسه في الطبرى ؛ ٣ / ٣٨١ .
(٥) ماء بالشام . معجم البلدان .
(٦) موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام . معجم البلدان .
(٧) ماء بالسماوة دون الجناب ويعد الحني من جهة العراق . معجم البلدان .
(٨) موضع بين العراق والشام بالسماوة .

إلا غنماً مصرعة ، وقد كان حرقوص بن النعمان محضهم النصح وأجاد الرأي فلم ينتفعوا بتحذيره ، وقال حرقوص بن النعمان قبل الغارة .

ألا فاسقياني قبل خيل أبي بكر ... لعل منايانا قريب ولا نـدري
ألا فاسقياني بالزجـــاج وكررا ... علينا كميت اللون صافيـة تجري
أظن خيـــول المسلمين وخالداً ... ستطرقكم عند الصباح إلى البشر
فهل لكم في السير قبل قتالهم ... وقبل خروج المعصرات من الخدر
أريني سلاحـــي يا أميمة إنني ... أخاف بيات القوم مطلع الفجر

وكان حرقوص معرساً بامرأة من بني هلال تدعى أم تغلب فقتلت [1] تلك الليلة ، وعبادة بن البشر وامرؤ القيس بن بشر ، وقيس بن بشر ، وهؤلاء بنو الثورية من بني هلال ، وقالت فاطمة بنت حرقوص :

يوم بريدة المـاء الجار
قتلتم قومنا بـــلا ثار
فما بال الصبية الصغار
منوا عليهم إنهم أحـرار

وكان تزوجها بعد شراحيل بن الأصهب فولدت له ملكان وجليلة وأصاب جرير بن عبد الله يوم المصيخ من النمر عبد العزى [2] بن أبي رهم بن قراش أخا أوس مناة من النمر ، وكان معه ومع لبيد بن جرير النمري كتاب من أبي بكر رضي الله عنه بإسلامها وبلغ أبا بكر رحمه الله قول عبد العزى ـ وقد سماه [3] عبد الله ـ ليلة الغارة ، وقال : « سبحانك اللهم رب محمـد » ، فوداه وودى

---

(١) في الاصل « فقال » وفي م « فقتل » وقد صلحت بخط مخالف « فقتلت » وهـــذا ما ورد في الطبرى : ٣ / ٣٨١ .

(٢) بالاصل « عبد العزيز » وجاء بالحاشية « لعله النمر بن عبد العزى » وهو الصواب وتم التقويم اعتماداً عل م والطبرى : ٣ / ٣٨١ .

(٣) في الأصل : « وقد سمى الله ليلة » والتقويم من م ومن الطبرى : ٣ / ٣٨١ .

لبيداً ، وكانا أصيبا في المعركة ، وقال : أما إن ذلك ليس علي إذ نازلا اهل الحرب ، وأوصى بأولادهما ، وكان عمر رحمه الله يعتد على خالد بقتلهما إلى قتل مالك فيقول أبو بكر رحمه الله : كذلك يلقى من ساكن اهل الحرب في ديارهم .

وقال عبد العزى .

أقول إذا طرق الصباح بغارة ... سبحانك اللهم رب محمد
سبحان ربي لا إله غيره ... رب العباد[1] ورب من يتودد

وعن عدي بن حاتم قال : أغرنا على اهل المصيخ واذا رجل يدعى باسمه حرقوص بن النعمان من النمر ، إذا حوله بنوه وامرأته وبينهم جفنة من خمر وهم حولها عكوف يقولون : ومن يشرب هذه الساعة ، وفي أعجاز الليل ؟ فقال : اشربوا شرب وداع فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها هذا خالد بالعين، وجنوده بحصيد وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا :

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر
وقبل منايانا المصيبة بالقدر
لحين لعمري لا يزيد ولا يدري[2]

فسبق إليه وهو في ذلك بعض الخيل ، فضرب رأسه فإذا هو في جفنته ، وأخذنا بناته وقتلنا بنيه[3] .

---

(١) في حاشية الاصل : « البلاد » وهذا ما جاء بالطبرى : ٣ / ٣٨٢.

(٢) في م « ولا يجرى » وفي الطبرى : ٣ / ٣٨٢ « ولا يجرى » .

(٣) سبق الحديث عن هذا في الجزء الاول في خبر عبور خالد إلى الشام، وفيه دليل على تداخل الروايات واختلاطها .

وقال التغلبي :

يـا ليلة مـا ليلة المصيخ
وليلة الجيش فيهـا المريخ
ارفض عنه عكنان[١] الشيخ

وقد نزل ربيعة بن بجير التغلبي الثني والبشر غضباً لعقة وواعـد روزبة ورزمهر الهذيل ، فلما أصاب اهل المصيخ بما اصابهم به تقدم الى القعقاع وإلى أبي ليلى بأن يرتحلا أمامه وواعدهما ليلة ليفترقوا فيها للغارة عليهم في ثلاثة أوجه كما فعل بأهل المصيخ ، ثم خرج خالد من المصيخ فنزل حوران ثم الرتق ثم الحمأة وهي اليوم لبني جناب بن زهير من كلب ، ثم الزميل وهو البشر والثني معه ، وهما اليوم شرقي الرصافة [٢] ، فبدأ بالثني واجتمع هو وأصحابه به فبيته من ثلاثة أوجه بياتاً ومن اجتمع له وإليه ، ومن تأشب لذلك من الشبان فجردوا فيهم السيوف فلم يفلت من ذلك الجيش مخبر ، واستبقى الشرخ وبعث بخمس الله عز وجل إلى أبي بكر رحمه الله مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيباني ، وقسم النهب والسبايا فاشترى علي بن أبي طالب رحمه الله بنت ربيعة بن بجير التغلبي ، فاتخذها فولدت له عمر ورقية وقال في ذلك أبو مفزر :

طرقنا بالثني بني بجـير ... بياتـاً قبل تصدية الديوك
فلم نترك بها إرمـاً وعجنا ... مع النصر المـؤزر بالسهوك
الى من بالزميـل وجانبيه ... وطاروا حيث طاروا بالرموك[٣]
وأجلوا من نسائهم فكنا ... بها أولى من الحي الزكوك[٤]

---

(١) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً . القاموس .
(٢) رصافة هشام جرت فيها حفريات باشراف مديرية الآثار بدمشق .
(٣) الرمكة : الفرس والبرذونة تتخذ للنسل – القاموس .
(٤) أى الضعيف – القاموس .

وقال أيضاً :

لعمر بني بجير حيث صاروا ومن أذاهم يوم الثني
لقد لاقت سراتهم فضاحا وفتنا بالنساء على المطي
ألا يا للرجال فإن جهلا بكم أن تفعلوا فعل الصبي

حديث الزميل وهو البشر

وكان الهذيل حيث نجا أوى الى الزميل الى عتاب بن فلان ، وهو بالبشر في عسكر ضخم فبيتهم بمثلها غارة شعواء من ثلاثة أوجه سبقت إليهم الخبر عن ربيعة ، فقتل فيهم مقتلة لم يقتلوا قبلها مثلها ، وأصابوا منهم ما شاؤوا وكانت على خالد يمين ليبغتن تغلب في دارها ، وقسم خالد فيئهم في الناس ، وبعث الأخماس الى أبي بكر مع الصباح بن فلان المزني وكانت في الأخماس بنت مؤذن النمري ، وليلى بنت خالد ، وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة [1] . وقال ابو مفزر :

سائل بالهذيل وما يلاقي على الحدثان من بعث الحروب
وعتاباً فلا تنس وعمراً وأرباب الزميل بني الرقوب
ألم نفتقهم بالبشر طعناً وضرباً مثل تشقيق الضروب
نساقيهم بها حتى يملوا ذنوبا بعد تفريغ الذنوب
وليلى قد سبيناها جهارا وأروى بنت مؤذن في ضروب
وريحان الهذيل قد اصطفينا وقلنا دونكم عنق الذنوب [2]

(١) في م « ميسرة » ووافق ما ورد بالمتن رواية الطبرى : ٣ / ٣٨٢ .
(٢) الذنوب : الفرس الوافر الذنب . القاموس .

حديث الرصاف وهو موضع الرصافة

ثم عطف خالد بن الوليد من البشر الى الرصاف [١] وبها هلال بن عقة وقد ارفض عنه اصحابه حين سمعوا بدنو خالد وانقشع عنها هلال فلم يلق بها كيدا .

حديث الفراض

ثم قصد خالد بعد الرصاف وبغتته تغلب الى الفراض ، والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة ، فأفطر فيها في رمضان في تلك السفرة التي اتصلت له فيها هذه الغزوات والأيام ، ونظمن نظماً أكثر فيه الرجاز الى ما كان قبل ذلك منه [٢] .

قالوا : ولما اجتمع المسلمون بالفراض حميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح اهل فارس وقد حموا واغتاظوا واستمدوا تغلباً وإياد والنمر فأمدوهم بأجمعهم واجتمعوا كلهم على كلمة واحدة ثم ناهدوا خالداً حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا : اما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم ، قال خالد : بل اعبروا إلينا ، قالوا : فتنحوا حتى نعبر ، قال خالد : لا نفعل ولكن اعبروا أسفل منا فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض احتسبوا ملككم ، هذا رجل يقاتل على

---

(١) في م ، والطبرى : ٣ / ٣٨٣ « الرضاب » .

(٢) في م « منهم » .

دين وله عقل وعلم والله لينصرن ولتخذلن ثم لم ينتفعوا بذلك ، فعبروا أسفل من خالد ، فلما تتاموا قالت الروم : امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن او قبيح من أينا يجيء ففعلوا فاقتتلوا قتالاً شديدا طويلاً ، ثم إن الله تعالى هزمهم وقال خالد للمسلمين: ألحوا عليهم ولا ترفهوا[1] عنهم ،فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزمرة برماح اصحابه فاذا جمعوهم قتلوهم ،فقتل يوم الفراض في المعركة وفي الطلب مائة ألف ، وأقام خالد على الفراض بعد الوقعة عشراً ، ثم اذن في القفل إلى الحيرة وأمر عاصم بن عمير أن يسير بهم ، وأمر شجرة بن الأغر أن يسوقهم ، وأظهر خالد أنه في الساقة ، وقال القعقاع في ذلك :

ألم تسمع بمعركة اليهود ... غداة الروم حافلة الجنود
غداة الروم صرعى في ثياب ... تشبهها القبائل من ثمود
تجاذب[2] هامها فرس وروم ... وأوباش من الأمم الرقود
نصارى ليس ينهاها رشيد ... وأخرى من ضواكمة اليهود
وباقي تغلب وبني إياد ... وحي النمر رهط أبي كنود

وخرج خالد من الفراض حاجاً لخمس بقين من ذي القعدة مكتتماً لحجه ومعه عدة من اصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت ، ثم انصرف الى الحيرة فوافاه بها كتاب أبي بكر رحمه الله يأمره بالشام ، وقد تقدم في أوائل هذا الكتاب ذكر ذلك وصفة مسيره الى الشام وتركه للمثنى بن حارثة بعده بأمر أبي بكر رحمة الله إياه بالخروج الى الشام في شطر الناس ، وأن يخلف الشطر الثاني مع المثنى ففعلا ذلك من أخذ كل واحد منهما شطره من الناس حسب ما تقدم ذكره[3] .

---

(١) في م : ولا ترهفوا .
(٢) في م : تجاوب .
(٣) زاد في م د في الكراسة الثانية من هذه النسخة » .

ذكر حديث المثنى بعد خالد

ولما انفصل خالد رحمه الله شيعه المثنى إلى قراقر[١] ورجع المثنى من تشييعه إلى الحيرة وأقام بها في سلطانه، ووضع في المسلحة التي كان فيها على السيب أخاه، ومكان ضرار بن الخطاب عتيبة بن النهاس، ومكان ضرار بن الأزور مسعوداً أخاه الآخر وسد أماكن كل من خرج من الأمراء برجال أمثالهم من أهل الغناء ووضع مذعور بن عدي في بعض تلك الأماكن، واستقام أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد الحيرة بعد خروج خالد بقليل، وذلك سنة ثلاث عشرة على شهر براز بن أزدشير بن شهريار ممن يناسب إلى كسرى إلى سابور، فوجه إلى المثنى جنداً عظيماً عليهم هرمز جاذويه في عشرة آلاف ومعه فيل، وكتبت المسالح إلى المثنى بإقباله فخرج المثنى من الحيرة نحوه وضم إليه المسالح وجعل على مجنبتيه المعنى ومسعوداً ابني حارثة، وأقام له ببابل، وأقبل هرمز جاذويه على مجنبتيه الكوكبذ والخوكبذ، وكتب إلى المثنى :

من شهربراز إلى المثنى، إني قد بعثت إليك جنداً من وخش[٢] أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم.

فأجابه المثنى: من المثنى إلى شهربراز إنما أنت أحد رجلين: إما باغ فذلك شر لك، وخير لنا، وإما كاذب، فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير. فجزع أهل فارس من كتابه، وقالوا :

---

(١) قراقر في منطقة ذى قار، وقراقر أيضاً واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق. معجم البلدان.

(٢) الردىء من كل شيء ورذال الناس وسقاطهم. القاموس.

إنما أتي شهربراز من مولده ولؤم منشئه ، وكان يسكن ميسان وبعض البلدان شين على من يسكنه ، وقالوا له : جرأت عدونا بالذي كتبت إليهم بـــه فإذا كاتبت أحداً فاستشر .

فالتقوا ببابل فاقتلوا بعدوة الصراة الدنيا على الطريق الأول قتالا شديداً،ثم إن المثنى وفرساناً من المسلمين اعتمدوا الفيل وقد كان يفرق بـــين الصفوف والكراديس ، فأصابوا مقتله فقتلوه ، وهزموا أهل فارس ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى جازوا بهم مسالحهم ، فأقاموا فيهـــا ، وتتبع الطلب الفالة حتى انتهوا إلى المدائن وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيب السعدي ، وقـد كان عبدة قد هاجر لمهاجرة حليلة له ، حتى شهد وقعة بابل ، فلما أيأسته رجـــع إلى البادية وقال :

هل حبل خولة قبل البين موصول ... أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
وللأحبـة أيام تـذكرهـــا ... وللنوى قبل يوم البين تأويـل
حلت خويلـة في حي عهدتهم ... دون المدائن فيها الديك والفيل
يقارعون رؤوس العجم ظاهرة ... منهم فوارس لا عزل ولا ميل
من دونها لعتاق العيس ان طلبت ... خبت بعيد نيـــاط الماء مجهول
وخالط القلب من حاجات ذكرتها ... رس لطيف ورهن منك مكفول
إن التي وضعت بيتاً مهـاجرة ... بكوفة الدور قد غالت بها غول
تعز عنها ولا تشغلك عـــن عمل ... إن الصبابة بعد الصرم تضليل
بحسرة تملأ الانساع نائية [1] ... لها مـــع الوضع إرقال وتنقيل
مختالة تنتحي في الأرض منسمها ... كما انتحى في أديم الصرف ازميل

ومات شهربراز فهزم هرمز جاذويه ، واختلف أهل فارس وبقي ما دون

(١) في م « ناجية » .

دجلة وبرس [١] من السواد في يدي المثنى والمسلمين، ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهربراز على ذخت ذنان ابنة كسرى ، فلم ينفذ لهـا أمر ، وخلعت وملك سابور بن شهربراز ، وقام بأمره الفرخزاد بن البندوان فقتلا جميعاً ، وملكت أذرميذخت وتشاغلوا بذلك ، وأبطأ خبر أبي بكر رحمـــه الله على المسلمين ، فخلف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية، ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مرة العجلي، وخرج المثنى نحو أبي بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين،ولكي يستأذنه بمن قد ظهرت توبته من أهل الردة ممن يستطعمه الغزو وليخبره أنـه لم يخلف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم ، فقـــدم المدينة وأبو بكر رضي الله عنه مريض ، وذلك بعـــد مخرج خالد إلى الشام ، وتوفي أبو بكر رحمه الله وأحد شقي السواد في سلطانه ، والجمهور من جند أهل العراق بالحيرة والمسالح بالسيب، والغارات تنتهي بهم إلى شاطىء دجلة ،ودجلة حجاز بين العرب والعجم ، فهذا حديث العراق في خلافـة أبي بكر رضي الله عنه من مبتدئه الى منتهاه .

(١) موضع بأرض بابل . معجم البلدان .

ذكر المثنى بن حارثة في أول خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذكر أبي عبيد بن مسعود [١]

ذكر سيف عن شيوخه قالوا : أول ما عمل به عمر رحمه الله أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني الى أهل فارس قبل صلاة الصبح في الليلة التي مات فيها أبو بكر رحمه الله ، ثم أصبح فبايع الناس ، وعاد فندب الناس الى فارس وتتابع الناس على البيعة ففرغوا في ثلاث كل يوم يندبهم ، فلا ينتدب أحد الى فارس ، وكان وجه فارس أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم .

قالوا : فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس الى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود ، وسعد بن عبيد الأنصاري حليف من بني فزارة هرب يوم الجسر ، فكانت الوجوه تعرض عليه بعد ذلك فيأبى الا العراق ويقول : ان الله اعتد علي فيها بفرة فلعله أن يرد علي بكرّة ، وتتابع الناس .

وعن القاسم بن محمد قال : وتكلم المثنى بن حارثة فقال : يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فإنا قد تبحبحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها ان شاء الله ما بعدها .

وقام عمر رحمه الله في الناس وقال: ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ولا يقوى عليه أهله الا بذلك، أين الطراء المهاجرون عن موعد الله عز وجل ،

---

(١) زاد في م « بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم».

سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فإنه قال : ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ (١) والله مظهر دينه ، ومعز ناصره ، ومـــولي أهله مواريث الأمم ، أين عباد الله الصالحون ؟ فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود ، ثم ثنى سعد بن عبيد أو سليط بن قيس ، فلما اجتمع ذلك البعث قيل لعمر رحمه الله : أمر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين أو الأنصار ، فقال : لا والله لا أفعل ان الله تعالى انما رفعكم بسيفكم وسرعتكم الى العدو ، فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء فأولو الرئاسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب الى الدعاء ، لا والله لا أؤمر عليهم الا أولهم انتداباً ، ثم دعا أبا عبيد وسليطاً وسعداً فقال: أما انكما لو سبقتماه لوليتكما ولأدركتكما بها الى ما لكما من القدمة ، فأمر أبا عبيد على الجيش ، وقال لأبي عبيد اسمع من أصحاب النبي ﷺ ، وأشركهم في الأمر ولا تجبين مسرعاً حتى تتبين فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف ، وقال عمر رحمه الله لأبي عبيد : انه لم يمنعني أن أؤمر سليطاً إلا سرعته الى الحرب ، وفي التسرع الى الحرب الا عن بيـــان ضياع ، والله لولا ذلك لأمرته ، ولكن الحرب لا يصلحها الا المكيث .

وعن الشعبي قال: قدم المثنى بن حارثة على أبي بكر رحمه الله وبعث معه عمر بعثاً قد كان ندبهم ثلاثاً فلم ينتدب له أحد ، حتى انتدب له أبو عبيد ثم سعد بن عبيد ، فقال أبو عبيد حين انتدب : أنا لها ، وقال سعد بن عبيد أنا لها لفعلة فعلها ، وقال سليط : فقيل لعمر أمر عليهم رجلاً له صحبـة ، فقال عمر رحمه الله انما فضل الصحابة بسرعتهم الى العدو وكفايتهم من أبى ، فإذا فعل فعلهم قوم واثاقلوا كان الذين ينفرون خفافاً وثقالا أولى بها منهم ، والله لا أبعث عليهم الا أولهم انتداباً ، فأمر أبا عبيد وأوصاه بجنده .

وعن سالم قال: كان أول بعث بعثه عمر رحمه الله ، بعث أبي عبيد ثم بعث

---

(١) سورة التوبة ـ الآية : ٣٣ .

يعلى بن أمية الى اليمن ، وأمره بإجلاء أهل نجران لوصية رسول الله ﷺ في مرضه بذلك ، ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه ، وقال ائتهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجلهم من أقر منهم على دينه ، وأقرر المسلم وامسح أرض كل من تجلى منهم ، ثم خيرهم البلدان وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله ، أن لا يترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرجوا من أقام منهم على دينه ، ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم إقراراً لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بذمتهم فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف .

وعن جماعة وفيهم الشعبي ومجالد قالوا : فخرج أبو عبيد ومعه سعد بن عبيد وسليط بن قيس أخو عدي بن النجار والمثنى بن حارثة أخو بني شيبان ثم أحد بني هند .

قالوا وكانت بوران بنت كسرى كلما اختلف الناس بالمدائن عدلاً بين الناس حتى يصطلحوا ، فلما قتل الفرخزاد بن البندوان ، وقدم رستم فقتل آزرميذخت كانت بوران عدلاً إلى أن استخرجوا يزدجرد ، فقدم أبو عبيد رحمه الله والعدل بوران وصاحب الحرب رستم ، وقد كانت بوران أهدت للنبي ﷺ ، فقبل وكانت ضداً على شيرين سنة ، ثم إنها بايعته واجتمعا على أن رأس وجعلها عدلاً .

وعن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا : لما قتل سياروخش فرخزاد بن البندوان ، وملكت آزرميذخت اختلف أهل فارس وتشاغلوا عن المسلمين غيبة المثنى كلها إلى أن رجع من المدينة ، فبعثت بوران إلى رستم بالخبر واستحثته بالسير وكان على فرج خراسان فأقبل في الناس حتى نزل المدائن ، لا يلقى جيشاً لآزرميذخت إلا هزمه ، فاقتتلوا بالمدائن فهزم سياروخش وحاصر آزرميذخت ، ثم افتتحها ، فقتل سياروخش وفقأ عين آزرميذخت ، ونصب بوران ودعته إلى القيام بأمر أهل فارس وشكت إليه تضعضعهم وإدبار أمرهم على أن تملكه عشر حجج ، ثم يكون الملك في آل كسرى إن وجدوا من غلمانهم

أحداً ، وإلا ففي نسائهم ، فقال رستم : أما أنا فسامع مطيع غير طالب عوضاً ولا ثواباً وإن شرفتموني وصنعتم إلي شيئاً فأنتم أوليـاء ما صنعتم إنما أنا سهمكم وطوع أيديكم فقالت بوران : أغد علي ، فغدا عليها ، ودعت مرازبـة فارس فكتبت له بأنك على حرب فارس ليس عليك إلا الله ، عن رضى منا وتسليم لحكمه وحكمك جائز فيهم ، ما كان حكمك في منع أرضهم وجمعهـم عن فرقتهم ، وتوجته وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له ويطيعوا ، فدانت له فارس بعد قدوم أبي عبيد .

وكان أول شيء أحدثه عمر رضي الله عنه بعد موت أبي بكر رضي الله عنه من الليل ، أن نادى الصلاة جامعة ، ثم ندبهم فتفرقوا على غير إجابة من أحد، ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث والرابع ، فأجاب أبو عبيد في اليوم الرابع أول الناس ، وتتابع الناس وانتخب عمر من أهل المدينة ومن حولها ألف رجل أمر عليهم أبا عبيد ، فقيل له استعمل عليهم من أصحـاب رسول الله ﷺ فقال : لا ها الله ذا يا أصحاب النبي لا ، أندبكم فتبطئون ، وينتدب غـيركم فأؤمركم عليهم ، فإنكم إنما فضلتم بسرعتكم إلى مثلها فإن نكلتم فضلوكم ، بل أؤمـر عليكم أو لكم انتداباً ، وعجل المثنى ، وقال : النجاء حتى يقدم عليـك أصحابك ، وكان أول شيء أحدثه عمر في خلافته مع بيعته بعث أبي عبيد ، ثم بعث أهل نجران ، ثم ندب أهل الردة ، فأقبلوا سراعاً من كل أوب ، فرمى بهم الشام والعراق ، وكتب الى أهل اليرموك بأن عليكم أبا عبيدة بن الجـراح ، وكتب إليه إنك على الناس فإن أظفرك الله فاصرف أهل العراق إلى العراق ، ومن أحب من أمدادكم إذا هم قدموا عليكم ، فكان أول فتـح أتاه اليرموك على عشرين ليلة من متوفى أبي بكر ، وكان في الأمداد إلى اليرموك في زمن عمـر قيس بن هبيرة ، ورجع مع أهل العراق ، ولم يكن منهـم وإنما غزا حين أذن عمر لأهل الردة في الغزو ، وقد كانت فارس تشاغلت بموت شهربراز عن المسلمين

فملكت شاه زبان حتى اصطلحوا على سابور شهريار ، فثارت به آزرميذخت فقتلته والفرخزاذ وملكت هي ، وأقبل رستم وقدم المثنى الحيرة من المدينة في عشر ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر ، ثم أقام المثنى بالحيرة خمس عشرة ليلة ، وكتب رستم إلى دهاقنة السواد أن يثوروا بالمسلمين ودس إلى كل رستاق رجلا ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى البهقباذ الأسفل ، وبعث نرسي إلى كسكر ، ووعدهم يوماً ، وبعث جنداً لمصادمة المثنى ، وبلغ المثنى ذلك فضم اليه مسالحه وحذر وعجل جابان فثار ونزل النارق ، وتوالوا على الخروج ، فخرج نرسي فنزل رندورد[1] ، وثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله ، وخرج المثنى بن حارثة في جماعة حتى ينزل خفان[2] لئلا يؤتى من خلفه بشيء يكرهه ، فأقام حتى قدم عليه أبو عبيد وكان أبو عبيد على الناس ، فأقام بخفان أياماً ليستجم أصحابه ، وقد اجتمع إلى جابان بشر كثير ، وخرج أبو عبيد بعد ما جم الناس وظهرهم ، وتعبى فجعل المثنى على الخيل وعلى ميمنته والق بن جيدارة وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي ، وعلى مجنبتي جابان جستساه ومردانشاه فنزلوا على جابان بالنارق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله أهل فارس وأسر جابان أسره مطر بن فضة التيمي ، وأسر مردانشاه أسره أكتل بن شماخ العكلي ، فأما أكتل فإنه ضرب عنق مردانشاه ، وأما مطر بن فضة فإن جابان خدعه حتى تفلت[3] منه بشيء فخلا عنه ، فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه الملك ، وأشاروا عليه بقتله ، فقال : إني أخاف الله إن قتلته وقد أمنه رجل من المسلمين ، المسلمون في الذمة والتواد والتناصر

(١) موضع قرب بغداد . معجم البلدان .
(٢) موضع قرب الكوفة . معجم البلدان .
(٣) في م « يؤلب » .

كالجسد ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم ، فقالوا إنه الملك ؛ قال : وإن كان لا أغدر به .

وعن أبي عمران الجعفي قال : ولت فارس حربها رستم عشر سنين وملكوه وكان منجماً عالماً بالنجوم ، فقال له قائل ما دعاك إلى هذا الأمر وأنت ترى ما أرى ، قال : الطمع وحب الشرف ، وكاتب أهل السواد ودس إليهم الرؤساء فثاروا بالمسلمين ، وقد كان عهد إلى القوم أن الأمير عليكم أول من قام ، فثار جابان في فرات بادقلي ، وثار الناس بعده وأرز المسلمون إلى المثنى بالحيرة فمد لخفان ، فنزل بخفان حتى قدم عليه أبو عبيد وهو الأمير على المثنى وغيره ، ونزل جابان النارق ، وسار إليه أبو عبيد من خفان فالتقوا بالنارق فهزم الله تعالى أهل فارس وأصابوا منهم ما شاؤوا ، وبصر مطر بن فضة وأبيّ - يعني أباه - وكان مطر ينسب إلى أمه ، برجل عليه حلي فشدا عليه فأخذاه أسيراً ، فوجداه شيخاً كبيراً فزهد فيه أبيّ ، ورغب مطر في فدائه ، فاصطلحا على أن سلبه لأبي ، وأن اساره لمطر ، فلما خلص به مطر قال : إنكم معشر العرب أهل وفاء فهل لك أن تؤمنني وأعطيك غلامين أمردين خفيفين في عملك وكذا وكذا ؟ قال : نعم ، قال : فأدخلني على ملككم حتى يكون ذلك بمشهد منه ، فأدخله على أبي عبيد فتم على ذلك ، وأجاز ذلك أبو عبيد ، فقام أبي وأناس من ربيعة فأتى أبي فقال : أسرته أنا وهو على غير أمان ، وأما الآخرون فعرفوه ، وقالوا : هذا الملك جابان ، وهو الذي لقينا بهذا الجمع ، فقال : ما تروني فاعلاً معاشر ربيعة أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا ، معاذ الله من ذلك ، وقسم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عطر كثير ، ونفل ، وبعث بالأخماس مع القاسم .

---

(١) في م « لا أغدر فاتركه » .

(٢) في م « فأما » .

وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كسكر ليلجؤوا إلى نرسي، وهو ابن خالة كسرى ، وكانت كسكر قطيعة له ، وكان النرسيان له يحميه لا يأكله بشر ، ولا يغرسه غيرهم أو ملك فارس الا من أكرموه منه بشيء ، فكان ذلك مذكوراً من فعلهم في الناس .

وأن ثمرهم هذا حمى ، فقال له رستم وبوران اشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوك وعدونا وكونن رجلاً، فلما انهزم الناس يوم النمارق ووجهت الفالة نحو نرسي ، ونرسي في عسكره ونادى أبو عبيد بالرحيل وقال للمجردة: اتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي أو تبيدوهم، فيما بين النمارق إلى بارق إلى درنا[1]، وقال في ذلك عاصم بن عمرو :

لعمري وما عمري علي بهين ... لقد صبحت بالخزي أهل النمارق
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم ... يجوسونهم ما بين درنا وبارق
قتلناهم ما بين مرج مسلح ... وبين الهوافي من طريق البوارق

حديث السقاطية بكسكر

ومضى أبو عبيد حين ارتحل من النمارق حتى ينزل على نرسي بكسكر ، ونرسي يومئذ بأسفل كسكر ، والمثنى في تعبئته التي قاتل فيها جابان، ونرسي على مجنبتيه ابنا خاله ، وهما ابنا خال كسرى بيدويه وبيرويه [2] ابنا بسطام ، وأهل باروسما ونهر جوبر والزوابي معه الى جنده ، وقد أتى الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان ، فبعثوا إليه الجالينوس ، وبلغ ذلك نرسي وأهل كسكر

(١) موضع قرب بغداد ، وغالباً ما كتب « درنا » . معجم البلدان .
(٢) في م : « بندويه وبيرويه » .

وباروسما ونهر جوبر والزاب ، فرجوا أن يلحق قبل الوقعة وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية ، فاقتتلوا أسفل في صحار ملس قتالاً شديداً ، ثم إن الله عز وجل هزم فارس وهرب نرسي وغلب على عسكره وأرضه فاقتسم ، وأخرب أبو عبيد ما كان حوى معسكرهم من كسكر ، وجمع الغنائم ، فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً ، فبعث فيمن يليه من العرب فانتقلوا ما شاؤوا لا يؤثرون فيه ، وأخذت خزائن نرسي فلم يكونوا بشيء مما خزن أفرح منهم بالنرسيان لأنه كان يحميه ، ويمالئه عليه ملوكهم ، فاقتسموه فجعلوا يطعمونه الفلاحين ، وبعثوا بخمسه إلى عمر رحمه الله ، وكتبوا إليه : إن الله عز وجل أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها الناس واحببنا أن نروها ولتذكروا أنعام الله وأفضاله ، وقال في ذلك عاصم بن عمرو :

ضربنا حماة النرسيان بكسكر ... غداة لقيناهم ببيض بواتر
وفزنا على الأيام والحرب لاقح ... بجرد حسان وبرود[1] غرائر
وظلت قلال النرسيان وتمره ... مباحا لمن بين الربا والأضافر
أبحنا حمى قوم وكان حماهم ... حراما على من رامه بالعساكر

وقال أيضاً :

والله أورثنا من فضل نعمته ... أرض السواد وأسواق السماسير[2]

وأقام ابو عبيد ، وسرح المثنى إلى باروسما وبعث والقا الى الروابي، وعاصما الى نهر جوبر ، فهزموا من كان تجمع وأخربوا وسبوا وكان مما اخرب المثنى وسبى اهل رندورد وبسيرسا فكان ابو زعبل من سبي رندورد ، وهرب ذلك الجند الى الجالينوس وكان ممن أسر عاصم اهل بيتيق من اهل نهر جوبر ، وممن

(١) من راد وارتاد فهو رائد .
(٢) في م « السفاسير » .

أسر والق ابو الصلت وخرج فروخ وفروندداذ الى المثنى يطلبان الجزي والذمة دفعاً عن ارضهم فأبلغهما أبا عبيد أحدهما باروسماوالآخر نهر جوبري، فأعطياه عن كل رأس أربعة ، فروخ عن باروسما وفروندداذ عن نهر جوبري ، ومثل ذلك الزوابي وكسكر وضمنا لهم الرجال على التعجيل ففعلوا وصاروا صلحاً ، وجاء فروخ وفروندداذ الى أبي عبيد بآنية فيها أنواع اطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها فقالوا هذه كرامة أكرمناك بها وقرى لك ، فقال : أكرمتم الجند وقريتموهم بمثله ؟ قالوا : لم يتيسر ونحن فاعلون ، وانما يتربصون بهم قدوم الجالينوس وما يصنع ، فقال ابو عبيد : فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند ، ورده .

وخرج ابو عبيد حتى ينزل بباروسما ، فبلغه مسير الجالينوس .

وعن النضر بن السري الضبي قال : فأتاه الأندرزغر بن الخوكيه بمثل ماجاء به فروخ وفروندداذ ، فقال لهم : أكرمتم الجند بمثله وقريتموهم ؟ فقالوا : لا ، قال : فردوه فلا حاجة لنا فيه فبئس المرء ابو عبيد إن صحب قوماً من بلادهم اهرقوا دمائهم دونه او لم يهرقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه ، لا والله لا يأكل مما أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم .

حديث باقسياثا [1]

وعن محمد وطلحة وزياد بأسنادهم قالوا: وقد كان جابان ونرسي استمدا [2] بوران ورستم فأمدتهما بالجالينوس في جند جابان وأمر أن يبدأ بنرسي، ثم يقاتل

(١) ناحية بأرض السواد من عمل بارسما . معجم البلدان .

(٢) في م « استمدوا » .

أبا عبيد بعد ، فبادره ابو عبيد فنهض في جنده قبل أن يدنو [١] ، فلما دنا استقبله ابو عبيد فنزل الجالينوس باقسياثا من باروسما ونهد اليه ابو عبيد في المسلمين وهو على تعبئته فالتقوا على باقسياثا فهزمهم المسلمون ، وهرب الجالينوس ، وأقام ابو عبيد قد غلب على ذلك البلد .

وعنهم باسنادهم قالوا : أتاه أولئك الدهاقين المتربصون جميعاً بما وسع الجند وهابوا وخافوا على أنفسهم ، فقال ابو عبيد في رواية بعضهم : ألم أعلمكم أني لست آكلا إلا مما يسع من معي ، فمن أصبتم به ؟ قالوا : لم يبق منهم أحد إلا وقد أتي بشبعه من هذا في رحالهم او أفضل ، فلما راح الناس عليهم سألهم عن قرى اهل الأرض فأخبروه ، وإنما كانوا قصروا أولاً تربصا مخافة عقوبة اهل فارس .

وأما بعضهم فقالوا : فلما علم قبل منهم وأكل ، وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافا عليه يدعوهم إلى الطعام وقد أصابوا من نزل فارس ولم يروا أنهم أتوا أبا عبيد بشيء وظنوا أنهم يدعون إلى مثل ما كانوا يدعون إليه من غليظ عيش أبي عبيد وكرهوا ترك ما أتوا به من ذلك ، فقالوا : قل للأمير إنا لا نشتهي شيئاً مع شيء أتتنا به الدهاقين فأرسل إليهم إنه طعام كثير من أطعمة من الأعاجم لتنظروا [٢] أين هو مما أتيتم بـه ، إنه قرو ونجم وحزول وشواء وخردل ، فقال في ذلك عاصم بن عمرو .

إن تك ذا قرو ونجم وحزول ... فعند ابن فروخ شواء خردل

وقرو زمان كالصحائف طويت ... على مزع فيها بقول وحزول

وقال أيضاً :

صبحنا بالنفائس جمع كسرى ... صبوحا ليس من حمر السواد

---

(١) أن يدنو ، إضافة من م .

(٢) في م « لينظروا » .

صبحناهم بكل فتى كمي وأجرد سابح من خيل عاد

ثم ارتحل ابو عبيد وقدم المثنى ، وسار في تعبئته حتى قدم الحيرة .

وقالوا : تقدم عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيد إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية ، تقدم على أقوام قد جرؤوا على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكونن ، واخزن لسانك ولا يفشون لك سر فإن صاحب السر ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعه كان بمضيعة .

حديث وقعة القس قس الناطف

ويقال لها الجسر ويقال لها المروحة .

وعن سيف بسنده قالوا : ولما رجع الجالينوس ومن أفلت من جنـــوده إلى رستم ، قال رستم : أي العجم أشد على العرب فيما ترون ؟ قالوا : بهمن جاذويه فوجهه ومعه الفيلة ، ورد الجالينوس معه ، فأقبل بهمن جاذويـــه ومعه درفش كابيان ، راية كسرى ، وكانت من جلود النمر عرض ثماني أذرع في طـول اثني عشر ذراعاً ، وأقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة موضع البرج والعاقول ، فبعث اليه بهمن جاذويه ، إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور ، وإمـــا أن تدعونا نعبر إليكم ، فقال أبو عبيد : بل نعبر إليكم ، فقال الناس : لا تعبر يا أبا عبيد ننهاك عن العبور ، وقالوا له : قل لهم فليعبروا ، وكان من أشد الناس عليه في ذلـك سليط ، فلج أبو عبيد ، وترك الرأي وقال:لا، نكون أجرأ على الموت منك،بل نعبر إليهم ، فعبروا إليهم وهم في منزل ضيق المطرد والمذهب فاقتتلوا يوماً وأبو عبيد فيما بين الستة والعشرة .

حتى إذا كان من آخر النهار واستبطأ رجل من ثقيف الفتح ألف بين الناس فتصافحوا بالسيوف وضرب أبو عبيد الفيل ، وخبط الفيل أبا عبيد ، وقد أسرعت السيوف في أهل فارس وقتل منهم ستة آلاف في المعركة ، ولم يبق ولم ينتظر إلا الهزيمة ، فلما خبط أبو عبيد رحمه الله وقام عليه الفيل جال المسلمون جولة ، ثم تمّوا عليها وركبتهم أهل فارس فبادر رجل من ثقيف الجسر فقطعه فانتهى الناس إليه والسيوف تأخذهم من خلفهم ، فتهافتوا في الفرات فأصابوا يومئذ في المسلمين أربعة آلاف من بين غريق وقتيل ، وحمى المثنى الناس وعاصم والكلح الضبي ومذعور حتى عقد الجسر وعبروهم ، ثم عبروا في آثارهم فأقاموا بالمروحة والمثنى جريح والكلح ومذعور وعاصم ، فكانوا حماة الناس مع المثنى ، وهرب من الناس بشر كثير على وجوههم ، وافتضحوا في أنفسهم واستحيوا مما نزل بهم ، وبلغ عمر رحمه الله عن بعض من آوى إلى المدينة فقال: عباد الله اللهم إن كل مسلم في حل مني أنا فئة كل مسلم يرحم الله أبا عبيد لو كان عبر فاعتصم بالخيف أو تحيز إلينا ولم يستقتل لكنا له فئة ، وبينما أهل فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر إن الناس بالمدائن قد ثاروا برستم ونقضوا الذي بينهم وبينه ، فصاروا فرقتين الفهلوج على رستم وأهل فارس [1] على الفيرزان ، وكان بين وقعة اليرموك والجسر أربعون ليلة ، فكان الذي جاء بالخبر عن اليرموك جرير بن عبد الله الحميري ، والذي جاء بالخبر عن الجسر عبد الله بن زيد الأنصاري ، وليس بالذي رأى الرؤيا [2] ، وانتهى إلى عمر رحمه الله وعمر على المنبر ، فناداه عمر الخبر يا عبد الله بن زيد ، قال : أتاك الخبر اليقين ، ثم صعد المنبر فأسر إليه ذلك ، وكانت اليرموك في أيام من جمادى الآخرة والجسر في شعبان ، وقال عاصم بن عمرو في ذلك :

---

(١) « أهل فارس » إضافة من م .

(٢) انظر خبر الرؤيا في الطبري : ٣ / ٤٥٥ - ٤٥٧ .

أبلغ أبا حفص بأن جموعنـــا فللن وأنا باللســـان حـــلول
فأذك هداك الله وقد شهابنا بخيل عليها الدارعون مثول
وإنا وإن كنـا شهابا مسلطا بلينا بجبـــار ألف صؤول
صبرنا وكان الصبر أنجى مغبة بأسيافنا والدائرات تجـــول

وعن سعيد بن المرزبان والمجالد قالا : استعمـل رستم على حرب أبي عبيد بهمن جاذويه وهو ذو الحاجب ، ورد معه الجالينوس ومعه الفيلة ، وفيها فيـل عليه النخل ، وأقبل في الدهم وقد استقبله أبو عبيد حتى انتهى إلى بابـل فلما بلغه المحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه ، فعسكر بالمروحة ثم إن أبا عبيـــد ندم حين نزلوا به وقالوا : إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليـــكم ، فحلف ليقطعن الفرات اليهم وليمحضن ما صنع فناشده سليط بن قيس ووجوه من الناس ، وقالوا : إن العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا ، وإنهم كانوا قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلقنا به أحد منهم ، وقد نزلت منزلاً فيه مجال وملجأ ومرجع من فرة إلى كرة ، فقال : لا أفعل جبنت والله يا سليط ، وكان الرسول فيما بين ذي الحاجب وأبي عبيد مردانشاه الخصي ، فأخبرهم أن أهل فارس قد عبروهم ، فازداد أبو عبيد محكاً [1] ، ورد على أصحابه الرأي وجبن سليطاً ، فقال سليط : أنا والله أجرأ منك نفساً ، وقـــد أشرنا عليك بالرأي فستعلم .

وعن الأغر المجلي قال : أقبل ذو الحاجب حتى وقف على شاطىء الفرات بالمروحة ، فقال : إما أن تعبروا إلينا ، وإما أن نعبر إليكم ، فقال أبو عبيد ، بل نعبر إليكم فعقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعاً ، وقبـل ذلك ما رأت دومة امرأة أبي عبيد رؤيا وهي بالمروحة أن رجلاً نزل من السماء بإناء فيـــه شراب ، فشرب أبو عبيد وجبر في أناس من أهلـه ، فأخبرت بها أبا عبيد ،

(١) أي لجاجاً واصراراً . القاموس .

فقال : هذه الشهادة وعهد أبو عبيد الى الناس فقال : إن قتلت فعلى الناس جبر، فإن قتل فعليكم فلان حتى أمر الذين شربوا من الإناء على الولاء من كلامه ، ثم قال : إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنى، ثم نهد بالناس فعبر وعبروا اليهم وعضلت [١] الأرض بأهلها وألحم الناس الحرب ، فلما نظرت الخيول إلى الفيلة عليها النخل ، والخيول عليها التجافيف [٢] والفرسان عليهم الشعر رأت شيئاً منكراً لم تكن ترى مثله .

فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم وإذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرقت بين كراديسهم لا تقوم لها الخيل إلا على نفار وخرقهم الفرس بالنشاب ، وعض المسلمين الألم وجعلوا لا يصلون إليهم فترجل أبو عبيد وترجل الناس ومشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم فنادى أبو عبيد احتوشوا الفيلة فقطعوا وضنها [٣] وقلبوا عنها أهلها وواثب هو الفيل الأبيض فتعلق ببطانه فقطعه ، ووقع الذين عليه ، وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه .

وأهوى الفيل الى أبي عبيد فنفح مشفره بالسيف فاتقاه الفيل بيده وأبو عبيد [٤] يتجرثمه فأصابه بيده فوقع وخبطه الفيل وقام عليه فلما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم وأخذ اللواء الذي كان أمره من بعده ، فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد فاجتره الى المسلمين وأحرزوا شلوه ثم تجرثم الفيل فاتقاه الفيل بيده دأب أبي عبيد وخبطه الفيل ، وقام عليه وتتابع سبعة من ثقيف كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت ، ثم أخذ اللواء المثنى ، وهرب الناس .

---

(١) أى ضاقت . القاموس .

(٢) شيء من سلاح يترك على الفرس يقيه الاذى . النهاية لابن الاثير .

(٣) الوضين بطان عريض منسوج من سيور أو شعر . القاموس .

(٤) في م « أبو عبيدة » وهو تصحيف ، ويتجرثمه يحاول اسقاطه .

فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه ، ومـا يصنع الناس بادرهم الى الجسر فقطعه وقال : يا أيها الناس موتوا على ما مات عليـه أمراؤكم أو تظفروا، وحاز المشركون المسلمين الى الجسر وخشع ناس فتواثبوا الى الفرات فغرق من لم يصبر ، وأسرعوا فيمن صبر .

وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس، ونادى أيها الناس أنا دونكم فاعبروا على هيئتكم ، ولا تدهشوا فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تفرقوا أنفسكم فوجدوا الجسر وعبدالله بن مرثد قائم عليه يمنع الناس من العبور فأخذوه فأتوا به إلى المثنى وضربه ، وقال : ما حملك على الذي صنعت ؟ قال : ليقاتلوا ونادى من عبر ، فجاؤوا بعلوج وضموا السفينة التي قطعت إلى سفائنها ، وعـبر الناس ، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس وعبر المثنى وحمى جانبه واضطرب عسكره ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم ، فلما عبر المثنى ارفض عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركهـــا بعضهم ، ونزلوا البوادي وبقي المثنى في قلة .

وعن أبي عثمان النهدي قال : هلك يومئذ أربعة آلاف من بين قتيل وغريق، وهرب ألفان ، وبقي ثلاثة آلاف وأتى ذا الحاجب الخبر باختلاف فارس فرجع بجنده ، وكان ذلك سبباً لارفضاضهم عنه ، وقد جرح المثنى وأثبتت فيه حلق من درعه هتكهن الرمح.

وعن مجالد وعطية والنضر أن أهل المدينة لمـــا لحقوا بالمدينة وأخبروا عمن سار منهم إلى البادية استحياء من الهزيمة، اشتد ذلك على عمر رحمه الله ورحمهم، وقال : اللهم إن كل مسلم في حل مني أنا فئة كل مسلم،من لقي العدو ففظع بشيء من أمره فأنا له فئة يرحـــم الله أبا عبيد لو كان انحـاز إلي لكنت له فئة ، وبعث المثنى بالخبر إلى عمر مع عبد الله بن زيد ، فكان أول من قـــدم على عمر رضي الله عنه .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان الذي جاء بالخبر عن الجسر عبد الله ابن زيد الخطمي وعمر على المنبر ، فلما تفوه بـه المسجد داخلاً قال عمر : الخبر يا عبد الله بن زيد ، قال : أتاك الخبر يا أمير المؤمنين ، ثم صعد فأخبره فما رأينا أحداً قط كان أثبت خبراً منه ولا أخفى فزعاً وقتل مـع أبي عبيد اثنان وعشرون رجلاً ممن هاجر .

وعن محمد بن نويرة وطلحة وزياد وعطية قالوا : وخرج جـابان ومردانشاه حتى أخذا بالطريق وهم يرون أنهم سيرفضون ولا يشعرون بالذي جاء ذا الحاجب من فرقة أهل فارس ، فلما ارفض أهل فارس ، وخرج ذو الحاجب في آثارهم ، وبلغ المثنى قفلة جابان ومردانشاه استخلف على الناس عاصم بن عمرو وخرج في جريدة خيل يريدهما ، وظنا أنه هارب فاعترضاه فأخذهما أسيرين ، وخرج أهـل أليس على أصحابها فأتوه بهم أسرى فعقد لهم بها ذمة وقدمهما وقال أنتما غررتمـا أميرنا وكذبتماه واستفززتماه ، فضرب أعناقهما وضرب أعناق الأسرى ، ثم رجع إلى عسكره ، وهرب أبو محجن من أليس ولم يرجع مع المثنى .

وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر استأذنوا خـالداً من سوى فأذن لهم ، فقدموا على أبي بكر رحمه الله ، فقال له جرير حاجته فقال : أعلى حالنا هذه ؟! وأخره بها ، فلما ولي عمر دعاه بالبينة فأقامها ، فكتب إلى عماله السعاة في العرب كلهم ممن كان فيه أحـد ينسب إلى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه في الإسلام يعرف ذلك فأخرجوه إلى جرير وواعدهم جرير مكاناً بين العراق والمدينة .

وكان من تخليص إخراج بجيلة من القبائل أن جريراً سأل النبي ﷺ ذلك ، فشغل جرير أزمان النبي ﷺ وأبي بكر ، فلما ولي عمر قال جرير : إني كلمت رسول الله ﷺ وخليفـة النبي أبا بكر في قومي لأجمعهم ثم نكون كتيبة من كتائب المسلمين ، فأتاه من ذلك باليقين ، فكتب له في السعـاة : إلى من بلغه

كتابي من هوازن وجديلة وغطفان وأهل شنؤة وأهل الطائف وحدس ونجران.

أما بعد : فإن بجيلة ما أقاموا على بجيلة إلى أن جاء الإسلام ببجيلة حيث كانوا ، ومن لم يدركوه على بجيلة حتى جاء الإسلام قائماً على بجيلة فليس من بجيلة ، الناس أعلم بأنفسهم من كان على نسب عرف به فليس لأحد أن يتداعاه وليس له أن ينتقل ، وأيما حي كانوا على نسب حتى جاء الله بالإسلام فليس لهم أن يتوجلوا ولا يوجلوا أحداً إذا أدركهم الإسلام على ذلك ، فمن لم يكن انتسب من بجيلة إلى غيرهم حتى جاء الإسلام وكان فيهم مقيماً على نسبه لم ينتسب إلى غيرهم فلا تحولوا بينه وبين التحول إلى قومهم ، ومن كان منهم مقيماً على نسبه إلى أن جاء الإسلام ، ثم أراد التحول عنه إلى غيره فانه لا يترك إن الجاهلية أنقضت الناس فلا تعتدوا على أحد بشيء كان في الجاهلية ولكن من أدركه الإسلام على شيء فهو لا يزول ولا يتحول وأيما نسب تؤوصل عليه قليلاً أو كثيراً فهو النسب ليس لواحد من الفريقين دفع الآخر عنه .

شهد العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان ، وكتب عبد الله بن أرقم.

ولما أعطي جرير حاجته في استخراج بجيلة من الناس فجمعهم فأخرجوا له وأمرهم بالموعد ما بين مكة والمدينة والعراق ، ولما تتاموا قال لجرير : اخرج حتى تلحق بالمثنى ، فقال : بل الشام ، قال : بل العراق فإن الشام قد قووا على عدوهم ، فأبى حتى أكرهه فلما خرجوا له وأمرهم بالموعد عوضه لإكراهه واستصلاحاً له فجعل لهم ربع الخمس مما أفاء الله عليهم في غزاتهم هذه له ولمن اجتمع إليه ولمن أخرج له إليه من القبائل ، وقال اتخذونا طريقاً فقدموا المدينة ثم فصلوا منها إلى العراق ممدين للمثنى ، وبعث عصمة بن عبد الله من بني عدي بن الحارث الضبي فيمن تبعه من بني ضبة ، وقد كان كتب إلى أهل الردة فلم يوافِ شعبين [1] أحد إلا رمى به المثنى .

---

(١) حصن باليمن كان منزلاً لملوكهم . معجم البلدان .

وقال أبو محجن الثقفي يرثي قتلى الجسر :

أنى تسرت لحـونا أم يوسف ... ومن دون مسراها فياف مجاهل
الى فئة بالطف نيلت سراتهم ... وعري أفراس لهم ورواحل
وأضحى بنو عمرو لدى الجسر منهم ... الى جانب الأبيات خزم[1] ونائل
وأضحى الوجير خلاء بيوتـــه ... وقد كان يعفوه الضعاف الأرامل
أنوه على سيفي نزيفـــا ومهرتي ... لدى الفيل يدمي نحرها والشواكل
وما أبت حتى كنت آخر رائح ... وصرع حولي الصالحون الأماثل

حديث البويب ووقعة مهران

سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا : وبعث المثنى بعد الجسر فيمن يليه من الممدين ، فتوافوا إليه في جمع عظيم ، وبلغ ذلك رستما والفيرزان وأنتهم به العيون وبما ينتظرون من الأمداد فاجتمعا على أن يبعثـا مهران الهمذاني حتى يريا من رأيها ، فخرج مهران في الخيول ، وأمراه بالحيرة ، وبلغ المثنى الخـــبر وهو معسكر بمرج السباخ ما بين القادسية وخفان في الذين أمدوه من العرب عن خبر بشير ، وكنانة وبشير يومئذ بالحيرة فاستبطن فـرات بادقلي ، وأرسل إلى جرير ومن معه إنه جاءنا أمر لن نستطيع معه المقام حتى تقدموا علينـــا ، فعجلوا اللحاق بنا وموعدكم البويب ، وكان جرير ممداً له .

وكتب إلى عصمة ومن معه ، وكان ممداً له بمثل ذلك وإلى كل قائد أظله بمثل ذلك ، وقال : خذوا على الجوف ، فسلكوا القادسية والجـوف ، وسلك المثنى وسط السواد ، فطلع على النهرين ثم على الخورنق ، وطلع عصمة على النجف ومن

(١) الخزام حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي منخري البعير . النهاية لابن الأثير .

سلك معه طريقه ، وطلع جرير على الجوف ومن سلك معه طريقه فانتهوا إلى المثنى وهو على البويب ، ومهران من وراء الفرات بإزائه ، فاجتمع عسكر المسلمين على البويب بما يلي موضع الكوفة اليوم وعليهم المثنى وهم بازاء مهران وعسكره .

فقال المثنى لرجل من أهل السواد : ما يقال لهذه الزنقة [1] التي فيها مهران وعسكره ؟ فقال : بسوسا ، فقال : أكدى مهران وهلك ونزل منزلا هو البسوس وأقام بمكانه حتى كاتبه مهران إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم ، فقال المثنى : اعبروا فعبر مهران فنزل على شاطىء الفرات معهم في الملطاط ، فقال المثنى لذلك الرجل : ما يقال لهذه الزنقة [1] التي نزلها مهران وعسكره ؟ فقال شوميا ، وذلك في رمضان ، فنادى في الناس : انهدوا لعدوكم فتناهدوا وقد كان المثنى عبأ جيشه فجعل على مجنبيه مذعوراً والنسير ، وعلى المجردة عاصماً وعلى الطلائع عصمة ، واصطف الفريقان ، وقام المثنى فيهم خطيبا فقال انكم صوام والصوم مرقة ومضعفه ، وإني أرى من الرأي أن تفطروا ، ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم ، قالوا : نعم ، فأفطروا وأبصر رجلا يستوفر ويستنتل من الصف ، فقال : ما بال هذا ؟ قال : هو ممن فر من الزحف في يوم الجسر ، فهو يريد أن تستقتل ، فقرعه بالرمح وقال : لا أبا لك الزم موقفك فإذا أتاك قرنك فاغنه عن صاحبك ولا تستقتل ، قال إني لذلك لجدير ، واستقر ولزم الصف .

وعن مجالد والشعبي قالا : قال عمر رضي الله عنه حين استتم جمع بجيلة اتخذونا طريقا فخرج سروات بجيلة ووجوههم نحوه وخلفوا الجمهور ، فقال : أي الوجوه أحب إليكم ؟ قالوا : الشام فإن أسلافنا بها ، قال : بل العراق فإن أهل الشام في كفاية ، فلم يزل بهم ويأبون عليه حتى عزم على ذلك ، وجعل لهم ربع الخمس ما أفاء الله على المسلمين إلى نصيبهم من الفيء ، فاستعمل عرفجة على من كان مقيما

---

(١) في م « الرقعة » .

على جديلة من بجيلة ، وجريراً على من كان في بني عامر وغيرهم ، وقد كان أبو بكر رحمه الله ولاه قتال أهل عمان في نفر فأقفله حين غزا في البحر فولاه عمر رحمه الله عظم بجيلة ، وقال : اسمعوا لهذا ، وقال للآخرين : اسمعوا لجرير ، فقال جرير لبجيلة أتقرون بهذا .

وقد كانت بجيلة غضبت على عرفجة في امرأة منهم و[قالوا:] قد أدخل علينا ما أدخل، فاجتمعوا فأتوا عمر فقالوا: أعفنا من عرفجة فقال: لا أعفيكم من أقدمكم هجرة واسلاماً وأعظمكم بلاء واحساناً ، قالوا : استعمل علينا رجلاً منا ولا تستعمل علينا نزيعاً فينا ، فظن عمر أنهم ينفونه من نسبه ، فقال : انظروا ماذا تقولون؟ قالوا : نقول ما تسمع ، فأرسل إلى عرفجة فقال : إن هؤلاء استعفوني منك ، وزعموا أنك لست منهم ، فما عندك ؟ قال صدقوا وما يسرني أني منهم أنا امرؤ من الأزد بن بارق في كثف لا يحصى عدده وحسب غير مؤتشب ، فقال عمر : نعم الحي الأزد يأخذون نصيبهم من الخير والشر .

وقال عرفجة : إنه كان من شأني أن الشر تفاقم فينا ودارنا واحدة ، وأصبنا الدماء ووتر بعضنا بعضاً فاعتزلتهم لما خفتهم ، فكنت في هؤلاء أسودهم وأقودهم فحفظوا علي لأمر دار بيني وبين دهقانتهم فحسدوني وكفروني فقال: لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك ، واستعمل جريراً ، وجمع له بجيلة وأرى جريراً وبجيلة أنه يبعث عرفجة إلى الشام ، فحبب ذلك إلى جرير العراق .

وخرج جرير في قومه مدداً للمثنى بن حارثة حتى نزل ذا قار، ثم ارتفع حتى إذا كان بالجل [1] والمثنى ببرج السباخ أتى المثنى الخبر عن حديث بشير وهو بالحيرة أن الأعاجم قد بعثوا مهران ، ونهض من المدائن شاخصاً نحو الحيرة ، وأرسل المثنى إلى جرير وإلى عصمة بالحث وقد كان عمر عهد إليهم أن لايعبروا بحراً ولا جسراً إلا بعد ظفر ، فاجتمعوا بالبويب واجتمع العسكران على

(١) موضع على جادة طريق القادسية . معجم البلدان .

شاطىء البويب الشرقي ، وكان البويب مفيضاً للفرات أيام المدود أزمان فارس يصب في الجـــوف ، وكان المشركون بموضـع دار الرزق والمسلمون بموضع السكون .

وعن عطية والمجالد بسندهما قالا : وقدم على عمر غزاة بني كنانة والأزد في سبعمائة جميعاً، فقال : أي الوجوه أحب إليكم ؟ قالوا: الشام أسلافنا أسلافنا، فقال : ذلك وجه قد كفيتموه ، العراق العراق ذروا بلدة قـد قل الله شوكتها وعدوها،واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش لعل الله أن يورثكم بقسطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس ، فقال غالب الليثي وعرفجة البارقي كل واحد منهما لقومه ، وقاما فيهم : يا عشيرتاه أجيبوا أمير المؤمنين إلى مـا يرى وامضوا له ما يسألكم فقالوا : إنا قد أطعناك وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد ، فدعا لهم عمر رحمه الله بخير ، وقاله لهم ، وأمر على بني كنانة غالب ابن عبد الله ، وسرحه فيهم وأمر على الأزد عرفجة بن هرثمـــة وعامتهم من بارق ، وفرحوا برجوع عرفجة إليهم ، فخرج هذا في قومه ، وهذا في قومه حتى قدما على المثنى .

وعن محمد وعمرو بإسنادهما قالا : وخرج هـــلال بن علقمة التميمي فيمن اجتمع إليه من الرباب حتى أتوا عمر رحمه الله فأمره عليهم وسرحه ، فقدم على المثنى ، وخرج ابن البلاد الجشمي ، جشم سعد ، حتى قدم على عمر ، فوجهه وأمره على بني سعد ، فقدموا على المثنى .

وعن الشعبي وعطية قالا : وجاء عبد الله بن ذي السهمين في أناس من خثعم فأمره عليهم ووجهه إلى المثنى ، فخرج حتى قدم عليه .

وعن محمد وعمرو قالا : وجـــاء ربعي في أناس من بني حنظلة فأمره عليهم وسرحهم ، وخرجوا حتى قدم بهم على المثنى فرأس بعده ابنه شبث بن ربعي ، وقدم عليه أناس من بني عمرو فأمر عليهم ربعي بن عامر بن خالد العنود، وألحقه

بالمثنى، وقدم عليه قوم من بني ضبة فجعلهم فريقين فجعل على أحد الفريقين ابن الهوبر، وعلى الآخر المنذر بن حسان ، وقدم عليه قرظ بن جماح في عبد القيس فوجهه .

وقالوا جميعاً : اجتمع الفيرزان ورستم على أن يبعثا مهران لقتال المثنى ، واستأذنا بوران وكانا إذا أرادا شيئاً دنوا من حجابها حتى يكلمانها بـه ، فقالا بالذي رأيا وأخبراها بعدد الجيش ، وكانت فارس يكثرون البعوث حتى كان من أمر العرب ما كان فلما أخبراها بكثرة عدد الجيش قالت : ما بال أهل فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم وما بالكما لا تبعثان كما كانت الملوك تبعث قبل اليوم؟ قالا : إن الغلبة [١] كانت مع عدونا يومئذ وانها فينا اليوم فهالأتها وعرفت ما جاءاها به فمضى مهران في جنده حتى نزل من دون الفرات ، والمثنى وجنده على شاطىء الفرات ، والفرات بينهما ، وقدم أنس بن هلال النمري ممداً للمثنى في أناس من النمر نصارى جلبوا خيلاً ، وقدم ابن مردي الفهر التغلبي في أناس من قومه وجلاب جلبوا خيلاً ، وهو عبد الله بن كليب بن خالد ، وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم : نقاتل مع قومنا ، وقال مهران : إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم؟ فقال المسلمون : اعبروا إلينا فارتحلوا من بسوسا الى شوميا وهي موضع دار الرزق .

وعن عبيد الله بن محفز عن أبيه إن العجم لمـــا أذن لهم في العبور ، نزلوا شوميا موضع دار الرزق ، فتعبوا هنالك ، فأقبلوا إلى المسلمين في ثلاثة صفوف ، مع كل صف فيل ، ورجلهم أمام فيلهم وجاؤوا ولهم زجـــل ، فقال المثنى للمسلمين : إن الذي تسمعون فشل [٢] فالزموا الصمت واثتمروا همساً ، فدنوا من المسلمين وجاؤوا من قبل نهر بني سليم ، فلما دنوا زحفوا ، وصف المسلمون فيما بين بني سليم الآن وما وراءها .

---

(١) في م « الهيبة » .
(٢) أي خوف وخشية .

وعن محمد وطلحة قالا : وكان على مجنبتي المثنى بشير وبسر بن أبي رهم ، وعلى مجردته المعنى ، وعلى الرجـــل مسعود ، وعلى الطلائع نسير ، وعلى الرد مـذعور وكان على مجنبتي مهـــران بن الأزاذبـة مرزبان الحيرة ومرد انشاه .

ولما خرج المثنى طاف في صفوفه فعهد إليهم عهده وهو على فرسه الشموس وكان يدعى الشموس من لين عريكته وطهارته ، وكان إذا ركبه قاتل ، قال: ولا يركبه إلا لقتال ، يودعه ما لم يكن قتال ، فوقف على الرايات رايـة راية يحضضهم ويأمرهم بأمره ويهزهم بأحسن ما فيهم تحضيضاً لهم ، ولكلهم يقول: إني لأرجو أن لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم ، والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم ، فيجيبونه بمثل ذلك وأنصفهم المثنى في القول والفعل ، وخلط الناس في المكروه والمحبوب فلم يستطع أحـــد منهـم أن يعيب له قولاً ولا عمـلاً ، ثم قال : إني مكـبر ثلاثاً فتهيؤوا ثم احملوا مع الرابعة .

فلما كبر أول تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم ، فخالطوهم مع أول تكبيرة ، وركدت حربهم ، فرأى المثنى خللاً في بعض صفوفه فارسل اليهـم رجلاً فقال : إن الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول : لا تفضحوا المسلمين اليوم ، فقالوا : نعم واعتدلوا وجعلوا قبل ذلك يرونه يمد بلحيته لما يرى منهم فاعتنوا بامر لم يجيء به أحد من المسلمين يومئذ ، فرمقوه فرأوه يضحك لما رأى منهم ، والقوم بنو عجل .

فلما طال القتال واشتد ، عهد المثنى الى أنس بن هلال ، فقال : يا أنس إنك امرؤ عربي ، وان لم تكن على ديننا ، فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي ، وقال لابن مردى الفهر مثل ذلك ، فأجاباه فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم واجتمع القلبان ، وارتفع الغبار والمجنبات

تقتتل لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم، لا المسلمون ولا المشركون، فارتث مسعود يومئذ وقواد من قواد المسلمين، وقد كان قال لهم: إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه فان الجيش ينكشف ثم ينصرف، فالزموا مصافكم وأغنوا عنا من يليكم، وأوجع قلب المسلمين في قلب المشركين، وقتل غلام نصراني من التغلبيين مهران، واستوى على فرسه فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله، وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل وسلب فهو للذي هو أمير على من قتل، وكان له قائدان أحدهما جرير والآخر ابن الهوبر فاقتسما سلاحه.

وعن محفز بن ثعلبة قال: جلب فتية من بني تغلب أفراساً، فلما التقى الزحفان يوم البويب قالوا نقاتل العجم مع العرب فأصاب أحدهم يومئذ مهران، ومهران على فرس له ورد مجفف بتجفاف أصفر بين عينيه هلال، وعلى ذنبه أهلة من شبه، ثم استوى على فرسه، وانتمى: أنا الغلام التغلبي، أنا قتلت المرزبان، فأتاه جرير وابن الهوبر في قومهما فأخذا برجله فأنزلاه.

وعن سعيد بن المرزبان أن جريراً والمنذر اشتركا فيه فاختصما في سلاحه، فتقاضيا إلى المثنى، فجعل سلاحه بينهما والمنطقة والسوارين بينهما.

وأفنوا قلب المشركين.

وعن أبي روق قال: والله إن كنا لنأتي البويب فنرى فيما بين السكون وبني سليم عظاماً بيضاء تلولاً تلوح من هامهم وأوصالهم نعتبر بها.

قال: وحدثني بعض من شهدها أنهم كانوا يحزرونها مائة ألف وما عفى عليها حتى دفنها إلا أدفان[1] البيوت.

وعن محمد وطلحة قالا: وقف المثنى عند ارتفاع الغبار حتى أسفر الغبار،

---

(١) في الطبري: ٣ / ٤٦٧: «دفنها أدفان».

وقد فني قلب المشركين والمجنبات قد هد بعضها بعضاً، فلما رأوه وقـــد أزال القلب وأفنى أهله قويت مجنبات المسلمين على المشركين، وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المسلمون والمثنى في القلب يدعون لهم بالنصر ، ويرسل إليهم من يذمرهم ويقول : إن المثنى يقول : عادتكم في أمثالهم ، انصروا الله ينصركم ، حتى هزموا القوم ، فسابقهم المثنى الى الجسر فاخذه وافترق الأعاجم على شاطىء الفرات مصعدين ومصوبين ، واعتورتهم خيـــول المسلمين حتى قتلوهم ثم جعلوهم جثا [1] فما كانت بين العرب والعجم وقعـة كانت أبقى رمة منها .

ولما ارتث مسعود بن حارثة يومئذ وكان صرع قبل الهزيمة فتضعضع من معه فرأى ذلك وهو دنف فقال : يا معشر بكر بن وائل ارفعوا رايتكم وفقكم الله لا يهولنكم مصرعي وقاتل أنس بن هـــلال النمري يومئذ حتى ارتث ارتثه المثنى ورفعه وضمه وضم مسعوداً اليه ، وقاتـل قرط بن جماح العبدي يومئذ حتى دق قناً ، وقطع أسيافاً ، وقتـل شهر براز من دهاقين فارس وصاحب مجردة مهران .

قال : ولما فرغوا جلس المثنى للناس يحدثهم ويحدثونه وكلما جـاء رجل فتحدث قال : أخبرني عنك ، فقال قرط بن جماح قتلت رجلاً فوجدت منه رائحة المسك ، فقلت مهران ، ورجوت أن يكون إياه فإذا هـــو شهر براز صاحب الخيل ، فوالله ما رأيته إذ لم يكن مهران شيئاً ، فقال المثنى : قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والاسلام ، والله لمائـــة من العجم في الجاهلية كانوا أشد علي من ألف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب أشد علي من ألف من العجم

---

(١) الجثا جمع جثوة بالضم وهو الشيء المجموع . النهاية لابن الأثير .

إن الله أذهب مصدوقتهم ووهن كيدهم فلا يهولنكم زهاء تروونه ، ولا سواد ، ولا قسي فج[1] ولا نبال طوال فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم ، ثم أين ما وجهتموها اتجهت وقال ربعي وهو يحدث المثنى : لما رأيت ركود الحرب واحتدامها قلت تترسوا بالجان فإنهم شادون عليكم فاصبروا لشدتين وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة وتولى الله والله كفالتي .

وقال ابن ذي السهمين محدثاً: قلت لأصحابي : إني سمعت الأمير يقرأ ويذكر في قراءته الزحف فما ذكره الا لفضل عنده ، اقتدوا برايتكم ولتحم خيلكم رجلكم وازحفوا فما لقول الله من خلف ، فأنجز الله لهم وعده ، وكان كما رجوت .

وقال عرفجة محدثاً: حزنا كتيبة منهم الى الفرات ورجوت أن يكون الله قد أذن في غرقهم وأن يسلي بها عنا مصيبة الجسر ، فلما دخلوا في حد الإحراج كروا علينا فقاتلناهم قتالاً شديداً حتى قال بعض قومي : لو أخذت رايتك فقلت : علي اقدامها ، وحملت بها على حاميتهم فقتلته فولوا نحو الفرات فما بلغوه ومنهم أحد فيه الروح .

وقال ربعي بن عامر : كنت مع أبي يوم البويب ، وسمي يوم البويب يوم الأعشار ، أحصى مائة رجل منهم قتل كل منهم عشرة في المعركة يومئذ ، وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة ، وغالب في بني كنانة من أصحاب التسعة ، وعرفجة في الأزد من أصحاب التسعة ، وقتل المشركون فيما بين السكون اليوم إلى شاطىء الفرات ضفة البويب الشرقية وذلك ان المثنى بادرهم عند الهزيمة الجسر ، فأخذ به عليهم ، فأخذوا يمنة ويسرة ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ، ومن الغد إلى الليل وندم المثنى على أخذه بالجسر ، وقال لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطعه حتى أحرجتهم فإني غير

---

(١) قوس فجاء ومنفجة : بان وترها عن كبدها ، وفججتها ، رفعت وترها عن كبدها . القاموس .

عائد ، فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيها الناس فإنها كانت زلة لا ينبغي إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع .

ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين : خالد بن هلال ، ومسعود بن حارثة فصلى عليهم المثنى وقدمهم على الأسنان والقرآن ، وقال : والله إنه ليهوّن عليّ وجدي أن شهدوا البويب أقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكلوا وإن كان في الشهادة كفارة لبحور الذنوب .

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : وقد كان المثنى وعصمة وجرير أصابوا في أيام البويب على الظهر نُزل مهران غنماً ودقيقاً وبقراً ، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة وقد خلفوهن بالقوادس وإلى عيالات أهل الأيام قبلهم وهم بالحيرة ، وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات التي بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة فلما رفعوا للنسوة فرأين الخيل تصايحن وحسبنها غارة فقمن دون الصبيان بالحجارة والعمد ، فقال عمرو : هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش وبشروهن بالفتح وقالوا : هذا أوله وكان على الخيل التي أتتهم بالمنزل النسير ، وأقام في خيله حامية لهن ، ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات في الحيرة ، ثم بات بها من القابلة بالبشارة على الفتح ، وغلبة أهل فارس واستيلاء المسلمين على العسكر ، فقال النسير في ذلك :

نقاتل حتى أنزل الله نصره ... وفرت إلى الفسطاط أعلاج بابل
وفارس قد فرت وما ضر جمعنا ... قراعهم عند انتضاء المناصل
وقد أعنت الأحياء بعد تردد ... وطعن كايزاغ[1] المخاض الهوامل

وقال المثنى يومئذ : من يتبع الناس حتى يبلغ السيب ؟ فقام جرير بن عبد الله في قومه ، فقال : يا معشر بجيلة إنكم وجميع المسلمين ممن شهد هذا

(١) الوزغ : الرعشة . القاموس .

اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النفل مثل الذي لكم منه ، لكم ربع خمسه نفل من أمير المؤمنين فلا يكوننن أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه بنية ما ترجون وإنما تنتظرون إحدى الحسنيين : الشهادة والجنة أو الظفر والغنيمة والجنة .

ومال المثنى على الذين أرادوا أن يستقتلوا بالأمس من منهزمة يوم الجسر ، فقال : أين المستبسل بالأمس وأصحابه انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السيب ، وابلغوا من عدوكم ما تغيظونهم به فهو خير لكم وأعظم أجراً ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم .

وعن رجل عن بكر بن وائل قال : كان أول النـاس يومئذ انتدب للمثنى واتبع آثارهم المستبسل وأصحابه ، وقد كان أراد الخـروج بالأمس من صف المسلمين إلى العدو ، فقيل للمثنى : ألا ترى إلى هذا الرجـل الذي يريد أن يستقتل ، فركض اليه فقال : يا عبد الله : مـا تريد أن تصنع ؟ قال : فررت يوم أبي عبيد من الزحف فأردت أن تكون توبتي وانتصاري أن أمشي اليهم فأقاتل حتى أقتل ، قال : إذن لا تضر عدوك ولا تنفع وليـك ، ولكن أدلك على ما هو خير لك من ذلك تثبت على مصافك وتجزي قرنك وتواسي أخاك بنفسك وتنصره وينصرك ، ولم تغضب المسلم ، وضررت العدو ، فأطاعه وثبت مكانه فكان يومئذ أول مندوب .

فأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر ، ثم أخرجهم في آثار القوم واتبعهم بخيله[1] وخيول المسلمين بعد معه من كل فارس ، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السيب ، ولم يبق في العسكر جسري إلا خرج في الخيل ، فأصابوا من البقر والسبي وسائر الغنائم شيئاً كثيراً فقسمه المثنى عليهم وفضل أهل البلاء من جميع القبائـل ،

(١) في م « بجيلة » .

ونفل بجيلة يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية ، وبعث بثلاثة أربـــاعه مع عكرمة ، وألقى الله تعالى الرعب في قلوب أهـل فارس ، وكتب القواد الذين قادوا الناس في الطلب إلى المثنى .

وكتب عاصم وعصمة وجرير : إن الله قد كفى وسلم ، ووجه لنا ما رأيت ، وليس دون القوم شيء فأذن لنا في الإقدام ، فأذن لهم ، فأغاروا حتى بلغـــوا ساباط [1] ، وتحصن أهل ساباط منهم ، واستباحوا القريات دونها ورماهـم أهل الحصن عن حصنهم بساباط ، وكان أول من دخـل حصنهم ثلاثة قواد : عاصم وعصمة وجرير ، وقد تبعهم أوزاع من الناس كلهم ، ثم انكفؤوا راجعين إلى المثنى .

وعن عطية بن الحارث قال : لما أهلك الله عز وجل مهران استمكن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة ، فمخروها لا يخافون كيدا ، ولا يلقون فيها مانعا ، وانتقضت مسالح العجم فرجعت إليهم ، واعتصموا بساباط ، وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة ، وكانت وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة ، قتل الله عليه مهـــران وجيشه ، وأفعموا جنبي البويب عظاماً حتى استوى وما عفى عليها إلا التراب أزمان الفتنة ، ومـــا يثار هنالك شيء إلا وقعوا منها على شيء وهو ما بين السكون ومرهبـــة وبني سليم ، كان مغيضاً للفرات أزمان الأكاسرة ويصب في الجوف وقال الأعور الشني :

هاجت لأعور دار الحي أحزانا ... واستبدلت بعد عبد القيس خفانا
وقد أرانا بها والشمل مجتمع ... إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا
أزمان سار المثنى بالخيول لهم ... فقتل الزحف من فرس وجيلانا
سما لمهران والجيش الذي معه ... حتى أبادهم مثنى ووحدانا

(١) ساباط كسرى بالمدائن . معجم البلدان .

قال أبو جعفر : وأما ابن اسحاق فإنه قال في أمر جرير وعرفجة والمثنى وقتال المثنى مهران غير ما قص سيف من أخبارهم ، قال : لما انتهت إلى عمر ابن الخطاب رحمه الله مصيبة أهل الجسر ، وقدم عليه فلهم قدم عليه جرير بن عبد الله البجلي من اليمن في ركب من بجيلة ، وعرفجة بن هرثمة وكان عرفجة يومئذ سيد بجيلة وكان حليفاً لهم من الأزد ، فكلمهم عمر فقال : إنكم قد علمتم ما كان من المصيبة في إخوانكم بالعراق ، فسيروا إليهم وأنا أخرج إليكم من كان في قبائل العرب فأجمعهم إليكم ، قالوا : نفعل يا أمير المؤمنين، فأخرج لهم قيس كبة وصحمة وعرينة وكانوا في قبائل بني عامر بن صعصعة ، وأمر عليهم عرفجة بن هرثمة .

فغضب من ذلك جرير بن عبد الله البجلي : فقال لبجيلة : كلموا أمير المؤمنين،فقالوا استعملت علينا رجلاً ليس منا،فأرسل إلى عرفجة فقال: ما يقول هؤلاء ؟ فقال : صدقوا يا أمير المؤمنين لست منهم ولكني رجل من الأزد كنا أصبنا في الجاهلية دماً في قومنا فلحقنا ببجيلة،فبلغنا فيهم من السؤدد ما بلغك ، فقال له عمر : فاثبت على منزلتك ودافعهم كما يدافعونك ، قال: لست فاعلاً ولا سائراً معهم .

فسار عرفجة إلى البصرة بعد أن نزلت البصرة ، وترك بجيلة وأمر عمر رحمه الله على بجيلة جرير بن عبد الله فسار بهم مكانه إلى الكوفة وضم إليه عمر من قومه من بجيلة فأقبل جرير حتى إذا مر قريباً من المثنى بن حارثة كتب إليه المثنى أن أقبل إلي فإنما أنت مدد لي ، فكتب إليه جرير إني لست فاعلاً إلا أن يأمرني بذلك أمير المؤمنين ، أنت أمير وأنا أمير ، ثم سار جرير بن عبد الله نحو الجسر ، فلقيه مهران بن باذان وكان من عظماء فارس عند النخيلة قد قطع إليه الجسر فاقتتلا قتالاً شديداً ، وشد المنذر بن حسان بن ضرار الضبي على مهران

فطعنه فوقع عن دابته ، واقتحم عليه جرير فاحتز رأسه فاختصما في سلبه ، ثم اصطلحا فيه فأخذ جرير السلاح ، وأخذ المنذر بن حسان منطقته .

قال : وحدثت أن مهران لما لقي جريراً قال :

إن تسألوا عني فإني مهران
أنا لمن أنكرني ابن باذان

قال : فأنكرت ذلك حتى حدثني من لا أتهم من أهل العلم انه كان عربياً نشأ مع أبيه باليمن ، اذ كان عاملاً لكسرى ، قال : فلم أنكر ذلك حين بلغني .

وكتب المثنى إلى عمر يمحل [1] بجرير فكتب اليه عمر : اني لم أكن لاستعملك على رجل من أصحاب محمد ﷺ يعني جريراً ، وقد وجه عمر سعد بن أبي وقاص الى العراق في ستة آلاف أمره عليهم ، وكتب الى المثنى وجرير بن عبد الله أن يجتمعا الى سعد بن أبي وقاص ، وأمّر سعداً عليهما ، فسار سعد حتى نزل شراف وسار المثنى وجرير حتى نزلا عليه فثنى [1] بهما سعد واجتمع الناس ، ومات المثنى بن حارثة رحمه الله .

---

(١) يكيد ويمكر ويسعى : به . القاموس .

(٢) في الطبري : ٣ / ٤٧٢ « فشتا » وهو تصحيف ، فالمقصود هنا أن ما كان مع سعد تضاعف عدده . انظر مادة « ثنى » بالقاموس .

حديث الخنافس

وعن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ومخر المثنى السواد وخلف بالحيرة بشير بن الخصاصية ، وأرسل جرير إلى ميسان ، وهلال بن علفة التميمي إلى دستميسان ، وأذكى المسالح بعصمة بن فلان الضبي ، وبالكلح الضبي ، وبعرفجة البارقي وأمثالهم في قواد المسلمين ، فنزل أللّيّس قرية من قرى الأنبار ، وهذه الغزاة تدعى غزاة الأنبار الآخرة ، وغزاة أللّيّس الآخرة وألزّ بالمثنى رجلان : أحدهما أنباري والآخر حيري ، فدله كل واحد منهما على سوق ، فأما الأنباري فدله على الخنافس ، وأما الحيري فدله على بغداد ، فقال المثنى أيتها قبل صاحبتها ؟ فقالوا : بينهما أيام ، فقال أيهما أعجل ؟ قالوا : سوق الخنافس سوق يتوافى إليها الناس وتجتمع إليها ربيعة وقضاعة يخفرونهم ، فاستعد لها المثنى حتى إذا ظن أنه موافيهم يوم سوقها ، ركب نحوهم ، فأغار على الخنافس يوم سوقها ، وبها خيلان من قضاعة وربيعة وعلى قضاعة رومانس بن وبرة ، وعلى ربيعة السليل بن قيس ، وهم الخفراء ، فانتسف السوق وما فيها ، وسلب الخفراء ، ثم رجع عوده على بدئه حتى يطرق دهاقين الأنبار طروقاً في أول نومة ، فتحصنوا منه فلما عرفوه نزلوا اليه فأتوه بالأعلاف والزاد وأتوه بالأدلاء على بغداد ، وكان وجهه إلى سوق بغداد ، فصبحهم ، وقال المثنى في غارته على الخنافس :

صبحنا بالخنافس جمع بكر ... وحياً من قضاعة غير ميل
لفتيان الوغى من كل حي ... تباري في الحوادث كل جيل
نسفنا سوقهم والخيل زور ... من التطواف والشر البجيل

حديث بغداد فيما ذكر سيف

وقد تقدم ما ذكر ابن اسحاق فيه .

سيف عن شيوخه قالوا : والمسلمون يمخرون السواد والمثنى بالأنبار يشنون الغارات فيما بين أسفل كسكر وأسفل الفرات وجسور مثقب ، وما بين جسور مثقب إلى عين التمر فما والاها من الأرض في أرض الفلاليج والمعالي .

وعن عبيد الله بن محفز عن أبيه قال : قال رجل من أهل الحيرة للمثنى : ألا ندلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى والسواد وتجتمع بها في كل سنة مرة، ومعهم فيها أموال كبيت المال ، وهذه أيام تسوقهم فإن أنت قدرت أن تغير عليهم وهم لا يشعرون أصبت بها أموالاً[٢] يكون فيه غنى للمسلمين وقوة على عدوهم دهرهم ، قال: وكم بينها وبين مدائن كسرى ؟ قال : بعض يوم أو عامة يوم ، قال : كيف لي بها ؟ قالوا : نأمرك إن أردتها أن تأخذ طريق البر حتى تنتهي إلى الخنافس فإن اهل الأنبار سيضربون إليها ويخبرون عنك فيأمنون ثم تعوج على اهـل الأنبار فتأخذ الدهاقين بالأدلاء فتسير سواد ليلتك من الأنبار حتى تأتيهم ضحى فتصبحهم غارة .

فخرج من أُلَيْس حتى اتى الخنافس ، ثم عاج حتى رجع على الأنبار، فلما أحسه صاحبها تحصن وهو لا يدري من هو وذلك ليلاً فلمـــا عرفه نزل إليه فأطمعه المثنى وخوفه واستكتمه وقال : إني أريد أن أغير فابعث معي الأدلاء

---

(١) طريق العراق من الكوفة إلى مكة . معجم البلدان .

(٢) في م « مالاً » .

إلى بغداد حتى أغير منها إلى المدائن ، قال : أنا أجيء معك ، قال : لا ولكن ابعث معي من هو أدل منك ، فزودهم الأطعمة والأعلاف وبعث معهم الأدلة ، فساروا حتى إذا كانوا بالمنصف ، قال لهم المثنى : كم بيني وبين هـذه القرية ؟ قالوا أربعة أو خمسة فراسخ ، فقال لأصحابه من ينتدب للحرس ؟ فانتدب له قوم ، فقال لهم : أذكوا حرسكم ، ونزل وقال : يا أيها الناس أقيموا واطعموا وتوضؤوا وتهيؤوا . وبعثوا الطلائع فحبسوا الناس ليسبقوا الاخبار .

فلما فرغوا أسرى إليهم آخـر الليل ، فصبحهم في أسواقهم ، فوضع فيهم السيف فقتل وأخذوا ما شاؤوا ، وقال المثنى : لا تأخذوا إلا الذهب والفضة ، ولا تأخذوا من المتاع الا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته ، وهرب أهل الاسواق ، ومـــلأ المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء ، والحـر من كل شيء .

ثم خرج كاراً حتى ينزل بنهر السيلحين بالانبار فـــنزل وخطب [1] الناس وقال: أيها الناس انزلوا واقضوا أوطاركم ، وتأهبوا للسير واحمدوا الله ، وساوه العافية ثم انكشفوا قبيضا – يعني سريعـاً – ففعلوا فسمع همسا فيما بينهم : ما أسرع القوم في طلبنا؟فقال : تناجوا بالبر والتقوى ولا تناجوا بالإثم والعدوان، انظروا في الامور وقدروها ، ثم تكلموا ما بلغ النذير مدينتهم بعد ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبهم ، إن للغارات روعات تنتشر عليهـــا يوما إلى الليل ، ولو طلبكم المحامون من رأي العين ما أدركوكم ، وأنتم على العراب حتى تنتهوا إلى عسكركم وجماعتكم ، ولو أدركونا لقاتلتهم لاثنتين : لالتماس الاجـر ورجاء النصر ، فثقوا بالله وأحسنوا به الظن ، فقـــد نصركم عليهم في مواطن كثيرة وهم أعد منكم ، وسأخبركم عني وعن انكماشي ، والذي أريد من ذلك أن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر أوصانا أن نقل العرجة ، ونسرع الكرة في

---

(١) في « وحط » .

الغارات [١] ونسرع في غير ذلك الأوبة ، وأقبل بهم ومعهم أدلاؤهم يقطعون بهم الصحارى والانهار حتى انتهى بهم إلى الانبـار فاستقبلهم دهاقين الانبار بالكرامة واستبشروا بسلامته ، وكان موعـــده الإحسان إذا استقام لهم من أمرهم ما يحبون .

حديث السرايا من الأنبار

قالوا لما رجع المثنى من بغداد إلى الانبار سرح المضارب العجلي وزيداً الى الى الكباث وعليه فارس العناب التغلبي ، ثم خرج في آثارهم ، فقدم الرجلان الكباث وقد ارفضوا وأخلوا الكباث ، وكان أهله كلهم من بني تغلب ، فركبوا آثارهم يتبعونهم فأدركوا أخرياتهم ، وفارس العناب يحميهم فحماهم ساعة ، ثم هرب ، وقتلوا في أخرياتهم فأكثروا ، ورجـــع المثنى الى عسكره بالانبار والخليفة عليهم فرات بن حيان .

فلما رجع المثنى الى الانبار سرح فرات بن حيان وعتيبة بن النهاس وأمرهما بالغارة على أحيـــاء من تغلب والنمر بصفين [٢] ثم اتبعهما وخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى الهجيمي ، فلما دنوا من صفين افترق المثنى وفرات وعتيبة ، وفر أهل صفين فعبروا الفرات الى الجزيرة ، وتحصنوا وأرمل المثنى وأصحابه الزاد حتى أقبلوا على رواحلهم إلا مـــا لا بد لهم منه فأكلوها حتى أخفافها وعظامها وجلودها ثم أدركوا عيرا من اهل دبا وحوران ، فقتلوا العلوج واصابوا ثلاثة نفر من بني تغلب خفراء ، فأخذوا العير ، وكان ظهراً فاضلاً ، وقال لهم :

---

(١) في م « الغارة » .

(٢) موضع سوق بالجزيرة لتغلب .

(٣) قرب مدينة الرقة .

دلوني فقال له أحدهم : أمنوني على اهلي ومالي وأدلكم عـــلى حي من تغلب غدوت من عندهم اليوم ، فأمنه المثنى ، وسار معه يومه حتى إذا كان العشي هجم عليهم فإذا النعم صادرة عن [١] الماء ، وإذا القوم جلوس بأفنية البيوت ، فبث غارته فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية وانتهبوا [٢] الاموال وإذا هم بنو ذي الرويحلة ، فاشترى من كان مـن ربيعة السبايا بنصيبهم من الفيء ، فأعتقوا سبيهم ، وكانت ربيعة لا تسبي إذ العرب يتسابون في جاهليتهم .

وأخبر المثنى أن جمهور من بتلك البلاد قـــد انتجعوا الشاطىء ، شاطىء دجلة ، فخرج المثنى وعلى مقدمته في غزواته هذه كلها بعد البويب حذيفة بن محصن الغلفاني ، وعلى مجنبتيه النعمان بن عوف بن النعمان ومطر الشيبانيان ، فسرح في آثارهم حذيفة واتبعه ، فأدركوهم بتكريت دونها من حيث طلبوهم يخوضون الماء ، فأصابوا مـا شاؤوا من النعم ، حتى أصاب الرجـل خمساً من النعم وخمساً من السبي ، وخمس المـــال وجاء به حتى ينزل عـلى الناس بالانبار .

وقد مضى فرات وعتيبة في وجوههما حتى أغارا عـلى صفين ، وبها النمر وتغلب متساندين ، فأغارا عليهم وبعثوا بهم ، فغصبوهم حتى رمـــوا بطائفة منهم في الماء ، فناشدوهم فلم يقلعوا عنهم ، وجعلوا ينادونهم : الغرق الغرق ، وجعل عتيبة وفرات يذمرون الناس وينادونهم : تغريق بتحريق ، يذكرونهم يوماً من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قوماً من بكر بن وائل في غيضة من الغياض ، ثم انطلقوا راجعين الى المثنى وقد غرقوهم .

فلما تراجع الناس الى عسكرهم بالانبار ، وتوافى بهـــا البعوث والسرايا

---

(١) في م « عل » .

(٢) في م « وانتسفوا » .

انحدر بهم المثنى الى الجزيرة ، فنزل بها ، وكانت تكون لعمر رحمه الله العيون في كل جيش ، فكتب إلى عمر رحمه الله عينه بما كان في تلك الغزاة، وبلغه الذي قال عتيبة وفرات يوم بني تغلب والمـاء فبعث اليهما فسألهما فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه أنه مثل ، وأنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحـل الجاهلية ، فاستحلفهما فحلفا: ما أردنا بذلك إلا المثل وإعزاز الاسلام، فصدقهما وردهما حتى قدما على المثنى .

★ ★ ★

الذي هيج حديث القادسية

قالوا : وقال أهل فارس لرستم والفيرزان وهما عميـــدا أهل فارس : أين يذهب بكما لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهـل فارس وأطمعتما فيهم عدوهم، وإنه لم يبلغ من خطركما أن تقركما فارس على هذا الرأي، وأن تعرضاها للهلكة ، مـــا بعد ساباط وبغداد وتكريت إلا المدائن ، والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما من قبل أن يشمت بنا شامت .

وعن عبيد الله بن محفز عن أبيه ، قال : قال أهـل فارس لرستم : المسلمون ينخرون السواد ما تنتظرون؟ والله ما تنظرون إلا أن ينزل بنا والله، ونهلك، والله ما جر علينا هذا الوهن غيركم ، والله لقد فرقتما أهل فارس وثبطتموهم عن عدوهم ، والله لولا أن في قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة، ولئن لم تنتهوا لنهلكنكم، ثم نهلك ، وقد أشفينا منكم .

وعن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : فقال الفيرزان ورستم لبـــوران بنت كسرى : اكتبي لنا نساء كسرى وسراريه ، ونساء آل كسرى وسراريهـــم ، ففعلت ، ثم أخرجت ذلك إليهم في كتـاب فأرسلوا في طلبهن ، فلم تبق امرأة منهن إلا أتوا بها ، فأخذوهن بالرجال ، ووضعوا عليهن العذاب يستدلونهن على ذكر من أبناء كسرى ، فلم يوجد عندهن جميعاً منهم أحـــد ، وقلن أو من قال منهن : لم يبق منهم إلا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى ، وأمه من أهل بادرويا ، فأرسلوا إليها فأخذوها به ، وكانت قد أنزلته في أيام شيرين حين

---

(١) من أحواز بغداد . معجم البلدان .

جمعهن في القصر الأبيض ، فقتل الذكور ، فواعدت أخواله ثم دلته إليهم في زنبيل فسألوها عنه وأخذوها به ، فدلتهم عليه ، فأرسلوا إليه فجاؤوا به فملكوه وهو ابن احدى وعشرين سنة ، واجتمعوا عليه .

واطمأنت فارس واستوسقوا ، وتبارى الرؤساء في طاعته ومعونته ، فسمى الجنود لكل مسلحة كانت لكسرى ، أو موضع ثغر ، فسمى جند الحيرة والأنبار والمسالح والأبلة ، وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يزدجرد المثنى والمسلمين فكتبوا بذلك إلى عمر رحمه الله ، وبما ينتظرون ممن بين ظهرانيهم ، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد من كان له منهم عهد ومن لم يكن له منهم عهد ، فخرج المثنى في حاميته حتى ينزل بذي قار وينزل الناس بالطف في عسكر واحد ، حتى جاءهم كتاب عمر :

أما بعد : فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، ولا تدعوا في ربيعة ومضر أحداً من أهل النجدات ، ولا فارساً إلا اجتلبتموه ، فإن جاء طائعاً وإلا حشرتموه ، احملوا العرب على الجد إذ جد العجم لتلقوا جدهم بجدكم [١] .

فنزل المثنى بذي قار وتنزل الناس بالجل [٢] وشراف إلى غضيّ ، وغضيّ جبال البصرة ، وكان جرير بن عبد الله بغضيّ ، وسبرة بن عمرو العنبري ومن أخذ أخذهم فيمن معهم إلى سلمان [٣] ، فكانوا في أمواه العراق من أولها إلى آخرها مسالح ينظر بعضهم إلى بعض ، ويغيث بعضهم بعضاً إن كان كون ، وذلك في ذي القعدة [٤] سنة ثلاث عشرة [٥] .

---

(١) في م « حدهم بجدكم » .

(٢) موضع بالبادية على جادة طريق القادسية . معجم البلدان .

(٣) على مقربة من الكوفة . معجم البلدان .

(٤) في م « من سنة » .

(٥) تاريخ الطبري : ٣ / ٤٧٧ - ٤٧٨ .

حديث صلب القادسية

سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا: كان أول ما عمل به عمر رحمه الله حين ولي أن ندب الناس مع المثنى إلى العراق ، وبعث يعلى بن أمية إلى نجران وهو يعلى بن منية من بني العدوية من بني مالك بن حنظلة حليف بني أمية ، بالجلاء والعوض من أرضهم ، وكتب إلى أهل اليرموك بتأمير أبي عبيدة بن الجراح وهو يرى أن القوم على حالهم بأن أبا عبيدة على القتال [٣] ، وكتب إلى أبي عبيدة . إذا أنتم فرغتم إن شاء الله ، فاصرف أهل العراق بعد الفراغ إلى العراق ، وكان أول شيء أتاه عن العجم فتح اليرموك ، وذلك لعشرين يوماً من موت أبي بكر رضي الله عنه .

وكان فتح اليرموك يوم قدم عليهم كتاب عمر بموت أبي بكر رحمهما الله في جمادى الآخرة ، فهم مسرورون بذلك إذ أتاه الخبر بمصاب أبي عبيد بالمروحة يوم الجسر فقال : نغص علينا يوم الجسر يوم اليرموك ، ثم قرأ : ﴿ ولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ﴾ [٤] الآية ، فحمد الله واسترجع واستبصر ، وقال : قد أصبنا أمثالها وأمثالها .

فأمر المثنى بسبعة نفر من وجوه العرب ، فقدموا على المثنى ثانية ، فشهدوا معه وقعة البويب : أنس بن هلال النمري ، وقرط بن جماح العبدي ، وعدي ابن حاتم الطائي ، ثم رجع إلى عمر ، ثم رجع بعد مع سعد بن أبي وقاص ،

---

(١) كتب فوقها بالأصل « بدلاً من تأمير » .

(٢) سورة آل عمران ـ الآية : ١٦٥ .

وابن ذي البردين الهلالي هلال بن عـامر ، وعبد الله بن ذي السهمين الخثعمي ، وحصين بن معبد بن زرارة الحنظلي ومنذر بن حسان الضبي .

ثم أتاه اجتماع فارس وقيام يزدجرد واجتماع المسلمين إلى الطفوف [١] قبـل انتهاء كتابه إليهم بذلك، وقد علموا بالذي أمرهم به: أن استخرجوا كل ذي سلاح وفرس ممن كان له رأي أو نجدة ، ودعوا من لا طرق به ، فضموهم إليكـم حتى يأتيكم أمري .

وكتب إلى عمال العرب على الكور والقبائل وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة مخرجه إلى الحج ـ وحج سنواته كلها : لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلي، والعجل العجـل ، فنهضت الرسل إلى من ارسلهم اليه مخرجه إلى الحج ووافاه أوائل هذا الضرب من القبائـل التي طرقها على مكة والمدينة ، وأما من كان من اهل المدينة على النصف ما بينه وبين العراق ، فوافاه بالمدينة مرجعه من الحج ، واما من كان أسفل من ذلك فانضموا إلى المثنى ، فأما من وافى عمر فإنهم أخبروه عن من وراءهم بالحث .

فلما دخل المحرم في أول يوم منه خرج فنزل على ما يدعى صراراً [٢] فعسكر به ، ولا يدري الناس ما يريد أيسير أم يقيم ؟ وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف ، وكان عثمان يدعى في إمـارة عمر رديفاً ، والرديف بلسان العرب الرجل الذي بعد الرجل ، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيسهم ، حتى قال في ذلك الرجاز :

إن رديـف عمـــر عثمان

قبلت إن تمهـــا الرحمن

وكانوا إذا لم يقدر هذان على علم شيء ثلثـــوا بالعباس ، فقال عثمان لعمر

---

(١) في م « وقبل » .

(٢) موضع على ثلاثة أميال من المدينة . معجم البلدان .

رحمها الله: ما لك، ما نابك ، ما بلغك ، ما الذي تريد؟ فنادى: الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس إليه وأخبرهم الخبر ، ثم نظر ما يقولون ، فقال العامة : سر وسر بنا معك ، فدخل معهم في رأيهم وكره أن يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق ، فقال : استعدوا وأعدوا فإني سائر إلى أن يجيء رأي هو امثل من ذلك .

ثم بعث إلى اهل الرأي فاجتمعوا إليه: وجوه أصحاب النبي ﷺ ، وأعلام العرب ، فقال : أحضروني الرأي فإني سائر ، واجتمعوا جميعاً وأجمع ملأهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ويقيم ثم يرميه بالجنود ، وإن كان الذي يشتهي من الفتح فهو الذي يريد ويريدون ، وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر ، وفي ذلك ما يغيظ العدو ، ويرعوي المسلمون ويجيء نصر الله بإنجاز موعود الله ، ونادى عمر الصلاة جامعة : اجتمع إليه الناس ، وأرسل إلى علي رحمه الله وقد استخلفه على المدينة ، وإلى طلحة وقد بعثه على المقدمة ، فرجع اليه وعلى المجنبتين الزبير وعبد الرحمن بن عوف ، فقام في الناس ، فقال :

إن الله قد جمع على الإسلام أهله فألف بين القلوب فجعلهم فيه إخواناً ، فالمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره ، وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم ، بين ذوي الرأي منهم ، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ، ما اجتمعوا[1] عليه [ورضوا به لزم الناس ، وكانوا فيه تبعاً لهم ، ومن قام بهذا الأمر تبع لأولي رأيهم ، فما رأوه له][2] ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم .

يا أيها الناس إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج ، وقد رأيت أن أقيم وأن أبعث رجلاً ، وقد أحضرت هذا الأمر من

---

(١) في الأصل « فاجتمعوا » وهو تصحيف والتقويم من م .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من م .

قدمت ومن خلفت . وكان علي رحمه الله خليفته على المدينة ، وطلحة على مقدمته بالأعوص [١] فأحضرهما ذلك .

وعن عمر بن عبد العزيز قال : لما انتهى قتل أبي عبيد بن مسعود إلى عمر رحمه الله ، واجتماع أهل فارس على رجل من آل كسرى ، نادى في المهاجرين والأنصار ، وخرج حتى يأتي صرار ، وقدم طلحة بن عبيد الله حتى يأتي الأعوص ، وسمى لميمنته عبد الرحمن بن عوف ، ولميسرته الزبير بن العوام ، واستخلف علياً رحمه الله على المدينة ، واستشار الناس فكلهم أشار عليه بالسير إلى فارس ، ولم يكن استشار في الذي كان حتى نزل بصرار ، ورجع طلحة فاستشار ذوي الرأي ، فكان طلحة ممن تابع الناس ، وكان عبد الرحمن ممن نهى .

وقال عبد الرحمن : ما فديت أحداً بأبي وأمي بعد رسول الله ﷺ قبل يومئذ ولا بعده ، فقلت : بأبي وأمي اجعل عجزها بي وأقم ، وابعث جنداً ، فقد رأيت قضاء الله لك في جندك قبل وبعد ، فإنه إن يهزم جيشك ليس كهزيمتك ، وإنك إن تقتل أو تهزم في أنف هذا الأمر خشيت أن لا يكثر المسلمون ، وأن لا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً ، وهو في ارتياد من رجل ، وأتى كتاب سعد على حفف [٢] مشورتهم ، وهو على بعض صدقات نجد ، فقال عمر : فأشيروا علي برجل ، فقال عبد الرحمن : وجدته ، قال : من هو ؟ قال: الأسد في براثنه سعد بن مالك ، ومالأه أولو الرأي .

وعن خليد بن زفر قال: كتب المثنى إلى عمر باجتماع فارس على يزدجرد ، وببعوثهم ، وبجال أهل الذمة ، فكتب اليه عمر أن تنح الى البر ، وادع من يليك ، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم حتى يأتيك أمري ،

---

(١) موضع قرب المدينة ـ معجم البلدان .

(٢) في حاشية الأصل : « أي أثر » .

وعاجلتهم فارس فزاحفتهم الزحوف ، وثار بهم أهل الذمة ، فخرج المثنى بالناس حتى ينزل العراق ففرقهم فيه ، من أوله الى آخره ، فأقاموا ما بين غضي الى القطقطانة مسالحة ، وعادت مسالح كسرى وثغوره واستقر أمر فارس وهم في ذلك هائبون مشفقون ، والمسلمون يتدفقون قد ضروا بهم كالأسد ينازع فريسته ، ثم يعاود الكر وأمراؤهم يكفكفونهم لكتاب عمر وأمداد المسلمين .

وعن القاسم بن محمد قال : وقد كان أبو بكر رحمه الله استعمل سعداً على صدقات هوازن بنجد فأقره عمر ، وكتب اليه فيمن كتب اليه من العمال حين استقر الناس أن ينتخب أهل الخيل والسلاح ممن له رأي ونجدة ، فرجع اليه كتاب سعد بمن جمع اليه من ذلك الضرب ، فوافق عمر رحمه الله وقد استشارهم في رجل فأشاروا عليه به عند ذكره .

وعن محمد وطلحة بإسناديهما قالا : كان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن فكتب اليه عمر فيمن كتب اليه بانتخاب ذوي الرأي والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس ، فجاءه كتاب سعد « إني قد انتخبت لك ألف فارس مرد ، كلهم له نجدة ورأي ، وكلهم صاحب حيطة يحوط حريم قومه ، ويمنع ذمارهم ، اليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم ، ووافق كتابه مشورتهم ، وقالوا : قد وجدته ، قال : فمن ؟ قالوا الأسد عادياً ، قال : من ؟ قالوا سعد فانتهى الى رأيهم ، وأرسل اليه فقدم عليه فأمره على حرب العراق ، وأوصاه ، فقال : يا سعد سعد بني وهب لا يغرنك أن قيل خال رسول الله ﷺ ، وصاحب رسول الله ﷺ إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن ، وإن الله عز وجل ليس بينه وبين أحد سبب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله عز وجل سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقنا

فالزمه فإنه الأمر ، هذه عظتي إياك ، إن تركتها ، أو رغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

فلما أراد أن يسرحه دعاه فقال : إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كريه ولا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتاداً ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك ليجتمع لك به خشيـــة الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع لك في أمرين : في طاعتـــه واجتناب معصيته وإنما أطاعه من أطاعه بحب الآخرة وبغض الدنيا، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة، وللقلوب حقائق ينشئها الله عز وجل ، أنشأ منها السر والعلانية ، فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبته الناس ، فلا يزهـــد في التحبب ، فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله تعالى إذا أحب عبداً حببه ، وإذا أبغض عبـــداً بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله عز وجـــل بمنزلتك عند الناس ممن يسرع معك في أمرك .

ثم سرحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين ، فخرج سعد بن أبي وقاص من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف ، ثلاثة آلاف ، ثلاثة آلاف ممن قدم عليه من اليمن والسراة ، وعلى أهل السروات حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي ، وهم بارق وألمع وعامر وسائر إخوتهم في سبعمائة من أهل السراة ، وأهل اليمن ألفان وثلاثمائة منهم النخع بن عمرو وجميعهم يومئذ أربعة آلاف مقاتلهم وذراريهم ونساؤهم ، فأتاهم في عسكرهم فأرادهم على العراق ، فأبوا إلا الشام ، وأبى إلا العراق ، فسمح نصفهم ، فأمضاهم نحـــو العراق ، وأمضى النصف الآخر نحو الشام .

وعن حنش بن الحارث النخعي عن أبيه وغيره منهم : أن عمر رحمه الله

أتاهم في عسكرهم ، فقال : إن السرو [١] فيكم يا معشر النخع لمتربع [٢] ، سيروا مع سعد ، فنزعوا إلى الشام ، وأبى إلا العراق وأبوا إلا الشام ، فسرح نصفهم إلى الشام ، ونصفهم إلى العراق.

وعن إبراهيم بن يزيد النخعي قال : لما أراد عمر النخع على العراق فأبوا ، قال يزيد بن كعب : أنا لها ، ومن يتبعني ، فاتبعه سبعمائة مقاتل في سبعمائة أهل بيت بينهم سبعمائة امرأة فارغة ، وخرج مثلهم وهم النصف الباقي إلى الشام عليهم يزيد بن أرطاة النخعي .

وعن محمد وطلحة وأبي روق والمستنير وحنش قالوا : وكان فيهم من حضرموت والصدف ستمائة ، عليهم شداد بن ضمعج ، وكان فيهم ألف وثلاثمائة من مذحج على ثلاثة رؤساء : عمرو بن معديكرب على بني منية ، وأبو سبرة بن الذؤيب على جعفي ، ومن في حلفهم من إخوتهم جزء وزبيد ، وأنس الله ومن لفهم ، ويزيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنب ومسلية في ثلاثمائة من هؤلاء شهدوا من مذحج فيمن خرج من المدينة مخرج سعد منها ، وخرج معه من قيس عيلان ألف عليهم بشر بن عبد الله الهلالي .

وعن ابراهيم قال : خرج أهل القادسية من المدينة وهم أربعة آلاف، ثلاثة آلاف من أهل اليمن ، وألف من سائر الناس .

وعن القاسم وغيره قالوا : وشيعهم عمر رحمه الله من صرار إلى الأعوص ، ثم قام في الناس خطيباً فقال : إن الله تعالى إنما ضرب لكم المثل وصرف لكم القول ليحيي بها القلوب ، فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله تعالى ، من علم شيئاً فلينتفع به ، وإن للعدل أمارات وتباشير ، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين ، وأما التباشير فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمر باباً ، ويسر لكل باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت ، بتذكر الأموات والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق

---

(١) في حاشية الأصل : « أي المروءة والشرف » .
(٢) في حاشية الأصل : « أي مجتمع » .

من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا يصانع في ذلك أحداً ، واكتفى بما يكفيه من الكفاف ، فإن لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء، إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله عز وجل قد ألزمني دفع الدعاء عنه ، فأنهوا شكاتكم إلينا ، فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها ، نأخذ له الحق غير متعتع .

وأمر سعداً بالسير ، وقال : إذا انتهيت إلى زرود [١] فانزل بها ، وتفرقوا فيما حولها ، واندب من حولك منهم ، وانتخب أهل النجدة والرأي والقوة والعدة .

وعن محمد بن سوقة عن رجل قال: مرت السكون مع أول كندة مع حصين ابن نمير السكوني ومعاوية بن حديج في أربعمائة فاعترضهم فإذا فيهم فتية زلم أسناط [٢] مع معاوية بن حديج، فأعرض عنهم ثم أعرض ، ثم أعرض، فقيل له: ما لك ولهؤلاء؟ فقال : إني عنهم لمتردد وما مر بي قوم من العرب أكره إليمنهم ثم أمضاهم فكان بعد يكثر أن يتذاكرهم بالكراهية ، ويتعجب الناس من رأي عمر حين تعقبوه بعد ما كان من أمر الفتنة الذي كان ، فإذا هم رؤوس تلك الفتنة ، فكان منهم من غزا عثمان رحمه الله، وكان منهم رجل يقال له سودان [٣] ابن حمران قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وإذا منهم رجل حليف لهم يقال له خالد بن ملجم [٤] قتل علي بن أبي طالب رحمه الله ، وإذا منهم معاوية بن

---

(١) على طريق الحاج من الكوفة .

(٢) في حاشية الاصل : أي بهم خفة وظرف ، مع قصر وخفة في العوارض . انظر مادتي « زلم وسنط » في القاموس .

(٣) في م « سواد » .

(٤) كذا والمشهور « عبد الرحمن » .

حديج، فنهض في قوم معهم [١] يتبع قتلة عثمان يقتلهم، وإذا منهم قوم يقرون [٢] قتلة عثمان رحمه الله .

وعن سيف عن أشياخه قالوا : وأمد عمر رحمه الله سعداً بعد خروجه بألفي يماني ، وبألف نجدي مرد من غطفان ، وسائر قيس ، فقدم سعد زرود في أول الشتاء فنزلها وتفرقت الجنود فيما حولها في أمواه بني تميم وأسد، وانتظم [٣] اجتماع الناس وأمر عمر ، وانتخب من بني تميم والرباب أربعة آلاف ، ثلاثة آلاف تميمي، وألف ربي وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا على أحد أرضهم من الحزن والبسيطة ، فقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة ، وكان المثنى في ثمانية آلاف من ربيعة ، ستة آلاف من بكر بن وائل وألفان من سائر ربيعة ، أربعة الاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد ، وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقي يوم الجسر ، وكان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة ، وألفان من قضاعة وطيء ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك : على طيء عدي ، وعلى قضاعة عمرو بن وبرة ، وعلى بجيلة جرير بن عبد الله ، فبينا الناس كذلك ، سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى ، والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد ، مات المثنى رحمه الله من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر ، انتقضت به ، فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية ، وسعد يومئذ بزرود ، ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ومع سعد وجوه أهل العراق الذين قدموا على عمر رحمه الله، منهم : فرات بن حيان العجلي وعتيبة ، فردهم مع سعد .

وعن محمد وماهان قالا : فمن أجل ذلك اختلف الناس في عدد أهل

---

(١) في م « منهم » وهو أقرب إلى الصواب .

(٢) في م « يقنون » .

(٣) في م « وانتظر » .

القادسية فمن قال فيهم[١] أربعة آلاف فلمخرجهم مع سعد من المدينة ومن قال ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزرود ، ومن قال تسعة آلاف فللحاق القيسيين ، ومن قال اثنا عشر ألفاً فلدفوفة[٢] بني أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف ، وأمر سعد بالإقدام فأقدم وأنهض إلى العراق ، وجموع الناس بشراف وقدم عليه مع قدومه شراف الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفاً وجميع من قسم عليه في فيء القادسية نحو من ثلاثين ألفاً .

وعن زياد بن حدير قال : كان أهل اليمن ينزعون إلى الشام ، وكانت مضر تنزع إلى العراق ، فقال عمر رحمه الله : أرحامكم أوشج من أرحامنا ، ما بال مضر لا تذكر أسلافها من أهل الشام ؟

وعن محمد بن حذيفة بن اليمان قال : لم يكن أحد من العرب أجرأ على فارس من ربيعة ، فكان المسلمون يسمونهم ربيعة الأسد ، إلى ربيعة الفرس ، وكانت العرب في جاهليتها تسمي فارس الأسد والروم الأسد[٣] .

وعن طلحة وماهان قالا: قال عمر رحمه الله : والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي، لا ذا شرف ولا ذا سطة ،ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم .

وعن الشعبي قال : كان عمر رحمه الله قد كتب إلى سعد مرتحله من زرود أن إبعث الى فرج الهند رجلاً ترضاه ويكون بجباله ويكون رداً لك من شيء إن أتاك من تلك التخوم فبعث إليه المغيرة بن شعبة في خمسمائة فكان بجبال

---

(١) في م « منهم » .

(٢) الدفيف : الدبيب والسير اللين .

(٣) سقطت « والروم الأسد » من م .

الأبلة من أرض العرب ، فأتى غضيّ ونزل على جرير وهو يومئذ هنالك ، فلما نزل سعد بشراف كتب إلى عمر بمنزله ومنزل الناس فيما بين غضي إلى الجبانة ، فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس ، وعرف [1] عليهم وأمر على أجنادهم وعبهم [2] ، ومر رؤساء المسلمين أن يشهدوا ، وقدرهم وهم شهود ، ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية ، واضمم إليك المغيرة في خيله ، واكتب إلي بالذي يستقر عليه أمرهم .

فبعث سعد الى المغيرة فانضم إليه ، وإلى رؤساء القبائل فأتوه ، فقدر الناس وعبأهم بشراف ، فأمر أمراء الأجناد ، وعرف العرفاء ، فعرف على عشرة رجلاً ، كما كانت العرافات أزمان النبي ﷺ ، وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء ، وأمر على الرايات رجالاً من أهل النباهة ، وأمر على الاعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الاسلام ، وولى الحرب رجالاً ، فولى على مقدماتها ومجنباتها وساقتها ومجرداتها وركبانها وطلائعها فلم يفصل إلا عن تعبئة ولم يفصل منها إلا بكتاب عمر وإذنه ، فأما أمراء التعبئة فإنه استعمل زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحوية ، وكان ملك هجر ، قد سوده في الجاهلية ووفده على النبي ﷺ فقدمه ، ففصل بالمقدمات بعد الاذن من شراف حتى ينتهي إلى العذيب واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتم وكان من أصحاب النبي ﷺ ، وكان أحد التسعة الذين قدموا على رسول الله ﷺ فتممهم طلحة بن عبيد الله ، عشرة فكانوا عرافة واستعمل على الميسرة شرحبيل بن السمط بن شرحبيل الكندي ، وكان غلاماً شاباً ، وكان قد قاتل أهل الردة على الردة ، ووفى لله عز وجل فعرف ذلك له ، وكان قد غلب الاشعث على الشرف فيما بين المدينة إلى أن اختطت الكوفة ، وكان أبوه ممن تقدم الى الشام مع أبي عبيدة بن

---

(١) أي قسمهم عشرات على كل عشرة عريف .

(٢) سقطت من م .

الجراح ، وجعل خليفته خالد بن عرفطة ، وجعل عاصم بن عمرو التميمي ثم السعدي على الساقة ، وسواد بن مالك التميمي على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة [١] وعلى الرجل حمال بن مالك الأسدي ، وعلى الركبان عبد الله بن ذي السهمين الخثعمي ، والترجمان هلال الهجري ، والكاتب زياد بن أبي سفيان .

وعن المجالد وعمرو وسعيد بن المرزبان . قالوا : وبعث عمر الأطبة [٢] ، وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النور ، وجعل إليه الاقباض وقسمة الفيء ، وجعل داعيهم ورائدهم سلمان الفارسي ، فكان أمراء التعبئة يلون الامير والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الاعشار ، والذين يلون أمراء الاعشار أصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل .

وقالوا جميعاً : لم يستعن أبو بكر رحمه الله في الردة ، ولا على الأعاجم بمرتد ، واستنفرهم عمر رحمه الله ، ولم يول منهم أحداً .

فلما فرغ سعد من تعبئته وأعد لكل شيء من أمره جماعاً ورأساً ، كتب بذلك إلى عمر ، وكان بين أمر سعد فيما بين كتابه الى عمر بالذي جمع اليه الناس ، وبين رجوع جوابه ، ورحلته من شراف الى القادسية مجيء المعنى بن حارثة وسلمى ابنة خصفة التيمية [٣] ثم اللات الى سعد بوصية المثنى ، وكان قد أوصى بها وأمرهم أن يعجلوها على سعد بزرود ، فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر ، وذلك ان الأزاذمرد بن الأزاذبة بعثه إلى القادسية وقال له : « ادع العرب فأنت على من أجابك ، وكن كما كان آباؤك » .

---

(١) في حاشية الاصل : المجردة هم الذين لا دروع عليهم ، وهم أكثر الذين كان أبو عبيدة عليهم في الفتح ، أو هم من لا أقواس معهم ، والرامية بعدهم .

(٢) في حاشية الأصل : « جمع طبيب » .

(٣) في م « التميمية » .

فلما نزل القادسية كاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة ووعداً ، فلما انتهى إلى المعنى خبره أسرى المعنى من ذي قـــار حتى بيته ، فأتاه ومن معه ، ثم رجع إلى ذي قار ، وخرج منها هو وسلمى إلى سعد بوصية المثنى ورأيه ، فقدموا عليه وهو بشراف ، يذكر فيها أن رأيه لسعد أن لا يقاتل عدوه وعدو المسلمين من أهل فارس إذا اجتمع أمرهم وملأهم في عقر دارهم ، وأن يقاتلوهم على حـــدود أرضهم ، على أدنى حجر من أرض العرب ، وأدنى مدرة من أرض العجم ، فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وإن تكن الأخرى فاؤوا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة لهم عليهم ، فلما انتهى إلى سعد رأي المثنى ووصيته ترحم عليه وأمر المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً وخطب سلمى فتزوجها وبنى بها.

وكان في الأعشار كلها بضعة وسبعون بدرياً ، وثلاثمـــائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك ، وثلاثمـــائة ممن شاهد الفتح ، وسبعمائة من أبناء الصحابة في جميع أحياء العرب .

وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر بمثل رأي المثنى ، وقد كتب إلى أبي عبيدة مع كتاب سعد ، ووصل [1] كتاباهما إليهما وأمر أبا عبيدة في كتابـه بصرف أهل العراق ، وهم ستة آلاف ، ومن اشتهى أن يلحق بهـــم ، وكان كتابه إلى سعد :

أما بعد : فسر من شراف إلى فارس بمن معك من المسلمين ، وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد ، وعلى بلد وإن كان سهـــلاً كؤود لبحوره وفيوضه ، ودأدية [2] إلى أن توافقوا غيضاً من فيض ، فإذا لقيتم القوم أو أحـــداً منهم

---

(١) في م : « ففصل » .

(٢) في م « وذادته » ، ودأداً وتدأداً : أقبل مسرعاً ، وهو من الدئداد : أشـــد عدو البعير . النهاية لابن الاثير .

فابدؤوهم [١] الضرب والشد وإياكم والمناظرة لجوعهم ولا يخدعنكم فإنهم خدعة مكرة ، أمركم غير أمرهـــم إلا أن تجادوهم ، فإذا انتهيت إلى القادسية — والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وهي أجمع تلك الأبواب لما يريد ويريدون ، وهو منزل خصيب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة — فتكون مسالحك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات المدر ، والجراع [٢] بينها ، ثم الزم مكانك فلا تبرحه فإنهم إذا أحسوك [٣] أبغضتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم ، فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم بقتالهم ، ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا ، وليست معهم قلوبهـــم ، وإن تكن الأخرى كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليها أجرأ ، وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن ، وبها أجهل حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة .

وكتب إليه أيضاً باليوم الذي يرتحل فيه من شراف : فإذا كان يوم كـــذا وكذا فارتحل في الناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعـذيب القوادس وشرق بالناس وغرب بهم .

وقدم عليه جواب كتاب عمر رحمه الله .

أما بعد : فتعهد قلبك ، وحادث جندك بالموعظة والنية الحسنة ، ومن غفل فليحدثها والصبر الصبر فإن المعونة تأتي من الله عز وجل على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ، والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله ، وسلوا الله عز وجل العافيـــة ، وأكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،

---

(١) في م : « فابدرهم » .

(٢) في حاشية الاصل : الجراع . الرمال .

(٣) في حاشية الاصل : أحسوك : أي حركتهم .

واكتب إلي أين بلغك جمعهم ، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم فإنه قد منعني الكتاب ببعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه ، والذي استقر عليه أمر عدوكم ، فصف لي منازل المسلمين ، والبلد الذي بينكم وبين المدائن ، صفة كأني أنظر إليها ، واجعلني من أمرهم على الجلية [١] وخف الله وارجه ، ولا تدل بشيء ، واعلم أن الله عز وجل توكل لهذا الأمر بما لا خلق له ، فاحذر أن يصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم .

فكتب إليه سعد بصفة البلدان القادسية بين الخندق والعتيق وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاخ [٢] إلى الحيرة بين طريقين فأما أحدهما فعلى الظهر ، وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الخصوص [٣] يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة ، وإن ما عن يمين القادسية إلى الوجلة فيض من فيوض مياههم ، وإن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي ألب [٤] لأهل فارس قد فعوا [٥] لهم واستعدوا لنا ، وإن الذي أعدوا لمصادمتنا رستم في أمثال له منهم ، فهم يحاولون ابغاضنا [٦] واقحامنا ونحن نحاول ابغاضهم وإبرازهم ، وأمر الله بعد ماض ، وقضاؤه مسلم [٧] إلى ما قدر لنا وعلينا ، فنسأل الله خير القضاء ، وخير القدر في عافية .

فكتب إليه عمر رحمه الله : قد جاءني كتابك وفهمته فأقم بمكانك حتى

---

(١) في م « الجاهلية » وهو تصحيف .

(٢) أي مختلط . القاموس .

(٣) موضع قرب الكوفة . معجم البلدان .

(٤) ألب القوم إليه : أتوه من كل جانب . القاموس .

(٥) أي صاروا كالافعى . وجاء في م « خفوا » .

(٦) في م « انفاضنا » وجاء بحاشية الاصل : « أي تحريكنا » .

(٧) في م « مسلنا » .

يبغض الله لك عدوك ، واعلم أن لها ما بعدها فإن منحك الله أدبارهم ، فـــلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن ، فإنه خرابها إن شاء الله عز وجل .

وجعل عمر رحمه الله يدعو لسعد خاصة وللمسلمين عامة ، ويدعـــون لهم معه .

فتقدم زهرة سعداً حتى عسكر بعذيب الهجانات ، ثم خـرج سعد مقبلاً في أثره حتى ينزل عليه ، وقدمه ، فنزل زهرة القادسية وبين العتيق والخندق بحيال القنطرة وقديس [١] وهي يومئذ أسفل منها بميل .

وكتب عمر رحمه الله إلى سعد : إنه ألقي في روعي أنكم إذا لقيتـم العدو وهزمتموهم ، فاطرحوا الشك وآثروا اليقين عليه ، فمن لاغب [٢] أحداً منكم من العجم بأمان أو قرفه [٣] بإشارة أو بلسان فكان لا يـدري الأعجمي مـــا كلمهم به ، وكان عندهم أماناً ، فأجروا ذلك مجرى الأمان ، وآثروا التقية [٤] والنية على الشك ، وإياكم والمحك ، والوفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية [٥] وإن الخطأ بالغدر الهلكة ، وفيها وهنكم ، وقوة عدوكم ، وذهاب ريحكم ، وإقبـــال ريحهم وإياكم أن تكونوا شيناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم .

وعن كريب بن أبي كرب العكلي ، وكان في المقدمات أيام القادسية ، قال : قدمنا سعد من شراف فنزلنا في عذيب الهجانات ، ثم ارتحل ، فلما نزل علينـا وذلك في وجه الصبح خرج زهرة بن الحوية في المقدمات ، فلما رفع لنا العذيب ، وكانت من مسالحهم استبينا على بروجه ناساً ، فما نشاء أن نرى على برج من بروجه

---

(١) موضع بناحية القادسية . معجم البلدان .

(٢) حرك عينه . القاموس .

(٣) أي داناه وخالطه ـ القاموس ، وفي م « قربه » .

(٤) في م « اليقنة » .

(٥) في م « تقية » .

رجلاً أو بين شرفتين إلا رأيناه، وكنا في سرعان الخيل فأمسكنا حتى تلاحق بنا كثف ، ونحن نرى أن فيها خيلاً ، ثم أقدمنا على العذيب ، فلما دنونا منه خرج منه رجل يركض نحو القادسية ، فانتهينا اليه فدخلناه فإذا ليس فيه أحد ، وإذا ذلك الرجل هو الذي تراءى لنا على البروج ، وهو بين الشرف مكيدة ثم انطلق بخبرنا ، فطلبناه فأعجزنا وسمع بذلك زهرة فاتبعنا فلحق بنا وخلفنا واتبعه ، وقال : إن أفلت الربئي[1] أتاهم الخبر فلحقه بالخندق فطعنه فجدله فيه .

وكان أهل القادسية يتعجبون من شجاعة ذلك الرجل ومن علمه بالحرب لم ير عين قوم قط أثبت ، ولا أربط جأشاً من ذلك الفارس ، لولا بعد غايته لم يلحق به زهرة . ووجد المسلمون في العذيب رماحاً ونشاباً ، وأسفاطاً من جلود وغيرها انتفع المسلمون بها ، ولما أمسى زهرة بن الحوية بعث سرية في جوف الليل وأمرهم بالغارة على الحيرة وأمر عليهم بكير بن عبد الله الليثي وكان فيها الشماخ الشاعر القيسي في ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس ، فساروا حتى جاؤوا السيلحين ، وقطعوا جسرها يريدون الحيرة فسمعوا جلبة وأزفلة ، فأحجموا عن الإقدام وأقاموا لهم كميناً حتى يتبينوا فما زالوا كذلك حتى حاذوا بهم ، فإذا خيول تلك الغوغاء فتركوها فنفذت لطريق الصنين[2] وإذا هم لم يشعروا بهم وإنما ينتظرون ذلك العين لا يريدونهم ولا يأبهون لهم إنما همتهم الصنين وما معهم ، وإذا أخت الأزاذمرد مرزبان الحيرة تزف إلى صاحب الصنين وكان من أشراف العجم فسار معها من يبلغها مخافة ما هو دون الذي لقوا .

فلما انقطعت الخيل عن الزواف والمسلمون كمين في النخل ، وحاذت بهم الأثقال حمل بكير على شيراز بن الأزاذبة وهو بينها وبين الخيل فقصم صلبه ،

---

(١) الربيئة : الطليعة . القاموس .

(٢) جاء في حاشية الاصل : « الصنين موضع بالكوفة » .

وطارت الخيل على وجوهها وأخذوا الأثقال وابنة الأزاذبة في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع ، ومعهم ما لا يدرى ما قيمته ، ثم عاج واستاق ذلك ، فصبح سعد بعذيب الهجانات بما أفاء الله عز وجل على المسلمين ، فكبروا تكبيرة شديدة ، فقال سعد : أقسم بالله لقد كبروا تكبيرة قوم لقد عرفت فيه العز ، فقسم ذلك سعد على المسلمين ، ونفل من الخمس ، وأعطى المجاهدين بقيته ، فوقع منهم موقعاً ، ووضع سعد بالعذيب خيلاً تحوط الحريم ، وانضم اليها حاطة كل حريم ، وأمر عليهم غالب بن عبد الله الليثي ، ونزل سعد بالقادسية ، فنزل في قديس ، ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم ، وفي ذلك يقول أبو مفزر :

نزلنا بأحساء العذيب ولم يكن لنا همة إلا اغتيال[1] المنازل
لنحوي أرضاً أو نناهب غارة يصيخ لها ما بين بصرى وبابل

وكتب سعد إلى عمر رحمه الله : إني قد نزلت القوادس فلم نجد بإزائنا أحداً إلا الأزاذمرد بن الأزاذبة مقيماً بالحيرة ، بيننا وبينه مرحلة بعيدة ، فنزلنا عيالاتنا وراءنا بيننا وبين البيضة ، وتنزلنا[2] الطين وخلفنا الجراع[3] وما رأينا[4] الأزاذمرد بن الأزاذبة ، وقد قتل الله أخاه بقرية يقال لها السيلحين ، وولى الله ذلك بكير بن عبد الله في سرية فلقيه يزف أخته ، وأنا مقيم بالقادسية على أمرك ، ولم يبلغني عن أحد تهيأ لنا ، ومنزلنا خصيب الجناب ، ونحن ننتصف فيه من عدو إن نزل بنا في الخصيب ننال من ذلك أفضل الذي نريد ، وهو يوم كتبت إليك مباح لنا ، لا يدفعوننا عنه إلا بالاعتصام بمعاقلهم ، ولن

---

(١) في حاشية الاصل ما يفيد أنه ورد في نسخة أخرى « اعتساف » .
(٢) في م « ونزلنا » .
(٣) في حاشية الأصل : « أي الرمال » .
(٤) في م « وبإزائنا » .

يزال عندك منا كتاب بما يحدث، فأقام بها شهراً ثم كتب بمثلها إلى عمر رحمه الله: نحن وعدونا على ما كنت كتبت إليك، ولم يوجهوا الينا أحداً علمناه، ولم يسندوا حرباً إلى أحد علمناه، ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به، فاستنصروا الله لنا فإنا بمحناة [١] دنيا عريضة، دونها بأس شديد، قد تقدم الينا في الدعاء اليهم وقال تعالى: ﴿ ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد ﴾ [٢].

وبعث سعد في مقامه ذلك إلى أسفل الفرات عاصم بن عمرو، فسار حتى أتى ميسان فطلب غنماً وبقراً فلم يقدر عليها، وتحصنوا منه في الأفدان، ووغلوا في الآجام، فضرب حتى أصاب رجلاً على طف أجمة، فسأله واستدله على البقر والغنم، فحلف له، وقال: ما أعلم، وإذا هو راعي ما في تلك الأجمة، فصاح منها ثور كذب والله، وها نحن أولاء، فدخل فاستاق الثيران، وأتى بها العسكر، فقسم ذلك سعد على الناس، وأخصبوا أياماً، وبلغ ذلك الحجاج في زمانه فأرسل إلى نفر ممن شهدها: أحدهم نذير بن عمرو، والوليد بن عبد شمس، وزاهر، فسألهم وقالوا: نعم! نحن سمعنا ذلك ورأيناه، واستقناها، فقال: كذبتم، فقالوا: كذلك إن كنت شهدتها وغبنا عنها، فقال: صدقتم، فما كان الناس يقولون في ذلك؟ قالوا: آية تبشير يستدل بها على رضى الله تعالى، وفتح عدونا، فقال: والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء، قال: والله ما ندري ما أجنت [٣] قلوبهم، فأما ما رأينا فإنا لم نر قوماً قط أزهد في دنيا منهم، ولا أشد لها بغضاً ما أعتد على رجل منهم في اليوم [٤] بواحدة من ثلاث:

---

(١) أي محنة.

(٢) سورة الفتح - الآية: ١٦.

(٣) في م «أخفت».

(٤) في م «في ذلك اليوم».

لا يجبن ، ولا بغدر ، ولا بغلول ، وكان هذا اليوم يوم الأباقر ، وفي ذلك يقول عاصم بن عمرو :

وما دل قوماً قبلنا ثور حجرة ودون الذي يخشى أباة وسامر
فلم أر يوماً كان أهنى غنيمة وأعجب منه والدهور عبائر

وبث الغارات فيما بين كسكر والأنبار فحووا من الأطعمة ما كانوا يكتفون به زماناً ، وبعث سعد عيوناً إلى أهل الحيرة ، وإلى صلوبا ليعلموا له خبر فارس ، فرجعوا اليه بالخبر بأن الملك قد ولى رستم بن الفرخزاذ الأرمني حربه وأمره بالعسكرة ، فكتب بذلك إلى عمر رحمه الله ، فكتب اليه عمر لا يكرثنك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث اليهم رجالاً من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونهم ، فإن الله عز وجل جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وفلجاً عليهم ، واكتب إلي في كل يوم ، فكان سعد يكتب اليه في كل يوم ، ولما عسكر رستم بساباط كتبوا بذلك إلى عمر رحمه الله .

وعن قيس بن أبي حازم ، وابن سيرين قالا : لما بلغ فصول رستم إلى ساباط فأقام بها في عسكره لاجتماع الناس ، كتب اليه سعد : إن رستماً ضرب عسكره بساباط دون المدائن ، وزحف نحونا بالخيول والفيول ، وزهاء فارس ، فليس شيء أهم إلي ، ولا أنا له أكثر ذكراً مني لما أحببت أن أكون عليه ، ونستعين بالله ، ونتوكل عليه ، وقد بعثت فلاناً وفلاناً وهم كما وصفت ، وكان سعد رحمه الله حين جاء أمر عمر رضي الله عنه جمع نفراً عليهم نجار ، ولهم آراء ، ونفراً لهم منظر وعليهم مهابة ، فأما الذين عليهم نجار ، ولهم آراء ، ولهم اجتهاد : فالنعمان بن مقرن ، وبسر بن أبي رهم وحملة بن جؤية الكناني ، وحنظلة بن الربيع التميمي ، وفرات بن حيان العجلي ، وعدي بن سهيل ، والمغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب ، وأما من لهم منظر لأجسامهم ، وعليهم

مهابة ، ولهم آراء : فعطارد بن حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسان ، وعاصم بن عمرو ، وعمرو بن معديكرب ، والمغيرة بن شعبة ، والمعنى بن حارثة فبعثهم دعاة إلى الملك ، فخرجوا من العسكر حتى قدموا المدائن احتجاجاً ، ودعاة ليزدجرد ، فطووا رستم حتى انتهوا إلى باب يزدجرد، فوقفوا على خيول عراب معهم جنائب وكلها صهال فاستأذنوا فحبسوا وبعث يزدجرد إلى وزرائه ، ووجوه أرضه ليستشيرهم فيما يصنع بهم ، ويقول لهم ، ويسمع بهم الناس فحضروهم ينظرون اليهم ، وعليهم المقطعات والبرود وفي أيديهم سياط رقاق ، وفي أرجلهم النعال ، فلما اجتمع رأيهم أذن لهم ، فأدخلوا عليه .

وعن بعض سبايا القادسية ممن حسن إسلامه ، وحضر هذا اليوم ، قال : لما كان هذا اليوم الذي قدم فيه وفود العرب ثاب إليهم الناس ينظرون إليهم ، فلم أر عشرة قط يعدلون في الهيئة بألف غيرهم ، وخيلهم تخبط ويوعد بعضها بعضاً ، وجعل أهل فارس يسوؤهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم ، فلما دخلوا على يزدجرد أمرهم بالجلوس ، وكان سيء الأدب .

فكان أول شيء دار بينه وبينهم أن أمر الترجمان بينه وبينهم ، فقال : سلهم ما يسمون هذه الأردية ، فسأل النعمان ، وكان على الوفد : ما تسمي رداءك ؟ قال : البرد ، قال : فتطير وقال بردجهار ، وتغيرت ألوان فارس ، وشق ذلك عليهم ، ثم قال : سلهم عن أحذيتهم فقال : ما تسمون هذه الأحذية؟ قال : النعال ، فعاد لمثلها فقال : ثاله ثاله في أرضنا ، ثم سأله عن الذي في يده ، فقال : سوط ، والسوط بالفارسية الحريق ، فقال : أحرقوا فارس أحرقهم الله ، وكان تطيره على أهل فارس ، وكانوا يحذون (٢) من كلامه .

---

(١) في م « عورات » .

(٢) الحذاء الذي يتكهن ليخبر بما سيكون .

ثم قال الملك : سلهم ما جاء بكم، وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا، أومن أجل أن اجمعناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أجبت عنكم ، ومن شاء آوته ، قالوا : بل تكلم ، وقالوا للملك : كلام هذا الرجل كلامنا ، فتكلم النعمان ، فقال : إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين ، فرقة تقاربه ، وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث .

ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب ، ويبدأ بهم [1] ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين ، مكره عليه فاغتبط ، وطائع أتاه فازداد ، فعرفنا جميعاً فضل ما جاءنا به على ما كنا عليه من العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم ، فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسّن الحسن وقبّح القبيح فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه ، الجزي ، فإن أبيتم فالمناجزة ، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم ، وإلا قاتلناكم .

قال : فتكلم يزدجرد ، فقال : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين ، منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا كم لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، وإن كان عدد لحق فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم ، وأكرمنا وجوهكم ، وكسوناكم ، وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم ، فأسكت القوم .

---

(١) في حاشية الأصل : أي فيقاتلهم قبل العجم .

فقام المغيرة بن زرارة بن النباش الأسدي ، فقال : أيها الملك ، إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، ويفخم الأشراف الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ، فجاوبني لأكون الذي أبلغك ، ويشهدون على ذلك .

إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً ، فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أحد أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فإن جوعنا لم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ، فنرى ذلك طعاماً ، وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل ، وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، ويغير بعضنا على بعض ، فإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهة أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك .

وبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده ، فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا ، وقبيلته خير قبيلنا وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأجلنا ، فدعانا الى أمر فلم يجبه أحد ، أول من ترب [1] كان له كان الخليفة من بعده . فقال وقلنا وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً إلا كان . فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه فصار فيما بيننا وبين رب العالمين فما قال لنا فمن قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله . فقال لنا : إن ربكم يقول: إني أنا الله وحدي لا شريك لي كنت اذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء وإلي

(١) الترب من ولد معك . القاموس .

يصير كل شيء، فإن رحمتي أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأحلكم داري دار السلام .

فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الله ، وقال : من تابعكم على هذا فله ما لكم ، وعليه ما عليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوهم مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبى فقاتلوه ، فأما الحكم بينكم ، فمن قتل منكم أدخلته جنتي ، ومن بقي منكم أعقبته بنصر على من ناوأه . فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجي نفسك .

فقال : أتستقبلني بمثل هذا ؟ فقال : ما استقبلت إلا من كلمني ، ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به ، فقال : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ، وقال : ائتوني بوقر من تراب ، وقال : احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن ، ارجعوا إلى صاحبكم وأعلموه أني مرسل إليه رستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية ، وينكل به وبكم من بعد [١] ، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور .

ثم قال : من أشرفكم ؟ فسكت القوم ، فقال عاصم بن عمرو — واقتاف [٢] ليأخذ التراب : أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء ، فحملنيه ، قال : أكذلك؟ قالوا: نعم ، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله [٣] عليها ، ثم انحدر [٤] في السير فباتوا بسعد ، وسبقهم عاصم فمر بباب قديس فطواه ،

---

(١) في م « ومتكل به وبكم من بعدكم » .
(٢) في الطبري : ٣ / ٥٠١ « وافتات » .
(٣) في م « فحملوه » .
(٤) في م « انجذب » .

وقال : بشروا الأمير بالظفر ، ظفرنا إن شاء الله تعالى : ثم مضى حتى جعل التراب في الحجر ، ثم رجع فدخل على سعد فأخبره الخبر فقال : أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم ، وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون في كل يوم قوة ويزداد عدوهم في كل يوم وهناً .

واشتد ما صنع المسلمون وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك ، وراح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عما كان من أمره وأمرهم وكيف رآهم ؟ فقال الملك : ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علي ، والله ما أنتم بأعقل منهم ، ولا أحسن جواباً منهم ، وأخبره بكلام متكلمهم ، لقد صدقني القوم ، لقد وجد [١] القوم أمراً ليدركنه أو ليموتن عليه ، على أني وجدت أفضلهم أحمقهم لما ذكروا الجزية أعطيته تراباً يحمله على رأسه ، فخرج به ولو شاء اتقى بغيره ، وأنا لا أعلم ، قال أيها الملك : فإنه أعقلهم وتطير إلى ذلك وأبصرها دون أصحابه .

وخرج رستم من عنده كئيباً غضبان ، وكان منجماً كاهناً ، فبعث في أثر الوفد فقال لبعثه : إن أدركهم الرسول تلافينا أرضنا وإن أعجزوه سلبكم الله أرضكم وأبناءكم ، فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم ، فقال : ذهب القوم بأرضكم غير ذي شك ، ما كان من شأن ابن الحجامة والملك ، ذهب القوم بمفاتيح أرضنا فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظاً .

وأغار ـ بعدما خرج الوفد إلى يزدجرد إلى أن جاؤوا ـ سواد بن مالك التميمي إلى النجاف والفراض إلى جنبها ، فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور فأوقروها سمكاً ، واستاقوها فصبحوا العسكر ، فقسم السمك بين الناس سعد ، وقسم الدواب ، ونفل الخمس إلا ما رد على المجاهدين منه وأسهم على السبي ، وهذا يوم الحيتان ، وقد كان الأزدمرد بن الأزاذبة خرج في الطلب ،

---

(١) في م « وعد » .

فعطف عليه سواد وفوارس معه ، فقاتلهم على قنطرة السيلحين حتى عرفوا أن قد نجت الغنيمة، ثم اتبعوها حتى أبلغوها المسلمين ، وكانوا إنما يقرمون [١] الى اللحم وأما الحنطة والشعير والتمر فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا بـه لو أقاموا زماناً ، فكانت السرايا إنما تسري للحوم ويسمون أيامها بهـا ، ومن أيام اللحم يوم الأباقـر ، ويوم الحيتان ، وقال في ذلك أميـة بن زرارة ابن حبيب .

وأرغد أهـله عمداً سواد بعيد الطعن والضرب المنيم
وأطعم لحم ساهرة وبحـر وما فاهوا بـه لهم مقيم

وبعث مالك بن ربيعة بن خالد التيمي تيم الرباب ، ثم الوائلي ومعه المساور ابن النعمان التيمي ثم الربيعي في سرية أخرى فأغاروا على الفيوم [٢] فأصابوا إبلاً لبني تغلب والنمر فشلاها [٣] ومن فيها،فقدوا[٤]بهاعلىسعد فنحرت الإبل في الناس ، وأخصب الناس وقال مالك بن ربيعة :

نحن شللناها يجنب الطف
حتى خلطناهم بهدم الجف
نلحمهم فعل الأسود الحقف

وكتب عمر رحمه الله الى سعد : أخـبرني عن الناس وبلائهم ، أتفاضلت القبائل فيه أو خرجوا على السواء ؟ فكتب إليه إن القبائل لم تزل الى أن كتبت اليك متساويةمتواسية في كلغارة ومناهبة،في جمع ما أعدوا وقسم ما ناهبوا،ولم يفترقوا إلا في ثلاث : لما نزلنا بلاد القوم وعسكرنا بالقادسية قرمت [٥] العرب

(١) قرم اشتهى واشتاق .
(٢) موضع قرب هيت بالعراق ، معجم البلدان .
(٣) في حاشية الأصل : أي مالك والمساور ولم يعتبر من معهما إذ كانوا أتباعاً لهما .
(٤) في حاشية الأصل : أي هما ومن معهما .
(٥) في حاشية الأصل : أي رموا اللبن .

الى طعامهم وعيموا [١] الى شرابهم ، فانتدب لهم من مضر عاصم بن عمرو ، وسواد بن مالك، ومالك بن ربيعة ، والمساور بن النعمان، وغالب بن عبد الله، وعبيد الله بن وهب ، وعبـــد الله بن عمير الأشجعي ، وعمرو بن الهذيل الأسدي ، وعمرو بن ربيعة والحارث بن ذي البردين ، فألحموا الناس وألبنوهم حتى تفرغوا لحربهم .

وانتدب من ربيعة عبد الله بن عامر بن حجية، وعبد الله بن الجوال، وأبجر ابن جابر ، وخالد بن المعمر ، وعائذ بن أبي مرضية ، وكعب بن مالك وعباد ابن الأزمع ، ويزيد بن مسهر ، فأنكحوا الناس وأخدموهم بنـــات فارس وبنيهم ، فرغبوا في حربهم ، وانتدب من أهل اليمن خولي بن عمرو والحارث ابن الحارث، وعمرو بن خوثمة، والقاسم بن عقيل وحميضة بن النعمان، ومضرس ابن ضمير ، وجبلة بن حسان ، والحارث بن خالد ، فحمـــلوا الناس وودعوا الخيل العراب على خيول وبغال وحمير .

وكان بين قدوم خالد العراق ، ونزول سعد القادسية سنتان وشيء ، وكان مقام سعد بها شهرين حتى ظفر .

وكان من حديث فارس والعرب بعد البويب أن الانوشجان بن الهربذ خرج من سواد البصرة يريد أهل غضيّ ، فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم ، وهم بإزائهم : المستورد وهو على الرباب، وعبد الله بن زيد تسانده الرئاب [٢] بينهما ، وجزء بن معاوية ، وابن النابغة يسانده سعد [٢] بينهما والحصين بن نيـــار والاعور بن بشامة يسانده على عمرو [٢] والحصين بن معبد والمثعبة على حنظلة [٢] ،

---

(١) في حاشية الأصل : أي عطشوا .

(٢) كتب إلى جانبها بالأصل « قبيلة » .

فقتلوه [١] دونهم [٢] ، وقدم سعد فانضموا اليه هم وأهل غضيّ وجميع تلك الفرق .

سيف عن محمد وطلحة وعمرو باسنادهم قالوا : وعج أهل السواد الى يزدجرد بن شهريار وأرسلوا اليه ان العرب قد نزلوا بالقادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب ، وإن فعل العرب منذ نزلوا القادسية لا يبقى عليه شيء ، وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات ، فليس بها هنالك أنيس إلا في الحصون ، وقد ذهبت الدواب ، وكل شيء لم تحتمله الحصون من الأطعمة ، ولم يبق إلا أن يستنزلونا ، فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا ، وكتب اليه بذلك الملوك الذين لهم الضياع بالطف ، وأعانوهم عليه ، وهيجوه على بعثه رستم .

ولما بدا ليزدجرد أن يرسل رستم أرسل اليه ، فدخل عليه فقال: إني أريد أن أوجهك في هذا الوجه ، وإنما يعد للأمور على قدرها ، وأنت رجل أهل فارس اليوم ، وأنت لها ، وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولي آل أزدشير ، فأراه أن قد قبل منه وأثنى عليه ، فقال له الملك : قد أحببت أن انظر فيما لديك لأعلم ما عندك ، فصف لي العرب وفعلهم مذ نزلوا القادسية ، وصف لي العجم وما يلقون منهم .

فقال رستم : صفة ذئاب صادفت غرة من رعاء فأفسدت ، فقال ليس كذلك ، إنما سألتك رجاء أن تعرف صفتهم فأقويك لتعمل على قدر ذلك ، فلم تصب ، فافهم عني إنما مثلهم ومثل آل فارس ، كمثل عقاب أوفى على رأس جبل يأوي اليه الطير بالليل فتبيت في سفحه في أوكارها ، فلما أصبحت تجلت الطير فأبصرته يرمقها ، فإن شذ منها شيء اختطفه ، فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته ، وجعلت كلما شذ منها شيء انقض عليه فاختطفه ، فلو نهضت

---

(١) في حاشية الأصل : أي الأربعة .

(٢) في حاشية الأصل : أي دون من كان معهم .

نهضة واحدة ردته وأشد شيء يكون في ذلك أن تنجو كلها إلا واحداً ، وإن اختلفوا لم تنهض فرقة إلا هلكت ، فهذا مثلهم ومثل الأعاجم فاعمـــل على قدر ذلك .

فقال له رستم : أيها الملك دعني فإن العرب لا تزال تهاب العجـــم ما لم تضربهم بي ، ولعل دولة تكون فيما بين غزوتي وبينهم ، فيكون الله قد كفى ونكون قد أصبنا المكيدة ورأي الحرب ، فإن الرأي فيها والكيـــد أنفع من بعض الظفر ، فأبى عليه ، وقال : أي شيء بقي ؟

فقال له رستم : إن الأناة في الحرب خير من العجلة ، وللأناة اليوم موضع ، وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشد على عدونا ، فلج وأبى فخرج حتى ضرب عسكره بساباط ، وجعل يختلف إلى الملك ليرى موضعاً لإعفائه ، وبعثة غيره .

وتجمع اليه الناس ، وجاءت العيون الى سعد بذلك من قبل الحيرة ، وبني صلوبا ، وكتب بذلك إلى عمر رحمه الله ، ولما كثرت الاستغاثة من أهل السواد على يزدجرد على يدي الأزاذمرد بن الأزاذبة جشمت نفسه وانتقى الحرب برستم ، وترك الحرب [١] وكان ضيقاً لجوجاً ، فاستحث رستماً فأعاد عليه رستم كلامه ، وقال : أيها الملك إن هزيمتي لهم دونكم لها ما بعدها ، وعليكم دونهم ما بعدها ، ولقد اضطرني تضييع الرأي إعظام نفسي وتزكيتها ، ولو أجد من ذلك بداً لم أتكلم به ، فأنشدك الله في نفسك وأهلك وملكك دعني أقم بمعسكري ، وأسرح الجالنوس ، فإن يكن لنا فذلك ، وإلا فأنا على رجل وأبعث غيره حتى إذا لم تجد بداً ولا حيلة صرنا [٢] لهم وقد وهناهم وخسرناهم ونحن جـــامون موفورون ، فأبى إلا أن يسير .

---

(١) في م « الرأي » .

(٢) في م « صبرنا » .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : لما نزل رستم بساباط ، وجمع أداة الحرب وآلتها ، بعث على[١] مقدمته الجالنوس في أربعين ألفاً ، وقال : ازحف زحفاً ، ولا تنجذب إلا بأمري ، واستعمل على ميمنته الهرمزان ، وعلى ميسرته مهران ابن بهرام الرازي ، وعلى ساقته البيرزان وقال رستم يشجع[٢] الملك : إن فتح الله علينا هؤلاء القوم فهو وجهنا إلى ملكهم في داره حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم ، إلا أن يقبلوا المسالمة ويرضوا بما كانوا يرضون به .

فلما قدمت وفود سعد على الملك ورجعوا من عنده رأى رستم فيما يرى النائم رؤيا فكرهها وأحس بالشر ، وكره لها الخروج ولقاء القوم ، واختلف عليه رأيه ، واضطرب وسأل الملك أن يمضي الجالنوس ، ويقيم حتى ينظر ما يصنعون ، وقال : إن غناء الجالنوس كغنائي ، وإن كان اسمي أشد عليهم من اسمه ، فإن ظفر فهو الذي تريد ، وإن تكن الأخرى وجهنا مثله ودفعنا هؤلاء القوم الى يوم ما فإني لا أزال مرجواً في آل فارس ما لم أهزم ينشطون ، ولا أزال مهيباً في صدور العرب ، ولا يزالون يهابون الاقدام ما لم أباشرهم فإن باشرتهم اجترؤوا آخر دهرهم ، وانكسر أهل فارس آخر دهرهم ، فبعث مقدمته أربعين ألفاً ، وخرج في ستين ألفاً وساقته في عشرين ألفاً .

سيف عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم ، قالوا : خرج رستم في عشرين ومائة ألف كلهم متبوع ، فكانوا بأتباعهم أكثر من مائتي ألف ، وخرج من المدائن في ستين ألفاً .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رستماً زحف لسعد وهو بالقادسية في ستين ألف متبوع .

---

(١) زيدت « على » من م .

(٢) في م « ليشجع » .

وعن الزهري مثله .

وعن محمد وطلحة وزياد وعمرو قالوا : لما أبى الملك إلا أن يسير رستم ، كتب رستم الى أخيه والى رؤوس بلاده : من رستم إلى [١] البندوان مرزبان الباب وسهم أهل فارس الذي كان لكل كون يكون ، فيفض الله به كل جند عظيم شديد ، ويفتح الله كل حصن منيع ، ومن يليـــه ، فرموا حصونكم ، وأعدوا واستعدوا فكأنكم بالعرب قد وردوا بلادكم ، وقارعوكم على أرضكم وأبنائكم ، وكان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود [سعودهم [٢]] نحوساً ، فأبى الملك .

وعن غيرهم أن يزدجرد لما أمر رستمـــاً بالخروج من ساباط ، كتب الى أخيه بنحو من الكتاب الأول وزاد فيه : فإن السمكة قد كدرت الماء ، وإن النعائم قد حسنت ، وحسنت الزهرة ، واعتدل الميزان ، وذهب بهرام ، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا ، ويستولون على ما يلينا ، وإن أشد ما رأيت أن الملك قال : لتسيرن اليهم أو لأسيرن اليهـــم بنفسي ، وأنا سائر إليهم .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : كان الذي جرأ يزدجرد على ارسال رستم غلام جابان منجم كسرى وكان من أهل فرات بادقلي ، فأرسل اليه فقال : ما ترى في مسير رستم وحرب العرب اليوم ، فخافه على الصدق فكذبه ، وكان رستم يعلم نحواً من علمه فثقل عليه مسيره لعلمه وخف على الملك لما غره منه ، وقال : إني أحب أن تخبرني بشيء أراه أطمئن به إلى قولك ، فقال الغلام لدرنا الهندي : سلني ، فقال : فسأله ، فقال : أيها الملك يقبل طائر فيقع على ايوانك فيقع منه شيء في فيه ها هنا ، وخط دارة ، وقال العبد : صدق والطـــائر

---

(١) في الأصل « ابن » وهو تصحيف قوم من نسخة م . انظر الطبري : ٣ / ٥٠٥ .

(٢) زيد ما بين الحاصرتين من حاشية الأصل ومن الطبري : ٣ / ٥٠٦ .

غراب ، والذي في فيه درهم ، فيقع منه على هذا المكان ، وبلـــغ جابان أن الملك طلبه فأقبل حتى دخل عليه ، فسأله عما قال غلامـــه فحسب ، فقال : صدق ولم يصب هو عقعق ، والذي في فيه درهم ، فيقع منه على هذا المكان ، وكذب درنا ، يندر الدرهم من ها هنا فيستقر ها هنا ، ودور دارة أخرى، فما قاموا حتى وقع على الشرفات عقعق ، فسقط منه درهـم في الخط الأول فنزا فاستقر في الخط الآخر ، ونافر الهندي جابان حيث خطأه فأتيا ببقرة تتوج فقال الهندي : سخلتها غراء سوداء ، فقال جابان : كذبت بل سوداء صبغاً ، فنحرت البقرة فإذا ذنبها أبيض بين عينيهـــا ، فقال جابان : من ها هنا أتي وشجعاه على اخراج رستم فأمضاه وكتب جابان إلى جستشماه : إن أهل فارس قد نزل [١] أمرهم وأديل عليهم ، وذهب ملك المجوسية وأقبـــل ملك العرب وأديل دينهم ، فاعتقد منهم الذمة ، ولا تخالجنك الأمور والعجل العجل قبل أن تؤخره [٢] ، فلما دفع الكتاب اليهم ، خرج جستشماه اليهم حتى أتى المعنى وهو في خيل بالعتيق [٣] ، فأرسل به إلى سعد فاعتقد منه على نفسه وأهـــل بيته ، ومن استجاب له ورده ، وكان صاحب أخبـــارهم وأهدى للمعنى فالوذق ، فقال لامرأته : ما هذا ؟ فقالت : أظن البائسة امرأتـــه أراغت العصيدة فأخطأتها ، فقال المعنى : بؤساً لها .

وقالوا : لما فصل رستم عن ساباط لقيه جابان على القنطرة فشكا إليـــه وقال : ألا ترى ما أرى ؟ فقال له رستم : أما أنا فإني أقاد بخشاش [٤] وزمـــام ولا بد من الانقياد ، وقد أمر الجالنوس بالتقدم إلى الحيرة ، فمضى الجالنوس واضطرب عسكره بالنجف . وخـــرج رستم حتى ينزل بكوثى وكتب إلى

---

(١) في م « زال » .

(٢) في م « تؤخذ » .

(٣) موضع على مقربة من بغداد . معجم البلدان .

(٤) الخشاش : ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب . القاموس .

الجالنوس والأزاذمرد أن أصيبا لي رجلاً من العرب من جند سعـــد فركبا بأنفسهما طليعة فأصابا رجلاً ، فبعثا بـه إليه وهو بكوثى فاستخبره ثم قتله .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : لما فصل رستم وأمر الجالنوس بالتقدم إلى الحيرة ، أمره أن يصيب له رجلاً من العرب ، فخرج هو والأزاذمرد في مائة ، سرية ، حتى انتهيا إلى القادسية فأصابا رجلاً دون قنطرة القادسية ، فاختطفاه ونفر الناس ، فأعجزهم[1] إلا ما أصاب المسلمون في أخرياتهم . فلما انتهيا إلى النجف ، سرحا به إلى رستم وهو بكوثى . فقال له رستم : مـاذا جاء بكم وماذا تطلبون ؟ قال : جئنا نطلب موعود الله عز وجل ، قال : وما موعود الله؟ قال : أرضكم وأبناؤكم ودماؤكم إن أنتم أبيتم أن تسلموا ، قال رستم : فإن قتلتم قبل ذلك ؟ قال : في موعـود الله عز وجل من قتل منا قبل ذلك أدخله الله الجنة وأنجز لمن بقي منا ما قلت لك ، فنحن من ذلك على اليقين . فقـال له رستم : قد وضعنا إذاً في أيديكم ! فقال : ويحك يا رستم إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها ، فلا يغرنك ما ترى حولك فإنك لست تحـاول الإنس إنما تحاول القضاء والقدر ، فاستشاط فأمر به فضربت عنقه رحمه الله .

وخرج رستم من كوثى حتى ينزل ببرس[2] فنصب أصحابه الناس أموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور ، فجنح العلوج إلى رستم ، وشكوا إليـــه ما يلقون في أموالهم وأبنائهم فقام فيهم ، فقال : يا معشر أهل فارس والله لقد صدق العربي . والله ما أسلمتنا إلا أعمالنا ، والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حرب ، أحسن سيرة منكم . إن الله عز وجل كان ينصركم على العدو ، ويمكن لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم ، والوفاء بالعهود والاحسان فأمـا إذ

---

(١) في م « فأعجزوهم » .

(٢) موضع بأرض بابل . معجم البلدان .

تحولتم عن ذلك إلى هذه الأعمال ، فلا أرى الله عز وجل إلا مغيراً ما بكم ، وما أنا بآمن أن ينزع الله سلطانه منكم ، وبعث الرجال فلقطوا له بعض من يشكى فأتي بنفر من أهل فارس فضرب أعناقهم ، ثم ركب ونادى في الناس بالرحيل : فخرج بحيال دير الأعور ، ثم انصب على الملطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف ، بحيال الخورنق إلى الغريين مما يلي الفرات ، ودعا بأهل الحيرة فأوعدهم وهم بهم . فقال له ابن بقيلة : لا تجمع علينا اثنتين أن تعجز عن نصرتنا ، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا ، فسكت.

وعن الشعبي وابن ذي مدار المشرقي قالا : دعا رستم أهل الحيرة وسرادقه إلى جنب الدير . فقال : يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا ، وكنتم عيوناً لهم علينا وقويتموهم بالأموال ، فانتقوا ابن بقيلة ، وقالوا له : كن أنت الذي تكلمه ، فتقدم فقال : أما قولك بأنا فرحنا بمجيئهم ، فوالله ما فرحنا بمجيئهم وبأي ذلك من أمرهم نفرح ، إنهم يزعمون أنا عبيد لهم وما هم على ديننا وإنهم ليشهدون علينا أنا من أهل النار ، وأما قولك إنا كنا عيوناً لهم ، وقد هرب أصحابكم منهم ، وخلوا لهم القرى فليس يمنعهم أحد من وجه إن أرادوه ، إن شاؤوا أخذوا يميناً وشمالاً . وأما قولك إنا قويناهم بالأموال فإنا صانعناهم عن أنفسنا إذ لم تمنعونا مخافة أن نسبى ونحرب ، وتقتل مقاتلتنا ، وقد عجز عنهم من لقيهم منكم ، فكنا نحن أعجز عنهم ، ولعمري أنتم أحب إلينا منهم وأحسن عندنا بلاء فامنعونا منهم نكن لكم ، فإنما نحن بمنزلة علوج السواد عبيد من غلبنا ، فقال لهم رستم : صدقكم الرجل .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : رأى رستم بالدير أن ملكاً جاء حتى يدخل عسكر فارس فختم السلاح أجمع .

وعن سيف عن محمد وأصحابه والنضر معهم بإسنادهم قالوا : ولما اطمأن

رستم أمر الجالنوس أن يسير من النجف، فسار في المقدمات فنزل فيما بين النجف والسيلحين ، وارتحل رستم فنزل النجف وكان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بساباط ، وزحفه منها ، إلى أن لقي سعداً أربعة أشهر ، لا يقدم ولا يقاتل رجاء أن يضجروا بمكانهم ، وأن يجهدوا فينصرفوا ، فكره قتالهم مخافة أن يلقى ما لقي من قبله ، وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله ، وينهضه ، ويقدمه حتى أقحمه . فلما نزل رستم النجف عادت عليه الرؤيا ، فرأى ذلك الملك ومعه النبي ﷺ وعمر رضي الله عنه ، فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ، ثم دفعه إلى النبي ﷺ ، فدفعه النبي ﷺ إلى عمر ، فأصبح رستم فازداد حزناً . فلما رأى الرفيل ذلك رغب في الإسلام ، فكانت داعيته إلى الإسلام وعرف عمر رحمه الله أن القوم سيطاولونهم ، فعهد إلى سعد والمسلمين أن ينزلوا على حدود أرضهم وأن يطاولوهم أبداً حتى ينفضوهم ، فنزلوا القادسية وقد وطنوا أنفسهم على الصبر والمطاولة وأبى الله إلا أن يتم نوره . وإذا أراد الله أمراً أصابه ، فأقاموا واطمأنوا فكانوا يغيرون على السواد فانتسفوا مايليهم فحووه ، وأعدوا للمطاولة وعلى ذلك جاؤوا ، أو يفتح الله عليهم . وكان عمر رحمه الله يمدهم بالاسواق إلى ما يصيبون، فلما رأى الملك ذلك ورستم، وعرفوا حالهم وبلغهم عنهم علموا أن القوم غير منتهين ، وأنهم إن أقام لم يتركوه، رأى أن يشخص رستم ورأى رستم أن ينزل بينهم وبين العتيق ، ثم يطاولهم مع المنازلة ، ورأى أن ذلك أمثل ما هم عاملون حتى يصيبوا من الإحجام حاجتهم أو تدور لهم سعود .

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : وجعلت السرايا تطوف ورستم بالنجف والجالنوس بين النجف والسيلحين ، وذو الحاجب بين رستم والجالنوس ، والهرمزان ومهران على مجنبتيه ، والفيرزان على ساقته ، وزاذ بن بهيش صاحب فرات سريا على الرجالة ، وكناذي على المجردة ، وكان جنده عشرين ومائة

ألف ، ستين ألف تبوع مع الرجـــل الشاكري ومن الستين ألفاً خمسة عشر ألف شريف متبوع مسلسلين متقارنين لتدور عليهم رحى الحرب .

وعنهم عن موسى بن طريف قال : قال الناس لسعد : قـد ضاق بنا المكان فأقدم ، فزجر من كلمه بذلك وقال: إذا كفيتم الرأي فلا تكلفوا فإنا لن نقدم إلا على رأي ذوي الرأي فاسكتوا ما سكتنا عنكم . وبعث طليحة وعمرو بن معديكرب في غير خيل كالطليعة ، وخرج سواد وحميضة في مائة مائة فأغارا على النهرين ، وقد كان سعد نهاهما أن يمعنا وبلغ رستماً فأرسل إليهم خيلاً ، وبلغ سعداً أن خيله قد أوغلت فدعا عاصم بن عمرو وجابر الأسدي فأرسلهما في آثارهما يقتصان ، فسلكا طريقهم ، وقال لعاصم: إن جمعكم قتال فأنت عليهم ، فلقيهم بين النهرين واصطيميا ، وخيل أهل فارس محتوشتهم يريدون تخليص مافي أيديهم . وقد قال سواد لحميضة اختر إما أن أقيم لهم وتستاق الغنيمة ، وإما أن تقيم لهم وأستاقها فقال : أقم لهم ونهنهها عني ، وأنا أبلغ لك الغنيمة ، فأقام لهم سواد وانحدر [1] حميضة ، فلقيه عاصم بن عمرو فظن حميضة أنها خيل لهـــم أخرى فصد عنها متحرفاً ، فلما تعارفوا ساقها . ومضى عاصم إلى سواد وقـد كاد أهل فارس ينقذون بعضها ، فلما رأت الأعـاجم عاصماً هربوا وتنفذ سواد ما كانوا ارتجموا فأتوا سعداً بالفتح والغنائم والسلامة وقد خرج طليحة وعمرو ، فأما طلحة فأمره بعسكر رستم ، وأما عمرو فأمره بعسكر الجالنوس فخرج طليحة وحده وخرج عمرو في عدة ، فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما فقال : إن لقيت قتالاً فأنت عليهم ، وأراد إذلال طليحة لمعصيته ، وأما عمرو فقد أطاعـــه ، فخرج حتى يلقى عمراً فسأله عن طليحة فقال: لا علم لي به فلما انتهيا إلى النجف من قبل الجوف قال له قيس: ما تريد؟ قال: أريد أن أغير على أدنى عسكرهم قال: في هؤلاء ؟ قال : نعم ، قال : لا أدعك والله وذلك أيعرض المسلمون لمـــا لا

(١) في م « وانجذب » .

يطيقون ؟ قال : وما أنت وذاك ؟ قال : إني أمرت عليك ، ولو لم أكن اميراً لم ادعك وذاك ، وشهد له الأسود بن يزيد في نفر أن سعد قد استعمله عليك وعلى طليحة إذا اجتمعتم ، فقال عمرو : والله يا قيس إن زماناً تكون علي فيه اميراً لزمان سوء ، لأن ارجع عن دينكم هذا إلى ديني الذي كنت عليه ، واقاتل عليه حتى أموت احب إلي من ان تتأمر علي ثانية ، وقال : لئن عاد صاحبك الذي بعثك لمثلها لنفارقنه ، قال : ذلك إليك بعد مرتك هذه ، فرده فرجعا إلى سعد بالخبر وبأعلاج وأفراس ، وشكا كل واحد منهما صاحبه ، أما قيس فشكا عصيان عمرو .

وأما عمرو فشكا غلظة قيس. فقال سعد : يا عمرو لخير وسلامة مائة أحب إلي من مصاب مائة تقتل الفاً ، اتعمد إلى حلبة فارس فتصادمهم بمائة ، إن كنت لأراك اعلم بالحرب مما أرى فقال : إن الأمر لكما ، وخرج طليحة حتى دخل عسكرهم في ليلة مقمرة ، فتوسم فيه ، فهتك اطناب بيت رجل عليه ، واقتاد فرسه ثم خرج حتى مر بعسكر ذي الحاجب فهتك على آخر بيته وحل فرسه ، ثم دخل على الجالنوس عسكره فهتك على آخر بيته وحل فرسه . ثم خرج حتى أتى الحرارة ، وخرج الذي كان بالنجف الذي كان في عسكر ذي الحاجب ، فاتبعه الذي كان في عسكر الجالنوس فكان اولهم لحاقاً به الجالنوس ثم الحاجبي ثم النجفي واصاب الأولين ، وأسر الآخر واتى به سعداً فأخبره واسلم وسماه سعد مسلماً ، ولزم طليحة فكان معه في تلك المغازي كلها .

وعن ابي عثمان النهدي قال : كان عمر رحمه الله قد عهد إلى سعد حين بعثه إلى فارس ان لا يمر بماء من المياه بذي قوة ونجدة ورئاسة إلا اشخصه ، فإن ابى انتخبه ، وأمره عمر رحمه الله فقدم القادسية في اثني عشر الفاً من أهل الأيام ، واناس من الحمراء استجابوا للمسلمين فأعانوهم ، اسلم بعضهم قبل القتال وأسلم بعضهم عند القتال فأشركوا في الغنيمة ، وفرضت لهم فرائض اهل القادسية الفين الفين ، وسألوا عن امنع

قبائل العرب فعادّوا[١] تميماً . فلما دنا رستم ونزل النجف بعث سعد الطلائع وامرهم ان يصيبوا رجلاً ليسأله عن اهل فارس،فخرجت الطلائع بعد اختلاف فلما اجمع ملأ الناس ان الطليعة من الواحد إلى العشرة سمحوا فأخرج سعد طليحة في خمسة وعمرو بن معديكرب في خمسة وذلك صبيحة قدوم رستم والجالنوس وذي الحاجب ولا يشعرون بفصلوهم من النجف فلم يسيروا إلا فرسخاً وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم ، وسرحهم على الطفوف قد ملؤوها فقال : بعضهم لبعض : ارجعوا إلى اميركم فإنه سرحكم وهو يرى ان القوم بالنجف فأخبروه الخبر،وقال بعضهم : ارجعوا لا ينذر بكم عدوكم فقال عمرو لأصحابه : صدقتم ، وقال طليحة لأصحابه : كذبتم ما بعثتم لتخبروا عن السرح ، وما بعثتم إلا للخبر . قالوا : فما تريد ؟ قال : اريد ان أخالط عسكر القوم او اهلك .

قالوا : انت رجل في نفسك غرر ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن ، فارجع معنا فأبى .

وأتى سعد الخبر برحيلهم ، فبعث قيس بن هبيرة الأسدي وأمره على مائة وعليهم إن هو لقيهم ، فانتهى إليهم وقد افترقوا ، فلما رآه عمرو قال : تجلداً له ، وأروه أنهم يريدون الغارة،فردهم ، ووجد طليحة قد فارقهم ، فرجع بهم فأتوا سعداً فأخبروه بقرب القوم ، ومضى طليحة وعارض المياه على الطفوف حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه وينظر ويتوسم .

فلما أدبر الليل خرج وقد أتى أفضل من توسم في ناحية العسكر فإذا فرس لم ير في خيل القوم مثله ، وفسطاط أبيض لم ير مثله ، فانتضى سيفه فقطع مقود الفرس ، ثم ضمه الى مقود فرسه ثم حرك فرسه فخرج يعدو به ، ونذر به الرجل والقوم ، فتنادوا وركبوا الصعبة والذلول ، وعجل بعضهم أن يسرح

(١) في حاشية الأصل : أي صاروا في عدادهم بالحلف .

فخرجوا في طلبه فأصبح وقد لحقه فارس من الجند ، فلما غشيه وبوأ له الرمح ليطعنه عدل طليحة فرسه فندر الفارس بين يديه ، فكر عليه طليحة ، فقصم ظهره بالرمح ، ثم لحق به آخر ففعل به مثل ذلك ، ولحق به آخر وقد رأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد حنقاً فلما لحق بطليحة بوأ له الرمح عدل طليحة فرسه ، فندر الفارسي أمامه ، وكر عليه طليحة ودعاه الى الأسار فعرف الفارسي أنه قاتله فاستأسر ، وأمره طليحة أن يركض بين يديه ففعل ولحق الناس فرأوا فارسي الجند قد قتلا وقد أسر الثالث ، وقد شارف طليحة عسكرهم ، فأحجموا ونكصوا ، وأقبل [1] طليحة حتى غشي العسكر وهم على تعبئة فأفزع الناس وجوزوه الى سعد ، فلما انتهى إليه قال : ويحك ماوراءك قال : دخلت عساكرهم وجستها من الليلة ، وقد أخذت أفضلهم توسماً وما أدري أصبت أم أخطأت وها هو ذا فاستخبره .

فاقيم الترجمان بين سعد وبين الفارسي ، فقال الفارسي : أتؤمنني على دمي إن صدقتك ؟

قال : نعم والصدق في الحرب أحب الينا من الكذب ، قال أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عن من قبلي ، باشرت الحرب وغشيتها وسمعت بالأبطال ولقيتها مذ أنا غلام إلى أن بلغت ما ترى ، فلم أر ، ولم أسمع بمثل هذا ، إن رجلاً قطع عسكرين لا تجترىء عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما هو دون ، فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند وهتك أطناب بيته ، فأنذره فأنذرنا به ، فطلبناه ، فأدركه الأول وهو فارس الناس يعدل بألف فارس فقتله ثم أدركه الثاني وهو نظيره فقتله ، ثم أدركته ولا أظنني خلفت بعدي من يعدلني وأنا الثائر بالقتيلين ، وهما ابنا عمي ، فرأيت الموت فاستأسرت .

ثم أخبره عن أهل فارس أن الجند عشرون ومائة ألف وأن الأتباع مثلهم

---

(١) في م « قبل » .

خدام لهم ، وأسلم الرجل وسماه سعد مسلماً ، وعـاد إلى طليحة وقال : لا والله لا تهزمون ما دمتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح والمواساة، لا حاجة لي في صحبة فارس فكان من أهل البلاء يومئذ .

وعن موسى بن طريف قال : قال سعد لقيس بن هبيرة الأسدي : اخرج يا عاقل فإنـــه ليس وراءك من الدنيا شيء تحنو عليـه حتى تأتيني بعلم القوم ، فخرج .

وسرح عمرو بن معديكرب وطليحة فلما جاز القنطرة لم يسر إلا يسيراً حتى انتهى إلى خيل عظيمة منهم بحيالها ترد عن عسكرهم ، وإذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب ، وارتحل الجالنوس ، ثم نزل ذو الحاجب منزله والجالنوس يريد طيزناباذ [1] وقدم تلك الخيل .

وإنما حمل سعداً على إرسال عمرو وطليحة معه لمقالة بلغته عن عمرو وكلمة قالها لقيس قبل هذه المدة، فقال : قاتلوا عدوكم يا معشر المسلمين ، فانشب القتال وطارد بهم ساعة ، ثم إن قيساً حمل عليهم ، فكانت هزيمتهم ، وأصاب منهم اثني عشر رجلاً وثلاثة أسرى ، وأصاب أسلاباً فأتوا بالغنيمة سعداً وأخبروه الخبر فقال : هـــذه بشرى إن شاء الله إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدهم فلهم أمثالها ، ودعا عمراً وطليحة فقال : كيف رأيتما قيساً ؟ فقال طليحة : رأيناه أكمى منا، وقال عمرو : الأمير أعلم بالرجال منـــا ، وقال سعد : إن الله أحيا بالاسلام قلوباً كانت ميتة ، وأمات به قلوباً كانت حيـة وإني أحذركما أن تؤثرا أمر الجاهلية على الاسلام فتموت قلوبكما وأنتما حيان ، الزما السمع والطاعـة والاعتراف بالحقوق فما رأى الناس كأقوام أعزهم الله عز وجل بالاسلام .

وعن محمد وعمرو وطلحة وزياد وشاركهم المجالد وسعيد بن المرزبان، قالوا : فلما أصبح رستم من الغد، يوم نزل السيلحين وقدم الجالنوس وذا الحاجب فارتحل

---

(١) موضع بين الكوفة والقادسية . معجم البلدان .

الجالنوس فنزل من دون القنطرة بحيال زهرة ، نزل إلى صاحب المقدمة، ونزل ذو الحاجب منزله بطيزناباذ ، ونزل رستم منزل ذي الحاجب بالخرارة ، ثم قدم ذا الحاجب ، فلما انتهى إلى العتيق تياسر حتى إذا كان بحيال قديس خندق خندقاً، وارتحل رستم فنزل على الجالنوس، وعلى مقدمة سعد زهرة بن الحوية ، وعلى مجنبتيه عبد الله بن المعتم وشرحبيل بن السمط الكندي، وعلى مجردته عاصم ابن عمرو وعلى المرامية فلان ، وعلى الرجل فلان، وعلى الطلائع سواد بن مالك. وعلى مقدمة رستم الجالنوس ، وعلى مجنبتيه الهرمزان ومهران، وعلى مجردته ذو الحاجب ، وعلى الطلائع الفيرزان وعلى الرجالة زاد بن بهيش ، فلما انتهى رستم إلى العتيق ووقف عليه بحيال عسكر سعد ونزل الناس فما زالوا يتلاحقون وينزلهم فينزلون حتى أعتموا من كثرتهم ، فبات بها تلك الليلة والمسلمون ممسكون عنهم .

قال سعيد بن المرزبان : فلما أصبحوا من ليلتهم بشاطىء العتيق غدا منجم رستم على رستم برؤيا أريها من الليل ، قال : رأيت الدلو في السماء دلواً أفرغ ماؤه ورأيت السمكة سمكة في ضحضاح من الماء تضطرب ، ورأيت النعائم والزهرة تزدهر ، قال : ويحك هل أخبرت بهذا أحداً ؟ قال : لا ، قال : فاكتمها .

وعن الشعبي قال: كان رستم منجماً فكان يبكي مما يرى ويقدم عليه ، فلما كان بظهر الحيرة رأى أن عمر دخل عسكر فارس ومعه ملك فختم سلاحهم، ثم حزمه فدفعه إلى عمر رحمه الله .

وعن قيس بن أبي حازم وكان قد شهد القادسية قال: كان مع رستم ثمانية عشر فيلاً ومع الجالنوس خمسة عشر فيلاً .

وعن الشعبي قال : كان مع رستم يوم القادسية ثلاثون فيلاً .

وعن غيره قال : كان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً، فيها فيل سابور الأبيض وكانت الفيلة تألفه ، وكان أعظمها وأقدمها .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : كان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً ، معه في القلب ثمانية عشر فيلاً ومعه في الجنبتين خمسة عشر فيلاً .

وعن جميعهم قالوا :فلما أصبح رستم من ليلته التي باتها بالعتيق أصبح راكباً في خيله ينظر إلى المسلمين ، فصعد نحو القنطرة وقد حزر الناس،فوقف بحيالهم دون القنطرة ، وأرسل إليهم رجلاً إن رستماً يقول لكم : أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، وانصرف ، فأرسل زهرة الى سعد بذلك ، فأرسل اليه المغيرة ابن شعبة فأخرجه زهرة الى الجالنوس ، وأبلغه الجالنوس رستماً .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : لما نزل رستم على العتيق وبات بـه أصبح غادياً على التصفح والتحزر فساير العتيق نحو خفان حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين، ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة فتأمل القوم حتى اتى على شيء يشرف منه عليهم ، فلما وقف على القنطرة راسل زهرة فخرج اليه حتى واقفه، فأراده على أن يصالحهم ويجعل له جعلاً على أن ينصرفوا عنه ، وجعل يقول فيما يقول : إنكم جيراننا ، وقد كانت طائفـــة منكم في سلطاننا ، فكنا نحسن جوارهم ونكف الأذى عنهم، نوليهم المرافق الكثيرة،ونحفظهم في أهل باديتهم فنرعيهم مراعينا ، ونميرهم من بلادنا ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا ، فقد كان لهم في ذلك معاش،يعرض لهم بالصلح،وإنما يخبره عن صنيعهم والصلح يريد ولا يصرح .

فقال له زهرة : صدقت فقد كان ما تذكر ، وليس أمرنا أمـــر أولئك ولا طلبتنا طلبتهم ، إنا لم نأتكم لطلب الدنيا ، إنما طلبتنا وهمنا الآخرة ، كنا كما ذكرت يدين لكم من قدم عليكم منا ، ويضرع إليكم يطالب ما في أيديكم، ثم بعث الله عز وجل إلينا رسولاً فدعانا الى دينه فأجبناه،فقال لنبيه ﷺ: إني

قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني، فأنا منتقم بهم منهم ، فأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به ، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحـــد إلا ذل ، ولا يعتصم به أحد إلا عز .

فقال له رستم : وما هو ؟ قال : أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى قال : ما أحسن هذا ، وأي شيء أيضاً ؟ قال : وإخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله تعالى ، فقال : حسن ، وأي شيء أيضاً ؟ قال : والناس بنو آدم وحواء إخوة لأب وأم ، فقال : ما أحسن هذا .

ثم قال له رستم : أرأيت لو أني رضيت هذا الأمر وأجبتكم اليـه ومعي قومي ، كيف يكون أمركم أترجعون ؟ قال : أي والله ، ثم لا نقرب بلادكم الا في تجارة أو حاجة قال : صدقتني والله أما إن أهل فارس منذ ولي أزدشير لم يدعو أحداً يخرج من عمله من السفلة، كانوا يقولون إذا خرجوا مـن أعمالهم تعدوا أطوارهم وعادوا أشرافهم ، فقال زهرة : نحن خير الناس، ولا نستطيع أن نكون كما تقولون نطيع الله في السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا، فانصرف عنه ودعا رجال فذاكرهم هذا فحموا من ذلك وأنفوا ، فقال : أبعـــدكم الله وأسحقكم ، أخزى الله أجزعنا وأجبننا .

وعن جميعهم قالوا أرسل سعد الى المغيرة وبر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وربعي بن عامر وفرقة بن أبي زاهر التيمي ثم الوائلي، ومذعور ابن عدي العجلي ، والمضارب بن يزيد العجلي ، وسعيد بن مرة العجلي ، وكان من دهاة العرب فقال : إني مرسلكم الى هؤلاء القوم فما عندكم ؟ قالوا جميعاً : نتبع ما تأمرنا به وننتهي اليه فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس فكلمناهم به ، فقال سعد : هذا فعل الحزمة اذهبوا فتهيؤوا، فقال ربعي بن عامر : إن الأعاجم لهم آراء وآداب ومتى نأتهم جميعاً يرون أنا قـد

احتفلنا لهم ، فلا تزيدهم على رجل فمالؤوه جميعاً عـــلى ذلـك ، فقال : فسرحوني فسرحه .

فخرج ربعي ليدخل على رستم عسكره فاحتبسه الذي على القنطرة ، وأرسل إلى رستم لمجيئه ، فاستشار عظماء أهل فارس فقال : مـــا ترون ؟ أنباهي أم نتهاون فأجمع ملأهم على التهاون فأظهروا الزبرج [١] وبسطوا البسط والنمارق ولم يتركوا شيئاً وصنعوا لرستم سرير الذهب وألبس زينته مـــن الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب .

وأقبل ربعي يسير على فرس له [٢] زباء قصيرة ، معه سيف له مشوف [٣] وغمده لفافة ثوب خلق ، ورمحه معلوب [٤] بقد ، معه جحفة من جلود البقر على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ، ومعه قوسه ونبله ، فلما غشي الملك وانتهى إلى ادنى البسط قيل له : انزل فحملها على البساط ، فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين ، فشقها ثم أدخل الحبل فيهما فلم يستطيعوا أن ينهوه ، وإنما أروه التهاون ، وعرف ما أرادوا فأراد استحراجهم ، وعليـــه درع له كأنها أضاة [٥] ويلمقه [٦] عباءة بعيره قد جاء بها وتدرعها وشدها على وسطه بسلب ، وقد شد رأسه بمعجرته [٧] ، وكان أكثر العرب شعرة ومعجرته نسعة [٨] بعيره

---

(١) الزينة من وشي أو جوهر . القاموس .

(٢) أي كثيرة الشعر . النهاية لابن الأثير .

(٣) أي مجلو .

(٤) أي مشدود عليه سير من جلد وهو رطب ، وتشد الرماح بـــه إذا تصدعت فتيبس وتقوى . النهاية لابن الأثير .

(٥) الأضاة : المستنقع والغدير . القاموس والنهاية لابن الأثير .

(٦) اليلمق . الرداء فارسي معرب .

(٧) الاعتجار : لف الرأس . النهاية لابن الأثير .

(٨) النسعة : سير مضفور يجعل زماماً للبعير . النهاية لابن الأثير .

ولرأسه أربع ضفائر ، كنّ قياما كانهن قرون الوعلة ، فقالوا : ضع سلاحك ؛ فقال : إني لم آتكم فاضع سلاحي بامركم ، أنتـــم دعوتموني فان أبيتم أن آتيكم كما أريد وإلا رجعت .

فأخبروا رستماً ، فقال : إئذنوا له ، هل هو إلا رجل ، فأقبـل يتوكأ على رمحه وزجه نصل يقارب الخطو ويزج النمارق والبسط فما ترك لهـــم نمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركها متهتكه مخرقة ، فلمـــا دنا من رستم تعلق به الحرس وجلس على الأرض وركز رمحه في البساط فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : إنا لا نستحب القعود على زينتكم ، فكلمه فقال : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنـــا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله عز وجل ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبله قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليهـا دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله عز وجل .

قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي ، قال رستم : قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هـــذا الأمر ، حتى ننظر فيه ، وتنظروا ؟ قال : نعم ، كم أحب إليكم أيوم أو يومـان ؟ قال له : لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا ، وأراد مقاربته ومدافعتـه فقال : إن مما بين لنا رسول الله ﷺ ، وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء من آذاننـا ولا نؤجلهم عند الالتقاء أكثر من ثلاث : فنحن مترددون عنـك ثلاثاً فانظر في أمرك ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل :

اختر الإسلام وندعك وأرضك ، أو الجزي فنقبل ونكف عنك فإن كنت عن نصرتنا غنياً تركناك منه وإن كنت اليه محتـــاجاً منعناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع ، ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ، أنا كفيل

لك بذلك على جميع من ترى ، قال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمين فيما بينهم كالجسد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم .

فخلص رستم برؤساء أهل فارس فقال : ما ترون هل رأيتم قط كلاماً أوضح نَصْراً ولا أعز[1] من كلام هذا الرجل ؟ قالوا : معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ! فقال : ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إن العرب تستخف باللباس والمأكل ، ويصونون الأحساب ، ليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ما ترون ، وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ويزهدونه فيه ، فقال لهم : هل لكم أن تروني فأريكم ؟ فأخرج سيفه من خرقة كأنه شعلة نار ، فقال : أغمده بغمده ثم رمى ترسا ورموا جحفته فخرق ترسهم ، وسلمت جحفته فقال : يا أهل فارس إنكم عظمتم الطعام والشراب وإنّا صغرناهنّ ، ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل .

فلما كان الغد بعثوا أن إبعثوا إلينا ذلك الرجل ، فبعث اليهم سعد حذيفة ابن محصن ، فأقبل في نحو ذلك الزي حتى إذا كان على أدنى البساط قيل له : إنزل ، قال : ذلك لو جئتكم في حاجتي ، فقولوا : للمكلكم ألّه الحاجة أم لي ؟ فإن قال لي ، فقد كذب ورجعت عنه وتركتكم ، وإن قال له ، لم آته إلا على ما أحب ، فقال : دعوه فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريره ، فقال : انزل ، فقال : لا أفعل فلما أبى سأله ما بالك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس ؟ قال : أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء ، فهذه نوبتي ، قال : ما جاء بكم ؟ قال : إن الله عز وجل منّ علينا بدينه وأرانا آياته حتى عرفناه ، وكنا له منكرين ، ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث فأيها أجابوا اليه قبلناها :

---

(١) في م « أغزر » .

الإسلام وننصرف عنكم ، أو الجزي ونمنعكم إن احتجتم الى ذلك ، أو المنابذة فقال أو الموادعة الى يوم ما ، فقال : نعم ثلاثا من أمس .

فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده ، وأقبل على أصحابه فقال : ويلكم ألا ترون إلى ما أرى جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم ، وأقام فرسه على زبرجنا وربطه به فهو في يمن الطائر ذهب بأرضنا وما فيها إليهم مع فضل عقله ، وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا فهو في يمن الطائر ، سيقوم على أرضنا دوننا حتى أغضبوه وأغضبهم ، فلما كان من الغد أرسل ابعثوا الينا رجلا ، فبعثوا اليه المغيرة بن شعبة .

وعن أبي عثمان النهدي قال : لما جاء المغيرة الى القنطرة فعبرها الى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستما في إجازته ، ولم يغيروا شيئاً من شارتهم تقوية لتهاونهم ، فأقبل المغيرة والقوم في زيهم في الأمس عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبسطهم على غلوة لا يصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليها غلوة ،وأقبل المغيرة وله اربع ضفائر يمشي حتى جلس معه على سريره ووسادته فوثبوا عليه فنتروه وأنزلوه ومقتوه [1] ، فقال : كانت تبلغنا عنكم أحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم ، إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض ، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ، فلا نصنعه ، ولم آتكم ولكنكم دعوتموني ، اليوم علمت أنكم مغلوبون وإن كان ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول ، فقالت السفلة : صدق والله العربي ، وقالت الدهاقين : والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه قاتل الله أولينا ما كان أحمقهم حين يصفرون أمر هذه الأمة .

---

(١) في م « ومقثوه » والمقث : الضرب الخفيف . القاموس .

فمازحه رستم ليمحوا ما صُنِعَ ، فقال له: يا عربي [١] إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغي من ذلك والأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق ، ما هذه المغازل التي معك ؟ قال : ما ضر الجمرة أن لا تكون طويلة ، ثم راماهم ، وقال : ما بال سيفك رثاً ، قال : رث الكسوة حديداً لمضربة ثم عاطاه سيفه .

ثم قال له رستم تكلم أو أتكلم ؟ فقال المغيرة : أنت الذي بعثت الينا فتكلم ، فأقام الترجمان بينهما ، وتكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وطوله ، وقال : لم نزل متمكنين في البلاد ظاهرين على الأعداء أشرافاً في الأمم ، وليس لأحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا ، ننصر على الناس ولا ينصرون علينا إلا اليوم أو اليومين ، أو الشهر أو الشهرين للذنوب فإذا انتقم فرضي رد الينا عزنا ، وجمعنا لعدونا سيء يوم هو آت عليهم ، ثم إنه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمراً منكم ، كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئاً ولا نعدكم ، وكنتم إذا قحطت أرضكم وأصابتكم السنة ، استغثتم بناحية أرضنا، فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير ثم نردكم ، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم ، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم وآمر لكل رجل منكم بوقر من تمر وبثوبين وتنصرفون عنا فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم .

فتكلم المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه وقال : ان الله خالق كل شيء ورازقه فمن صنع شيئاً فإنما هو يصنعه ، والذي له ، وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكين في البلاد ، وعظم السلطان في الدنيا فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، فالله صنعه لكم ووضعه فيكم وهو له دونكم . وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال ، وضيق المعيشة

---

(١) في م « يا أعرابي » .

واختلاف القلوب فنحن نعرفه ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك وصيرنا اليه ، والدنيا دول ، ولم تزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا اليه ، ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ويصيروا اليها ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شكر كان شكركم يقصر عما أوتيتم وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر كان عظيم ما تتابع علينا مستجلباً من الله رحمة يرفه بها عنا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون اليه إذ كنتم تعرفوننا به ، إن الله تعالى بعث فينا رسولاً ، ثم ذكر مثل الكلام الأول حتى انتهى إلى قوله : فإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبداً تؤدي الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإلا السيف إن أبيت فنخر نخرة ، واستشاط غضباً ثم حلف بالشمس ، لا ترتفع لكم الضحى غداً حتى أقتلكم أجمعين ، فانصرف المغيرة .

وخلص رستم ثالثاً بأشراف أهل فارس ، فقال : أين هؤلاء منكم ما بعد هذا ألم يأتكم الأولان فحسراكم واستحرجاكم ، ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقاً واحداً ولزموا أمراً واحداً ، هؤلاء والله الرجال صادقين أو كاذبين ، والله لئن كان بلغ من رأيهم وصونهم أمرهم أن لا يختلفوا ، ما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم وان كانوا صادقين ، ما يقوم لهؤلاء شيء ، فلجوا وتجلدوا ، وقال : والله إني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم ، وإن هذا منكم رياء ، فازدادوا لجاجا .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : فأرسل مع المغيرة رجلاً فقال له : إذا قطع القنطرة ووصل إلى أصحابه فنادوه : إن الملك — وكان منجماً — قد حسب له ، ونظر في أمرك فقال : إنا نفقأ عينك غداً ، ففعل الرسول ، فقال المغيرة : بشرتني بخير وأجر ، ولولا أن أجاهدكم بعد اليوم أو أجاهد أشباهكم من

المشركين لتمنيت أن الأخرى ذهبت أيضاً ، فرآهم المغيرة يضحكون من مقالته ويتعجبون من بصيرته ، فرجع الى الملك بذلك ، فقال : أطيعوني يا أهل فارس وإني لأرى الله فيكم نعمة لا تستطيعون ردهـــا عن أنفسكم ، وكانت خيولهم تلتقي على القنطرة ولا تلتقي الا عليهـا فلا يزالون يبدؤون المسلمين والمسلمون كافون عنهم الثلاثة الأيام لا يبدؤونهم ، فإذا كان ذلـــك منهم صدقوهم ودعوهم [1] .

وعن الشعبي وسعيد بن المرزبان قالا : دعا رستم بالمغيرة فجاء حتى جلس على سريره ، ودعا رستم ترجمانه وكان عربياً من اهل الحيرة يدعى عبوداً ، فقال له المغيرة : ويحك يا عبود إنك رجـــل عربي فابلغه عني اذا أنا تكلمت كما تبلغني عنه ، فقال له رستم مثل مقالته ، وقال له المغيرة مثـــل مقالته الى إحدى ثلاث خلال : الى الإسلام ولكم فيه مالنا ، وعليكم ما علينا ليس فيه تفاضل بيننا ، أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، قال : ما صاغرون ؟ قال : أن يقوم الرجل منكم على رأس أحدنا بالجزية يحمده أن يقبلها منه ، الى آخر الحديث ، والإسلام أحب إلينا منهما .

وعن شقيق قال : شهدت القادسية غلامـــاً بعد ما احتلمت ، فقدم سعد القادسية في اثني عشر ألفاً وبها اهل الأيام ، فقدمت علينا مقدمات رستم ، ثم زحف الينا في ستين ألفاً ، فلما أشرف رستم على العسكر ، قال : يـا معشر العرب ابعثوا الينا رجلاً يكلمنا ونكلمه ، فبعث اليه المغيرة بن شعبة ونفراً ، فلما أتى رستماً جلس المغيرة على السرير فنخر أخو رستم ، فقال المغيرة : لا تنخر فما زادني هذا شرفاً ولا نقص أخاك ، فقال رستم : يا مغيرة كنتم اهل شقاء حتى بلغ : وإن كان لكم أمر سوى ذلـــك فأخبرونا ، ثم أخذ

---

(١) في « وودعوهم » .

رستم سهماً من كنانته ، وقال : ما [١] ترون هذه المغازل تغني عنكم شيئاً ،فقال المغيرة مجيباً له ، فذكر النبي ﷺ : فكان مما رزقنا الله على يديه حبة تنبت في أرضكم هذه ، فلما أذقناها عيالنا قالوا : لا صبر لنا عنها ، فجئنا لنطعمهم أو نموت ، فقال رستم : إذاً تموتون أو تقتلون ، فقال المغيرة : إذن يدخل من قتلتم منا الجنة ، ويدخل من قتلنا منكم النار ، ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم ، ونحن نخيرك بين ثلاث خلال ، إلى آخر الحديث ، فقال رستم : لاصلح بيني وبينكم .

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : أرسل إليهم سعد بقية ذوي الرأي جميعاً وحبس الثلاثة ، فخرجوا حتى أتوه ليعظموا عليه استقباحاً ، فقالوا : إن أميرنا يقول لك إن الجواب يحفظ الولاة، وإني أدعوك الى ما هو خير لنا،ولك العافية ، أن تقبل منا ما دعاك الله عز وجل إليه ونرجع الى أرضنا وترجع الى أرضك ، وبعضنا من بعض ، إلا أن داركم لكم ، وأمركم فيكم ، وما أصبتم مما وراءكم كان زيادة لكم دوننا ، وكنا لكم عوناً على أحد إن أرادكم ، أو قوي عليكم ، واتق الله يا رستم ، ولا يكونن هلاك قومك على يديك ، فإنه ليس بينك وبين أن تغتبط إلا أن تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك ، فقال : إني قد كلمت منكم نفراً ، ولو انهم فهموا عني رجوت أن تكونوا قد فهمتم ، وإن الأمثال أوضح من كثير من الكلام ، وسأضرب لكم مثلكم تبصروا :

إنكم كنتم أهل جهد في المعيشة ، وقشف في الهيئة ، لا تمتنعون ولا تنتصفون ، فلم نسيء جواركم ولم ندع مواساتكم ، تقحمون المرة بعد المرة ، فنميركم ثم نردكم ، وتأتوننا أجراء وتجاراً فنحسن إليكم، فلما تطاعمتم بطعامنا وشربتم شرابنا ، وأظلكم ظلنا وصفتم لقومكم فدعوتموهم ، ثم

(١) في م « لا » .

أتيتمونا بهم ، وإنما مثلكم في ذلك ومثلنا كمثل رجل كان له كرم ، فرأى فيه ثعلباً ، فقال : وما ثعلب ، فانطلق الثعلب ، فدعا الثعالب الى ذلك الكرم ، فلما اجتمعوا [١] عليه سد عليهن صاحب الكرم ذلك الجحر ، الذي كن يدخلن منه فقتلهن ، وقد علمت أن الذي حملكم على هذا الحرص والطمع مع الجهد ، فارجعوا عنا عامكم هذا وامتاروا حاجتكم ، ولكم العود كلما احتجتم ، فإني لا أشتهي أن أقتلكم .

وعن رجل من بني يربوع شهدها ، قال : وقالوا : قد أصاب أناس منكم كثير من أرضنا ما أرادوا ، ثم كان مصيرهم القتل [٢] والمهرب ، ومن سن هذا لكم خير منكم وأقرى ، فقد رأيتم أنتم كلما أصابوا شيئاً أصيب بعضهم ولجا بعضهم وخرج مما كان أصاب ، ومن أمثالكم فيما تصنعون مثل جرذان ألفت جرة فيها حب ، وفي الجرة ثقب فدخل الأول فأقام فيها وجعل الأخر ينقلن منها ويرجعن ويكلمنه في الرجوع فيأبى ، فانتهى سمن الذي في الجرة فاشتاق الى أهله ليريهم حسن حاله ، فضاق عليه الحجر ولم يطق الخروج ، فشكا القلق الى أصحابه وسألهم المخرج فقلن ما أنت بخارج منها حتى تعود كما كنت قبل أن تدخل ، فكف وجوع نفسه وبقي في الجرة حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلها أتى عليه صاحب الجرة فقتله . فاخرجوا ولا يكونن هذا مثلا لكم .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : وقال لهم : لم يخلق الله عز وجل خلقاً أولع من ذباب ما خلا كم يا معشر العرب ترون الهلاك ويدليكم فيه الطمع ، وسأضرب لكم مثلكم ، إن الذباب إذا رأى العسل طار وقال : من يوصلني اليه وله درهمان ؟ حتى يدخله لا ينهنه أحداً إلا عصاه ، فإذا دخله غرق

---

(١) في م « اجتمعن » .

(٢) في م « القتل والهرب » .

ونشب وقال : من يخرجني وله أربعة دراهم ؟ وإنما مثلكم أيضاً مثل ثعلب دخل حجراً وهو مهزول ضعيف الى كرم ، فكان فيه يأكل منه ما شاء الله ، فرآه صاحب الكرم ورأى مابه فرحمه فلما طال مكثه في الكرم وسمن وصلحت حاله وذهب ما كان به من الهزال أشر ، فجعل يعبث بالكرم ويفسد أكثر مما يأكل ، فاشتد على صاحب الكرم فقال : لا صبر على هذا من أمر هذا، فاخذ له خشبة واستعان غلمانه فطلبوه وجعل يراوغهم في الكرم فلما رأى أنهم غير مقلعين عنه ، ذهب ليخرج من الحجر الذي دخل منه فنشب ، إتسع عليه وهو مهزول ، وضاق عليه وهو سمين ، فجاءه صاحب الكرم على تلك الحال فلم يزل يضربه حتى قتله ، وقد جئتم وأنتم مهازيل، وقد سمنتم شيئاً من سمن، فانظروا كيف تخرجون .

وقال أيضاً : إن رجلاً وضع سلاً ووضع طعامه فيه ، فأتاه الجرذان فخرقوا سله فدخلوا فيه فأراد سده فقيل لا تفعل اذن يخرقنه ، ولكن اثقب بحياله ، ثم اجعل فيها قصبة مجوفة فإذا جاءت الجرذان دخلن من القصبة وخرجن منها ، فكلما طلع عليكم جرذ قتلتموه ، وقد سددت عليكم ، فاياكم أن تفتحوا القصبة ، فلا يخرج منكم أحداً إلا قتل ، وما دعاكم إلى ما صنعتم ، ولا أرى عدداً ولا عدة !

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : فتكلم القوم فقالوا : أما ذكرتم من سوء حالنا فيما مضى وإنتشار أمرنا ، فلم تبلغ كنهه ، يموت الميت منا الى النار ويبقى الباقي منا في بؤس ، فبينا نحن في أسوأ ذلك بعث الله عز وجل فينا رسولاً من أنفسنا الى الأنس والجن، رحمة رحم بها من أراد رحمته ونقمة ينتقم بها ممن رد كرامته ، فبدأ بنا قبيلة قبيلة ، فلم يكن أحداً أشد عليه ولا أشد إنكاراً لما جاء به ولا أجهد على قتله ، ورد الذي جاء به قومه ، ثم الذين يلونهم حتى طابقنا على ذلك كلنا ، فنصبنا له جميعاً ، وهو وحده فرد ليس معه إلا الله

تعالى ، فأعطي الظفر علينا ، فدخل بعضنا طوعاً وبعضنا كرهاً ثم عرفنا جميعاً الحق والصدق لما أتانا به من الايات المعجزة ، وكان مما أتانا به من عند ربنا عز وجل جهاد الأدنى فالأدنى ، فسرنا بذلك فيما بيننا نرى أن الذي قال لنا وعدنا لا يخرم عنه ولا ينتقض حتى اجتمعت العرب على هذا ، وكانوا من الإختلاف فيما لا تطيق الخلائق تأليفهم ، ثم أتيناكم بأمر ربنا نجاهد في سبيله وننفذ لأمره وننتجز موعوده ، وندعوكم الى الاسلام وأحكامه ، فإن أجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم كتاب الله عز وجل ، وإن أبيتم لم يحل لنا أن نعاطيكم القتال أو تفتدون بالجزي فإن فعلتم وإلا فإن الله عز وجل قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم ، فاقبلوا نصيحتنا فوالله لاسلامكم أحب إلينا من غنائمكم ، ولقتالكم بعد أحب إلينا من صلحكم ، وأما ما ذكرت من رثاثتنا وقلتنا فإن أداتنا الطاعة ، وقتالنا الصبر ، وأما ماضربتم لنا من الأمثال فإنكم ضربتم للرجال والأمور الجسام ، وللجد الهزل ، ولكنا سنضرب : مثلكم مثل رجل غرس أرضاً واختار لها الشجر والحب وأجرى لها الأنهار وزينها بالقصور وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ويقومون على جنانها فخلا الفلاحون على ما لا يحب ، وفي الجنان بمثل ذلك فأطال نظرتهم ، فلما لم يستجيبوا من تلقاء أنفسهم استعتبهم فكابروه فدعا اليهم عبيدهم [1] وأخرجهم منها ، فإن ذهبوا عنها تخطفهم الناس وإن أقاموا صاروا خولاً لهم يملكونهم ولا يملكون عليهم ، ويسومونهم الخسف أبداً ووالله لو لم يكن ما نقول لك حقاً ، ولو لم تكن إلا الدنيا لما كان لنا عما ضربنا به من لذيذ عيشكم ، ورأينا من زبرجكم من صبر ولقارعناكم أو نغلبكم عليه .

فقال رستم : أتعبرون الينا أو نعبر اليكم فقال : بل اعبروا الينا فخرجوا

---

(١) في م « غيرهم » .

من عنده عشياً فارسل سعد الى الناس بان يقفوا مواقفهم ، وأرسل اليهم شانكم والعبور فارادوا القنطرة ، فارسل اليهم لا ولا كرامة أما شيء وقد غلبناكم عليه فلن نرده عليكم ، تكلفوا معبراً غير القناطر فبـــاتوا يسكرون العتيق حتى بأمتعتهم .

وعن نافع وعن الحكم قال : لما اراد رستم العبور أمر بسكر العتيق بجبال فارس وهو يومئذ أسفل منها اليوم مما يلي عين الشمس ، وإنما سميت القادسية لأن الأعاجم جعلوا نشاء ستجها[1] من قادس خراسان ، فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكرونه بالقصب والتراب والبراذع حتى جعلوه طريقاً ، واستتم بعدما ارتفع النهار من الغد .

وعن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا : ورأى رستم من الليل أن ملكاً نزل من السماء فاخذ قسي أصحابه فختم عليها ثم صعد بها الى السماء فاستيقظ مهموماً محزوناً فدعا خاصته فقصها عليهم وقال : ان الله عز وجل ليعظنا لو أن فارس تركوني أتعظ أما ترى النصر قد رفع عنا ، وترى الربح مع عدونا ، وأنا لا نقوم لهم في فعل ولا منطق ، ثم يريدون مغالبة الجزية ، فعبروا باثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق .

وعن الأعمش قال : لما كان يوم السكر لبس رستم درعين ومغفراً ، وأخذ سلاحه وأمر بفرسه فأسرج فأتى به ، فوثب فإذا هو عليه لم يمسه ولم يضع رجله في الركاب ، ثم قال : غدا ندقهم دقاً ، فقال له رجل إن شاء الله ، قال : وإن لم يشأ .

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : قال رستم إنما ضفاء[2] الثعلب حين مات

---

(١) في اللسان : ستج : الاستاج والاستيج ، من كلام أهل العراق ، وهذ الذى الذي يلف عليه الغزل بالاصابع ليشسج .

(٢) الضفاء : الصياح والضجيج . النهاية لابن الاثير .

الأسد ، يريد موت كسرى ، ثم قال لأصحابه : قد خشيت أن تكون هـذه سنة القرود ، ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم ، وجلس رستم على سريره ، وضربت عليه طيارة ، وعبأ في القلب ثمانية عشر فيلاً عليها الصناديق والرجال وفي المجنبتين ثمانية وسبعة عليها الصناديق والرجال ، وأقام الجالنوس بينه وبين ميمنته ، والضيرزان بينه وبين ميسرته ، وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين والمشركين ، وكان يزدجرد وضع رجلاً على باب إيوانه وسرح رستماً وأمره بلزومه وإخباره ، وآخر حيث يسمعه من الدار ، وآخر خارج من الدار ، وكذلك على كل دعوة رجلاً ، فلما نزل رستم قال الذي بساباط : قد نزل فقال له الاخر حتى قال له الذي على باب الإيوان ، وجعل بين كل مرحلتين على كل دعوة رجلاً ، فكلما نزل وارتحل أو حدث أمر قاله فقاله الذي يليه ، حتى يقوله صاحب الإيوان فنظم ما بين العتيق رجالاً ، وترك البرد ، وكان ذلك هو الشأن .

وأخذ المسلمون مصافهم وجعل زهرة ، وعاصم ، بين عبد الله وشرحبيل ، ووكل صاحب الطلائع بالطراد ، وخلط بين الناس في القلب والمجنبات ونادى مناديه : ألا إن الحسد لا يحل إلا على الإجتهاد في أمر الله تعالى ، يا أيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الإجتهاد ، وكان سعد يومئذ لا يستطيع أن يركب ولا يجلس به حبون [1] ، فإنما هو على وجهه وفي صدره وسادة ، وهو مكب عليها ، وهو مشرف على الناس من القصر يرمي بالرقاع فيها أمره ونهيه إلى خالد بن عرفطة وهو أسفل منه وكان الصف إلى جانب القصر ، وكان خالد كالخليفة لسعد ، لو لم يكن سعد شاهداً مشرفاً .

وعن أبي نمران قال : لما عبر رستم ، تحول زهرة والجالنوس ، فجعل سعد

(١) أي به دمامل . النهاية لابن الاثير .

زهرة مكان ابن السمط ، وجعل رستم الجالنوس مكان الهرمزان ، وكان بسعد عرق النساء ودماميل فكان إنما هو مكب ، واستخلف خالد بن عرفطة على الناس ، فاختلف عليه الناس ، فقال : احملوني فأشرفوا بي على الناس فارتقوا به فأكب مطلعاً عليهم ، والصف أصل حائط قديس يأمر خالداً ، فيأمر خالد الناس ، فكان ممن شغب عليه وجوه من وجوه الناس فهم بهم سعد وشتمهم ، وقال : أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالاً لغيركم فحبسهم في القصر وقيدهم ، منهم أبو محجن الثقفي ، وقال جرير يومئذ[1] : أما إني بايعت رسول الله ﷺ على أن أسمع وأطيع لمن ولاه الله الأمـــر وإن كان عبداً حبشياً ، وقال سعد : والله لا يعود أحد بعدها ، يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم ، وهم بإزائهم إلا سننت فيه سنة يؤخذ بها من بعدي .

وقالوا : إن سعداً خطب من ثلاثة يومئذ ، وذلك يوم الإثنين في المحـــرم سنة أربع عشرة ، بعدما تهدم على الذين اعترضوا على خـــالد بن عرفطة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن الله هو الحق وقوله الحق لا شريك له في الملك ليس لقوله خلف ، قال : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادي الصالحون [2] » ان هذا ميراثكم وموعد ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج وأنتم تطمعون منها ، وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام ومنكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ، وخيار كل قبيلة ، وعز من وراءكم ، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الاخرة يجمع الله لكم الدنيـــا والاخرة ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله ، وإن تفشلوا وتهنـــوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم .

---

(١) في م « جرير الثقفي » ، وهو بلا شك وهم فالمراد هنا جرير بن عبد الله البجلي .
(٢) سورة الأنبياء . الآية : ١٠٥ .

وقام عاصم بن عمرو في المجردة ، فقال : إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها ، وأنتم تنالون منها منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم ، وأنتم الأعلون والله معكم ، وإن صبرتم فصدقتموهم الطعن والضرب فلكم أبناؤهم ونساؤهم وأموالهم وبلادهم ، وإن خرتم وفشلتم — والله لكم من ذلك جار وحافظ — لم يبق هذا الجمع منكم باقية مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك ، الله الله أذكروا الأيام وما منحكم الله فيها، أو لا ترون إن الأرض وراءكم بساس قفار ليس فيها خمر[١] ولا وزر يعقل إليه ولا يمتنع به،اجعلوا همكم الآخرة.

وكتب سعد الى الرايات : إني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة، وليس يمنعني أن أكون مكانه إلا وجعي [٢] الذي كان يعودني ولما بي من حبون، وإني مكب على وجهي وشخصي لكم باد فاسمعوا وأطيعوا فإنه إنما يأمركم بأمري،ويعمل برأيي ، فقريء على الناس فزادهم خيراً وانتهوا الى رأيه وقبلوا منه ، وتحاثوا على السمع والطاعة ، وأجمعوا على عذر سعد والرضى بما صنع .

وعن حلام عن مسعود [٣] قال : خطب أمير كل قوم أصحابه وسير فيهم وتحاضوا على الطاعة والصبر وتواصوا ، ورجع كل أمير الى موقفه عن من مالأه من أصحابه عند الموقف ، ونادى منادي سعد بالظهر ، ونادى رستم « بابي شهاز ماندن » [٤] أكل عمر كبدي أحرق الله كبده ، علم هؤلاء حتى علموا .

وعن ابن الرفيل قال : لما نزل رستم النجف بعث منها عيناً الى عسكر

---

(١) في حاشية الاصل : لعله « حجر » . والمراد بخمر هنا الظل .

(٢) في م « لوجعي » .

(٣) جاء في حاشية الاصل : « هو ابن خراش » ، وجاء في م « حلام بن مسعود » .

(٤) في م « مرندن » وجاء بحاشية هذه النسخة : « قال أبو بكر الصواب مركدن ، يعني ما أرجله » .

المسلمين فانغمس فيهم عينه بالقادسية كبعض من قدمنه، فرآهم يستاكون عند كل صلاة ، ثم يصلون فيفترقون الى مراتبهم ، فرجع اليه فأخبره بخبرهم وسيرتهم، حتى سأله ما طعامهم ؟ فقال : مكثت فيهم ليلة لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً إلا أن يصوا عيداناً لهم حين يمسون وحين ينامون، وقبل أن يصبحوا فلما سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة رآهم يتحششون فنادى في اهل فارس أن إركبوا ، فقيل له : ولم ؟ قال : أما ترون الى عدوكم قد نودي فيهم فتحشحشوا لكم ، قال عينه ذلك: تحشحشهم هذا للصلاة ، فقال بالفارسية : وهذا تفسيره بالعربية ، أتاني صوت عند الغداة وإنما هو عمر الذي يعلم الكلاب العقل ، فلما عبروا تواقفوا وأذن مؤذن سعد للصلاة فصلى سعد ، وقال رستم : أكل عمر كبدي .

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : وأرسل سعد الذين انتهى اليهم رأي الناس، والذين انتهت اليهم نجدتهم وأصناف الفضل منهم الى الناس ، فكان من ذوي المرأى [1] النفر الذين أتوا رستما : المغيرة ، وحذيفة ، وعاصم وأصحابهم ، ومن اهل النجدات : طليحة ، وقيس الأسدي ، وعمرو بن معدي كرب وأمثالهم ، ومن الشعراء ، الشماخ والحطيئة وأوس بن مغراء ، وعبدة بن الطبيب، ومن سائر الأصناف أمثالهم .

وقال : قبل أن يرسلهم : انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم، ويحق عليهم ، عند مواطن البأس ، فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذووا رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا في الأرض فذكروهم ، وحرضوهم على القتال ، فساروا فيهم ، فقال قيس بن سبرة الأسدي : أيها الناس ، احمدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يزدكم، واذكروا الله وارغبوا اليه في عاداته، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم، وإنه ليس وراء

(١) في م « الرأي » .

هذا القصر إلا العـــراء والأرض القفر والظراب الخشر [١] والغلوات التي لا تقطعها الأدلة .

وقال غالب : أيها الناس احمدوا الله على ما أبلاكم ، وساوه يزدكم وادعوه يجبكم ، يا معشر معد ، ما عليكم اليوم وأنتم في حصونكم - يعني الخيل - ومن لا يعصيكم معكم - يعني السيوف - اذكروا حديث الناس في غد فإنه بكم غدا يبدأ عندها ، وبمن بعدكم يثني .

وقال ابن الهذيل الأسدي : يا معشر [٢] معد : اجعلوا حصونكم السيوف وكونوا عليهم كاسود الأجم ، وتربدوا لهم تربـد النمور ، وادرعوا العجاج ، وثقوا بالله وغضوا الأبصار ، وإذا كلّت السيوف فإنها مأمورة، فارسلوا عليهم الجنادل [٣] ، فإنه لا يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه .

وقال بسر بن أبي رهم الجهني : احمدوا الله وصدّقوا قولكم بفعل، فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووجدتموه ولا إله غيره، وكبرتموه وآمنتم بنبيه ﷺ ورسله عليهم السلام فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ولا يكونن شيء بأهون عليكم من الدنيا فإنها تاتي من تهاون بها ، ولا تميلوا اليها فتهرب منكم لتميل بكم، انصروا الله ينصركم .

وقال عاصم بن عمرو : يا معاشر العـرب : إنكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان العجم وإنما تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم لا تحدثن اليوم امراً تكونون [٤] به شيناً على العرب غداً .

---

(١) الظراب : الجبال الصغار ، والخشارة : الردىء من كل شيء . النهاية لابن الاثير .

(٢) في م « معاشر » .

(٣) أي الحجارة .

(٤) في م « يكون » .

وقال ربيع بن البلاد السعدي : يا معاشر العرب : قاتلوا للدين والدنيا ، ﴿ سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنـــة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾[١] ، فان عظم الشيطان عليكم الأمر فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل .

وقال ربعي بن عامر : إن الله قد هداكم للاسلام وجمكم بـــه ، وأراكم الزيادة وفي الصبر الراحـة ، فعوّدوا أنفسكم الصبر تعتادوه ، ولا تعودوهـا الجزع فتعتادوه .

وقام كلهم بنحو من هذا الكلام وتواثق الناس وتعاهدوا واهتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم ، وفعل اهل فارس فيما بينهم مثل ذلك ، وتعاهدوا وتواصوا ، واقترنوا بالسلاسل ، وكان المقترنون ثلاثين ألفاً .

وعن الشعبي : إن اهل فارس كانوا عشرين ومائة الف ، معهم ثلاثون فيلاً ، مع كل فيل أربعة الاف .

وعن حلام عن مسعود بن خراش قال : كان صف المشركين عـــلى شفير العتيق ، وكان صف المسلمين مع حائط قديس ، الخندق من ورائهم ، وكان المسلمون والمشركون بين الخنـــدق والعتيق ، وكان معهم ثلاثون ألف مسلسل وثلاثون فيلاً تقاتل عليها ، وفيلة عليها الملوك وقوف لا تقاتل ، وأمر سعد الناس أن يقرؤوا على الناس سورة الجهاد ، وكانوا يتعلمونها لذلك .

وعن محمـــد وطلحة وزياد قالوا : قال سعد : إلزموا مواقفكم لا تحركوا شيئاً ، حتى نصلي الظهر ، [فإذا صليتم الظهر][٢] فإني مكبر تكبيرة ، فكبروا ، واستعدوا ، واعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم ، واعلموا أن ما أعطيتموه

---

(١) سورة آل عمران . الآية : ١٣٣ .

(٢) زيد ما بين الحاصرتين من م .

تأييداً ، ثم إذا سمعتم الثانيـــة فكبروا ولتستتموا عدتكم ، فإذا كبرت الثالثة ، فكبـروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطـاردوا ، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعـاً حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وعن ابن اسحق قال : أرسل سعد يوم القادسية في النـــاس : إذا سمعتم التكبير فشدوا شسوع نعالكم، وإذا كبرت الثانية فتهيؤا، وإذا كبرت الثالثة فشدوا النواجذ على الأضراس واحملوا .

وعن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا: لما صلى سعد الظهر أمر الغلام الذي كان ألزمه عمر رحمه الله إياه ـ وكان من القراء ـ بقراءة[1] سورة الجهاد ، وكان المسلمون إذ ذاك يتعلمونها كلهم ، فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد ، وقرئت في كل كتيبة ، فهشت قـــلوب الناس وعيونهم ، وعرفوا السكينة مع قرائتها .

وعن مصعب بن سعد قال : أمر سعد الغلام بقراءة سورة الجهاد وكانقراءتها سنة يقرؤها رسول الله ﷺ عند الزحوف ويستقرئها،فقرأها الناسواستقرؤوها عند الزحوف ، وأرسل إلى اسير جاء به طليحة ، فأسلم فحسن إسلامه وبلاءه ليسأله عن رايات فارس ويستشيره في أمر من امورهم ، فدخل ذلك الرجـل والغلام يقرأ على الناس ، فقال : يا مسلم أنبئني عن هذه الراية لمن هي ؟ وسأله عن خاصته وعن حال اهـل راياتهم حتى اعلم كل الذي يريد أن يأتي مـن ذلك ثم قال : عد إلى موقفك ، فعاد وفرغ الغلام من القراءة وسائر القراء .

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : لما فرغ القراء كبّر سعد، فكبّر الذين يلونه تكبيرة وكبّر بعض الناسبتكبير بعض فتحشحش الناس،ثم ثنى فاستتم الناس ثم ثلث فبرز اهل النجدات فأنشبوا القتال ، وخـــرج أمثالهم من اهل فارس

---

(١) في م « يقرأ » .

فاعتوروا الطعن والضرب وخرج غالب بن عبد الله الأسدي وهو يقول :

قـــد علمت واردة المسالـح ذات البنان واللبان الواضح
أني سمام البطـل المشايـح وفارج الأمـر المهـم الفادح

فخرج إليه هرمز وكان من ملوك الباب، وكان متوجاً، فأسره غالب أسراً، فجاء به إلى سعد فأدخل وانصرف غالب إلى المطاردة .

وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول :

قد علمت صفراء بيضاء اللبب مثل اللجين إذ تغشاه الذهب
إني امرؤ الأمـر يعييه السبب مثلي على مثلك يعريه الكثب

فطارد رجلاً من اهل فارس فهرب منه، واتبعه حتى إذا خالط صفهم التقى بفارس معه بغلة ، فترك الفارس البغل واعتصم بأصحابه فحموه وإستاق عاصم البغل والرحل حتى أوى به إلى الصف ، فاذا هو خباز الملك ، وإذا الذي معه لطف الملك : الأخبصة والعسل المعقود ، فأتى به سعداً ورجع إلى موقفة ، فلما نظر فيه سعد قال : إنطلقوا به إلى اهل موقفه ، وقال : إن الأمير قد نفلكم هذا فكلوه .

قالوا : وبينا الناس ينتظرون التكبيرة الرابعة لا ينتظرون بالمزاحفة غيرها، إذ قام صاحب رجال بني نهد قيس بن حذيم بن جرثومة فقال: يا بني نهد إنهدوا وإنما سميتم نهداً لتفعلوا ، فبعث إليه خالد بن عرفطة والله لتكفنّ أو لأولينّ عملك غيرك ، فكف .

ولما تطارد الفرسان خرج رجـل ينادي « مرد ومرد » فانتدب له عمرو بن معدي كرب ، وهو بحياله ، فبارزه فاعتنقه، ثم جلد به الأرض فذبحه، ثم التفت إلى الناس ، فقال : إن الفارسي إذا فقد فرسه فإنمـــا هو تيس ، ثم تكتبت الكتائب من هؤلاء وهؤلاء .

وعن قيس بن أبي حازم قال : مرّ بنا عمرو بن معدي كرب وهـو يحضض

الناس فيما بين الصفين وهو يقول: إن الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى مزراقه فإنما هو تيس فبينا هو كذلك يحرضنا إذ خرج إليه رجل من الأعاجم فوقف بين الصفين فرماه بنشابه فما أخطأت سية قوسه وهو متنكبها ، فالتفت إليه،ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه فجاء به حتى إذا دنا منا كسر عنقه ، ثم وضع سيفه على حلقه فذبحه ، ثم ألقاه ، ثم قال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا : من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع ، وقال بعضهم : وأخذ سواريه ومنطقته ويلمق ديباج عليه .

وعن قيس بن أبي حازم أن الأعاجم وجهت إلى الوجه الذي فيه بجيلة ثلاثة عشر فيلاً ، وصفوا على سائر الناس سبعة عشر .

وعن اسماعيل بن أبي خالد قال : كانت في المحرم سنة أربع عشرة في أوله ، وكان قد خرج رجل من الناس إليهم ، فقال له اهل فارس : أحلنا فأحالهم على بجيلة ، فضربوا إليهم ستة عشر فيلاً .

وعن محمد وطلحة وزياد : قالوا : لما تكتب الكتائب بعد الطراد حمل اصحاب الفيلة عليهم ، ففرقت بين الكتائب فانذعرت الخيل ، وكادت بجيلة أن تؤكل ، فرت عنها خيلها نفاراً ، وممن كان معهم في موقفهم ، وبقيت الرجالةمن اهل الموقف، وأرسل سعد إلى بني أسد يا بني اسد ذبوا عن بجيلة ومن لافتها من الناس ، فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مالك ، وغالب بن عبد الله ، والرفيل بن عمرو في كتائبهم ، فباشروا الفيلة حتى عزلها ركبانها، وإن على كل فيل يومئذ عشرين رجلاً .

وعن موسى بن طريف : أن طليحة قام في قومه حين استصرخهم سعد ، فقال ، وهو يحرضهم : يا عشيرتاه ، إن المنوه بإسمه الموثوق به أنتم، وإنهذا لو علم أن أحداً أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم إبدؤوهم الشدة ، وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحربة، فإنما سميتم أسداً لتفعلوا فعله ، شدوا ولا تصدوا،

وكروا ولا تفروا ، لله در ربيعة أي فري يفرون ، وأي قرن يغنون ، هل يوصل إلى مواقفهم ، فاغنوا عن مواقفكم أعانكم الله شدوا عليهم باسم الله .

فقال المغرور بن سويد وشقيق : فشدوا والله عليهم ، فما زالوا يضربونهم ويطعنونهم حتى حبسنا الفيلة عنهم فتأخرت .

وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه فما لبثه طليحة ان قتله .

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : وقام الأشعث بن قيس فقال : يا معشر كندة : لله در بني أسد ، أي فري يفرون وأي هز يهزون عن موقفهم ، منذ اليوم أغنى عن كل قوم ما يليهم وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس ، اشهد ما أحسنتم أسوة إخوانكم من العرب منذ اليوم وإنهم ليقتلون ويقاتلون وأنتم جثاة على الركب ، فوثب إليه عدد منهم عشرة فقالوا له : عثر جدك إنك لتوئسنا جاهراً ونحن أحسن الناس موقفاً ، فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا اسوتهم ، فها نحن معك ، فنهد ونهدوا فأزالوا الذين بإزائهم .

ولما رأى اهل فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة بني أسد رموهم بجدهم وبدروا المسلمين الشدة ، عليهم ذو الحاجب والجالنوس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على أسد ، ومعهم تلك الفيلة وقد ثبتوا لهم ، وقد كبر سعد الرابعة ، فزحف إليهم المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد وحملت الفيول في الميمنة والميسرة على الخيول ، فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد ، وألح فرسانهم على الرجل يشمسون بالخيل ، فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو : يا معشر بني تميم ألستم اصحاب الإبل والخيل ، أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ قالوا : بلى والله ، ثم نادى في رجال من قومه رماة وأخرين أهل ثقافة ، فقال لهم : يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل ، وقال : يامعشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها ، وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد ، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد ، وأقدم اصحاب عاصم على الفيلة

فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتها فقطّعوا وضنها وارتفع عواؤهـــا فما بقي لهم يومئذ فيل إلا أعري ، وقتل أصحابها ، وتقاتل الناس ، ونفّس عن اسد وردُّوا فارساً عنهم إلى مواقفهم ، فاقتتلوا حتى غربت الشمس ، ثم حتى ذهبت هدأة من الليل ، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء وأصيب في بني أسد تلك العشية خمسمائة ، وكانوا ردءاً للناس ، وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم ، فهذا يومها الأول وهو يوم أرماث .

وعن رجل من بني كنانة قال : جالت الجنبات ودارت على بني اسد يوم أرماث ، فقتل تلك العشية منهم خمسمائة وقال عمرو بن شاس الأسدي :

لقد علمت بنـو أسد بـــأنا ... أولوا الأحلام إن ذكروا الحلوما
وإنا النازلون بكـل ثغـر ... ولو لم نلفـه إلا هشيمـا
ترى فينـــا الجياد مسومات ... مع الأبطـال يعلكن الشكيما
ترى فينـا الجيـــاد مجلحـات ... ينهنـه عن فوارسها الخصومـا
بجمع مثل سلم مكفهـــر ... تشبثهم إذا اجتمعوا قروما
بمثلهم تـــلاقي كل[1] هيـج ... إذا لاقيت بؤساً أو خصوما
نفينـا فارساً عمـــا أرادت ... وكانت لا تحاول أن تريما

وقال أيضاً :

ونحن الأولى فزنا بأيام قادس[2] ... وفازت تميم حين حطوا العواليا
متى تدع فينا ادع خندف إنهم ... إذا ما دعوا أسمعت ثم الدواعيا
لنا حاضر لم يحضر الناس مثله ... وباد إذا عـــدوا فابرح باديا
هم منعوا يـوم القوادس اهلهـا ... وولوا بني الوكعاء تلك العواليا

(١) في م « يوم » .
(٢) في م « فارس » .

وقال أيضاً :

فلا وأبيك لا[1] ينفك فينا ... من السادات حظٌّ ما بقينا
ألسنا المانحين لدى قديس ... جموع الفرس مرداة طحونا
ولنا مثل من لا طوق فيه ... ولكن غثنا يلقى سمينا
ونحن إذا يربح الليل أمراً ... يهم الناس عصمة من يلينا
ومرقصة منعناها إذا ما ... رأت دون المحافظة اليقينا
نذكرها إذا ولهت بنيها ... ونحميها إذا نحمي بنينا
إذا افترش النواجي بالنواجي ... وكان القوم في الأبدان جونا
إذا ثار الغبار كان فيه ... إذا اصطفقت عجاجته طحينا
وقد علمت بنو أسد بأنا ... نضارب بالسيوف إذا غشينا
ونحن فوارس الهيجاء إذا ما ... رأيت الخيل ممسدة عزينا

وقال عاصم بن عمرو التميمي :

ألم يأتيك والأنباء تسري ... بما لاقيت في يوم الزيال
ولما أن ترايل مقرفوهم ... عصينا القوم بالأسل النهال
وعريت الفيول من التوابي[1] ... وعطلت الخيول من الرجال
ولولا ذبّنا عن يلينا ... للج الجمع في فعل الضلال
حمينا يوم أرماث حمانا ... وبعض القوم أولى بالحمال

وقال أيضاً :

جلبنا الخيل من أكناف نيق ... إلى كسرى فوافقها رعالا
تركن لهم على الأقسام شجواً ... وبالحنوين أياماً طوالا

---

(١) في م « ما » .
(٢) في م « الثواني » .

رداعية بفارس قد تركنا ... تبكي كلما رأت الهلالا
قتلنا رستماً وبنيه قسراً ... تثير الخيل فوقهم الرمالا
وفر الفيرزان ولم يحامي ... وكان على كتيبته وبالا
تركنا منهم حيث التقينا ... قياماً يريدون ارتحالا
ونجا الهرمزان حذار نفس ... وركض الخيل موصلة عجالا

سيف عن عمرو وطلحة قالا : وكان سعد قد تزوج سلمى بنت خصفة امرأة المثنى بن حارثة قبله بشراف ، فنزل بها القادسية ، فلما كان يوم أرماث وجال الناس وكان لا يطيق جلسة إلا على بطنه جعل سعد يتململ ويحول جزعاً فوق القصر ، فلما رأت ما يصنع أهل فارس قالت : وامثنياه . ولا مثنى للخيل اليوم ، وهي عند رجل قد أضجره ما يرى من أصحابه ، ومن نفسه ، فلطم وجهها وقال : أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحى ؟ يعني أسداً وعاصماً وبجيلة ، قالت : أغيرة وجبناً ؟ قال : لا والله لا يعذرني أحد اليوم إذا أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بي فالناس أحق أن لا يعذروني ، فتعلقها الناس ، فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه ، وكان غير جبان ولا ملوم ، ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبئة ، وقد وكل سعد رجالاً تنقل الشهداء إلى العذيب ونقل الرثيث [1] ، فأما الرثيث فأسلموا إلى النساء يقمن عليهم إلى قضاء الله عز وجل ، وأما الشهداء فليدفنوهم هنالك على مشرق ، وهو وادٍ بين العذيب وبين عين الشمس في عدوبته جميعاً ، الدنيا منها إلى العذيب ، والقصوى منها من العذيب .

وقال في ذلك من نقلانهم سعد رحمه الله :

جزى الله أقواماً بجنب مشرق ... غداة دعا الرحمن من كان داعيا

---

(١) أي الجرحى .

جناناً من الفردوس والمنزل الذي يحل به ذو الخير ما كان باقيا

والناس ينتظرون بالقتال حمل الرثيث والأموات ، فلما استقلت بهم الإبل ووجهت بهم نحو العذيب طلعت عليهم نواصي الخيل من نحو الشام ، وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر ، فلما قدم على أبي عبيدة رحمه الله كتاب عمر رضي الله عنه بصرف أهل العراق أصحاب خالد ولم يذكر خالداً ضن بخالد فحبسه وسرح الجيش وهم ستة آلاف : خمسة آلاف من ربيعة ومضر وألف من أفناء اليمن من أهل الحجاز ، وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو فعجله أمامه ، وجعل على إحدى مجنبتيه قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادي ، ولم يكن شهد الأيام أتاهم وهم باليرموك حين صرف أهل العراق وصرف معهم ، وعلى المجنبة الأخرى الهزهاز بن عدي العجلي ، وعلى الساقة أنس بن عباس ، فانجذب القعقاع ، وطوى وتعجل فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث ، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطعوا أعشاراً وهم ألف ، فكلما بلغ عشرة مد البصر سرح في آثارهم عشرة ، فتقدم القعقاع مع أصحابه في عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود ، فقال يا أيها الناس إني قد جئتكم في قوم والله لو كانوا بمكانكم ثم أحسوكم حسدوكم حظوتها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع ، فتقدم ثم نادى من يبارز ؟ فقالوا : فيه يقول أبي بكر رضي الله عنه : لا يهزم جيش فيهم مثل هذا وسكنوا إليه ، فخرج إليه ذو الحاجب فقال : من أنت ؟ قال : أنا بهمن جاذويه ، فنادى : يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر فاجتلدا ، فقتله القعقاع وهو يقول :

هلم يا ذا الحاجب المشنوق (١) إن كنت ذاهم بأمر الضيق
ألحمته كاللهب المفتوق فمال ميل الجمل المحنوق

(١) في م « المشقوق » .

جدلاً كالجمـــل الفنيق يعض للموت أعـــالي الضيق
بهجة تأتي مـــن العروق أدركت ثـــأر المعشر الرفيق

وجعلت [١] خيله ترد قطعاً ، وما زالت ترد إلى الليل ، وتنشط النـــاس وكأن لم يكن بالأمس مصيبة ، وكأنما استقبلوا قتالهم بقتل الحاجبي وللحـــاق القطع ، وانكسرت الأعاجم لذلـك ، ونادى القعقاع أيضاً من يبارز ؟ فخرج إليه رجلان أحدهما البيرزان والآخر البندوان فانضم إلى القعقاع الحـــارث بن ظبيان بن الحارث أحد بني تيم اللات فبارز القعقاع البيرزان فضربـــه فأذرى رأسه، وبارز ابن ظبيان البندوان فضربه فأذرى رأسه وتوردهم فرسان المسلمين وجعل القعقاع يقول : يا معشر المسلمين باشروهم بالسيوف فإنما يحصد الناس بها ، فتواصى الناس وزحفوا إليهم فاجتلدوا بها حتى جـاء المساء [٢] ، فلم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً مما يعجبهم ، وأكثر المسلمون فيهـــم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل كانت توابيتها قد تكسرت بالأمس واستأنفـــوا صلاحها حين [٣] أصبحوا ، فلم ترتفع حتى كان من الغد .

وعن الشعبي قال : كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القادسية ، فقالت : لبنيها إنكم أسلمتم فلم تبـدلوا ، وهاجرتم فلم تثربوا ، ولم تنب بكم البلاد ، ولم تقحمكم السنة [٤] ، ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين أيدي أهل فارس ، والله إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره ،

---

(١) في م « وحملت » .
(٢) زيدت « جاء » من م .
(٣) في م « علاجها حتى » .
(٤) في حاشية الاصل : أي لم يأت بكم القحط حتى رميتم بأنفسكم في هـــذا المكان فجأة بلا روية ، بل أتيتم بعد التروى ومعرفة ما تلقون .

فأقبلوا يشتدون ، فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهي تقول : اللهم ادفع عن بني ، فرجعوا إليها وقد أحسنوا القتال ما كلم منهم رجل كلماً ، فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء فيأتون أمهم فيلقونه في حجرها فتردده عليهم ، وتقسمه فيهم على ما يصلحهم .

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : بارز القعقاع يومئذ وثلاثة نفر من بني يربوع ، وجعل القعقاع كلما طلعت قطعة كبر وكبر المسلمون ويحمل ويحملون .

واليربوعيون : نعيم بن عمرو بن عتاب ، وعتاب بن نعيم بن عتاب بن الحارث ابن عمرو بن همام ، وعمرو بن شبيب بن زنباع بن الحارث بن ربيعة أحد بني زيد .

وقدم ذلك اليوم رسول لعمر رحمه الله بأربعة أفراس واربعة أسياف يقسمها فيمن انتهى اليه البلاء إن كنت لقيت حرباً ، فدعا حمال بن مالك والرفيل بن عمرو بن ربيعة الوالبيين وطليحة بن خويلد الفقعسي وكلهم من بني أسد ، وعاصم بن عمرو التميمي فأعطاهم الأسياف ، ودعا القعقاع بن عمرو واليربوعيين فحملهم على الأفراس فأصاب ثلاثة من بني يربوع ثلاثة أرباعها ، وأصاب ثلاثة من بني أسد ثلاثة أرباع السيوف ، وقال في ذلك من أمر السيوف الرفيل بن عمرو :

لقد علم الأقوام أنا أحقهم ... إذا حصلوا بالمرهفات البواتر
وما فتئت خيلي عشية أرمثوا ... يذودون زهوا عن جميع العشائر
لدن غدوة حتى أتى الليل دونهم ... وقد أفلحت أخرى الليالي الغوابر

وقال القعقاع بن عمرو في شأن الخيل واليربوعيين :

لم[1] تعرف الخيل العراب سوانا ... عشية أغواث يجنب القوادس

---

(١) في م « لن » .

عشية رحنا بالرمـــاح كأنها على القوم أمثال الطيور الرسارس

سيف عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدي عن أبيـــه قال : كان يكون أول القتال في كل أيامها المطاردة ، فلما قدم القعقاع قال : يا أيها الناس اصنعوا كما اصنع فنادى : من يبارز ؟ فبرز له ذو الحاجب فقتله ، ثم البيرزان فقتله ، ثم خرج الناس من كل ناحية وبدأ الحرب والطعان ، وحمل بنو عـــم القعقاع يومئذ عشرة عشرة من الرجالة على إبل قد ألبسوها فهي مجللة مبرقعة ، وأطافت بهم خيولهم يحموهم وأمروا أن يحملوا على خيلهم من الصفين يشبهون بالفيلة ففعلوا بهم يوم اغواث ، كما فعلت فارس يوم أرماث فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا كثير إلا نفرت بهم خيلهم ، وركبتهم خيول المسلمين ، فلما رأى ذلك الناس استنوا بهم فلقي أهل فارس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم أرماث ، وحمل رجل من بني تميم ممن كان يحمي العشيرة يقال له سوّاد وجعل يتعرض للشهادة ويقول :

إن تُجديـــة ســوداء بذيـــة فأبدلني بهـا حـــوراء عشية

فقتل بعدما كان يحمل ، وأبطأت عليه الشهادة حتى تعرض لرستم يريده فأصيب دونه ، وكان يرتجز يقول :

قد علمت ذات الحلي الخرس
وقضب خدل [١] رواء ملس
أن الشهيد بعلها إن ينسي [٢]

وعن العلاء بن زياد والقاسم بن سليم عن أبيه قالا : خرج رجل من أهـــل فارس ينادي من يبارز ، فبرز له علباء بن جحش العجلي فنفحه علباء فأسحره [٣] ،

---

(١) أي « ساقين ممتلئتين » القاموس .
(٢) في م « إن يعش » .
(٣) السحر : الرئة . القاموس .

ونفحه الآخر فأمعاه وخرّا ، فأما الفارسي فمات من ساعته ، وأما الآخر فانتثرت أمعاؤه فلم يستطع القيام فعالج ادخالها فلم تتأت له ، حتى مر به رجل من المسلمين ، فقال يا هذا أعني على بطني فأدخله له ، فأخذ بصفاقيه [1] ، ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت إلى المسلمين ، فادركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مصرعه إلى صف فارس فقال :

أرجوا بهـــا من ربنـــا ثواباً قد كنت ممن يحسن الضرابا

قالا : وخرج رجل من أهل فارس فنادى من يبارز ، فبرز له الأعرف بن الأعلم العقيلي فقتله ، ثم برز له أخر فقتله ، فاحاطت به فوارس منهم فصرعوه وندر سلاحه عنه [2] فأخذوه فغبر في وجوههـــم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه ، وقال في ذلك :

إن ياخـــذوا بزي فاني محرّب خروج من الغماء محتضر النصر
وإني لحـــام من وراء عشيرتي ركوب لآثار الهوى محفل الأمر

وعنهما قالا : فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة ، كلما طلعت قطعة حمـــل حملة فأصاب فيها ، وجعل يرتجز ويقول :

أزعجهم عمداً بها ازعاجا
أطعن طعناً صائباً ثجاجا
أرجوا بها من جنة أفواجا

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : قتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين في ثلاثين حملة ، كلما حمل حملة قتل فيها ، فكان آخرهم بزرجمهر الهمذاني ، وقال القعقاع :

حبوتـــه جيـــاشة بالنفس

---

(١) أى انقلب ذاهباً . القاموس .
(٢) أضيفت عنه من م .

هدارة مثـــل شعـاع الشمس
في يوم أغواث قليـل الغرس
أنخس بالقـــوم أشد النخس
حتى تفيـــظ معشري ونفسي

وبارز الأعور بن قطبة شهر براز سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه ، فقال أخوه في ذلك :

لم أر يوماً كان أحلى وأمر
من يوم أغواث إذ افتر الثغر
من غير ضحك كان أسوى وأبر

وعن رجل من طيء قال : حمل رجل من طيء يكنى أبا كعب على رجل من أهل فارس بين الصفين ، فبرز له الفارسي فاجتلدا فقتله الطائي وأخذ يلمقـــه وقلنسيته فلبسها ، ثم رجع تعدو به فرسه حتى إذا كان قريباً من صف بجيلة برز له رجل منهم يدعى مضرساً ، وهو يحسبه من أهل فارس فطعنـه فقتله ، فقال : قتلتني قتلك الله ، فارتفعوا إلى سعد فأخبروه الخبر ، فقال : إن الشهادة لا تودي ولا يؤخذ عليها شيء لأن كل منية ظنون غيرها ، فكان مضرس يأتيه فيعانقه حتى يبل لحيته ويقول الآخر : اللهم اغفر له ، وقال أبو كعب :

لعمري لقد ثارت رماح مضرس بملج هوى بالطف من آل فارس

وحمل رجل آخر من طيء يقال له يجير بن عميرة ، وكان أحمـراً شبيهاً بالعجم ، فاستلب رجلاً من أهل فارس رايته فأقبل بها ، فبصر به رجـل من كندة يدعى فروة ، فحمل عليه فطعنه فأصاب مقتلة فنادى يجـــير باسم الله فاعتنقه فروة فأتيا سعداً فقال لهما مثل ذلك إن الشهادة لا ثواب لها في الدنيـا ولكن كفوا العجلات .

وعنهم وعن ابن مخراق وعن رجـــل من طيء ، قالوا : كان على العذيب حاجب بن زيد حليف بني عبد الأشهل . قالوا : وقاتلت الفرسان يوم الكتائب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف [النهار ، فلما عدل النهار تزاحف الناس فاقتتلوا بها صتيتا [١] حتى انتصف] [٢] الليل فكانت ليله أرماث تدعى ليلة الهدأة وليله أغواث تدعى السواد ، والنصف الأول يدعى السواد ، ثم لم يزل المسلمون يرون في يوم أغواث في القادسية الظفر ، وقتلوا فيهم عامة أعلامهم ، وجالت فيه خيل القلب ، وثبت رجلهم ، فلولا أن خيلهم كرت أخذ رستم أخذاً ، فلما ذهب السواد وتفانياً الناس ، وباتوا وهم على مثل ما بات القوم عليه ليلة أرماث ، ولم يزل المسلمون ينتمون لدى [٣] أمسوا حتى تفايؤوا ، فلما أمسى سعد ، وسمع ذلك نام [٤] ، وقال لبعض من عنده : إن تم الناس على الانتماء فلا توقظوني [٥] فإنهم أقوياء على عدوهم ، وإن سكتوا ولم ينتم الآخرون فلا توقظوني [٥] فإنهم على الاستواء ، فإن سمعتهم ينتمون فأيقظني فإنما انتماؤهم من السوء .

وعن محمد وطلحة وزياد وابن مخراق قالوا : ولما اشتد القتـــال بالسواد ، وكان أبو محجن قد حبس وقيد فهو في القصر ، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقيله ، فزبره سعد وردّه ، ونزل فأتى سلمى بنت خصفه وقال : يا بنت خصفة : هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذلك ؟ قال : تخلين عني وتعيريني البلقاء فلله علي إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي ، وإن أصبت وخشيت هذا فما أكثر من يفلت ويحرب صاحبه ، فقالت : وما أنا وذاك ؟ فرجع يرسف في قيوده ويقول :

---

(١) الصتيت : الصوت والجلبة . القاموس .

(٢) زيد ما بين الحاصرتين من م .

(٣) في م « لدن » .

(٤) في م « قام » .

(٥) في م « توقظني » .

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا وأتركك مشدوداً عليّ وثاقيا
إذا قمت غناني الحديد وأغلقت مصاريع دوني قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وأخوة فقد تركوني واحداً لا أخا ليا
ولله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت أن لا أزور الخوابيا

فقالت سلمى : إني قد استخرت الله ، ورضيت بعهدك ، فأطلقته وقالت : أما الفرس فلا أعيرها ورجعت إلى بيتها فاقتادها فاخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ، ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين - قالوا بسرجها وقال غيرهم عري - ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبر وحمل على ميمنة القوم ، يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه ، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فبرز أمام الناس فحمل على القوم يلعب بين الصفين يلعب برمحه وسلاحه ، وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً ، وتعجب الناس منه ، وهم لا يعرفونه (١) ولم يروه من النهار ، فقال بعضهم : أوائل أصحاب هاشم بن عتبة ، أو هاشم نفسه وجعل سعد يقول ، وهو مشرف على الناس ، مكب من فوق القصر يقول : والله لولا محبس أبي محجن لقلت إن هذا أبو محجن وهذه البلقاء .

وقال بعض الناس : إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن أن صاحب البلقاء الخضر ، وقال بعضهم : والله لولا أن الملائكة لا تباشر لقلنا ملك يثبتنا ، ولا يذكره الناس ولا يأبهون له لأنه بات في محبسه فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس وتراجع المسلمون ، وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ، فوضع عن نفسه وعن دابته ، وأعاد رجله في قيده وقال :

---

(١) في م « ولا » .

لقد علمت ثقيف غير فخر ... بأنا نحن أكبرهم [1] سيوفا
وأكثرهم دروعاً سابغات ... وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وإنا وفدهم في كل يوم ... فإن عميوا فسل بهم عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بي ... ولم أشعر لخرجي الزحوفا
فإن أحبس فذلكم بلائي ... وإن أترك أذيقهم الحتوفا

قالت له سلمى : في أي شيء حبسك هذا الرجل ؟ قال : أما والله ما حبسني لحرام أكلته ولا شربته ، ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر في لساني يبعثه على شفتي فيساء لذلك ثنائي فعلى ذلك حبسني ، قلت :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة ... تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها
وتروي بخمر الحص [2] لحدي فإنني ... أسير لها من بعد ما قد أسوقها

ولم تزل سلمى مغاضبة لسعد عشية ارماث وليلة الهدأة ، وليلة السواد حتى إذا اصبحت اتته فصالحته ، وأخبرته خبرها وخبر ابي محجن ، فدعا به فأطلقه وقال : إذهب فما انا بمؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرم والله لا أجيب لساني الى صفة قبيح ابداً .

---

(١) في م « أكرمهم » .
(٢) موضع بنواحي حمص تنسب إليه الخمر . معجم البلدان ،

حديث يوم عَماس

محمد وطلحة وزياد بإسنادهم وابن مخراق عن رجل من طيء قالوا: واصبحوا من اليوم الثالث وهم على مواقفهم ، واصبحت الأعاجم على مواقفهم ، واصبح ما بين الناس كالرجلة الحمراء – يعني الحرة – ميل في عرض ما بين الصفين، وقد قتل من المسلمين الفان بين رثيث وميت ، ومن المشركين عشرة آلاف من [1] رثيث وميت وقال سعد : من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم ، فجعلوهم من وراء ظهورهم ، واقبل الذين يتبعون القتلى يحملونهم إلى المقابر، ويبلغون الرثيث النساء، وكان حاجب بن زيد على الشهداء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور ، في اليومين يوم ارماث ويوم اغواث بعدوتي مشرق ألفان وخمسمائة من اهل القادسية واهل الأيام ، فمر حاجب وبعض اهل الشهادة وولاة الشهداء في اصل نخلة بين القادسية والعذيب وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها ، فكان الرثيث إذا حملوا فانتهي بهم إليها وأحدهم يعقل سألهم ان يقفوا به تحتها يستروح إلى ظلها ، ورجل من الجرحى من طيء يدعى بجيراً يقول وهو مستظل بظلها :

ألا يا اسلمي يا نخلة بين قادس وبين المُذيب [2] لا يجاورك النخل

ورجل من بني ضبة او من بني ثور يدعى غيلان وهو يقول :

---

(١) في م « بين » .

(٢) في م « غريب » .

ألايا اسلمي يا نخلة فوق جرعة [١] تجاورك الجمان والرمث والرغل [٢]

وقال رجل من بني تيم الله يقال له ربعي :

يا نخلة الجرعاء و يا جرعة العدي سقتك الغوادي والغيوث الهواطل

وقال الأعور بن قطبة :

ألا يا نخلة الركبان لا زلت فانضري ولا زال في أكناف جرعتك النخل

وقال عوف بن مالك التميمي :

ألا يا نخلة بين [٣] العذيب بتلعة سُقيت الغوادي المدجنات من النخل

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا: وبات القعقاع ليلته كلها يسرّب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه من الأمس ، ثم قال : إذا طلعت لكم الشمس فأقبلوا مائة مائة ، كلما توارت عنكم مائة فلتتبعها مائة ، فإن جاء هاشم فذاك وإلا جددتم للناس رجاء وجداً ، ففعلوا ولا يشعر بذلك أحد ، وأصبح الناس على مواقفهم ، قد أحرزوا قتلاهم وخلوا بينهم وبين حاجب بن زيد وقتلى المشركين بين الصفين قد أضيعوا ، وكانوا لا يعرضون لموتاهم ، وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين مكيدة فتحها ليشد بها أعضاد المسلمين ، فلما ذر قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل طلعت نواصيها كبر وكبر الناس ، وقالوا : جاء المدد .

وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها فجاؤوا من قبل خفان فتقدم الفرسان وتكتبت الكتائب فاختلف الضرب والطعن ومددهم متتابع ، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم وقد طوى في سبع مائة ، فأخبروه بأتى [٤] القعقاع وما صنع في يومه ، وعن الناس ، فعبأ أصحابه سبعين سبعين

---

(١) الجرعة : الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل . القاموس .

(٢) الرغل : نبت . القاموس .

(٣) في م « دون » .

(٤) في م « رأي » .

فلما نجز آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث ولم يكن من أهل الأيام إنما أتى اليرموك من اليمن ، فانتدب مع هاشم فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب كبر وكبر المسلمون وقد أخذوا مصافهم ، وقال هاشم : أول القتال المطاردة ، ثم المراماة ، فأخذ قوسه فوضع سهماً على كبدها ثم نزع منها فرفعت فرسه رأسها فخل اذنها فضحك وقال : واسوءتاه من رمية رجل كل من رأى ينتظره ، أين ترون سهمي كان بالغاً؟ فقيل: العتيق فنزقها وقد نزع السهم ، ثم ضربها حتى إذا وقعت على العتيق ثم ضربها فأقبلت به تخرقهم حتى عاد إلى موقفه وما زالت مقانبه تطلع إلى الأول ، وقد بات المشركون في علاج توابيتهم حتى إذا أعادوها فأصبحوا على مواقفهم ، وأقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضنها ، ومع الرجالة فرسان يحمونهم إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه لينفروا بهم خيلهم ، فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش، وإذا طافوا به كان آنس ، فكان الفيل كذلك حتى عدل النهار ، وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديداً، العرب والعجم فيه على السواء ولا تكون بينهم نقطة إلا تعاورها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجرد فيرسل إليهم أهل النجدات ممن بقي عنده فيقوون بهم ، وأصبحت عنده للذي لقي [1] بالأمس الإمداد على البرد ، فلولا الذي صنع الله عز وجل للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين وأتاح لهم بهاشم كسر ذلك المسلمين .

وعن الشعبي قال : قدم هاشم بن عقبة من قبل الشام معه قيس بن المكشوح المرادي في سبع مائة بعد فتح اليرموك من دمشق ، فتعجل في سبعين : منهم سعيد بن نمران الهمداني .

---

(١) في م « بقي » .

قال مجالد : وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدمة هاشم .

وعن عصمة الوائلي وكان قد شهد القادسية قال : قـــدم هاشم من الشام في أهل العراق ، فتعجل في أناس ليس معـــه من غيرهم أحد إلا نفير ، منهم ابن المكشوح ، فلما دنا ، تعجل في ثلاثمائة فوافق الناس وهم على مواقفهم ، فدخلوا مع الناس في صفوفهم .

وعن الشعبي قال : كان اليوم الثالث يوم عماس ، ولم يكن في أيام القادسيـة مثله ، خرج الناس فيه على السواء كلهم على ما أصابه كان صابراً ، وكلما بلـــغ منهم المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين مثله ، وكلما بلغ الكافرون من المسلمين بلغ المسلمون من الكافرين مثله .

وعن اسماعيل بن محمد بن سعد قال : قدم هاشم بن عتبة القادسية يوم عماس وكان لا يقاتل إلا على فرس أنثى ، لايقاتل على ذكر ، فلما وقف في الناس رمى بسهم فأصاب أذن فرسه ، فقال : واسوءتاه من هذه أين ترون سهمي كان بالغاً لو لم يصب أذن الفرس ؟ قالوا : كذا وكـذا فأحال ونزل وترك فرسه ثم خرج يضربهم حتى بلغ حيث قالوا .

وعن اسماعيل قال : كنا نرى أنه كان على الميمنة ، وما كان عامة جنن [1] الناس إلا البراذع براذع الرحال قد أعرضوا فيها الجريد ، وعصب من لم يكن له منهم وقاية رؤوسهم بالأنساع .

وعن أبي كبران الحسن بن عقبه : أن قيس بن المكشوح قال مقدمـــة من الشام مع هاشم بن عتبة ، وقام فيمن يليـه ، فقال : يا معشر [2] العرب إن الله عز وجل قد منّ عليكم بالإسلام وأكرمكم بمحمد عليـه السلام ، فأصبحتم بنعمة

---

(١) أي أدوات الحماية .

(٢) في م « معاشر » .

الله إخواناً دعوتكم واحدة وأمركم واحد بعد إذ أنتم بعدو بعضكم على بعض عدو الأسد، ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذئاب ، فأنصروا الله ينصركم وتنجزوا من الله تعالى فتح فارس ، فإن اخوتكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام وانتشال القصور الحمر والحصون الحمر .

وعن الشعبي قال : قال عمرو بن معدي كرب إني حامل على الفيل ومن حوله – لفيل بإزائهم – فلا تدعوني أكثر من جزر جزور ، وتعشيره ، فإن تأخرتم عني فقد فقدتم أبا ثور ، وأين لكم مثل أبي ثور ، فإن أدركتموني ، وجدتموني وفي يدي السيف ، فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم فستره الغبار فقال أصحابه : ماذا تنتظرون ما انتم بخلقاء ان تدركوه ، فإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم ، فحملوا حملة واحدة فأفرج المشركون عنه بعدما صرعوه وطعنوه ، وان سيفه لفي يدة يضاربهم به ، وقد طعن فرسه ، فلما رأى اصحابه وانفرج عنه اهل فارس ، اخذ برجل فرس رجل من اهل فارس فحركه الفارسي فاضطرب الفرس فالتفت الفارسي إلى عمرو ، فهم به وأبصره المسلون فغشوه ، فنزل عنه الفارسي وحاضر [1] الى اصحابه فقال عمرو أمكنوني من لجامه فأمكنوه منه فركبه .

وعن الأسود بن قيس عن اشياخ شهدوا القادسية قالوا : لما كان يوم عماس خرج رجل من العجم حتى إذا كان بين الصفين هدر وشقشق ونادى من يبارز؟ فخرج إليه رجل منا يقال له بشر بن علقمة وكان قصيراً قليلاً دميماً ، فقال : يا معشر المسلمين قد انصفكم الرجل فلم يجبه احد ، ولم يخرج إليه احد فقال : أما والله لولا ان تردوني لخرجت إليه ، فلما رأى انه لا يمنع ، اخذ سيفه وجحفته ثم تقدم ، فلما رآه الفارسي هدر ، ثم نزل إليه فاحتمله ثم جلس على صدره ، ثم اخذ سيفه ليذبحه به ومقود فرسه مشدود بمنطقته ، فلما استل السيف

(١) في حاشية الاصل : أي عدا مسرعاً مبادراً من يريد لحاقه .

حاص الفرس حيصة فجذبه المقودفقلبه عنه ، فأقبل عليه وهو يسحب فافترسه فجعل اصحابه يصيحون به ، فقال : صيحوا ما بدا لكم فوالله لا افارقه حتى اقتله ثم اسلبه ، فذبحه وسلبه ثم اتى به سعداً فقال : اذا كان حين الظهر فاتني فوافاه بالسلب فحمد الله وأثنى عليه سعد ثم قال : اني قد رأيت ان انفله اياه، وكل من سلب سلباً فهو له فباعه بإثني عشر الفاً

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : ولما رأى سعد الفيلة تفرق بين الكتائب وعادت لفعلها يوم أرماث أرسل إلى أولئك المسلحة : ضخم ومسلم ورائع وعشنق وأصحابهم من الفرس الذين اسلموا ، ودخلوا عليه فسألهم عن الفيلة هل لها مقاتل ، قالوا : نعم المشافر والعيون لا ينتفع بها بعدها ، فأرسل الى القعقاع ابن عمرو وعاصم : اكفياني الأبيض ، وكانت كلها ألفه له [1] تتبعه وكان بإزائها ، وأرسل الى حمال والربيل اكفياني الفيل الأجرب وكانت ألفة له كلها وكان بازائها، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمين لينين ، ودبوا [2] في خيل ورجل وقالا: اكتنفوه لتحيروه ، وهما مع القوم ، وفعل حمال والربيل مثل ذلك ، فلما خالطوهما اكتنفوهما،فنظر كل واحد منهما يمنة ويسره وهما يريدان أن يتخبطا ، فحمل القعقاع وعاصم والفيل متشاغل بمن حوله فوضعا رمحيهما معاً في عيني الفيل الأبيض وقبع ونفض رأسه فطرح سائسه ودلى مشفره فنفحه القعقاع فرمى به ، ووقع لجنبه وقتلوا من كان عليه وحمل حمال ، وقال للربيل : إختر اما أن تضرب المشفر واطعن في عينيه ، أو تطعن في عينيه واضرب مشفره ، فاختار الضرب فحمل عليه حمال وهو متشاغل بملاحظة من اكتنفه لا يخاف سائسه إلا على بطانه ، فانفرد به أولئك فطعنه في عينه فأقعى

(١) في الأصل « الفيلة » وهو تصحيف صوابه من م .
(٢) في م « ودنوا » .

ثم استوى ونفحه الرفيل فأبان مشفره ، ويضرب سائسه الربيل ففقر انفه وجبينه بفأسه .

وعن الشعبي قال: قال رجلان من بني أسد يقال لهما الربيل وحمال : يامعشر المسلمين أي الموت أشد ؟ قالوا : أن تشدا على هذه الفيل ، فنزقا فرسيهما حتى اذا قاما على السنابك ضرباهما على الفيل الذي بإزائهما فطعن أحدهما في عينه ، ووطيء الفيل من خلفه وضرب الآخر مشفره، فضربه سائس الفيل ضربة شائنة بالطبرزين [١] في وجهه فأفلت بها هو والربيل ، وحمل القعقاع وأخوه على الفيل الذي بإزائهما ففقآ عينيه وقطعا مشفره ، فبقي يتلدد بين الصفين ، كلما أتى صف المسلمين وخزوه ، واذا أتى صف المشركين نخسوه .

وعن الشعبي قال : كان في الفيلة فيلان يعلّمان الفيلة، فلما كان يوم القادسية حملوهما على القلب فأمر بهما سعد القعقاع وعاصماً التميميين وحمالاً والربيل الأسديين ، مثل الأول ، إلا أنه قال : فعاش بعد [٢] ، وصاح الفيلان صياح الخنزيرين ، ثم ولى الأجرب الذي عور فوثب في العتيق، فاتبعته الفيلة ، فخرقت صف الأعاجم ، فعبرت العتيق في اثره ، فبيتت المدائن في توابيتها وهلك من فيها .

وزاد غيرهم : فأقعى الفيل ثم نهض فتخبط حتى رمى بمن عليه ، وذهب سائسه ليحمله على الناس فإنثنى راجعاً، وقد رشق الناس مشافر الفيلة ، فاتبعته الفيلة ، فلم يبق في المعركة فيل إلا الأبيض ولم تنته عن المدائن ، وكانت تعمل بالناس وتفعل الأفاعيل واستقام للناس وجه القتال فاقتتلوا .

وعنهم قالوا : فلما ذهبت الفيلة، وخلص المسلمون بأهل فارس ومال الظل تزاحف المسلمون وحماهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار ، فاجتلدوا بها حتى

---

(١) أي الفأس .

(٢) بداية سقط في م .

أمسوا على حرد بالسيوف ، وهم في ذلك على السواء لأن المسلمين حين فعلوا بالفيول ما فعلوا ، تكتبت كتائب الإبل المجففة [١] فمرقبوا فيها ، وكفكفوا عنها ، وقال في ذلك اليوم في شأن شدته وما لقيت الفيول القعقاع بن عمرو :

حضضت قومي مضر حيّ بن يعمر ... فلله قومي حين هزوا العواليا
وما خام عنها يوم سارت جموعنا ... لأهل قديس يمنعون الموالیا
فإن كنت قاتلت العدو بنيّة ... فإني لألقى في الحروب الدواهيا
فيولاً أراها كالليوث مغيرة ... أسّل أعياناً لها ومآقيا

وقال حمال الأسدي :

ألا هل أتاها يوم أعماس أنني ... أمارس أساداً لها وفيولا
أمارس فيلاً مثل كعبة ابهر ... يرى دونه رجراجة وخيولا
طعنت برمحي عينه فرددته ... يرشح بولاً خشية وجفولا
وأضرب خيشوماً له متهدلا ... فانصاع منجفل الشوى مغلولا

وقال الربيل بن عمرو :

ولما رأيت الفيل أقبل نحونا ... قطعت بذي الحبات مشفره عمداً
طعنت برمحي عينه فتركته ... يقهقر لما أن غضبت به جهداً

وعنهم قالوا : لما أمسى الناس من يومهم ذلك، وطعنوا الى آخر الليل اشتد القتال ، فصبر الفريقان فخرجا على السواء الا الغماغم [٢] من هؤلاء وهؤلاء ، فسميت ليلة الهرير ، لم يكن بعدها قتال بليل في القادسية .

---

(١) جاء في حاشية الأصل : أي التي عليها التجافيف ، والتجفاف : آلة الحرب تلبسه الفرس والإنسان ليقيه ، فجعلوا الإبل كالخيل في إلباسها .

(٢) الغمغمة : أصوات الأبطال عند القتال . القاموس .

وعن المؤلف [١] رضي الله عنه أن سعداً بعث ليلة الهرير طليحة وعَمْراً الى مخاضة أسفل من العسكرين ليقوما عليها خشية أن يأتيه القوم منها وقال لهما : ان وجدتما القوم قد سبقوكما إليها فانزلا بحيالهم ، وان لم تجدوهم علموا بهـا ، فأقيما بها حتى يأتيكما أمري ، وكان عمر قـد عهد الى سعد أن لا يولي رؤساء اهل الردة على مائة ، فلما انتهيا الى المخاضة فلم يريا فيها أحداً ، قال طليحـة : لو خضنا فأتينا الأعاجـم من خلفهم ، فقال عمرو لا بل نعبر أسفل ، فقال ان الذي أقول أنفع للمسلمين ، فقال عمرو : انك تدعوني الى ما لا نطيق ، فافترقا ، فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق وحـــده وسفل عمرو في أصحابهما جميعاً ، فأغار فثارت به الأعاجم ، وخشي سعد منهما الذي كان ، فبعث قيس ابن المكشوح في أثارهما في سبعين رجـلاً ، وكان من أولئك الرؤساء الذين نهي عنهم ان يوليهم المائة ، وقال : ان لحقتهم فأنت عليهم ، فخرج نحوهم فلما كان عند المخاضة وجد القوم يكردون [٢] عَمْراً وأصحابه فنهنه الناس عنه .

وأقبل قيس على عمرو يلومه فتلاحيا ، فقال اصحابه : إنه قد أمر عليك فسكت وقال: يتأمر عليَّ رجل وقد قاتلته في الجاهلية عُمْر رجل ، فرجعا إلى العسكر ، وأقبل طليحة حتى إذا كان بحيال العسكر ، كبر ثلاث تكبيرات ، ثم ذهب فطلبه القوم ، فلم يدروا أين سلك ، وسفل حتى خاض ، ثم أقبل إلى العسكر فأتى سعداً فأخبره ، واشتد ذلك على المشركين وخلط عليهم ، وفرح المسلمون وما يدرون من هو .

وعن قدامة بن سيف الكاهلي عن من حدثه ، أن عشرة أخوة من بني كاهل ابن اسد يقال لهم : بنو حرب جعل احدهم يرتجز ليلتئذ ويقول :

أنا ابن حرب ومعي مخراق أضربهم بصارم رقـــراق

---

(١) هو الطبري ، انظر تاريخه : ٣ / ٥٥٧ .

(٢) الكرد : طرد العدو . القاموس .

إذ كره المـــوت ابو إسحق وجاشت النفس عن التراق
صبراً عفاق إنه الفراق

قال : وكان عفاق احد العشرة من إخوته ، فأصيبت [١] فخذ صاحب هذا الشعر يومئذ ، فأنشأ يقول :

صبراً عفاق إنهـــا الأساورة صبراً ولا تغررك رجل نادرة

فمات من ضربته يومئذ .

وعن حميد [٢] بن أبي شحاذ قال : بعث سعد طليحة في حاجة فتركها وعبر العتيق ، فدار إلى عسكر القوم حتى إذا وقف على اردم النهر كبر ثلاث تكبيرات فراع اهل فارس ، وتعجب المسلمون وكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك ، فأرسلت الأعاجم في ذلك وسأل المسلمون عن ذلك .

ثم إنهم أعادوا وجـــددوا تعبئة ، وأخذوا في امر لم يكونوا عليه في الأيام الثلاثة والمسلمون على تعبئتهم وجعل طليحة يقول : لا تعدموا [٣] امراً ضعضعكم .

وخرج مسعود بن مالك الأسدي وعاصم بن عمرو التميمي ، وابن ذي البردين الهلالي ، وابن ذي السهمين الخثعمي وقيس بن هبيرة الأسدي ، وقيس بن هبيرة المرادي وأشباههم ، فطاردوا القوم ، وابتعثوا للقتال فإذا القوم لمة [٤] لايشدون ولا يريدون إلا الزحف فقدموا صفاً لـــه أذنان ، واتبعوا آخر مثله وآخر وآخر حتى تمت صفوفهم ثلاثة عشر صفاً في القلب والجنبتين كذلك ، فلما أقدم عليهم فرسان العسكر راموهم فلم يعطفهم ذلك عن ركوبهم ، ثم لحقت بالفرسان

---

(١) نهاية السقط في م .
(٢) في م « محمد » ووافق ما جاء بالأصل ما أورده الطبري : ٣ / ٥٥٨ .
(٣) في م « لا تقدموا » ووافق ما جاء بالأصل ما أورده الطبري : ٣ / ٥٥٩ .
(٤) اللمة : الشدة . القاموس .

الكتائب فأصيب ليلتئذ خالد بن يعمر التميمي ثم العمري ، فحمل القعقاع بن عمرو على ناحيته التي رمي بها مزدلفاً ، فقاموا على ساق ، وفي ذلك من الشأن يقول القعقاع بن عمرو :

سقى الله يا حوضاء قبر ابن يعمر ... إذا ارتحل السفّار لم يترحل
سقى الله أرضاً حلها قبر خالد ... ذهاب عواد مدجنات تجلجل
فأقسمتُ لا ينفك سيفي يحسهم ... وإن رحل الأقوام لم يترحل

فزاحفهم الناس على راياتهم بغير إذن سعد ، فقال سعد : اللهم اغفرها له وانصره ، وقد أذنت له إذ لم يستأذني ، والمسلمون يومئذ على مواقفهم إلا من تكتب او طاردهم ، وهم ثلاثة صفوف فصف فيه الرجال اصحاب الرماح والسيوف، وصف فيه المرامية ، وصف فيه الخيول، وهم امام الرجال وكذلك الميمنة وكذلك الميسرة .

وقال سعد : إن الأمر الذي صنع القعقاع فإذا كبرت ثلاثاً فازحفوا ، فكبر تكبيرة فتهيئوا ورأى الناس كلهم مثل الذي رأى والرحى تدور على القعقاع ومن معه .

وعن عمرو بن مرة قال : وقام قيس بن هبيرة المرادي فيمن يليه ولم يشهد شيئاً من لياليها إلا تلك الليلة ، فقال : إن عدوكم قد أبى إلا المزاحفة والرأي رأي الأمير وليس بأن تحمل الخيل ليس[1] معها الرجال فإن القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوهم على الخيل ولا رجال معهم عقروا بهم، ولم يطيقوا ان يقدموا عليهم فتيسروا للحملة ،فتيسروا وانتظروا التكبيرة وموافقه حملة الناس ، وإن نشاب الأعاجم لتجوز وراء صف المسلمين

وقال دريد بن كعب النخعي – وكان معه لواء النخع : إن المسلمين قد

(١) سقطت من م .

تهيؤوا للمزاحفة فاسبقوا المؤمنين الليلة الى الله والجهاد فإنه لا يسبق الليلة احد إلا كان ثوابه على قدر سبقه ، نافسوهم في الشهادة وطيبوا بالموت أنفساً ، فإنه أنجى من الموت ان كنتم تريدون الحياة ، وإلا فالآخرة ما أردتم .

وعن الأجلح قال : قال الأشعث بن قيس : يا معاشر العرب إنه لا ينبغي ان يكون هؤلاء أجرأ على الموت ، ولا اسخى أنفساً [١] عن الدنيا ، تنافسوا [٢] الأزواج والأولاد ولا تجزعوا من القتل فإنه أماني الكرام ومنايا الشهداء ، وترجل .

وعن عمرو بن محمد قال : قال حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار : ترجلوا أيها الناس وإفعلوا كما نفعل ولا تجزعوا مما لا بد منه ، فالصبر أنجى من الجزع ، وفعل طليحة وغالب وأهل النجدات من جميع القبائل مثل ذلك.

وعن عمرو والنضر بن السري قالا : ونزل ضرار بن الخطاب القرشي ، وتتابع على التسرع اليهم الناس كلهم ، فيما بين تكبيرات سعد حين استبطؤوه ، فلما كبر الثانية حمل عاصم بن عمرو حتى انضم الى القعقاع وحملت النخع وعصى الناس كلهم سعداً فلم تبق إلا الثالثة ، ولم ينتظرها إلا الرؤساء .

فلما كبر الثالثة زحفوا فلحقوا بأصحابهم وخالطوا القوم فاستقبلوا الليل إستقبالا بعدما صلوا العشاء .

وعن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة عن أبيه قال : حمل الناس ليلة الهرير عامة ولم ينتظروا بالحملة سعداً ، وكان أول من حمل القعقاع فقال : اللهم اغفرها له وانصره ، وقال : واقتياه سائر الليلة ، وقال : إن الامر ما فيه هذا ، فاذا كبرت ثلاثاً فاحملوا . فكبر واحدة فلحقتهم أسد فقيل قد حملت أسد ، فقال:

---

(٢) في م « نفساً » .

(٢) في م « نافسوا » .

اللهم إغفرها لهم وإنصرهم وأسداه سائر الليلة ، ثم قيل : حملت النخع ، فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ، وابجيلتاه ، وانخعاه سائر الليلة ، ثم حملت بجيلة فقيل: حملت بجيلة فقال : اللهم اغفرها لهم وانصرهم ، ثم حملت الكنود فقيل : حملت كندة فقال ، واكندتاه ، ثم زحفت الرؤساء بمن انتظر التكبيرة فقامت حربهم على ساق حتى الصباح ، فتلك الليلة ليلة الهرير .

وعن أنس بن الحليس : قال : شهدت ليلة الهرير ، فكان صليل الحديد فيها كضرب القيون[1] ليلتهم حتى الصباح ، أفرغ عليهم الصبر إفراغاً ، وبات سعد بليلة لم يبت مثلها ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد ، وأقبل سعد على الدعـــاء حتى إذا كان في وجه الصبح إبتهى[2] الناس ، فاستدل سعد بذلك على أنهـــم الأعـلون ، وأن الغلبة لهم .

وعن الأعور بن بيان المنقري قال : أول شيء سمعه سعد ليلتئذ مما يستدل به على الفتح في نصف الليل الباقي ، صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول :

نحن قتلنا معشراً وزائـــداً أربعـــة وخمسة وواحـداً
تحسب فـوق البلد الأساودا حتى إذا ماتوا دعوت شاهداً
الله ربي واحتردت جاهداً

وعن ابن الرفيل قال : اجتلدوا تلك الليلة من أولها حتى أصبحوا لاينطقون وكلامهم الهرير فسميت ليلة الهرير حتى كان من آخر ذلك .

وعن عمرو بن مصعب بن سعد قال : بعث سعد في تلك الليلة بجاداً ، وهو غلام ، إلى الصف إذ لم يجد رسولاً فقال : إنظر مـــاذا ترى من حالهم ؟ فرجع فقال : ما رأيت يا بني ؟ فقال : رأيتهم يلعبون فقال : أو يجدون .

سيف عن شيوخه قالوا : أول شيء سمعه سعد تلك الليلة ، استدل بـه على

---

(١) جمع قين وهو الحداد .
(٢) سيأتي شرح ذلك .

الفتح ، أن سمع صوت القعقاع بن عمرو يبتهي [١] من أول ثم سمع ابن الهذيل الأسدي يقول :

أعددت للقوم علنداً [٢] نهـــدا عاري الحماتين يُروّعُ الجنـــدا

ثم سمع صوت مذعور بن عدي يقول :

لحن صدمناهـم بحي وائـل حتى فلجنا غير قيـل القائل

ثم سمع أكتل [٣] بن شماخ يقول :

لحن دفعناهم بركني رعـــل بجمع تيم وجمـــوع عُكل

وسمع الكلح الضبي يقول :

يا ليلة صائلـــة [٤] الـقوادس ليست من الليـــالي الحنادس

فكان هذا أول ما سمع سعد في الناس وهو الإبتهاء [٥] فاستدل به على الفتح وعلى قوة المسلمين ووهن المشركين ، واتسع له الرجاء ، ثم سمع بعـد الإبتهاء الإنتماء [٦] ، فسمع عمرو بن معـدي كرب يقول : أنا ابن أسلة ، وسمع طليحة يقول : أنا ابن ليلى ، وسمع صوت مسعد بن العمارة يقول : أنا ابن أروى ، ثم سمع الإنتساب خذها وأنا الغلام الجذامي من النخع ، خذها وأنا الغلام المالكي من بني أسد ، خذها وأنا الغلام الأسعدي من عجل ، من كل ناحية ، فأصبحوا والناس عـلى مواقفهم متحاجزين .

وكتب عمر الى سعد بعد الفتح أنبئني من وجدت أصبر ليلة الهرير؟ فكتب

---

(١) في حاشية الأصل : أي يفتخر .

(٢) كتب تحتها بالأصل : فرساً حسناً .

(٣) في الأصل أكيل وهو تصحيف صوابه من م ومما سيأتي بعد قليل .

(٤) في م « ما ليلة » .

(٥) في حاشية الأصل : الابتهاء : الافتخار .

(٦) في حاشية الأصل : الانتماء أي الانتساب .

إليه لا والله لا يعلم ذلك إلا الله كلهم قد أقدم ولم يحجم وثبت وجلا عن وجهه ، حتى إذا كان آخر الليل سكت بعضهم وتكلم بعضهم فابتهى (أقوام منهم ، حتى أتى على آخر الشأن) [١] .

وعن عابس الجعفي قال : كانت بإزاء جعفى[٢] يوم عماس كتيبة من كتائب العجم عليهم السلاح التام ، فازدلفوا لهم[٣] فجالدوهم بالسيوف ، فرأوا أن السيوف لا تعمل في الحديد ، فارتدعوا فقال حميضة ما لكم ؟ قالوا : لا يجوز فيهم السلاح ، قال : كما أنتم حتى أريكم وانظر ، فحمل على رجل منهم فدق ظهره بالرمح ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : ما أراهم إلا يموتون ، دونكم ، فحملوا عليهم فأزالوهم إلى صفهم ، فقال رجل من جعفى يومئذ:

يا ليت قومي كلهم حيامضة

وعن الشعبي قال : لا والله ما شهدها من كندة خاصة ، إلا سبعمائة ، وكان بإزائهم ترك .

الطبري : فقال الأشعث يا قوم : ازحفوا لهم ، فزحف لهم في سبعمائة ، وقتل ترك ، وقال راجزهم .

نحن تركنا تركهم في المصطرة[٤] مختضباً من بهران الأبهرة

---

(١) زيد ما بين الحاصرتين من م .

(٢) اسم مدينة في اليمن – معجم البلدان ، وهو أيضاً اسم قبيلة يمانية .

(٣) في م « إليهم » .

(٤) اسم مكان لم أجده في المظان الجغرافية . انظر الطبري : ٣ / ٥٦٣ .

مقتل رستم وفتح القادسية

سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا : فأصبحوا يوم القادسية من بين تلك الأيام والناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها ، فسار القعقاع في الناس ، فقال : إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ اليوم فاصبروا واجلوا فإن النصر مع الصبر، فآثروا الصبر على الجزع ، فاجتمع اليه هلال بن علفة ، ومالك بن ربيعة التميميان ، والكلح واسمه عبدالله بن طارق بن غنم بن نعيم، وضرار بن الخطاب القرشي، وابن الهذيل الكاهلي ، وغالب بن عبد الله ، وطليحة بن خويلد ، وحمال ومسعود ابنا مالك، والربيل بن عمرو، وعاصم بن عمرو، وابن ذي البردين الهلالي، وسعد بن العمارة التغلبي ، وعبد الله بن زيد بن صفوان الضبي ، وأكتل بن شماخ العكلي ، والحصين بن القعقاع بن معبد بن زرارة الحنظلي، وتجمع اليه أمثالهم ممن لا يسمى وعشائرهم ، ثم صمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح ، ولما رأت ذلك القبائل قام فيهم رجال ، فقام قيس بن عبد يغوث ، والأشعث بن قيس ، وعمرو بن معدي كرب ، وابن ذي السهمين الخثعمي ، وابن ذي البردين الهلالي ، فقالوا : لا يكونن هؤلاء أجد في أمر الله تعالى منكم ، ولا يكونن هؤلاء لأهل فارس أجرأ على الموت منكم ولا أسخى أنفساً على الدنيا تنافسوها، فحملوا مما يليهم حتى خالطوا الذين بإزائهم ، وقام في ربيعة رجال فقالوا : أنتم أعلم الناس بفارس وأجرأهم عليهم فيما مضى ، فيما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم بالجرأة .

فقام فيهم عيينة بن النهاس ، وسعيد بن مرة وفرات بن حيان ، والمعنى بن حارثة في أمثالهم، وكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان والبيرزان،

فتأخرا وثبتا حيث انتهيا ، وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وكر عليهم النقع وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور [١] ومال الغبار عليهم فانتهى القعقاع وأصحابه إلى السرير فعثروا به ،وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قد قدمت عليه يومئذ بمال، فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحمله ، وضرب هلال بن علفة العدل الذي على البغل الذي رستم تحته ، فقطع حباله فوقع عليه أحد العدلين ، ولا يراه هلال ولا يشعر به ، فأزال من ظهره فقاراً ، ويضربه ضربة فنفحت مسكاً ، ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه فاقتحمه عليه هلال فتناوله وقد عام، وهلال قائم فأخذ برجله، ثم خرج به إلى الجد فضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال، وصعد السرير، ثم نادى قتلت رستماً ورب الكعبة إليّ ، فأطافوا به ما يحسون السرير وما يرونه وكبروا وتنادوا ، وانبت قلب المشركين عندها ، وإنهزموا .

وقام الجالنوس على الردم ونادى أهل فارس إلى العبور ، وانسفر الغبار ، فأما المقترنون فإنهم جشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبّر، وهم ثلاثون ألفاً ، وأخذ ضرار بن الخطاب درفش كابيان [٢] فعوض [٣] منها ثلاثين ألفاً ، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف ، وقتلوا في المعركة من الليل عشرة آلاف سوى من قتلوا في تلك الثلاثة الأيام ، وأكب المسلمون على من ثبت معهم وعلى من سفل منهم على الردم ، وارتفع عنه ،

---

(١) في م « دبور » ووافق ما أثبت بالنص رواية الطبري : ٣ / ٥٦٤ ، والدبور ريح تقابل الصبا . القاموس .

(٢) راية فارس العظمى .

(٣) في م « فعرض » .

فقتلوا منهم ستين ألفاً ، فقتلوا يوم القادسية مـــائة ألف سوى من قتلوا في الأيام [١] قبله .

وعن عمرو بن سلمة قال : قتل هلال بن علفة رستماً يوم القادسية إلا أن فيه كسر أحد العدلين ظهره ، فقال : « وايه » ، فنفحت أردانه مسكاً .

وعن إبراهيم هو النخعي نحوه ، وعن غيره قال : قتل هلال بن علفة رستماً وهزم حنظلة بن الربيع الهرمزان ، وعطارد الحنظلي البندوان .

وعن أبي كعب الطائي عن أبيه قال : أصيب من الناس قبل ليلة الهـــرير ألفان وخمس مائة ، وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ثلاثة آلاف من المسلمين فدفنوا في الخندق بحيال مشرق .

وعن محمد وطلحة وزياد قالوا : فلما انكشف أهل فارس ، فلم يبق منهم ما بين الخندق والعتيق أحد وطبقت القتلى ما بين قديس والعتيق أمر سعد زهرة ابن حوية بإتباعهم ، فنادى زهرة في المقدمات وأمر القعقاع بمن سفل وشرحبيل بمن علا ، وأمر خالد بن عرفطة بسلب القتلى وبدفـــن الشهداء ، فدفن [٢] الشهداء ، شهداء ليلة الهرير ويوم القادسية حـول قديس ألفين وخمسمائة من وراء العتيق بحيال مشرق ، ودفن شهداء ما كان قتل ليلة الهرير على مشرق ، وجمعت الأسلاب والأموال ، فجمع منها شيء لم يجتمع قبله ولا بعده ، وأرسل سعد إلى هلال بن علفة فدعي له ، فقال : أين صاحبـك ؟ قال : رميت به تحت أبغل ، فقال : إذهب فجيء به ، فذهب فجاء به فقال : جرده إلا ما شئت ، فأخذ سلبه ، فلم يدع شيئاً عليه ، ولما رجع إليه القعقاع وشرحبيل ، قال لهذا : أغـــد فيما طلب هذا ، وقال لهذا أغد فيما طلب هذا ، فعلا هذا ، وسفل هذا حتى بلغـا مقدار الخرارة من القادسية ، وخرج زهرة بن الحوية في آثارهم فانتهى إلى الردم

---

(١) في حاشية الأصل : أي قبل يوم القادسية في أيام خالد والمثنى .

(٢) في م « فدفن من الشهداء » .

وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطلب ، فقال زهرة : يا بكير أقدم ، وكان يقاتل على الإناث ، فضرب فرسه فقال : ثبي أطلال ، فتجممت وقالت : وثباً وسورة البقرة ، وأوثب زهرة ، وكان على حصان ، وسائر الخيل فاقتحمته تتابع على ذلك ثلاثمائة فارس .

ونادى زهرة حيث كمت[1] الخيل : أيها الناس خذوا على القنطرة وعارضونا فمضى ومضى الناس إلى القنطرة يتبعونه ، فلحق بالقوم والجالنوس في أخراهم يحميهم فشاوله[2] زهرة فاختلفا ضربتين فقتله زهرة ، وأخذ سلبه ، وقتلوا ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف ، وأمسوا فرجعوا فباتوا بالقادسية .

سيف عن عبد الله بن شبرمة عن شقيق قال : اقتحمنا القادسية صدر النهار فتراجعنا وقد أتي للصلاة وقد أصيب المؤذن فتشاح الناس في الأذان حتى كادوا أن يختلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم فأذّن ، ثم رجع الحديث وتراجع الطلب الذين طلبوا من علا القادسية ومن سفل عنها ، وقد أتى للصلاة وقد قتل المؤذن فتشاحوا في الأذان ، فأقرع بينهم سعد ، وأقاموا بقية يومهم ذلك وليلتهم حتى رجع زهرة ، وأصبحوا وهم جميع لاينتظرون أحداً من جنودهم[3] وكتب سعد بالفتح ، وبعدّة من قتلوا ، ومن أصيب من المسلمين ، وسمى لعمر رضي الله عنه من يعرف مع سعد بن عبيد القاري رحمه الله .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : دعاني سعد فأرسلني أنظر له في القتلى

---

(١) في م «كمب» وفي الطبري : ٣ / ٥٦٥ « كاعت » وكمت وكاعت لها المعنى نفسه ، أي « جبنت » .

(٢) في م « فتناوله » ووافق ما ورد بالمتن رواية الطبري : ٣ / ٥٦٥ ، والمشاولة الطعن بالرمح .

(٣) في م « جندهم » .

وأسمى له رؤوسهم فأتيته فأعلمته ، ولم أر رستماً في مكانه ، وأرسل إلى رجل من التيم يدعى هلالا ، فقال : ألم يبلغني أنك قتلت رستماً ؟ قال : بلى قال: فما صنعت به ؟ قال ألقيته تحت قوائم الأبغل قال : فكيف قتلته ؟ قال : فأخبره حتى قال : ضربت جبينه وأنفه ، قال : فجئنا به فأعطاه سلبه ، وكان قد تخفف حين وقع في الماء ، فباع الذي عليه بسبعين ألفاً ، وكانت قيمة قلنسوته مائة ألف إن لو ظفر بها ، وجاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد فمروا به مطروحاً على باب القصر ، فقالوا : أيها الأمير رأينا جسد رستم على باب قصرك وعليه رأس غيره ، وكان الضرب قد شوهه ، فضحك سعد .

وعن الشعبي قال : خرج زهرة في طلب الجالنوس ، وخرج القعقاع وأخوه وشرحبيل في طلب من ارتفع[1] وسفل، فقتلوهم في كل قرية وأجمة وشاطىء نهر ، ورجعوا فوافوا صلاة الظهر وهنأ الناس أميرهم وأثنى على كل حي خيراً، وذكره منهم ، وقال في ذلك هلال بن علفة .

جدعت أنوف العجم يوم لقيتهم ... برستم والجمعان في أشغل الشغل
ففضضت به رص الصفوف فقوضت ... صفوفهم والحرب جاحمة تغلي

وعن ابن صفية التيمي تيم شيبان ، قال : كان آخر أيام القوادس يدعى من بينها يوم القادسية وإنهم لما أصبحوا واشتد عليهم الحر وسفعتهم الشمس وهم يضطربون ، هاجت ريح عاصف حارة فطيرت الأخبية والظلال ، وتحمل أهل فارس وأجهض رستم عن سريره مراراً ، وباشر الحرب بنفسه ، فلم يكن بين الناس ساعة أشد منها ، وارتفع الغبار فافترعوا[2] واختلط الناس حتى عثر المسلمون بسريره ، ووقف هلال بن علفة على بغل عليه مال ، فقطع حبال المال

(١) في م « أو سفل » .
(٢) في م « فانفرجوا » .

وهوى عليه عدل فأوسطه [١] وثار ونفحت أردانه فعرفه ، فاقتحم إليه فقتله.

وعن رجل من عبس قال : كان قتل هلال رستماً ، إنه لما ارتفع الغبار وتزايلوا واختلطوا ، حمل عليه هلال وهو على بغل ، فرمى هلالاً بنشابه فشظ [٢] قدمه إلى الركاب ، وقال : « بيابه » يعني اصبر ، فأدركه هلال فنزل فدخل تحت البغال ، فلم يصل إليه فقطع عليه المال ، ثم نزل إليه ففلق هامته .

وعن نافع عن ابن عمر قال : لما قتل رستم انهزمت الخيل والرجالة ، وبقي المسلمون والحامون ، فمن جشعت نفسه مات غرقاً ، ومن صبر منهم مات قعصاً [٣] ، واتبع بعض الناس أهل فارس ، وجاء بعضهم حتى وقفوا على النهر فوخزوهم برماحهم حتى إذا لم يبق منهم أحد ، أخرجوهم فسلبوهم ، وجمعوا الأسلاب والأموال إلى القصر وذلك قبل الظهر .

وعن عمير بن عبد الله النخعي قال : انهزم رستم ، وقام حماة فارس عليهم الجالنوس يدعوهم إلى العبور على السكر ، فأما من ارتفع عنه فقتل ، وقتل من سفل ، فأرسل سعد زهرة في أثر الجالنوس في المقدمات ، ونادى بذلك في العسكر ، فخرج زهرة ومعه فرسان العسكر : بكير بن الشداخ ، وهلال بن علفة ، والكلح ، وكان زهرة غلاماً شاباً في رأسه ذؤابة ، وكان قد سود في الجاهلية ، وحسن بلاؤه في الإسلام ، فانتهى زهرة في أوائل أصحابه إلى السكر ، وبكير أمامهم فوجدوهم [٤] قد حفروا منه نحواً من ثمانية [٥] أذرع

---

(١) في م « فقبطه » .
(٢) أي جرح .
(٣) أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه . القاموس .
(٤) في م « فوجدهم » .
(٥) في م « عشرة » .

كي لا يلحق أحد [١] بهم حتى يمعنوا في الأرض ، فلما وقف عليه هابت الخيل الاقدام لجرية الماء وتحت بكير فرس أنثى يقال لها أطلال ، نزقها وقال ثبي يا أطلال [٢] فثنت عنقها وقالت : وثباً ، وسورة البقرة – وطفقتّه وتتابعت على ذلك الخيل في أثرها ، وأمال الناس إلى القنطرة .

وعن جماعة أشياخ قالوا : خرج زهرة في أثار القوم عند إنهزامهم حتى لحق بهم في الخرارة عليهم الجالنوس وهو حامية أصحابه فكر على المسلمين، فالتقى هو وزهرة ، فقتله زهرة ولبس سلبه وقيمته خمسة وسبعون ألفاً ، واتبعهم يقتلهم إلى النجف وبها عسكرهم عليهم النخيرجان ، وحجز الليل بينهم فانتزع سعد سلبه، وقال: ألا إنتظرت إذني، وكتب فيه إلى عمر رضي الله عنه، فكتب إليه عمر رحمه الله يرد عليه ما قال فيه ، وأمضى له سلبه ، وقال : تعمد إلى مثل زهرة ، وقد صلي بما صلي به ، وبقي عليك ما بقي من حربك تكسر قرنه وتفسد قلبه .

وعن سعيد بن المرزبان قال : خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس ، ملكاً من ملوكهم ، بين الخرارة والسيلحين عليه يارقان [٣] وقلبان [٤] وقرطان على برذون له قد خضد ، فحمل عليه فقتله قال : والله إن زهرة يومئذ لعلى فرس ما عنانها إلا كالحبل [٥] مضفور كالمقود وكذلك حزامها شعر منسوج ، فجاء بسلبه إلى سعد ، فعرف الأسارى الذي عند سعد سلبه ، وقالوا : هذا سلب الجالنوس ، وكان عظيماً من عظمائهم ، وسيداً من ساداتهم فقال سعد : هل أعانك عليه أحد ؟ قال : نعم قال : من ؟ قال : الله عز وجل ، فنفله سلبه .

---

(١) زيدت أحد من م .

(٢) في م « أطلال » .

(٣) ضرب من الأسورة . اللسان .

(٤) القلب : سوار للمرأة إذا كان مفتولاً .

(٥) في م « كالجمل » .

وعن إبراهيم قال : كان سعد استكثر له سلبه ، فكتب إلى عمر رحمه الله ، فكتب إليه عمر : إني قد نفلت من قتل رجلاً سلبه ، فدفعه إليه سعد ، فباعه بسبعين ألفاً ، وقال زهرة بن الحوية في ذلك :

تبعنا جيوش الجالنوس وقد رأى ... بعينيه أمراً ذا إياس منكراً
لحقنا به يرمي الكرانيف[1] سادراً ... ويعجب إذ خلى الجموع وشمرا
فوليته لما التقينا مصمماً ... أراه الحسام[2] الموت أحمر أصفرا

وعن عصمة قال : كتب عمر رحمه الله إلى سعد أنا أعلم بزهرة منك وإن زهرة لم يكن ليغيب من سلب سلبه شيئاً، فإن كان الذي سعى به إليك كاذباً، فلقاه الله ، مثل زهرة في عضديه يارقان ، وإني قد نفلت كل من قتل رجلاً سلبه ، فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً .

وعن إبراهيم وعامر أن أهل البلاء يوم القادسية فضلوا عند العطاء بخمسمائة خمسمائة في أعطياتهم ، خمسة وعشرين رجلاً منهم : زهرة بن الحوية ، وعصمة الضبي والكلح ، وأما أهل الأيام فإنهم فرض لهم على ثلاثة ألاف فضلوا على أهل القادسية .

وعن شقيق قال : حملنا على الأعاجم يوم القادسية حملة رجل واحد ، فهزمهم الله عز وجل ، فلقد رأيتني أشرت إلى أسوار [3] منهم فجاء إلي وعليه السلاح ، فقام فضربت عنقه ، ثم أخذت ما كان عليه .

وعن سعيد بن المرزبان قال : أصاب أهل فارس يومئذ بعدما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم ، قتلوا حتى أن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل

---

(١) أصول السعف الغليظة . النهاية لابن الأثير .
(٢) في الأصل « حسام » واعتمدت رواية م .
(٣) أي قائد من القادة .

منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه فيضرب عنقه ، وحتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به ، وحتى إنه ليأمر الرجلين أحدهما بصاحبه وكذلك في العدة .

وعن أبي إسحاق عن أبيه ، عن من شهدها قال : أبصر سلمان بن ربيعة الباهلي أناساً من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها ، وجلسوا تحتها وقالوا لا نبرح حتى نموت ، فحمل عليهم فقتل من كان تحتها وسلبهم وكان سلمان فارس يوم القادسية وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت ، والآخر عبد الرحمن بن ربيعة ذو النور أخوه وجال [١] على آخرين قد تكتبوا ونصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله .

وعن البهي أن الشعبي قال : كان يقال لسلمان أبصر بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجذور ، فكان موضع الحبس اليوم دار عبد الرحمن بن ربيعة التي بينها وبين دار المختار دار سلمان ، وأن الأشعث بن قيس استقطع فناء كان قدامها ، هذا [٢] اليوم في دار المختار ، فأقطعه ، فقال : ما جرأك عليَّ يا أشعث ، والله لئن حزتها لأضربنك بالخنثى ، يعني سيفه ، فانظر ما يبقى منك بعد فصدف عنها ولم يتعرض لها .

وعن المهلب ومحمد وطلحة وأصحابهم قالوا : وثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة اقتتلوا واستحيوا من الفرار فأبادهم الله يومئذ ، فصمد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين ولم يتبعوا فسأله القوم ، فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبد الرحمن بن ربيعة ذو النور الأخرى ، وصمد لكل كتيبة منها رأس من رؤوس المسلمين ، وكان قتال أهل هذه الكتائب من أهل فارس على وجهين ، فمنهم من كذب فهرب ومنهم من ثبت حتى قتل ، وكان ممن هرب من أمراء تلك الكتائب الهرمزان ، وكان بازاء عطارد ، وأهوذ وكان بإزاء حنظلة بن الربيع

---

(١) في م « مال » .

(٢) في م « هو » .

وزاد بن بهيش وكان بإزاء عاصم بن عمرو ، وقارن وكان بحيال القعقاع بن عمرو ، وكان ممن استقتل شهريار بن كنادي وكان بإزاء سلمان وابن الهدبز [1] وكان بإزاء عبد الرحمن ، والفرخاذ الأهوازي وكان بإزاء بسر ، وخسروشنوم الهمذاني وكان بحيال ابن الهذيل ، ثم إن سعداً أتبع بعد ذلك القعقاع وشرحبيل من صوب في هزيمته أو صعد عن العسكر ، وأتبع زهرة بن الحوية الجالنوس .

وعن محمد وطلحة والمهلب وزياد قالوا : وقال الديلم ، ورؤساء أهل المسالح الذين استجابوا للمسلمين ، وإختاروا عهودهم على عهد فارس وقاتلوا مع المسلمين على غير الإسلام ، وكانوا حشوة فيمن أسلم منهم بعدما فتح الله تبارك وتعالى على المسلمين إخواننا الذين سبقونا ، ودخلوا في هذا الأمر من أول الشأن أصوب وخير ولا والله لا يفلح أهل فارس بعد رستم إلا من دخـــل في هذا الأمر منهم فأسلموا .

سيف عن القاسم بن سليمان بن عبد الرحمن عن عثمان بن رجاء السعدي قال : كان سعد بن مالك أجرأ الناس وأشجعهم ، إنه نزل قصراً غير حصين بين الصفين ، فأشرف منه على الناس ولو أعراه الصف فواق ناقة أخذوا [2] برمته ، فوالله ما كَرَثَهُ هول تلك الأيام ولا أغلقه .

وعن بعضهم قال : لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأة يوم القادسية من بجيلة والنخع كانت في النخع سبعمائة امرأة فارغة ، وفي بجيلة ألف ، فصاهر هؤلاء ألفاً من أحياء العرب ، وهؤلاء سبع مائـة ، وكانوا يسمون أصهار المهاجرين وإنما جرأهم على الإنتقال بأثقالهم توطئة خالد والمثنى بعده وأهل الأيام فلاقوا بأساً بعد ذلك شديداً .

وذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه قال : وفي آخر سنة خمس عشرة قتل

---

(١) في م « الهوبز » .

(٢) في م « أخذ » .

الله رستم بالعراق ، وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، وذلك أن سعداً رحمه الله حين حسر عنه الشتاء سار من شراف يريد القادسية ، فسمع به رستم فخرج اليه بنفسه ، فلما سمع بذلك سعد وقف وكتب إلى عمر رحمه الله يستمده فبعث اليه عمر المغيرة بن شعبة في أربعمائة رجل مدداً من المدينة وأمده بقيس بن مكشوح المرادي في سبعمائة فقدموا عليه من اليرموك ، وكتب إلى أبي عبيدة أن أمد سعداً بالعراق بألف رجل من عندك ، ففعل أبو عبيدة وأمّر عليهم عياض بن غنم الفهري .

ولما لحق سعد بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة وقيس بن مكشوح فيمن معهما سار إلى رستم حين سمع به حتى نزل قادس قرية إلى جانب العذيب فنزل الناس بها ، ونزل سعد في قصر العذيب ، وأقبل رستم في جموع فارس ستين الفاً مما أحصي لنا في ديوانه سوى التباع والرقيق ، حتى نزل القادسية وبينه وبين الناس العتيق جسر القادسية ، وسعد في منزله وجع وقد خرج به قرح شديد .

فلما أن نزل بهم رستم بعثوا إليهم: أن ابعثوا إلي رجلاً منكم جليداً أكلمه ، فبعثوا اليه المغيرة بن شعبة ، فجاءه وقد فرق رأسه أربع فرق : فرقة من بين يديه إلى قفاه ، وفرقة عن أذنيه ، ثم عقص شعره ، ولبس برداً له ، ثم أقبل حتى إنتهى إلى رستم ورستم من وراء الجسر العتيق مما يلي[1] العراق ، والمسلمون من ناحيته الأخرى مما يلي الحجاز فيما بين القادسية والعذيب فكلمه رستم فقال : إنكم معشر العرب كنتم أهل شقاء وجهد وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد فأكلتم من طعامنا وشربتم من شرابنا واستظللتم بظلالنا ، فذهبتم فدعوتم أصحابكم فأتيتمونا بهم ، وإنما مثلكم مثل رجل كان له حائط من عنب

(١) في م « بين » .

فرأى فيه ثعلباً واحداً فقال : ما ثعلب واحد ، فانطلق ذلك الثعلب فدعا الثعالب الى ذلك الحائط ، فلما اجتمعن فيه جاء الرجل فسد الحجر الذي دخلن منه ثم قتلهن جميعاً ، وقد أعلم إنما حملكم على هذا معشر العرب الجهد الذي أصابكم ، فارجعوا عنا عامكم هذا فإنكم قد شغلتمونا عن عمارة بلادنا وعن عدونا ، ونحن نوقر لكم ركائبكم قمحاً وتمراً ، ونأمر لكم بكسوة ،فارجعوا عنا عافاكم الله .

فقال المغيرة بن شعبة : لا تذكر منا جهداً إلا وقد كان مثله أو أشد منه ، أفضلنا في أنفسنا عيشاً الذي يقتل ابن عمه ويأخذ ماله فيأكله أكل الميتة والدم والعظام ، فلم نزل على ذلك حتى بعث الله فينا نبياً وأنزل عليه الكتاب فدعانا الى الله ، وإلى ما بعثه به ، فصدقه منا مصدقون وكذبه منا آخرون فقاتل بمن صدقه من كذبه حتى دخلنا في دينه من بين موقن ومقهور حين استبان له أنه صادق وأنه رسول من عند الله،فأمرنا أن نقاتل من خالفنا وأخبرنا أن من قتل منا على دينه فله الجنة ، ومن عاش ملك وظهر على من خالفه ، فنحن ندعوك الى أن تؤمن بالله ورسوله وتدخل في ديننا ، فإن فعلت كانت لك بلادك لا يدخل عليك فيها إلا من أحببت ، وعليك الزكاة والخمس ، فان أبيت ذلك فالجزية ، وإن أبيت ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك .

قال رستم : ما كنت أظن أعيش حتى أسمع منكم هذا معشر العرب ، لا أمسي غداً حتى أفرغ منكم وأقتلكم كلكم، ثم أمر بالعتيق فسكر فبات ليلته يسكر بالزرع والتراب والقصب حتى أصبح وقد تركه طريقاً مهيعاً وتعباً له المسلمون ، فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن عرفطة حليف بني أمية بن عبد شمس ، وجعل على ميمنة الناس جرير بن عبد الله ، وعلى ميسرتهم قيس بن مكشوح المرادي .

ثم زحف اليهم رستم ، وزحف اليه المسلمون ، وما عامه جنتهم - فيما

حدثت عن عبد الله بن أبي بكر – الا براذع الرجال قد عرضوا فيها الجريد يترسون بها عن أنفسهم، وما عامة ما وضعوة على رؤوسهم الا أنساع الرحال، يطوي الرجل نسع رحله على رأسه يتقي به ، والفرس هم فيما هم فيه من الحديد والبلامق فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وسعد في القصر ينظر، معه سلمى ابنة خصفة، وكانت قبله عند المثنى بن حارثة فجالت الخيل فرعبت سلمى حين رأت الخيل جالت، فقالت : وامثنياه ولا مثنى اليوم ، فغار سعد ، فلطم وجهها ، فقالت: أغيرة وجبناً ، فلما رأى أبو محجن بن حبيب الثقفي وهو محبوس معه في القصر لأجل شربه الخمر ما تصنع الخيل حين جالت، وهو ينظر الى قصر العذيب وكان مع سعد فيه قال :

كفى حزناً أن ترحم الخيل بالقنى ... وأترك مشدوداً علي وثاقيا
إذا قمت غناني الحديد وغلقت ... مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وأخوة ... فقد تركوني مفرداً لا أخا ليا

فكلم زبراء أم ولد سعد ، وكان عندها محبوساً وسعد في رأس الحصن ينظر الى الناس ، فقال : يا زبْراء أطلقيني ، ولك علي عهد الله وميثاقه لئن لم أقتل لأرجعن إليك حتى تجعليني في الحديد، فأطلقته وحملته على فرس لسعد بلقاء، وخلت سبيله فجعل يشتد على العدو وسعد ينظر ، فجعل سعد يعرف فرسه وينكرها ، فلما أن فرغوا من القتال ، وهزم الله جموع فارس رجع أبو محجن الى زبراء فأدخل رجله في قيده فلما نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق ، فعرف أنها قد ركبت ، فسال عن ذلك زبراء ، فاخبرته خبر أبي محجن فخلى سبيله .

الطبري عن محمد بن اسحق قال : وقد كان عمرو بن معدي كرب شهد القادسية مع المسلمين .

وعن الأسود بن يزيد [١] النخعي قال : شهدت القادسية ، فلقد رأيت غلاماً منا من النخع يسوق ستين أو ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار ، فقلت لقد أذل الله أبناء الأحرار .

وعن قيس بن أبي حازم قال : كان معنا يوم القادسية رجل من ثقيف، فلحق بالفرس مرتداً ، فاخبرهم أن بأس الناس في الجانب الذي به بجيلة ، قال : وكنا ربع الناس فوجهوا الينا ستة عشر فيلاً، وإلى سائر الناس فيلين، وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ، ويرشقوننا بالنشاب فكأنه المطر علينا ، وقرنوا خيلهم بعضها إلى بعض لئلا يفروا .

قال : وكان عمرو بن معدي كرب يمر بنا فيقول يا معشر المهاجرين كونوا أسوداً، أسد أغنى شاته [٢] فإنما الفارسي تيس ، إذا ألقي نيزكه ، قال: وكان أسوار منهم لا يكاد تسقط له نشابة فقلنا له : يا أبا ثور إتق ذلك الفارس فإنه فإنه لا تقع [٣] له نشابة فوجه اليه ، ورماه الفارسي بنشابة فأصاب قوسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه واستلبه سوارين من ذهب ، ومنطقة من ذهب، وبلمقاً من ديباج .

وقتل الله رستم ، وأفاء على المسلمين عسكره وما فيه ، وإنما المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف ، وكان الذي قتل رستم هلال بن علفة التيمي، رآه فوجه اليه فرماه رستم بنشابة فأصاب قدمه وهو يتبعه فشكها الى ركاب سرجه ، ورستم يقول بالفارسية حين رماه : « بباية » أي كما أنت ، وحمل عليه هلال ابن علفة فضربه فقتله ثم إحـــتز رأسه فعلقه ، وولت الفرس فاتبعهم المسلمون فقتلوهم [٤] .

---

(١) في م « زيد » .

(٢) في الطبري : ٣ / ٥٧٦ « كونوا أسوداً ، فإنما الأسد من أغنى شأنه » .

(٣) في م « تسقط » .

(٤) في م « يقتلونهم » .

فلما بلغت الفرس الخرار نزلوا فشربوا من الخمر وطعموا من الطعام، ثم خرجوا يتعجبون من رميهم وأنه لم يعمل في العرب، وخرج جالنوس فرفعوا له كرة فهو يرميها ويشكها بالنشاب، ولحق بهم فرسان من المسلمين وهم هنالك، فشد على جالنوس زهرة بن حوية التميمي فقتله، فانهزمت الفرس، فلحقوا بدير قرة وما وراءه، ونهض سعد بالمسلمين حتى نزل بدير قرة على من هنالك من الفرس، وقد قدم عليهم وهو بدير قرة عياض بن غنم في مدده من أهل الشام، وهم ألف رجل فأسهم له سعد ولأصحابه مع المسلمين فيما[1] أصابوا بالقادسية، وسعد وجمع من قرحته تلك.

وقال جرير بن عبد الله :

أنا جرير كنيتي أبو عمرو ... قد نصر الله وسعد في القصر

وقال رجل من المسلمين أيضاً :

نقاتل حتى أنزل الله نصره ... وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد أمت نساء كثيرة ... ونسوة سعد ليس فيهم أيّم

فلما بلغ ذلك من قولهما سعداً خرج الى الناس فاعتذر اليهم وأراهم ما به من القرح في فخذيه وإليتيه، فعذره الناس، ولم يكن سعداً يجبن وقال سعد : يجيب جريراً فيما قال :

وما أرجو بجيلة غير أني ... أؤمل أجرهم يوم الحساب
فقد لقيت خيولهم خيولاً ... وقد وقع الفوارس في ضراب
وقد دلفت لعرصتهم فيول ... كأن زهاءها إبل جراب

ثم إن الفرس هربت من دير قرة الى المدائن يريدون نهاوند، واحتملوا

---

(١) في م « مما » .

معهم الذهب والفضة والديباج والفرند والحرير والسلاح وثياب كسرى، وخلوا ما سوى ذلك وأتبعهم سعد الطلب من المسلمين ، فبعث خالد بن عرفطة حليف بني أمية، ووجه معه عياض بن غَنْم في أصحابه، وجعل على مقدمة الناس هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلي، وعلى ميسرتهم زهرة بن حوية التميمي ، وتخلف سعد لما به من الوجع .

فلما أفرق سعد من وجعه ذلك إتبع الناس بمن بقي معه من المسلمين حتى أدركهم دون دجلة على بهرسير [1] ، فلما وضعوا على دجلة العسكر والأثقال ، طلبوا المخاضة فلم يهتدوا لها حتى أتى سعداً علج من أهل المدائن، فقال: أدلكم على طريق تدركونهم قبل أن يمضوا السير على مخاضة بقُطْرَبُّل [2]، فكان أول من خاض المخاضة هاشم بن عتبة من دجلة، فلما جاز اتبعته خيله، ثم أجاز خالد بن عرفطة بخيله، ثم أجاز عياض بن غَنْم بخيله، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا فزعموا أنه لم يُهتَد لتلك المخاضة بعد .

ثم ساروا حتى انتهوا إلى مظلم [3] ساباط فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو فتردد الناس ، وجبنوا عنه ، فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة ، فلما أجاز ألاح للناس بسيفه، فعرف الناس أن ليس به شيء يخافونه، فأجاز بهم خالد بن عرفطة ، ثم لحق سعد بالناس حتى انتهوا إلى جلولاء وبها جماعة من الفرس فكانت وقعة جلولاء بها فهزم الله الفرس وأصاب المسلمون بها من الفيء أفضل مما أصابوا بالقادسية ، وأصيبت ابنة لكسرى يقال لها هجانة ، ويقال ابنة ابنه ، وقال شاعر من المسلمين :

يا رب مهـــر حسن مطهم يحمل أثقـال الغلام المسلم

---

(١) احدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن . معجم البلدان .

(٢) اسم قرية بين بغداد وعكبراء . معجم البلدان .

(٣) موضع قرب المدائن . معجم البلدان .

ينجو إلى الرحمن من جهنم يوم جلولاء ويوم رستم
ويوم زحف الكوفة المقدم ويوم لاقى ضيقة مُهَزَّم

وخر دين الكافرين للفم

ثم كتب سعد إلى عمر، بما فتح الله للمسلمين، فكتب إليه عمر أن قف ولا تطلبوا غير ذلك، فكتب إليه سعد: إنما هي سرية أدركناها والأرض بين أيدينا، فكتب إليه عمر أن قف مكانك ولا تتبعهم، واتخذ للمسلمين دار هجرة، ومنزل جهاد، ولا تجعلن بيني وبين المسلمين بحراً، فنزل سعد بالناس الأنبار فاجتووها وأصابتهم بها الحمى، فلم توافقهم.

وكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك، فكتب إلى سعد إنه لا يصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاء في منابت العشب، فانظر فلاة إلى جانب البحر، فارتد للمسلمين بها منزلا.

قال: فسار سعد حتى نزل كوفة عمر بن سعد، فلم توافق الناس مع الذباب والحمى، فبعث سعد رجلا من الأنصار يقال له الحارث بن سلمة، ويقال بل عثمان ابن حنيف أخا بني عمرو بن عوف فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم، فنزلها سعد بالناس فخط مسجدها وخط فيها الخطط للناس، وقد كان عمر بن الخطاب خرج في تلك السنة إلى الشام فنزل الجابية، وفتحت عليه إيلياء مدينة بيت المقدس واستعمل سعد بن أبي وقاص على المدائن رجلا من كندة يقال له: شرحبيل ابن السمط، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك وزبراء وابن السمط في لجة البحر[1]

سيف بن عمر عن أشياخه: محمد والمهلب وطلحة، قالوا: كانت العرب توقع وقعة العرب وأهل فارس في القادسية فيما بين العذيب إلى عدن أبين، وفيما بين

(١) الطبري: ٣ / ٥٧٢ - ٥٧٩.

الأبلة وإيلة يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها ، وكانت في كل بلدة مصيخة إليها ينظر ما يكون من أمرها، حتى إن كان الرجل ليريد الأمر فيقول : لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية ، فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فأتت بها ناساً من الإنس فسبقت أخبار الإنس إليهم، قالوا : فبدرت امرأة ليلاً على جبل بصنعاء لا يدرى من هي ، وهي تقول :

حييت عنا عكرم ابنة خالد ... وما خير زاد بالقليل المصرد
وحيتك عني الشمس عند طلوعها ... وحياك عني كل ناج معرد
وحيتك عني عصبة حنفيه [1] ... حسان الوجوه آمنوا بمحمد
أقاموا لكسرى يضربون جنوده ... بكل رقيق الشفرتين مهند

وسمع أهل اليمامة مجتازاً يغني بهذه الأبيات :

وجدنا الأكثرين بني تميم ... غداة الروع أصبرهم رجالا
هم ساروا بأرعن مكفهر ... الى الجب فزرّتهمُ رعالا
بحور للأكاسر من رجال ... كأسد الغاب تحسبهم جبالا
تركن لهم بقادس عز فخر ... وبالخيفين [2] أياماً طوالا
مقطعة أكفهم وسوق ... بمردى حيث قابلت الحبالا

وسمع أهل المدينة راكباً بليل يقول :

ألا حيوا بني أسد وقولوا ... هم الرأس المقدم والسنام
هم ساروا لفارس في لهام ... فهدّ الفرس وارتفع اللهام
أزاحوا عن يحيلة جمع كسرى ... بأسياف بها غيظ الهمام

---

(١) في م « نخعيه » .

(٢) في م : هم تركوا بقادس غير فخر وبالجنبين ... ووافقت رواية الأصل ما جاء بالطبري : ٣ / ٥٨٢ .

وسمع أهل البحرين راكباً يغني [١] يقول :

ألا حييا أفنـاء بكر بن وائل ... فقد تركوا جمع الأعاجم واجما
هم صدقوا يوم القوادس فارساً ... بأسيافهم ضرباً يبلّ القوائما
أناخوا لهم في عرصة الدار وانتموا ... إلى باذخ يعلو الذرى والجماجما
فما فتئت فرسانهم عن جموعهم ... لدن غدوة حتى أزاحوا الأعاجما

وسمع سامع بمكة ليلاً مغنياً يقول :

ألا هل أتاها والحوادث جمة ... بأبناء حي من كنانة سامر
هم ضربوا يوم القوادس فارساً ... ببصرية بيض خفاف بواتر
وانطلقت الخيل الميامين فيهم ... بأمر لهم فيه نماء البصائر

وسمع سامع بالطائف راكباً يغني يقول :

ألا إن فينا بالقوادس غاية ... لمن نابها من عائذ أو محارب
هم تركوا جمع الأعاجم قصة ... تقودهم [٢] عون السباع الثعالب
أقاموا لكسرى يقتلون جنوده ... يجنب [٣] قديس فوق تلك الجباجب
فلله قيس أي فرسان مأزق ... ولله قيس يوم ضرب الكتائب
هم أهل غايات الندى وكتيبة ... يقربها [٤] الإسلام من كل جانب

وسمع سامع بنجران راكباً يغني يقول :

من مبلغ أفناء مذحج أنها ... والأزد أزد شنؤة الأحساب
فضوا الأعاجم بالقوادس وانتموا ... عند اللقاء لصالح الأحساب [٥]

---

(١) زيدت « يغني » من م .
(٢) في م « تعودهم » .
(٣) في م « بجيث » .
(٤) في م « يعز بها».
(٥) في م « بصالح الأنساب » .

وجروا على ما دُرّبوا من فعلهم ... جريـــاً لعمرك ليس بالمرتـاب
حتى أصابوا ما أرادوا منهـــم ... بالمشرفي وبالقنـــا المنســاب

وسمع سامع بعُمان قائلاً يقول :

ألا إن عبـــد القيس كانوا بـأسرهم ... غـــداة قـديس كالأسود الشداقم
وأداهم [1] من تغلب ابنة وائـل ... كتائب تردى بالقنا والقوائـــم
هم فرقوا جمـــع الأعاجم وابتنوا ... قرارهـــم بالمقربات السواهـم
فقولا لعبد الله أهـــلاً ومرحبـاً ... وتغلب إذا فضوا هوادي الأعاجم [2]
واسقوا رؤوس العجم بالبيض وانتموا ... لأكـرم أنساب العـريب الأكارم

وقال معبد بن جعفر النخعي في ليلة الهرير ، وفي يوم القادسية ، وما كانت العرب توقع وتحاذر في ذلك :

وصاحوا وأسكتنا وهم يوعدوننا ... لهـم بالخنا والمنكرات تبـــادر
تعود عليهـم مرهفات ومنهـــم ... لهـــاذم زرق واردات صوادر
فلما تواقفنا وطـــال إضطرابنا ... بهن وغصت بالنفوس الحناجـــر
قضى الله فينا مـا أراد وفيهم ... وللغـــالب الأعلى من الله ناصر
فادبر منا فيلهم [3] حين أزمعوا ... ركوب التي قـــد كان كل يحاذر

ومما قيل في فتح القادسية من الشعر الذي أدركنا الناس والعلماء يروونـه ، قول فاطمة بنت ذي السن البجلية القسرية :

دعوت ربي دعوة المشتد ... إذ ركبوا كل جواد ورد
شخت كمقلاء الوليد يردي ... أن يجمع النهب بقصر سعد
ما كان إلا جهدهم وجهدي

---

(١) في م « رأدهم » .
(٢) في م « الجماجم » .
(٣) في م « فلهم » .

وقال الأسود بن قيس أبو الهيثم النخعي :

ذكرت عشيرة فيهـا قضاء ... وأحلام إذا ابتـلى أو خـير
فبلغ مذحجـاً عني رسولا ... فخفوا عـن بلادكم فسيروا
فإني قد رضيت لـكم محلا ... به حل الخورنق والسدير
وقودوا كل سلهبـة عنود ... مواشكة إذا لمـــع البشير

وقال قطن بن صخر بن هبيرة النخعي :

بنى كعب شاهقاً فوق[1] شاهق ... من المجد ما لا تستطاع مطالبـه
فنحن صبرنا بالقوادس نبتغي ... بذلك مجـداً لا تروع ركائبه

وقال أبو بجيد نافع بن الأسود التميمي :

أي قوم لهـم كيوم قديس ... قد تركنـا بـه الغنى مرفوضا
كم سلبنا من تاج ملك وأسوا ... ر ترى في نطاقـه تفضيضاً
وقرينا خـير الجيوش شتاء ... وربيعـــاً محـلا وعريضا
ونفرنا في مثلهم[2] عن تراض ... لم نعـــرج ولم نذق تغميضا
ثم سرنا من فورنا نحو كسرى ... ففضضنا جموعـــه تفضيضا
وأملنا على المدائـــن خيلا ... برها مثل بحرهن أريضا[3]
وانتثلنا خزائن المرء كسرى ... حين خضنا وجاض[4] مناجريضا[5]

---

(١) في م « بعد » .
(٢) في م « ميلهم » .
(٣) أرض أريضة : زكية معجبة للعين خليقة للخير . القاموس .
(٤) جاض : عدل وحاد . القاموس .
(٥) الجريض : المغموم . القاموس .

وقال القعقاع بن عمرو :

لحرب شمرت بـــلوى قديس ... أحب إلي من دعـــة البراح
وضرب كتيبة وطعان أخرى ... ألذّ إلي مـــن لبن اللقاح
ويوم تذهل الألباب فيـــه ... أقمت على نوائبـه البطـاح
فللت جمـوعـه والخيل زور ... تمج الأنى أو علق الجراح

وقال بشر بن ربيعة الخثعمي :

تذكر هداك الله وقع سيوفنا ... بباب قديس والمكر ضرير
عشية ودّ القوم لو أن بعضهم ... يعـار جناحي طائر فيطير
إذا ما فرغنا من قراع كتيبة ... برزنا لأخرى كالجبال تسير
ترى القوم منها واجمين كانهم ... جمال بأحمال لهـــن زفير
وعند أبي حفص عطاء لراجل ... وعنـــد المعنى فضة وحرير

وقال وثمة بن عثمان النصري :

هذا حُبيش وقد آمت حليلته ... وأنت يا ابن أبي العوجاء مقتول
هذا نجوت وقد أشرتك نبلهم ... فمن يجيرك من قادومة الفيل
وقد أتتك خيول منك ميسرة ... ترمي بها فارس هام البهاليل
فلا يقوم لها إلا أخـو ثقة ... ماض على الهول خراج الذليل

وقال بجير بن بجرة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهـــو يبعث بعث القادسية :

---

(١) بداية سقط في م .
(٢) ذأل : أسرع أو مشى في خفة . القاموس .

إن أك ممن يحمل الله رحله أجاهد فلا أقعد مع المتقاعس
وكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميل بن معمر
تبدل من بيع الدنانير إنه على عمل من لم يضعه يوجر
على أن يوم الفيل كان غرامة على من ثوى في رحل قيس بن يعمر

فقال له عمر : إنك ممن يحمل الله رحله ، فحمله وقال : ليأتيني بلاؤك فأصيب بالقادسية . وقال أبو مكعب الحارث بن عمرو الأسدي :

ألا عجبت أمامة أن رأتني رماني الدهر عن طول القراع
بجيش في القوادس ذي زهاء يخال يعقره موج البراع
دلفن لهم فما جبنوا ولكن صفعناهم على سنن الصداع
غدون بنهبهم وفلجن منهم بأمتعة من الحر البياع

وقال أبو مكعب أيضاً .

لقد علم الكتاب غير فخر إذا قطع الكلام من الجراح
بأني [1] لا يذم الجيش فعلي ولا خيلي تُذم ولا سلاح
غداة القادسية والهوافي ترد الخيل عن سنن المراح
فلسنا خاضعين إذا اكفهرت ولا فرح لدى الخير المباح

وأبو مكعب الذي يقول مقدمه على رسول الله ﷺ :

يقول أبو مكعب صادقاً عليك السلام أبا القاسم
سلام الإله وريحانه وروح المصلين والصائم
فما فيهم لك من خاذل ولا بسبيلك من نائم [2]

وقال الشماخ بن ضرار :

فليت أبا حفص رآنا ووقعنا بباب قديس بعدما عدل الصف

---

(١) نهاية السقط في م .
(٢) في م « آثم » .

حملنا على الآساد أساد فارس كحملة مرماس يحربه الصرف
وماذا أصبنا من رعاث وزبرج علا تحتها الآلاف خالطها العرف

وقال الشماخ أيضاً :

ويوم بجوّ القادسية إذ سمـوا فعجت بقضاب من الهند نافح
أجالدهم والحي حولي كأنهم رجال تلاقوا بينهم بالسوافح
وإني لمن قوم على أن ذممتهم إذا أولموا لم يولموا بالأنافح
وإنك من قوم نحن نساؤهم إلى الجانب الأقصى حنين المنائح

وقال أبو بجيد نافع بن الأسود التميمي :

وقال القضاة من معد وغيرها تميمك أكفاء الملوك الأعاظم
هم أهل عز ثابت وأرومة وهم من معد في الذرى والفلاصم
وهم يضمنون المال للجار ما ثوى وهم يطعمون الدهر ضربة لازم
سديف[1] الذرى من كل كوماء بازل مقيم لمن يعفوهم غير حازم
وكيف تناصيها الأعاجم بعدما علوا بجسيم المجد أهل المواسم
وبذل الندى للسائلين إذا اعتفوا وكب المتالي في السنين اللوازم
ومدهم الأيدي إلى الباع والعلى إذا قصرت[2] عنها أكف الألائم
وأرمالهم في النائبات بلادهم لفك العناة أو لكشف المغارم
وقودهم الخيل العتاق إلى العدى ضوامر تردى في فجاج المخارم
مجببة تشكو النسور من الوجاء يعاندن أعناق المطي الرواسم
لتنقض وتراً أو لتحوي مغنماً كذلك قدماهم حماة المغانم
وكائن أصابوا من غنيمة قاهر حدائق من نخل بفران ناعم

(١) شحم السنام . القاموس .
(٢) في م « حرمت » . القاموس .

وكان لهذا الحي منهم غنيمة ... كما أحرزوا المرباع عند المقاسم
كذلك كان الله شرّف قومنا ... بها في الزمان الأول المتقادم
وحين أتى الإسلام كانوا أئمة ... وقادوا معداً كلها بالخزائم
إلى هجرة كانت سناء ورفعة ... لباقيهم فيهم وخير مراغم
إذا الريف إ ينزل عريف[1] بصحنه ... وإذ هو يكفيه[2] ملوك الأعاجم
فجاءت تميم في الكتائب قصره ... يسيرون صفاً كالليوث الضراغم
على كل جرداء السراة وملهب ... بعيد مدى التقريب عبل القوائم
عليهم من الماذي زعف مضاعف ... له حبك من شكة المتلازم
فقيل لكم مجد الحياة فجاهدوا ... فأنتم حماة الناس عند العظائم
فصفوا لأهل الشرك ثم تكبكبوا ... فطاروا عليهم بالسيوف الصوارم
فما برحوا يعصونهم[3] بسيوفهم ... على الهام منهم والأنوف الرواغم
لدن غدوة حتى تولوا تسوقهم ... رجال تميم ذحلها غير نائم
من الراكبين الخيل شعثاً إلى الوغى ... بصم القنا والمرهفات القواصم
فتلك مساعي الأكرمين ذوي الندى ... تميمك لا مسعاة أهل الألائم

وقال أبو بجيد أيضاً:

ولو أن قومي في الحروب أذلة ... لألوت بي العنقاء من رأس حالق
عشية كسرى والجنود مقيمة ... بباب قديس تبتهي بالبوائق
ولكن قومي آزرتني رماحهم ... عشية هبوا بالرماح الخوافق
ونحن عقرنا بالملوك ركابها ... بباب قديس عند إحدى الصفائق
ونحن لففنا الفرس أيام قادس ... بمعترك ضنك كلف السرادق

(١) في م « عريب » .
(٢) في « يكفكفه » .
(٣) في م « يعطونهم » .

إذا ناهدونا رفعتهم سيوفنا إلى الماء حتى تنقى بالعلائق

وقال أبو بجيد أيضاً:

جزى الله خيراً من قبيل وناصر غداة قديس والدماء ترقرق
تميماً على جهد الحروب وعضها وقد جعلت فيها الفراخ تبقبق
قضوا وطراً من فارس ثم غادروا أفاعيل لا يشفى بها متبعق
فمن يسم[1] لا يدرك عفافة جمعنا إذا جعلت عون الحروب تفتق
هم تركوا رب القوادس ثاوياً تصيخ إليه هامها المتفرق

وقال عاصم بن عمرو :

شاب المفارق والأعراض فالتمعت من وقعة بقديس جرها العجم
خاب الكتائب والأوزاع وانشمرت من صكة صكها ديانها الحكم
بينا يجيلة قد كضت سراتهم سالت عليهم بأيدي الناصر العصم
سرنا إليهم كأنا عارض برد ترجى تواليه الأرواح والرهم[2]
كأن العتيق لهم مثوىً ومعركة فيها الفرائض والأوصال واللمم

وقال ثوب بن ربيعة بن بلده :

لقد علمت بالقادسية أنني صبور على اللأواء عف المكاسب
أخوض بسيفي غمرة الموت معلماً وأقدم مقدام امرىء غير هائب
وفوقي دلاص ذات شك حصينة كان قتيريها عيون الجنادب
ترد الحسام العضب حين ينالها تعضبه عنها كهام المضارب

وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل

---

(١) في م « يسع » .
(٢) المطر الضعيف الدائم . القاموس .

ولقد جمعت المال من جمع امرىء ... وطلقت نفسي عن لئيم المآكل
وشهدت معركة الفيول وحولها ... أبناء فارس هامهم كالأعبل
متسربلي حلق[1] الحديد كأنهم ... جرب مقارفة عنية مهمل
يجدون نشاباً سريعاً مرة ... فيه حدائد من تخالط تقتل
فحسبت محتسباً هنالك صابراً ... نفسي رجاء ثواب رب مفضل

سيف عن المجالد بن سعيد قال: ولما أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبر بنزول رستم القادسية ، كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية مذ حين يصبح إلى إنتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ومنزله ، قال: فلما لقيه البشير سأله: من أين جاء ؟ فأخبره ، فقال : يا عبد الله حدثني ،قال : هزم الله العدو وعمر رضي الله عنه يخب معه ويستخبره ، والآخر يسير على ناقته وهو لا يعرفه ، حتى دخل المدينة فإذا الناس يسلّمون عليه بإمره المؤمنين ، فقال الرجل : فهلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين ، وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخي .

وعن محمد والمهلب وطلحة ، قالوا : وكتب سعد بالفتح وبعدة من قتلوا ، وبعدة من أصيب من المسلمين جملة ، وسمى لعمر رحمه الله من يعرف، مع سعد ابن عبيد القاري .

وقال ابن الرفيل معهم : وكان كتابه :

أما بعد فإن الله عز وجل نصرنا على أهل فارس ، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل ، وزلزال شديد وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤون مثل زهائها، فلم ينفعهم الله عز وجل بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف[2] الآجام وفي الفجاج فأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري وفلان ، وفلان ورجال من المسلمين

---

(١) في م « حرق » .
(٢) الطف : الجانب أو الشاطىء .

لا تعلمهم الله بهم عالم ، كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوي النحل ، وهم أساد من الناس لا تشبههم الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم على بقي إلا بفضل الشهادة ، إذ لم تكتب لهم ، فكان هذا الكتاب بالفتح ، وما أبلاهم الله وما أولاهم في ذلك مع سعد بن عمية الفزاري .

وكتب إلى عمر في ثلاثة أصناف من المسلمين اجتمعوا إليه يسأله عنهم :عمن أسلم ممن كان له عهد ومعونة بعدما فتح الله عليهم ، وعن من أعتق بعدما فتح الله عز وجل عليهم من رقيق الجند ، وأعتقوهم بعد الفتح ، وعن من جاء بعدما فتح الله تعالى عليهم ، وأخبره أنه ممسك عن قسمه حتى يأتيه رأيه ، وكان يزدجرد قد شاطر الجند ما في بيوت أمواله ، وأمرهم بأن يشهدوا الحروب بأموالهم ليخاطروا عنها ، فهجم المسلمون من الدنيا على أمر لم ير مثله كثرة .

سيف عن محمد وطلحة والمهلب وزياد قالوا : وأقام المسلمون في انتظار بلوغ البشير ، وأمر عمر رضي الله عنه يقومون أقباضهم ، ويحزرون جندهم ، ويرمّون أمورهم ، ويجردون حربهم .

قالوا : وتتابع أهل العراق من أصحاب الأيام الذين شهدوا اليرموك ودمشق ورجعوا ممدين لأهل القادسية ، فتوافوا بالقادسية من الغد ومن بعد الغد ، جاء أولهم يوم أغواث ، وآخرهم من بعد الغد من يوم الفتح ، وقدمت أمداد فيها مراد وهمدان ومن أفناء الناس ، وكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عما ينبغي أن يسار به فيهم ، وهذا الكتاب الثاني بعد الفتح مع تدبير [1] ابن عمرو ، ولما أتى عمر رحمه الله قام في الناس فقرأ عليهم الفتح وقال : إني حريص على أن لا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض ، فاذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا وعصارنا [2]

---

(١) في م « نذير » .

(٢) سقطت « عصارنا » من م .

حتى نستوي في الكفاف ، ولوددت أنكم علمتم من نفسي [١] مثل الذي وقع لكم منها ، ولست معلمكموه إلا بالعمل ، إني والله ما أنا بملك فأستعبدكم ولكني عبد الله ، عرض علي الأمانة فإن أبيتها فرددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا وتروروا في بيوتكم سعدت ، وإن أنا حملتها واستتبعتكم إلى بيتي شقيت ، ففرحت قليلاً وحزنت طويلاً ، وبقيت لا أقال ، ولا أرد فأستعتب .

فكتبوا إلى عمر رحمه الله كتاباً ثالثاً يسألونه عن من احتلم بعد الوقعة ممن شهدها مع حكيم بن سلامة ، فأجابهم عمر رحمه الله في الكتاب الأول أما بعد :

فإني قد ابتليت بكم وأنتم بي ، وإني والله لا يحضرني شيء من أموركم فأكله إلى غيري ، ولا يغيب عني منها شيء فآلو فيه عن أهل الخير والأمانة والجزاء ، فلئن أحسنوا لأحسنن معهم ولئن أساؤوا لأنكلن بهم ، واثنتان إذا اجتمعتا صلح عليهما الوالي والرعية ، إذا أشفق الراعي ونصحت الرعية أطاع الرعية وعدل الوالي ، وعلى الوالي العدل والإحسان ، وعلى الرعية الصبر والشكر .

وأجابهم في الكتاب الثاني أما بعد : فالغنيمة لمن شهد الوقعة والمواساة لمن أغاث في ثلاث بعد الوقعة ، فأشركوهم ، ومن أعانكم في حربكم من أهل عهدكم ثم أسلم بعد الحرب في ثلاث ، ومن شهد حربكم من مملوك ثم عتق في ثلاث بعدها فأشركوا هؤلاء الأصناف الثلاثة فيما أفاء الله عليكم .

وأجابهم في الكتاب الثالث : « أما بعد فمن أدرك الحلم ممن شهد الوقعة في ثلاث بعدها ، فأشركوهم وألحقوهم وأقسموا لهم ، ولمن لحق في ثلاث ، أو أسلم في ثلاث ، فإن الله تعالى لن يزيدكم بذلك إلا فضلاً ، وليست في الفيوء إسوة بعد الخمس إلا لهؤلاء الطبقات » .

---

(١) في الأصل « ولوددتم أنكم علمتم من لقي » وهو تصحيف والتقويم من م .

وكتبوا إلى عمر بالكتاب الرابع مع أنس بن الحليس : إن أقواماً من أهل السواد ادعوا عهوداً ولم تقم على عهد أهل الأيام لنا ، ولم يف به أحد علمناه إلا أهل بانقيا وبسما وأهـــل أليس الأخيرة وادعى سائر أهل السواد أن فارس أكرهوهم وحشروهم فلم يخالفوا إلينا ولم يذهبوا في الأرض .

وكتبوا إلى عمر بكتاب خامس مع أبي هياج بن مالك الأسدي : إن أهـل السواد جلوا فجاءنا من أمسك بعهده ، ولم يجلب علينا فتممنا لهم على ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم ، وزعموا أن أهل الأرض قد لحقوا بالمدائن فأحدث إلينا فيمن أتم وفيمن جلا وفيمن إدعى انه أستكره ، وحشر فهرب ولم يقاتـــل ، واستسلم فإنا بأرض رغيبة[1] والأرض خلاء من أهلها ، وعددنا قليل وقـد كثر أهل صلحنا ، وان أعمر لها وأوهن لعدونا تألفهم.

فقام عمر رضي الله عنه في الناس فقال: إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه ، ولا يضر الا نفسه ، ومن يتبع السنة وينته الى الشرائع ، ويلزم السبيل النهج ابتغاء ما أعد الله عز وجل لأهل طاعته أصاب أمره وظفر بحظه ، وذلك بأن الله عز وجل يقول : « ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربـــك أحداً »[2] .

وقد ظفر أهل الأيام والقوادس بما يليهم ، وجـلا أهله وأتاهم من أقام على عهدهم ، فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر ، وفيمن لم يـدع ذلك ولم يقم وجلا ، وفيمن أقام ولم يدع شيئاً ولم يحل ، وفيمن استسلم ؟ فأجمعوا على أن الوفاء لمن أقام وكف لم يزده غلبـه إلا خيراً ، وان من ادعى فصدق أو وفى ، فبمنزلتهم ، وإن كذب نبذ إليهم وأعادوا صلحهم وأن يجعل أمر من جلا إليهم ، فإن شاؤوا وادعوهم وكانوا لهم ذمة ، وان شاؤوا أتموا على منعهم من أرضهـم

---

(١) في م « رعية » .

(٢) سورة الكهف ـ الآية : ٤٩ .

ولم يعطوهم الا القتال ، وأن يخيروا من أقام واستسلم : الجزي أو الجـــلاء ، وكذلك الفلاح .

وكتب عمر رضي الله عنه جواب كتاب أنس بن الحليس أما بعد : فإن الله عز وجل أنزل في كل شيء رخصة في بعض الحالات الا في أمرين : العـــدل في السيرة والذكر ، فاما الذكر فلا رخصة فيه في حاله ، ولم يرض منه الا بالكثير وأما العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد ، ولا في شدة ولا رخاء ، والعدل وان رئي لينا أقوى وأطفأ للجور وأقمع للباطل من الجور وان رئي شديداً ، فمن تم على عهده من أهل السواد ولم يعن عليكم بشيء فلهم الذمة وعليهـــم الجزية ، وأما من ادعى انه استكره ممن لم يخالفهم اليكم ،او يذهب في الأرض فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك الا ان يشاؤوا ، وان لم يشاؤوا فانبذوا اليهـم وأبلغوهم مأمنهم .

وأجابهم في كتاب أبي هياج : أما من أقام ولم يحل ، وليس له عهد ، فلهم ما لأهل العهد ، فمقامهم لكم وكفهم عنكم اجابة والفلاحين اذا فعلوا ذلك وكل من ادعى شيئاً فصدق فلهم الذمة وان كذبوا نبذ اليهم ، وأما من أعان وجـلا فذلك أمر جعله الله تعالى لكم فان شئتم فادعوهم الى ان يقوموا لكم في أرضهم ولهم الذمة وعليهم الجزية فإن كرهوا ذلك فاقتسموا ما أفاء الله عليكم منهم .

فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك والمسلمين ، عرضوا على من يليهم ممن جلا وتنحى من اهل السواد ان يتراجعوا ولهم الذمة وعليهم الجزيـــة ، فتراجعوا وصاروا ذمة كمن تم ولزم عهده ، الا ان خراجهم أثقل ، وانزلوا من ادعى الإستكراه وهرب منزلتهم ، وعقدوا لهم ، وانزلوا من اقـام منزلة ذي العهد ، وكذلك الفلاحين ، ولم يدخلوا في الصلح ما كان لآل كسرى ، ولا ما كان لمن خرج معهم ولم يجبهم لواحدة من اثنتين : الإسلام أو الجزي ، فصارت فيئاً لمن أفاء الله عز وجل عليه ، فهي والصوافي الأول ، ذلك لمن أفاء الله عليه وسائر

السواد ذمة ، وأخـــذوهم بخراج كسرى ، وكان خراج كسرى على رؤوس الرجال ما في أيديهم من الصحة والأموال ، وكان مما أفاء الله عز وجل عليهـم ما كان لآل كسرى ومن صوب معهم ، وعيال من قاتل معه وماله ، ومـا كان لبيوت النيران والآجام ومستنقع المياه ، وما كان للسكك ، ومـــا كان لآل كسرى ، فلم يتأت قسم ذلك الفيء الذي كان لآل كسرى ومن صوب معهم ، لأنه كان متفرقاً في كل السواد ، فكان يليه لأهل الفيء من وثقوا بـه وتراضوا عليه ، فهو الذي يتراعاه أهل الفيء لأعظم السواد ، وكانت الولاة عند تنازعهم فيه تهاون بقسمه بينهم ،فذلك الذي شبه على الجهلة أمر السواد ، ولو أن الحلماء جامعوا السفهاء الذين سألوا الولاة قسمه لقسموه بينهم ، ولكن الحلمـــاء أبوا، فتابع الولاة الحلماء ، وترك أقوال السفهـاء ، كذلك صنع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكل من طلب إليه قسم ذلك ، فإنما تابـع الحلماء ، وترك قول السفهاء ، وقالوا : لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض .

وعن محمد بن قيس عن عامر الشعبي قال : قلت له : السواد ما حاله ؟ قال : أخذ عنوة وكذلك كل أرض إلا الحصون، فجلا أهلها فدعوا إلى الصلح والذمة، فأجابوا وتراجعوا ، فصاروا ذمة ، وعليهم الجزي ، ولهم المنعـــة ، وذلك هو السنة ، كذلك صنع رسول الله ﷺ بدومة وبقي ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم فيئاً لمن أفاء الله عز وجل عليه .

وعن عمرو بن محمد عن الشعبي قال : قلت له : إن ناساً يزعمون أن أهل السواد عبيد؟ قال : علام يؤخذ الجزي من العبيد ، أخذ السواد عنوة ، وكل أرض علمتها إلا حصن في جبل أو نحوه ، فدعوا إلى الرجوع فرجعوا وقبل منهـــم الجزي وصاروا ذمـــة ، وإنما يقسم من الغنائم ما تغنم ، فأما مـــا لم يغنم وأجاب أهله الى الجزي من قبل ان يغنم فلهم جرت السنة بذلك .

---

(١) في م « فأما من لم يتغنم » .

وعن محمد بن سيرين قال : البلدان كلها أخذت عنوة ، إلا حصون قليلة ، عاهدوا قبل أن ينزلوا ، ثم دعوا يعني الذين أخذوا عنوة إلى الرجوع والجزي ، فصاروا ذمة : أهل السواد والجبل كله ، أمر لم يزل يصنع في أهل الفيء ، وإنما عمل عمر رضي الله عنه والمسلمون في هذا الجزي والذمة على آخر ما عمل به رسول الله ﷺ في ذلك ، وقد كان بعث خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل فأخذها عنوة ، وأخذ ملكها أكيدر بن عبد الملك أسيراً ، فدعاه إلى الذمة والجزي وقد أخذت بلاده عنوة وأخذ أسيراً ، وكذلك فعل بابني حريض[1] وقد أخذا له فادعيا أنهما أراداه فعقد لهما على الجزي والذمة وكذلك أمر رؤبة بن ياحنة صاحب أيلة[2] وليس المعمول به من الأشياء كرواته الخاصة من روى غير ما عمل به أئمة العدل والمسلمون فقد كذب ، وطعن عليهم .

وعن مسلم مولى حذيفة قال : تزوج المهاجرون والأنصار في أهل الكتابين من أهل السواد ، ولو كانوا عبيداً لم يستحلوا ذلك ، ولم يحل لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب ، لأن الله تعالى يقول : « ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح[3] الآية .

ولم يقل فتياتكم من أهل الكتابين .

وعن سعيد بن جبير قال : بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعدما ولاه المدائن وكثر المسلمات : إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن ، من أهل الكتاب فطلقها ، فكتب إليه : لا أفعل حتى تخبرني أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك ، فكتب إليه لا بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خلابة فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم ، فقال : الآن ، فطلقها .

---

(١) في م « عريض » وهو ما ورد في الطبري : ٣ / ٥٨٨ .

(٢) العقبة الحالية .

(٣) سورة النساء – الآية : ٢٥ .

وعن أبي الزبير عن جابر قال : شهدت القادسية مع سعد فتزوجنا نساءأهل الكتاب ونحن لا نجد كثير مسلمات فلما قفلنا فمنا من طلق ، ومنا من أمسك .

وعن إبراهيم النخعي قال : أخذ السواد عنوة ، فدعوا إلى الرجوع ، فمن أجاب فعليه الجزية وله الذمة ، ومن أبي صار ما له فيئاً فلا يحل بيع شيء من ذلك الفيء فيما بين الجبل إلى العذيب من أرض السواد ولا في الجبل .

وعن الشعبي مثله :

وعنه قال : أقطع الزبير وخباب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هبار أزمان عثمان رحمه الله فإن يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأ ، وهم الذين أخذنا عنهم ديننا ، وأقطع عمر رحمه الله طلحة وجرير بن عبد الله والربيل بن عمرو ، وأقطع أبا مفزر دار الفيل في عدد ممن أخذنا عنه وإنما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله .

وكتب عمر إلى عثمان بن حنيف مع جرير : أما بعد ، فأقطع جرير بن عبدالله قدر ما يقوته لاوكس ولا شطط ، فكتب عثمان الى عمر : إن جريراً قدم علي بكتاب منك تقطعه ما يقوته ، فكرهت أن أمضي ذلك حتى أراجعك فيه ، فكتب إليه إن صدق جرير فأنفذ ذلك ، وقد أحسنت في مؤامرتي وأقطع أبا موسى ، وأقطع علي رحمه الله كردوس بن هانيء الكردوسية ، وأقطع سويد ابن غفلة الجعفي ، وكان الملك يزدجرد بن كسرى قد حمل نصف الأموال الى أهل فارس بالقادسية ليتوردوا بها بلاد العرب ، وليغزوا عمر رضي الله عنه في داره وقراره وفعل فعل مقتدر وهو مغرور ، وأمر الجنود أن يحضروا الحرب بأموالهم وأن يحتفلوا [1] ليكون ، أحد لهم في الامتناع والمخاطرة لدنياهم ،

---

(١) الوكس : النقص والتنقيص . القاموس .

(٢) في م « لتخلفوا » .

فاجتمعت معهم من الأموال والزين والشارات على قدر أحسابهم ما لا يحصى ، وكان سبب ذلك ما قضى الله عز وجل به للمسلمين مساقه اليهم .

سيف عن شيوخه قالوا : وقسم سعد فيء القادسية على من شهد الفتح حياً ، وعلى من لحق بهم من مدد من غير أهل الأيام والقادسية ، أو معين فأسلم ، أو عبد فأعتق ، أو محتلم أدرك في ثلاث بعد الفتح ، فتكلم أولياء أولئك[1] الشهداء فحبسهم حتى أعاد الكتاب فيهم إلى عمر رحمه الله ، فأجابه عمر : إن الله تعالى أختص أقواماً بالكرامة والشهادة ، والله ولي جزائهم ، فدخل الشهداء في أمر لا يثاب[2] بالدنيا ، وإنما الفيء متاع لمن بقي إلى هزيمة العدو ، فقسم[3] الفيء على من شهد من حي ، أو لحق من مدد من غير أهل الأيام والقوادس في ثلاث بعد الوقعة ، ووكلوا الشهداء إلى الأجر والذخر .

قالوا : وقسم سعد الفيء بالقادسية على تسعة وثلاثين ألفاً أو يزيدون ممن شهدها ، وكانوا أكثر من تسعة وثلاثين ألفاً[4] وأقل من الأربعين فأصيب منهم خمسة آلاف ومائتان ، ثم لحق في الأيام الثلاثة بعد الوقعة[5] ممن لم يشهد الأيام ولا القادسية عدة من استشهد ، فعادوا بضعة وثلاثين ألفاً ، فقسم الفيء على أكثر من التسعة والثلاثين ألفاً ، وأقل من الأربعين .

قالوا : وأعطى الناس المتاع بالقيمة من سهم الرجل ، فبلغ سهم الفرسين وصاحبهما سبعة وعشرين ألفاً ، للفرسين أربعة أخماس ذلك ، وللرجل خمس

---

(١) في الأصل : « لحق بهم من مكة ، أولياء أولئك الشهداء » وتم تدارك المادة من م .

(٢) في م « لا يثاب » .

(٣) في م « يقسم » واعتمدت رواية م .

(٤) أضيفت « ألفاً » من م .

(٥) في م « فيمن » .

ذلك ، وسهم الفرس الواحد عشرة آلاف ونيف ، وسهم الرجل الواحد خمسة آلاف ونيف ، وسهم الرجل الفارس خمسة آلاف ونيف .

الشعبي : بلغ الفيء ستمائة ألف ألف مرتين ، وكان خمسها عشرين ومائة ألف ألف . وعنه قال : لم يقسم لأكثر من فرسين ، ولا يقسم لأكثر منهما وإن كان مع الرجل أكثر من فرسين عدت خيلاً ، وكان الذين معهم أكثر من الفرسين المشهورين منهم : قيس بن العباب والقعقاع بن عمرو ، وعطارد بن حاجب ، وهاشم بن عتبة ، ومذعور بن عدي ، والمقترب الاسود بن ربيعة ، وعمرو بن قيس بن عاصم وجرير بن عبد الله ، والاشعث بن قيس ، والنعمان بن مقرن ، وحنظلة بن الربيع ونابغة بني سعد ، وذو الخمار الأسدي ، وغالب الأسدي ، وغالب بن عبد الله الليثي في أمثال لهم .

وعن امرأة من بني تميم تدعى أروى قالت : شهدت القادسية فرضخ لنا من العنبر ، فأصاب النساء لكل امرأة منا ثلاثة وثلاثون مثقالاً من عنبر ، فكنت خطيبة النساء يومئذ ، وسفهت رأيي وقلت : قد رضخ الله لكن خيراً ، وإن هذا الذي معنا من هذا العنبر مسحور فاحذرن أن تنتفعن به فيفسد أزواجكن عليكن ، فاستعرضنا به العتيق ، ولقد قوم المثقال شيئاً صالحاً .

وعن ابراهيم بن يزيد قال : استكثرنا ثمن خرثي [1] أهل القادسية ، فقالوا لو بيع متاعه بقيمته إن كانوا ليقومون الثمين بالشيء اليسير .

سيف عن شيوخه قالوا : وأدلى جرير وبجيلة يوم القادسية بمثل ما كان عمر جعل لهم من ربع الخمس يوم البويب نفلاً إن هم وافوا المثنى ، فكتب سعد بذلك إلى عمر ، فأجابه قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين ، إني إنما كنت جعلت لهم ربع خمس ما أفاء الله على المثنى حين أمددته بهم في وجههم ذلك إلى البويب نفلاً ، فقد أخذوه أيام البويب ، ثم لم يمضوا ولكن رجعوا إلى أرض

---

(١) الخرثي : أثاث البيت أو أردأ المتاع والفنائم . القاموس .

العرب فعنفهم بما ادعوا مما ليس لهم وليس لي ، وقل لهم والله لولا إني قاسم مسؤول لبلغت منكم ، فأمر جريراً بجمعهم فجمعهم جرير لسعد ، فأتى بهم ، فقرأ عليهم الكتاب ، فقال جرير : صدق والله عمر ، وأسأنا ، فنستغفر الله ، وتتابع على ذلك قومه إلا امرأة يقال لها أم كرز فإنها قالت : كذبت والله يا جرير ، وجعل يقول لها : حلا[1] يا أم كرز فتعود ، فلا يزيد على أن يقول : حلا يا أم كرز .

وعنهم قالوا : ووفد سعد وفداً ، وثمن لهم عمر رحمه الله جوائزهم ، فأجازهم بثمانين ديناراً ثمانين ديناراً وبثمانمائة درهم ثمانمائة درهم ، وبثمانية أثواب ، ثمانية أثواب ، وبثمانية من الرقيق ثمانية من الرقيق ، وبثمانية من الحلان ثمانية من الحلان ، من الخمس ، ومن أراد شيئاً من أرض الأكاسر أبرز منها بقطعة تقيمه .

وعن الشعبي قال : بلغ عمر رحمه الله أمر الفيل وضربة سائسة للربيل الأسدي ، فبينا هو بمكة إذ رآه ، فرأى رجلاً بوجهه خبط[2] ، فقال : والله إني لأظن هذا صاحب الفيل ، فدعاه ، فقال له عمر : من أنت ؟ فانتسب له ، فقال : من أصحاب الفيل ؟ قال : نعم ، قال فحاجتك ؟ قال : ما لي حاجة إلا يسيرة ، قد كتبت إلى سعد أن يقتل كل محتلم في اساره ، فاكتب إليه يعطيني علجاً يقوم على فرسي ، ففعل فأعطي علجاً من الخمس ، وعرض عليه الجائزة فأبى .

قالوا : وقد كان سعد أسر وسبى بعد وقعة القادسية ، وقبلها ، ومعها ، وقبل الصلح[3] بضعة وخمسين ألفاً دخلوا في قسمتهم بالقيمة سوى من نفل منهم .

---

(١) حلا الشيء وحلاه تحلية : جعله حلواً . القاموس .

(٢) في م « خط » .

(٣) في م « المصيخ » .

قالوا : وكتب عمر رحمه الله إلى سعد : أنبئني أي فارس كان يوم القادسية أفرس وأي راجل كان أرجل وأي راكب كان أثبت ؟ فكتب اليه: إني لم أر فارساً مثل القعقاع بن عمرو ، حمل في يوم ثلاثين حملة ، فقتل في كل حملة كمياً ، ولم أر راجلاً مثل يعفور بن حسان الذهلي ، إنه جاءني في يوم بخمسة فوارس يختل الرجل منهم حتى يردفه ، ثم يغلبه على عنانه حتى يأتيني به سلماً ، ولم أر راكباً مثل الحارث بن قموم البهزي ، إنه جلل بعيره وبرقعه ثم ركب الكراديس ففرق بينهما ، فإذا انفرد بالفارس انحط عليه فعانقه ثم قتله ، ثم وثب على بعيره من قيام .

وعن ماهان وسعيد بن المرزبان ، قالوا : وكتب عمر إلى سعد أنبئني من وجدت أصبر ليلة الهرير ؟ فكتب إليه ، إن الحس سكن عني [1] ، حتى إذا كان في وجه الصبح سمعت ابتهاء [2] في مضر ، وانتماء في ربيعة ، ثم انتساباً في اليمن ، فوجدت المبتهين من تميم وأسد وقيس ، والمنتمين من بكر وحلفائها ، والمنتسبين في أهل اليمن من مذحج وكندة .

وعن الشعبي قال : أمر عمر رضي الله عنه في الأعشار بخمسمائة فرس نفلاً من خيل فارس في أهل البلاء ، فأصاب كل عشر خمسون فرساً ، فأصاب النخع عشرون فرساً وسائر مذحج تمام الخمسين .

وعن الكلبي أنه قال : فأصاب النخع خمسة وعشرون وسائر مذحج خمسة وعشرون فرساً .

وعن طلحة بن مصرف قال : أمروا مما وجدوا من الطيب للنساء ببعضه فأصاب كل امرأة مع الناس يومئذ ثلاثة وثلاثون مثقالاً من عنبر ، ومثلها من

---

(١) في م « إلي » .

(٢) في حاشية الأصل : ابتهاء : أى افتخاراً .

مسك ، وأشرك صبيان الذين استشهدوا في ذلك ، فأما الكافور فلم يعبؤوا بـه شيئا ، فأما بعضهم فلم يعرفوه فتركوه جميعا ، وبعضهم استبدل منهـم بالملح كيلا بكيل .

وأصاب الرجل من المسلمين أيا منذ خمسة آلاف ونيف من سهمه وصير الله عز وجل العدة والأداة إلى المسلمين، فلم يبق أحد إلا أدى وركب وفضل عنهم حتى جنبوا الجنائب وكان القاسم بين الناس والمميز للخيل، والذي يلي الأقباض سلمان ابن ربيعة ، وبعث سعد بثلاثة أخماس الخمس إلى عمر رضي الله عنـه ، وكان كسرى قد جمع في بيت ماله ألف ألف ألف ثلاثاً ومائتي ألف ألف مـرتين فأقرها شرين واستأنف الجمع فمات شرين وهي على حالها وأزدشير بن شرين وهي على حالها ، وفي حال اضطرابهم إلى قيام يزدجرد ، فبعث مع رستم بنصف مافي بيت ماله ست مائة ألف ألف مرتين ، فبلغ خمسها عشرين ومائة ألف ألف مرتين ، فبعث سعد بثلاثة أخماس الخمس مع زياد إلى عمر رضي الله عنه، وقسم خمس الخمس على عيالات الشهداء ، وأهل البلاء والمؤلفة قلوبهم ، والمؤلفة الذي أول ما يغزو ، وهو منذ كان العطاء أول ما يعرض للرجل ، وأقر ما بقي في بيت المال على حاله ، فأفاءه الله عز وجل على المسلمين يوم المدائن .

وحكى محمد بن خالد الهاشمي في كتاب الفتوح له عن أميـة بن عمرو بن عوف الساعدي عن روح بن القاسم الأسلمي عن مالك بن سعيد الخطمي قال : كان السبي بالقادسية والمدائن وجلولاء خمسين ألفاً .

وحكى عن اسماعيل بن المجالد بن سعيد عن أبيـه عن الشعبي قال : كانوا مائة ، قال محمد : وهو أكثر القول عندنا [٢] .

---

(١) في الأصل « معهم » وهو تصحيف صوابه من م .

(٢) سقط هذا الخبر مع الذي سبقه من م .

ذكر توجيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عتبة بن غزوان إلى البصرة

بعد انقضاء أمر القادسية

قال أبو جعفر الطبري : وفي سنة أربع عشرة ، وجه عمر بن الخطاب رحمه الله عتبة بن غزوان إلى البصرة ، وأمره بنزولها بمن معه، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني وروايته ، وزعم سيف أن البصرة مصرت في شهر ربيع سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان إنما خرج من المدائن إلى البصرة بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت والحصنين ، ووجه اليها سعد بأمر عمر .

عن الشعبي قال : قتل مهران سنة أربع عشرة في صفر، فقال عمر رحمه الله: قد فتح الله تعالى على اخوانكم الحيرة ومـــا حولها ، وقتل عظيم من عظمائها ، ولست آمن أن يمدهم إخوانهم من أهل فارس، فأنا أريد أن أوجهك إلى أرض الهند لتمنع أهل تلك الجهة من إمداد اخوانهم على أخوانكم تقاتلهم لعل الله يفتح عليكم، فسر على بركة الله، واتق الله ما استطعت واحكم بالعدل وصلي الصلاة لوقتها ، وأكثر ذكر الله ، فأقبل عتبة في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وضوى اليه قوم من الأعراب وأهل البوادي ، فقدم البصرة في خمس مائة يزيدون قليلاً او ينقصون قليلاً ، فنزلها والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند ، فيها حجارة بيض خشن فنزل الخريبة ، وليس بهـــا إلا سبع دساكر بالزابوقة والخُريبه وموضع بني تميم والأزد ثنتان بالخريبة ، وثنتان بالأزد ، وثلثان في موضع بني تميم ، وواحـدة

بالزابوقة ، فكتب إلى عمر ووصف له منزله ، فكتب اليه عمر إجمع للناس موضعاً واحداً ولا تفرقهم ، وأقام عتبة أشهراً لا يغزو ولا يلقى أحداً [١] .

وحكى الطبري بسنده عن خالد بن عمير وأبي الرقاد شويس قالا: بعث عمر ابن الخطاب عتبة بن غزوان فقال له : انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب فأقيموا، فأقبلوا حتى إذا كانوا بالمربد وجدوا هذا الكذان قالوا: ما هذه البصرة فساروا حتى بلغوا حبال الجسر الصغير فإذا حلفاء وقصب نابتة ، فقالوا : هاهنا أمرتم فنزلوا دون صاحب الفرات ، فأتوه فقالوا : إن هاهنا قوماً معهم راية وهم يريدونك فأقبل في أربعة آلاف أسوار فقال : ما هم الا ما أرى ، اجعلوا في أعناقهم الحبال وإئتوني بهم، فجعل عتبة يؤجل ويقول إني شهدت القتال مع رسول الله ﷺ حتى إذا ما زالت الشمس قال احملوا ، فحملوا عليهم فقتلوهم أجمعين فلم يبق منهم أحد إلا صاحب الفرات ، أخذوه أسيراً ، قال : فقال عتبة بن غزوان : ابغوا لنا منزلا هو أنزه من هذا، وكان يوم عكاك وومد [٢] ، فرفعوا له منبراً ، فقام يخطب فقال : إن الدنيا قد إنصرمت وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء ، الا وإنكم متنقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، ولقد ذكر لي لو أن صخرة ألقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفاً ولتملأنه ، أفعجبتم ؟ ولقد ذكر لي أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ، ولقد رأيتني وإني لسابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق السمر [٣] ، حتى تقرحت أشداقنا والتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد ، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا وهو امير مصر من الأمصار وستجربون الناس بعدنا .

---

(١) الطبري : ٣ / ٥٩٠ - ٥٩١ .

(٢) شديد الحر كثير الغبار . وجاء في م « يوم عكاظ ، فرفعوا » .

(٣) شجر (الأكاسيا) صغير الورق قصير الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس . تاج العروس .

فتح الأبلة

الطبري بسنده عن السكن بن قتادة ، قال : قدم عتبة بن غزوان البصرة في ثلاثمائة ، فلما رأى منبت القصب سمع نقيق الضفادع ، قال : إن امير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى الـــبر من أرض العرب ، وأدنى أرض الريف من أرض العجم ، فهذا حيث وجب علينا فيه طاعة إمامنا ، فنزل الخريبـــة وبالأبلة خمسمائة من الأساورة يحمونها ، وكانت مرفأ السفن من الصين وما دونها، فسار عتبة فنزل دون الأجانه ، فأقام نحواً من شهر ثم خرج اليه اهل الأبلة فناهضهم عتبة ، وجعل قطبة بن قتادة السدوسي ، وقسامة بن زهير المـــازني في عشرة فوارس ، وقال لهما كونا في ظهرنا فتردان المنهزم وتمنعان من أرادنا من وراءنا ، ثم التقوا فما اقتتلوا مقدار جزر جزور وقسمها حتى منحهم الله أكتافهم، وولوا منهزمين حتى دخلوا المدينة ، ورجع عتبة الى عسكره ، فأقاموا أياماً وألقى الله في قلوبهم الرعب ، فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خف لهم وعبروا الى الفرات وخلوا المدينة فدخلها المسلمون ، فأصابوا متاعاً وسلاحاً وسبياً وعيـناً فاقتسموا العين ، فأصاب كل رجل منهم درهمان .

وولى عتبة نافع بن الحارث أقباض الأبلة فأخرج خمسه ، ثم قسم الباقي بين من أفاءه الله عليه ، وكتب بذلك مع نافع بن الحارث .

وعن بشير بن عبد الله قال : قتل نافع بن الحارث يوم الأبلـة تسعة وأبو بكرة ستة .

وعن داود بن أبي هند قال : أصاب المسلمون بالأبلة من الدراهم ست مائة درهم ، فاخذ كل رجل درهمين ففرض عمر لأصحاب الدرهمين ممن أخذهـا

من فتح الأبلة في ألفين في العطاء ، وكانوا ثلاث مائة رجل .

وعن الشعبي قال : شهد فتح الأبلة مائتان وسبعون فيهم ابو بكرة ونافع ابن الحارث ، وشبل بن معبد ، والمغيرة بن شعبه ، ومجاشع بن مسعود وأبو مريم البلوي [١] ، وربيعة بن كلدة بن أبي الصلت الثقفي والحجاج .

وعن عباية بن عبد عمرو ، قال : شهدت فتح الأبلة مع عتبة فبعث نافع ابن الحارث إلى عمر رحمه الله بالفتح ، وجمع لنا اهل دست ميسان ، فقال عتبة: أرى أن نسير إليهم فسرنا فلقينا مرزبان دست ميسان فقاتلناه فانهزم أصحابه وأخذ أسيراً ، فأخـــذ قباءه ومنطقته ، فبعث بـه عتبة مع أنس بن حجية اليشكري .

وعن أبي المليح الهذلي قال: بعث عتبة أنس بن حجية إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان ، فقال له عمر : كيف المسلمون ؟ قال : إنثالت عليهم الدنيا، فهم يهبلون الذهب والفضة فرغب الناس في البصرة فأتوها .

وعن علي بن زيد قال : لما فرغ عتبة من الأبلة جمع له مرزبان دست ميسان ، فسار اليه عتبة من الأبلة فقتله، ثم سرح مجاشع بن مسعود الى الفرات وبهامدينة، ووفد عتبة الى عمر ، وأمر المغيرة أن يصلي بالناس حتى يقدم مجاشع من الفرات، فإذا قدم فهو الأمير ، فظفر مجاشع بأهل الفرات ورجـــع إلى البصرة ، وجمع الفيلكان عظيم من عظماء ابزقباذ [٢] للمسلمين فخرج اليه المغـيرة بن شعبة فلقيه بالمرغاب [٣] فظفر به ، فكتب الى عمر بالفتح ، فقال عمر لعتبة : من استعملت على البصرة ؟ قال مجاشع بن مسعود ، قال : تستعمل رجلاً من اهل الوبر على اهل المدر تدري ما حدث ؟ قال : لا فاخبره بما كان من أمر المغـــيرة ، وأمره ان

---

(١) في م « الساولي » .

(٢) بين البصرة وواسط . معجم البلدان .

(٣) المرغاب نهر البصرة . معجم البلدان .

يرجع الى عمله ، فمات عتبة في الطريق ، واستعمل المغيرة بن شعبة .

وعن عبد الرحمن بن جوشن قال : شخص عتبة بعدما قتل مرزبان دست ميسان ، ووجه مجاشعاً الى الفرات واستخلفه على عمله ، وأمر المغيرة بن شعبة بالصلاة حتى يرجع مجاشع من الفرات،وجمع [1] أهل ميسان فلقيهم المغيرة وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات وبعث بالفتح إلى عمر .

الطبري باسناده عن قتادة قال : جمع أهل ميسان للمسلمين فسار إليهم المغيرة وخلف المغيرة الأثقال،فلقي العدو دون دجلة،فقالت أزدة بنت الحارث بن كلدة: لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم،فاعتقدت اللواء من خمارها،واتخذ النساء من خمرهن رايات ، وخرجن يردن المسلمين فانتهين إليهم والمشركون يقاتلونهم ، فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنـــوا أن مدداً أتى المسلمين ، فانكشفوا ، واتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة .

وعن حارثة بن مضرب قال : فتحت الأبلة عنوة فقسم بينهم عتبة «ككه» يعني خبزاً أبيض .

وعن محمد بن سيرين مثله .

قال الطبري : وكان ممن سبي من ميسان : يســـار أبو الحسن البصري ، وأرطبان جد عبد بن عون بن أرطبان .

وعن المثنى بن موسى بن سلمة بن المحبق عن أبيه عن جده قال : شهدت فتح الأبلة ، فوقع لي في سهمي قدر نحاس ، فلما نظرت إذا هي ذهب فيهـا ثمانون ألف مثقال ، فكتب في ذلك إلى عمر فكتب أن يصبر[2] يمين سلمة بالله : لقد أخذها يوم أخذها وهي عنده نحاس ، فان حلف سلمت إليه ، وإلا قسمت بين المسلمين ، قال : فحلفت فسلمت لي ، قال المثنى : فأصول أموالنا اليوم منها .

---

(١) في م « وجميع » .

(٢) يمين الصبر : أن يحبس السلطان صاحبها على اليمين حتى يحلف بها — اللسان .

وعن عمرة ابنة قيس ، قالت : لما خرج الناس لقتال أهل الأُبلة خرج زوجي وابني معهم [١] فأخـذوا الدرهمين ومكوك زبيب مكوك زبيب ، وإنهم مضوا حتى كانوا حيال الأُبلة قالوا للعدو : نعبر اليكم أو تعبرون الينا ؟ قال : بل أعبروا الينا ، فأخذوا خشب العشر [٢] ، فأوثقوه وعبروا إليهم ، فقـال المشركون ، لا تأخذوا أولهم حتى يعبر آخرهم ، فلما صاروا على الأرض كبروا تكبيرة ، ثم كبروا الثانية ، فقامت دوابهم على أرجلها ، ثم كبّروا الثالثـة فجعلت الدابة تضرب بصاحبها الأرض ، وجعلنا ننظر إلى رؤوس تندر ما نرى من يضربها ، وفتح الله على أيديهم .

المدائني قال : كانت عند عتبة صفية بنت الحارث بن كلدة ، وكانت أختها أزدة بنت الحارث عند شبل بن معبد البجلي ، فلما ولي عتبة البصرة إنحدر معه أصهاره : أبو بكرة ، ونافع ، وشبل بن معبد ، وانحدر معهم زياد ، فلمـا فتحوا الأبلة لم يحدوا قاسماً يقسم بينهم ، فكان زياد قاسمهـم وهو ابن أربع عشرة سنة له ذؤابة ، فأجروا عليه كل يوم درهمين [٣] .

* * *

(١) في م « وقيم » ووافق ما ورد بالأصل رواية الطبري : ٣/٥٩٧ .
(٢) من أنواع الخشب السريعة الاحتراق .
(٣) الطبري : ٣/٥٩٤ - ٥٩٧ .

حديث ما بين القادسية والمدائن

من كتاب سيف بن عمر الأسدي ، ذكر سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمر وسعيد قالوا: عهد عمر رضي الله عنه إلى سعد حين أمره بالسير إلى المدائن أن يخلف النساء والعيال بالعتيق ففعل ، ويجعل معهم كثفاً من الجند ففعل ، وعهد اليه أن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم .

قالوا : وكان مقام سعد بالقادسية بعد الفتح شهرين في مكاتبة عمر رحمه الله في العمل بما ينبغي ، فقدم زهرة نحو اللسان ، واللسان لسان البر الذي أدلعه في الريف وعليه الكوفة اليوم ، والحيرة قبل اليوم ، والنخيرجان معسكر بـه ، فارفض ولم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه ، ولحق بأصحابه ، فكان مما يلعب به الصبيان في العسكر ، وتلقيه النساء عليهم ، وهم على شاطىء العتيق أمراً كان النساء يلعبن في ذرود وذي قار ، وتلك الأمواه حتى أمروا بالسير في جمادى الى القادسية ، وكان كلام أبدن فيه كالأوابد من الشعر لأنه ليس بين جمـــادي ورجب شيء :

المحب كل العجب بين جمادي ورجب
أمر قضاه قد وجب يخبره من قـد شجب
تحت غبـــار ولجب

ثم إن سعداً إرتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله ، وبعد تقديم زهرة بن الحوية في المقدمات إلى اللـان ، ثم ابتعه عبد الله بن المعتم ، ثم أتبـــع عبد الله شرحبيل بن السمط ، ثم أتبعهم هاشم بن عتبة ، وقد ولاه خلافته ، عمل خالد

ابن عرفطة ، وجعل خالداً على الساقة ، ثم أتبعهم وكل المسلمين فارس مؤد ، قد نقل الله عز وجل اليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح أو كراع أو مال لأيام بقين من شوال ، فسار زهرة حتى ينزل الكوفة ، والكوفة كل حصباء وسهلة حمراء مختلطين ، ثم نزل عليه عبد الله وشرحبيل ، وارتحل زهرة حتى نزلا عليه نحو المدائن ، فلما انتهى إلى برس لقيه بها بصبهري في جمع ، فناوشه فهزمهم فهرب بصبهري ومن معه الى بابل ، وبها فالة القادسية وبقايا رؤسائهم : النخيرجان ومهران الرازي والهرمزان ، وأشباههم فأقاموا ، واستعملوا عليهم الفيرزان ، وقدم عليهم بصبهري وقد نجا بطعنة فمات منها .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : طعن زهرة بصبهري في يوم برس فوقع في النهر فمات من طعنته بعدما لحق ببابل ، ولما هزم بصبهري أقبل بسطام دهقان برس ، فاعتقد من زهرة وعقد له الجسور ، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل .

ولما أتى بسطام زهرة بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فلال القادسية ، أقام ، وكتب إلى سعد بالخبر ، ولما نزل سعد على من بالكوفة مع هاشم بن عتبة ، وأتاه الخبر عن زهرة بإجتماع الفرس ببابل على الفيرزان ، قدم عبد الله ، ثم أتبعه شرحبيل ، ثم هاشماً ، ثم ارتحل بالناس ، فلما نزل عليهم برس ، قدم زهرة فأتبعه عبد الله وشرحبيل وهاشماً ، واتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل وقد قالوا : نقاتلهم دستاً [1] قبل أن نفترق فاقتتلوا ببابل فهزموهم في أسرع من لفت الرداء ، فانطلقوا على وجهين ، ولم يكن لهم إلا الافتراق ، فخرج الهرمزان متوجهاً نحو الأهواز فأخذها فأكلها ومهرجان ، وخرج الفيرزان معه حتى طلع على نهاوند وبها كنوز كسرى ، فأخذها وأكل الماهين وصمد النخيرجان ومهران الرازي المدائن حتى عبرا بهرسير إلى جانب دجلة الآخر ، ثم قطعا الجسر ، وأقام سعد ببابل أياماً وبلغه أن النخيرجان قد خلف شهريار دهقاناً

(١) في حاشية الأصل : أي مرة واحدة جميعاً ، وهي عجمية من قول العجم .

من دهاقين الباب بكوثى في جمع ، فقدم زهرة ثم أتبعه الجنود فخرج زهرة حتى ينزل على شهريار بكوثى بعد قتل قيومان والفرخان فيما بين سوار والدير .

وعن ابن الرفيل عن أبيه قال : كان سعد قدّم زهرة من القادسية فمضى متشمراً في حزبه وجنده ثم لم يلق جمعاً فهزمهم إلا أقدم فاتبعهم لا يمرون بأحد إلا قتلوه ممن لحقوا به منهم وأقام لهم ، حتى إذا قدمه من بابل ، قدم زهرة بكير بن عبد الله الليثي وكثير بن شهاب السعدي أخا الغلاق حين عبر السراة فيلحقون بأخريات القوم وفيهم قيومان والفرخان ، هذا ميساني ، وهذا أهوازي ، فقتل كثير قيومان ، وقتل بكير الفرخان بسوراء [1] ، ثم مضى زهرة حتى جاوز سوراء ، ثم نزل ، وأقبل هاشم حتى نزل عليه ، وجاء سعد حتى ينزل عليهم ، ثم قدم زهرة فسار تلقاء القوم ، وقد أقاموا له فيما بين الدير وكوثى .

وقد استخلف النخيرجان دهقان الباب ومهران على جنودهما شهريار ، ومضيا الى المدائن ، وأقام شهريار فيما هنالك ، فلما التقوا بأكناف كوثى جيش شهريار وأوائل الخيل خرج فنادى : ألا رجل ، ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إليّ حتى أنكلكم به فقال زهرة : لقد أردت أن أبارزك ، فأما إذ قد سمعت قولك فلا أخرج إلا عبداً فإن أقمت له قتلك إن شاء الله ، وإن فررت منه فإنما فررت من عبد ، وكايده ثم أمر أبا نباتة نائل الأعوجي [2] ، وكان من شجعان بني تميم ، فخرج اليه مع كل واحد منهما الرمح وكلاهما وثيق الخلق إلا أن شهريار مثل الجمل فلما رأى نائلاً ألقى الرمح ليعتنقه ، وألقى نائل رمحه ليعتنقه ، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا ، ثم اعتنقا فخرا عن دابتيهما ، فوقع على نائل كأنه بيت فضغطه بفخذه وأخذ الخنجر وأراغ حل أزرار درعه ، فوقعت

---

(١) موضع قيل الى جنب بغداد ، وقيل هو بغداد نفسها . معجم البلدان .

(٢) في م « الأعرجي » .

أيهامه في نائل ، فحطم عظمها ورأى منه فتوراً ، فثاوره فجلد به الأرض ، ثم قعد على صدره ، وأخذ خنجره فكشف درعه عن بطنه فطعن في بطنه وجنبه حتى مات، فاخذ فرسه وسواريه وسلبه، وانكشف أصحابه فذهبوا في البلاد، وأمام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد فأتى به سعداً ، فقال سعد ، عزمت عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقباءه ودرعه ، ولتركبن برذونه وغنمه ذلك كله ، فانطلق فتدرع سلبه ، ثم أتاه في سلاحه على دابته فقال : اخلع سواريك إلا أن ترى حرباً فالبسهما ، وكان أول رجل من المسلمين سور بالعراق .

وعنهم قالوا : فأقام سعد بكوثى أياماً وأتى المكان الذي حبس فيه إبراهيم عليه السلام بكوثى، فنزل جانب القوم الذين كانوا يبشرون إبراهيم، وأتى البيت الذي كان فيه ابراهيم عليه السلام محبوساً ، فنظر اليه، وصلى على رسول الله، وعلى ابراهيم وعلى أنبياء الله صلى الله عليهم، وقرأ ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ (١) » .

قالوا : ثم إن سعداً قدم زهرة إلى بهرشير ، فمضى زهرة من كوثى في المقدمات حتى ينزل بهرشير ، وقد تلقاه شيرزاد بساباط بالصلح وتأدية الجزي، فأمضاه إلى سعد ، فاقبل معه وتبعته الجنبات ، وخرج هاشم ، وخرج سعد في إثره ، وقد قتل زهرة كتيبة كسرى بوران حول المظلم .

ولما انتهى هاشم إلى مظلم ساباط ، وقف لسعد حتى لحق به فوافق ذلك رجوع المقرط أسد كان كسرى قد ألفه وتخيره من أسود المظلم ، وكانت به كتائب كسرى التي تدعى بوران، وكانوا يحلفون بالله كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا ، فبادر المقرط الناس حتى انتهى إليهم سعد ، فنزل اليه هاشم فقتله ،

(١) سورة آل عمران - الآية : ١٤٠ .

وسمى سيفه المتن فقبل سعد رأس هاشم وقبل هاشم قدم سعد فقدمه سعد إلى بهرشير .

فنزل إلى المظلم وقرأ: ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال﴾[١]، فلما ذهب من الليل هدأة ارتحل فنزل على الناس ببهرشير ، وجعل المسلمين كلما قدمت خيل على بهرشير وقفوا ثم كبروا فكذلك حتى نجز آخر من مع سعد فكان مقامه بالناس على بهرشير شهرين وعبروا في الثالث .

وعنهم قالوا : ولما نزل سعد على بهرشير بث الخيول فأغارت على ما بين دجلة إلى من له عهد من أهل الفرات فأصابوا مائة ألف فلاح فحسبوا فأصاب كل منهم [٢] فلاحاً ، وذلك أن كلهم فارس بهرشير فخندق لهم ، فقال له شيرزاد دهقان ساباط : إنك لا تصنع بهؤلاء شيئاً إنما هؤلاء عاوج لأهل فارس لن يحدوا إليك، فدعهم فهم إليحق يفرق[٣] لك الرأي فيهم، فكتب عليه بأسمائهم ودفعهم إليه فقال شيرزاد : إنصرفوا إلى قراكم ،

وكتب سعد الى عمر رحمه الله: إنا وردنا بهرشير بعد الذي لقينا بين القادسية وبهرشير ، فلم يأتنا أحد لقتال ، فبثثت الخيول فجمعت الفلاحين من القرى والآجام فما رأيك، فأجابه : إن من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين ليعينوا عليكم فهو أمانهم ، ومن لم يأتكم ، ولم يهرب فهو أمانهم ، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به ، فلما جاء الكتاب خلى عنهم وراسلهم [٤] الدقاهين ، فدعاهم الى الاسلام والرجوع او الجزي ولهم الذمة والمنعة ، فتراجعوا على الجزي والمنعة ، ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى ، ومن دخل معهم ، فلم

---

(١) سورة ابراهيم ـ الآية : ٤٤ .

(٢) في م « سهم » ووافقت رواية الطبرى : ٤/ه ما جاء بمتن الأصل .

(٣) أي يبدو ويتضح .

(٤) سقطت هذه الكلمة من م .

يبق في غـــربي دجلة الى أرض العرب سوادي الا أمن واغتبط بملك الاسلام ، واستقبلوا الخراج.

وأقاموا على بهرشير شهرين يرمونهم بالمجانيق ويـدبون إليهم بالدبابات ، ويقاتلونهم بكل عدة .

وعن المقدام بن شريح الحارثي عن أبيه قال : نزل المسلمون على بهرشير ، وعليها خنادقها وحرسها وعـــدة الحرب فرموهم بالمجانيق والعرادات[1] واستصنع سعد بشيرزاد المجانيق فنصب على اهـل بهرشير عشرين منجنيقاً فشغلوهم بها .

وعن ابن الرفيل عن أبيه ، قال : لما نزل سعد على بهرشير كانت العرب مطية بها ، والعجم محصنة فيها وربما خرج الأعاجم يمشون على المسنيات المشرفة على دجلة في جماعتهم وعدتهم لقتال المسلمين فـــلا يقومون لهم فكان آخر ما خرجوا في رجّالة وناشبة[2] وتجردوا للحرب وتبايعوا على الصبر ، فقاتلهم المسلمون فلم يلبثوهم فكذبوا وتولوا وكانت على زهرة بن الحوية يومئذ درع مفصومة ، فقيل له لو أمرت بهذا الفصم فسرد ، فقال : ولم ؟ فقالوا إنا نخاف عليك منه ، إني لكريم على الله إن ترك سهم فارس الجند كله ثم أتاني من هذا الفصم حتى يثبت في ، فكان أول رجل من المسلمين أصيب يومئذ هو بنشابة فثبتت فيه من ذلك الفصم ، فقال بعضهم : انزعوها عنـه ، فقال : دعوني فإن نفسي معي ما دامت في ، لعلي أن أصيب فيهـم بطعنة او بضربة او خطوة ، فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهر براز مـــن اهل إصطخر فقتله ، وأحيط به فقتل وانكشفوا .

وعن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما فتح

---

(١) في حاشية الأصل : العرادة بمهملات وتشديدة هي أصغـــر من المنجنيق ، قال التي يسميها كان الناس منجنيقا شيطانيا : عصا فيها حبل يرمي بها الرجل بالحجارة بيده كالقلاع .

(٢) في حاشية الأصل : أى رماة النشاب .

الله عز وجل ، وقتل رستم وأصحابه بالقادسية ، وفضت جيوشهم اتبعهم المسلمون حتى نزلوا بالمدائن ، وقد ارفضت جموع فارس ، ولحقوا بجبالهم وتفرقت جماعتهم وفرسانهم الا أن الملك مقيم في مدينتهم ، ومعه من بقي من اهل فارس على أمره .

وعن أنس بن الحليس قال: بينا نحن محاصرون بهرشير بعد زحفهم وهزيمتهم أشرف علينا رسول ، فقال : ان الملك يقول لكم : هل لكم الى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلها ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم ، أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم ، فبدر الناس أبو مفزر الأسود بن قطبة ، وقد أنطقه الله عز وجل بما لا يدري ما هو ولا نحن ، فأجابه بالفارسية ولا يعرف من الفارسية شيئاً ، ولا نحن فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون الى المدائن فقلنا يا أبا مفرز : ما قلت له ؟ قال : لا والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما هو اني علتني سكينة ، وأنا أرجو أن أكون قد أنطقت بالذي هو خير .

وانتابنا الناس يسألونه حتى اسمع بذلك سعد ، فجاءنا فقال : يا أبا مفرز ما قلت له ؟ فوالله إنهم لمرتاب فحدثه بمثل حديثه ايانا ، فنادى في الناس ثم نهد بهم وإن مجانيقنا لتخطر [1] بهم ، فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج الينا إلا رجل نادى بالأمان فأمناه، فقال : إن بقي أحد فيها فما يمنعكم؟ فتسورها الرجال وافتتحناها فما وجدنا فيها شيئاً ولا أحداً إلا أسارى أسرناهم خارجاً منها، فسألناهم وذلك الرجل لأي شيء هربوا ؟ فقال: بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه لا يكون بيننا وبينك صلح أبداً حتى نأكل عسل أفريدي [2] بأترج كوثى .

فقال الملك« واويله » ألا أرى الملائكة تكلم على ألسنتهم ترد علينا وتجيبنا

---

(١) في حاشية الأصل : أي تنزل عليهم يميناً وشمالاً ، من خطر الثور بذنبه .

(٢) في م « أفريدن » .

عن العرب ، والله لئن لم يكن كذلك ما هذا إلا شيء ألقي على في هذا الرجل لينتهي ، فآزروا الى المدينة القصوى، قالوا : ولما دخل سعد والمسلمون بهرشير أمر بها فثلمت ، ولما دخلها أنزل الناس فيها ، وتحول العسكر اليها ، وحاول العبور فوجدوهم قد ضموا السفن فيما بين البطائح وتكريت، ولما دخل المسلمون بهرشير وذلك في جوف الليل لاح لهـــم الأبيض فقال ضرار بن الخطاب : الله أكبر أبيض كسرى ، هذا والله ما وعد الله رسوله ، وتابعوا التكبير حتي أصبحوا .

وقال محمد وطلحة : وذلك ليلة نزلوا على بهرشير .

وقال القعقاع بن عمرو :

الم يأتيك والأخبار تنمى ... وتصعد في الملمعة الفياف
توافينا ومنـزلنا جميعـــاً ... أمـام الخيل بالسمر الثقاف
قسمنا أرضهم نصفين حتى ... نزلنا مثل منزلهم كفاف
دعاء ما دعونا آل كسرى ... وقدهم المرازب بانصراف
وما إن طبهم جبن ولكن ... رميناهم[1] برامية ذعاف
فتحنا بهرشير بقـول حق ... أتانا ليس من سجع العواف
وقد طارت قلوب القوم منا ... وهدوا الضرب بالبيض الخفاف

وقال ابو مفزر :

زعمتم أننا لكم قسطين ... وقول الفجر يخلطه الفجور
كذبتم ليس ذلكم كذاكم ... ولكنا رحى بكم تدور
ولو رامت جموعكم بلادي ... إذن كرت رحانا تستدير
فللنا حدكم بـــلوى قديس ... ولم تسلم هنالك بهرشير

(١) في م « منينانهم بداهية » .

فتحت البهرشير بإذن ربي وأعدتني على ذاك الأمور
وقد عضوا الشفاه ليهلكونا ودون القوم مهواة جرور
فطاروا قضة ولهم زفـــير الى دار وليس بها نصير

وعن حبيب بن صهبان أبي مالك قال : دفعنا الى المدائن ، يعني بهرشير ، وهي المدينة الدنيا، فحصرنا ملكهم وأصحابهم حتى أكلوا الكلاب والسنانير ، قال : ثم لم يدخلوا حتى ناداهم مناد : والله ما فيها أحد ، فدخلوها ومـا فيها أحد .

حديث المدائن منزل كسرى

قالوا : ولما نزل سعد بهرشير ، وهي المدينة الدنيا طلب السفن ليعبر بالناس الى المدينة القصوى ، فلم يقدر على شيء ، ووجدهم قد ضموا السفن ، فأقاموا ببهرشير أياماً يريدونه على العبور ، فيمنعه الإبقاء على المسلمين حتى أتاه أعلاج فدلوه على مخاضة تخاض الى صلب الوادي ، فأبى وتردد عن ذلك وفجئهم المد ، فرأى رؤيا بأن خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت وقد أقبلت من المد بأمر عظيم فعزم لتأويل رؤياه عـلى العبور ، وفي سنة جَوْد صيفها [1] متتابع فجمع سعد الناس فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون اليهم معه ، وهم يخلصون اليكم إذا شاؤوا فينا وشوكم في سفنهم وليس وراءكم شيء تخافون ان تؤتوا منه فقد كفاكموهم أهل الأيام وعطلوا ثغورهم ، وأفنوا ذادتهم ، وقد رأيت من الرأي ان تبادروا جهـــاد العدو

(١) في حاشية الأصل « صيبها » .

بنياتكم قبل ان تحضركم الدنيا، ألا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم ، فقالوا جميعاً عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .

فندب سعد الناس الى العبور فقال : من يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج ؟ فانتدب له عاصم بن عمرو أول الناس ، وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات واستعمل عليهم عاصماً ، فسار عاصم فيهم حتى وقف على شاطيء دجلة، ثم قال : من ينتدب معي ليمنع الفراض من عدوكم وليحميكم حتى تعبروا ؟ فانتدب له ستون منهم أصم بني ولاد وشرحبيل في أمثالهم ، فجعلهم نصفين على خيول إناث وذكورة ليكون أسلس لعوم الخيل ، ثم اقتحموا دجلة ، واقتحم بقية الستمائة على أثرهم .

وكان أول من فصل على الفراض من الستين : اصم التيم ، والكلح بن كعب الهمداني ، وشرحبيل وحجل العجلي ، ومالك بن كعب الهمداني ، وغلام من بني الحارث بن كعب، فلما رأتهم الأعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التي تقدمت سعداً خيلاً مثلها ، فاقتحموا عليهم دجلة فاعاموها اليهم فلقوا عاصماً في السرعان وقد دنا من الفراض ، فقال عاصم : الرماح الرماح ، اشرعوا بها [1] وتوخوا العيون، فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فتولوا نحو الجُدّ [2] والمسلمون يشمسون [3] بهم خيلهم ما يملك رجالها مع ذلك منها شيئاً ، فلحقوا بهم في الجد ، فقتلوا عامتهم ونجا من نجا عولان ، ونزلت بهم خيولهم حتى انتقضت [4] على الفراض وتلاحق الستمائة بأوائلهم الستين غير متعتعين .

---

(١) في م « أشرعوها » .

(٢) الجد في اللغة البئر القديمة ، معجم البلدان .

(٣) أي ينغمسون خيلهم ليحركوها .

(٤) في حاشية الأصل : « أي نزلت » .

ولما رأى سعد عاصماً على الفراض وقد منعها، أذن للناس في الإقتحام، وقال: قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وتلاحق عظم الجند فركبوا اللجة وان دجلة لترمي بالزبد ، وإنها لمسودة ، وإن الناس ليتحدثون في عومهم وقد اقترنوا ما يكترثون كما يتحدثون في مسيرهم على الأرض وفجؤوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم فأجهضوهم وأعجلوهم عن جمهور أموالهم ، ودخلها المسلمون في صفر سنة ست عشرة واستولوا على ذلك كله مما بقي في بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف ، ومما جمع شيرين ومن بعده ، وفي ذلك يقول أبو يجيد نافع ابن الأسود .

وأسلنا[1] على المدائن خيلا ... بحرها مثل برهن أريضا[2]
وانتشلنا خزائن المرء كسرى ... يوم ولوا وحاص منا جريضا[3]

وقال أبو مفزر الأسود بن قطبة مرتجزاً :

يا دجل إن الله قد أشجاك ... هذي جنود الله في قراك
فلتشكري الذي بنا حاباك ... ولا تروعي مسلماً أتاك

وعن الوليد بن عبد الله بن أبي ظبية عن أبيه قال : لما أقدم[4] سعد على دجلة أتاه علج فقال : ما يقيمك لا تأتي عليك ثالثة حتى يذهب يزدجرد بكل شيء في المدائن ، فذلك مما هيجه على القيام بالدعاء إلى العبور .

وعن أبي عثمان النهدي في قيام سعد في الناس في دعائهم إلى العبور بمثله ، وقال : طبقنا دجلة خيلا ورجالاً ودواب حتى ما يرى الماء من الشاطىء أحد

---

(١) في م « وأملنا » .
(٢) أرض أريضة : زكية معجبة للعين .
(٣) الجريض المغموم الخائف .
(٤) في م « أقام » .

فخرجت بنا خيلنا إليهم تنفض أعرافها لها صهيل، فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلوون على الشيء ، فانتهينا إلى القصر الأبيض وفيه قوم قد تحصنوا، فأشرف بعضهم فكلمنا ودعوناهم وعرضنا عليهم فقلنا ثلاثاً وتختارون منهن أيتهن شئتم، قالوا : وما هن ؟ قلنا الإسلام فإن أسلمتم فلكم ما لنا ، وعليكم ما علينا وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فمناجزتكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، فأجابنا مجيبهم أن لا حاجة لنا في الأولى ولا في الآخرة ، ولكن الوسطى .

وفي رواية والسفير سلمان رحمه الله .

وعن ابن الرفيل قال : فلما هزموهم في المـــاء وأخرجوهم إلى الفراض ، ثم كشفوهم عن الفراض وأعجلوهم عن الأموال إلا ما كانوا تقدموا فيه ، وكان في بيوت أموال كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ثلاث مرات فبعثوا مع رستم بنصف ذلك وأقروا نصفه [١] في بيوت الأموال .

وعن بعضهم أن الذي قتل الرجل الذي بدأ الإقتحام عليهم مالك بن كعب الأرحبي ، وبنو عجل يقولون بل حجل بن عبد الله العجلي وخرج الستون الذين تقدموا [٢] الناس لمنع الفراض متقطعين زمراً ، فكانت الزمرة الأولى من الستين تسعة ، فيهم عاصم بن عمرو ، والثانية ثمانية عشر ، والثالثة ثلاثة وثلاثون .

وعن أبي بكر بن حفص بن عمر قال : قال سعد يومئذ ، وهو واقف قبل أن يقتحم الجمهور ، وهو ينظر إلى حماة الناس ، وهـم يقاتلون على الفراض : والله إن لو كانت الحرشاء يعني كتيبته التي كان فيها القعقاع بن عمرو ، وحمـــال بن مالك ، والربيل بن عمرو ، فقاتلوا قتال هؤلاء القوم هـــذه الخيل لكانت قد أجزأت وأغنت ، وكتيبة عاصم هي كتيبة الأهوال فسميت كتيبة الأهوال لما رأى منهم في الماء والفراض بكتيبة الحرشاء ، قال : ثم إنهم تنادوا بعد هنات

---

(١) في م « نصفها » .

(٢) في م « يقدمون » .

قد اعتوروها عليهم ولهم ، فخرجوا ونهض لهم اخوانهم حتى لحقوا بهم ، فلما استووا على الفراض هم وجميع كتيبة الأهوال بأسرهم، أقحم سعد بالناس، وكان الذي يساير سعداً في الماء سلمان الفارسي ، فعامت بهم الخيل وسعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه وليهزمن الله عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات ، فقال له سلمان : الإسلام جديد ذللت لهم والله البحار كما ذلل لهم البر ، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً ، فطبقوا الماء حتى ما يرى الماء من الشاطىء ولهم فيه أكثر حديثاً منهم في البر إذ كانوا فيه، فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئاً ولم يغرق فيه أحد .

وعن أبي عثمان النهدي أنهم سلموا من عند آخرهم إلا رجل من بارق يدعى غرقده زال عن ظهر فرس له شقراء كأني أنظر إليها تنفض أعرافها عريباً ، والغريق طاف ، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه فجره حتى عبر ، فقال البارقي ، وكان من أشد الناس : أعجزت الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع ، وكانت للقعقاع فيهم خؤولة .

وعن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد قالوا : فما ذهب لهم يومئذ في الماء شيء إلا قدح كانت علاقته رثة فانقطعت ، فذهبت به الماء فقال الرجل الذي كان يعاوم صاحب القدح معيراً له : أصابه القدر فطاح، فقال : إني والله لعلى جديلة [1] ما كان الله ليسلبني قدحي من بين أهل العسكر ، ولما عبروا إذا رجل ممن كان يحمي الفراض قد سفل حتى طلع عليه أوائل الناس ، وقد ضربته الرياح والأمواج حتى دفع [2] إلى الشاطىء فتناوله برمحه فجاء به إلى العسكر فعرفه فأخذه صاحبه وقال للذي كان يعاومه : ألم أقل لك ؟ وكان صاحبه

(١) أي على قناعة وعزيمة : النهاية لابن الاثير .

(٢) في م « وقع » .

حليفاً لقريش من عنز يدعى مالك بن عامر والذي قال ، طاح يدعى عامر بن مالك ، وقال غيره : إن الذي قال طاح عامر بن مالك الأشعري، فأرسل إليه عمر رحمه الله فقال : أنت القائل أصابه القدر فطاح تفجع مسلماً .

وعن عمير الصائدي قال: لما أقحم سعد الناس في دجلة اقترنوا فكان سليمان قرين سعد إلى جانبه يسايره في الماء ، وقال سعد: «ذلك تقدير العزيز العليم[1]» والماء يطموا بهم ، وما يزال فرس يستوي قائماً إذا أعيي تنشز له تلعة فيستريح عليها كأنه على الأرض ، فلم يكن بالمدائن أمر أعجب من ذلك ، وذلك يوم الماء وكان يدعى يوم الجراثيم .

وعن قيس بن أبي حازم قال : خضنا دجله وهي تطفح ، فلما كنا في أكثرها ماء لم يزل فارس واقف ما يبلغ الماء حزامه .

وعن حبيب بن صهبان أبي مالك قال: لما دخل سعد المدينة الدنيا وقطع القوم الجسر وضموا السفن ، قال المسلمون : ما تنتظرون بهذه النطفة ، فاقتحم رجل فتتابع الناس فما غرق منهم إنسان ، ولا ذهب لهم متاع غير أن رجلاً من المسلمين فقد قدحاً له أصفر انقطعت علاقته فرأيته يطفح على الماء .

وعن محمد وطلحة والمهلب قالوا : وما زالت حماة أهل فارس يقاتلون على ماء الفراض حتى أتاهم آت فقال : علام تقتلون أنفسكم فوالله ما في المدائن أحد .

---

(١) سورة الأنعام – الآية : ٩٦ .

دخول المدائن

قالوا : ولما رأى المشركون المسلمين وما يهمون به بعثوا من يمنعهم من العبور وتحملوا، فخرجوا هراباً وقد أخرج يزدجرد قبل ذلك، وبعدما فتحت بهرشير، عياله إلى حلوان فخرج يزدجرد بعد حتى ينزل حلوان فلحق بعياله وخلف مهران الرازي والنخيرجان ، وكان على بيت المال بالنهروان وخرجوا معهم بما قدروا عليه من حر متاعهم وخفيفه ، وبما قدروا عليه من بيت المال بالنساء والذراري وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفضول والألطاف والأوهان ما لا يدرى ما قيمته ، وخلفوا ما كانوا أعـــدوا للحصار من البقر والغنم وكل الأطعمة والأشربة ، فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال فأولهم يعفور الذهلي من بكر بن وائل ، وزياد بن البلاد أحـد بني جشم بن سعد ، ثم اتبعت كتيبة الأهوال الحرشاء وأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحداً ولا يخشونه إلا من كان في القصر الأبيض ، فأحاطوا به ودعوهم فاستجابوا لسعـــد على الجزي والذمة ، وتراجع إليها أهل المدائن على مثل عهدهم ليس في ذلك ما كان لآل كسرى، فخرج معهم ونزل سعد القصر الأبيض، وسرح سعد زهرة في المقدمات في آثار القوم إلى النهروان ، فخرج حتى انتهى إلى النهروان وسرح مقدار ذلك في طلبهم من كل وجه .

وعن حبيب بن صهبان أبي مالك قال : لما عبر المسلمون يوم المدائن دجلة ، فنظروا إليهم يعبرون، جعلوا يقولون بالفارسية: « ديوان[1] مذر» وقال بعضهم لبعض إنكم والله ما تقاتلون الإنس وإنما تقاتلون الجن فانهزموا .

---

(١) في م « ديوان مز » وجاء في حاشية الأصل : قال : أبو بكر بن سيف : يعني قـــد جاء الشيطان .

وعن عطية بن الحارث وعطاء بن السائب عن أبي البختري ، قال : كان رائد المسلمين سلمان الفارسي وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس ، قال عطية : وقد كانوا أمروه، فدعا أهل بهرشير ثلاثاً، وأمروه يوم القصر الأبيض، فدعاهم ثلاثاً ، فقال عطية وعطاء : وكان دعاؤه إياهم أن يقول : إني منكم في الأصل وأنا أرق لكم ، ولكم في ثلاث أدعوكم إليها : ما يصلحكم أن تسلموا ، فأخوتنا لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإلا فالجزية ، وإلا نابذناكم على سواء ﴿ إن الله لا يحب الخائنين ﴾[1] .

قال عطية : فلما كان اليوم الثالث في بهرشير أبوا أن يجيبوا إلى شيء فقاتلهم المسلمون حين[2] أبوا ، ولما كان اليوم الثالث في المدائن أقبل أهل القصر الأبيض وخرجوا ، ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الديوان مصلى وإن فيه لتماثيل جص فما حركها .

وعن محمد وطلحة والمهلب وسماك الهجيمي قالوا : وقد كان الملك سرب عياله حين أخذت بهرشير إلى حلوان ، فلما ركب المسلمون الماء خرجوا هرابا وخيلهم على الشاطىء يمنعون المسلمين وخيلهم من العبور، فاقتتلوا هم والمسلمون قتالاً شديداً حتى ناداهم مناد علام تقتلون أنفسكم ، فوالله ما في المدائن من أحد ، فانهزموا واقتحمتها الخيول عليهم ، وعبر سعد في تعبئة الجيش .

وعن الشعبي مثله، وكان الذين ولوا حصار القصر الأبيض كتيبة الأهوال حتى استجابوا للجزي فخلا عنهم ، فهرب بعضهم وأقام بعضهم .

وعن محمد وطلحة والمهلب قالوا : أدرك أوائل الناس أخريات أهل فارس، فأدرك رجل من المسلمين يدعى ثقيفاً[3] أحد بني عدي بن شريف رجلا من

---

(١) سورة الأنفال – الآية : ٥٨ .

(٢) في م « حتى » .

(٣) في م « ثقف » .

أهل فارس معترضاً على طريق من طرقنا، يحمي أدبار قومه فضرب فرسه على الأقدام عليه ، فأحجم ولم يقدم ، ثم ضربه للهرب فتقاعس حتى لحقه المسلم ، فضرب عنقه وسلبه .

وعن عطية وعمرو ودثار قالوا : وكان فارس من فرسان العجم في المدائن يومئذ مما يلي خازر ، فقيل له قد دخلت العرب وهرب أهل فارس، فلم يلتفت إلى قولهم ، وكان واثقاً بنفسه ، ومضى حتى يدخل بيت أعلاج له ، وهم ينقلون ثيابه ، فقال : ما لكم ؟ فقالوا : أخرجتنا الزنابير، وغلبتنا على بيتنا، فدعا بجلاهق [١] وبطين فجعل يرميهن حتى ألزقهن بالحيطان فأفناهن ، وانتهى الفزع إليه فقام، وأمر علجاً فأسرج له فانقطع حزامه فشده على عجل،وركب ثم خرج ووقف ومر به رجل فطعنه وهو يقول : خذها وأنا ابن المخارق فقتله ، ثم مضى ما يلتفت إليه .

قالوا: وأدرك رجل من المسلمين رجلاً منهم معه عصابة يتلاومون ويقولون: من أي شيء فررنا ؟ ثم قال قائل منهم لرجل منهم : ارفع لي كرة فرماها لا يخطىء ، فلما رأى ذلك عاج وعاجوا معه وهو أمامهم فانتهى إلى ذلك [٢] فرماه من أقرب مما كان يرمي منه الكرة ما يصيبه ، حتى وقف عليه الرجل ففلق هامته ، وقال : أنا ابن مشرط الحجارة وتفار عن الفارسي أصحابه .

قالوا : ولما دخل سعد المدائن ، فرأى خلوتها ، وانتهى إلى إيوان كسرى ، أقبل يقرأ : ﴿ كم تركوا من جنّات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴾[٣] .

وصلى فيه صلاة الفتح ولا تصلي جماعة ، فصلى ثماني ركعات لا يفصل بينهن،

---

(١) الطين المدور المدملق يرمى به عن القوس . المعرب للجواليقي : ٩٦ .

(٢) في حاشية الأصل : أي الرجل العربي .

(٣) سورة الدخان ـ الآيات : ٢٥ ـ ٢٨ .

واتخذه مسجداً وفيه تماثيل الجص رجـــال وخيل ، ولم يمتنع ولا المسلمون كذلك، وتركوها على حالها ، قال : وأتم سعد الصلاة يوم دخلها وذلك إنه أراد المقام بها وكانت أول جمعة بالعراق جمعت بالمدائن في صفر سنة ست عشرة .

قالوا : ونزل سعد إيوان كسرى ، وقدّم زهرة وأمـره أن يبلغ النهروان ، فبعث في كل وجه مقدار ذلك لنفي المشركين ، وجمع الفيوء ، ثم تحـــول الى القصر بعد ثالثة ، ووكل بالأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن وأمره بجمع مـا في القصر والإيوان والدور ، وإحصاء ما يأتيه به الطلب ، وقد كان أهـل المدائن تناهبوا عند المدائن غارة ، ثم طاروا في كل وجه فما أفلت أحـد منهم بشيء لم يكن في عسكر مهران بالنهروان ولا بخيط ألح عليهم الطلب فتنقذوا مـــا في أيديهم ، ورجعوا بما أصابوا من الأقباض فضموها إلى ما قد جمـع ، وكان أول شيء جمع يومئذ ما في القصر الأبيض ، ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن .

وعن حبيب بن صهبان قال : دخلنا المدائن فأتينا على قبـاب تركية مملوءة سلالاً مختمة بالرصاص فما حسبناها إلا طعاماً فإذا هي آنيـــة الذهب والفضة ، وقسمت بعد بين الناس .

قال حبيب : ولقد رأيت الرجل يطوف ويقول من معـــه بيضاء بصفراء وأتينا على كافور كثير فما حسبناه إلا ملحـــاً ، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز .

وعن الرفيل بن ميسور [1] قال : خرج زهرة في المقدمة يتبعهم حتى انتهى الى جسر النهروان وهم عليه ، فازدحموا فيقع بغل في المـاء وعجلوا عنه وكلبوا عليه ، فقال زهرة : إني أقسم بالله إن لهذا البغل شأناً ما كلب القوم عليه ، ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنـك إلا لشيء بعدما أرادوا تركه ، وإذا الذي عليه حلية كسرى : ثيابه ، وخرزاته ، ووشاحه ، ودرعه التي كان فيهـــا

(١) في م « ميسون » .

الجوهر ، وكان يجلس فيها للمباهاة ، وترجل زهرة يومئذ حتى إذا أزاحهم أمر أصحابه بالبغل فاحتملوه وأخرجوه فجاؤوا بما عليه حتى أدوه إلى الأقباض ما يدرون ما عليه .

وعن يعقوب عن جده الكلح قال كنت فيمن خرج في الطلب ، فإذا أنا ببغالين قد ذبا الخيل عنها بالنشاب ، فما بقي معهما غير نشابتين ، فالظظت بهما فاجتمعا ، وقال أحدهما لصاحبه إرمه وأحميك ، أو أرميه وتحميني ، فحمى كل واحد منهما صاحبه حتى رميا بهما ، ثم إني حملت عليهما فقتلتهما ، وجئت بالبغلين ما أدري ما عليهما حتى بلغتهما صاحب الأقباض ، فإذا هو يكتب ما يأتيه به الرجال ، وما كان في الخزائن والدور ، فقال : على رسلك حتى ننظر ما معك ، فحططت عنهما فإذا سفطان على أحد البغلين فيهما تاج كسرى مفسخاً ، وكان لا يحمله إلا اسطوانتان وفيهما الجوهر ، وإذا على الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب ، المنظوم بالجوهر ، وغير الديباج منسوجاً منظوماً .

قالوا : وخرج القعقاع بن عمرو يومئذ في الطلب ، فلحق بفارسي يحمي الناس ، فاقتتلا فقتله وقال :

لقد سألت لينا عتيداً أرجزاً أردت أو نشيداً
كلاهما أجده جديداً قطعت من قُنَّته[1] الوريدا
فعاد من يريده هميدا

وإذا مع المقتول جنيبة[2] عليها عيبتان وغلامان في أحدهما خمسة أسياف وفي الآخر ستة أسياف وإذا في العيبتين أدراع ، فإذا في الأدراع درع كسرى ومغافره ، وساقاه ، وساعداه ، ودرع هرقل ، ودرع خاقان ، ودرع باهر ،

(١) أي رأسه : اللسان .
(٢) أي دابة قد جنبها .

ودرع زاهر ، ودرع بهرام شوبين ، ودرع سياوخش ودرع النعمان ، وكانوا استلبوا ما لم يرثوا استلبوها أيام غزاتهم خاقان وهرقل وداهر ، وأما النعمان وبهرام فحين هربا وخالفا كسرى ، وأما أحد الغلافين ففيه سيف كسرى وهرمز ، وكسرى وقباذ وفيروز ، وإذا السيوف الأخر : سيف هرقل ، وخاقان وداهر ، وبهرام ، وسياوخش ، والنعمان ، فجاء به الى سعد فقال : إختر أحد هذه الأسياف ، فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام ، وأما سائرها فنفلها في الحرشاء إلا سيف كسرى والنعمان ليبعثوا بهما إلى عمر ، ولتسمع بذلك العرب لمعرفتهم بهما ، وحبسوهما في الأخماس ، وحلي كسرى وتاجه وثيابه ، ثم بعثوا بذلك الى عمر رضي الله عنه ليراه المسلمون ولتسمع بذلك العرب ، وعلى هذا الوجه سلب خالد بن سعيد عمرو بن معدي كرب سيفه الصمصامة في الردة ، والقوم يستحيون من ذلك .

وعن عصمة بن الحارث الضبي قال : خرجت فيمن خرج يطلب ، فأخذت طريقاً مسلوكاً ، وإذا عليه حمّار فلما رآني حثه ، فلحق آخر قدامه فمالا ، وحثا حمارهما فانتهيا الى جدول قد كسر جسره ، فثبتا حتى أتيتهما ، ثم تفرقا ورماني أحدهما فألظظت به فقتلته وأفلت الآخر ورجعت الى الحمارين فأتيت بهما صاحب الأقباض فنظر فيما على أحدهما ، فإذا سفطان في أحدهما فرس من ذهب مسرج بسرج من فضة على ثفره [1] ولببه الياقوت والزمرد منظوم على الفضة ، ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجوهر ، وإذا في الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب ، وبطان من ذهب ، ولها زمام من ذهب ، وكل ذلك منظوم بالياقوت ، وإذا عليها رجل من ذهب مكلل بالجوهر كان كسرى يضمهما الى اسطوانتي التاج .

وعن أبي عبيدة العنبري ، قال : لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض

(١) السير الذي يربط الى حلس الدابة ويوضع تحت ذنبها .

أقبل رجل بحق معه ، فدفعه الى صاحب الأقباض فقال والذين معه : ما رأينا مثل هذا قط ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه ، فقالوا له هل أخذت منه شيئاً ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأناً ، فقالوا : من أنت فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدوني ولا غيركم ليقرظوني ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه ، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى الى أصحابه ، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس .

وعن الشيوخ قالوا : قال سعد : والله إن الجيش لذو أمانة ، ولولا ما سبق لأهل بدر ، لقلت وأيم الله : على فضل أهل بدر ، لقد تتبعت من أقوام منهم هنات وهنات فيما أحرزوا ما أحسها ولا أسمعها من هؤلاء القوم .

وعن جابر بن عبد الله قال : تالله الذي لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر ، فما رأينا كما هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم : طليحة بن خويلد ، وعمرو بن معديكرب ، وقيس بن المكشوح .

وعن محمد بن قيس العجلي عن أبيه قال: لما قدم بسيف كسرى ومنطقته على عمر رحمه الله وزبرجه قال : إن أقواماً أدوا هذا لذوو أمانة ، فقال علي رضي الله عنه : إنك عففت فعفت الرعية .

وعن الشعبي نحوه .

---

(١) في حاشية الاصل : تم الكلام هنا ، وقوله : وأيم الله : ابتداء كلام هو أنه لقد فضل ، يراد في الفضل ، أيم أي اليمين القسم والمقسم عليه .

باب قسم الفيء يوم المدائن

بين أهل الأيام وأهل القادسية الذين لم يشهدوا الأيام ، وبين من لحق بهم في ثلاث من غير أهل الأيام والقادسية ، وبين أول الروادف ، وكانوا ستين ألفاً .

سيف عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب قالوا : ولما بعث سعد بعد نزوله المدائن في طلب الأعاجم بلغ الطلب النهروان ، ثم تراجعوا ومضى المشركون نحو حلوان ، فقسم سعد الفيء بين الناس بعدما خمسه ، فأصاب الفارس اثني عشر ألفاً ، وكلهم كان فارساً ليس فيهم راجل ، وكانت الجنائب في المدائن كثيرة ، وقسم سعد دور المدائن بين الناس ، وأوطنوها ، والذي ولي القبض عمرو بن عمرو المزني ، والذي ولي القسم سلمان بن ربيعة ، وكان فتح المدائن في صفر سنة ست عشرة .

وقالوا : ولما دخل سعد المدائن أتم الصلاة، وصام وأمر الناس بإيوان كسرى فجعل مسجداً للأعياد ، ونصب فيه منبراً ، فكان يصلي فيه ، وفيه التماثيل ، ويجمع فيه ، فلما كان الفطر قبل ابرزوا فإن السنة في العيدين جماعة البراح ، فقال سعد : صلوا فيه ، وصلى فيه ، وقال : صلوا في عقر القرية وفي بطن القرية .

وعن الشعبي : لما نزل سعد المدائن وقسم الديار بعث إلى العيالات ، فأنزلهم الدور وفيها المرافق فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء وحلوان وتكريت والموصل ، ثم تحولوا إلى الكوفة بعد .

وعن جميعهم قالوا : وجمع سعد الخمس ، وأدخل فيه كل شيء أراد أن يعجب عمر من : ثياب كسرى وحليته وسيفه ونحو ذلك ، وما كان يعجب العرب أن يقع إليهم ، ونفل من الأخماس ، وإنما الأنفال من الأخماس في أهل البلاء ولم يجهدها .

قالوا: وفضل بعد القسم بين الناس واخراج الخمس القطف فلم تعتدل قسمته، فقال للمسلمين : هل لكم في أن تطيب أنفسنا عن أربعة أخماسه ونبعث به إلى عمر فيضعه حيث يرى فإنا لا نراه يتفق وهو بيننا قليل ، وهو يقع من أهل المدينة موقعاً ؟ فقالوا : نعم ها الله إذاً ، فبعث به على ذلك الوجه وكان القطف ستين ذراعاً في ستين ذراعاً ، بساطاً واحداً مقدار جريب [١] فيه طرق كالسور وفصوص كالأنهار وخلال ذلك كالدير ، وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبقلة بالنبات ، وفي الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونواره بالذهب والفضة وأشباه ذلك ، فلما قدم على عمر رضي الله عنه نفل من الخمس أناساً ، وقال إن الأخماس ينفل منها من شهد ومن غاب من أهل البلاء فيما بين الخمسين ، ولا أرى القوم جهدوا الخمسين بالنفل ، ثم قسم الخمس في مواضعه ، ثم قال : أشيروا علي في هذا القطف فأجمع ملأهم على أن قالوا: قد جعلوا ذلك لك فر رأيك ، إلا ما كان من علي رضي الله عنه ، قال : يا أمير المؤمنين الأمر كما قالوا ولم يبق إلا التروية ، إنك إن تقبله على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له ، قال : صدقتني ونصحتني فقطعه بينهم .

وعن عبد الملك بن عمير قال : أصاب المسلمون يوم المدائن بهار [٣] كسرى ثقل عليهم [٤] أن يذهبوا به ، وكانوا يعدونه للشتاء إذا ذهبت الرياحين فكانوا

---

(١) في م « جنيب » .

(٢) في م « في » .

(٣) لعل هذا الاسم الذي عرف به القطف، ذلك أن «بهار» في المعرب نوع من أنواع الكابيل.

(٤) في حاشية الاصل : أي على الكفار .

إذا أرادوا الشرب شربوا عليه ، فكأنهم في رياض بساط ستين في ستين ، أرضه بذهب ، ووشيه بفصوص ، وثمره بجوهر ، وورقه بحرير وماء ذهب ، وكانت العرب تسميه القطف ، فلما قسم سعد فيئهم فضل عنهم ولم يتفق قسمه ، فجمع سعد المسلمين ، فقال : إن الله عز وجل قد ملأ أيديكم ، وقد عسر قسم هذا البساط ، ولا يقوى على شرائه أحد ، فأرى أن تطيبوا به نفساً لأمير المؤمنين يضعه حيث شاء ، ففعلوا .

فلما قدم على عمر رضي الله عنه بالمدينه رأى رؤيا ، فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه واستشارهم في البساط وأخبرهم خبره ، فمن بين مشير بقبضه ، وآخر مفوض اليه ، وآخر مرقق ، فقام علي رحمه الله حين رأى عمر يأبى حتى انتهى إليه ، فقال : لم تجعل علمك جهلاً ويقينك شكاً ، إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت ، أو لبست فأبليت ، أو أكلت فأفنيت ، قال : صدقتني فقطعه فقسمه بين الناس ، فأصاب علياً رضي الله عنه قطعة منه فباعها بعشرين ألفاً ، وما هي باجود تلك القطع .

قالوا : وكان الذي ذهب بالأخماس ، أخماس المدائن ، بشير بن الخصاصية ، والذي ذهب بالفتح حليس بن فلان الأسدي والذي ولي القبض عمرو ، والقسم سلمان .

قالوا : ولما قسم البساط بين الناس أكثر الناس في فضل أهل القادسية ، فقال عمر رحمه الله : أولئك أعيان العرب وغررها ، اجتمع لهم مع الأخطار الذين هم أهل الأيام ، ولأهل القوادس .

قالوا : ولما أتي بحلي كسرى وزيه في المباهاة ، وزيه في غير ذلك ، وكانت له عدة أزياء ، لكل حالة زي ، قال : علي بمحلم وكان أجسم عربي يومئذ بأرض المدينة فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب ، وصب عليه أوشحته وقلائده وثيابه وأجلس للناس فنظر اليه عمر ، ونظر اليه الناس فرأوا أمراً

عظيماً من أمر الدنيا وفتنتها ، ثم قام عن ذلك فألبس زيه الذي كان يليه ، فنظروا إلى مثل ذلك في غير نوع حتى أتى عليها كلها ، ثم ألبسه سلاحه وقلده سيفه فنظروا اليه في ذلك ، ثم وضعه ، ثم قال والله إن أقواماً أدوا هذا لذووا أمانة ، ونفل سيف كسرى محلماً ، وقال : أحمق بامرىء من المسلمين غرته الدنيا هل يبلغن مغرور منها إلا دون هذا أو مثله ، وما خير امرىء مسلم سلفه كسرى فيما لا يضره ولا ينفعه [1] ، إن كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتي عن آخرته ، فجمع لزوج امرأته أو زوج ابنته ، او أمرأة ابنه ، ولم يقدم لنفسه ، فقدم امرؤ لنفسه ووضع الفضول مواضعها تحصل له ، وإلا حصلت للثلاثة بعده ، وأحمق بمن جمع لهم ، أو لعدو جارف .

وقالوا جميعاً: ولى عمر رحمه الله سعد بن مالك صلاة ما غلب عليه ، وحربه فولى ذلك وولى الخراج النعمان وسويداً ابني عمر وبن مقرن : سويداً على ما سقى الفرات والنعمان على ما سقت دجلة ، وعقدوا الجسور ، ثم ولى عملها واستعفيا أبا ذر حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزني ، ثم ولى عملها بعد حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف ، وقال عاصم بن عمرو في يوم المدائن .

هل معشر في الناس أفضل مشهداً ... وأكرم من قومي على كل مرقب
وأركب بالجرد الجياد على الوجى [2] ... صدور القنا من بين عاد وملهب
وأركب للموج الذي في اصطفاقه ... غبوق المنايا عن متون ومنكب
ويخرجها زوراً كأن متونها ... من الماء حلاب وليس تحلب
وإن هي رأت حرباً أتتها بأنها ... لها شجن في كل دهر مجرب
عليها أسود ما يبل جريحها ... إذا ضربوا أرماحها للتصوب

(١) في م « فيما يضره ولا ينفعه » .
(٢) في م « الرجاء » .

أملنـــا على كسرى علالة حربها وما جربهـا في النائبات بمسغب

وقال أيضاً :

ألا هل أتاها أن دجـــلة ذللت على ساعة فيهـــا القلوب تقلب
تراها عليـه حـين عب عبابهـا تباري إذا جاشت بموج تضرب
نفينا بها كسرى عن الداو فانثوى لأبعد ما ينوي الركيـك المرقب

وقال القعقاع بن عمرو :

أحبس عليّ فارساً وقـل لهـــا تحبس على دقهـــا وجلهـــا
وأعـم بهـا شهادهـا وفلهـــا إن خيـولي صادفت محلهـــا
وواقفـت من خلفها مشلهـــا[1] تسفي بهـــا من ليـــلة فمن لها

وقال أبو بجيد نافع بن الأسود :

نحن صبحنا يوم دجـــلة أهلهـا سيوفاً وأرماحاً وجمعاً عرمرما
نراوح بالبيض الرقاق رؤوسهـم إذا الرمي أغدى بيننـا فتضرمـا
قتلناهم مـا بين دجـــلة والقرى إلى النهروان حيث سـار ويمـما
أذقنـــاهم يوم المدائن بأسنـــا صراحـاً واسعطنا الألائم علقما
سقيناهم لمـــا تولوا إلى الردى كؤوساً ملأناهن صاباً وشبرماً[2]
أبيـــتم علينا السلم ثم رجعـــتم إلى السلم لمـــا أصبح السلم محرما
ويوم يطـير القلب من نعراتـــه ربطنا له جأشاً وهجنـا به دمـا
دعونا إليـــه من تميم معاشـراً يجيبون داعيهم وإن كان مجرمـــا
يحلون في اليوم الشديد قتامـه عن الشمس والآفـاق أغبر مظلمـا

---

(١) المثل : الحلب القليل – القاموس .

(٢) الشبرم: شجر ذو شوك ، ونبات آخر له أصل غليظ ملآن لبناً وهو مسهل . القاموس .

وإنا لنشني الخيل حتى نملها على الثغر نغشيها الكمي المصمما
سمونا إلى كسرى فولى مبادراً بمعشره أذ أصبح الصدع أصحما[1]
ألا أيها ذا السائلي عن عشيرتي ستخبر عنهم إن سألت لتعلما
فمهما عقدنا جاز في الناس عقدنا وننقصه منهم وإن كان محكما

وقال أبو يجيد :

بنو تميم عتاد الحرب قد علموا والناهضون إذا فرسانها ركبوا
والحاملون إذا ما أزمة أزمت ثقل العشائر إن جموا وان ندبوا
والفاصلون إذا ما خطة جهلت عند الجموع وفيهم تفصل الخطب
والمانعون من الأعداء دارهم عند الهياج إذ ما اهتزت الطنب
والواردون على كسرى مدائنه قسراً ومن دونها بحر له لجب
نحوي نهابهم والخيل مشعلة وسط الديار ومنها حولهم عصب
شعث عليها ليوث ما يهجهجها عند الصياح بها عجم ولا عرب
شمس بأيديهم سمر مثقفة وكل عضب له في متنه شطب
إذا جلوها على الأعداء في فزع لاحت كأن على أيديهم شهب

* * *

(١) في حاشية الاصل : الصحم : العرج ، وبالمعجمة : العظم .

حديث وقعة جلولاء الوقيعة

سيف عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : أقمنا بالمدائن حين هبطناها ، واقتسمنا ما فيها ، وبعثنا إلى عمر رضي الله عنه بالأخماس وأوطناها فأتانا الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولاء ، وخندق عليه ، وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت ، فكتب سعد بذلك إلى عمر ، فكتب إلى سعد أن يسرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء في اثني عشر ألفاً : وجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى ميمنته سعد [١] بن مالك وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة ، واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجهني .

وعن محمد وطلحة والمهلب وزياد بمثله ، وقالوا : كتب عمر إلى سعد : إن هزم الله الجندين : جند مهران ، وجند الأنطاق ، فقدم القعقاع حتى يكون بين السواد وبين الجبل على حد سوادكم . قالوا : وشاركهم عمرو وسعيد ، وكان من حديث أهل جلولاء أن الأعاجم لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جلولاء ، وافترقت الطرق بأهل أذربيجان والباب ، وبأهل الجبال وفارس ، تذامروا وقالوا إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً وهو [٢] مكان يفرق بيننا فهلموا فلنجتمع للعرب ولنقاتلهم ، فإن كانت لنا فهو الذي نريد ، وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا ما علينا وأبلينا عذرنا ، فاحتفروا الخندق واجتمعوا فيه على مهران الرازي ، ونفذ يزدجرد وتقدم الى حلوان فنزل بها ، ورماهم بالرجال ، وخلف

---

(١) في « سعر » .

(٢) في م « وهذا » .

فيهم الأموال ، فأقاموا في خندقهم وقد أحاطوا به الحسك من الخشب الا طرقهم ، ففصل هاشم بن عتبة بالناس من المدائن في اثني عشر ألفاً فيهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن ارتد وممن لم يرتد ، فسار من المدائن الى جلولاء أربعاً حتى قدم عليهم فحاصرهم ، وأحاط بهم فطاولهم أهل فارس ، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا ، وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفاً كل ذلك يعطي الله عز وجل المسلمين عليهم الظفر ، وغلبوا المشركين على حسك الخشب واتخذوا حسك الحديد .

وعن بطان بن بشر قال : لما نزل هاشم بن عتبة على مهران بجلولاء حصرهم في خندقهم ، فكانوا يزاحفون المسلمين في زهاء وأماويل ، وجعل هاشم يقوم في الناس ويقول : إن هذا المنزل منزل له ما بعده ، وجعل سعد يمده بالفرسان ، حتى إذا كان أخيراً احتفلوا للمسلمين فخرجوا عليهم ، فقام هاشم في الناس ، فقال : أبلوا الله بلاء حسناً يتم لكم عليه الأجر والمغنم واعملوا لله فإنكم رده العدو ، فالتقوا فاقتتلوا ، وبعث الله عز وجل عليهم ريحاً أظلمت عليهم البلاد ، ولم يستطيعوا إلا المحاجزة ، فتهافت فرسانهم في الخندق ، فلم يجدوا بداً من أن يجعلوا فرضاً مما يليهم تصعد منه خيلهم ، فأفسدوا حصنهم ، وبلغ ذلك المسلمين فنظروا إليه فقالوا : ننهض إليهم ثانية فندخله عليهم أو نموت دونه .

فلما نهد المسلمون الثانية خرج القوم فرموا حول الخندق مما يلي المسلمين بحسك الحديد لكيلا تقدم عليهم الخيول ، وتركوا للمجال وجهاً ، فخرجوا على المسلمين منه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ولا ليلة الهرير إلا إنه كان أكبش وأعجل ، وانتهى القعقاع بن عمرو في الوجه الذي زاحف فيه إلى باب خندقهم فأخذ به ، وأمر منادياً فنادى يا معشر المسلمين هذا أميركم قد دخل

خندق القوم، وأخذ به ، فأقبلوا إليه لا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله ، وإنما أمر بذلك ليقوى المسلمون بذلك ، فحمل المسلمون ولا يشكون إلا أن هاشماً به [١] لم يقم لحملتهم شيء حتى إنتهوا إلى باب الخندق ، فإذا هم بالقعقاع قد أخذ به ، وأخذ المشركون في الهزيمة يمنة ويسرة عن المجال الذي بحيال خندقهم فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين ، فعقرت دوابهم وعادوا رجالة ، واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم إلا من لا يعد، وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف، فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جاولاء لما جللها من قتلاهم، فهي جاولاء الوقيعة .

وعن عبيد الله بن محفز عن أبيه ، قال : إني لفي أوائل الجمهور ومدخلهم ساباط ومظلمها ، وإني لفي أوائل الجمهور حين عبروا دجلة ، ودخلوا المدائن ، ولقد أصبت بها تمثالا لو قسم في بكر بن وائل لسد منهم مسداً ، عليه جوهر ، فأديته ، فما لبثنا بالمدائن إلا قليلاً حتى بلغنا أن الأعاجم قد جمعت لنا بجاولاء جمعا عظيما ، وقدموا عيالاتهم إلى الجبال ، وحبسوا الأموال، فبعث اليهم سعد: عمرو [٢] بن مالك بن عتبة بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وكان جند جاولاء إثني عشر [٣] ألفا من المسلمين ، وكان على مقدمتهم القعقاع ، وكان قد خرج فيهم وجوه الناس وفرسانهم فلما مروا ببابل نمروذ صالحه دهقانها على أن يفرش له جريب أرض دراهم ففعل وصالحهم ، ثم مضى حتى قدم عليهم بجاولاء ، فوجدهم قد خندقوا وتحصنوا في خندقهم ، ومعهم بيت مالهم ، وتواثقوا وتعاهدوا بالنيران أن لا يفروا ، ونزل المسلمون قريبا منهم ، وجعلت الأمداد تقدم على المشركين كل يوم من حلوان ، وجعل يمدهم بكل من أمده من أهل الجبال واستمد المسلمون سعداً فأمدهم بمائتي فارس ثم مائتي ثم مائتي [٤] .

---

(١) في م « فيه » .
(٢) في م « عمر » .
(٣) في حاشية الأصل : « أي الجند الذين ساروا الى جاولاء من المسلمين » .
(٤) في م « ثم مائتين ثم مائتين » .

ولما رأى أهل فارس أمداد المسلمين بادروا بقتال المسلمين توافى عددهم وعلى خيل المسلمين يومئذ طلحة بن فلان أحد بني عبد الدار ، وعلى خيل الأعاجم خرداد بن هرمز [١] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقاتلوا المسلمين مثله في موطن من المواطن ، حتى أنفدوا النبل ، وحتى أنفذوا النشاب ، وقصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف والطبرزينات ، وكانوا بذلك صدر نهارهم إلى الظهر .

ولما حضرت الصلاة صلى الناس إيماء حتى إذا كان بين الصلاتين خنست كتيبة ، وجاءت أخرى فوقفت مكانها ، فأقبل القعقاع بن عمرو على الناس ، فقال : أهالتكم هذه ؟ قالوا : نعم نحن مكلون وهم مريحون ، والكال يخاف العجز إلا أن يعقب ، فقال : إنا حاملون عليهم ومجادوهم ، وغير كافين ولا مقلعين حتى يحكم الله بيننا ، فأحملوا حملة رجل واحد حتى تخالطوهم ولا يكذبن أحد منكم ، فحمل فانفرجوا فما نهنهه أحد عن باب الخندق وألبسهم الليل رواقه ، فأخذوا يمنة ويسرة ، وجاء في الأمداد طليحة ، وقيس بن المكشوح ، وعمرو بن معدي كرب ، وحجر بن عدي فوافقوهم قد تحاجزوا مع الليل ، ونادى منادي القعقاع : أين تحاجزوا ، أميركم في الخندق ، فتفار المشركون وحمل المسلمون فأدخل الخندق فأتى فسطاطا فيه مرافق وثياب ، وإذا ترس على إنسان ، فأفتشه فإذا امرأة كالغزال في حسن الشمس فأخذتها وثيابها ، فأديت الثياب وطلبت في الجارية حتى صارت إلي فاتخذتها أم ولد .

وعن حماد البرجمي عن أبيه أن خارجة بن الصلت أصاب يومئذ ناقة من ذهب أو فضة موشحة بالدر والياقوت مثل الجفرة إذا وضعت على الأرض ، وإذا عليها رجل من ذهب موشح كذلك فجاء به وبها حتى أداها .

---

(١) في م « خرزاذ بن جرهرمز » .

وعن جماعتهم قالوا : وأمر هاشم القعقاع بالطلب فطلبهم حتى بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الجبل ، وقدم القعقاع [حلوان وذلك أن عمر كتب إلى سعد : إن هزم الله تعالى الجند جند مهران والأنطاق ، فقدم القعقاع] [1] حتى يكون بين السواد والجبل على حـــد سوادكم ، فنزل القعقاع بحلوان في جند من الأفناء ومن الحمراء ، فلم يزل بها إلى أن تحول الناس من المدائن إلى الكوفة ، فلما خرج سعد من المدائن إلى الكوفة لحق به القعقاع، واستعمل على الثغر قباذاً وكان من الحمراء وأصله من خراسان ونفـل منها من شهدها وبعض من كان بالمدائن ثابتا . قالوا : واشتركوا في ذلك وكتبوا إلى عمر بفتح جلولاء ، وبنزول القعقاع بحلوان ، واستأذنوا في إتباعهم ، فأبى، وقال : لوددت أن بين السواد وبين الجبل سداً لا يخلصون إلينا ، ولا نخلص إليهم ، حسبنا من الريف السواد إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال .

وعن إبراهيم قال : لما جاء عمر رضي الله عنه الفتح ، وأخـــذ السواد واستأذنوه في الجبال ، قال : لوددت أن بين السواد والجبل جبـلا من نار لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم .

وعن الشعبي قال : لما أتى عمر رحمـه الله كتاب سعد بالفتح والسير إلى الجبل كتب : أقيموا بسوادكم ولا تطلبوا مـــا وراءه حتى يقضي الله تعالى قضاءه .

---

(١) زيد ما بين الحاصرتين من م .

ذكر فيوء جلولاء

قال : ولما بعث هاشم القعقاع في آثار القوم أدرك مهران بخانقين فقتله ، وأدرك الفيرزان فنزل فتوقل [١] في الظراب [٢] ، وخلى فرسه وأصاب القعقاع سبايا ، فبعث بهم إلى هاشم من سباياهم ، فاقتسموهم فيما اقتسموا من الفيء ، فاتخذن فولدن في المسلمين ، وذلك السبي ينسب إلى جلولاء ، ومن ذلك السبي أم الشعبي ، قالوا : واقتسم في جلولاء على كل فارس تسعة الاف تسعة الاف ، وتسعة من الدواب ، ورجع هاشم بالأخماس إلى سعد .

وعن الشعبي قال : أفاء الله تعالى على المسلمين بما كان في عسكرهم بجلولاء ، وما كان عليهم ، وكل دابة كانت معهم إلا اليسير لم يفلتوا بشيء من الأموال ، وولي قسم ذلك بين المسلمين سلمان بن ربيعة كانت إليه يومئذ الأقباض والأقسام وكانت العرب تسميه بذلك سلمان الخيل ، وذلك أنه كان يقسم لها ويقصر بما دونها ، وكانت العتاق عنده ثلاث طبقات ، وبلغ سهم الفارس بجلولاء مثل سهمه بالمدائن .

وعنه قال : اقتسم الناس فيء جلولاء على ثلاثين ألف ألف ، وكان الخمس ستة آلاف ألف . قالوا : ونفل سعد من أخماس جلولاء من أعظم البلاء ممن شهدها ، ومن أعظم البلاء ممن كان نائباً بالمدائن ، وبعث بالأخماس مع قضاعي بن عمرو الدئلي من : الأذهاب ، والأوراق ، والآنية والثياب ، وبعث بالسبي مع أبي مفرز الأسود فمضيا .

---

(١) توقل : صعد ، ورفع رجلا وأثبت أخرى ـ القاموس .
(٢) الظراب : الجبال المنبسطة أو الصغيرة .

وعن زهرة ومحمد وعمرو قالوا : وبعث بالأخماس مع قضاعي بن عمرو وأبي مفرز ، والحساب مع زياد بن أبي سفيان ، وكان الذي يكتب للناس ويدونهم ، فلما قدموا على عمر كلم زياد عمر فيما جاء به ، ووصف له ، فقال عمر : هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به ؟ فقال : والله ما على الأرض شخص أهيب في صدري منك ، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك ، فقام في الناس بما أصابوا وبما صنعوا ، وبما يستأذنون فيه من الإنسياح في البلاد فقال عمر رضي الله عنه : هذا الخطيب المصقع فقال : إن جندي أطلقوا بالفعال لسانيا .

وعن أبي سلمة قال : لما قدم على عمر رحمه الله بالأخماس من جلولاء ، قال عمر : والله لا يجنه سقف بيت حتى أقسمه ، فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن أرقم يحرسانه في سقف المسجد فلما أصبح جاء في الناس وكشف عن جلابيبه ، وهي الأنطاع فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى ، فقال له عبد الرحمن : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ، فوالله إن هذا لموطن شكر ، فقال عمر : والله ما ذاك يبكيني ، وتا الله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم ، وأشكل على عمر في أخماس القادسية حتى خطر عليه ما أفاء الله يعني من الخمس فوضع ذلك في أهله ، فأجرى خمس جلولاء مجرى خمس القادسية عن ملأ وتشاور وإجتماع من المسلمين ، ونقل من ذلك بعض أهل المدينة .

وعن شيوخ سيف قالوا : وجمع سعد من وراء المدائن بالإحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف ، ووجدهم بضعة وثلاثين ألف رب بيت ، ووجد قسمتهم ثلاثة لكل رجل منهم بأهله ، وكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن أقرر الفلاحين على حالهم إلا من حارب أو هرب منك إلى عدوك

فأدركته وأجر [١] لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم ، واذا كتبت إليك في قوم فاجروا أمثالهم مجراهم .

وكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحاً ، فأجابه أما من سوى الفلاحين فذلك إليكم ما لم تغنموه — يعني تقتسموه — من ترك أرضه من أهل الحرب فخلاها فهي لكم ، فإن دعوتموهم وقبلتم منهم الجزي ، ورددتموهم قبل قسمتها فذمة ، وإن لم تدعوهم ففيء لكم لمن أفاء الله عز وجـــل ذلك عليه ، وكان أحظى بفيء الأرض أهل جلولاء ، استأثروا بفيء مـا وراء النهروان ، وشاركوا الناس فيما قبل ذلك ، وأقروا الفلاحين ودعوا من لج ، ووضعوا الخراج على الفلاحين وعلى من رجع وقبل الذمة ، واستصفوا ما كان آل كسرى ومن لج معهـم فيئاً لمن أفاء الله عز وجل عليه لا يجاز بيع شيء من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب إلا من أهله الذين أفاء الله تعالى عليهم ، ولم يجيزوا بيع ذلك فيما بين الناس يعني فيمن لم يفئه الله تعالى عليه ممن يعاملهم ممن لم يفئه الله عز وجـــل عليه ، فأقره المسلمون لم يقتسموه لأن قسمته لم تتأت ، فمن ذلك الاجام ومغيض المياه ، وما كان لبيوت النار ، ما كان لسكك الترك [٢] ، وما كان لكسرى ومن جاء معه ، وما كان لمن قتل ، والأرحاء ، فكان بعد من يرى [٣] يسأل الولاة قسم ذلك فيمنعهم من ذلك أن الجمهور أبوا ذلك ، فانتهوا إلى رأيهم ولم يجيبوا هؤلاء ، وقالوا : لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لفعلنا ، ولو كان ذلك عن ملأ منهم لقسمها بينهم .

وعن طلحة بن الأعلم عن ماهان قال : لم يثبت أحد من أهل السواد على العهد فيما بينهم وبين أهل الأيام إلا أهل قريات أخذوا عنوة ، كلهم نكث ما خـلا

---

(١) في م « وأقر » .

(٢) في م « البرك » .

(٣) في م « يرق » وكذلك في الطبري : ٤/٣١ .

أولئك القريات ، فلما دعوا إلى الرجوع صاروا ذمة وعليهم الجزي ، ولهم المنعة إلا ما كان لآل كسرى ومن معهم ، فإنه صافية فيمن بين حلوان والعراق وكان عمر رحمه الله قد رضي بالسواد من الريف .

وعن طلحة عن ماهان قال : كتبوا إلى عمر في الصوافي ، فكتب إليهم أن اعمدوا إلى الصوافي التي أصفاكموها الله فوزعوها على من أفاءها الله عليه : أربعة أخماس في الجند ، وخمس في مواضعه إلي ، وإن أحبوا أن ينزلوها فهو الذي لهم فلما جعل ذلك إليهم رأوا أن لا يفترقوا في بلاد العجم ، وأقروها حبيساً لهم ينزلونها من تراضوا عليه ، ثم يقتسمونها في كل عام ولا يولونها إلا من أجمعوا عليه بالرضى ، وكانوا لا يجتمعون إلا على الأمراء وكانوا بذلك في المدائن وفي الكوفة حتى تحولوا إلى الكوفة .

وعن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة عن أبيه قال : كتب عمر أن احتازوا فيئكم فإنكم إن لم تفعلوا فتقادم الأمر تلحج [1] ، وقد قضيت الذي علي ، اللهم إني اشهدك عليهم فاشهد .

وعنه قال : فكان الفلاحون للطرق والجسور والأسواق والحرث والدلالة مع الجزي عن أيديهم على قدر طاقتهم ، وكانت الدهاقين للجزية عن أيديهم والعمارة وعلى كلهم الإرشاد وضيافة ابن السبيل من المهاجرين ، وكانت الضيافة لمن أفاءها الله خاصة ميراثاً . قالوا جميعاً : كان صلح عمر رحمه الله الذي صالح عليه أهل الذمة أنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة ، وإن سبوا مسلماً أن ينهكوا عقوبة ، وإن قاتلوا مسلماً أن يقتلوا وعلى عمر منعهم ، وبرىء عمر إلى كل ذي عهد من معرة الجيش .

وعن ماهان قال : كان أشقى أهل فارس بجلولاء أهل الري كانوا بها حماة أهل فارس ، ففني أهل الري يوم جلولاء .

---

(١) أي نشب فتعذرت قسمته ـ النهاية لابن الأثير .

ولما رجع أهل جلولاء إلى المدائن نزلوا قطائعهم وصار السواد ذمة لهم، إلا ما أصفاهم الله به من مال الأكاسرة ومن لج معهم .

وعن إبراهيم بن يزيد قال : لا يحل إشتراء أرض فيما بين حلوان والقادسية من الصوافي لأنه لمن أفاء الله عليه .

وعن المغيرة بن شبل قال : اشترى جرير من أرض السواد صافية على شاطىء الفرات فأتى عمر رحمه الله فرد ذلك الشراء وكرهه ، ونهى عن شراء شيء لم يقتسمه أهله .

وعن محمد بن قيس قال : قلت للشعبي أخذ السواد عنوة ؟ قال : نعم وكل أرض إلا بعض القلاع والحصون فإن بعضهم صالح وبعضهم غلب ، قلت : فهل لأهل السواد ذمة اعتقدوها قبل الهرب ؟ قال : لا ولكنهم لما دعوا ورضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمة .

وقال هاشم بن عتبة في يوم جلولاء :

يوم جلولاء ويوم رستم ... ويوم زحف الكوفة المقدم
ويوم عرض النهر المحزم ... من بين أيام خلون صرم
شيبن أصداغي فهن هرم ... مثل ثغام البلد المحرم

وقال أبو يجيد في ذلك :

ويوم جلولاء الوقيعة أصبحت ... كتائبنا تردى بأسد عوابس
فضضت جموع الفرس ثم أمتهم ... فتبا لأجساد المجوس النجائس
وأفلتهن الفيرزان بجرعة ... ومهران أذرت يوم حز القوانس
أقامرا بدار للمنية موعد ... وللتراب تحثوها خجوج[1] الروامس[2]

(١) الريح الشديدة المر ، أو الملتوية في هبوبها ـ القاموس .
(٢) الروامس : الرياح الدوافن للآثار ـ القاموس .

وقال أيضاً :

ألا أبلـغ بني الأحرار أنا ... نذود الخيل بالأسل النهـال
وبلـغ عن جلولاء كل قوم ... بأرض السهل أو خنس الجبال
فإن الله لا تخفى عليـه ... سرائر من أقام على الضلال
وأنا ليس منا من تـولى ... عن الدين المؤيد ذي الجلال

وقال أيضاً :

ويوم جلولاء قد سمونا لفارس ... فصارت لنا أرضوهم والجياجب
وصار إلينا خرجهم حين أدبروا ... ودارت عليهم في الحروب العجائب
تركنا بها الأشلاء منهم مقيمة ... فليس إليهم يرجع الدهر آيب
ويوم حذونا بالجنود تداركت ... بنا الخيل مهراناً وفيه حوالب
فغاظ لهـا واستقبلت ثم أمه ... لأصدائهم عند الصفوح تجاوب
وحيث أبحنا خـانقين وكلهم ... تركنا بها دهماً عليها السبائب[1]
فغادرتهـم في خانقين وكلهم ... مقيم بها تسفى عليه الجنائب
لقد راودوا منا صفاة مقيمـة ... تفل العدى منها متون وشاغب
بصحن جلولاء إذ صرعنا جموعهم ... وشالت بأيدينا القنا والقواضب
وقد علمت عليا القبائل أننا ... لنا السورة العليا وفينا الذوائب

وقال أيضاً :

يا راكباً بلغ أبا حفص آيـة ... وهل تشفينه باقيات العجائب
بأن جلولاء الوقيعة أصبحت ... لها جناء من جمعها[2] والركائب
ثمانون ألفاً بعد عشرين منهم ... فياويحها من بعد تلك الكتائب
تركنا بها مهران في الترب ثاوياً ... وطارت لكسرى ناجيات النجائب

(١) في م « السباسب » .
(٢) في م « جمعنا » .

وأفلتهن الفيرزان موائـــلا حذار التي تردى بسود الذوائب
وأفلت من نجا الفضاء بجتفه تشخ عليهم داميـات الحوالب
وأقفر ما بين المدائن منهـم وبين جبال الفرس دون الذباذب
فهل لك أن تأذن لنا في بغاهم فنبلغ غايات العدى بالشواءب
وبيض تراها بالأكف صوارماً فنجعلها فيهم مكان العصائب
ولا تصرفنا عن طلاب عدونا وقد نهلت منهم بطون الرواجب[1]
ولست بمتروك فـلا تتركنهم وبادرهم بالخيل فض الكواكب[2]

وعن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : وقد كان عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد : إن فتح الله عليـكم جلولاء فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزل بحلوان ، فيكون ردءاً للمسلمين ويحوز الله لكم سوادكم ، فلما هزم الله عز وجل أهل جلولاء أقام هاشم بن عتبة بجلولاء ، وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانقين في جند من أفنـــاء الناس ومن الحمراء ، فأدرك سبياً من سبيهم ، وقاتل مقاتلة من أدرك وقتل مهران ، وأفلت الفيرزان ، ولما بلغ يزدجرد هزيمة أهل جلولاء ومصاب مهران ، خرج من حلوان سائراً نحو الري ، وخلف بحلوان خيـلاً عليها خسرشنوم ، وأقبل القعقاع حتى إذا كان بقصر شيرين على رأس فرسخ من حلوان خرج إليه خسرشنوم وقـــدم الزينبي دهقان حلوان، فلقيه القعقاع فاقتتلوا فقتل الزينبي إحتق فيه عميرة بن طارق، وعبد الله فجعله وسلبـــه بينهما ، فعد ذلك عميرة خفرة ، وهرب خسرشنوم واستولى المسلمون على حلوان وأنزلها القعقاع الحمراء وولى عليهـا قباذ ، ولم يزل القعقاع هنالك على الثغر والجزي بعدما دعاهم فتراجعوا وأقروا بالجزي إلى أن

(١) الرواحب : ما بين عقد الأصابع من داخل - النهاية لابن الأثير .
(٢) ألم سقط بنهاية القصيدة في م .

تحول سعد عن المدائن إلى الكوفة فلحق به ، واستخلف قبـاذ على الثغر وكان أصله خراسانياً ، وقال القعقاع بن عمرو :

من مبلغ عني القبائل مالكاً ... وقد أحسنت عند الهياج القبائل
فلله جاهدنا وفي الفرس بغية ... ولحن على الثغر المخوف نسائل
وأنتم عتاد إن ألمت ملمـــة ... وجلت علينا في الثغور الجلائل
وهل تذكرونا إذ نزلنا وأنتم ... منازل كسرى والأمور جوائل
فصرنا لكم ردء بحلوان بعدما ... نزلنا جميعاً والجمـــوع نوازل
فنحن الألى فزنا بحلوان بعدما ... أرنت على كسرى الإماء والحلائل

حديث يوم تكريت

وعن جميعهم وشاركهم الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة قال : كتب سعد في اجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق [1] ، وإقباله حتى نزل تكريت وخندق عليه فيه ليحمي أرضه ، وفي اجتماع أهل جلولاء إلى جلولاء على مهران معه ، فكتب في جلولاء بما فرغنا منه ، وكتب في تكريت واجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق بها ، أن سرح إلى الأنطاق عبد الله بن المعتم ، واستعمل عـلى مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي ، وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي ، وعلى ميسرته فرات ابن حيان العجلي ، وعلى ساقته هانىء بن قيس ، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة ، ففصل عبد الله بن معتم في آلاف من المدائن ، فسار إلى تكريت حتى ينزل على الأنطاق ومعه الروم وإياد وتغلب والنمر ومعه الشهارجة ، وقد خندقوا بهـا فحصرهم أربعين يوماً فتزاحفوا فيها أربعة وعشرين زحفاً ، وكان أهون شوكة

(١) ناحية قرب تكريت ، معجم البلدان .

وأسرع أمراً من أهل جلولاء ، ووكل عبد الله بن المعتم بالعرب ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الروم تغلب وإياد والنمر فهم لا يخفون عليه شيئاً .

ولما رأت الروم أنهم لا يخرجون خرجة إلا كانت عليهم ، وهزموا في كل ما زاحفوهم تركوا أمراءهم [١] ونقلوا متاعهم إلى السفن ، وأقبلت العيون من تغلب وإياد إلى عبد الله بن المعتم بالخبر وسألوه للعرب السلم ، وأخبروه أنهم قد استجابوا، فأرسل إليهم إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقروا بما جاء به من عند الله ثم اعلموا بآرائكم [٢] ، فرجعوا إليهم بذلك فردوهم إليهم بالإسلام ، فردهم إليهم ، وقال : إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا إنا قد نهدنا إلى الأبواب التي تلينا لندخل عليهم منها ، فخذوا بالأبواب التي تلي دجلة وكبروا وقاتلوا واقتلوا من قدرتم عليه ، فانطلقوا حتى واطؤوهم على ذلك، ونهد عبد الله والمسلمون لما يليهم ، وكبروا وكبرت تغلب وإياد والنمر وقد أخذا بالأبواب فحسب القوم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم فدخلوا عليهم مما يلي دجلة ، فبادروا إلى الأبواب التي عليها المسلمون، فأخذتهم السيوف سيوف المسلمين مستقبلتهم ، وسيوف الربعيين الذين أسلموا ليلتئذ من خلفهم ، فلم يفلت من أهل الخندق كذاب إلا من أسلم من تغلب وإياد والنمر .

قال سيف : وقد كان عمر رضي الله عنه عهد إلى سعد إن هم هزموا أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأفكل العنزي إلى الحصنين فسرحه عبد الله إلى الحصنين ، وأخذ بالطريق وقال : إسبق الخبر وسر ما دون القيل وأحيي الليل ، وسرح معه تغلب وإياد والنمر ، فقدمهم وعليهم عتبة بن الوعل أحد بني سعد بن جشم، وذو القرط، وأبو وداعة بن أبي كرب وابن ذي السبيبة قتيل الكلاب ، وابن الحجين الإيادي وبشر بن أبي حوط متساندين فسبقوا الخبر إلى

---

(١) في م « أموالهم » .

(٢) في الحاشية : « اعملوا بما تأمركم » وجاء في م « أعلمونا برأيكم » .

الحصنين ، فلما كانوا منها قريباً ، قدموا عتبة بن الوعل ، فادعى بالظفر والنفل والقفل ، ثم ذو القرط ثم ابن ذي السبيبة ثم ابن الحجين ، ثم بشر ، ووقفوا بالأبواب ، وقد أخذوا بها ، وأقبلت سرعان الخيل مع ربعي بن الأفكل حتى اقتحمت عليهم الحصنين فكانت إياها ، فنادوا بالإجابة إلى الصلح ، فأقام من استجاب وهرب من لم يستجب إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتم فلما نزل عليهم عبد الله ، دعا من لجج وذهب ووفى لمن أقام ، فتراجع الهارب واغتبط مع المقيم ، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنعة ، واقتسموا في تكريت على كل سهم ألف درهم للفارس ثلاثة آلاف ، وللراجل ألف ، وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حيان ، وبالفتح مع الحارث بن حسان ، وولي حرب الموصل ربعي بن الأفكل ، والخراج عرفجة بن هرثمة .

وقال عبد الله بن المعتم :

لحن قتلنا يوم تكريت جمعها ... فلله جمع يوم ذاك تتابع
ونحن أخذنا الحصن والحصن شامخ ... وليس لنا فيما هناك مشايع
فقالت لنا تلك الشهاريج[1] إنما[2] ... ندين لكم دين الألى قد تتابع
لكسرى وكسرى قبلنا كان قاهراً ... وقيصر إذ تجبى اليه البوادع
قبلنا وكان السلم أسنى مغبة ... لغابرهم[3] والدهر فيه تشايع

وقال ربعي بن الأفكل :

ألا من مبلغ عني جموعاً ... بعقر الحصن إذ كرهوا العتابا
وقالوا بل نسالمكم جميعاً ... على خرج ونتبع الصوابا
فإنا قد قبلنا ما لديكم ... فعودوا ذمة نخشى العقابا

(١) في حاشية الأصل : « أي الملقون في الكلام الكذابون أصحاب... » .
(٢) في م : « إننا » .
(٣) في م « أهنأ مغبة لقائدهم » .

وإنا سوف نمنع من نجازي بحد البيض تلتهب التهابا
كما دنا بها الأنطاق حتى تولى الجمع يرتجي[1] الإيابا
فما أبو وما أغنوا قتيلاً ولكن خيبوا فيها وخابا
وصارت دارهم تكريت حتى ينادي للصور من سكن الترابا
لقد لاقوا بسالتنا فذاقوا ولاقوا من ثمالينا ذبابا[2]

وقال عبد الله بن المعتم :

وغارة مثل الحريق المشعل نبثها أكناف أرض الموصل
يشقي بها الله العدو المصطلي

حديث يوم ماسبذان[3]

وعن جميعهم قالوا : ولما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن بلغ سعد أن أزاذبن بن الهرمزان قد جمع جمعاً فخرج بهم إلى السهل فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب اليه عمر ، إبعث اليهم ضرار بن الخطاب في جند ، واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدي ، وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبي حليف بجيلة ، والمضارب بن فلان العجلي ، فخرج ضرار بن الخطاب وهو أحد بني محارب بن فهر في الجند ، وقدم ابن الهذيل حتى إنتهى إلى سهل ما سبذان . فالتقوا بمكان يدعى بهندق ، فاقتتلوا بها فأسرع المسلمون في المشركين وأخذ ضرار أزاذبن سلماً فأسره ، فانهزم عنه جيشه ، فقدمه فضرب عنه ، ثم خرج

---

(١) في حاشية الأصل : أظنه يرجون - ينتظر .

(٢) في حاشية الأصل : « أي كتائب تتبع كتائب ، مثل كثبان الرمل كثيرة » .

(٣) انظر مادة ، سبذان في معجم البلدان حيث أورد رواية وشعراً عن المعركة غير الذي جاء هنا .

في الطلب حتى إنتهى الى السيروان [١] ، فأخذ ما سبذان عنوة فتطاير أهلها في الجبال ، فدعاهم فاستجابوا له وأقاموا بها حتى تحول سعد من المدائن ، فأرسل اليه فنزل الكوفة ، واستخلف ابن الهذيل على ما سبذان وكانت أحد فروج الكوفة وقال ضرار بن الخطاب :

ولما لقينا في بهندق جمعهم أناخوا وقالوا اصبروا يا آل فارس
وقلنا جميعاً نحن أصبر منكم وأكرم في يوم الوغا والتمارس
ضربناهم بالبيض حتى اذا انثنت أقمنا لها ميلا بضرب القوانس
فولوا سراعاً نحو دار أبيهم وقد خومروا يوم الوغا بالوساوس
فما فتئت خيلي تقص طريقهم ونقتلهم بعد اشتباك الحنادس
فعادوا لنا ديناً ودانوا بعهدنا وعدنا عليهم بالنهى في المجالس

يوم قرقيسياء

قالوا : ولما رجع هاشم بن عتبة عن جلولاء إلى المدائن وقد اجتمعت أهل الجزيرة فأمدوا هرقل على أهل حمص ، وبعثوا جنداً إلى هيت ، وكتب بذلك سعد الى عمر رحمه الله ، فكتب اليه عمر أن أبعث اليهم عمر بن [٢] مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند ، وأبعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري ، وعلى مجنبتيه ربعي بن عامر ومالك بن حبيب ، فخرج عمر بن مالك في جنده سائراً نحو هيت ، وقدم الحارث بن يزيد حتى نزل على من بهيت وقد خندقوا عليهم ، فلما رأى عمر بن مالك إمتناع القوم بخندقهم واعتصامهم به ،

(١) من قرى الجبل وقيل من كوره . معجم البلدان .
(٢) في حاشية الأصل : « عمرو » .

استطال ذلك فترك الأخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد فحاصرهم، وخرج في نصف الناس يعارض الطريق حتى يجيء [١] قرقيسيا في غرة، فأخذها عنوة، فأجابوا الى الجزي وكتب إلى الحارث بن يزيد: ان هم استجابوا فخل عنهم، وإلا فخندق على خندقهم خندقاً أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيي فسمحوا بالإستجابة، وانضم الجند الى عمر، والأعاجم الى أهل بلدهم.

فتوح المدائن قبل الكوفة

قالوا: فتوح المدائن: السواد، وحلوان وما سبذان وقرقيسيا، فكانت الثغور ثغور الكوفة أربعة: حلوان عليها القعقاع بن عمرو، وماسبذان عليها ضرار بن الخطاب الفهري، وقرقيسيا عليها عمر. أو عمرو بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، والموصل عليها عبد الله بن المعتم، فكانوا بذلك والناس مقيمون بالمدائن، وبعدما تحول سعد الى تمصير الكوفة وانضمام هؤلاء النفر الى الكوفة واستخلافهم على الثغور من تمسك بها، ويقوم عليهـــا، فكان خليفة القعقاع على حلوان قباذ بن عبد الله، وخليفة عبد الله بن المعتم على الموصل مسلم ابن عبد الله، وخليفة ضرار بن الخطاب رافع بن عبد الله، وخليفة عمر بن مالك عشنق بن عبدالله، وكتب اليهم عمر بن الخطاب أن يستعينوا بمن احتاجوا اليه من الأساورة، ويرفعوا عنهم الجزي، ففعلوا، فلما اختطت الكوفة وأذن للناس بالبناء، نقل الناس أبوابهم من المدائن إلى الكوفـــة، فعلقوها على ما بنوا، وأوطنوا الكوفة، وهذه ثغورهم، وليس في أيديهم من الريف غير ذلك.

---

(١) في م «مجيء».

حديث تحويل سعد عن المدائن إلى تمصير الكوفة

قالوا : لما جاء فتح جلولاء وحلوان ونزول القعقاع بن عمرو بحلوان ، فيمن معه ، وجاء فتح تكريت والحصنين ، ونزول عبد الله بن المعتم وابن الأفكل الحصن فيمن معه ، وقدمت الوفود بذلك على عمر ، فلما رآهم عمر قال : والله ما هيئتكم بالهيئة التي أبدأتم بها ، ولقد قدمت وفود القادسية والمدائن ، وإنهم لكما أبدوا ، ولقد انتكيتم فما غيركم ؟ قالوا : وخومة البلاد، فنظر في حوائجهم وعجل في سراحهم ، وكان في وفود عبدالله بن المعتم عتبة بن الوعل وذو القرط وابن ذي السبيبة وابن الحجين وبشر ، فعاقدوا عمر رحمه الله على بني تغلب ، وعقد لهم : إن من أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومن أبى فعليه الجزي ، وإنما الإجبار من العرب على من كان في جزيرة العرب ، فقالوا : إذا يهربون وينقطعون فيصيرون عجماً ، فأمر أجمل من أمر الصدقة ، فقال : ليس عليهم إلا الجزي ، فقالوا : نجعل جزيتهم مثل صدقة المسلم ، فهو مجهودهم ، ففعل ، وعلى أن لا ينصروا وليداً ممن أسلم أباؤهم ، فقالوا : لك ذلك ، فصدروا بذلك ، وهاجر هؤلاء التغلبيون ومن أطاعهم والنمريون والإياديون إلى سعد بالمدائن ، وخطوا معه بعد بالكوفة ، وأقام من أقام في بلاده على ما أخذوا لهم على عمر مسلمهم وذميهم .

قالوا : وكتب عمر إلى سعد : أنبئني بالذي غير ألوان العرب ولحومهم ؟ فكتب إليه : إن العرب خددهم وغير ألوانهم وخومة المدائن ودجلة ، فكتب اليه : إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان ، فابعث سلمان رائداً وحذيفة ، وكانا رائدي الجيش فليرتادا منزلاً بريا بحرياً ، ليس بيني وبينكم

فيه بحر ولا جسر ، ولم يكن بقي من أمر الجيش شيء إلا وقد أسنده إلى رجل ، فبعث سعد حذيفة وسلمان فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار في غربي الفرات لا يرى شيئاً حتى أتى الكوفة ، وخرج حذيفة في شرقي الفرات حتى أتى الكوفة فأتيا عليها وفيها ديارات ثلاث : دير حرقة ودير أم عمرو ، ودير سلسلة ، وأخصاص خلال ذلك فأعجبتهما البقعة ، فنزلا فصليا ، وقال كل واحد منهما اللهم رب السموات وما أظلت ، ورب الأرض وما أقلت ، ورب الريح وما أذرت والنجوم وما هوت ، والبحار وما جرت ، والشياطين وما أضلت والخصاص وما أجنت ، بارك لنا في هذه الكوفة واجعله منزل ثبات ، فرجعا إلى سعد بالخبر .

ذكر إختطاط البصرة

قالوا : مصّر المسلمون المدائن وأوطنوهـــا حتى إذا فرغوا من جلولاء وتكريت ، وأخذوا الحصنين ، كتب عمر إلى سعد أن ابعث عتبة بن غزوان الى فرج الهند فليرتد منزلا يمصره، وابعث معه سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، وابعث بعده عرفجة بن هرثمة واجعل مكانـــه الحارث بن حسان ، وابعث عاصم بن عمرو وحذيفة بن محصن ومجزأة بن ثور ، وحصين بن القعقاع ، فخرج عتبة بن غـزوان في سبعمائة من المدائن ، فسار حتى ينزل على شاطىء دجلة ، وبنوا دار مقامة، فولد فيها عبد الرحمن بن أبي بكرة ، فنحر أبو بكرة عليه جزوراً ، فدعا عليها أهل المصر فكفتهم ، وضم اليه سعد أولئك النفر من حيث كانوا صاروا ، فاتبعـــه عرفجة في سبعمائة ، ثم عاصم في سبعمائة ، ثم حذيفة بن محصن في سبعمائة ، ثم مجـــزأة في سبعمائة ، ثم الحصين بن القعقاع في سبعمائة ، ثم سعد بن سلمى في سبعمائة .

ثم لم يزالوا يحتسبون منزلاً بعد منزل فرسخاً بعد فرسخ ، حتى أتوا على البصرة اليوم ، فنزلوها وثبتوا بها ، والبصرة كل أرض حجارتها جص ، يقال لها بصرة .

قالوا : ولما نزل أهل الكوفة ، واستقرت بأهل البصرة الدار ، عرف القوم أنفسهم ، وثاب إليهم ما كانوا فقدوا ، ثم أن أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب ، واستأذن فيه أهل البصرة ، فقال عمر رضي الله عنه العسكرة أجد لحربكم ، وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم ، وما القصب ؟ قالوا : العكرش إذا روي قصب ، فصار قصباً ، قال : فشأنكم قالوا : فابتنى أهل المصرين بالقصب .

ثم إن الحريق وقع بالبصرة وبالكوفة ، وكانت الكوفة أشدهما حريقاً ، فاحترق ثمانون عروساً ، ولم يبق فيها قصبة ، فبعث سعد منهم نفراً إلى عمر يستأذنونه في البنيان باللبن ، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق ، وما بلغ منهم ، وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلا آمروه فيه ، وقال : افعلوا ، ابنوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات ، ولا تتطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة ، فرجع القوم بذلك إلى الكوفة وكتب عمر رحمه الله إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك ، وعلى تنزيل أهل البصرة عاصم بن الدلف أبو الجرباء ، وعلى تنزيل أهل الكوفة أبو الهياج بن مالك ، وعهد عمر الى الوفد ، وتقدم إلى الناس أن لا يرفعوا بنياناً فوق القدر ، قالوا : وما القدر ؟ قال : ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم من القصد .

قالوا : لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة ، أرسل سعد إلى أبي الهياج فأخبر بكتاب عمر ، فأول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا على البناء المسجد ، فاختط ، ثم قام رجل شديد النزع فرمى عن يمينه ، فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم ، ورمى من بين يديه ومن خلفه ، وأمر من

شاء أن يبني وراء موقع السهمين، وبنوا لسعد داراً بحياله بينهما الطريق، وجعل فيها بيوت الأموال ، وهي قصر الكوفة اليوم بنى ذلك له روزبة من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة ، وبنى سعد في الذي خطوا للقصر قصراً بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم ، فشيده ، وجعل فيه بيت المال ، وسكن ناحيته .

ثم إن بيت المال نقب عليه نقب ، فأخذ من المال ، وكتب سعد بذلك إلى عمر ، ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن ، فكتب اليه عمر : أن انقل المسجد حتى تضعه الى جانب الدار ، واجعل الدار قبلته فإن للمسجد أهلاً بالنهار وبالليل وفيهم حصن لما لهم ، فنقل المسجد وأراغ بنيانه .

فقال له دهقان من أهل همذان يقال له روزبة بن بزرجمهر : أنا أبنيه لك ، وأبني لك قصراً وأصلها ، ويكون بنياناً واحداً ، فخط قصر الكوفة على ما خط عليه ، ثم أنشأه من نقض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم ، ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه ، وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكسرى لكنائس بغير مجنبات ، فلم يزل على ذلك حتى بنى أزمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم على يدي زياد، ولما أراد زياد بنيانه دعا ببنائين من بنائي الجاهلية ، فوصف لهم موضع المسجد وقدره ، وما يشتهي من طوله في السماء ، وقال أشتهي من ذلك شيئاً لا أقع على صفته ، فقال له بناء قد كان بنى لكسرى ، لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبال الأهواز تنقر ، ثم تثقب ، ثم تحشى بالرصاص وبسفافيد الحديد فترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء ثم تسقفه ، ثم تجعل مجنبات ومواخير فيكون أثبت له [1] فقال : هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبرها [2] .

وعن عطاء بن محمد مولى اسحق بن طلحة قال : كنت أجلس في المسجد

---

(١) في م « لها » .

(٢) في م « يعبرها » .

الأعظم من قبل أن يبنيه زياد ، وليست له مجنبات ولا مواخير فأرى منه دير هند وباب الجسر .

وعن الشعبي قال : كان الرجل يجلس في المسجد فيرى منه باب الجسر.

وعن سيف عن عمر بن عياش عن أبي كثير أن روزبة بن يزرجمهر بن ساسان وكان همذانياً ، وكان على فرج من فروج الروم ، فأدخل عليهم سلاحاً فأخافه الأكاسرة فلحق بالروم فلم يأمن حتى قدم سعد بن مالك فبنى له القصر والمسجد ثم كتب معه إلى عمر رحمه الله وأخبره بحاله وأسلم وفرض له عمر وأعطاه ، وصرفه إلى سعد مع أكريائه ، والأكرياء يومئذ هم العباد ، حتى إذا كان بالمكان الذي يقال له قبر العبادي مات ، فحفروا له ، ثم انتظروا به من يمر بهم من يشهدونه موته ، فمر به قوم من الأعراب وقد حفروا له على الطريق فأروهموه ليتبروا [1] من دمه وأشهدوهم على ذلك .

اعادة تصنيف الناس

قالوا : ورجح الأعشار بعضهم بعضاً رجحانا كثيراً ، فكتب سعد إلى عمر في تعديلهم ، فكتب إليه أن عدلهم ، فأرسل سعد إلى قوم من نساب العرب وذوي رأيهم وعقلائهم منهم سعيد بن نمران ، ومشعلة بن نعيم ، فعدلوهم على الأسباع ، فجعلوهم أسباعاً فلم يزالوا بذلك إلى عامة إمارة معاوية حتى ولي زياد فربعهم .

---

(١) في م « ليبرواً » .

تاريخ الفتوح قبل الانسياح

على ما ذكر سيف قال : ولي عمر رضي الله عنه يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وكانت اليرموك لأيام خلون من رجب سنة ثلاث عشرة في إمارة عمر ، بتعبية أبي بكر رضي الله عنه ، وكان يوم الجسر بالعراق لأيام بقين من شوال سنة ثلاث عشرة ، وبين يوم الجسر واليرموك أربعة أشهر ، وكانت أليس الصغرى بعد الجسر في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وكانت البويب في رمضان سنة أربع عشرة وبينها وبين وقعة الجسر أحد عشر شهراً ، وكانت دمشق في شوال سنة أربع عشرة ، وأسند عمر رحمه الله في المحرم سنة خمس عشرة إلى سعد حرب العراق ، فسار إلى زرود حتى نزلها في المحرم ، فأقام بها أشهراً حتى أريح الناس ، ثم أمره بالسير إلى القادسية فارتحل من زرود الى شراف في جمادي الأولى لأيام بقين منه ، وارتحل من شراف في غرة جمادي الآخرة سنة خمس عشرة .

ونزل سعد القادسية في جمادي الآخرة سنة خمس عشرة ، فأقام بها[1] شهرين لا يريم ، ولا يستبين له إلى من يسندون أمورهم ، ثم إن ذلك أسند إلى رستم ، فكان في مقامه لاجتماع عسكره وفي مزاحفته من المدائن شهرين ، وكان مقام سعد بالقادسية إلى الوقعة أربعة أشهر ، وكان محاولة عمر رحمه الله أهل فارس إلى فتح القادسية سنتين وأشهر ، فمن ثم يقول من لا يعلم أقام سعد بالقادسية سنتين ، وكانت وقعة القادسية يوم الاثنين في شوال سنة خمس عشرة ، والفتح

---

(١) زيدت بها من م .

يوم الخميس بينها وبين دمشق سنة ، وبين حمص أشهر ، وكانت بهرشير في ذي الحجة سنة خمس عشرة ، فأقام عليهـــا شهرين ، والمدائن في صفر سنة ست عشرة ، وجلولاء في جمادي الأولى فاقاموا عليها ثلاثـة أشهر ، ثم افتتحت في شوال، وتكريت في جمادي سنة ست عشرة والحصن[1] في جمادي الاخرة سنة ست عشرة ، وقرقيساء في رجب سنة ست عشرة ، وتحول عتبة من المدائن لتمصير البصرة في ربيع سنة ست عشرة ، ومصرت الكوفة لأيام بقين من المحرم سنة سبع عشرة وقد أخذوا عطاءين قبل نزول الكوفة ، وبين نزول الكوفة ونزول المدائن سنة إلا شيئاً ، وبين نزول الناس بهرشير وبين نزول الكوفـــة سنة وشهران ، وبين نزول الكوفة وإمارة عمر رحمه الله ثلاث سنين ونصف.

حديث الانسياح الى اغاثة أهل حمص

قالوا : فاول مـــا أذن لهم عمر في الإنسياح أن[2] الروم خرجوا وقد تكاتبوا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمص ، فضم أبو عبيدة إليه مسالحه ، وعسكروا بفناء مدينة حمص ، وأقبل خـالد من قنسرين حتى انضم إليهم فيمن انضم من أمراء المسالح ، فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو في التحصن إلى مجيء الغياث ، وكان خالداً يامره بان يناجزهم ، وكان سائرهم يأمرونه أن يتحصن ، ويكتب الى عمـر ، فاطاعهم وعصى خالدا ، وكتب إلى عمر بخروجهم عليه وإشفالهم أجناد الشام عنه .

وقد كان عمر اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لكون إن كان ، فكان بالكوفة من ذلك أربعـــة آلاف فرس ، فلما

---

(١) في حاشية الأصل « الحصنين » .

(٢) في الأصل « إلى » والتقويم من م .

وقع [١] لعمر كتب إلى سعد بن مالك أن أندب الناس مع القعقاع بن عمرو ، وسرحهم من يومهم الذي ياتيك فيه كتابي الى حمص فان أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدم إليهم في الجد والحث ، وكتب اليه أيضا أن يسرح سهيل بن عدي الى الجزيرة في الجند وليأت الرقة ، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ، وإن أهل قرقيسياء لهم سلف ، وسرح عبد الله بن عتبان الى نصيبين فإن أهل قرقيسياء لهم سلف ، ثم لينقضا حران والرها ، وسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وسرح عياضا فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعا الى عياض بن غنم ، وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدين لأهل الشام وفيمن انصرف أيام انصرف أهل العراق ممدين لأهل القادسية ، وكان يرافد أبا عبيدة .

فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص ، وخرج عياض بن غنم وأمراء أهل الجزيرة فاخذوا طريق الجزيرة على الفراض ، وغير الفراض ، فتوجه كل أمير الى الكورة التي أمر عليها ، فاتى سهيل الرقة ، وخرج عمر من المدينة معينا [٢] لأبي عبيدة يريد حمصا حتى نزل الجابية ، ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص واستثاروهم [٣] وهم مقيمون على أهل حمص عن حديث من بالجزيرة منهم ، بأن الجنود قد ضربت من الكوفة ولم يدروا الجزيرة يريدون أو حمص ، فتفرقوا الى بلدانهم وإخوانهم ، وخلوا الروم ، ورأى أبو عبيدة لما انفضوا أمراً غير الأول ، فاستشار خالداً في الخروج فأمره بالخروج ، ففتح الله عليهم وحديثهم في حديث الشام ، وقدم القعقاع بن عمرو عليهم في أهل الكوفة في ثلاث من يوم الوقعة ، وقدم عمر

---

(١) في م « وقع الخبر بعمر » .

(٢) في م « مغيثاً » .

(٣) في حاشية الأصل : « لعله واستثاروهم » .

رحمه الله فنزل الجابية ، فكتبوا الى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم في ثلاث ، وبالحكم في ذلك ، فكتب إليهم أن أشركوهم ، وقال : جزى الله أهل الكوفة خيراً يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار .

وعن الشعبي قال : استمد أبو عبيدة عمر رضي الله عنه ، وخرجت عليه الروم ، وتابعهم النصارى ، فحصروه ، فخرج وكتب الى أهل الكوفة فنفر اليهم في غداه أربعة آلاف على البغال يجنبون الخيل فقدموا على أبي عبيدة في ثلاث بعد الوقعة فكتب فيهم الى عمر وقد انتهى الى الجابية ، فكتب اليه أن أشركوهم فإنهم قد نفروا إليكم وتفرق لهم عدوكم .

وعن ماهان قال : كان لعمر رحمه الله أربعة آلاف فرس لكون إن كان عدة يشيتها في قبلة قصر الكوفة وميسرته ومن أجل ذلك يسمى ذلك المكان الآري الى اليوم ويربعها [١] فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة مما يلي العاقول ، فسمته الأعاجم « أخراء الشاهجان » يعنون « معلف الأمراء » وكان قيمه [٢] عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يصنع سوابقها ويجريها في كل يوم ، وبالبصرة نحو منها وقيمه عليها جزء بن معاوية ، وفي كل من مصر من الأمصار الثمانية على قدرها ، فإن نابتهم نائبة ركب قوم وقووا الى أن يستعد الناس .

---

(١) في حاشية الأصل : « أي يجعلها أيام الربيع هناك » .

(٢) في الأصل « فيه » وهو تصحيف قوم من م ومن سياق الخبر .

حديث الجزيرة

قالوا : وخرج عياض بن غنم في أثر القعقاع ، وخرج القواد فسلكوا طريق الجزيرة على الفراض وغيرها ، فسلك سهيل بن عدي في جنده طريق الفراض حتى انتهى الى أهل الرقة ، وقد ارفض أهل الجزيرة عن حمص الى كورهم حين سمعوا بمقبل أهل الكوفة ، فنزل عليهم ، فاقام محاصرهم حتى صالحوه ، وذلك ان قالوا فيما بينهم : إنهم بين أهل العراق وأهل الشام ، فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء ، فبعثوا في ذلك الى عياض وهو في منزل واسط بالجزيرة ، فرأى أن يقبل منهم فبايعوه [1] وقبل منهم ، وكان الذي عقده لهم سهيل بن عدي عن أمر عياض ، لأنه أمير القتال وأجروا ما أخذوا عنوة ، ثم أجابوا [2] مجرى أهل الذمة ، وقال سهيل بن عدي في ذلك :

وصادمنا الفرات غداة سرنا ... الى أهل الجزيرة بالعوالي
ولم نثن الأعنة حين سرنا ... بمجرد الخيل والأسل النهال
فاجهضنا الألى قادوا لحمص ... وقد منوا أماني الضلال
أخذنا الرقة البيضاء لما ... رأينا الشهر لوح بالهلال
وأزعجت الجزيرة بعد خفض ... وقد كانت تخوف بالزوال
وصار الخرج ضاحيه إلينا ... باكناف الجزيرة عن ثقال

وخرج عبد الله بن عبدالله بن عتبان فسلك على دجلة حتى انتهى الى الموصل

---

(١) في م « فتابعوه » .

(٢) في حاشية الأصل : لعله : « أجروه » .

عبر إلى بلد [١] حتى أتى نصيبين فلقوه بالصلح ، وصنعوا كما صنع أهل الرقة ، وخافوا مثل الذي خافوا ، فكتبوا إلى عياض فرأى أن يقبل منهم ، فعقد لهم عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وأجروا ما أخذوا عنوة ، ثم أجابوا مجرى اهل الذمة وقال عبد الله بن عبد الله .

آلا من مبلغ عني بجيراً ... فما بيني وبينك من تعادي
فإن تقبل تلاقى العدل فينا ... وتنسى ما عهدت من الجهاد
وإن تدبر فما لك من نصيب ... نصيبي فتلحق بالعباد
وقد ألقت نصيبين إلينا ... سواد البطن بالخرج الشداد
لقد لقيت نصيبين الدواهي ... بدهم الخيل والجرد الوراد
ونفست الجياد عن اهل حمص ... جنود الروم أصحاب الفساد
وعاين عامر منهم عديداً ... ودهماً مثل سائمة الجراد

وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم على بني تغلب وعرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا [٢] إياد بن نزار فإنهم ارتحلوا بقليتهم [٣] فاقتحموا أرض الروم ، فكتب بذلك الوليد الى عمر بن الخطاب رحمه الله ولما أعطى أهل الرقة [٤] ونصيبين الطاعة ، ضم عياض سهيلا وعبد الله اليه ، فسار بالناس الى حران فأخذ ما دونها ، فلما انتهى اليهم انقوه بالإجابة الى الجزية ، فقبل منهم ، وأجرى من أجاب بعد غلبه مجرى اهل الذمة ، ثم إن عياضاً سرح سهيلا وعبد الله الى الرها فاتقوهما بالاجابة الى الجزية ، وأجرى من دونهم مجراهم ، فكانت

---

(١) بلد : مدينة قديمة فوق الموصل على دجلة . معجم البلدان .
(٢) في حاشية الأصل : أي قبيلة إياد .
(٣) أي ارتحلوا بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئاً ، القاموس .
(٤) في م « الذمة » .

الجزيرة أسهل البلدان أمراً وأيسره فتحاً ، وكانت تلك السهولة مهجنة عليهم ، وعلى من أقام فيهم من المسلمين ، وقال عياض بن غنم :

من مبلغ الأقوام أن جموعنا ... حوت الجزيرة يوم ذات رجام
جمعوا الجزيرة والغياث فنفسوا ... عن من بحمص غيابة القدام
إن الأعزة والأكارم معشر ... فضوا الجزيرة عن فراخ الهام
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا ... عن غزو من يأوى بلاد الشام

ولما نزل عمر رحمه الله بالجابية وفرغ أهل حمص أمد عياض بن غنم بحبيب بن مسلمة فقدم على عياض ممداً وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم ، إذ ضم خالداً إلى المدينة ، فصرفه إليه ، وصرف سهيل بن عدي وعبد الله بن عبد الله إلى الكوفة ليصرفهما إلى الشرق ، واستعمل حبيب مسلمة على عجم الجزيرة وحربها ، والوليد بن عقبة على عرب الجزيرة ، فأقاموا بالجزيرة على أعمالها .

ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر بأمر إياد ، كتب عمر الى ملك الروم : إنه بلغني أن حياً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتخرجنه أو ننبذن إلى النصارى ، ثم لنخرجنهم إليك ، فأخرجهم ملك الروم فخرجوا فتم منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبي عدي زياد ، وخنس بقيتهم فتفرقوا مما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم ، فكل اياد في أرض العرب من أولئك الأربعة الآلاف ، وأبى الوليد أن يقبل من بني تغلب إلا الإسلام ، فقالوا له : أما من نُقتّب على قومه في صلح سعد ، ومن كان قبله ، فأنتم وذاك ، وأما من لم ينقب عليه أحد ، ولم يجز ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه ! فكتب فيهم الى عمر رحمه الله فأجابه عمر : إنما ذلك لجزيرة العرب[1] لا يقبل منهم فيها إلا الإسلام ،

(١) أضيفت « العرب » من م .

فدعهم على أن لا ينصروا وليداً ، واقبل منهم إذا أسلموا ، فقبل منهم على أن لا ينصروا وليداً ، ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام ، فأعطى بعضهم ذلك فأخذوا به ، وأبى بعضهم إلا الجزي فرضي منهم بما رضي من العباد وتنوخ .

وعن أبي سيف التغلبي قال : كان رسول الله ﷺ قد عاهد وفدهم على أن لا ينصروا وليداً ، فكان ذلك الشرط على الوفد ، وعلى من وفدهم ، ولم يكن على غيرهم ، فلما كان زمن عمر قال مسلموهم لا تنفروهم بالخراج [1] فيذهبوا ، ولكن أضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزي ، فإنهم يغضبون من ذكر الجزي ، على أن لا ينصروا وليداً إذا أسلم آباؤهم ، فخرج وفدهم في ذلك إلى عمر الله ، ولما بعث الوليد إليه برؤوس النصارى وبربانيهم ، فقال لهم عمر رحمه الله : أدوا الجزية ، قالوا لعمر : أبلغنا مأمننا فوالله لئن وضعت علينا الجزي لندخلن أرض الروم ، والله لتفضحنا من بين العرب ، فقال لهم : أنتم فضحتم أنفسكم وخالفتم أمتكم فمن خالف وافتضح من عرب الضاحية ، وتالله لتؤدنه وأنتم صغرة قمأه ، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ثم لأسبينكم ، قال : فخذ منا شيئاً ولا تسمه جزي ، فقال : أما نحن فنسميه الجزي وسموه أنتم ما شئتم ، فقال له علي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين : ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة ؟ وأصغى إليه ، قال : بلى ، قال : فرضي به منهم جزي ، ورضي القوم بذلك ، فبنوا تغلب تسمي جزيتهم صدقة ، وأما تنوخ فلم تبال أي ذلك كان ، فهم يسمونها الجزية ، فرجعوا على ذلك ، وكان في بني تغلب عز وامتناع ، فلا يزالون يسارعون [2] الوليد ، فهم بهم الوليد ، وقال الوليد في ذلك :

---

(١) في حاشية الأصل : « لعله بالجزي » .

(٢) في م « ينازعون » .

إذا ما عصبت الرأس مني بمشوذ[١] ففيك مني تغلب ابنة وائل

وبلغت عمر رحمه الله عنه فخاف أن يحرجوه وأن يضعف صبره فيسطوا عليهم فعزله ، وأمر عليهم فرات بن حيان ، وهند بن عمرو الجملي ، وكان فتح الجزيرة في سنة سبع عشرة وصفت في سنة سبع عشرة في ذي الحجة فقوتل ترك الباب[٢] وترك خراسان والأكراد والسند والهند سنة ثمان عشرة واتصلت[٣] لعمر رحمه الله البلاد ، واجتمع ملك فارس وملك الروم بالشام ومصر وضاحية افريقية ، وضواحي الهند ، وتنقص خاقان ، وصفت إمارته في سنة عشرين ، ووغلت الجنود فلم يفتتح بعد عشر سنين من امارته شيئاً أمرهم بالكف والإقصار .

ولما أذن عمر رحمه الله في الإنسياح للناس في الجبال أقبل على الدعاء، وتتبع آثار العمال بالعيون والنصحاء في السر والعلانية ، وتفقد الناس في الشرق والغرب وتمت بعده الفتوح بعثمان بن عفان رضي الله عنهما ، فلم يفتتح بعد عثمان رحمه الله بلدة إلا صلحاً كان فكفر أهلها، أو أرض مما افتتح عمال[٤] على ما افتتح عمر لا تقوى عليه الجنود إلا بالفيء الذي أفاءه الله عز وجل على عمر ، ومن ذلك اليوم الذي هو عيال على ما افتتح عمر من فتوح عثمان افريقية والأندلس وما[٥] صالح أزمان عثمان وأزمان عمر قبله ما وراء النهرين نهر بلخ ونهر السند ، فما وراء النهرين مما صالح عثمان أهله ، ومما صالح أزمان عمر : جرجان ، وطبرستان ودينا وند ، ومما افتتح مما كفر أهله بعد الصلح : خراسان ، وجرجان ، فإن عثمان رحمه الله ارتجعها بعد كفرهم بعبد الله بن عامر .

---

(١) المشوذ : العمامة . اللسان .

(٢) الباب أو دربند شروان ، مدينة محصنة قامت على بحر الخزر في الممر المؤدي من جبال أذربيجان إلى بلاد الخزر . معجم البلدان .

(٣) في م « واتطأت » .

(٤) في الأصل « فما افتتح عيال » والتقويم من م .

(٥) في م « وما » .

ذكر فتح سوق الأهواز ومناذر ونهر تيري

وعن سيف عن شيوخه ، قالوا : كان الهرمزان لما انهزم يوم القادسية كان وجهه إلى أمته فملكهم وقاتل بهم من أرادهم فكان يغير على أهل ميسان ودستميسان من وجهين من مناذر ونهر تيري فاستمد عتبة بن غزوان سعداً ، فأمده سعد بنعيم بن مقرن ، ونعيم بن مسعود ، وأمرهما أن يأتيا على أعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيري ، ووجه عتبة بن غزوان ، سلمى بن القين ، وحرملة بن مريطة ، وكانا من المهاجرين مع رسول الله ﷺ ، وهما من بني العدوية من بني حنظلة فنزلا على حدود أرض ميسان ودستميسان بينهم وبين مناذر ، ودعوا بني العم ، فخرج إليهم غالب الوائلي ، وكليب بن وائل الكلبي ، فتركا نعيماً ونعيماً ، ونكبا عنهما ، وأتيا سلمى وحرملة ، وقالا : أنتما من العشيرة وليس لكما منزل ، فاذا كان يوم كذا وكذا فانهدا للهرمزان ، فإن أحدنا يثور بمناذر ، والآخر بنهر تيري ، فنقتل المقاتلة ، ثم يكون وجهنا إليكم ، فليس دون الهرمزان شيء إن شاء الله عز وجل ، ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك ، فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد من سلمى وحرملة وغالب وكليب ، والهرمزان يومئذ بين نهر تيري وبين دلث [1] ، خرج سلمى وحرملة صبيتحها في تعبئة ، وأنهضا نعيماً ونعيماً فالتقوا هم والهرمزان بين دلث ونهر تيري ، وسلمى بن القين على أهل

(١) دلث ، ذكرها ياقوت باسم دلوث أيضاً وأشار إلى وقوعها نواحي الأهواز .

البصرة ، ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة ، فاقتتلوا ، فبينا هم في ذلك أقبل المدد من قبل غالب وكليب ، وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر ونهر تيري قد أخذنا ، فكسر الله في ذرعه وذرع جنده ، وهزمه واياهم ، فقتلوا منهم ما شاؤوا ، وأصابوا منهم ما شاؤوا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطىء دجيل ، وأخذوا ما دونه ، وعسكروا بحيال سوق الأهواز وقد عبر الهرمزان جسر سوق الأهواز ، وأقام بها ، وصار دجيل بين الهرمزان وسلمى وحرملة ونعيم ونعيم وغالب وكليب .

قالوا : ولما دهم القوم الهرمزان ، ونزلوا بحياله من الأهواز رأى ما لا طاقة له به ، فطلب الصلح وكتبوا بذلك يستأمرونه فيه ، وكاتبه الهرمزان فأجاب عتبة إلى ذلك على الأهواز كلها ومهرجان قذق [1] ما خلا نهر تيري ـ ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فإنه لا يرد عليهم ما تنقذنا وجعل سلمى بين القين على مناذر مسلحه ، وأمرها إلى غالب ، وحرملة على نهر تيري ، وأمرها إلى كليب ، فكانا على مسالح البصرة ، وقد هاجرت طوائف بني العم ، فنزلوا منازلهم من البصرة ، وجعلوا يتتابعون على ذلك ، وقد كتب بذلك عتبة إلى عمر رحمه الله ووفد وفداً منهم سلمى ، وأمره أن يستخلف على عمله ، وحرملة وأمره أن يستخلف على عمله وكانا من الصحابة ، وغالب وكليب ، ووفد وفود من البصرة يومئذ فأمرهم أن يرفعوا حوائجهم ، فكلهم قال : أما العامة فأنت صاحبها ، ولم يبق إلا خواص أنفسنا ، فطلبوا لأنفسهم إلا ما كان من الأحنف بن قيس فإنه قال : يا أمير المؤمنين إنه لكما ذكروا ولقد يعزب عنك ما يحق علينا انهاؤه إليك ، مما فيه صلاح العامة ، وإنما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين أهل الخير ، ويسمع بآذانهم ، وانا لم نزل

---

(١) مهرجان قذق : كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان في تلك الجبال ، معجم البلدان .

ننزل منزلاً حتى أرزنا إلى البر ، وإن اخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حدقة البعير الغاسقة من العيون العذاب ، والجنان الخصاب ، فتأتيهم ثمارهم ولم تخضد ، وإنا معاشر أهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة زعفة نشاشة ، طرف لها في الفلاة ، وطرف لها في البحر الأجاج يجر إليها ما جر في مثل مريء النعامة ، دارنا فعمة ، ووظيفتنا ضيقة ، وعددنا كثير وأشرافنا قليل وأهل البلاء فينا كثير ، ودرهمنا كبير وقفيزنا صغير ، وقد وسع الله علينا ، وزادنا في أرضنا ، فوسع علينا يا أمير المؤمنين وزدنا وظيفة تطوف علينا ، ونعيش بها ، فنظر إلى منازلهم التي كانوا بها إلى أن صاروا إلى الحجـــر [1] فنفلهموه واقطعهموه ، وكان مما كان لأل كسرى فصار فيئاً فيما بين دجلـــة والحجر ، فاقتسموه ، وكان سائر ما كان لال كسرى في أرض البصرة على حـــال ما كان في أرض الكوفة ، ينزلونه من أحبوا ، أو يقتسمونه بينهم لا يستأثرون به على بدء ولا ثني بعد ما يرفعون خمسه الى الوالي ، فكانت قطائع أهـــل البصرة نصفين : نصفها مقسوم ونصفها متروك للعسكر وللاجتماع ، وكان أصحاب الألفين ممن شهد القادسية ، ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف ، وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفاً ، فألحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهـــل البلاء في الألفين حتى ساواهم بهم ، ألحق جميع من شهد الأهواز ، ثم قال هذا الغـــلام سيد أهل البصرة ، وكتب إلى عتبة فيـــه بأن يستمع منه ويشرب برأيه ، ورد سلمى وحرملة وغالباً وكليباً الى مناذر ونهر تيري ، فكانوا عدة فيه لكون إن كان ، وليميزوا خراجها .

---

(١) الحجر – لم يذكره ياقوت في معجمه .

حديث فتح الأهواز

قالوا : وبينا الناس من أهل البصرة وذمتهم على ذلك ، وقع بين الهرمزان، وبين غالب وكليب في حدود الأرضين اختلاف وادعاء ، فحضر ذلك سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهما ، فوجدا غالباً وكليب محقين ، والهرمزان مبطلاً، فحالا بينه وبينهما ، فكفر الهرمزان أيضاً ومنع ما قبله ، واستعان بالأكراد ، فكثف جنده ، وكتب سلمى وحرملة وغالب وكليب يبغي الهرمزان وظلمه وكفره الى عتبة بن غزوان ، وكتب بذلك الى عمر ، فكتب إليه عمر يأمره بأمره فأمدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدي ، وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ ، وأمره على القتال ، وعلى ما غلب عليه فنهد الهرمزان بمن معه وسلمى وحرملة وغالب وكليب ، حتى إذا انتهوا الى جسر سوق الأهواز ، أرسل الهرمزان إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم ، فقال : إعبروا إلينا فعبر من فوق الجسر فاقتتلوا فوق الجسر مما يلي سوق الأهواز فهزم [1] الهرمزان ووجه نحو رام هرمز [2] ، فأخذ على قنطرة أربك [3] بقرية الشغر [4] حتى حل برام هرمز وافتتح حرقوص سوق الأهواز فأقام بها ، ونزل الجبل ، واتسعت له بلاد سوق الأهواز الى تستر [5] ، ووضع الجزية ، وكتب بالفتح والأخماس الى عمر

---

(١) أضيفت « فهزم الهرمزان » من م .

(٢) مدينة مشهورة بنواحي خوزستان ، معجم البلدان .

(٣) من نواحي الأهواز ، بلد وناحية ذات قرى ومزارع ، معجم البلدان .

(٤) لم يذكرها صاحب معجم البلدان وغيره من المصادر الجغرافيه .

(٥) أعظم مدن خوزستان ، معجم البلدان .

ووفد وفداً بذلك فحمد الله ودعا الله بالثبات والزيادة ، وقال الأسود بن سريع في ذلك ، وكانت له صحبة :

لعمرك مـــا أضاع بنو أبينا ولكن حافظوا فيمن يطيع
أطاعوا ربهم وعصاه قوم أضاعوا أمره فيمن يضيع
مجوس لا ينهنهها كتـــاب فـــلاقوا كبة فيها قبوع
وولى الهرمزان على جـــواد سريع الشد يثفنه الجميع
وخلى سرة الأهواز كرهـــاً غداة الجسر إذ نجم الربيع

وقال حرقوص :

غلبنا الهرمزان على بـــلاد لها في كل ناحيـــة ذخائر

وعنهم قالوا : لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز وافتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز ، أقام بها ، وبعث جزء بن معاوية في أثره بأمر عمر إلى سُرق[1] ، وقد كان عهد اليه فيه إن فتح الله عليهم أن يتبعه جزءاً ويكون وجهه الى سرق فخرج جزء في إثر الهرمزان ، والهرمزان متوجه الى رام هرمز هارباً ، فما زال يقتلهم حتى انتهى الى قرية الشغر وأعجزهم بها الهرمزان ، فمال جزء الى دورق من قرية الشغر ، وهي شاغرة برجلها ، ومدينة سرق فيها قوم لا يطيقون منعها ، فأخذها صافية ، وكتب الى عمر بذلك والى عتبة ، وبدعائه [2] من هرب الى الجزي والمنعة ، وإجابتهم الى ذلك ، فكتب عمر رحمه الله الى جزء بن معاوية ، وإلى حرقوص بن زهير بلزوم ما غلبا عليه ، وبالمقام حتى يأتيهما أمره ، وكتب إليه مع عتبة بذلك ، ففعلا وإستأذن جزء في عمران بلاده عمر ، فأذن له فشق الأنهار ، وعمر الموات ، ولما نزل الهرمزان من رام هرمز ، وضاقت عليه الأهواز

---

(١) احدى كور الأهواز ، معجم البلدان .

(٢) في حاشية الأصل : أي الى أن يدفعوا إليه الجزية ويمنعهم المسلمون ممن يدهمهم .

والمسلمون خلال ما في يديه منهـا ، طلب الصلح ، وراسل حرقوصاً وجزءاً في ذلك ، فكتب فيه حرقوص الى عمر ، فكتب عمر رحمـه الله اليه وإلى عتبة يأمره أن يقبل منه على ما لم يفتتحوا منها : على رام هرمز ، وتستر والسوس ، وجند يسابور والشيبان [1] ومهرجان قذق ، فقبلوا ذلك منه على ذلك ، وقبله الهرمزان ، فأجابهم الى ذلك ، فأقام أمر الأهواز على ما أسند إليهم ، وأقام الهرمزان على صلحه يجيء إليهم ويمنعونه وإن غـــاوره أكراد فارس أعانوه وذبوا عنه .

وكتب عمر الى عتبة أن وفد علي وفداً من صلحاء جنـد البصرة عشرة ، فوفد الى عمر رحمه الله عشرة نفر فيهم الأحنف بن قيس ، فلما قدم فيهم على عمر قال : إنك عندي مصدق وقد رأيتك رجلاً ، فأخبرني ان ظلمت الذمة ، المظلمة نفروا أم لغير ذلك ؟ فقال : لا بل لغير مظلمة ، والناس على ما تحب ، قال : فنعم إذاً ، انصرفوا إلى رحالكم ، وكتب عمر إلى عتبة أن أعزب الناس عن الظلم ، واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغي ، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه ، وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصراً .

وبلغ عمر رحمه الله أن حرقوصاً نزل جبل الأهواز ، والناس يختلفون اليه ، والجبل كؤود يشق على من رامه ، فكتب اليه بلغني أنك نزلت منزلاً كؤوداً لا تؤتى فيه إلا على مشقة ، فاسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد ، وقم في أمرك على وجل تدرك الآخرة ، وتصف لك الدنيا ، ولا تدركنك فترة ولا عجلة ، فتكدر دنياك ، وتذهب آخرتك .

---

(١) كذا بالأصل ولعله يريد « السيبان » – انظر المادة في معجم البلدان .

ذكر غزو المسلمين أرض فارس

قالوا : كان المسلمون بالبصرة وأرضها ، وأرضها يومئذ سوادها، والأهواز، على ما هم عليه الى ذلك اليوم ، وما غلبوا عليه منها ففي أيديهم ، وما صالحوا عليه منها ففي أيدي أهله ، يؤدون الخراج ، ولا يدخل عليهم ، ولهم الذمة والمنعة ، وعميد الصلح الهرمزان، وقد قال عمر رحمة الله : حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز ، وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا نصل إليهم ولا يصلون الينا ، كما قال لأهل الكوفة : وددت أن بينهم وبين الجبل جبلاً من نار لا يصلون الينا معه ، ولا نصل اليهم .

وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر رحمه الله ، فعزله عمر رحمه الله ، وجعل قدامة بن مظعون مكانه ، ثم عزل قدامة ورد العلاء، وكان العلاء يناوىء سعداً لصدع صدعه القضاء بينهما ، فطار العلاء على سعد في الردة بالفضل ، فلما ظفر سعد بالقادسية وأزاح الأكاسرة عن الدار ، وأخذ حدوداً مما يلي السواد ، واستعلى وجاء بأعظم مما كان جاء به العلاء ، سر العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم ، فرجا أن يدال كما قد كان أديل ، ولم يقدر العلاء ، ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بحد .

وكان أبو بكر رحمه الله قد استعمله وأذن له في قتال اهل الردة، واستعمله عمر ونهاه عن البحر، فلم يقدر في الطاعة والمعصية وعواقبها، فندب اهل البحرين الى فارس فتسرعوا الى ذلك ، وفرقهم أجناداً على أحدها الجارود بن المعلى ، وعلى الآخر السوار بن همام ، وعلى الاخر خليد بن المنذر بن ساوى ، وخليد على جماعة الناس ، فحملهم في البحر الى فارس بغير أذن عمر، وكان عمر رحمه

الله لا ياذن لأحد في ركوبه غازياً، يكره التغرير بجنده استنانا بالنبي ﷺ وبأبي بكر ، لم يغز فيه النبي ﷺ ، ولا أبو بكر ، فعبرت تلك الجنود من البحرين الى فارس ، فخرجوا في اصطخر وبإزائهم أهل فارس ، وعلى أهل فارس الهربذ ، اجتمعوا عليه ، فحالوا بين المسلمين وبن سفنهم ، فقام خليد في الناس، فقال : أما بعد فإن الله اذا قضى أمراً جرت به المقادير حتى تصيبه ، وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم الى حربهم ، وإنما جئتم لمحاربتهم والسفن والأرض لمن غلب ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾[1] ، فأجابوه الى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع من الأرض يدعى طاوس ، وجعل السوار يرتجز يومئذ ويذكو قومه ويقول :

يا آل عبد القيس للقراع قد جعل[2] الإمداد بالجراع
وكلهم في سنن المصاع يحسن ضرب القوم بالقطاع

حتى قتل رحمه الله ، وجعل الجارود يرتجز ويقول :

لو كان شيئاً مما أكلته أو كان ماء سادماً[3] جهرته
لكن بحراً جاءنا أنكرته

حتى قتل رحمه الله ، ويومئذ ولي عبد الله بن السوار والمنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا .

وجعل خليد بن المنذر يومئذ يرتجز ويقول :

يال تميم اجمعوا النزول وكاد جيش[4] عمر يزول
وكلكم يعلم ما أقول

---

(١) سورة البقرة ـ الآية : ٤٥ .

(٢) في م والطبري : ٤/٨٠ « حفل » أي احتشد ، والجراع هو الرمل الطيب الذي لا وعوثة فيه .

(٣) الماء السادم : المتغير ، وجهرته : عرفته وكشفته .

(٤) في م « عيش » .

إنزلوا فنزلوا فقاتلوا القوم ، فقتل أهل فارس مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها ، ثم خرجوا يريدون البصرة إذ غرقت سفنهم ولم يجـــدوا الى الرجوع في البحر سبيلا ، فوجدوا سهرك قد أخـذ على المسلمين بالطرق ، فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم .

ولما بلغ عمر رحمه الله الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر ألقي في روعه نحو من الذي كان ، فاشتد غضبه على العلاء، وكتب اليه بعزله وتوعده، وأمره بأثقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجوه اليه ، بتأمير سعد عليه ، وقال : الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك ، فخرج بمن معه نحو سعد ، وكتب عمر الى عتبة بن غزوان : إن العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصاني ، وأظنه لم يرد الله بذلك فخشيت عليهم أن لا ينصروا ، وأن يغلبوا ، وينشبوا ، فاندب اليهم الناس وإضممهم إليك من قبل أن يحتاجوا ، فندب عتبة الناس وأخبرهم بكتاب عمر رحمه الله ، فانتدب عاصم بن عمرو ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، ومجزأة بن ثور ونهـــار بن الحارث ، والترجمان بن فلان ، والحصين بن أبي الحر ، والأحنف بن قيس ، وسعد بن أبي العرجاء ، وعبد الرحمن بن سهل ، وصعصعة بن معاوية ، فخرجوا في إثني عشر ألفاً على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم أحـد بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، والمسالح على حالها بالأهواز والذمة وهم رده الغازي والمقيم ، فسار أبو سبرة بالناس وساحل لا يكده [1] أحد ، ولا يعرض له حتى التقى أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم بالطريق غب وقعة القوم بطاوس، وإنما كان ولي قتالهم أهل اصطخر وحدهم والشذان من غيرهم ، وقـــد كان أهل إصطخر ، حيث أخذوا على المسلمين بالطرق وأنشبوهم، استصرخوا عليهم أهل

(١) في م « لا يلقاه » .

فارس كلهم فصوبوا [١] إليهم من كل وجه وكوره فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس، وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم وإلى المشركين أمدادهم وعلى المشركين سهرك ، فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين ، وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا وهي الغزاة التي شرفت بها نابتة البصرة، وكانوا أفضل نوابت الأمصار فكانوا أفضل المصرين نابتة ثم انكفؤوا بها أصابوا، وقد عهد اليهم عتبة وكتب اليهم بالحث ، وقلة العرجة ، فانضموا اليه بالبصرة ، فرجع أهلها إلى منازلهم منها ، وتفرق الذين تنقذوا من أهل هجر إلى قبائلهم ، والذين تنقذوا من عبد القيس في موضع سوق البحرين .

ولما أحرز عتبة الأهواز وأوطأ فارس استأذن عمرو في الحج ، فأذن له فلما قضى حجه استعفاه ، فأبى أن يعفيه ، وعزم عليه ليرجعن إلى عمله ، فدعا الله ثم انصرف ، فمات في بطن نخلة [٢] فدفن ، وبلغ عمر رحمه الله فمر به زائراً لقبره ، وقال : أما قتلتك لولا أنه أجل معلوم وكتاب مرقوم ، وأثنى عليه بفضله ، ولم يختط فيمن اختط من المهاجرين ، وإنما ورث ولده منزلهم من فاختة بنت غزوان ، وكانت تحت عثمان بن عفان وكان خباب مولاه قد لزم صحبته فلم يختط ، ومات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين ونصف من مفارقة سعد بالمدائن ، وقد استخلف على الناس أبا سبرة بن أبي رهم ، وعماله على حالهم ومساحه على : نهر تيري ، ومناذر ، وسوق الأهواز ، وسرق ، والهرمزان برام هرمز في مساحه عليها وعلى السوس والثيبان ، وجند يسابور ، ومهرجان قذق، وذلك بعد تنقد الذين حمل كان العلاء في البحر إلى فارس ونزولهم البصرة، وكان يقال لهم [٣] أهل طاوس ، نسبوا إلى الوقعة ، وأمر عمر أبا سبرة بن أبي رهم

---

(١) في م « فضربوا » .

(٢) موضع بالحجاز قريب من مكة .

(٣) أضيفت « لهم » من م .

على البصرة بقية السنة التي مات فيها عتبة ، ثم عزله واستخلف عبد الرحمن بن سهل ، فعمل بقية السنة ، ثم استعمل المغيرة بن شعبة في السنة الثانية من بعد وفاة عتبة ، فعمل عليها بقية تلك السنة ، والسنة التي تليها لم ينتقض أحد في عمله وكان مرزوقاً السلامة .

ذكر فتح رام هرمز والسوس وتستر واسر الهرمزان

وعن سيف رحمه الله عن أصحابه قالوا : ولم يزل يزدجرد يثير أهل فارس أسفاً على ما خرج منهم ، فكتب إل أهل فارس وهـــو يومئذ بمرو يذكرهم الأحقاد ، ويؤنبهم أن قد رضيتم يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه والأهواز ، ثم لم يرضوا بذلك توردونكم في بـلادكم وعقر داركم ، فتحزبوا وتكاتبوا : أهل فارس ، وأهل الأهواز وتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا على النصرة ، وجاءت الأخبار حرقوص بن زهير وجاءت جزءا وحرملة عن خبر غالب وكليب ، فكتب سلمى وحـرملة إلى عمر وإلى المسلمين بالبصرة فسبق كتاب سلمى وحرملة ، وكتب عمر إلى سعد أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرن ، وعجل ، وابعث سويد بن مقرن وعبد الله بن ذي السهمين وجرير بن عبد الله الحميري ، وجرير بن عبد الله البجلي فلينزلوا بإزاء الهرمزان حتى يتبينوا أمره .

وكتب إلى أبي موسى أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهيل ابن عدي ، وابعث معه البراء بن مـــالك ، وعاصم بن عمرو ، ومجزأة بن ثور وكعب بن سور وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، وعبد الرحمن بن سهل ،

والحصين بن معبد ، وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم، وكل من أتاه فمدد له ، وخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة ، فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بحيال ميسان،ثم أخذ البر إلى الأهواز على البغال يحنبون الخيل وانتهى إلى نهر تيري فجازها ، وجاز منازر ، ثم جاز سوق الأهواز ، وخلف حرقوصاً وسلمى وحرملة ، ثم سار نحو الهرمزان يومئذ برام هرمز، ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة ورجا أن يقتطعه ، وقد طمع الهرمزان في نصر أهل فارس ، وقد أقبلوا نحوه ونزلت أوائل أمدادهم بتستر، فالتقى النعمان والهرمزان بأربك،فاقتتلوا قتالاً شديداً،ثم إن الله هزم الهرمزان للنعمان ، وأخلى رام هرمز وتركها ولحق بتستر ، وسار النعمان من أربك حتى ينزل برام هرمز ثم صعد لإيذج [1] فصالحه عليها تيرويه فقبل منه وتركه ورجع إلى رام هرمز فأقام بها .

قالوا : ولما كتب عمر إلى سعد وأبي موسى ، وسار النعمان وسهل ، سبق النعمان في أهل الكوفة سهلاً وأهل البصرة ونكث [2] الهرمزان، وجاء سهل في أهل البصرة حتى نزلوا سوق الأهواز وهم يريدون رام هرمز ، فأتتهم الوقعة بسوق الأهواز ، وأتاهم الخبر أن الهرمزان قد لحق بتستر فمالوا من سوق الأهواز نحوه، فكان وجههم منها إلى تستر ، ومال النعمان من رام هرمز إليها. وخرج سلمى وحرملة وحرقوص وجزء فنزلوا جميعاً على تستر : النعمان على أهل الكوفة وأهل البصرة متساندون ، وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس ، وأهل الجبال والأهواز، في الخنادق ، وكتبوا بذلك إلى عمر رحمه الله،واستمده أبو سبرة فأمده بأبي موسى فساجلوهم،وعلى أهل الكوفة : النعمان ، وعلى أهل البصرة : أبو موسى ، وعلى الفريقين جميعاً أبو سبرة،فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل ، وقتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على

(١) كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان ، معجم البلدان .
(٢) في م « ونكب » .

المسلمين مبارزة مائة ، سوى من قتل في غـــير ذلك ، وقتل مجزأة بن ثور مثل ذلك ، وقتل كعب بن سور مثل ذلك ، وقتل أبو تميمة مثل ذلك في عـدة من أهل البصرة ، وفي الكوفيين مثل ذلك منهم حبيب بن قرة وربعي بن عامر ، وعامر بن عبـد الأسود ، وكان من الرؤساء في ذلك ما ازدادوا بـــه إلى ما كان منهم .

وزاحفهم المشركون في أيام تستر ثمانين زحفاً في حصارهم يكون عليهم مرة ولهم أخرى حتى إذا كان في آخر زحف منها ، واشتد القتال قـال المسلمون : يا براء أقسم على ربك ليهزمهم لنا ، قال : اللهم أهزمهم لنا واستشهدني، قال : فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ، ثم اقتحموها عليهم ، وآزروا إلى مدينتهم وأحاطوا بها فبيناهم على ذلك ، وقد ضاقت المدينة بهم ، وطالت حربهم خرج إلى النعمان رجل فاستأمنه على أن يـدله على مدخل يؤتون منه فأمنه ورمى في ناحية أبي موسى بسهم قد وثقت بـكم وأمنتكم واستأمنتكم على إن دللتكم على ما تأتون منه المدينة، ويكون فتحها منه، فأمنوه في نشابة فرمى إليهم بأخرى وقال : انهدوا من قبل مخرج الماء فإنكم ستفتحونها ، فاستشاروا في ذلـــك، وندب إليه ، فانتدب له عامر بن عبد القيس ، وكعب بن سور ومجزأة بن ثور، وحسكة الحبطي ، وبشر كثير فنهدوا لذلك المكان ليلا .

وقد ندب النعمان أصحابه حين جاءه الرجل فانتدب له : سويـد بن المثعبة وورقاء بن الحارث، وبشر بن ربيعة الخثعمي ، ونافع بن زيد الحميري ، وعبد الله ابن بشر الهلالي ، فنهدوا في بشر كثير ، فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلـــك المخرج ، وقد إنسرب سويد وعبد الله بن بشر ، فاتبعهم هؤلاء وهؤلاء حتى إذا اجتمعوا فيها والناس على رجل من خارج كبروا فيها، وكبر المسلمون من خارج وفتحت الأبواب فاجتلدوا فيها ، فأناموا كل مقاتل وآزر الهرمزان إلى القلعـة فأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء ، فلما عاينوه وأقبلوا قبله ، قال لهـــم:

ما شئتم قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم ، وإن معي في جعبتي مائة نشابة ووالله لا تصلون إلي ما دامت معي نشابة ، وما يقع لي سهم ، وما خير إساري إذا أصبت منكم مائة بين قتيل أو جريح ؟! قالوا : فتريد ماذا ؟ قال : أن أضع يدي في أيديكم على حكم عمر يصنع بي ما شاء ، قالوا : فذلك لك فرمى بقوسه وأمكنهم من نفسه ، فشدوه وثاقاً ، واقتسموا ما أفاء الله عليهم ، فكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف والراجل ألفاً ، ودعا [1] صاحب الرمية بها ، فجاء هو والذي خرج بنفسه ، فقالا : من لنا بالأمان الذي طلبنا علينا وعلى من مال معنا ؟ قالوا : ومن مال معكم ؟ قالا : من أغلق عليه بابه مدخلكم ، فأجازوا ذلك لهم ، وقتل من المسلمين ليلتئذ أناس كثير ، ومن قتل الهرمزان بنفسه مجزأة بن ثور ، والبراء بن مالك .

قالوا : وخرج أبو سبرة في أثر الفل من تستر ، وقد قصدوا للسوس إلى السوس ، وخرج معه بالنعمان وبأبي موسى ، ومعهم الهرمزان حتى ينزلوا على السوس ، وأحاط المسلمون بها ، وكتبوا بذلك إلى عمر رحمه الله ، فكتب عمر إلى عمر بن سراقة بأن يسير نحو المدينة ، وكتب إلى أبي موسى فرده على البصرة وقد رد أبا موسى على البصرة ثلاث مرات بهذه ، ورد عمر عليها مرتين ، وكتب إلى ذر بن عبد الله بن كليب الفقيمي أن يسير إلى جند يسابور فسار حتى نزل عليها ، وانصرف أبو موسى إلى البصرة بعدما أقام إلى رجوع كتاب عمر .

وأمر عمر رحمه الله على جند البصرة : المقترب الأسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك ، وكان الأسود وذر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين ، وكان الأسود قد وفد على رسول الله ﷺ ، وقال : جئت لأقترب إلى الله بصحبتك فسماه المقرب ، وكان ذر قد وفد على رسول الله ﷺ وقال : ففي بطني وكثر اخوتنا فادع الله لنا ، فقال : اللهم أوف لذر عمره فتحول إليهم العدد ، ووفد

(١) كتب فوقها بالأصل : أي تكلم بسبب رميته .

أبو سبرة وفداً فيهم أنس بن مالـــك ، والأحنف بن قيس ، وأرسل الهرمزان معهم ، فقدموا مع أبي موسى البصرة ، ثم خرجوا نحو المدينة حتى اذا دخلوا هيئوا الهرمزان في هيئته ،فألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب ، ووضعوا على رأسه تاجاً يدعى الاذبق مكللاً بالياقوت وعليه حليتـــه كيما يراه عمر والمسلمون في هيئته ،ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله ، فلم يجدوه ، فسألوا عنه فقيل لهم : جلس في المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة ، فانطلقوا يطلبونه في المسجـــد فلم يروه ، فلما انصرفوا مروا بغلمان من أهل المدينة يلعبون فقالوا لهم : ما تلددكم [1] تريدون أمير المؤمنين ، فإنه نائم في ميمنـــة المسجد متوسد برنسه .

وكان عمر رحمه الله قد جلس لوفد الكوفة في برنس ، فلما فرغ من كلامهم ، وارتفعوا عنه وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام فانطلقوا ومعهم النظارة حتى إذا رأوه جلسوا دونه ، وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره ، والدرة في يده معلقها ، فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا ، وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه ، وأصغى الهرمزان إلى الوفد فقال : أين حرسه وحجابه عنه ؟ فقالوا : ليس له حارس ولا حاجب ، ولا كاتب ، ولا ديوان ، فقـــال : ينبغي أن يكون نبياً ، فقالوا : بل يعمل بعمل الأنبياء ، وكثر الناس فاستيقظ عمر رحمه الله بالجلبه [2] فاستوى جالساً ثم نظر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان ؟ قالوا نعم : فتأمله وتأمل ما عليه ، ثم قال : أعـوذ بالله من النار ، واستعين بالله وقال : الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشياعه يا معشر المسلمين تمسكوا بهـذا الدين واهدوا بهدي نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غدارة ، فقال الوفد : هذا

---

(١) تلدد : تلفت يميناً وشمالاً . القاموس .

(٢) في م « الحلبة » .

ملك الأهواز فكلمه ، فقال : لا حتى لا يبقي عليه من حليته شيء فرمى عنه بكل شيء عليه إلا شيئاً يستره ، وألبسوه ثوباً صفيقاً [١] .

فقال عمر رحمه الله : هي يا هرمزان ، كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان معكم غلبتمونا ، فقال عمر : إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا،ثم قال عمر : ماعذرك وما حجتك في انتقاضك مرة بعد مرة ؟ فقال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك ، فقال لا تخف ذلك ، واستسقي ماء فأتي به في قدح غليظ فقال : لو مت عطشاً لم أستطع أشرب في مثل هذا ، فأتي به في إناء يرضاه ، فجعلت يده ترعد ، وقال : إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب ، فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه ، فأكفأه فقال عمر : أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش ، فقال : لا حاجة لي في الماء إنما أردت أن أستأمن به ، فقال عمر رحمه الله : إني قاتلك، قال : قد أمنتني، فقال : كذبت ، فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته قال : ويحك يا أنس أنا أؤمن قاتل مجزأة والبراء بن مالك ، والله لتأتين بالمخرج [٢] وإلا عاقبتك ، قال : قلت له : لا بأس عليك حتى تخبرني ، وقلت له لا باس عليك حتى تشربه ، وقال له من حوله مثل ذلك ، فأقبل على الهرمزان وقال خدعتني والله لا أخدع إلا أن تسلم فأسلم ففرض له على ألفين وأنزله المدينة .

وعن أبي حبيس قال: كان الترجمان يوم الهرمزان المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجم ، وكان المغيرة يفقه من الفارسية شيئاً ، فقال عمر للمغيرة : قل له : من أية أرض أنت ؟ فقال المغيرة : أذكذ أم أرضيه : فقال ؟ مهرجاني ، فقال: تكلم بحجتك ، قال : كلام حي أو ميت ؟ قال : بل كلام حي ، قال : قد

---

(١) ثوب صفيق : ضد سخيف . القاموس .

(٢) في م « بمخرج » .

أمنتني ، قال : خدعتني ، إن للمخدوع في الحرب حكمه ، لا والله لا أؤمنك إلا أن تسلم ، فايقن أنه القتل أو السلم فأسلم ، ففرض لـــه على ألفين ، وأنزله المدينة ، وقال للمغيرة : ما أراك بها حاذقا ، ما أحسنها منكم أحد إلا خب ، ولا خب [1] إلا دق ، اياكم واياها فإنها تنقض الإعراب ، وأقبل زيـد فكلمه وأخبر عمر بقوله ، والهرمزان بقول عمر رحمه الله .

وعن الحسن قال : قال عمر رحمه الله للوفد : لعل المسلمين يقضون إلى أهل الذمة بأذى أو بأمور لهـا ما ينتقضون بكم ؟ فقالوا : لا نعلم الا وفاء وحسن ملكة ، قال : فكيف هذا [2] ؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئاً يشفيه ، ويبصر به ما يقولون إلا ما كان من الأحنف ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرك انك نهيتنا عن الإنسياح في البلاد ، وأمرتنا بالاقتصار على ما كان في أيـدينا ، وان ملك فارس حي بين أظهرهم ، وانهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت انا لم ناخـذ شيئاً بعد شيء الا بانبعاثهم [3] ، وان ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تاذن لنا فنسيح في بلادهم حتى نزيله عن فارس ، ونخرجـه عن مملكته وعزامته فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ، ويضربوا جأشاً ، فقال : صدقتني والله وصرحت لي الأمر عن حقه ، ونظر في حوائجهم وسرحهم ، وقدم الكتاب على عمر رحمه الله باجتماع أهل نهاوند ، وانتهاء اهل مهرجان قذق ، وأهل كور الأهواز الى رأي الهرمزان ومشيئته ، فذلك كان سبب أذن عمر رحمـــه الله لهم في الانسياح .

---

(١) الخب : الخداع والخبث والغش .

(٢) في حاشية الأصل : أي ما سبب غدر أهل فارس مع حسن سيرة المسلمين .

(٣) في م « بابتعاثهم » .

ذكر فتح السوس

قال أبو جعفر الطبري : اختلف أهل السير في أمرها ، فاما المدائني فإنه فيما حدثنا عنه أبو زيد قال : لما انتهى فل جلولاء الى يزدجرد ، وهو بحلوان دعا بخاصته والموبذ [١] ، فقال : ان القوم لا يلقون جمعاً الا فلوه فما ترون ؟ فقال الموبذ : نرى أن نخرج فننزل اصطخر ، فإنها بيت المملكة وتضم اليك خزائنك وتوجه الجنود ، فاخذ برأيه وصار الى أصبهان ، ودعا سياه فوجهه في ثلاثمائة ، فيهم سبعون رجلا من عظمائهم ، وأمره أن ينتخب من كل بلدة يمر بها من أحب ، فمضى سياه واتبعه يزدجرد حتى نزلوا اصطخر وأبو موسى محاصر السوس ، فوجه سياهاً الى السوس والهرمزان الى تستر ، فنزل سياه الكلتانية [٢] وبلغ أهل السوس أمر جلولاء ونزول يزدجرد اصطخر منهزماً فسألوا أبا موسى الأشعري الصلح فصالحهم ، وسار الى رام هرمز وسياه بالكلتانية ، وقد عظم أمر المسلمين عنده ، فلم يزل مقيماً حتى سار أبو موسى الى تستر ، فتحول سياه فنزل بين رام هرمز وتستر حتى قدم عمار بن ياسر ، فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من أصبهان ، فقال : قد علمتم أنا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة ، وترون دوابهم في ايوانات اصطخر ومصانع الملوك ، ويشدون خيولهم بشجرها ، وقد غلبوا على

(١) من أعلى أصحاب المراتب الدينية في فارس الزرادشتية .

(٢) موضع ما بين السوس والصيمرة ، معجم البلدان .

(٣) أضيفت «خرجوا» من م .

ما رأيتم ، وليس يلقون جنداً الا فلوه ، ولا ينزلون بحصن الا فتحوه فانظروا لأنفسكم ؟ قالوا : رأينا رأيـــك ، قال : فليكفني كل رجل منكم حشمه والمنقطعين اليه ، فإني أرى أن ندخل في دينهم .

ووجهوا شيرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى فأخذ لهم شروطاً على أن يدخلوا في الإسلام ، فقدم شيرويه على أبي موسى فقال : إنا قـــد رغبنا في دينكم فنسلم على أن نقاتل معكم العجم ، ولا نقاتل معكم العرب ، وإن قاتلنا أحد من العرب منعتمونا منهم وننزل حيث شئنـــا ، ونكون فيمن شئنا منكم ، وتلحقونا بأشراف العطاء ، ويعقد لنا بذلك الذي هو فوقك ، فقال أبو موسى: بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، قال : لا نرضى وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فكتب إلى أبي موسى أعطهم ما سألوك ،فكتب لهم أبو موسى فأسلموا وشهدوا معه حصار تستر فلم يكن أبو موسى يرى منهم جداً ولا نكاية ، فقال لسياه : يا أعور ما أنت وأصحابك كما كنا نرى ، قال : لسنا مثلكم في هذا الدين ولا بصائرنا كبصائركم ، وليس لنا فيكم حرم نحامي عنهم ، ولم تلحقونا بأشراف العطاء ولنا سلاح وكراع وأنتم حسر فكتب أبو موسى إلى عمر رحمه الله في ذلك ، فكتب اليه عمر أن ألحقهم على قدر البلاء في أفضـــل العطاء وأفضل[1] شيء أخذه أحد من العرب ، ففرض لمائة منهم في ألفين ألفين، ولستة منهم في ألفين وخمسمائة : لسياه وخسرو ، ولقبه مقلاص ، وشهريار وشيرويه ، وأفروذين[2] فقال الشاعر .

لما رأى الفاروق حسن بلائهم وكان بما يأتي من الأمر أبصرا
فسن لهم ألفين فرضاً وقد رأى ثلاث مئين فرض عك وحميرا

قال : فحاصروا حصنا بفارس ، فمشى سياه في آخر الليل في زي العجم

---

(١) في م « وأكثر » .

(٢) عد هؤلاء خمسة إذا اعتبرنا مقلاص لقباً لخسرو .

حتى رمى بنفسه إلى جنب الحصن ، ونضح ثيابه بالدم ، وأصبح أهل الحصن فرأوا رجلاً في زيهم صريعاً فظنوا أنه رجل منهم أصيبوا بـــه ، ففتحوا باب الحصن ليدخلوه وثار فقاتلهم حتى خلوا[1] باب الحصن وهربوا ، ففتح الحصن وحده ودخله المسلمون وقوم يقولون فعل هذا الفعل سياه بتستر ، وحاصروا حصناً ، فمشى خسرو إلى الحصن ، فأشرف عليه رجل منهم ، فكلمه فرمـاه خسرو بنشابة ، فقتله .

وأما سيف : فإنه قال عن شيوخه عن أبي عثمان ، قال : لما نزل أبو سبرة في الناس على السوس وأحاط المسلمون بها وعليهم شهريار أخو الهرمزان ، ناوشهم مرات كل ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين ، فأشرف يوماً[2] عليهم الرهبان والقسيسون ، فقالوا يا معشر العرب إن مما عهد إلينا علماؤنا وأوائلنا إنـــه لا يفتح السوس إلا الدجال ، أو قوم فيهم الدجال فإن كان الدجال فيكم فستفتحونها ، وإن لم يكن الدجال فيكم ، فلا تعنوا بحصارنا ، وجاء صرف أبي موسى إلى البصرة ، وعمل على أهل البصرة المقترب مكان أبي موسى بالسوس ، واجتمع الأعاجم بنهاوند والنعمان على أهل الكوفة ، فحاصر أهل السوس مع أبي سبرة ، وزر محاصراً أهل جنديسابور فجاء كتاب عمر رحمه الله بصرف النعـــمان إلى نهاوند من جهة[3] ذلك وضرب على[4] أهل الكوفة البعث مع حذيفة ، وأمرهم بموافاته بنهاوند ، وأقبل نعمان على التهيؤ للمسير إلى نهاونـــد ، ثم استقل في تعبئته فناوشهم قبل مضيه ، فعـاد الرهبان والقسيسون وأشرفوا على المسلمين وغاظوهم ، وصاف بن صياد يومئذ مـع النعمان في خيله ، وناهدهم المسلمون

---

(١) في م « دخلوا » .
(٢) أضيفت « يوما » من م .
(٣) في م « وجهه » .
(٤) أضيفت « على » من م .

جميعاً ، وقالوا : نقاتلهم قبل أن نفارق ، ولما يخرج أبو موسى بعد ، وأتى صاف باب السوس غضبان ، فدقه برجله فقال: افتح، فطار فتقطعت السلاسل، وتكسرت الأغلاق ، وتفتحت الأبواب ، ودخل المسلمون فألقى المشركون بأيديهم ، وتنادوا الصلح الصلح ، وأمسكوا بأيديهم ، فأجابوهم إلى ذلك بعد ما دخلوها عنوة ، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح ، ثم افترقوا فخرج النعمان في أهل الكوفة من الأهواز حتى ينزل على ماه وسرح أبو سبرة المقترب حتى ينزل على أهل جند يسابور مع ذر ، فأقام النعمان بعد دخول ماه حتى وافاه أهل الكوفة ، ثم نهد بهم إلى أهل نهاوند ، فلما كان الفتح رجع صاف إلى المدينة وأقام بها ومات بالمدينة .

ذكر فتح جنديسابور

سيف عن شيوخه قالوا : ولما فرغ أبو سبرة من السوس خرج في جنده حتى ينزل على جند يسابور ، وذر بن عبد الله بن كليب فحاصرهم ، فأقاموا عليها يغادرونهم ويراوحونهم القتال ، فما زالوا مقمين عليها حتى رمي إليهم بالأمان من عسكر المسلمين ، وكان فتحها وفتح نهاوند في مقدار شهرين ، فلم يفجأ المسلمين إلا وأبوابها تفتح ، ثم خرج السرح وخرجت الأسواق ، وانبث أهلها ، فأرسل المسلمون ، أن مالكم ؟ قالوا : رميتم إلينا بالأمان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزي على أن تمنعونا ، فقالوا : ما فعلنا ، وقالوا : ما كذبنا ، فسأل المسلمون فيما بينهم ، فإذا عبد يدعى مكنفاً ، كان أصله منها هو الذي كتب لهم ، فقالوا : إنما هو عبد ، قالوا : إنا لا نعرف حركم من عبدكم ، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه ولم نبدل فإن شئتم فاغدروا [1] ، فأمسكوا عنهم ، وكتبوا

(١) في م « فاعذروا » .

بذلك إلى عمر ، فكتب اليهم عمر : إن الله عظم الوفاء ، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا ، مـــا دمتم في شك أجيروهم ، وفوا لهم ، فوفوا لهم ، وانصرفوا عنهم ، وقال عاصم بن عمرو في ذلك :

لعمري لقد كانت قرابة مكنف قرابة صدق ليس فيها تقاطع
أجارهم من بعد ذل وقـــلة وخوف شديد والبلاد بـلاقع
فجاز جوار العبد بعد اختلافنا وردّ أموراً كان فيها تنازع
إلى الركن والوالي المصيب حكومة فقال بحق ليس فيه تخادع
فلله جندي شاهبور لقد نجت غداة مَنَتْها بالبـــلاء اللوامع

* * *

حديث وقعة نهاوند

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : وكان ابتداء ذلك فيما حكى ابن اسحاق ، قال : كان النعمان بن مقرن عاملاً على كسكر فكتب إلى عمر رحمه الله يخبره أن سعد بن أبي وقاص استعمله على جباية الخراج ، وقد أحببت الجهاد ورغبت فيه ، فكتب عمر الى سعد إن النعمان كتب إلي يذكر أنك استعملته على جباية الخراج ، وأنه قد كره ذلك ورغب في الجهاد ، فابعث به الى أهم وجوهك إلى نهاوند، وقد اجتمعت بنهاوند الأعاجم عليهم ذو الحاجب رجل منهم ، وكتب عمر الى النعمان بن مقرن :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، الى النعمان بن مقرن : سلام عليك ، فاني أحمد الله اليك الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنه بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله ، وبعون الله ، وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ولا تبخسهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحب إلى من مائة الف دينار ، والسلام عليك » . فسار اليه النعمان ، ومعه وجوه أصحاب النبي ﷺ منهم : حذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وجرير بن عبد الله البجلي، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الأسدي ، وقيس بن مكشوح المرادي .

فلما انتهى النعمان بن مُقرن في جنده الى نهاوند، طرحوا له حسك الحديد فبعث عيوناً ، فساروا ولا يعلمون بالحسك فزجر بعضهم فرسه ، وقد دخلت في

يده حسكة ، فلم يبرح فنزل فنظر في يده ، فإذا في حافره حسكة ، فأقبل بها وأخبر النعمان الخبر ، فقال النعمان للناس : ما ترون ؟ قالوا انتقل من منزلك حتى يروا إنك هارب ، فيخرجوا في طلبك ، فانتقل النعمان من منزله ذلك ، وكنست الأعاجم الحسك ، ثم خرجوا في طلبه ، وعطف عليهم النعمان فضرب عسكره ثم عبأ كتائبه ، وخطب الناس ، فقال : إن أصبت فعليكم حذيفة ابن اليمان ، وان أصيب فعليكم جرير بن عبد الله ، فإن أصيب جرير بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح ، فوجد المغيرة بن شعبة في نفسه اذ لم يستخلفه ، فأتاه فقال: ما تريد أن تصنع فقال : اذا أظهرت قاتلتهم ،رأيت رسول الله ﷺ يستحب ذلك ، قال المغيرة : لو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال ، قال له النعمان : ربما باكرت القتال ، ثم لم يسود الله وجهك ، وذلك يوم الجمعة فقال النعمان : نصلي انشاء الله ثم نلقى عدونا دبر الصلاة ، ففعل ، فلما تصافوا ، قال النعمان للناس : اني مكبر ثلاثاً فإذا كبرت الأولى فشد رجل شسعه وأصلح من أمره فإذا كبرت الثانية فشد رجل ازاره وتهيأ لوجه حملته ، فإذا كبرت الثالثة فاحملوا عليهم فإني حامل ، وخرجت الأعاجم قد شدوا أنفسهم بالسلاسل لئلا يفروا ، حمل عليهم المسلمون فقاتلوهم ، فرمي النعمان بنشابة فقتل يرحمه الله ، ولفه أخوه سويد بن مقرن في ثوبه وكتم قتله ، حتى فتح الله عليهم ، ثم دفع الراية الى حذيفة بن اليمان ، وقتل الله ذا الحاجب ، وافتتحت نهاوند ، فلم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة .

قال : وقد كان فيما ذكر لي بعث عمر بن الخطاب رحمه الله السائب بن الأقرع ، مولى ثقيف ، وكان رجلاً كاتباً حاسباً ، فقال : إلحق بهذا الجيش فكن فيهم ، فإن فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيئهم ، وخذ خمس الله وخمس رسوله ، وإن هذا الجيش أصيب فاذهب في سواد الأرض ، فبطن الأرض خير من ظهرها ، قال السائب : فلما فتح الله على المسلمين نهاوند ،

وأصابوا غنائم عظاماً ، فوالله إني لأقسم بين الناس إذ جاءني علج من أهلها ، فقال: أتؤمنني على نفسي وأهلي وأهل بيتي على أن أدلك على كنوز النخيرجان، وهي كنوز آل كسرى تكون لك ولأصحابك[1] لا يشرككم فيها أحد؟ قال: قلت : نعم،قال : فابعث معي من أدله عليها فبعث معه ، فأتى بسفطين عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزبرجد والياقيت ، فلما فرغت من قسمي بين الناس ، احتملتهما معي ، ثم قدمت على عمر بن الخطاب رحمه الله ، فقال : ما وراءك يا سائب فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين ، فتح الله عليك بأعظم الفتح ، واستشهد النعمان بن مقرن يرحمه الله ، فقال عمر : إنا لله وإنا اليه راجعون ، ثم بكى حتى نشج حتى إني لأنظر إلى فروع منكبيه من فوق كتده[2] .

قال : فلما رأيت مالقي قلت : والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل يعرف وجهه ، فقال : المستضعفون من المسلمين ، لكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يصنعون بمعرفة عمر بن أم عمر ، ثم قام ليدخل ، فقلت إن معي مالاً عظيماً قد جئت به ، قال : ثم أخبرته خبر السفطين،قال : أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما، والحق يجندك ، قال : قال : فأدخلهما بيت المال وخرجت سريعاً إلى الكوفة ، قال وبات تلك الليلة التي خرجت فيها ، فلما أصبح بعث في أثري رسولاً فوالله ما أدركني حتى دخلت الكوفة ، فأناخ بعيري وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري ، فقال : إلحق بأمير المؤمنين قد بعثني في طلبك فلم أقدر عليك إلا الآن ، قال : قلت ويلك ولماذا ؟ قال : لا أدري والله ، قال : فركبت معه حتى قدمت عليه ، فلما رآني، قال : مالي ولابن أم السائب بل ما لابن أم السائب ومالي ! قال : قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك والله إن هو إلا أني[3] نمت في الليلة

---

(١) في الأصل « وتكون لك ولصاحبك » وقد اعتمدت رواية م .

(٢) الكتد هو الكاهل مجتمع الكتفين من الإنسان .

(٣) في م « أن » .

التي خرجت فيها ، فباتت ملائكة الله تستحثني إلى ذينك السفطين يشتعلان ناراً يقولون لنكوينك بهما ، فأقول : اني سأقسمهما بين المسلمين فخذهما عني لا أبالك ، فالحق بهما فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم ، قال : فخرجت بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة ، وغشيني التجار فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألف [1] ألف ، ثم خرج بهما الى أرض الأعاجم ، فباعهما بأربعة آلاف ألف درهم فما زال أكثر أهل الكوفة مالاً بعد.

وعن الطبري باسناده أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال للهرمزان حين أمنه لا بأس انصح لي ، قال : نعم ، قال : فإن فارس اليوم رأس وجناحان ، قال : وأين الرأس ؟ قال : بنهاوند مع بندار فإن معه أساورة كسرى وأهل أصبهان ، قال : وأين الجناحان ؟ فذكر مكاناً نسيته ، قال : فاقطع الجناحين يهن الرأس ، فقال عمر : كذبت يا عدو الله بل أعمد إلى الرأس فأقطعه فإذا قطعه الله لم تعص عليه الجناحان ، قال : فأراد أن يسير إليه بنفسه فقالوا : نذكرك الله يا أمير المؤمنين ، أن تسير بنفسك الى حلبة العجم ، فإن أصبت لم يكن للمسلمين نظام ، ولكن ابعث الجنود ، فبعث أهل المدينة ، وبعث فيهم عبد الله بن عمر ، فيهم المهاجرون والأنصار .

وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن سر بأهل البصرة ، وكتب إلى حذيفة بن اليماني أن سر بأهل الكوفة حتى تجتمعوا جميعاً بنهاوند ، وكتب « إذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن المزني » ، فلما اجتمعوا بنهاوند أرسل بندار العلج اليهم أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ، فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة ، قال : فكأنما أنظر إليه رجلاً طويل الشعر أعور ، فأرسلوه إليه فلما جاء سألناه فقال : وجدت العلج قد استشار أصحابه ، فقال : بأي شيء تأذن لهذا : بشارتنا وبهجتنا وملكنا ، أو نتقشف له فيما قبلنا حتى يزهد ؟ فقال : لا بل بأفضل ما

---

(١) في م « بألفي » .

يكون من الشارة والعدة ، فتهيؤوا بها ، فلما أتيتهم كادت تلك الحراب والنيازك يلتمع منها البصر ، وإذا هم على رأسه مثل الشياطين ، وإذا هو على سرير من ذهب على رأسه التاج ، قال : فمضيت كما أنا ونكست ، قال : فدفعت ونهنهت ، فقلت : الرسل لا يفعل بهم هذا ، فقالوا : إنما أنت كلب ، فقلت : معاذ الله لأنا في قومي أشرف من هـذا في قومه ، فانتهروني وقالوا : اجلس فأجلسوني ، قال : وترجم له قوله إنكم يا معشر العرب أبعد الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعاً وأشقى الناس شقاء ، وأقذر الناس قذراً ، وأبعده داراً وما منعني أن آمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينظموكم بالنشاب إلا تنجسا لجميعكم [1] فإنكم أرجاس ، فإن تذهبوا نخل عنكم ، وإن تأتوا نركم مصارعكم ، قال : فحمدت الله وأثنيت عليه فقلت: والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً ولا من نعتنا ، إن كنا لأبعد الناس داراً وأشد الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاء ، وأبعد الناس من كل خير حتى بعث الله إلينا رسوله ﷺ ، فوعدنا النصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة ، فوالله ما زلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله : الفتح ، والنصر ، حتى أتيناكم وإنا والله لا نرجع الى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما في أيديكم ، أو نقتل بأرضكم ، فقال : أما والله إن الأعور لقد صدقكم الذي في نفسه ، قال : فقمت وقد والله أرعبت العلج جهدي ، قال : فأرسل الينا العلج إما أن تعبروا الينا نهاوند وإما أن نعبر اليكم فقال النعمان : اعبروا .

قال جبير : فلم أر والله مثل ذلك اليوم إنهم يجيئون كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفروا من العرب ، وقد قرن بعضهم بعضاً سبعة في قران وألقوا حسك الحديد خلفهم ، وقالوا : من فر منا عقره حسك الحديد .

فقال المغيرة : حين رأى كثرتهم : لم أر كاليوم فشلا ، إن عدونا يتركون

---

(١) في م « لجيفكم » وهو أقوم .

يتأهبون لا يعجلون ، أما والله لو أن الأمر إلي لقد أعجلتهم ، وكان النعمان بن مقرن رجلاً لينا ، فقال له : قد كان الله أشهدك أمثالها فلا يحزنك ولا يعيبك موقفك ، إنه والله ما منعني أن أناجزهم إلا شيء شهدته من رسول الله ﷺ ، كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار ، ولم يعجل حتى تحضر الصلاة وتهب الأرواح ، ويطيب القتال ، فما منعني إلا ذلك ، اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل يذل به الكفار ، ثم أقبضني اليك بعد ذلك على الشهادة ، أمنوا يرحمكم الله ، فأمنا وبكينا ، ثم قال : إني هاز لوائي فتيسروا للسلاح ، ثم هاز الثانية فكونوا متأهبين لقتال عدوكم ، فإذا هززت الثالثة ، فليحمل كل قوم على من يليهم من عدوهم على بركة الله .

قال : وجاؤوا بحسك الحديد ، قال : فجعل يثبت حتى إذا حضرت الصلاة ، وهبت الأرواح ، كبر وكبرنا ، وقال : أرجو أن يستجيب الله لي ، ويفتح علي ، ثم هز اللواء فتيسرنا للقتال ، ثم هز الثانية ، فكنا بإزاء عدونا ، ثم هزه الثالثة ،قال : فكبر المسلمون ، وقالوا : فتحاً يعز الله به الإسلام وأهله، ثم قال النعمان : إن أصبت فعلى الناس حذيفة بن اليمان وإن أصيب حذيفة فلان ، وإن أصيب فلان فلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ، ثم هز اللواء ثالثة فحمل كل إنسان على من يليه من العدو ، وقال : فوالله ما علمت أحداً من المسلمين يومئذ يريد أن يرجع الى أهله حتى يقتل أو يظفر .

قال : فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة ، فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض في قياد ، فيقتلون جميعاً ، وجعل يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوا خلفهم ، فقال النعمان : قدموا اللواء فجعلنا نقدم اللواء ونقتلهم ونهزمهم ، فلما رأى أن الله سبحانه قد استجاب له ، ورأى الفتح جاءته نشابة ، فأصابت خاصرته ،

فقتلته ، قال : فجاء أخوه معقل فسجى عليه ثوباً ، وأخذ اللواء ، فقاتل ثم ، قال : تقدموا نقتلهم ونهزمهم ، فلما اجتمع الناس ، قالوا : أين أميرنا ؟ قال معقل : هذا أميركم قد أقر الله عينيه بالفتح وختم الله له بالشهادة ، قال : فبايع الناس حذيفة ، وعمر رحمه الله بالمدينة يستنصر الله ويدعوه مثل الحبلى . قال : فكتب الى عمر بن الخطاب رحمه الله بالفتح مع رجل من المسلمين ، فلما أتاه قال له : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح أعز الله به الإسلام وأهله ، وأذل فيه الكفر وأهله ، قال : فحمد الله عمر ، ثم قال : النعمان بعثك ؟ قال : احتسب النعمان يا أمير المؤمنين ، قال : فبكى عمر رحمه الله ، واسترجع ، قال : ومن ويحك ؟ قال : فلان وفلان حتى عد له ناساً كثيراً قال : وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم ، فقال عمر رضي الله عنه وهو يبكي : لا يضرهم أن لا يعرفهم عمر ولكن الله يعرفهم [١] .

قال أبو جعفر الطبري : وأما سيف فإنه ذكر عن شيوخه أن الذي هاج أمر نهاوند أن أهل البصرة لما أشجوا الهرمزان ، وأعجلوا أهل فارس عن مصاب جند العلاء ووطؤوا أهل فارس كاتبوا ملكهم ، وهو يومئذ بمرو ، فحركوه ، فكاتب الملك أهل الجبال من بين الباب [٢] والسد ، وخراسان وحلوان ، فتحركوا وتكاتبوا ، وركب بعضهم إلى بعض ، فأجمعوا أن يوافوا نهاوند ، ثم يبرموا فيها أمورهم ، فتوافى إلى نهاوند أوائلهم .

وبلغ سعد [٣] الخبر عن قباذ صاحب حلوان ، فكتب إلى عمر بذلك ، فنزا بسعد رحمه الله أقوام ، وألبوا عليه فيما بين تراسل القوم واجتماعهم إلى

---

(١) الطبري : ٤/١١٧-١٢٠ .

(٢) الباب هنا دربند أو باب الأبواب ، وأما المراد بالسد فسد ذي القرنين الوارد ذكره بالقرآن الكريم .

(٣) في حاشية الأصل : « قصه عزل سعد عن الكوفة » .

نهاوند ، ولم يشغلهم ما دهم المسلمين من ذلك وكان ممن نهض الجراح بن سنان الأسدي في نفر ، فقال عمر رحمه الله : إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الأمر ، وقد استعد لكم من استعد ، وأيم الله لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم ، وإن نزلوا بكم ، فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للأعاجم ، والأعاجم في الإجتماع وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذي يقتص آثار من شكا زمان عمر ، فقدم محمد على سعد ليطوف به على أهل الكوفة ، والبعوث تضرب على أهل الكوفة الى نهاوند ، فطوف به على مساجد أهل الكوفة ولا يتعرض المسألة عنه في السر وليست المسألة عنه في السر من شأنهم إذ ذاك ، فكان لا يقف على مسجد يسألهم عن سعد إلا قالوا : لا نعلم إلا خيراً ولا نشتهي به بدلاً ولا يقول فيه ولا يعين عليه الا من مالأ الجراح بن سنان وأصحابه ، فإنهم كانوا يسكتون لا يقولون شراً ولا يسوغ لهم ، ويتعمدون ترك الثناء حتى انتهوا الى بني عبس .

فقال محمد : أنشد بالله رجلاً يعلم حقاً إلا قال ، قال أسامة بن قتادة : اللهم إذ نشدتنا ، فإنه لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في الرعية ولا يغزو في السرية ، فقال سعد : اللهم إن كان قالها كاذباً ورياء وسمعة ، فأعم بصره ، وأكثر عياله ، وعرضه لمضلات الفتن ، فعمي واجتمع عنده عشر بنات ، وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يحبسها ، فإذا غير عليه ، قال : دعوة سعد الرجل المبارك ، ثم أقبل على الدعاء على النفر فقال : اللهم إن كانوا خرجوا أشراً وبطراً وكذباً فأجهد بلاءهم ، فأجهد بلاؤهم ، فقطع جراح بالسيوف يوم ثاور [1] الحسن بن علي ليغتاله بساباط ، وشدخ قبيصة بالحجارة ، وقتل أربد بالوجيء وبنعال السيوف.

وقال سعد : والله إني لأول رجل أهراق دماً من المشركين ، ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه ، وما جمعهما لأحد قبلي ، ولقد رأيتني خمس الإسلام وبنوا

(١) جرت محاولة لاغتيال الحسن بن علي في المدائن إثر مبايعته بالخلافة بعد مقتل أبيه .

أسد تزعم أني لا أحسن أن [١] أصلي ، وأن الصيد يلهيني ، وخـــرج محمد به وبهم الى عمر ، حتى قدموا عليه فأخبره الخبر ، فقال : يا سعد ويحـــك كيف تصلي ؟ فقال : أطيل الأولين وأحذف الآخرين ، فقال : هكذا الظن بك ، ثم قال : لولا الإحتياط لكان سبيلهم [٢] بيناً ، ثـم قال من خليفتك يا سعد على الكوفة ؟ فقال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره واستعمله .

فكان سبب نهاوند بدء مشورتها وبعوثها في زمان سعد ، وأما الوقعة ففي زمان عبد الله ، وكان من حديثهم أنهم نفروا بكتاب يزدجرد الملك،فتوافوا الى نهاوند ، فتوافى الناس من بين خراسان الى حلوان ، ومن بين البـــاب الى حلوان ، ومن بين سجستان الى حلوان ، فاجتمعت حلبة فارس والفهلوج أهـل الجبال ، فتوافى الى نهاوند ممن بين الباب الى حلوان ثلاثون ألف مقاتل وممن بين خراسان الى حلوان ستون ألف مقاتـــل ومن بين سجستان الى فارس وحلوان ستون ألف مقاتل ، واجتمعوا على الفيرزان واليه كانوا توافوا ، ثـــم إنهم قالوا : إن محمداً ﷺ الذي جـــاء العرب بالدين لم يغرض غرضنا ، ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يغرض غرض فارس إلا في غارة تعرض لهم فيها ، وإلا فيما يلي بلادهم من السواد ، ثم ملك عمر رحمـه الله فطال ملكه ، وعرض حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأهواز ، وأوطنهـا ، ثم لم يرض حتى أتى أهل فارس والمملكة في عقر دارهم وهو آتيكم إن لم تأتوه ، وقد أخرب بيت مملكتكم ،فاقتحم بلاد ملككم ، وليس بمنته حتى تخرجوا من بلادكم جنوده ، وتقلعوا هذين المصرين ثم تشغلونه في بلاده وقراره ، وتعـــاهدوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم على ذلك كتاباً ، وتمالؤوا عليه ، وبلغ الخـــبر سعداً ، وقد استخلف عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، فلما شخص لقي عمر بالخبر مشافهة وقد

---

(١) أضيفت « أن » من م .

(٢) في م « سبيلك » .

كان كتب الى عمر بذلك ، وقال : إن أهل الكوفة يستأذنونك في الإنسياح في أن يبادروهم الشدة ، وقد كان عمر منعهم من الانسياح في الجبل .

وكتب اليه أيضاً عبد الله وغيره ، بأنه قد اجتمع منهم خمسون ومائة ألف فإن جاؤونا قبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة ، وإن نحن عاجلناهم كان لنا ولكم [١] عليهم ، وكان الرسول بذلك قريب بن ظفر العبدي ، ثم خرج سعد بعده فوافى مشورة عمر رحمه الله عليهم ، ولما قدم الرسول على عمر رحمه الله بالكتاب بالخبر فرآه فقال : ما أسمك ؟ قال : قريب قال : ابن من ؟ قال: ابن ظفر ، فتفاءل إلى ذلـــك ، وقال : ظفر قريب إن شاء الله تعالى ، ولا قوة إلا بالله .

ونودي في الناس الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، ووافاه سعد فتفاءل إلى سعد بن مالك ، وقام عمر رحمه الله على المنبر خطيباً فأخـــبر الناس الخبر واستشارهم ، وقال : هذا يوم له ما بعده من الأيام ، ألا وإني قد هممت بأمر وأنا عارضـه عليكم فاسمعوه ، ثم أجيبوني وأوجزوا ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [٢] ولا تكثروا ولا تطيلوا فتفشغ [٣] بكم الأمور ، ويلتوي عليكم الرأي ، أفمن الرأي أن أسير فيمن قبلي ، ومن قدرت عليه حتى أنزل منزلاً واسطاً بين هذين المصرين فأستنفرهم ، ثم أكون لهم رداً حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحب فإن فتح الله عليهم ان أعنهم [٤] عليهم في بلدانهم وليقارعوا ملكهم .

فقام عثمان بن عفان وطليحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن

---

(١) في م « ذلك » .

(٢) سورة الأنفال – الآية : ٤٧ .

(٣) أي تطول وتنتشر .

(٤) في م « أصبهم »

ابن عوف في رجال من أهـــل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ ، فتكلموا كلاماً ، فقالوا : لا نرى ذلك ولكن لا يغيبن عنهم رأيـك وأمرك ، وقالوا : بإزائهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم ، ومن قـــد فض جموعهم ، وقتل ملوكهم ، وباشر من حروبهم ما هو أعظم من هذه ، وإنمـا استأذنوك ولم يستصرخوك فاذن لهم واندب اليهم وادع لهم ، وكان الذي ينتقد له الرأي إذا عرض عليه العباس رحمه الله .

فقام علي بن أبي طالب ، فقال : أصاب القوم يا أمـــير المؤمنين الرأي ، وفهموا ما كتب به إليك ، وإن الأمر هذا لم يبن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا لقلة ، هو دينه الذي أظهر وجنده الذي أعز ، وأمده بالملائكة ، حتى بلغ ما بلغ ونجز عن [1] موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناصر جنده ، ومكانك منهم وكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فإن انحل تفرق ما فيه ، وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً ، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهي كثير عزيز بالإسلام ، فاقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤسائهم ، ومن لم يحفل [2] لمن هو أجمع من هؤلاء ، وأحد وأجد ، فليأتهم الثلثان وليقم الثلث ، واكتب إلى اهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم ، فسر عمر رحمـــه الله بحسن رأيهم ، وأعجبه ذلك منهم ، وقام سعد ، فقال : خفض عليك يا أمـير المؤمنين فإنهم إنما جمعوا النقمة .

وعن سيف عن أبي بكر الهذلي ، قال : لما أخبرهم عمر الخبر استشارهم ، فقال : أوجزوا في القول ولا تطيلوا فتفشغ بكم الأمور ، واعلموا أن هذا يوم له ما بعده من الأيام ، فتكلموا ، فقام طلحة بن عبيد الله وكان مـن خطباء أصحاب رسول الله ﷺ ، فتشهد ، ثم قال : أما بعد يا أمـــير المؤمنين فقد

---

(١) في م « عل » .

(٢) في حاشية الأصل : أي لم يبال بمن هو أكثر معاشاً جمعاً من هؤلاء وأكثر جداً وأعظم حداً .

أحكمتك الأمور وعجمتك البلايا واحتنكتك التجارب، فانت وشانك، وأنت ورأيك لا تنبوا في يديك ، ولا نكل عليك إليك هـذا الأمر ، فامرنا نطع ، وادعنا نجب ، واحملنا نركب ، ووفدنا نفد ، وقدنا ننقد ، فإنك ولي هـذا الأمر ، وقد بليت وجربت واختبرت ، فلم ينكشف شيء مـن عواقب قضاء الله عز وجل لك إلا عن خيار ، ثم جلس .

فعاد عمر رحمه الله ، فقال : إن هذا اليوم له مـا بعده من الأيام فتكلموا ، فقام عثمان بن عفان فتشهد ، وقال : أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب الى اهـل الشام فيسيروا من شامهم ، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ، وتسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين بالبصرة والكوفة، فتلقى بجمع المسلمين جمع المشركين ، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك ، قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم ، وكنت أعز عزاً وأكثر يا أمير المؤمنين ، إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية ، ولا تمتنع مـن الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ، إن هـذا اليوم له مـا بعده من الأيام ، فاشهده برأيك وأعوانك ، ولا تغب عنه ، ثم جلس .

ثم عاد عمر رحمه الله فقال : إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام ، فتكلموا ، فقام علي بن أبي طالب ، فقال : اما بعد يا أمير المؤمنين فإنك إن أشخصت اهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم ، وإنك إن أشخصت اهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك اهم عليك مما بين يديك من العورات والعيالات ، اقرر هؤلاء في امصارهم واكتب إلى اهل البصرة فليفترقوا فيها ثلاث فرق ، فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم ، ولتقم فرقة في اهل عهدهم لئلا ينقضوا عليهم ، ولتسر فرقـة إلى اخوانهم بالكوفة مدداً لهم ، إن الأعاجم إن ينظروا غداً إليك، قالوا : هذا امير العرب، وأصل العرب ، كان ذلك اشد لكلبهم والبتهم على نفسك ، وأما ما ذكرت من مسير

القوم فإن الله تعالى هو أكره لمسيرهم منك ، ولهو اقدر على تغيير مـا كره وأما مـــا ذكرت من عددهم فإنا لم نقاتل فيما مضى بالكثرة ، ولكنا كنا نقاتل بالنصر .

فقال عمر رحمه الله : أجل هذا الرأي وقد كنت أحب ان اتابع عليه ، اجل والله لئن شخصت من البلد لتنتقضن علي الأرض من اطرافها وأكنافها ، ولئن نظرت إلى الأعاجم لا يفارقون العرصة وليمدنهم مـن لم يمدهم وليقولن هذا اصل العرب ، فإذا اقتطعتموه اقتطعتم اصل العرب ، فأشيروا علي برجل أوليه ذلك الثغر غداً ، قالوا : أنت أفضل رأياً وأحسن مقدرة ، قال: أشيروا به علي ، واجعلوه عراقياً ، قالوا : يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهـــل العراق وجندك فقد وفدوا عليك ورأيتهم وكلمتهم ، فقال : امـا والله لأولين امرهم رجلاً ليكونن لأول الأسنة إذا لقيها غدا ، فقيل : من يا أمير المؤمنين ؟ فقال: النعمان بن مقرن المزني ، فقالوا هو لها والنعمان يومئذ بالبصرة ، ومعه قواد من قواد اهل الكوفة ،قد امد بهم عمر رحمه الله اهل البصرة عند انتقاض الهرمزان فافتتحوا رام هرمز وايذج وأعانوهم على تستر وجند يسابور والسوس، فكتب اليه عمر رحمه الله مع زر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة، بالخبر : وإني قد وليتك حربهم فسر من وجهك هذا حتى تأتي ماه فإني قد كتبت إلى اهل الكوفة ان يوافوك بها ، فإذا اجتمع اليك جنودك فسر الى الفيرزان ومن تجمع اليه من الأعاجم من اهل فارس وغيرهم واستنصر الله وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله .

وكتب إلى عبدالله بن عبدالله مع ربعي بن عامر ان استنفر من اهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا ، فإني قد كتبت اليه بالتوجه من الأهواز الى ماه، فليوافوه بماه ليسير بهم إلى نهاوند وقد امرت عليهم حذيفـة بن اليمان حتى ينتهي الى النعمان بن مقرن ، وقد كتبت إلى النعمان بن مقرن : إن حدث بك حدث فعلى

الناس نعيم بن مقرن ، ورد قريب بن ظفر ، ورد معه السائب بن الأقرع اميناً وقال : لئن فتح الله عليكم فإقسم عليهم ما أفاء الله عليهم بينهم ولا تخدعني ، ولا ترفع إلي باطلاً ، وإن نكب القوم فلا تربني ولا أرينك ، فقدما الى الكوفة بكتاب عمر رحمه الله بالاستحثاث ، وكان اسرع اهـــل الكوفة الى ذلك الروادف ليبلوا في الدين وليدركوا حظاً .

وخرج حذيفة بن اليمان بالناس ومعـــه نعيم بن مقرن حتى قدموا على النعمان بالطرز [١] وجعلوا بمرج القلعة خيلاً عليها النسير ، وقـد كتب عمر رحمه الله الى سلمى بن القين وحرملة بن مريطـــة وذر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة وقواد الأهواز الذين كانوا بين فارس والأهواز ان اشغلوا فارساً عن إخوانكم ، وحوطوا بذلك امتكم وأرضكم وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهـــواز حتى يأتيكم امري ، وبعث مجاشع بن مسعود السلمي الى الأهواز ، وقال له : اتصل منها على ماه فخرج حتى إذا كان بغضى شجر [٢] امره النعمان ان يقيم مكانه ، فأقام بين غضى شجر ومرج القلعة [٣] ، وفصل سلمى وحرملة وذر والمقترب ، فكانوا في تخوم اصبهان وفارس ، قطعوا بذلك عن اهل نهاوند امداد فارس .

ولما قدم اهل الكوفة على النعمان بالطرز جاءه كتاب عمر رحمـه الله مع قريب : إن معك حـــد العرب ورجالهم في الجاهلية ، فأدخلهم دون من هو دونهم في العلم بالحرب ، واستعن بهم واشرب برأيهم وسل طليحة وعمراً وعمراً ،

---

(١) طرز محلة بمرو وبأصفهان ، وطراز بلد قريب من أسبيجاب من ثغور الترك ، القاموس ، معجم البلدان .

(٢) موضع بين الأهواز ومرج القلعة ، معجم البلدان .

(٣) في الأصل : « سرح القلعة » وهو تصحيف قوم من نسخة م ومما سيأتي ، ومرج القلعة على مقربة من حلوان من جهة همذان ـ معجم البلدان .

ولا تولهم شيئاً ، فبعث من الطرز طليحة وعمراً وعمراً طليحة ليأتوه بالخبر ، وتقدم اليهم ان لا يغلوا ، فخرج طليحة بن خويلد وعمرو بن أبي سلمى العنزي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي فلما ساروا يوماً الى الليل رجع عمرو بن ثبي[١] فقالوا : ما أرجعك ؟ قال : كنت في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها ، وقتل أرض عالمها .

ومضى طليحة وعمرو حتى إذا كانا من آخر الليل رجع عمرو فقالوا : ما رجعك ؟ قال : سرنا يوماً وليلة ولم نر شيئاً وخفت ان يؤخذ علينا بالطرق ، ونفذ طليحة ولم يحفل بهما فقال الناس : ارتد الثانية ، ومضى طليحة بن خويلد حتى انتهى الى نهاوند وبين الطرز ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً ، فعلم علم القوم ، واطلع لهم الأخبار ، ثم رجع حتى إنتهى إلى الجمهور وكبر الناس ، فقال : ما شأن الناس ؟ فأخبروه بالذي خافوا عليه ، فقال : والله لو لم يكن دين إلا العربية ما كنت لأجزر العجم الطماطم ، هذه العرب العاربة وأتى النعمان فدخل عليه بالخبر وأعلمه أنه ليس بينه وبين نهاوند أحد ولا شيء يكرهه .

فنادى عند ذلك النعمان بالرحيل وأمرهم بالتعبئة وبعث الى مجاشع بن مسعود بأن يسوق الناس وسار النعمان على تعبئته ، وعلى مقدمته نعيم بن مقرن ، وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن ، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع ، وقد توافى اليه أمداد المدينة فيهم المغيرة وعبدالله فانتهوا إلى الإسبيذهان[٢] والقوم وقوف دون واي خرد[٣] على تعبئتهم وأميرهم الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذويه الذي جعل مكان ذي الحاجب .

---

(١) هو ابن أبي سلمى المذكور أعلاه .

(٢) موضع قرب نهاوند ، معجم البلدان .

(٣) واد قرب نهاوند ، معجم البلدان .

رقد توافى اليهم بنهاوند كل من غاب عن القادسية والأيـام من اهل الثغور وأمرائها وأعـلام من أعلامهم ليسوا بدون من شهد الأيام والقوادس ، وعـلى خيولهم ابن شق فلما تراءى لهم النعمان كبر ثلاثاً وكـــبر الناس معه ، فزلزلت الأعاجم وأمر النعمان وهـو واقف بحط الأثقال وبضرب الفسطاط فضرب ، وهو واقف .

وابتدره أشراف أهل الكوفة وأعيانهم فسبق الية يومئذ عدة من أشراف أهل الكوفة تسابقوا، فبنوا فسطاطاً سابقوا أكفأهم فسبقوهم وهم أربعة عشر، منهم : حذيفة بن اليمان ، وعقبة بن عمرو ، والمغيرة بن شعبـــة وبشير بن الخصاصية ، وحنظلة بن الربيـع الكاتب ، وابن الهوبر ، وربعي بن عامر ، وعامر بن مطر ، وجرير بن عبد الله الحميري ، والأقرع بن عبد الله الحميري ، وجرير بن عبد الله البجـــلى ، والأشعث بن قيس الكندي ، وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر ، فلم ير بناة فسطاط بالعراق كهؤلاء .

وأنشب النعمان بعدما حط الأثقال القتال فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم في ذلك سجال ، في سبـع سنين من إمارة عمر رحمه الله في سنة تسع عشرة ، ثم إنهم انحجروا في خنادقهم يوم الجمعـــة ، وحصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله والأعاجم بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج ، فاشتد ذلك على المسلمين وخافوا أن يطول أمرهم وسرهم أن يناجزهم عدوهم.

حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع تجمع أهل الرأي من المسلمـــين فتكلموا ، وقالوا : نراهم علينا بالخيـــار ، وأتوا النعمان في ذلك ، فأخبروه فوافقوا وهو يروي في الذي رووا فيه فقال : على رسلكم لا تبرحوا ، ثم بعث إلى من بقي ممن لم يأته من أهل النجدات والرأي في الحروب ، فتوافوا اليه ، فتكلم النعمان ، فقال ، قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنـادق والمدائن وأنهم لا يخرجون إلا إذا شاؤوا ، ولا يقـدر المسلمون على إنقاضهم

وإنبعاثهم قبل مشيئتهم ، وقد يرون الذي فيه المسلمون من التضايق بالذي هم فيه وعليه من الخيار عليهم في الخروج ، فما الرأي الذي به نحمشهم ونستخرجهم الى المناجزة وترك التطويل .

فتكلم عمرو بن ثبي وكان أكبر الناس يومئذ سناً ، فقال : التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم ، فدعهم ولا تحرجهم وطاولهم وقاتل من أتاك منهم فردوا جميعاً عليه رأيه ، وقالوا : إنا لعلى يقين من انجاز ربنا موعده [1] فما لنا وللمطاولة حتى لا نجد منها بداً ، وتكلم عمرو بن معد يكرب فقال : ناهدهم وكابدهم ولا تجفهم ، فردوا جميعاً رأيه ، وقالوا : انما تناطح بنا الجدران لهم أعوان علينا .

وتكلم طليحة فقال : قد قالا فلم يصيبا تفسير ما أراد ، فأما أنا فإني أرى أن نبعث خيلاً مؤدية فيحدقون بهم ، ثم يرامونهم لينشبوا القتال وليحمشوهم فإذا استحمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج آرزوا الينا استطراداً ، فإنا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم ، وإنا اذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا ، ولم يشكوا فيها فخرجوا فجادونا وجاددناهم حتى يقضي الله فينا وفيهم ما أحب .

فأمر النعمان القعقاع ، وكان على المجردة ، ففعل ، وأنشب القتال بعد احتجاز العرب من العجم فانقضهم ، فلما خرجوا نكص ، ثم نكص ، ثم نكص ، واغتنمتها الأعاجم ففعلوا كما ظن طليحة ، وقال : وقال هي هيه ، فخرجوا فلم يبق أحد الا من يقوم لهم على الأبواب ، وجعلوا يركبونهم حتى آرز القعقاع الى الناس وانقطع القوم من حصنهم بعض الانقطاع ، والنعمان والمسلمون على تعبئتهم في يوم جمعة ، وفي صدر النهار .

---

(١) في م « موعوده » .

وقد عهد النعمان الى الناس عهده، وأمرهم أن يلزموا الأرض، ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم ففعلوا ، واستتروا بالجحف من الرمي ، وأقبل المشركون عليهم يثفنونهم حتى أفشوا فيهم الجراحات ، وشكا الناس ذلك من بعض الناس الى بعض ، ثم قالوا للنعمان ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما لقي الناس ، فما تنتظر بهم ؟ ائذن للناس في قتالهم ، فقال النعمان : رويداً رويداً ، قالوا له ذلك مراراً ، فاجابهم بمثل ذلك مراراً : رويداً رويداً تروا أمركم ، فقال المغيرة : لو أن هذا الأمر الي علمت ما أصنع ، فقال : رويداً ترى أمرك ، وقد كنت تلي الأمر فتحسن ولا يخذلنا الله ولا إياك ، ونحن نرجو في المكث الذي ترجو في الحث .

وجعل النعمان ينتظر بالكتائب أحب الساعات كانت إلى رسول الله ﷺ في القتال أن يلقى فيها العدو ، وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الأرواح ، فلما كان قريباً من تلك الساعة تحشحش النعمان وسار في الناس على برذون أحوى [١] قريب من الأرض فجعل يقف على كل راية فيحمد الله عز وجل ويثني عليه ويقول : قد علمتم ما أعزكم الله تعالى به من هذا الدين وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم هوادي [٢] ما وعدكم وصدوره ، وانما بقيت أعجازه وأكارعه ، والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله ، واذكروا ما مضى إذ أنتم أذلة ، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة ، فانتم اليوم عباد الله حقاً ، وأولياؤه [٣] ، وقد علمتم انقطاعكم من أخوانكم من أهل الكوفة والذي لهم في ظفركم وعزكم ، والذي عليهم في هزيمتكم [٤] وذلكم ،

---

(١) الأحوى : الأسود أو الضارب إلى السواد ، القاموس .

(٢) الهوادي جمع هادي وهو العنق ، القاموس .

(٣) سقط حوالي السطر من م ، وهذا ما ورد في م فاقتضى التقويم .

(٤) في الأصل « هزيمتهم وذلهم » وجاء في الحاشية « لعله : هزيمتكم وذلكم » .

وقد ترون من أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وأخطروا لكم ، فأما ما أخطروا لكم فهذه الزينة الرثة [١] وما ترون من هذا السواد ، وأما ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم ولا سواء ما أخطرتم وما أخطروا ، فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم ، وأبقى الله عبد صدق الله [٢] ، وأبلى نفسه فأحسن البلاء ، فإنكم بين خيرتين تنتظرون إحدى الحسنيين من بين شهيد حي مرزوق ، أو فتح قريب وظفر يسير ، فكفى رجل ما يليه ، ولم يكل قرنه الى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه وذلك بالمرء لأمة ، ولقد يقاتل الكلب عن صاحبه فكل رجل مسلط على ما يليه ، فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبر ثلاثاً ، فإذا كبرت التكبيرة الأولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ ، فاذا كبرت الثانية فليجمع اليه إزاره ، وليشد عليه سلاحه ، وليتأهب للنهوض ، فاذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله ، فاحملوا معاً ، اللهم أعز دينك وانصر [عبدك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على أعزاز دينك ونصر] [٣] عبادك .

فلما فرغ النعمان من التقدم الى أهل المواقف وقضى اليهم أمره رجع الى موقفه ، فكبر الأولى ، والثانية والثالثة ، والناس سامعون مطيعون ومستعدون للمناهضة ينحي بعضهم بعضاً عن سننهم [٤] ، وحمل النعمان وحمل الناس ، ورايه النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب ، والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة ، فالتقوا بالسيوف فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت أشد منها قتالاً ، فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والإعتام ما طبق أرض المعركة دماً يزلق الناس والدواب .

---

(١) أضيفت « الرثة » من م .

(٢) في م « واتقى الله عبد وصدق الله » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من م .

(٤) في م « سنتهم » .

وأصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق في الدماء فزلق فرس النعمان في الدماء فصرعه ، وأصيب النعمان حين زلق به فرسه وصرع ، وتناول الراية منهم نعيم بن مقرن قبل أن تقع ، وسجي النعمان بثوب ، وأتى حذيفة بالراية فدفعها إليه ، وكان اللواء مع حذيفة فجعل حذيفة نعيم بن مقرن مكانه ، وأتى المكان الذي كان فيه النعمان ، فأقام اللواء وقال له المغيرة : اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم لكيلا يهن الناس ، واقتتلوا حتى أظلم الليل عليهم انكشف المشركون وذهبوا والمسلمون يلظون بهم ملتبسون ، فعمي عليهم قصدهم فتركوه ، وأخذوا نحو اللهب فتهافتوا في اللهب الذي كانوا نزلوا دونه بإسبيذهان [١] فوقعوا فيه وجعلوا لا يهوي منهم أحداً إلا قال : « وايه خرد » . فسمي بذلك « وايه خرد » إلى اليوم ، فمات منهم فيه مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل منهم في المعركة منهم أعدادهم ، ولم يفلت إلا الشريد .

ونجا الفيرزان من الصرعى في المعركة فهرب نحو همذان في ذلك الشريد ، فاتبعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامه فأدركه حتى [٢] انتهى الى ثنيه همذان ، والثنية مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلاً فحبسته الدواب على أجله فقتله على الثنية بعدما امتنع ، وقال المسلمون : إن لله جنوداً من عسل [٣] ، واستاقوا العسل وما خالطه من سائر الأحمال فأقبل به وسميت الثنية بذلك ثنية العسل ، وقال القعقاع في ذلك .

قولا لأصرام بأكناف الجبل بأن لله جنوداً من عسل
يقتل أحيانا بأسباب الأجل

---

(١) سبق تعريفه على أنه موضع قرب نهاوند ، معجم البلدان .

(٢) في م « أمامه ، فأدركه حين » .

(٣) ويروى أن هذا ما قاله معاوية بن أبي سفيان إثر نجاح مؤامرة اغتيال الأشتر النخعي في طريقه إلى مصر والياً لها لعلي كرم الله وجهه .

وأن الفيرزان لما غشيه القعقاع نزل فتوقل في الجبل ، إذ لم يجد مساغاً ، وتوقل القعقاع في أثره حتى أخذه ، ومضى الفلال حتى انتهوا إلى مدينة همذان والخيل في آثارهم فدخلوها ، فنزل المسلمون عليهم وحووا ما حولها ، فلما رأى ذلك خسر شنوم إستأمنهم ، وقبل منهم على أن يضمن لهم همذان ودستبى[1] ، وأن لا يؤتى المسلمون منهم فأجابوهم إلى ذلك وأمنوهم ، وأمن الناس ، وأقبل كل من كان هرب .

ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نهاوند — يعني مدينة نهاوند — فاحتووا ما فيها وما حولها وجمعوا الأسلاب والأثاث إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع فبيناهم في ذلك على حالهم وفي عسكرهم يتوقعون ما يأتيهم عن إخوانهم بهمذان أقبل الهربز صاحب بيت النار على أمان فأبلغ حذيفة فقال : أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم ؟ فقال نعم فقال : إن النخيرجان وضع عندي ذخيرة لكسرى فأنا مخرجها إليك على أماني وأمان من شئت ، فاعطاه ذلك ، فأخرج له ذخيرة كسرى جوهراً كان أعده لنوائب الزمان فنظروا في ذلك فاجمع رأي المسلمين على دفعه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وجعلوه له فأخروه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يدفع من الأخماس .

وقسم حذيفة بن اليمان بين الناس غنائمهم فكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين ، وقد نفل حذيفة من الأخماس من شاء من أهل البلاء يوم نهاوند ودفع ما بقي من الأخماس إلى السائب بن الأقرع فقبض السائب الأخماس ، فخرج بها إلى عمر وبذخيرة كسرى ، وأقام حذيفة [بعد الكتاب بفتح نهاوند] بنهاوند ينتظر جواب عمر وأمره ، وكان رسوله بالفتح طريف بن سهم أخو بني ربيعة بن مالك .

ولما بلغ الخبر أهل الماهين بأن همذان قد أخذت ، ونزلها نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو ، اقتدوا بخسرشنوم فراسلوا حذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا ،

---

(١) دستبى كورة كبيرة بين الري وهمذان . معجم البلدان .

فأجمعوا على القبول ، وعزموا على إتيان حذيفة ، فخدعهم دينار ، وهو دون أولئك الملوك ، وكان ملكاً إلا أن غيره منهم كان أرفع منه ، وكان أشرفهم قارن ، فقال لا تلقوهم في حليكم [١] ولكن تقهلوا [٢] لهم ففعلوا وخالفهم فأتاهم في الديباج والحلي وأعطاهم حاجتهم ، واحتمل للمسلمين ما أرادوا فعاقدوه عليهم ولم يجد الآخرون بداً من متابعته والدخول في أمره فقيل « ماه دينار » لذلك ، فذهب حذيفة بماه دينار ، وقد كان النعمان عاقد بهزاذان على مثل ذلك فنسبت إلى بهزاذان ، ووكل النسير بن ثور بقلعة قد كان نجا [٣] اليها قوم فحاصرها فافتتحها فنسبت إلى النسير .

وقسم حذيفة لمن خلفوا بمرج القلعة ، ولمن أقام بعض شجر ولأهل المسالح جميعاً في فيء نهاوند مثل الذي قسم لأهل المعركة ، لأنهم كانوا ردءاً للمسلمين لئلا يؤتوا من وجه من الوجوه ، وتململ عمر رضي الله عنه تلك الليلة التي قد كان قدر لملاقاتهم ، وجعل يخرج ويلتمس الخبر فبينا رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه ، فرجع الى المدينة ليلاً ، لحق به راكب في الليلة الثالثة من يوم نهاوند يريد المدينة ، فقال : يا عبد الله من أين أقبلت ؟ فقال : من نهاوند فقال : ما الخبر ؟ فقال : الخبر فتح الله على النعمان واستشهد .

واقتسم المسلمون في نهاوند ، فأصاب الفارس ستة آلاف ، وطواه الراكب حتى انغمس في المدينة ، فدخل الرجل فبات فأصبح فتحدث بحديثه ونمى الخبر حتى بلغ عمر رحمه الله ، وهو فيما هو فيه ، فأرسل اليه فسأله فأخبره ، فقال : صدق وصدقت هذا عثيم بريد الجن ، وقد رأى بريد الإنس ، فقدم عليه طريف بالفتح بعد ذلك ، فقال : الخبر ؟ فقال : ما عندي أكثر من الفتح خرجت

---

(١) في م « حبالكم » .

(٢) تقهل : لم يتعهد جسمه بالماء ولم ينظفه .

(٣) في م « لجأ » .

والمسلمون في الطلب وهم على رجل ، وكتمة إلا ما سره ، ثم خرج وخرج معه أصحابه فأمعن فرفع له راكب فقال : قولوا ، قال عثمان بن عفان : السائب ، فقال : السائب ، فلما دنا منه ، قال : ما وراءك ؟ قال : البشرى والفتح ، قال: ما فعل النعمان ؟ قال : زلق به فرسه في دماء القوم فصرع استشهد ، فانصفق راجعاً والسائب يسايره ،وسأله عن عدد[1] من قتل من المسلمين فأخبره بعدد قليل ، وأن النعمان أول من استشهد يوم فتح الفتوح ، وكذلك كان يسميه أهل الكوفة والمسلمون .

فلما دخل المسجد حطت الأخماس فوضعت فيه ، فأمر نفراً من الصحابة منهم : عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم بالمبيت فيه ، ودخل منزله واتبعه السائب بن الأقرع بذينك السفطين وأخبره خبرهما وخبر الناس ، فقال : يابن أم مليكة والله ما دروا[2] ما هذا ولا أنت معهم ،فالنجاء النجاء عودك على بدئك ، حتى تأتي حذيفة فيقسمها على من أفاءها الله عليه ، فأقبل راجعاً يقبل حتى انتهى إلى حذيفة بماه فأقامها فباعها ، فأصاب الفارس أربعة آلاف .

وعن سيف عن محمد بن قيس : أن رجلاً يقال له جعفر بن راشد قال لطليحة وهم مقيمون على نهاوند لقد أخذتنا خلة فهل بقي من أعاجيبك شيء تنفعنا به؟ فقال : كما أنتم حتى أنظر فأخذ كساء فتقنع به غير كثير ثم قال : البيان البيان غنم أنرفان في البستان ، مكان أروتان ، فدخلوا البستان فوجدوا الغنم مسمنة .

وعن أبي معبد العبسي وعروة بن الوليد عن من حدثهم من قومهم قالوا : بينا نحن محاصروا أهل نهاوند خرجوا علينا ذات يوم فقاتلوا ، فلم نلبثهم أن هزمهم الله ، فتبع سماك بن عبيد العبسي رجلا منهم معه نفر ثمانية على أفراس

---

(١) في م « عدة » .

(٢) أضيفت « ما » من م .

لهم فبارزهم ، فلم يبرز له أحد إلا قتله حتى أتى عليهم ، ثم حمل على الذي [١] كانوا معه فأسره ، وأخذ سلاحه ودعا له رجلا اسمه عبد فوكله به ، فقال : اذهبوا بي إلى أميركم حتى أصالحه على هذه الأرض وأؤدي إليه الجزية ، وسلني أنت من إسارك ما شئت وقد مننت علي إذ لم تقتلني ، وإنما أنا عبدك الآن وإن أدخلتني على الملك فأصلحت ما بيني وبينه ، وجدت لي شكراً ، وكنت لي أخاً ، فخلى سبيله وأمنه ،وقال : من أنت ؟ قال : أنا دينار والبيت منهم يومئذ في آل قارن ، فأتى به حذيفة فحدثه دينار عن نجدة سماك وما قتل ونظره للمسلمين ، فصالحه على الخراج فنسبت إليه ماه ، فكان يواصل سماكاً ويهدي له ويوافي الكوفة كل ما كان عمله إلى عامل الكوفة ، فقدم الكوفة في إمارة معاوية فقام في الناس بالكوفة فقال: يا معشر أهل الكوفة إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس ، فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع : بخل ، وخب ، وغدر ، وضيق ، ولم يكن فيكم واحدة منهن، فرمقتكم فإذا ذلك في مولديكم ، فعلمت من أين أتى ، فإذا الخب من قبل النبط ، والبخل من قبل فارس ، والغدر من قبل خراسان ، والضيق من قبل الأهواز .

وعن الشعبي قال : أتي عمر رحمه الله بغنائم أهل نهاوند ، فبكى فقال له عبد الرحمن بن عوف : ليس مكان حزن ولا بكاء ولكن بشرى فافرح ، واحمد الله ، فقال : ويحك يابن عوف إنه والله ما كثرت الصفراء والبيضاء في قوم قط إلا فتنوا فتقاتلوا وتدابروا حتى يذمر الله سبحانه عليهم .

وعن الشعبي قال : قتل في اللهب ممن هوى فيه ثمانون ألفاً، وفي المعركة ثلاثون ألفاً مقترنين سوى من قتل في الطلب ، وكان المسلمون ثلاثين ألفاً ، وافتتحت نهاوند في أول سنة تسع عشرة لسبع سنين من إمارة عمر رحمه الله .

---

(١) في الأصل وم « الذين » وهو تصحيف قوم الطبري ، ٤/١٣٥ .

وعن سيف عن شيوخه قالوا : وفي كتاب النعمان وحذيفة لأهل الماهين :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أعطى نعمان بن مقرن أهل ماه بهزاذان أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم لا يغيروا عن ملة، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم، ولهم المنعه ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته ، وما أرشدوا ابن السبيل[1] ، وأصلحوا الطرق ، وقروا جنود المسلمين ممن مر بهم فآووا إليهم يوماً وليلة، ووفوا ونصحوا، فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة . شهد عبد الله بن ذي السهمين والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبدالله وكتب في المحرم سنة تسع عشرة .

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه دينار ، أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم لا يغيرون عن ملة ، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم من المسلمين على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته ، وما أرشدوا السبيل [1] وأصلحوا الطرق ، وقروا جنود المسلمين من مر بهم فأوى إليهم يوماً وليلة، ونصحوا ، فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة . شهد القعقاع بن عمرو ، ونعيم بن مقرن، وسويد بن مقرن، وكتب في المحرم .

قالوا : وألحق عمر من شهد نهاوند فأبلى من الروادف بلاء فاضلا في ألفين ألحقهم بأهل القادسية ، وقال القعقاع بن عمرو في ذلك :

جدعت على الماهات أنف فارس ... بكل فتى من صلب فارس جاذر
هتكت بيوت الفرس يوم لقيتهم ... وما كل من يلقى الحروب بثائر

(١) في م : « لبن السبيل » .

حبست ركاب الفيرزان وجمعه ... على قتر من حربنا غير قاتر
هدمت به الماهات والدرب بغتة ... إلى غاية اخرى الليالي الغوابر

وقال ابو بجيد نافع بن الأسود :

وسائل بني الماهات عنا وعندهم ... بلاء كحد اللج يقتطع[1] الوتينا
دعونا أبانا وأدعوا بأبيهم ... فولوا خزايا في الغبار ثبينا
فيارب جمع قد فللناه قبلهم ... ونهب حوينا قبل ذاك سنينا
على أننا لم نبق منهم بقية ... غداة هو[2] وافي وأي خرد كمينا

وقال أيضاً :

لقد علمت فتيان عمرو بأنني ... أحوط ذماري في الشهور الأطاول
وإن ناب أمر قدموني فرمته ... ذياد الهوادي عند إحدى الزلازل
وإني أرد الكبش عن سنن الهوى ... ويرجع رمحي بعد ريان ناهل
فمن يك خوار اليدين فإنني ... إذا كشرت عن نابها غير خامل
ويوم نهاوند شهدت فلم أخم ... وقد أحسنت فيهم جميع[3] القبائل
عشية ولى الفيرزان موائلا ... إلى جبل آب حذار القواصل
فأدركه منا أخو الهيج والندى ... فقطره[4] عند ازدحام الحوامل[5]
وأشلاؤهم في واي خرد مقيمة ... تنوء بهم عبس الذئاب العواسل
ونحن ولينا كل يوم لفارس ... بطاحاً[6] وكدحاً بالقرون الكوامل

---

(١) في م : « يفري » .
(٢) في م « أموا » .
(٣) في م « فيها جموع » .
(٤) في حاشية الأصل : أي ألقاه عن فرسه .
(٥) في حاشية الأصل : جمع دابة حامل . أي الدواب التي كانت تحمل العسل وغيره .
(٦) في م « نطاحاً » .

ولو أن قومي في الحروب أذلة ... لأخنت عليهم فارس في الملاحم
ولكن قومي أحرزتهم سيوفهم ... فأبوا وقد عادوا حواة المكارم
أبينا فلم نعط الظلامة فارساً ... ولكن قبلنا السلم ممن يسالم
ونحن حبسنا في نهاوند خيلنا ... لشر ليال أنتجت للأعاجم
نتجن لهم تيناً [1] وعضل سخلها [2] ... غداة نهاوند لاحدى العظائم
ملأنا شعاباً في نهاوند منهم ... رجالاً وخيلاً أسلمت في الصرائم
وأركضهن الفيرزان على الصفا ... فلم ينجه منها انفساح المخارم

حديث الانسياح وبدئه

سيف عن شيوخه قالوا : لما رأى عمر رحمه الله أن يزدجرد يبعث عليه في كل عام حرباً ، وقيل له : لا يزال هذا الدأب حتى يخرج من مملكته ، آذن للناس في الإنسياح في أرض العجم حتى يغلبوا يزدجرد على ما كان في يدي كسرى فوجه الأمراء من أهل البصرة بعد فتح نهاوند ، ووجه الأمراء من أهل الكوفة بعد فتح نهاوند ، وكان بين [3] عمل سعد بن أبي وقاص وبين [3] عمل عمار بن ياسر أميران أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وفي زمانه كانت وقعة نهاوند ، وزياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قصي ، وفي زمانه أمر بالإنسياح ، وعزل عبد الله بن عبد الله ، وبعث في وجه آخر من الوجوه ، وولى زياد بن حنظلة ، وكان من المهاجرين فعمل قليلا ، وألح في الاستعفاء فأعفي ، وولى عمار بن ياسر بعد زياد فكان مكانه ، وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله ، وأمد أهل

(١) في حاشية الأصل : التين أن تخرج رجلا المولود قبل يديه .
(٢) في م « سجلها » .
(٣) في الأصل « من » والتقويم من م .

الكوفة بأبي موسى ، وجعل عمر بن سراقة مكانه ، وقدمت الألوية من عند عمر رحمه الله إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة ، فقدم لواء منها على نعيم ابن مقرن ، وقد كان أهل همذان كفروا بعد الصلح فأمره [١] بالسير نحو همذان ، وقال : فإن فتح الله عز وجل همذان فإن[٢] ما وراءك لك في وجهك كذلك إلى خراسان .

وبعث عتبة بن فرقد ، وبكير بن عبد الله ، وعقد لهما على أذربيجان ، وفرقها بينهما ، وأمر أحدهما أن يأخذ إليها من حلوان إلى ميمنتها ، وأمر الآخر أن يأخذ إليها من الموصل إلى ميسرتها ، فتيامن هذا عن صاحبه ، وتياسر هذا عن صاحبه .

وبعث إلى عبد الله بن عبد الله بلواء ، وأمره أن يسير إلى أصبهان ، وكان شجاعاً بطلا من أشراف الصحابة ، ومن وجوه الأنصار ، حليف لبني الحبلى من بني أسد ، وأمده بأبي موسى من البصرة .

وأمر عمر بن سراقة على البصرة .

وكان من حديث عبد الله بن عبد الله أن عمر رحمه الله حين أتاه فتح نهاوند وبدا له أن يأذن في الإنسياح كتب إليه : أن سر من الكوفة حتى تنزل المدائن فاندبهم ولا تنتخبهم ، ثم أكتب إلي بذلك ، وعمر رحمه الله يريد توجيهه إلى أصبهان فانتدب إليه فيمن انتدب عبد الله بن ورقاء الرياحي وعبد الله بن الحارث بن ورقاء الأسدي ، والذين لا يعلمون يرون أن أحدهما عبد الله بن بديل ابن ورقاء الخزاعي ، لذكر ورقاء ، وظنوا أنه ينسب إلى جده ، وكان عبد الله ابن بديل بن ورقاء يوم قتل بصفين ابن أربع وعشرين سنة ، وهو أيام عمر رحمه الله صبي ، ولما أتى عمر رحمه الله انبعاث عبد الله بعث زياد بن حنظله ، فلما

---

(١) في م « يأمره » .

(٢) في م « فإلى » .

الله انبعاث الجنود وانسياحهم امر عماراً بعد وقرأ قول الله تعالى : ﴿ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ (١) .

وقد كان زياد صرف في وسط من إمارة سعد إلى قضاء الكوفة ، بعد إعفاء سلمان وعبد الرحمن ابني ربيعة ليقضي إلى أن يقدم عبد الله بن مسعود من حمص، وقد كان عمل لعمر رحمه الله على ما سقى الفرات ودجلة : النعمان وسويد ابنا مقرن فاستعفيا وقالا : اعفنا من عمل يتغول لنا ويتزين بزينة المومسة فأعفاهما ، وجعل مكانهما أبا سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري ، وجابر بن عمر المزني ، ثم استعفيا فأعفاهما وجعل مكانهما حذيفة بن اليماني وعثمان بن حنيف : حذيفة على ما سقت دجلة وما وراءها ، وعثمان على ما سقى الفرات من السوادين جميعاً ، وكتب إلى اهل الكوفة : إني بعثت إليكم عمار بن ياسر اميراً، وجعلت عبدالله معلماً ووزيراً ، ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها ووليت عثمان ابن حنيف الفرات وما سقى .

حديث فتح أصبهان

قالوا : ولما قدم عمار على الكوفة اميراً ، وقدم كتاب عمر إلى عبد الله أن سر إلى أصبهان ، وزياد على الكوفة ، وعلى مقدمتك عبد الله بن ورقاء الرياحي وعلى مجنبتيك عبد الله بن ورقاء الأسدي ، وعصمة بن عبد الله ، وهو عصمة بن عبد الله بن عبيدة بن سيف بن عبد الحارث ، فسار عبد الله في الناس حتى قدم على حذيفة ، ورجع حذيفة إلى عمله وخرج عبد الله من نهاوند فيمن كان معه ، ومن انصرف معه من جند النعمان نحو جند قد اجتمع له من اهل اصبهان عليهم

(١) سورة القصص ـ الآية : ٥ .

الأسبيذار ، وعلى مقدمته شهربراز جاذويه شيخ كبير في جمع عظيم ، فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق من رساتيق أصبهان ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فدعا الشيخ إلى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء فقتله ، وانهزم اهل أصبهان ، وسمى المسلمون ذلك الرستاق رستاق الشيخ فهو اسمه إلى اليوم .

ودعا عبد الله بن عبد الله من يليه فسارع الأسبيذار إلى الصلح فصالحهم ، فهذا أول رستاق من أصبهان أخذ وصالح ، ثم سار عبد الله من رستاق الشيخ نحو جي حتى انتهى إلى جي ، والملك بأصبهان يومئذ القاذوسفان وقد أخذ بها ، فنزل بالناس على جي فحاصرهم ، فخرجوا اليهم بعد ما شاء الله من زحف ، فلما التقوا قال القاذوسفان لعبد الله : لا تقتل أصحابي ولا أقتل أصحابك ، ولكن ابرز إليّ فإن قتلتك رجع أصحابك ، وإن قتلتني سالمك أصحابي ، وإن كان أصحابي لا تقع لهم نشابة ، فبرز له عبد الله ، وقال : إما أن تحمل علي وإما أن أحمل عليك فقال : أحمل عليك ، فوقف له عبد الله فحمل عليه القاذوسفان فطعنه فأصاب قربوس السرج فكسره ، وقطع اللبب والحزام ، وزال اللبد والسرج ، وعبد الله على الفرس فوقع عبد الله قائماً ، ثم استوى على الفرس عربياً ، وقال له : اثبت فحاجزه وقال : ما أحب أن أقاتلك فإني قد رأيتك رجلا كاملا ، ولكن أرجع معك إلى عسكرك ، فأصالحك وأدفع المدينة إليك على إن من شاء أقام وأدى الجزية ، وقام على ماله ، وعلى أن يجري من أخذتم ماله عنوة مجراهم ويتراجعون ، ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ، ولكم أرضه ، فقال لكم ذلك ، وقدم عليه أبو موسى من ناحية الأهواز وقد صالح القاذوسفان عبد الله فخرج القوم من جي ، وقد دخلوا في الذمة إلا ثلاثين رجلا من أهل اصبهان وخالفوا قومهم فجمعوا [1] فلحقوا بكرمان في حاشيتهم يجمع كان بها ، ودخل عبد الله وأبو موسى جياً مدينة اصبهان وكتب

(١) في م « تجمعوا » .

بذلك إلى عمر رحمه الله ، واغتبط من أقام ، وندم من شخص ، فقدم كتاب عمر على عبد الله أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي فتجامعه على قتال من بكرمان ، وخلف في جي من بقي عن جي واستخلف على اصبهان السائب ابن الأقرع .

وعن نفر من اصحاب الحسن عن الحسن عن أسيد بن المتشمس ابن أخي الأحنف قال : شهدت مع أبي موسى فتح أصبهان ، وإنما شهدوها مدداً .

وعن سيف عن شيوخه قالوا كتاب صلح أصبهان .

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

كتاب من عبد الله للقاذوسفان وأهل اصبهان وحواليها : إنكم آمنون ما أديتم الجزية ، وعليكم من الجزية على قدر طاقتكم على كل سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم على[1] كل حال ، ودلالة المسلم وإصلاح طريقه ، وقراه يوما وليلة ، وحملات الراجل إلى مرحلة لا تسلطوا على مسلم ، والمسلمين نصحكم وأداء ما عليكم ولكم الأمان ما فعلتم ، فإذا غيرتم شيئاً او غيره مغير منكم ولم تسلموه فلا أمان لكم ، ومن سب مسلماً بلغ منه ، فإن ضربه قتلناه . وكتب وشهد عبد الله بن قيس وعبد الله بن ورقاء ، وعصمة بن عبد الله .

فلما قدم الكتاب من عمر على عبد الله ، وأمره فيه باللحاق بسهيل بن عدي بكرمان ، خرج في جريدة خيل ، واستخلف السائب ، فلحق بسهيل قبل أن يصل إلى كرمان . وقال عبد الله في ذلك :

الم تسمع وقد أودى ذميماً ... بمنعرج السراة من اصبهان
عميد القوم إذ ساروا إلينا ... بشيخ غير مسترخي العنان

---

(١) في م « عن » .

فساجلني وكنت بـــه كفيلاً ... فلم يصبر [١] وخر على الجران
برستاق له يدعى اليـــه ... طوال الدهر في عقب الزمان
وكنت زعيمهـا حتى تراخت ... ولن يغني بها أحـد مكاني
نزلت به وقد شربت خيولي ... بمضلة مـن الحرب العوان

حديث فتح همذان

قالوا : وكان النعمان حـــين صرف إلى الماهين لاجتماع الأعاجم إلى نهاوند وصرف اليه اهل الكوفة ، وأقره [٢] مع حذيفة ولما فصل اهـــل الكوفة من حلوان فأفضوا إلى ماه هجموا على قلعة في مرج فيها مسلحة ، فاستنزلوهم ، وكان أول الفتح ، وأنزلوا مكانهم خيلاً يسكون بالقلعة ، فسموا معسكرهم بالمرج ، مرج القلعة ، ثم ساروا من مرج القلعة نحو نهاوند حتى إذا انتهوا الى قلعة فيها قوم خلفوا عليها النسير بن ثور في عجل وحنيفة ، فنسبت اليـه ، وافتتحها بعد فتح نهاوند ، ولم يشهد نهاونـــد عجلي ولا حنفي أقاموا مـع النسير على القلعة .

فلما جمعوا فيوء نهاوند والقلاع أشركوا فيها جميعاً لأن بعضهم قوى بعضاً ثم وصفوا ما استقروا فيما بين مرج القلعة وبين نهاوند مما مروا به قبل ذلك فيما استقروا من المرج اليها بصفاتها ، وازدحمت الركاب في ثنية من ثنايا ماه فسميت بالركاب ، فقيل ثنية الركاب ، وأتوا على أخرى يدور طريقها بصخرة فسموها ملوية فدرست أسماؤها الأولى ، وسميت بصفاتها ، ومروا بالجبـــل الطويل

---

(١) في م « يسبق » .
(٢) في م « وافوه » .

المشرف على الجبال ، فقال قائل : كأنه سن سميرة ، وسميرة امرأة من المهاجرين من بني معاوية ضبية ، لها سن مشرفة على أسنانها فسمي ذلك الجبل بسنها .

وقد كان حذيفة أتبع الفالة فالة نهاوند : نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو ، فبلغا همذان فصالحهم خسرشنوم ، فرجعا عنهم ، ثم كفر بعدها فلما أن قدم عهده في العهود من عند عمر رحمه الله ، ودع حذيفة ، وودعه حذيفة هذا يريد همذان ، وهذا يريد الكوفة راجعاً ، واستخلف على الماهين أبا عمرو بن بلال ابن الحارث .

وكان كتاب عمر رحمه الله إلى نعيم بن مقرن : أن سر حتى تأتي همذان ، وابعث على مقدمتك سويد بن مقرن ، وعلى مجنبتيك ربعي بن عامر ومهلهل ابن زيد ، هذا طائي ، وذاك تميمي ، فخرج نعيم بن مقرن في تعبئته حتى ينزل ثنية العسل ، وإنما سميت بالعسل الذي أصابوا فيه غب وقعة نهاوند حيث اتبعوا الفالة فانتهى الفيرزان اليها وهي غاصة بحوامل تحمل العسل وغير ذلك ، فحبست بالفيرزان حتى نزل فتوقل في الجبل ، وغار فرسه فأدرك وأصيب ولما نزلوا كنكور[1] سرقت دواب من دواب المسلمين ، فسمي قصر اللصوص .

ثم انحدر نعيم من الثنية حتى نزل مدينة همذان وقد تحصنوا منهم ، فحاصروهم فيها ، وأخذوا ما بين ذلك وبين جرميذان[2] ، واستولوا على بلاد همذان كلها ، فلما رأى ذلك اهل المدينة سألوا الصلح على أن يحريهم ومن استجاب مجرى واحداً ففعل ، وقبل منهم الجزي على المنعة ، وفرق دستى بين النفر من

(١) بليدة بين همذان وقرميسين ، وفيها قصر عجيب يقال له قصر اللصوص ، معجم البلدان .
(٢) موضع في أرض الجبل من نواحي همذان ، معجم البلدان .

اهل الكوفة بين عصمة بن عبد الله الضبي ، وبين مهلهل بن زيد الطائي ، وسماك ابن عبيد العبسي ، وسماك بن مخرمة الأسدي ، وسماك بن خرشة الأنصاري ، فكان هؤلاء أول من ولي مسالح دستي وقاتل الديلم ، فبينا نعيم في مدينة همذان في توطئتها في اثني عشر ألفاً من الجند ، تكاتب الديلم وأهـــل الري وأهل أذربيجان[1] ثم خرج موتى في الديلم حتى ينزل بواج[2] روذ ، وأقبل الزينبي ابو الفرخان في اهل الري حتى انضم اليه ، وقدم أسفندباذ ، وأقبل أخو رستم في اهل أذربيجان حتى انضم اليه وتحصن أمراء مسالح دستي ، وبعثوا إلى نعيم بالخبر فاستخلف يزيـد بن قيس ، وخرج اليهم في الناس حتى نزل عليهم بواج الروذ فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ، وكانت وقعة عظيمة تعدل وقعـة نهاوند ، ولم تكن دونهـــا ، وقتل القوم مقتلة عظيمة لا يحصون ولا تقصر ملحمتهم عن الملاحم الكبار .

وقد كانوا كتبوا إلى عمر باجتماعهم ففزع عمر رحمـه الله لجمعها واهتم بحربها وتوقع ما يأتيه عنهم فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة ، فقال : أبشير ؟ فقال : بل عروة . فلما ثنى عليه : أبشير؟ فطن ، فقال : بشير ، فقال عمر : رسول نعيم؟ قال : رسول نعيم ، قال الخبر : قال البشرى بالفتح والنصر ، وأخـبره الخبر فحمد الله عز وجل ، وأمر بالكتاب فقرىء على الناس فحمدوا الله تعالى وأثنوا عليه ، ثم قدم سماك بن مخرمة وسماك بن عبيد وسماك بن خرشة في وفود من وفود اهل الكوفة بالأخماس على عمر ، فنسبهم ، فانتسب له سماك ، وسماك ، وسماك ، فقال : بارك الله فيكم اللهم : أسمك بهم الإسلام ، وأيدهم بالإسلام ، فكانت دستي من همذان ومسالحها إلى همذان حتى رجـع الرسول إلى نعيم بن مقرن بجواب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أما بعد : فاستخلف على همذان ، وأمد

---

(١) في م « دبريجان » .

(٢) موضع بين همذان وقزوين .

بكير بن عبد الله بسماك بن خرشة ، وسر حتى تقدم الري ، فتلقى جمعهم ، ثم أقم بها فإنها أوسط تلك البلاد وأجمعها لما تريد ، فأقر نعيم يزيد بن قيس الهمداني على همذان ، وسار من واج الروذ بالناس إلى الري ، وقال نعيم بن مقرن في واج روذ :

لما أتاني أن موتى ورهطه ... بني باسل جروا جنود الأعاجم
نهضت اليهم بالجنود مسامياً ... لأمنع منهم ذمتي بالقواصم
فجئنا اليهم في الحديد كأنها [1] ... جبال ترائى من فروع القلاسم
فلما لقيناهم بها مستفيضة ... وقد جعلوا يسمون فعل المساهم
صدمناهم في واج روذ بجمعنا ... غداة رميناهم بإحدى الصوارم
فما صبروا في حومة الموت ساعة ... لحد الرماح والسيوف الصوارم
كأنهم عند انتياب [2] جموعهم ... جدار تشظى لبنه للهوادم
أصبنا بها موتى ومن لف جمعه ... وفيها نهاب قسمه غير عاتم
تبعناهم حتى أووا في شعابهم ... نقتلهم قتل الكلاب الحواجم
كأنهم في واج روذ وجوه ... ضئين أصابتها فروج المخارم

وقال سماك بن مخرمة يعدد تلك الأيام :

برزت لأهل القادسية معلماً ... وما كل من يلقى الكريهة يعلم
وقومي بنو عمرو ونصر كأنهم ... أسود بمرج [3] حين شبوا وأسلموا
ويوماً بأكناف النخيلة قبلها ... لججت فلم أبرح أدمي وأكلم
وأقعص منهم فارساً بعد فارس ... وما كل من يغشى الكريهة يسلم
فنجاني الله الأجل وجرأتي ... وسيف لأطراف الموارب مخذم

(١) في م « كأننا » .
(٢) في م « انتهاب » .
(٣) في الأصل : « ببرج » وهو تصحيف قوم من نسخة م ومما سبق ذكره .

وحولي بنو دودان لا يبرحونني إذا أسرجت صاحوا بهم ثم صمموا
وايقنت يوم الديلمين أنه متى ينصرف قومي عن الناس[1] يهزموا
محافظة إني امرؤ ذو حفيظة إذا لم أجد مستأخراً أتقدم

فتح الري

وخرج نعيم بن مقرن من واج روذ في الناس وقد أقر[2] بها الى دستبي ، ففصل منها على الري وقد جمعوا له وخرج الزينبي أبو الفرخان الى واج روذ فلقيه الزينبي بمكان يقال له قيها مسالماً ومخالفاً لملك الري ، وقد رأى من المسلمين ما رأى مع حشد سياوخش وأهل بيته[3] فأقبل مع[4] نعيم والملك يومئذ بالري سياوخش بن مهران بن بهرام شوبين ، فاستمد أهل دناوند ، وطبرستان ، وقومس ، وجرجان ، وقال : قد علمتم أن هؤلاء إن حلوا بالري إنه لا مقام لكم فاحتشدوا له ، فناهده سياوخش فالتقوا بسفح جبل الري الذي الى جانب مدينتها ، فاقتتلوا به .

وقد كان الزينبي قال لنعيم بن مقرن : ان القوم كثير وأنت في قلة فابعث معي خيلاً أدخل مدينتهم من مدخل لا يشعرون به ، وناهدهم أنت فإنهم اذا خرجوا عليهم لم يثبتوا لك ، فبعث معه نعيم خيلاً من الليل عليها ابن أخيه المنذر بن عمرو ، فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم ، وبيتهم نعيم بياتاً فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا حتى سمعوا التكبير من ورائهم ، ثم

(١) في م « البأس » .
(٢) في م « أخربها » .
(٣) في م « دينه » .
(٤) في م « معهم » .

انهم انهزموا فقتلوا مقتلة عدوا فيها بالقصب ، وأفاء الله عز وجل على المسلمين بالري نحواً من فيء المدائن ، وصالحه الزيني على أهل الري ، ومرزبه عليهم نعيم ، فلم يزل شرف الري في آل الزيني الأكبر ومنهم فرخان وشهرام ، وسقط آل بهرام [1] وأخرب نعيم مدينتهم ، وهي التي يقال لها العتيقة ، يعني المدينة بالري ، وأمر الزيني فبنى مدينة الري الحدثى .

وكتب نعيم الى عمر رحمه الله بالذي فتح الله تعالى عليه مع المضارب العجلي ووفد بالاخماس مع عتبة بن النهاس وأبي مفزر في وجوه من وجوه أهل الكوفة ، وأمد بكير بن عبد الله بسماك بن خرشة الانصاري بعدما فتح الله عز وجل الري ، فسار سماك الى أذربيجان مدداً لبكير ، وكتب نعيم لأهل الري كتاباً .

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أعطى نعيم بن مقرن الزيني بن قوله ، أعطاه الامان على أهل الري ومن كان معهم من غيرهم على الجزي طاقة كل حالم في كل سنة وعلى أن ينصحوا ، ولا يغلوا ، ولا يسلوا ويدلوا ، وعلى أن يقروا المسلم يوماً وليلة ، وعلى أن يفخموا المسلم فمن سب مسلماً ، أو استخف به نهك عقوبة ، ومن ضربه قتل ومن بدل منهم فلم يسلم برمته فقد غر جماعتكم . وكتب وشهد .

وراسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدى به من غير أن يسأله النصر والمنعة ، فقبل منه ، وكتب بينه وبينه كتاباً على غير نصر ولا معونة على أحد ، فجرى ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا كتاب من نعيم بن مقرن لمردانشاه مصمغان دنباوند وأهل دنباوند

---

(١) في الأصل : « قبل هذه » وهو تصحيف قوم من م .

والخزر واللار والسر ، وانك آمن ومن دخـــل معك على الكف ، أن تكف أهل أرضك وتتقي من ولي الفرج بمائتي ألف درهم ، وزن سبعة في كل سنة ، لا يغار عليك ولا يدخل عليك الا بإذن ما أقمت على ذلك حتى تغير ، ومن غير فلا عهد له ولا لمن يسلمه ، وكتب وشهد .

وقال أبو يحيد نافع بن الاسود في يوم الري :

آلا هل أتاها أن بالري معشراً ... شفوا سقماً لما استجاشوا وقنبلوا
لهم موطنان عاينوا الهلك[1] فيهما ... بأيد طـوال لم يخنهـن مفصل
وخيل تعـادى لا هوادة بينهـــا ... وراد وكمت تمتطى ومحجل
ودهم وشقر تنشد البلق بينها ... اذا ناهبت قوماً تولوا وأوهلوا
قتلناهم بالسفح مثنى وموحداً ... وصار لنا فيها مـواد ومأكل
قتلنا سياوخش ومن مال مليه ... ولم ينج منهم بالسفوح مؤمل
جزى الله خيراً معشراً غصبوهم ... وأعطاهم خير العطاء الذي يلوا[2]

وقال أيضاً :

وبالري ان سألت بنـــا أم جعفر ... أقمنا صدور الخيـل والخيل تنفر
اذا حذر الاقدام منهـن قادح ... نقحمه في المـوت أغيد أزهر
أخو الهيج والروعات ان زفرت به ... أناخ اليهـا صابراً حين تزفـــر
فتسفر عنها الحرب بعد انصبابها ... وفينا البقايا والفعال المسهر[3]
قتلنا بني بهرام لما تتـــابعوا ... على أمـر غاويهم وغـاب المسور
وبالسفح موتى لا تطير نسورها ... لها في سواء السفح مثوى ومحشر
ولولا اتقاء القوم بالسلم أقفرت ... بلادهم أو يهـــربون فيعزروا
خلفناهم بالري والري منزل ... له جانب صعب هنالك معور

---

(١) في م « الملك » .
(٢) في م « يبلوا » .
(٣) بداية سقط في الأصل .

فتح قومس

قالوا : ولما كتب نعيم بفتح الري مع المضارب العجلي ، ووفد بالأخماس ، كتب اليه عمر أن قدم سويد بن مقرن الى قومس ، وابعث على مقدمته سماك ابن مخرمة ، وعلى مجنبتيه عتيبه بن النهاس ، وهند بن عمرو الجملي ، وفصل سويد بن مقرن في تعبئته من الري نحو قومس ، فلم يقم له أحد فأخذها سلماً ، وعسكر بها ، فلما شربوا من نهر لهم يقال له ملاذ فشا فيهم القصر[1] ، فقال لهم سويد غيروا ماءكم حتى تعودوا كأهله ففعلوا واستمرءوه ، وكاتبه الذين لجئوا الى طبرستان منهم والذين أخذوا المفاوز فدعاهم الى الصلح والجزي ، وكتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ومن حشوا[2] من الأمان على أنفسهم ومالهم وأموالهم على أن يؤدوا الجزية عن يد ، عن كل حالم بقدر طاقته وعلى أن ينصحوا ولا يغشوا ، وعلى أن يدلوا ، وعليهم نزل من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم ، وإن بدلوا واستخفوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة . وكتب وشهد .

---

(١) هو يبس في العنق .

(٢) الحشو : الحاشية وأراد هنا أهل قومس ومن كان بها من غير أهلها .

قالوا : وعسكر سويد بن مقرن ببسطام وكاتب ملك جرجان رزبان صول، ثم سار اليها ، فكاتبه رزبان صول ، وباداه بالصلح على أن يؤدي اليه الجزي ويكفيه حرب جرجان ، فإن غلب أعانه ، فقبل ذلك منه وتلقاه رزبان صول قبل دخول سويد جرجان ، فدخل معه وعسكر بها حتى جبي اليه خراجها ، وسمى فروجها فسددها بترك دهستان ، ورفع الجزي عمن أقام ليمنعها ، وأخذ الخراج من سائر أهلها وكتب بينهم كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول بن رزبان ، وأهل دهستان وسائر أهل جرجان إن لكم الذمة ، وعليكم المنعة من الجزي في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ومن استعنا به منكم فله جزاءه ، وفي معونته عوض من جزاءه ، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، فلا يغير من ذلك شيء هو اليهم ما أن أدوا وأرشدوا السبيل ونصحوا ، وقروا المسلمين ، ولم يبد منهم سل ولا غل ومن أقام فيهم فله مثل ما لهم ، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ، وعلى أن من سب مسلما بلغ جهده ، ومن ضربه حل دمه . شهد سواد بن قطبه وهند بن عمرو وضماك بن مخرمة وعتيبة بن النهاس . وكتب في سنة ثمان عشرة .

وقال أبو بجير :

دعانا إلى جرجان والري دونها سواد فارضت من بها والعشائر
رضيا بريف الري والري بلدة لها زينة في عيشها المتواتر
تبهج فعل الغانيات وشكلها كشكل فتاة في البروز العوائر
لها نسم في كل آخر ليلة تذكرك أعراس الملوك الأكابر

(١) وأرسل الأصبهبذ سويداً في الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيئاً على غير

(١) الحديث الآن حول فتح طبرستان – انظر الطبري : ٤/١٥٣ .

نصر ولا معونة على أحد ، فقبل ذلك منـــه وجرى ذلك لهـم وكتب له كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان أصبهبذ خراسان ، على طبرستان ، وجبل جيلان من أهل العدو إنك آمن بأمان الله ، على أن تكف نصرتك وأهل حواشي أرضك ولا تؤوي لنا بغيه وتتقي من ولي فرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك [فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يغير عليك ، ولا يتطرق أرضك] (١) ولا يدخـــل عليك إلا بإذنك سبيلنا عليكم بالإذن آمنة ، وكذلك سبيلكم ، ولا تؤون لنا بغية ، ولا تسلون لنا الى عـدو ، ولا تغلون فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم . شهد سواد بن قطبة التميمي ، وهند بن عمرو المرادي وسماك بن مخرمة الأسدي وسماك بن عبيـد العبسي وعتيبة بن النهاس البكري . وكتب سنة ثمان عشرة .

★ ★

(١) زيد ما بين الحاصرتين من تاريخ الطبري: ٤/١٥٣ .

فتح أذربيجان

قالوا : ولما إفتتح نعيم همذان ثانية ، وسار إلى الري من واج روذ ، كتب اليه عمر رحمه الله أن يبعث سماك بن خرشه الأنصاري مدداً لبكير بن عبد الله بأذربيجان فأخر ذلك حتى افتتح الري ، ثم سرحه من الري ، فسار سماك نحو بكير بأذربيجان ، وكان سماك بن خرشة وعتبة بن فرقد من أغنياء العرب فقدما الكوفة بالغنى .

وقد كان بكير سار حين بعث اليها حتى اذا طلع بحيال جرميذان طلع عليه إسفنديادْ بن الفرخزاذ مهزوماً من واجروذ فكان أول قتال لقيه بأذربيجان فاقتتلوا فهزم الله جنده ، وأخذ بكير اسفنديادْ أسيراً ، فقال له اسفنديادْ : الصلح أحب اليك أم الحرب ؟ قال : بل الصلح ، قال فأمسكني عندك فإن أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم ، أو أجب لم يقيموا لك وجلوا الى الجبال التي حولها من الفيج [1] والروم ومن كان على التحصن تحصن ليوم ما ، فأمسكه عنده فأقام وهو في يديه وطارت البلاد اليه إلا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة مدداً وأسفنديادْ في أساره ، وقد افتتح ما يليه ، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه ، وقال بكير لسماك مقدمه عليه ومازحه ما الذي أصنع بك وبعتبة ياغنيين ؟ لئن أطعت ما في نفسي لأمضين قدما ولاخلفنكما فإن شئت أقمت معي وإن شئت أتيت عتبة ، فقد أذنت لك ، فإني لا أراني إلا تاركهما وطالباً وجها هو أكره من هذا ، واستعفي عمر رحمه الله ، فكتب اليه بالإذن

(١) إسم أطلقه العرب على سكان الحدود داخل بيزنطة وجبهة الباب ،

على أن يتقدم نحو الباب وأمره أن يستخلف على عمله ، فاستخلف عتيبة على الذي افتتح منها ، ومضى قدما ودفع اسفندياذ الى عتبة ، فضمه عتبة وأمر عتبة سماك بن خرشة – وليس بأبي دجانة – على عمل بكير الذي كان افتتح وجمع عمر رحمه الله اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد .

قالوا : وكان بهرام بن الفرخزاذ قد أخذ بطريق عتبة بن فرقد ، وأقام له في عسكره حتى قدم عليه عتبة ، فاقتتلوا فهزمهم عتبة ، وهرب بهرام ، فلما بلغ الخبر بهزيمة بهرام ومهربه أسفندياذ وهو في الأسار عند بكير ، قال : الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه وأجاب الى ذلك كلهم ، وعادت أذربيجان سلما ، وكتب بذلك بكير وعتبة إلى عمر رحمه الله وبعثوا بما خمسوا مما أفاء الله عز وجل عليهم ، ووفدوا الوفد بذلك ، وكان بكير قد سبق عتبة بفتح ما ولي ، وتم الصلح بعد ما هزم عتبة بهرام ، وكتب عتبة بينه وبين أهل أذربيجان كتابا حيث جمع له عمل بكير الى عمله .

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشمارها [1] وأهل مللها كلهم من الأمان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ، ليس على صبي ولا على امرأة ، ولا زمن [2] ليس في يديه من الدنيا شيء ولا متعبد متحل ليس في يديه من الدنيا شيء ، لهم ذلك ولمن سكن معهم ، وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوما وليلة ، وولايته ومن حشر منهم في سنة رفع عنه جزي تلك السنة ، ومن أقام فله مثلما لمن أقام من ذلك ، ومن خرج فله

(١) في : الطبري ٤/١٥٥ « وشفارها » .
(٢) أي ضعيف به عاهة .

الأمان حتى يلجأ الى حرزه . وكتب جندب وشهد بكير بن عبد الله الليثي وسماك بن خرشة الأنصاري ، وكتب في سنة ثمان عشره .

قالوا : وفيها قدم عتبة على عمر بالخبيص الذي كان أهداه له ، وذلك أن عمر رحمه الله كان يأخذ عماله بموافاة المواسم في كل سنة يحجر عليهم بذلك الظلم ، ويحجزهم به عنه .

وقال عتبة بن فرقد :

تسربلت سربالاً غداة لقيتهم ... وللموت فيه والعدو المكابر
فصادمت بهراما بغز مؤزر ... بجانب ذربيجان عند التهاتر
وكان لواءنا للأسنة موعـــداً ... فدارت رحانا بالخميس الجماهر
وأعرض بهرام وأسلم جنده ... جميعا لإحدى المنكرات النهابر
وصارت الينا بالرداع وغبها ... فدرت علينا بالجزي والذخائر
وسالم بهرام وكانت سلامة ... لغائرهم غير المنى والتبادر

حديث فتح الباب

قالوا : وردّ عمر رضي الله عنه أبا موسى الى البصرة، ورد سراقة بن عمرو، وكان يدعى ذا النور إلى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ، وكان أيضاً يدعي ذا النور ، وجعل على إحـــدى المجنبتين حذيفة بن أسيد الغفاري، وسمى للأخرى بكير بن عبد الله الليثي ، وكان بإزاء الباب قبل قدوم سراقة بن عمرو عليه ، وكتب اليه أن يلحق به وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة ، فقدم سراقة عبد الرحمن بن ربيعة ، وخرج في الأثر حتى إذا خرج من أذربيجان نحو الباب ، وقدم على بكير في أدنى الباب فاستدف[1] ببكير ، ودخـــل بلاد

(١) أي وصل إليه في الظلام . القاموس .

الباب على ما عبأه عمر رحمه الله ، وأمده عمر بحبيب بن مسلمة ، صرفه اليه من الجزيرة ، وبعث زياد بن حنظلة مكانه على الجزيرة ، حيث اعتزل زمان الفتنة .

ولما أطل عبد الرحمن بن ربيعة على الملك بالباب، والملك يومئذ بها شهر براز رجل من أهل فارس ، وكان على ذلك الفرج، وكان أصله من أهل شهربراز الملك الذي أفسد بني اسرائيل ، وأعرى الشام منهم ، فكاتبه شهربراز واستأمنه على أن يأتيه ففعل ، فأتاه فقال إني بإزاء عدو كلب ، وأمم مختلفة لا ينسبون الى أحساب ، وليس ينبغي لذي العقل والحسب أن يعين أمثال هؤلاء ، ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول ، وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان ولست من الفيج في شيء ولا من الأرمن ، وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي ، فأنا اليوم منكم بيدي مع أيديكم وضعوني معكم ، فمرحباً بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ، ولا تولونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم .

فقال عبد الرحمن فوقي رجل قد أظلك فسر إليه، فجوزه فسار الى سراقة ، فلقيه بمثل ذلك ، [فقال سراقة : قد قبلت ذلك] [1] ممن كان معك على هذا ما دام عليه ، ولا بد من الجزي ممن يقيم ولا ينهض ، فقبل ذلك وقد صارت سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين ، وفيمن لم يكن عنده الجزي إلا أن يستنفروا فيوضع عنهم جزي تلك السنة ، وكتب سراقة الى عمر بن الخطاب بذلك فأجازه وحسنه ، وليس لملك البلاد التي في ساحة تلك الجبال نبك [2] لم يقم الأرمن بها إلا على أوفاز ، وإنما هم سكان ممن حولها ومن الطراء ،

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من الطبري : ٤/١٥٦ .

(٢) النبكة : أكمة عنده الرأس ، وربما كانت حمراء أو أرض فيها صعود وهبوط أو التل الصغير ، القاموس .

(٣) الأوفاز : الاماكن المرتفعة . القاموس .

استأصلت الغارات نبكها من أهل القرار ، وآرز أهل الجبال منهم إلى جبالهم وجلوا عن قرار أرضهم ، وكان لا يقيم بها إلا الجنود ومن أعانهم أو تجر اليهم واكتتبوا من سراقة بن عمرو كتاباً .

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملتهم فلا يضاروا ولا ينتقصوا ، وعلى أهل أرمينية والأبواب والطراء منهم والتناء ، ومن حولهم فدخل معهم ، أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحاً ، على أن يوضع عمن أجاب الى ذلك الجزي إلا الحشر ، والحشر عوض من جزاهم ومن استغنى منهم فقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزي والدلالة والنزل يوماً كاملاً ، فإن حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا أخذوا به . شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله ، وكتب قرضي بن مقرن وشهد .

ووجه سراقة بعد ذلك بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة الى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية ، فوجه بكير بن عبد الله الى موقان ، ووجه حبيباً الى تفليس ، وحذيفة بن أسيد الى من بجبال اللان وسلمان بن ربيعة الى الوجه الاخر .

وكتب سراقة بالفتح وبالذي وجه فيه هؤلاء الى عمر بن الخطاب رحمه الله ، فأتى عمر رحمه الله أمر لم يكن يرى أنه يستتم له على ما خرج عليه في سريح يغير مؤونة وكان فرجا عظيما به جند عظيم ، إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم ثم يصنعون الحرب أو يبعثونها ، فلما استوسقوا واستحلوا عدل الاسلام مات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ، وقد مضى أولئك القواد الذين بعثهم

سراقة ، فلم يفتح أحد منهم ما وجه له إلا بكير فإنه قبض موقان ، ثم تراجعوا على الجزية ، فكتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال الفيج الأمـــان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزي دينار عن كل حالم ، أو قيمته ، والنصح ، ودالة المسلم ، ونزله يومه وليلته ، فلهم الأمان ما أقروا ونصحوا ، وعلينا الوفاء ، والله المستعان ، فإن تركوا ذلك ، واستبان منهم غش ، فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغشش برمتهم ، والا فهم متالئون. شهد الشماخ بن ضرار ، والرسارس بن جنادب وحملة بن جوية ، وكتب سنة إحدى وعشرين .

ولما بلغ عمر رحمه الله موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقر عمر رحمه الله عبد الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك ، فخرج عبد الرحمن حتى قطع الباب ، فقال له شهربراز : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد بلنجر ، قال : إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب ، قال : لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم وبالله إن معنا لأقواماً لو يأذن لنـــا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الردم ، قال : وما هم ؟ قال : أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنيه وكانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهليـة ، فإزداد حياؤهم وتكرمهم ، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم ، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غرهم ، فغزا بلنجر غـزاة في زمان عمر رحمه الله لم تئم فيها امرأة ولم ييتم فيها صبي ، وبلغ خيله في غزاته البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر ، ثم غزا فسلم ، ثم غزا غزوات في زمن عثمان رحمه الله ثم أصيب عبد الرحمن حتى [1] تبدل أهـــل الكوفة في أمارة عثمان

(١) في الطبري : ٤/١٥٨ « حين » .

لاستعماله من كان ارتد استصلاحاً لهم ، فلم يصلحهم ذلك وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا ، وعضلوا بعثمان رحمه الله حتى جعل يتمثل .

وكنت وعمراً كالمسمن كلبه فخدشه أنيابه وأظافره

وعن سلمان بن ربيعة قال : لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة حال الله عز وجل بين الترك وبين الخروج عليه ، وقالوا ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت ، فتحصنوا منه وهربوا فرجع بالغنم والظفر ، وذلك في إمارة عمر رحمه الله .

ثم إنه لما غزاهم غزوات في زمان عثمان وظفر كما كان يظفر ، حتى إذا تبدل أهل الكوفة لاستعمالهم من وليهم ممن كان ارتد ، وغزاهم بعد ذلك تذامرت الترك ، وقال بعضهم لبعض : إنهم لا يموتون، قال : انظروا ففعلوا فاختفوا لهم في الغياض فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا فاشتد قتالهم ونادى منادٍ من الجو صبراً آل عبد الرحمن موعدكم الجنة حتى قتل ، وانكشف الناس ، وأخذ سلمان بن ربيعة الراية فقاتل بها ونادى مناد من الجو صبراً آل سلمان ، فقال سلمان ، أو ترى جزعاً ، ثم خرج بالناس .

وخرج سلمان الفارسي وأبو هريرة الدوسي على جيلان فقطعوها إلى جرجان، واجترأ الترك بعدها ، ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن ، فهم يستسقون به حتى الآن ، وجعل عثمان رحمه الله يغزيها بعد ذلك لإنتكاث أهل الكوفة وولعهم ، ومعهم أهل الشام مع حبيب بن مسلمة .

وعن مطر بن ثلج التميمي قال : دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهرباز عنده ، فأقبل رجل عليه شحوبة حتى دخل على عبد الرحمن ، فجلس إلى شهرباز وعلى مطر قباء برود يمنية ، أرضه حمراء ووشيه أسود ، أو وشيه أحمر وأرضه سوداء فتساءلا .

ثم إن شهربراز قال : أيها الأمير أتدري من أين جاء هذا الرجل ، هذا رجل بعثته منذ سنين نحو السد لينظر لي ما حاله ومن دونه ، وزودته مالاً عظيماً ، وكتبت له إلى من يليني ، وأهديت له وسألته أن يكتب له إلى من وراءه ، وزودته لكل ملك هدية ، ففعل ذلك بكل ملك بينه وبينه حتى انتهى إلى الملك الذي السد في ظهر أرضه فكتب إلى عامله على ذلك البلد ، فأتاه فبعث معه بازياره ومعه عقابه ، فأعطاه حريرة قال: فتشكر لي البازيار فلما انتهينا فإذا جبلان بينهما سد مسدود ، حتى ارتفع على الجبلين بعدما استوى لهما ، وإذا دون السد خندق أشد سواداً من الليل لبعده ، فنظرت إلى ذلك كله وتفرست ، ثم ذهبت لأنصرف فقال لي البازيار : على رسلك أكافيك ، إنه لا يلي ملك بعد ملك إلا تقرب إلى الله بأفضل ما عنده من الدنيا فيرمي به في هذا اللهب فشرّح بضعة لحم معه فألقاها في ذلك الهواء وقضت عليها العقاب ، وقال إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء ، وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء ، فخرجت علينا باللحم في مخالبها ، وإذا فيها ياقوتة فأعطانيها ، وهي هذه فتناولها منه شهربراز حمراء فناولها عبد الرحمن فنظر إليها ثم ردها إلى شهربراز ، وقال شهربراز لهذه خير من هذا البلد يعني الباب ، وأيم الله لأنتم أحب إلى ملكة من آل كسرى ، ولو كنت في سلطانهم ، ثم بلغهم خبرها لانتزعوها مني ، وأيم الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم أو وفى ملككم الأكبر.

فأقبل عبد الرحمن على الرسول وقال : ما حال الردم وما شبهه ، فقال : هذا الثوب الذي على هذا الرجل فنظر إلى ثوبي ، فقال مطر بن ثلج لعبد الرحمن ابن ربيعة : صدق والله الرجل ، لقد نفذ ورأى قال : أجل ووصف صفة الحديد والصفر ، وقال : ﴿ آتوني زبر الحديد ﴾ [1] إلى آخر الآية ، وقال عبد الرحمن لشهربراز : كم كانت هديتك ؟ قال قيمة مائة ألف في بلادي هذه ، وثلاثة آلاف ألف وأكثر في تلك البلدان .

---

(١) سورة الكهف ـ الآية : ٩٦ :

ذكر تعديل عمر رضي الله عنه فتوح أهل الكوفة وأهل البصرة بينهم

حكى سيف عن شيوخه قالوا : كتب عمر بن سراقة ، وهو يومئذ على البصرة إلى عمر بن الخطاب يذكره كثرة أهل البصرة ، وعجز خراجهم عنهم ويسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو ماسبذان ، وبلغ ذلك أهل الكوفة فقالوا لعمار : اكتب لنا إلى عمر إن رام هرمز وإيذج لنا دونهم لم يعينونا عليها بشيء ، ولم يلحقوا بنا حتى افتتحناها ، فقال عمار : مالي ولما ها هنا ، فقال له عطارد فمن ، علام تودع فيئنا أيها العبد الأجدع ! فقال : لقد سببت أحب أذني إلي ، ولم يكتب في ذلك ، فأبغضوه .

ولما أبى أهل الكوفة إلا الخصومة فيها لأهل البصرة ، شهد لهم أقوام على أبي موسى أنه قد كان آمن أهل رام هرمز وإيذج ، وأن أهل الكوفة والنعمان راسلوهم وهم في أمان ، فأجاز ذلك عمر ، وأجراها لأهل البصرة بشهادة الشهود وادعى أهل البصرة في أصبهان قريات افتتحها أبو موسى دون جي ، أيام أمدهم بهم عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، فقال أهل الكوفة أتيتمونا مدداً وقد إفتتحنا البلاد فآسيناكم في المغانم ، والذمة ذمتنا ، والأرض أرضنا فقال عمر : صدقوا ، ثم إن أهل الأيام وأهل القادسية من أهل البصرة أخذوا في أمر آخر ، وحتى قالوا فليعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤهم فيه من سوادهم وحواشيه ، فقال عمر رحمه الله : أترضون بماه ؟ وقال لأهل الكوفة : أترضون أن نعطيهم من ذلك أحد الماهين ؟ فقالوا : ما رأيت

أنه ينبغي فاعمل به فأعطاهم ماه دينار بنصيبهم لمن كان شهد الأيام والقادسية من أهل الكوفة .

ولما ولي معاوية بن أبي سفيان ، وكان معاوية هو جنّد قنسرين من رافضة العراقين أيام عليّ رحمه الله ، وإنما كانت قنسرين رستاقاً من رساتيق حمص حتى مصرها معاوية وجندها لمن نزل الكوفه والبصرة في ذلك الزمان ، وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق وأذربيجان والموصل والباب وضمها فيما ضم ، وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة رميتا بكل من كان ترك هجرته من أهل البلدين ، وكانت الباب وأذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة فنقل ذلك إلى من انتقل منهم إلى الشام أزمان علي رحمه الله ، وإلى من رميت به الجزيرة والموصل ممن كان ترك هجرته أيام علي رحمه الله .

وكفرا أهل أرمينية زمان معاوية وقد أمرّ حبيب بن مسلمة على الباب ، وحبيب يومئذ بخزران ، وكاتب أهل تفليس وتلك الجبال ثم ناجزهم حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب ، وكتب بينه وبينهم كتاب بعدما كاتبهم :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من حبيب بن مسلمة إلى أهل طفليس من خزران أرض الهرمز ، سلم أنتم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنه قدم علينا رسولكم تفلي مبلغ عنكم وأدى الذي بغيتم ، وذكر تفلي عنكم أنا لم نكن أمة فيما تحسبون ، وكذلك كنا حتى هدانا الله عز وجل بمحمد ﷺ وأعزنا الله بالاسلام بعد ذلة وقلة وجاهلية ، وذكر تفلي أنكم أحببتم سلمنا فما كرهت والذين آمنوا معي ، وقد بعثت إليكم عبد الرحمن بن جزء السلمي ، وهو ما علمنا من أهل العلم بالله عز وجل ، وأهل القرآن ، وبعثت معه بكتابي أمانكم ، فإن رضيتم دفعه إليكم وإن كرهتم آذنكم بحرب على سواء ﴿ إن الله لا يحب الخائنين ﴾[1] .

---

(١) سورة الانفال - الآية : ٥٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهـــل طفليس من خزران أرهن الهرمز بالآمـــان على أنفسكم وأموالكم وصوامعكم وبيعكم وصلواتكم على اقرار بصغار الجزية على أهل كل بيت دينار واف ، ولنا نصحكم ونصركم على عدو الله وعدونا وقرى المسلم المحتاج [1] ليلة من حلال طعام أهل الكتاب ، وحلال شرابهم وهدية الطريق في غير ما يضر فيـــه بأحد منكم فإن أسلمتم وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فإخواننا في الدين ، ومواليتنا ، ومن تولى عن الله تعـــالى ورسله وكتبه وحزبه فقـــد آذناكم بحرب على سواء ﴿ إن الله لا يحـب الخائنين ﴾ [2] . شهد عبد الرحمن بن خالد ، والحجاج وعيـاض وكتب رياح وأشهد الله تعالى وملائكته والذين آمنوا وكفى بالله شهيداً .

حديث الانسياح ومسير يزدجرد الى خراسان

ذكر سيف رحمه الله عن شيوخه قالوا : أذن عمر رضي الله عنه في الإنسياح سنة سبع عشرة في بلاد فـارس ، وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف بن قيس ، وعرف فضله وصدقه وفرق الامراء والجنود ، وأمر على أهل البصرة أمراء ، وأمر على أهل الكوفـــة أمراء ، وأمر هؤلاء وهؤلاء بأمره ، وأذن لهم في الانسياح فانساحوا ، وأمر أبا موسى أن يسير بعد أمراء البصرة إلى منقطع ذمة البصرة ، فيكون هنالك حتى يحدث اليه .

وبعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدي حليف بني عبد الأشهل فقـــدم

---

(١) في الطبري : ٤/١٦٢ « وقرى المجتاز ليلة » .

(٢) سورة الانفال – الآية : ٥٨ .

سهيل البصرة بالألوية ، فدفـــع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس ولواء أزدشيرخره وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمي ، ولواء اصطخر إلى عثمان بن ابي العاصي الثقفي ، ولواء فسا ودرأبجرد إلى سارية بن زنيم الكنـاني ، ولواء كرمان مع سهيل بن عدي ، ولواء سجستان إلى عاصم بن عمرو ، وكان عاصم من الصحابة ، ولواء مكران إلى الحكم بن عمرو التغلبي ، فعسكروا ليخرجوا إلى هذه الكور ، فلم يستتب مسيرهم حتى دخلت سنة ثمان عشرة .

وأمدهم عمر بأهل الكوفة ، فأمد سهيل بن عدي بعبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وأمد الأحنف بعلقمة بن النضر ، وبعبد الله بن أبي عقيل وبربعي بن عامر ، وبابن أم غزال ، وأمد عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمـير الأشجعي ، وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق المازني .

وقد كان يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، وهو يومئذ ملك أهل فارس ، لما انهزم أهل جلولاء خرج يريد الري ، وقد جعل له محمل يطبق ظهر بعـيره ، وكان إذا سار قام فيه ولم يعرس[1] بالقوم ، فانتهى به إلى مخاضة ، وهو نائم في محمله فأنبهوه ليعلم وليئلا يفزع إذا خاض البعير إن هو استيقظ فعنفهم وقـال : بئس ما صنعتم ، والله لو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الأمـــة إني رأيت أني ومحمداً — ﷺ — تناجينا عند الله تعالى فقال له : أملكهم مائة سنة ، فقـــال زدني ، فقال : عشر ومائة سنة ، فقال . زدني ، فقال : عشرين ومائـة سنة ، فقال زدني فقال : لك ، وانبهتموني ، ولو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الأمة .

فلما انتهى إلى الري وعليها آبان جاذويه وثب عليه فأخذه فقال : يا آبان جاذويه تغدر بي ؟ فقال : لا ولكن قد تركت ملكك ، وصار في يدي غـيرك فأحببت أن أكتب على ما كان لي من شيء وما أردت من غير ذلك ، وأخـــذ

(١) المعرس : السائق الحاذق السياق إذا نشطوا سار بهم ، واذا كسلوا عرس بهم — القاموس.

خاتم يزدجرد، ووصل الأدم واكتتب الصكاك، وسجل السجلات بكل ما أعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم ، ثم أتى بعد سعداً فرد عليه كل شيء في كتابه .

ولما صنع آبان جاذويه بيزدجرد ما صنع، خرج يزدجرد من الري إلى أصبهان وكره جوار آبان جاذويه فاراً منه ولم يأمنه ، ثم عزم على كرمان فأتاها ومعه النار ، فأراد أن يضعها في كرمان ، ثم عزم على خراسان ، فأتى مرو فنزلها ، وقد نقل النار فبنى لها بيتاً ، واتخذ بستاناً وبنى أزجاً [١] فرسخين من مرو إلى البستان ، وكان على رأس فرسخين من مرو فإطمأن في نفسه، وأمن ان يؤتى ، وكاتب من مرو من بقي من الأعاجم لم يفتتحه المسلمون فدانوا له ، حتى إذا ثار أهل فارس والهرمزان فنكثوا، وصار ذلك داعية الى إذن عمر رضي الله عنه للمسلمين في الإنسياح ، فانساح اهل البصرة واهل الكوفة حتى أثخنوا في الأرض .

فخرج الأحنف الى خراسان فأخذ على مهرجان قذق، ثم خرج على أصبهان - واهل الكوفة محاصرو جي - فدخل خراسان من الطبسين [٢] فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدي ، ثم سار نحو مرو الشاهجان [٣]، وأرسل الى نيسابور - وليس دونها قتال - مطرف بن عبد الله بن الشخير ، والحارث بن حسان الى سرخس .

فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد نحو مرو الروذ [٤] حتى نزلها ، ونزل الأحنف مرو الشاهجان ، وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان يستمده، وكتب الى صاحب الصين يستعينه، وخرج الأحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلي بعدما لحقت به أمداد

---

(١) الازج بيت يبنى طولانياً .

(٢) قصبة ناحية بين نيسابور وأصبهان تسمى قهستان ، معجم البلدان .

(٣) مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها ، معجم البلدان .

(٤) مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينها خمسة أيام ، معجم البلدان .

الكوفة على اربعة امراء : علقمة بن النضر النصري ، وربعي بن عامر التميمي، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي ، وابن ام غزال الهمداني ، وخرج سائراً نحو مرو الروذ حتى اذا بلغ ذلك يزدجرد خرج الى بلخ ، ونزل الأحنف مرو الروذ وقدم اهل الكوفة فساروا الى بلخ واتبعهم الأحنف والتقى اهل الكوفة يزدجرد ببلخ ، فهزم الله عز وجل يزدجرد، وتوجه في اهل فارس الى النهر [1] فعبروا ، ولحق الأحنف بأهل الكوفة، وقد فتح الله عز وجل عليهم ، فبلغ من فتح اهل الكوفة وتتابع اهل خراسان ممن شذ او تحصن على الصلح فيما بين نسابور الى طخارستان ممن كان في مملكة كسرى ، وعاد الأحنف الى مرو الروذ فنزلها واستخلف على طخارستان ربعي بن عامر ، وهو الذي يقول له النجاشي ونسبه الى امه وكانت من أشراف العرب :

ألا رب من يدعى الفتى ليس بالفتى ... ألا إن ربعي بن كاس هو الفتى
طويل قعود القوم في قعر بيته ... اذا شبعوا من ثقل جفنته سقى

وكتب الأحنف الى عمر بفتح خراسان فقال: لوددت اني لم اكن بعثت إليها جنداً ولوددت انه كان بيننا وبينها بحر من نار ، فقال علي رحمه الله : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأن اهلها سينغضون منها ثلاث مرات فيجتاحون[2] في الثالثة ، فكان ان يكون ذلك بأهلها احب الي من ان يكون بالمسلمين.

وكتب عمر رحمه الله الى الأحنف اما بعد : فلا تجوزوا النهر ، واقتصروا على ما دونه ، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان، فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر ، وإياكم ان تغيروا فتنغضوا .

قال : وكان للأحنف صديق من ربيعة ثم من بكر بن وائل فقال : والله ما أراني الا مخليك يا ابا بحر ، وانشأ يقول :

---

(١) المقصود بالنهر هنا نهر جيحون – أمودريا حالياً بالإتحاد السوفييتي .
(٢) نغض : تحرك واضطراب . القاموس :

اما خليلي ابو بحر فإن لهعندي محبرة خمراً حواشيها

وفي ذلك يقول ربعي بن عامر :

نحن وردنا من هراة مناهلا وواما المروين أنكثن جاهلا

وبلخ ونيسابور قد شقيت بنا وطوس ومرو قد أزرنا القنابلا

أنحنا اليها كورة بعد كورة نفضهم حتى احتوينا المناهلا

فلله عيناً من رأى مثلها معا غداة ازرنا الخيل تركاً وبابلا

قالوا: ولما بلغ رسل يزدجرد الى خاقان وغوزك لم يستتب لهما انجاده حتى عبر اليهما النهر مهزوماً ، وقد استتب فانجده خاقان ، والملوك ترى على أنفسها انجاد الملوك ،فأقبل في الترك وحشر اهل فرغانة والصغد ، ثم خرج بهم، وخرج يزدجرد راجعاً إلى خراسان حتى عبر إلى بلخ ، وعبر معه خاقان فآرز أهل الكوفة إلى مرو الروذ إلى الأحنف ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف بمرو الروذ ، وكان الأحنف حين بلغه عبور خاقان والصغد ونهر بلخ غازياً له ، خرج في عسكره ليلاً يتسمع هل يسمع برأي ينتفع به ، فمر برجلين ينقيان علفاً إما تبناً وإما شعيراً ، وأحدهما يقول لصاحبه: لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً والجبل في ظهورنا من أن نؤتى من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد ، رجوت أن ينصرنا الله عز وجل ، فرجع فاجتزأ بها ، وهي ليلة مظلمة .

فلما أصبح جمع الناس وقال : إنكم قليل وإن عدوكم كثير ، فلا يهولنكم ذ ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ [1] ارتحلوا من مكانكم هذا فأسندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه في ظهوركم ، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم ، وقاتلوهم من وجه واحد ، ففعلوا وقد أعدوا ما يصلحهم، وهو في عشرة آلاف من أهل البصرة وأهل الكوفة نحو منهم ،فأقبلت الترك ومن

(١) سورة البقرة – الآية : ٢٤٧ .

اجتلبت حتى نزلوا بهم فكانوا يغادونهم ويراوحونهم ويتنحون عنهم بالليل ما شاء الله ، وطلب الأحنف علم مكانهم بالليل فخرج ليلة بعدما علم علمهم طليعة لأصحابه حتى إذا كان قريباً من عسكر خاقان، فوقف فلما كان في وجه الصباح خرج فارس الترك بطوقه ، وضرب بطبله ، ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله ، وهو يرتجز بقول الشاعر :

إن على كل رئيس حقاً أن يخضب الصعدة أو تندقا
إن لها شيخاً بها ملقى شيخ أبي حفص الذي تنقى

ثم وقف موقف التركي ، وأخذ طوقه، ثم خرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه الأول ، ثم وقف دونه ، فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين ، فطعنه الأحنف ، فقتله وهو يرتجز :

إن الرئيس يرثي ويطلع ويمنع الجلاء إما أربعوا

ثم وقف موقف التركي الثاني وأخذ طوقه، ثم خرج الثالث من الترك ففعل فعل الرجلين ، ووقف دون الثاني منهما فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين ، فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز :

حربي الشموس ناجزاً بناجز محتفلا في جريه مشارز[1]

ثم انصرف الأحنف إلى عسكره ولا يعلم بذلك أحد منهم حتى دخله واستعد، وكان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء كلهم يضرب بطبله ، ثم يخرجون بعد خروج الثالث، فخرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتلين، فتشاءم خاقان وتطير ، فقال خاقان : قد طال مقامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم نصب بمثله قط ما لنا في قتال هؤلاء القوم من خير فانصرفوا بنا، فكان وجههم راجعين وارتفع النهار للمسلمين ولا يرون شيئاً ، فأتاهم الخبر بإنصراف خاقان إلى بلخ ، وقد كان يزدجرد بن شهريار بن

(١) الشرز : الغلظ والقطع والشدة والصعوبة والقوة . القاموس .

كسرى ترك خاقان بمرو الروذ ، وخرج إلى مرو الشاهجان فتحصن منه حارثة ابن النعمان ومن معه فحصرهم ، واستخرج خزائنه من مواضعها وخاقان ببلخ مقيم له ، فقال المسلمون للأحنف ما ترى في اتباعهم ؟ فقال : أقيموا مكانكم ودعوهم .

ولما جمع يزدجرد ما كان في يديه مما وضع بمرو ، فأعجل عنه وأراد أن يستقل منها إذا أمر عظيم من خزائن أهل فارس ، وأراد اللحاق بخاقان فقال له أهل فارس : أي شيء تريد أن تصنع ؟ فقال : أريد اللحاق بخاقان فأكون معه ، أو بالصين ، فقالوا له : مهلا فإن هذا رأي سوء إنك إنما تأتي قوماً في مملكتهم ،وتدع أرضك وقومك،ولكن إرجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فإنهم أوفياء ، وأهل دين ، وهم يلون بلادنا ، وإن عدواً يلينا في بلادنا أحب إلينا ملكة من عدو يلينا في بلاده لا دين لهم، ولا ندري ما وفاءهم فأبى عليهم وأبوا عليه، فقالوا : فدع خزائننا نردها إلى بلادنا ومن يليها ولا نخرجها من بلادنا إلى غيرها ، فأبى ، فقالوا : فإنا لا ندعك فاعتزلوا وتركوه في حاشيته ، فاقتتلوا فهزموه وأخذوا الخزائن ، واستولوا عليها، وكتبوا الى الأحنف بالخبر فاعترضهم المسلمون والمشركون بمرو يثفنونه [1] ، فقاتلوه وأصابوا آخر القوم وأعجلوه عن الأثقال،ومضى موائلا حتى يقطع النهر الى فرغانة والترك،فلم يزل مقيماً زمان عمر رضي الله عنه كله يكاتبهم ويكاتبونه ، أو من شاء الله عز وجل منهم ، فكفر أهل خراسان زمان عثمان رضي الله عنه ، وسيأتي خبر ذلك بعد .

وأقبل أهل فارس على الأحنف ، فصالحوه وعاقدوه ، ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال، وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم على أفضل مما كانوا فيزمان الأكاسر ، فكانوا كأنهم في ملكهم إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم ، فاغتبطوا وغبطوا وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفارس يوم القادسية، ولما

(١) ثفنه : دفعه وتبعه أو أتاه من خلفه . القاموس .

خلع أهل خراسان زمان عثمان رحمه الله أقبل يزدجرد حتى نزل بمرو ومن معه، وأهل خراسان فأوى الى طاحونة فأتوا عليه يأكل من كرد [١] حول الرحى، فقتلوه، ثم رموا به في النهر.

ولما أصيب يزدجرد وهو يومئذ مختبىء في طاحونة يريد أن يطلب اللحاق بكرمان فاحتق فيه [٢] المسلمون والمشركون، وبلغ ذلك الأحنف، فسار من فوره ذلك في الناس الى بلخ يريد خاقان، ويتبع حاشية يزدجرد وأهله في المسلمين والمشركين من أهل فارس، وخاقان والترك ببلخ، فلما سمع بما لقي يزدجرد وبخروج المسلمين مع الأحنف من مرو الروذ نحوه ترك بلخ وعبر النهر، وأقبل الأحنف حتى نزل بلخاً، وترك أهل الكوفة في كورها الأربع، ثم رجع الى مرو الروذ فنزل بها، وكتب بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر رحمه الله، وبعث إليه بالأخماس ووفد إليه الوفود.

ولما عبر خاقان النهر، وعبرت معه حاشية آل كسرى أو من أخذ نحو بلخ منهم مع يزدجرد لقوا رسول يزدجرد بالذي كان بعث الى ملك الصين، وأهدى إليه معه، ومعه جواب كتابه من ملك الصين، فسألوه عما وراءه، فقال: لما قدمت عليه بالكتاب والهدايا كافأنا بما ترون وأراهم هديته، وأجاب يزدجرد فكتب إليه بهذا الكتاب.

بعدما كان قال لي: قد عرفت أن حقاً على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم، فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإني أراك تذكر قلة منهم، وكثرة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذي تصف منكم، فيما أسمع من كثرتكم، إلا بخير عندهم، وشر فيكم، فقلت: سلني عما أحببت، فقال: أيوفون بالعهد؟ قلت: نعم، قال: وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟

---

(١) في القاموس المحيط: الكريده القطعة العظيمة من التمر.

(٢) في الطبري: ٤/١٧١ «فاحتوى فيه».

قلت : يدعوننا إلى واحدة من ثلاث : إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجرانهم ، أو الجزية والمنعة ، أو المنابذة ، قال : فكيف طاعتهم أمراءهم ؟ قلت : أطوع قوم لمرشدهم ، قال : فما يحلون وما يحرمون ؟ فأخبرته ، قال: فقال : أيحرمون ما حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم ؟ قلت : لا ، قال : فإن هـؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم .

ثم قال : أخبرني عن لباسهم ، فأخبرته وعن مطاياهم ، فقلت : الخيـل العراب ووصفتها ، فقال : نعمت الحصون هذه ، ووصفت له الإبل بروكهـا وانبعاثها بحملها، فقال هذه صفة دواب طوال الأعناق وكتب معه إلى يزدجرد: إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق لك علي ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوهـا ، ولو يخلى لهم سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف فسالمهم وارض منهـم بالمساكنة ولا تهيجهم ما لم يهيجوك . وأقام عيال يزدجرد وآل كسرى بفرغانة معهم عهد من خاقان .

ولما رجع الرسول بالفتح والوفد بالخبر ومعهم الغنائم لعمر من قبل الأحنف جمع الناس وخطبهم وأمر بكتاب الفتح فقرىء عليهم ، وقال في خطبته : إن الله تبارك وتعالى ذكر رسوله ﷺ وما بعثه به من الهـدى ، ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة ، وقال عز وجـل : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾[1] والحمد لله الذي أنجز وعـده ونصر جنده ، ألا إن الله عز وجل قد أهلك ملك المجوسية ، وفرق شملهم فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم ، ألا وأن الله عز وجل قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم ، لينظر كيف تعملون ألا وإن المصرين من مسالحهما اليوم كأنتم والمصرين فيما مضى من البعد ،

(١) سورة التوبة ـ الآية : ٣٣ .

وقد وغلوا في البلاد والله بالغ أمره ومنجز وعده ومتبع آخر ذلك أولـــه ، فقوموا في أمره على رجل يوف لكم بعهده ويؤتكم وعده لا تفتروا فيستبدل الله بكم قوماً غيركم فإني لا أخاف على هذه الأمة أن يؤتوا إلا من قبلكم .

ثم إن أداني أهل خراسان وأقاصيها اعترضوا أزمان عثمان رحمه الله لسنتين خلتا من إمارته ، فبدأ بنو كناري ، وهم أخوال كسري فنزوا في نيسابور ، والجأوا ابن سمرة وعماله إلى مرو الروذ ، وثنا أهـــل مرو الشاهجان وثلث نيزك فاستولى على بلخ وآرز من بها الى مرو الروذ ، وعليهـــا عبد الرحمن بن سمرة ، وكتب ابن سمرة الى عثمان بن عفان رحمه الله يخلع أهل خراسان .

فأرسل الى ابن عامر أن يسير في جند أهل البصرة فخرج ابن عامـــر في الجنود حتى يدخل خراسان من قبل يزد على الطبسين ، وبث الجنود في كورها وأمرهم بأن يطأطئوا فيهم ، وطأطأ هو في أهل هراة فاتقوه بعدما وهنهـــم بالجزي ، وصالحوه ثم ثنا نيسابور فاتقوه بعدما وهنهم بالجزي وصالحوه ، ولقيت الكور من الجنود مثل ذلك فذلوا ، واستوسقوا ، واكتتبوا منه : أهل مرو الشاهجان ، وسائر خراسان ، وجاء مع المسلمين على قتـــال يزدجرد أناس من الذمة ، فألجؤوه الى طاحونة يأكل من كردها ، وسار ابن عامـــر الى نيزك ، فقتل تركه قتلة الكلاب ، ولحق نيزك بلاد الشام ، وأقبـــل ابن عامر إلى عثمان رحمه الله ، حتى إذا كان بنيسابور أحرم ، فقدم على عثمان فعنفه ، واشتد عليه ، وقال : لقد استخففت بإحرامك وهان عليك ، وهم به ونهاه أن يعود ، ومصر عثمان رحمه الله المروين ، فأنزلهما الروابط ، وشتى في كورهـــا كلها المشاتي بعدما كان غزوها عقباً ، وقال أسيد بن المتشمس بعد استرداد خراسان :

ألا أبلغا عثمان عني رسالة وقد لقيت منا خراسان ناطحا
رميناهم بالخيل من كل جانب فولوا سراعاً واستقادوا الموائحا
ولما رأوا خيل العراب مغيرة تقرب منهم أسرهن الكوالحا
تنادوا إلينا واستجاروا بعهدنا وعادوا كلاباً في الديار نوابحا

فتح توج

قالوا : وخرج أهل البصرة الذين وجهوا الى فارس ، أمراء على فارس ، ومعهم سارية بن زنيم ومن بعث معهم إلى ما وراء ذلك، وأهل فارس مجتمعون بتوج ، فلم يقصدوا بجمعهم لجموعهم ، ولكن قصد كل أمير منهم قصد إمارته وكورته التي أمر بها ، وبلغ ذلك أهل فارس فافترقوا عن تجمعهم إلى بلدانهم ، كما افترق المسلمون ليمنعوها ، وكانت تلك هزيمتهم وتشتيت أمورهم وتفريق جمعهم ، فتطير المشركون من ذلك وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه ، فقصد مجاشع بن مسعود نيسابور وأزدشيرخره فيمن معه من المسلمين ، فالتقوا بتوج هو وأهل فارس فاقتتلوا ما شاء الله عز وجل ، ثم إن الله تعالى هزم أهل توج للمسلمين [1] ، وسلط عليهم المسلمين فقتلوهم كل قتلة ، وبلغوا منهم ما شاؤوا وغنمهم ما في عسكرهم فحووه ، وهذه توج الآخرة لم يكن بعدها شوكة ، والأولى التي تنقذ فيها جنود العلاء أيام طاووس الوقعة التي اقتتلوا عليها ، والوقعتان الأولى والآخرة كلتاهما [2] متساجلتان ، ثم دعوا إلى الجزية والذمة فراجعوا وأقروا ، وخمس مجاشع الغنائم وبعث بها ووفد وفداً ، وقد كانت البشرى والوفود يجازون وتقضى حوائجهم لسنة جرت بذلك من رسول الله ﷺ .

وعن عاصم بن كليب عن أبيه ، قال : خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين

---

(١) في الاصل المسلمين ، وهو تصحيف قوم من الطبري : ٤/١٧٤ .

(٢) نهاية السقط في الاصل .

لتوج ، فحاصرنا توج وقاتلناهم ما شاء الله ، فلما افتتحناها وحوينا نهبها نهباً كثيراً وقتلنا قتلى عظيمة ، فكان علي قميص قد تخرق ، فأخذت إبره وسلكا ، وجعلت أخيط قميصي بها ، ثم إني نظرت إلى رجل في القتلى عليه قميص ، فنزعته فأتيت به إلى الماء فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه ، فلبسته ، فلما جمعت الرثة قام مجاشع خطيباً فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس لا تغلوا ، فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة ردوا ولو المخيط فلما سمعت ذلك نزعت القميص فألقيته في الأخماس .

وفي ذلك يقول مجاشع بن مسعود :

نحن ولينا مرة بعد مرة ... بتوج أبناء الملوك الأكابر
لقينا جنود الماهيان بسحرة ... على ساعة تلوى بأهل الحظائر
فما فتئت خيلي تكر عليهم ... ويلحق منها لاحق غير جائر
لدن غدوة حتى أتى الليل دونهم ... وقد عوجلوا بالمرهفات البواتر
وكان كذاك الدأب في كل كورة ... أجابت لإحدى المنكرات الكبائر

حديث اصطخر

قالوا : وقصد عثمان بن أبي العاص لإصطخر ، فالتقى هو وأهل إصطخر بجور فاقتتلوا ما شاء الله عز وجل ، ثم إن الله عز وجل فتح لهم جور وفتح المسلمون إصطخر ، فقتلوا ما شاؤوا وفر من فر ، ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء[1] والذمة فراسلوه وراسلهم ، فأجابه الهربذ وكل من هرب أو تنحى

(١) في م « الجزي » .

فتراجعوا وباحوا بالجزي ، وقد كان عثمان حين هـزم القوم جمع إليه ما أفاء الله عز وجل عليهم فخمسه ، فبعث بالخمس إلى عمر رحمه الله ، وقسم أربعة أخماس المغنم في الناس وعف الجند عن النهاب وأدوا الأمانة ، واستدقوا الدنيـــا ، فجمعهم عثمان ثم قام فيهم ، وقال : إن هذا الأمر لا يزال مقبـــلاً ، ولا يزال أهله معافون مما يكرهون ما لم يغلوا ، فإذا غلوا رأوا مـا ينكرون ، ولم يسد الكثير مسد القليل اليوم .

وعن الحسن قال : قال عثمان بن أبي العاصي يوم إصطخر : إن الله عـــز وجل إذا أراد بقوم خيراً كفهم ووفر أمانتهـــم ، فاحفظوها فإن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، فإذا فقدتموها جـدد لكم في كل يوم فقدان شيء من أموركم .

ثم إن شهرك خلع في آخر إمارة عمر رحمه الله ، وأول إمارة عثمان رحمـه الله ، ونشط أهل فارس ، ودعاهم إلى النفض ، فوجه اليهم عثمان بن أبي العاص ثانية ، وبعث معه جنود مد بهم ، عليهم عبيد الله بن معمر ، وشبل بن معبـد البجلي ، فالتقوا بفارس ، فقال شهرك لابنه ، وهو في المعركة وبينهم وبين قرية لهم تدعى شهرك ثلاثة فراسخ ، وكان بينهم وبين قرارهم اثنا عشر فرسخاً : يا بني أين ترى أن يكون غداؤنا ، هنا أو بشهرك ؟ فقال : يا أبت إن تركونا فلا يكون غداؤنا هنا ولا بشهرك ، ولا يكون إلا في المنزل ، ولكن والله ما أراهم يتركوننا ، فما فرغا من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل فيه شهرك وابنه ، فقتل الله عز وجـل منهم مقتلة عظيمة وولي قتل شهرك الحكم بن أبي العاص بن دهمان أخو عثمان رحمه الله .

وذكر الطبري بسنده عن عبيد الله بن سليمان ، قال : كان عثمـــان بن أبي العاص أرسل إلى البحرين ، فأرسل أخاه الحكم بن أبي العاصي في ألفين إلى توج ، وكان كسرى قد فر عن المدائن ، ولحق بجـور من أرض فارس ، قال الحكم :

فقصد إلى شهرك ، وكان كسرى أرسله فهبطوا من عقبة عليهم الحديد ، فخشيت أن يغشوا أبصار الناس فأمرت مناديا ، فنادى : إن من كان عليه عمامة فليلفها على عينيه ، ومن لم تكن له عمامة فليغمض[1] بصره ، وناديت أن حطوا عن دوابكم .

فلما رأى شهرك ذلك حط أيضاً ثم ناديت أن اركبوا ، وصففنا لهم ، وركبوا فجلعت الجارود العبدي على الميمنة ، وأبا صفرة - يعني أبا المهلب - على الميسرة ، فحملوا على المسلمين فهزموهم حتى ما أسمع لهم صوتاً فقال لي الجارود أيها الأمير : الجند ؟ فقلت إنك سترى أمرك فما لبثنا أن رجعت خيلهم ليس عليها فرسانهم ، والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم ، فنثرت الرؤوس بين يدي ومعي بعض ملوكهم ، يقال له المكبر ، فارق كسرى ولحق بي فأتيت برأس ضخم ، فقالوا : هذا رأس الأردهاق يعنون شهرك ، فحوصروا في مدينة سابور فصالحهم وأملكهم[2] أذربيان ، فاستعان الحكم بأذربيان على قتال أهل إصطخر ، ومات عمر رحمه الله فبعث عثمان رحمه الله عبيد الله بن معمر مكانه .

فبلغ عبيد الله أن أذربيان يريد أن يغدر بهم ، فقال له : إني أحب أن تتخذ لأصحابي طعاماً وتذبح لهم بقرة ، وتجعل عظامها في الجفنة التي تليني فإني أحب أن أتمشش ففعل ، فجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر إلا بالقدوم فيكسره بيده فيتمخخه ، وكان من أشد الناس ، فقام الملك فأخذ برجله ، وقال : هذا مقام العائذ ، فأعطاه عهداً ، فأصابت عبيد الله منجنيقة ، فأوصاهم إنكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله فاقتلوهم ، ففعلوا فقتلوا منهم بشراً كثيراً .

وكان عثمان بن أبي العاصي لحق الحكم وقد هزم شهرك ، فكتب إلى عمر

---

(١) في م « فليغض » .

(٢) في م « وملكهم » .

رحمة الله : إن بيني وبين الكوفة فرجة أخاف أن يأتيني العدو منها ، وكتب صاحب الكوفة بمثل ذلك : إن بيني وبين كذا فرجة ، فاتفق عنده الكتابان، فبعث أبا موسى في سبعمائة ، فأنزلهم البصرة .

وقال في إصطخر الأولى عثمان بن أبي العاصي :

فرقت بين بني إصطخر بطعنة ... لها نشج تكسو الكمي إزارا
غداة لقيناهم بجور فكذبوا ... فعادلهم ذاك الصنيع خيارا
جعلنا السيف فوق الرأس منهم ... وخلف عند ألحيهم[1] عذارا
وعاد الأمر ضاحية إلينا ... بأرض القوم أصنافاً جهارا

وقال في إصطخر الآخرة يزيد بن الحكم بن أبي العاصي :

أنا ابن عظيم القريتين كليهما ... نمتني إلى العلياء الفروع الفوارع
لنا مجد بطحاوي ثقيف وغالب ... إذا عد بطحاواهما والدسائع[2]
لنا الحسب العود الذي لا تناله ... عيون العدى والحاسدات الدواسع
أبي سلب الجبار بالسيف تاجه ... فخر وأطراف الرماح شوارع
بمعترك ضنك به قصر[3] القنا ... وهام وأيد تختليها القواطع
بأيدي سراة كلهم باع نفسه ... فأوفوا بما باعوا وأوفى المبايع
هم المؤمنون الواردوا الموت في الوغى ... كما يرد الماء العطاش النوائع[4]
نجاهد في نصر بخير شريعة ... إذا ذكرت يوم الحساب الشرائع
سموا الزحف المشركين بوقعة ... بها دَرّ مال الجزية المتتابع

---

(١) رجل ألحى طويل اللحية ، القاموس .
(٢) دسع : دفع ومنع ، القاموس .
(٣) في حاشية الاصل : قصد .
(٤) في م « الشرائع » وجاء في حاشية الاصل : بنون وواو ممدوداً : الموائل أي أنهامن شدة العطش مائلة ، يصف شدتهم في الحرب .

تركنا من القتلى مناراً تعودها نسور تداماها الضباع [١] الخوامع
حشي [٢] من عظام المشركين كأنها تلوح من الرأي البعيد صوامع
تركنا سباع الأرض والطير منهم شباعاً وما فيها إلى الحول جائع

حديث فسا ودرأبجرد

قالوا : وقصد سارية بن زنيم لفسا [٣] ودرأبجرد [٤] حتى إنتسق [٥] إلى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله، ثم إنهم استمدوا فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس ، فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير ورأى عمر رضي الله عنه في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في ساعة من النهار ، فنادى من الغد الصلاة جامعة ، حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم وكان أريهم والمسلمين بصحراء إن اقاموا فيها أحيط بهم، وإن آرزوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، ثم قام فقال :

يا أيها الناس إني رأيت هذين الجمعين ، وأخبر بحالهما ، ثم قال : يا سارية ، الجبل ، الجبل ، ثم أقبل عليهم وقال : إن لله عز وجل جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم ، ولما كان تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الاسناد إلى الجبل ففعلوا ، وقاتلوا القوم من وجه واحد ، فهزمهم الله عز وجل ، وكتبوا بذلك الى عمر رحمه الله واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم .

---

(١) في م « الظباء » .
(٢) أرض حشواء كثيرة الدراب ، والحشي ما رفعت به يدك ، القاموس .
(٣) هي بسا مدينة بفارس بينها وبين شيراز أربع مراحل ، معجم البلدان .
(٤) كورة بفارس أكبر مدنها بسا ، معجم البلدان .
(٥) في م « انتهى » .

وعن أبي عثمان وأبي عمرو بن العلاء عن رجل من بني مـــازن ، قالا : كان عمر رحمه الله قد بعث سارية بن زنيم الدئلي الى فسا ودرأ بجرد ، فحاصرهم ، ثم إنهم تداعوا فأصحروا له ، وكثروا وأتوه من كل جانب ، فقال عمر رضي الله عنه ، وهو يخطب في يوم جمعة : يا سارية بن زنيم ، الجبل الجبل ولما كان ذلك اليوم والى جنب المسلمين جبل أن لجؤوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه ، فألجؤوا الى الجبل ، ثم قاتلوهم فهزموهم فأصاب مغانمهم[1] ، وأصاب في المغانم سفطاً فيه جوهر ، فاستوهبه المسلمين لعمر فوهبوه له ، فبعث به رجلاً وبالفتح وكان الرسل والوفد يجازون وتقضى لهم حوائجهم ، فقال له سارية : استقرض له مـا تبلغ به ، وتجلبه الى أهلك على جائزتك ، فقدم الرجل البصرة ففعل .

ثم خرج فقدم على عمر رحمه الله فوجده يطعم الناس ومعه عصاه التي يزجر بها بعيره ، فقصد له ، فأقبل عليه بهـــا ، فقال : اجلس فجلس حتى إذا أكل انصرف عمر رحمه الله وقام فاتبعه فظن عمر أنه رجـــل لم يشبع ، فقال حين انتهى الى باب داره : إدخـــل وقد أمر الخباز أن يذهب بالخوان الى مطبخ المسلمين ، فلما جلس في البيت أتي بغذائه بخبز وزيت وملـح جريش ، فوضع وقال : ألا تخرجين يا هذه فتأكلين فقالت : إني لأسمع حس رجل ، قال : أجل ، فقالت : لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة ، فقال : أما ترضين أن يقال أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب ، وامرأة عمر ، قالت : ما أقل غناء ذلك عني ، ثم قال للرجل : إدن فكل فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى ما كلا حتى اذا فرغ قال : رسول سارية بن زنيم[2] يا أمير المؤمنين ، فقال : مرحباً وأهـــلا ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته ، ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن سارية فأخبره ، ثم أخبره بقصة الدرج فنظر اليه ، ثم صاح به ، ثم قال : لا ولا كرامة حتى تقدم على ذلك الجند فتقسمه بينهم ، فطرده ، فقال :

---

(١) في م « مغانم » .

(٢) في حاشية الاصل : أي أنا رسول .

يا أمير المؤمنين اني قد أنضيت ابلي واستقرضت على جائزتي فأعطني ما أتبلغ به فما زال عنه حتى أبدله بعيراً ببعيره من إبل الصدقة وأخذ بعيره فأدخله في ابل الصدقة ، ورجع الرجل مغضوباً عليه محروماً حتى قدم البصرة فنفذ لأمر عمر رحمه الله وقد سأله أهل المدينة عن سارية ، وعن الفتح ، وهل سمعوا شيئاً يوم الوقعة ، فقال : نعم سمعنا : يا سارية الجبل الجبل ، وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا .

حديث فتح كرمان

قالوا وقصد سهيل بن عدي الى كرمان ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان وعلى مقدمة سهيل بن عدي النسير بن عمرو العجلي ، وقد حشد له أهل كرمان واستعانوا بالقفص [1] فاقتتلوا في أدنى أرضهم ، ففضهم الله تعالى ، فأخذوا عليهم بالطريق ، وقتل النسير مرزبانها ، فدخل سهيل من قبل طريق القرى اليوم الى جيرفت [2] وعبد الله بن عبد الله من مفازة شير ، فأصابوا ما شاؤوا من بعير أو شاة فقوموا الابل والغنم ، فتحاصوها بالأثمان لعظم البخت على العراب ، وكرهوا أن يزيدوا ، وكتبوا الى عمر بذلك ، فكتب اليهم أن البعير العربي إنما قوم ببعير اللحم وذلك مثله ، فإذا رأيتم أن في البخت فضلاً فزيدوا فإنما هي من قيمته .

وحكى المدائني بسنده قال : فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي في خلافة عمر بن الخطاب ، ثم أتى الطبسين من كرمان ، ثم قدم على

(١) في م : القفص .
(٢) مدينة بكرمان ، معجم البلدان .

عمر فقال : يا أمير المؤمنين إني افتتحت الطبسين ، فأقطعنيهما ، فأراد أن يفعل فقيل لعمر رحمه الله : إنهما رستاقان عظيمان ، فلم يقطعه إياهما ، وهما بابا خراسان .

فتح سجستان

قالوا : وقصد عاصم بن عمرو لسجستان ، ولحقه عبد الله بن عمير ، فاستقبلوهم فالتقوا هم وأهل سجستان في أدنى أرضهم فهزموهم ، ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج [١] ومخروا أرض سجستان ما شاء الله ، ثم إنهم طلبوا الصلح على زرنج وما اختاروا من الأرضين ، فأعطوه وكان فيما اشترطوا من صلحهم أن فدافدها [٢] حمى ، وكان المسلمون إذا خرجوا تناذروها خشية أن يصيبوا منها شيئاً فيخفروا فتم أهل سجستان على الخراج ، والمسلمون على الاعطاء ، فكانت سجستان أعظم من خراسان شأناً ، وأبعد فروجاً يقاتلون القندهار [٣] والترك وأمماً كثيرة ، وكانت فيما بين السند الى نهر بلخ [٤] بحياله ، فلم تزل أعظم البلدان [٥] وأصعب الفرجين وأكثرهما عدداً وجنداً حتى كان زمان معاوية ، فهرب الشاه من أخيه ، واسم أخي الشاه رتبيل [٦] الى بلد فيها يدعى آمل [٧] ودانوا لسلم بن زياد ، وهو يومئذ على سجستان ففرح بذلك وعقد لهم وأنزلهم

---

(١) هي قصبة سجستان ، معجم البلدان .

(٢) الفدفد : الفلاة ، القاموس ،

(٣) مدينة في السند ، معجم للبلدان .

(٤) نهر بلخ هو نهر جيحون .

(٥) في م : « البلدين » .

(٦) ترى بعض الدراسات الحديثة أن صيغة هذا الإسم الصحيحة هو « زنبيل » .

(٧) أكبر مدينة في طبرستان ، معجم البلدان وهذا مستبعد فيه تصحيف أو وهم صوابه « كابل » .

تلك البلاد ، وكتب الى معاوية بذلك يُري أنه قد فتح عليه، فقال معاوية: إن ابن أخي[١] ليفرح بأمرٍ إنه ليحزنني وينبغي له أن يحزنه ،قالوا : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأن آمل بلده بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق ، وهؤلاء قوم غدرنكر فيضطرب الجبل غداً ، فأهون ما يجيء منهم أن يغلبوا على بلاد آمل بأسرها ، وتم لهم على عهد ابن زياد فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه ، وخلت آمل وخاف رتبيل الشاه ، فاعتصم منه بمكانه الذي هو اليوم ولم يرضه ذلك حين تشاغل الناس عنه حتى طمع في زرنج فغزاها فحصرهم حتى أتاهم الإمداد من البصرة وسار رتبيل ، والذين جاؤوا معه فنزلوا تلك البلاد شجاه ولم تنتزع الى اليوم ، وقد كانت البلاد مذللة الى أن مات معاوية رحمه الله ، وقال في ذلك عاصم بن عمرو .

وسائل زرنجا هل أبحت جموعها[٢] كما لقيت صقاعاً من صقاع
لقد عجبت زرنج إذ رأوني شفيت القوم من سنين الصراع
ببيض تترك الأطراف بتراً ويهتك وقعها زيم[٣] القناع
وقومي يعلمون فسائلوهم بنا أيام نلهج بالقراع
بأنا لا نلوذ من الأعادي وننزل بالفضاء وبالجراع
ويحملني الى الهيجاء عبل سبوح مثل مريخ القلاع
ينفر بي إذا ما شئت عنهم ويلحقني وإن كرهوا مصاع
ونقتل فيهم قعصاً وصبراً وما فعلي هناك بمستطاع
دلقت لهم فما جبنوا ولكن لقوا حرباً كساطعة النقاع[٤]
بعثت بنهبهم والقوم فيها شهود بين خزي واختضاع

---

(١) المراد بأخيه هنا زياد بن أبيه .
(٢) في الاصل : « لحب جما » وهو تصحيف قومته من م
(٣) الزيم : المتفرق من اللحم ، القاموس .
(٤) في م « الشعاع » .

فتح مكران

قالوا : وقصد الحكم بن عمرو التغلبي لمكران حتى انتهى اليها ، ولحق بـه شهاب بن مخارق بن شهاب ، فانضم اليه وأمده سهيل بن عدي ، وعبد الله بن عتبان بأنفسهما فانتهوا الى دوين النهر ، وقد انفض أهل مكران اليه حتى نزلوا على شاطئه ، فعسكروا وعبر اليهم راسل ملكهم ملـك السند ، فازدلف بهم مستقبل المسلمين ، فالتقوا فاقتتلوا بمكان من مكران من النهر على أيام بعدما كانوا قد انتهى اليه أوائلهم ، وعسكروا بـــه لتلحق أخراهم ، فهزم الله عز وجل راسلا وسلبه ، وأباح للمسلمين عسكره ، وقتلوا في المعركة مقتلة عظيمة ، واتبعوهم يقتلونهم أياماً حتى انتهوا الى النهر ثم رجعـوا فأقاموا بمكران ، وكتب الحكم إلى عمر رحمه الله بالفتح ، وبعث بالأخماس مع صحار العبدي ، واستأمره في الفيلة ، فقدم صحار على عمر رحمه الله بالخبر والمغانم ، فسأله عمر رحمه الله عن مكران ، وكان لا يأتيه أحد الى سائله عن الوجه الذي يجيء منه فقال : يا أمير المؤمنين ارض سهلها جبل ، وماؤها وشل ، وتمرها دقل ، وعدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شر منها فقال : أسجاع أنت أم مخبر ؟ فقال : لا بل مخبر ، قال : لا والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت ، وكتب الى الحكم بن عمرو وإلى سهيل ان لا يجوزن مكران أحد من جنودكما ، واقتصرا على ما دون النهر ، وأمره ببيع الفيلة بأرض الاسلام ، وقسم أثمانها على من أفاء الله عز وجل عليه وقال في ذلك الحكم بن عمرو :

لقد شبع الأرامل غير فخر ... بفيء جـــاءهم من مكران
أتاهم بعـد مسغبة وجهـد ... وقد صفر الشتاء من الدخان

وإني لا يذم الجيش فعلي ... ولا سيفي يذم ولا سناني
غداة أدفع الأوباش دفعاً ... إلى السند العريضة والمدان
ومهران لنا فيما أردنا ... مطيع غير مسترخي البواني
فلولا ما نهى عنه أميري ... قطعناه إلى البدد الزواني

حديث بيرود

قال: ولما فصلت الخيول إلى الكور اجتمع ببيرود جمع عظيم من الأكراد وغيرهم وكان عمر رحمه الله قد عهد الى أبي موسى حين سارت الجنود إلى الكور أن يسير حتى ينتهي إلى حد دومة[1] البصرة كي لا يؤتى المسلمون من خلفهم، وخشي أن يستلحم بعض جنوده أو ينقطع منهم طرفاً، ويخلف في أعقابهم، فكان الذي صدر من اجتماع اهل بيرود، وقد أبطأ ابو موسى حتى يجتمعوا، فخرج ابو موسى حتى ينزل ببيرود على الجمع الذي تجمعوا بها في رمضان، فنزل على جمع لهم منعة فالتقوا بين نهر تيري ومناذر وقد توافى اليها اهل النجدات من اهل فارس والأكراد ليكيدوا المسلمين او ليصيبوا منهم عورة، ولم يشكوا في واحدة من اثنتين، فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقتل، فقال لأبي موسى: أقسم على كل صائم إلا رجع فأفطر، فرجع أخوه فيمن رجع لإبرار القسم، وإنما أراد بذلك توجيه أخيه عنه لئلا يمنعه من الاستقتال، وتقدم فقاتل حتى قتل وفرق الله عز وجل المشركين حتى تحصنوا في قلة وذلة وقال في ذلك:

ويوم قام ابو موسى بخطبته ... قام المهاجر في حل واجمال
في عز بيت بني الريان منصبه ... وكان في مذحج ذي الجوهر العالي

وأقبل الربيع أخوه وقال: هي هي يا والغ الدنيا، واشتد جزعه عليه فرق أبو موسى للربيع للذي رآه دخله من مصاب أخيه، فخلفه عليهم،

(١) في م «ذمة».

رخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان ، فلقي بها جنود أهل الكوفة محاصري جي ، ثم إنصرف إلى البصره بعد ظفر الجنود ، وقد فتح الله على الربيع بن زياد أهل بيرود من نهر تيري ، وأخذ ما كان معهم من السبي فتنقى أبو موسى منهم رجالاً ممن لهم فداء ، وكان الفداء أرد على المسلمين من أعيانهم ، وقيمتهم فيما بينهم ، ووفد بالوفود والأخماس ، فقام رجل من عنزة فاستوفده فأبى فخرج يسعى به ، واستجلبه عمر رحمه الله ، وجمع بينهما فوجد أبا موسى أعذر إلا في أمر خادمه فضعفه فرده إلى عمله وفجر الآخر وتقدم إليه في أن لا يعاود لمثلها .

وعن سيف عن شيوخه قالوا : لما رجع أبو موسى عن أصفهان بعد دخول الجند الكور ، وقد هزم الربيع أهل بيرود ، وجمع السبي والأموال ، فعدا على ستين غلاماً من أبناء الدهاقين انتقاهم وعزلهم ، وبعث بالفتح إلى عمر رحمه الله ، ووفد وفداً فجاءه رجل من عنزة فقال : اكتبني في الوفد ، فقال : قد كتبنا من هو أحق منك ، فانطلق مغاضباً مراغماً ، وكتب أبو موسى إلى عمر رحمه الله : إن رجلاً من عنزه يقال له ضبة بن محصن ، كان من أمره ، وقص قصته ، فلما قدم الكتاب بالفتح والوفد على عمر رحمه الله ، قدم العنزي فأتى عمر رحمه الله فسلم عليه ، فقال : من أنت ؟ فأخبره ، فقال : لا مرحباً ولا أهلاً فقال : أما المرحب فمن الله ، وأما الأهل فلا أهل ، فاختلف إليه ثلاثاً يقول هذا ويرد عليه هذا ، حتى إذا كان اليوم الرابع ، فدخل عليه فقال: ما نقمت على أميرك ؟ فقال تنقى ستين غلاماً من أبناء الدهاقين لنفسه ، وله جارية تدعى عقيلة تغذى جفنه وتمشي جفنة ، وليس منا رجل يقدر على ذلك ، وله قفيزان وله خاتمان ، وفوض إلى زياد بن أبي سفيان ، وكان زياد على أمور البصرة ، وأجاز الحطيئة بألف .

فكتب عمر كل ما قال فبعث إلى أبو موسى ، فلما قدم حجبه أياماً ، ثم دعا به ، ودعا ضبة بن محصن ، ودفع اليه الكتاب ، فقال : اقرأ ما كتب فقرأ

أخذ ستين غلاماً لنفسه فقال أبو موسى دللت عليهم ، وكان لهم فداء ففديتهم ، فأخذته فقسمته بين المسلمين ، فقال ضبة : والله ما كذب ولا كذبت ، وقال له قفيزان ، فقال أبو موسى : قفيز لأهلي أقوتهم به ، وقفيز في أيديهم للمسلمين يأخذون به أرزاقهم ، فقـــال ضبة : والله ما كذبت ولا كذبت ، فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر ، وعلم أن ضبة قد صدقه ، وقال : زياد يلي أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلي ، فقال : وجدت له نبلاً ورأياً فأسندت اليه عملي ، قال : وأجاز الحطيئة [١] بألف قال : سددت فمه بمالي أن يشتمني ، فقال : قد فعلت ما فعلت ، فرده عمر رحمه الله ، وقـــال إذا قدمت فأرسل إلي زياداً وعقيلة ففعل ، فقدمت عقيلة قبل زياد ، وقـــدم زياد ، فأقام بالباب ، فخرج عمر وزياد بالباب قائم وعليه ثياب بياض كتان ، فقال: ما هذه الثياب ؟ فأخبره ، فقال : كم أثمانها ؟ فاخبره بشيء يسير وصدقـه ، فقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان ، قال : ما صنعت في أول عطـاء خرج لك ؟ فقال : اشتريت به والدتي فأعتقتها ، واشتريت في الثاني ربيبي عبيـداً فاعتقته ، فقال : وفقت .

وساله عن الفرائض والسنن والقرآن ، فوجده فقيهـــاً ، فرده وأمر أمراء البصرة أن يشربوا [٢] برأيه ، وحبس عقيله بالمدينة ، وقال عمر رضي الله عنه: ألا إن ضبة بن محصن العنزي غضب على أبي موسى في الحق أن أصابه ، وفارقه مراغماً أن فاته أمر من أمور الدنيا ، فصدق عليه وكذب ، فأفسد كذبـــه صدقة ، فإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى النار ، وكان الحطيئة قد لقيه فأجازه في غزاة بيرود ، وكان أبو موسى قد ابتدأ غزاتهـم ، فحاصرهم حتى

(١) في حاشية الاصل : أي أعطيت الحطيئة .

(٢) في حاشية الاصل : قوله يشربوا برأيه أى يفهموا ويقتدوا .

فلهم ثم جازهم ، ووكل بهم الربيع ثم رجع إليهم بعد الفتح فولي القسم . ومن مدح الحطيئة في أبي موسى :

وغارة كشعاع الشمس مشعلة ... تهوي بكل صبيح الوجه بسام
قب البطون من التعداء قد علمت ... أن كل عام عليها عام إلجام
مستحقبات رواياها جحافلها ... يسموا بها أشعرى طرفه سام
لا يزجر الطير إن مرت به سنحاً ... ولا يغاض له قسم بأزلام
جمعت من عامر فيها ومن أسد ... ومن تميم وذبيان ومن حام
وما رضت لهم حتى رفدتهم ... من وائل رهط بسطام باصرام
في متلف طائعاً لله محتسباً ... يرجو ثواب كريم العفو رحام [1]

حديث غزوة سلمة بن قيس الأشجعي الأكراد

سيف عن أبي جناب عن سليمان بن بريدة أن عمر رحمه الله كان إذا اجتمع له جيش من العرب بعث عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه ، فاجتمع إليه جيش فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي فقال : سر بسم الله قاتل في سبيل الله من كفر بالله ، فإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال: إدعوهم إلى الإسلام فإن اسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في اموالهم الزكاة ، وليس لهم في فيء المسلمين نصيب ، وإن اختاروا ان يكونوا معكم فلهم مثل الذي لكم ، وعليهم مثل الذي عليكم ، وإن ابوا فسلوهم الخراج ، فإن اعطوكم الخراج فقاتلوا عدوهم من وراءهم ، وفرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم فإن أبوا فقاتلوهم فإن الله عز وجل ناصركم عليهم وان تحصنوا منكم في حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله ورسوله [فلا تعطوهم حكم الله

(١) ديوان الحطيئة : ٢٤ .

ورسوله][1] وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله ورسوله فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله ، وأعطوهم ذممكم أنفسكم .

قال : فلقينا عدونا من المشركين من الأكراد ، فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين من الإسلام ، فأبوا فدعوناهم إن الخراج فأبوا ، فقاتلناهم فنصرنا عليهم فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية ، وجمعنا الرثة فوجد فيها سلمة بن قيس حقي جوهر فجعلها في سفط ، ثم قال : إن هذا لا يبلغ فيكم شيئاً فإن طابت أنفسكم بهما لأمير المؤمنين بعثت بهما إليه ، فإن له مؤونة وله برد ، فقالوا : قد طابت أنفسنا فبعثني سلمة بن قيس ، فقال: إذا أتيت البصرة فاشتر راحلتين على جوائز أمير المؤمنين ، ثم أوقرهما طعاماً ، ثم أركب أنت وغلامك إلى أمير المؤمنين ، قال : فدفعت إليه ضحى ، وهو متكىء على عصا والناس يتغدون كهيئة الراعي في غنمه يطوف في تلك القصاع يقول : يا أرفأ زد هؤلاء لحماً ، وزد هؤلاء مرقاً ، وزد هؤلاء خبزاً ، فلما دفعت إليه ، قال : إجلس فجلست في أدنى الناس فإذا طعام فيه غلظ ، وخشونة طعامي الذي جئت به أطيب منه .

قال : فلما فرغ الناس من قصاعهم ، قال : يا أرفا ارفع قصاعك ، ثم أدبر فاتبعته حتى إذا دخل داره ، ثم دخل حجرته استأذنت وسلمت ، فاذن لي فدخلت عليه فإذا هو جالس على مسح متكىء على مرفقتين من أدم ، محشوتين ليفاً ، فنبذ إلي إحداهما فجلست عليها ، وإذا بهو في صفة فيها بيت عليه ستير ، فقال : يا أم كلثوم غداءنا ، فجاؤوا إليه بقصعة فيها خبز وزيت ، في عرضها ملح لم يدق ، فقال : يا أم كلثوم ألا تخرجين تغدين معنا من هذا الغداء ، قالت : اسمع عندك حسن رجل ، قال : أجل ولا أراه من أهل البلد ، قالت لو أردت أن أخرج كسوتني كما كسا ابن جعفر امرأته ، وكما كسا ابن الزبير امرأته ، فقال : أما كفاك بنت علي بن أبي طالب امرأة عمر بن الخطاب ؟

---

(١) زيادة من م .

قالت : إن ذلك عني لقليل الغناء ، قال : كل فإنها لو كانت راضية اطعمتك أطيب من هذا .

قال : فأكلت قليلاً وأكل حتى فرغ من خبزته ، ما رأيت رجلاً أحسن أكلاً منه ما يتلبس طعامه بيده ولا فمه ، ثم قال : أسقونا فجاؤوا بعس من مثلث [١] فلما حركوه ثار فوقه نشارى [٢] مما فيه وإذا تركوه سكن، ثم قال: أشرب فشربت قليلاً ، شرابي الذي معي أطيب منه ، فأخذ القدح فضرب به جبهته ، ثم قال : إنك لضعيف الأكل ضعيف الشرب ، ثم قال : الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا ، وسقانا فأروانا .

قال : قلت قد أكل أمير المؤمنين فشبع وشرب فروي حاجتي يا أمير المؤمنين ، قال : وما حاجتك ؟ قال : قلت رسول سلمة ، قال : مرحباً بسلمة وبرسوله ، وكأنما خرجت من صلبه ، حدثني عن المهاجرين كيف تركتهم ؟ قلت : كما تحب في السلامة والظفر على العدو ، قال : كيف أسعارهم ، كيف اللحم فيهم ؟ فإنها شجرة العرب ، لا يصلح العرب إلا شجرتها قلت : البقرة فيهم بكذا ، والشاة بكذا ثم قلت : يا أمير المؤمنين سرنا حتى إذا لقينا عدونا من المشركين دعوناهم إلى ما أمرتنا به من الإسلام أو الخراج بعده . فأبوا فقاتلناهم فنصرنا الله تعالى عليهم فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية وجمعنا الرثة ، وكان من أمرهم ذيت وذيت ، وأخرج سفطه .

فلما أبصر ما فيه من الفصوص من الجوهر من بين أحمر وأصفر وأخضر ، وثب فوضع يده في خاصرته فقال : لا اشبع الله إذن بطن عمر . قال وظنت النساء اني اغتلته فكشفن الستر وقال : يا ارفأ جأ عنقه فوجأ عنقي وانا اصيح ،

---

(١) في م وفي الطبري : ٤/١٨٨ « سلت » وهو شراب سويق الشعير .
(٢) هو ما يتركه المنشار .

وقال النجاء واظنك ستبطىء ، وقال اما والذي لا إله غيره لئن تفرق الناس إلى مشاتيهم قبل أن يقسم هذا فيهم لأفعلن بك وبصاحبك فاقرة ، قلت أمير المؤمنين أعطني ما يحملني قال : يا أرفأ إدفع إليه ناقتين من الصدقة ، وقال : قم إذا لقيت من هو أفقر منك فادفعها اليه ، قلت : فأتيت صاحبي ، فقلت : ما بارك الله لي فيما اختصصتني به ، إقسم هذا فيئاً قبل والله أن أفضح وتفضح، فقسم ذلك فيهم قبل أن يتفرقوا إلى مشاتيهم والفص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم ، وهو خير من عشرين ألفاً .

وحكى الطبري رحمه الله هذا الخبر من طريقين إثنين على نحو ما ذكره سيف رحمه الله في كتابه .

* * *

ذكر غزوة الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية

لمنع أهلها ما صالحوا عليه أهل الاسلام أيام عمر رحمه الله

حكى الطبري قال : ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف عن قرة بن لقيط الأزدي ثم العامري ، أن مغازي أهل الكوفة كانت الري وأذربيجان ، وكان بالبحرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة ستة آلاف بأذربيجان ، وأربعة آلاف بالري ، وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل ، وكان يغزو مع هذين النفرين ، منهم عشرة آلاف كل سنة ، فكان الذي يصيبه في كل أربع سنين غزوة ، فغزا الوليد بن عقبة في أزمانه على الكوفة في سلطان عثمان أذربيجان وأرمينية ، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فبعثه أمامه مقدمة له ، وخرج الوليد في جماعة الناس وهو يريد أن يمعن في أرض أرمينية ، فمضى في الناس حتى دخل أذربيجان ، فبعث عبد الله بن شبل بن عوف الأحمسي في أربعة آلاف ، فأغار على أهل موقان والبير والطيلسان ، فأصاب من أموالهم وغنم وتحرز القوم منه ، وسبى منهم سبياً يسيراً وأقبل إلى الوليد بن عقبة .

ثم إن الوليد صالح أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم ، وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان بعد وقعة نهاوند بسنة ، ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر ، فلما ولي عثمان وولي الوليد بن عقبة الكوفة ، سار حتى وطئهم بالجيش ، فلما رأوا ذلك إنقادوا له ، وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح ، ففعل وقبض منهم المال ، وبث فيمن حولهم من أعداء الإسلام الغارات ، فلما رجع إليه عبد الله بن شبل من غارته تلك ، قد سلم وغنم بعث سلمان بن ربيعة إلى أرمينية في إثني عشر ألفاً ، فسار في أرض أرمينية ، فقتل وسبى

وغنم ، ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد فانصرف الوليد وقد ظفر واصاب حاجته .

ولما اصاب الوليد حاجته من هذه الغزوة ودخل الموصل اتاه كتاب من عثمان رحمه الله اما بعد : فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلي يخبرني ان الروم قد اجلبت على المسلمين بجموع كثيرة عظيمة ، وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من اهل الكوفة ، فإذا اتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وسخاءه وإسلامه في ثمانية آلاف او تسعة آلاف او عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي ، والسلام .

فقام الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإن الله قد أبلى المسلمين في هذا الوجه بلاءً حسناً ، رد عليهم بلادهم التي كفرت ، وفتح بلاداً لم تكن افتتحت ، وردهم سالمين غانمين مأجورين والحمد لله رب العالمين وقد كتب إليّ أمير المؤمنين ان أندب منكم ما بين العشرة آلاف إلى الثمانية الاف تمدون اخوانكم من أهل الشام ، فإنهم قد جاشت عليهم الروم ، وفي ذلك الأجر العظيم والفضل المبين ، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلي .

قال : فانتدب الناس فلم تمض ثلاثة أيام حتى خرج ثمانية الاف رجل من الكوفة ، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام الى أرض الروم ، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري ، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة فشنوا الغارات على أرض الروم ، وأصاب الناس ما شاؤوا من سبي وملأوا أيديهم من المغنم ، وافتتحوا بها حصوناً كثيرة .

وزعم الواقدي أن الذي أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة ، كان سعيد ابن العاصي ، وقال : كان سبب ذلك أن عثمان بن عفان رحمه الله كتب إلى معاوية يأمره أن يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية ، فوجهه إليها ، فبلغ

حبيباً الى معاوية أن الموريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين ألفـاً من الروم والترك ، فكتب بذلك حبيب الى معاوية ، فكتب معاوية الى عثمان، فكتب عثمان الى سعيد بن العاصي يأمره بإمداد حبيب ، فأمده بسلمان في ستة آلاف، وكان حبيب صاحب كيد فأجمع على أن يبيت الموريان ، فسمعته امرأتـه أم عبد الله ابنة يزيد الكلبية يذكر ذلك فقالت له : فأين موعدك ؟ قال : سرادق الموريان أو الجنة فبيتهم فقتل من أشرف له وأتى السرادق فوجد امرأته قـد سبقت ، وكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق ، فمات عنها حبيب فخلف عليها الضحاك بن قيس الفهري فهي أم ولده .

غزو سعيد بن العاصي طبرستان

ذكر الطبري بسنده عن حنش بن مالك قال : غزا سعيـد بن العاصي من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ، ومعه حذيفه بن اليمان ، وناس من أصحـاب رسول الله ﷺ ، ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وخرج عبد الله بن عـامر من البصرة يريد خراسان ، فسبق سعيداً فنزل ابرشهر ، وبلـغ نزوله ابرشهر سعيداً فنزل سعيد قومس وهي صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند ، فاتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طميسة [1] وهي كلها من طبرستان بناحية[2] جرجان ، وهي مدينة على ساحل البحر وهي في تخوم جرجان ، فقاتلته أهلها حتى صلى صلاة الخوف ، قال لحذيفـة : كيف صلى رسول الله ﷺ ؟ فاخبره فصلى بها سعيد صلاة الخوف ، وهم يقتتلون ، وضرب يومئذ سعيد رجـلاً من

(١) في م « طبيسة » ، وطميسه بلدة من سهول طبرستان ، معجم البلدان .
(٢) في م « متاخمة » .

المشركين على حبل عاتقه ، فخرج السيف من تحت مرفقه ، وحاصرهم فقالوا : الأمان ، فاعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ، ففتحوا الحصن فقتلهم جميعاً إلا رجلاً ، وحوى ما كان في الحصن ، وأصاب رجل من بني نهد سفطا عليه قفل ، فظن أن فيه جوهراً ، فبلغ سعيداً فبعث الى النهدي ، فاتاه بالسفط فكسروا قفله ، فوجدوا فيه سفطاً ففتحوه ، فإذا فيه خرقة حمراء ، فنشروها فإذا خرقة صفراء وفيها إيران كميت وورد ، فقال شاعرهم يهجو بني نهد :

آب الكرام بالسبايا غنيمة ... وفاز بنو نهد بفعلين في سفط [1]

وفتح سعيد نامية ، وليست بمدينة وهي صحارى .

وبسنده عن حنش بن مالك ، قال : غزا سعيد سنة ثلاثين فأتى جرجان ، وطبرستان معه عبد الله بن العباس ، وعبد الله بن عمر ، وابن الزبير ، وعبد الله ابن عمرو بن العاصي ، فحدثني علج كان يخدمهم قال: كنت آتيهم بالسفرة فإذا أكلوا أمروني فنفضتها وعلقتها ، فإذا أمسوا أعطوني وافية [2] ومدح كعب بن جعيل سعيد بن العاصي وقال :

تعلم سعيد الخير ان مطيتي ... إذا هبطت أشفقت من أن تعقرا

كانك يوم الشعب ليث خفية ... تجرد من ليث العرين واصحرا

تسوس الذي ماساس قبلك واحد ... ثمانين ألفاً دارعين وحسرا

وروى الطبري بسنده عن كليب بن خلف وغيره أن سعيد بن العاصي صالح أهل جرجان ، ثم امتنعوا وكفروا فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن أحد يسلك طريق خراسان من ناحية قومس إلا على وجل وخوف من أهل جرجان ، وكان الطريق الى خراسان من فارس إلى كرمان وأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خرسان .

---

(١) انظر تاريخ الطبري : ٤/٢٧٠ ، مع خلاف بالرواية وزيادة بيت واحد .

(٢) في الطبري : ٤/٢٧٠ « باقية » .

ذكر الخبر عن مقتل يزدجرد

قال الطبري : اختلف في سبب مقتله ، وكيف كان ذلك ، فذكر عن ابن اسحاق قال : هرب يزدجرد من كرمان في جماعة ليسيروا إلى مرو ، فسأل مرزبانها مالاً فمنعه فخافوا على أنفسهم فأرسلوا إلى الترك ليستنصروا بهم فأتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه ، وهرب يزدجرد حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحاء على شط المرغاب[1] فأوى إليه ليلاً فلما نام قتله .

قال المدائني : وأخبرني الهذلي قال : أتى يزدجرد مرو هارباً من كرمان فسأل مرزبانها وأهلها مالا فمنعوه وخافوه ، فبيتوه ولم يستجيشوا عليه الترك فقتلوا أصحابه ، وخرج هارباً على رجليه معه منطقته وسيفه وتاجه حتى انتهى إلى منزل نقار على شط المرغاب فلما غفل يزدجرد قتله النقار وأخذ متاعه وألقى جسده في المرغاب ، فأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره حتى خفي عليهم عند منزل النقار فأخذوه فأقر لهم بقتله ، وأخرج متاعه فقتلوا النقار وأهل بيته وأخذوا متاعه ومتاع يزدجرد وأخرجوه من المرغاب فجعلوه في تابوت من خشب .

قال : فزعم بعضهم أنهم حملوه إلى اصطخر فدفن بها في أول سنة إحدى وثلاثين وسميت مروخداه دشمق ، وقد كان يزدجرد وطيء بها امرأة ، فولدت له غلاماً ذاهب الشق ، وذلك بعدما قتل يزدجرد فسمي المخدج ، فولد له أولاد بخراسان ، فوجد قتيبه حين افتتح الصغد أو غيرها جاريتين ، فقيل له إنهما من ذلك[2] المخدج فبعث بهما أو بإحداهما إلى الحجاج بن يوسف ، فبعث بها إلى

---

(١) هو نهر مرو الشاهجان ، معجم البلدان .

(٢) في م « ولد » .

الوليد بن عبد الملك ، فولدت للوليد يزيد بن الوليد بن عبد الملك الناقص .

قال المدائني وأخبرت أن يزدجرد أتى خراسان ومعه خرزادمهر ، أخو رستم فقال لماهويه مرزبان مرو إني قد أسلمت إليك الملك، ثم انصرف إلى العراق وأقام يزدجرد بمرو وهمّ بعزل ماهويه ، فكتب ماهويه إلى الترك يخبرهم بانهزام يزدجرد ، وبقدومه عليه ، وعاهدهم على مؤازرتهم عليه ، وخلّى لهم الطريق .

قال : وأقبل الترك إلى مرو وخرج إليهم يزدجرد فيمن معه من أصحابه ، فقاتلهم ومعه ماهويه في أساورة مرو ، [فأثخن يزدجرد في الترك ، فخشي ماهويه أن ينهزم الترك ، فتحول إليهم في أساورة مرو] فانهزم جند يزدجرد وقتلوا ، وعقر عند المساء فرس يزدجرد ، فمضى ماشياً هارباً حتى انتهى إلى بيت فيه رحى على شط المرغاب، فمكث فيه ليلتين، فطلبه ماهويه فلم يقدر عليه .

فلما أصبح اليوم الثاني ، دخل صاحب الرحى بيته ، فلما رأى فيه يزدجرد قال: ما أنت إنسي أم جني؟ قال: إنسي، قال: فهل عندك طعام؟ قال نعم فأتاه به ، فقال: إني مزمزم[1] فائتني بماء أزمزم به ، فذهب الطحان إلى إسوار من الأساورة فطلب منه ماء يزمزم به قال: وما تصنع به؟ قال: عندي رجل لم أر مثله قط ، وقد طلب مني هذا ، فأدخله على ماهويه ، فقال : هذا يزدجرد اذهبوا فجيئوني برأسه فقال له الموبذ : ليس هذا لك ، قد علمت أن الدين والملك مقترنان لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر ، ومتى فعلت انتهكت الحرمة التي لا بعدها وتكلم الناس وأعظموا ذلك فشتمهم ماهويه ، وقال للاساورة : من تكلم فاقتلوه وأمر عدة ، فذهبوا مع الطحان وأمرهم أن يقتلوا يزدجرد ، فانطلقوا ، فلما رأوه كرهوا قتله وتدافعوا ذلك ، وقالوا للطحان : ادخل فاقتله ، فدخل عليه وهو نائم ومعه حجر فشدخ به رأسه ، ثم احتزه[2] فدفعه إليهم ، وألقى جسده في

(١) الزمزمة : تراطن العلوج على أكلهم وهم صموت ، القاموس .
(٢) في م « اجتزه » .

المرغاب ، فخرج قوم من أهل مرو فقتلوا الطحان وهدموا رحـــاه ، وخرج أسقف مرو وأخرج يزدجرد من المرغـاب فجعله في تابوت ، وحمله إلى إصطخر فوضعه في ناووس .

وذكر الطبري أيضاً عن هشام بن محمد وغيره في قتل يزدجرد نحوا مما تقدم ذكره [رأيت ترك ذكره هنا إذ ما ذكرته من أمره يغني عنه] (١) قال وكان ملك يزدجرد عشرين سنة منها أربع سنين في دعة وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب إياه وغلظتهم عليه ،وكان آخر ملك ملك من آل أزدشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب .

* *

(١) زيد ما بين الحاصرتين من م ، انظر تاريخ الطبري : ٤/٢٩٥ .

ذكر فتح أبرشهر وطوس وبيورد ونسا وسرخس وصلح مرو

ذكر الطبري أن ابن عامر لما فتح فارس قام إليه أوس بن حبيب التميمي فقال : أصلح الله الأمير إن الأرض بين يديك ولم يفتتح من ذلك إلا القليل فسر فإن الله ناصرك ، قال : أو لم تأمر بالمسير وكره أن يظهر أنه قبل رأيه .

فذكر المدائني بسنده قال: فتح ابن عامر فارس ورجع إلى البصرة فاستعمل على اصطخر شريك بن الأعور الحارثي ، فبنى شريك مسجد اصطخر ، فدخل على ابن عامر رجل من بني تميم كنا نقول انه الأحنف ويقال أوس بن جابر الجشمي ، جشم تميم فقال له إن عدوك منك هارب ، وهو لك هائب ، والبلاد واسعة فسر فإن الله ناصرك ومعز دينه ، فتجهز ابن عامر ، وأمر الناس بالجهاز للمسير ، واستخلف على البصرة [1] زياداً ، وصار إلى كرمان ، ثم أخذ إلى خراسان ، فقوم يقولون : أخذ طريق أصبهان ثم سار إلى خراسان .

قال المدائني عن المفضل عن أبيه : كان أشياخ كرمان يذكرون أن ابن عامر ترك العسكر بالسيرجان [2] ثم سار إلى خراسان ، واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود السلمي ، وأخذ ابن عامر على مفازه ذابر [3] وهي ثمانون فرسخاً ، ثم سار إلى الطبسين يريد أبرشهر ، وهي مدينة نيسابور وعلى مقدمته

---

(١) بداية سقط واضطراب في نسخة م .

(٢) مدينة بين كرمان وفارس ، معجم البلدان .

(٣) في الطبري : ٤/٣٠١ « وابر » وفي معجم البلدان .

الأحنف بن قيس ، فأخذ الى قهستان [١] ، وخرج الى أبرشهر ، فلقيه الهياطلة [٢] وهم أهل هراة ، فقاتلهم الأحنف فهزمهم ، ثم أتى ابن عامر نيسابور .

قال المدائني : وأخبرنا أبو مخنف عن نمير بن وعله عن الشعبي قال: أخذ ابن عامر على مفازه خبيص [٣] ثم على خواشت [٤] ويقال على يزد [٥] ثم على قهستان وقدم الأحنف فلقيه الهياطلة فقاتلهم فهزمهم ، ثم أتى أبرشهر فنزلها ابن عامر ، وكان سعيد بن العاصي في جند أهل الكوفة ، وأتى جرجان وهو يريد خراسان ، فلما بلغه نزول ابن عامر أبرشهر رجع الى الكوفة .

قال المدائني : وأخبرنا علي بن مجاهد ، قال : نزل ابن عامر على أبرشهر فغلب على نصفها عنوة ، وكان النصف الآخر في يدي كناري ونصف نسا [٦] وطوس [٧] فلم يقدر ابن عامر أن يجوز الى مرو ، فصالحه [٨] وأعطاه ابنه أبا الصلت بن كناري ، وابن أخيه سليماً رهناً ووجه عبد الله بن خازم الى هراة ، وحاتم بن النعمان الى مرو ، فأخذ ابن عامر ابني كناري ، فصارا الى النعمان بن الأنعم [٩] النصري فأعتقهما .

وقال علي جعفر الأزدي عن ادريس بن حنظلة العمي: فتح ابن عامر مدينة أبرشهر عنوة ، وفتح ما حولها طوس وبيورد ونسا وحمران ، وذلك سنة إحدى وثلاثين .

---

(١) منطقة الجبال الممتدة من همذان حتى هراة ، معجم البلدان .

(٢) جيل من الاتراك كانت لهم قوة سياسية كبرى في خراسان وسجستان .

(٣) مدينة بكرمان ، معجم البلدان .

(٤) من قرى بلخ ، معجم البلدان .

(٥) مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان ، معجم البلدان .

(٦) مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان ، معجم البلدان .

(٧) هي مدينة مشهد الحالية في إيران .

(٨) في الطبري : ٤/٣٠١ « فصالح كناري » .

(٩) في الطبري : ٤/٣٠٢ « ابن الاقدم » .

وقال موسى بن عبد الله بن خازم : صالح أي أهل سرخس ، فبعثه إليهم عبد الله بن عامر من أبرشهر ، وصالح ابن عامر أهل أبرشهر صلحاً ، فأعطوه جاريتين من آل كسرى بابوبج وطهميج ، أو طميهج ، فأقبل بهما معه ، وبعث أمير بن أحمر اليشكري ففتح ما حول أبرشهر طوس ، وبيورد ، ونسا وحران حتى انتهى الى سرخس .

قال المدائني : وأخبرنا الصلت بن دينار عن ابن سيرين قال: بعث ابن عامر عبد الله بن خازم الى سرخس ففتحها، وأصاب جاريتين من آل كسرى، فاعطى احداهما النوشجان ، وماتت بابوبج [1] .

قال المدائني : وأما أبو الذيال – زهير بن هنيد العدوي – فانه قال عن أشياخ من أهل خراسان: أن ابن سرح الأسود بن كلثوم العدوي عدي الرباب الى بيهق ، وهي من أبرشهر بينها وبين مدينة أبرشهر ستة عشر فرسخاً، ففتحها وقتل الأسود بن كلثوم ، وكان فاضلاً في دينه ، كان من أصحاب عامر بن عبد قيس ، وكان عامر يقول بعدما أخرج من البصرة : ما آسي من العراق على شيء إلا على ظماء الهواجر وتجاوب المؤذنين واخوان مثل الأسود بن كلثوم .

وعن غيره قال : غلب ابن عامر على نيسابور الى سرخس ، فارسل أهل مرو يطلبون الصلح فبعث اليهم ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي فصالح أبراز مرزبان مرو على ألفي ألف ومائتي ألف .

وقال مقاتل بن حيان بل صالحهم على ستة آلاف ألف ومائتي ألف .

قال الطبري : وفي سنة اثنتين وثلاثين كانت غزوة معاوية بن أبي سفيان المضيق ، مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة بنت قرظه بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقيل فاختة .

واستعمل سعيد بن العاصي سلمان بن ربيعة على فرج بلنجر ، وأمد الجيش

---

(١) نهاية السقط في م .

الذي كان به مقيماً مع حذيفة بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة الفهري .

فيما ذكر سيف عن محمد وطلحة قالا: كتب عثمان رحمه الله الى سعيد أن أغز سلمان الباب ، وكتب الى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب :ان الرعية قد أبطر كثيراً منهم البطنه ، فقصر ولا تقتحم بالمسلمين فاني خاش أن يبتلوا ، فلم يزجر ذلك منه عبد الرحمن عن غايته، وكان لا يقصر عن بلنجر ، فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنجر حصروها ، ونصبوا عليها المجانيق والعرادات ، فجعل لا يدنوا منها أحد إلا أعنتوه أو قتلوه ، وأسرعوا في الناس وقتل معضد في تلك الأيام ، ثم إن الترك أبعدوا يوماً ، فخرج أهل بلنجر ، وتوافت إليهم الترك فاقتتلوا ، وأصيب عبد الرحمن بن ربيعة وكان يقال له ذو النور ، فانهزم المسلمون وتفرقوا ، فأما من أخذ طريق سلمان بن ربيعة فحماه حتى خرج من الباب ، وأما من أخذ طريق الخزر وبلادها فانه خرج على جيلان وجرجان ، وفيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة ، وأخذ القوم يومئذ عبد الرحمن فجعلوه في سفط فبقي في أيديهم ، فهم يستسقون به إلى اليوم ويستنصرون به .

وعن سيف بسنده قال : لما تتابعت الغزوات على الخزر تذامروا وتعايروا، وقالوا : كنا أمة لا يقوم لنا أحد حتى جاءت هذه الأمة القليلة ، فصرنا لا نقوم لها ، فقال بعضهم لبعض : هم لا يموتون ولو كانوا يموتون لما اقتحموا علينا وما أصيب في غزواتها أحد ، إلا في آخر غزوة عبد الرحمن ، فقالوا : أفلا تجربون وكمنوا في الغياض ، فمر باولئك الكمين مُرّار من الجند فرموهم فقتلوهم ، فواعدوا رؤوسهم ثم تداعوا إلى حربهم ، ثم اتعدوا يوماً فاقتتلوا فقتل عبد الرحمن ، وأسرع الناس وافترقوا فرقين : فرق نحو الباب فحماهم سلمان حتى أخرجهم ، وفرق أخذوا نحو الخزر قطعوا على جيلان وجرجان فيهم سلمان[1] ابن ربيعة وأبو هريرة .

---

(١) كذا في النسختين وهو وهم يتناقض مع ما سبق قوله ، وقد جاء في حاشية الاصل : إنما هو سلمان الفارسي ، وهذا ما ورد في تاريخ الطبري : ٤/٥ ٣٠ .

وذكر سيف بسنده قال : كان يزيد بن أبي معاويـــة بن قيس [1] ومعضد الشيباني، وأبو مفزر التميمي في خباء وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة، والحلحال ابن ذُرّي ، والقرثع في خبـــاء ، وكانوا متجاورين في عسكر بلنجر ، وكان القرثع يقول : ما أحسن لمع الدماء على الثياب ، وكان عمرو بن عتبة يقول : لما إبيض عليه : ما أحسن حمرة الدم في بياضك .

وغزا اهل الكوفة بلنجر سنين من إمارة عثمان لم تثم فيهن امرأة ولم يتم فيهن صبي من قتل ، حتى كان سنة تسع ، فلما كان سنة تسع قبـل المزاحفة بيومين رأى يزيد بن معاوية بن قيس أن غزالاً جيء به إلى خبائه لم ير غزال أحسن منه حتى لف في ملحفته ، ثم أتي به قبر عليه أربعة نفر لم ير قبر أشد إستواء منه ، ولا أحسن منه حتى دفن فيه فلما تعادى الناس عـلى النزال رمي يزيد بحجر فهشم رأسه ، فكأنما زين ثوبه بالدماء زينة ، وليس يتلطخ ، فكان ذلك الغزال الذي رأى ، وكان بذلك الدم على ذلـــك القباء من الحسن ، فلما كان قبل المزاحفة بيوم تغادوا فقال معضد لعلقمة : أعرني بردك اعصب به رأسي ، وأتى البرج الذي اصيب فيـــه يزيد فراماهم فقتل فيهم ، ورمي بحجر في عرادة ففضخ هامته ، واجتره أصحابه فدفنوه إلى جنب يزيد ، وأصاب عمرو بن عتبة جراحة ، فرأى قباءه كما اشتهى وقتل ، فلما كان يوم المزاحفة قاتل القرثع حتى حرب بالحراب ، فكأنما كان قباؤه ثوب أرضه بيضاء ووشيه أحمر ، ومـا زال الناس ثبوتاً حتى اصيب ، وكانت هزيمة الناس مع مقتله .

---

(١) في م « أبو مدين معاوية بن قيس » وفي الطبري : ٤/٣٠٥ « كان يزيد بن معاويـــة وعلقمة بن قيس » .

ذكر فتح مرو الروذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان

ذكر الطبري قال المدائني : أنا سلمة بن عثمان وغيره ، عن اسماعيل بن مسلم عن ابن سيرين قـــال : بعث ابن عامر الأحنف بن قيس إلى مرو الروز فحصر اهلها فخرجوا إليهم فقاتلوهم ، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصونهم فاشرفوا عليهم فقالوا : يامعشر العرب ما كنتم عندنا كما نرى ، لو علمنا أنكم كما نرى لكانت لنا ولكم حال غير هذه فأمهلونا ننظر في يومنا ،وارجعوا إلى عسكركم ، فرجع الأحنف ، فلما اصبح غاداهم وقد أعدوا له الحرب، فخرج رجل من العجم معه كتاب من المدينة فقال : إني رسول فأمنوني ، فأمنوه فإذا رسول من مرزبان مرو : ابن أخيه وترجمانه ، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف، فقرأ الكتاب ، فإذا هو :

إلى أمير الجيش إنا نحمد الله الذي بيده الدول ، يغير ما شاء من الملك ويرفع ما شاء بعد الذلة ، ويضع ما شاء بعد الرفعة ، إنـــه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من اسلام جدي،وما كان رأى من صاحبكم الكرامة والمنزلة فمرحباً بكم وأبشروا ، وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا على أن أودي إليكم خراجنا ستين ألف درهم ، وأن تقروا بيدي ما كان لملك كسرى أقطع جد أبي، حيث قتل الحية التي أكلت الناس، وقطعت السبيل من الأرض والقرى بما فيها من الرجال ، ولا تأخذوا من أحـــد من أهل بيتي شيئاً من الخراج ولا تخرجوا المرزبة من أهل بيتي إلى غيرهم فإن جعلت ذلك لي خرجت إليك ، وقد بعثت إليك ابن أخي ماهك ليستوثق منك بما سألت .

قال : فكتب إليه الأحنف :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مرو الروذ ومن معه من الأساورة والأعاجم ، سلام على من اتبع الهدى وآمن واتقى ، أما بعد : فإن ابن أخيك ماهك قدم علي فنصح لك جهده ، وأبلغ عنك ، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين وأنا وهم فيما عليك سواء ، وقد أجبناك إلى ما سألت وعرضت علي : أن تؤدي عن أكرتك وفلاحيك والأرضين ستين ألف درهم إلي ، وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أبيك لما كان من قتله الحية ، التي أفسدت الأرض وقطعت السبيل ، والأرض لله ورسوله يورثها من يشاء من عباده ، وإن عليك نصرة المسلمين ، وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة إن أحب المسلمون ذلك وأرادوا ، وإن لك على ذلك نصر المسلمين على من تقاتل من ورائك من اهل ملتك ، جاز لك بذلك مني كتاب يكون لك بعدي ، ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام ، وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك ما للمسلمين من العطاء والمنزلة والرزق ، وأنت أخوهم ، ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذمة المسلمين ، وذمم آبائهم . شهد على ما في هذا الكتاب جزء ابن معاوية ، أو معاوية بن جزء — وحمزة بن الهرماس ، وحميد بن الخيار المازنيان ، وعياض بن ورقاء الأسيدي ، وكتب كيسان مولى بني ثعلبة يوم الأحد من شهر الله المحرم ، وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس ، ونقش خاتمه الأحنف بن قيس يعبد الله .

قال المدائني بسنده عن مقاتل بن حيان ، قال : صالح ابن عامر أهل مرو ، وبعث الأحنف في أربعة الاف إلى طخارستان ، فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مرو الروذ وجمع أهل طخارستان وأهل الجوزجان والطالقان

والفارياب ، وكانوا ثلاثة زحوف ثلاثين ألفاً وأتى الأحنف خبرهم وما جمعوا له ، فاستشار الناس فاختلفوا فئتين فقائل نرجـــع إلى مرو ، وقائل نرجع إلى أبرشهر وقائل نقيم ونستمد ، وقائل نلقاهم فنناجزهم ، قال : فلما أمسى الأحنف خرج يمشي في العسكر، ويسمع حديث الناس،فمر بأهل خباء ورجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن ، وهم يتحدثون ويذكرون العدو ، فقال بعضهم : الرأي للأمير إذا أصبح أن يسير حتى يلقى القوم حيث لقيناهم فإنه أرعب لهم، فيناجزهم ، فقال صاحب الخزيرة أو العجين: إن فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأتم أتأمرونه أن يلقى حد العدو مصحراً في بلاده ، فيلقى جمعاً كثيراً بعدد قليل ، فإن جالوا حوله اصطلمونا ، ولكن الرأي له ، أن ينزل بـين المرغاب والجبل فيجعل المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره فلا يلقاه من عـدوه ، وإن كثروا إلا عدد أصحابه .

فرجع الأحنف ، وقد اعتقد ما قال ، قال : فضرب عسكره وأقام فأرسل إليه اهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه،فقال إني أكره أن أستنصر بالمشركين فأقيموا على ما أعطيناكم وجعلنا بيننا وبينكم، فإن ظفرنا فنحن على ما جعلنا لكم ، وإن ظفروا بنا وقاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم .

قال : فوافق المسلمون صلاة العصر فعاجلهم المشركون فناهضوهم فقاتلوهم وصبر الفريقان حتى أمسوا والأحنف يتمثل بشعر ابن حُؤيّة الأعرجي :

أحق من لم يكره المنية جزور ليست له ذرية [1]

قال المدائني : أنا ابو الأشعث عن أبيه قال : لقي الأحنف بن قيس أهل مرو الروذ والطالقان والفارياب والجوزجان والمسلمين ليلاً ، فقاتلهم الأحنف حتى ذهب عامة الليل ، ثم هزمهم الله فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى دسكر،وهي على اثني عشر فرسخاً من قصر الأحنف ، وكان مرزبان مرو قـــد تربص بجمل

(١) الطبري : ٤/٣١٢ .

ما كانوا صالحوا عليه لينظر ما من أمرهم، قال فلما ظفر الأحنف سرح رجلين إلى المرزبان وأمرهما أن لا يكلماه حتى يقنعاه ففعلا ، فعلم أنهما لم يصنعا ذلك به إلا وقد ظفروا ، فحمل ما كان عليه .

قال المدائني : وأخبرنا المفضل الضبي عن أبيه قال : سار الأقرع بن حابس إلى الجوزجان بعثه الأحنف في جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت من الزحوف الذين هزمهم الأحنف ، فقاتلهم فجال المسلمون جولة ، فقتل فرسان من فرسانهم ، ثم أظفر الله المسلمين بهم فهزموهم وقتلوهم فقال ابو كبير النهشلي :

سقى مزن السحاب إذا استهلت ... مصارع فتية بالجوزجان
إلى القصرين من رستاق خوط ... أقادهم هناك الأقرعان[1]

وهي طويلة .

★ ★ ★

(١) الطبري : ٤/٣١٣ .

ذكر جري الصلح بين الأحنف وبين أهل بلخ

قال المدائني : أخبرني زهير بن الهنيد عن إياس بن المهلب ، قال : سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصرهم ، فصالحه أهلها على أربعمائة ألف ، فرضي ذلك منهم واستعمل ابن عمه وهو أسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ما صالحوا عليه ، ومضى إلى خوارزم ، فأقام حتى هجم عليه الشتاء ، فقال لأصحابه ما ترون ؟ فقال له حصين : قد قال عمرو بن معدي كرب .

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

قال : فأمر الأحنف بالرحيل ، ثم انصرف إلى بلخ وقد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه ، وكان وافق وهو [1] يجيبهم المهرجان فأهدوا إليه هدايا من آنية الذهب والفضة ، ودنانير ودراهم ، ومتاع ودواب ، فقال ابن عم الأحنف هذا ما صالحناكم عليه؟ قالوا : لا ، ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمن ولينا نستعطفه به ، قال : وما هذا اليوم ؟ قالوا : المهرجان ، قال : ما أدري ما هذا ، وإني لأكره أن أرده ولعله من حقي ، ولكني أقبضه وأعزله حتى أنظر فيقبضه ، وقدم إلى الأحنف فأخبره ، فسألهم عنه ، فقالوا مثل ما قالوا لابن عمه ، فقال : آتي به الأمير ، فحمله إلى ابن عامر فأخبره عنه ، فقال : اقبضه يا أبا بحر فهو لك ، قال : لا حاجة لي فيه ، فقال ابن عامر : ضمه إليك يا مسمار .

---

(١) في الاصل « وهو مجيئهم » وجاء بالحاشية:لعله « وقت » ، وجاء في م « هو يجيبهم » وكذلك في الطبري : ٤/٣١٣ ، فاقتضى الحال التقويم .

قال الحسن : فضمه القرشي ، وكان مضمّا .

قال المدائني : وأخبرنا صدقة بن حميد عن أبيه ، قال بعث ابن عامر حين صالح أهل مرو ، وصالح الأحنف أهل بلخ ، خليد بن عبد الله الحنفي إلى هراة ، وباذغيش [1] فافتتحها ، ثم كفر العدو بعد فكان مع قارن .

قال المدائني : وأخبرنا مسلمة عن داود قال : لما رجع الأحنف إلى ابن عامر قال الناس لابن عامر : ما فتح على أحد ما فتح عليك : فارس وكرمان وسجستان ، وعامة خراسان ، فقال : لا جرم لأجعل شكري لله عز وجل على ذلك أن أخرج معتمراً من موقفي ، فأحرم بعمرة من نيسابور ، فلما قدم على عثمان لامه على إحرامه من خراسان ، وقال ليتك تضبط ذلك الموقف الذي يحرم منه الناس .

قال المدائني : أنا مسلمة عن السكن بن قتادة العريني قال : استخلف على خراسان قيس بن الهيثم ، وخرج ابن عامر فيها في سنة اثنين وثلاثين ، قال : فجمع قارن جمعاً كثيراً من ناحية الطبسين وأهل باذغيش وهراة وقسهتان ، فأقبل في أربعين ألفاً فقال [2] : لعبد الله بن خازم : ما ترى ؟ قال : أرى أن تخلي البلاد فإني أميرها ، ومعي عهد من ابن عامر إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها ، وأخرج كتاباً [3] قد افتعله عمداً ، فكره قيس مشاغبته ، وخلاه والبلاد وأقبل إلى ابن عامر فلامه ابن عامر ، قال : تركت البلاد حرباً وأقبلت قال : جاءني بعهد منك ، فقالت له أمه : قد نهيتك أن تدعهما في بلد فإنه يشغب عليك . قال : فسار ابن خازم إلى قارن في أربعة آلاف ، وأمر الناس

---

(١) بليدات في منطقة هراه ، القاموس .

(٢) في حاشية الاصل : أي قيس بن الهيثم .

(٣) نهاية نسخة م .

فحملوا الودك [١] ، فلما قرب من عسكره أمر الناس فقال : ليدرج كل رجل منكم على زج رمحه ما كان من خرقة أو قطن أو صوف ، ثم أوسعوه من الودك من سمن أو دهن أو زيت ، أو إهالة [٢] ، ثم سار حتى إذا مشى [٣] قدم مقدمته ستمائة ، ثم اتبعهم وأمر الناس فأشعلوا النيران في أطراف الرماح ، وجعل بعضهم يقتبس من بعض وانتهت مقدمته إلى عسكر قارن ، فأتوهم نصف الليل ولهم حرس فناوشوهم ، وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين في أنفسهم من البيات ، ودنا ابن خازم منهم ، فرأوا النيران يمنة ويسرة وتتقدم وتتأخر ، وتنخفض وترتفع فلا يرون أحداً ، فهالهم ذلك ، ومقدمة ابن حازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين ، فقتل قارن وانهزم العدو فاتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤوا ، وأصابوا شيئاً كثيراً ، فزعم شيخ من بني تميم ، قال : كانت أم الصلت بن حريث من سبي قارن ، وأم زياد بن الربيع منهم ، وأم عون أبي عبد الله بن عون الفقيه منهم .

قال المدائني : أنا مسلمة قال : أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه ، وكتب بالفتح إلى ابن عامر فرضي فأقره على خراسان ، فلبث عليها حتى انقضى أمر الجمل فأقبل إلى البصرة فشهد وقعة ابن الحضرمي ، وكان معه في دار سنبيل .

وعن الحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير الخزاعي، قال : جمع قارن للمسلمين جمعاً كثيراً ، فضاق المسلمون بأمرهم ، فقال قيس بن الهيثم لعبد الله بن خازم: ما ترى ؟ قال : أرى أنك لا تطيق كثرة من أتانا ، فاخرج بنفسك إلى ابن عامر

---

(١) الودك : الدسم ، القاموس .

(٢) الشحم أو الزيت المذاب ، القاموس .

(٣) في الطبري : ٤/٣١٥ « حتى إذا أمسى » وهو أقوم .

فتخبره بكثرة من جمعوا لنا ، ونقيم نحن في هذه الحصون ونطاولهم حتى تقدم، ويأتينا مددكم .

قال : فخرج قيس بن الهيثم فلما أمعن أظهر ابن خازم عهداً ، وقال : قد ولاني ابن عامر على خراسان ، فسار إلى قارن وظفر به ، وكتب بالفتح إلى ابن عامر ، فأقره ابن عامر على خراسان ، فلم يزل أهـــل البصرة يغزون من يكن صالح من أهل خراسان ، فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة ، فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة .

وحكى محمد بن عامر عن سعيد بن عبد العزيز أن عثمان رحمه الله إئتم بأبي بكر وعمر رحمهما الله في إثرة المجاهدين وتقويتهم بالأمـوال ، ولقد زاد عثمان أهل العطاء مائة دينار وتابع واغزاهم أرض الروم حتى ذلت صوريـــة ومن دونها من مدائن ضاحية الروم على أداء الجزية ، وعلى إنزال جماعة من المسلمين مدينة عمورية يقاتلون من خلفها ، فلم يزل المسلمون بها حتى بلغ أهل عمورية قتل عثمان رحمه الله ، دون من بها من المسلمين ، فبيتوهم فقتلوهم على فرشهم وانتقض ذلك الصلح .

وعن يزيد بن عبيد أن عمورية خربت سنة إحدى وعشرين ، وهي أول ما دخلت أرض الروم .

* * *

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وكان الفراغ منه يوم السبت المبارك سابع عشرين جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ، على يـد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن صدقة المالكي غفر الله ذنوبه وستر عيوبـه بالمدرسة الناصرية بين القصرين لمالكه سيدنا العبد الفقير إلى الله الشيخ الامام العلامـــة برهان الدين ابراهيم بن الامام الشيخ زين الدين عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي عامله الله بلطفه الخفي ، والحمد لله رب العـــالمين ، وصلى الله على سيدنا محمـــد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

– هذا تمام ديوان الغزوات والفتـــوح لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش رحمه الله .

– تم بلغ مقابلة ، فكمل تصحيحاً على أصله المنقول منه في مجالس آخرهـا ليلة الأحد تاسع عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، قال ذلك أبو الحسن إبراهيم البقاعي ، وهو الذي قابله وطالعه مـــرات والله المسؤول أن ينفعه به ، وأن يحشره في زمرة من به من الشهداء والصالحين ، إنه على كل شيء قدير ، آمين .

* * *

فهرس الجزء الأول من كتاب الغزوات الضامنة الكاملة

الموضوع	الصفحة
عنوان الكتاب	١
خطبة الكتاب	٣
مصادر الكتاب	٩
ذكر الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ في الفتن إثر موته	١١
ذكر بدء الردة	١٤
ذكر الأمراء الذين ولاهم النبي ﷺ الصدقات	٢٣
وصية أبي بكر خالد بن الوليد حين وجهه إلى طليحة	٢٨
ذكر مسير خالد بن الوليد إلى بزاخة وغيرها	٣٢
ذكر رجوع بني عامر وغيرهم إلى الاسلام	٤١
قصة مسيلمة الكذاب وردة أهل اليمامة	٥١
ذكر تقديم خالد بن الوليد الطلائع أمامه من البطاح	٦١
ذكر ردة بني سليم	١٠٥
ردة البحرين	١١٣
ذكر ردة أهل دبا وأزد عُمان	١٢٠
ردة صنعاء	١٢٤
ذكر ردة كندة وحضرموت	١٣١
ذكر بدء الغزو إلى الشام	١٤٢
رجع إلى كتاب فتوح الشام	١٨٤
رجع إلى قصة خالد	١٩٠
وقعة أجنادين	١٩٥

الموضوع	الصفحة
رجع إلى كتاب فتوح الشام	٢٠٢
وقعة مرج الصفر	٢٠٣
وفاة أبي بكر رضي الله عنه	٢٠٥
حصار أهل دمشق	٢٠٨
خبر دمشق من رواية سيف	٢١٢
ذكر أمر فحل في رواية سيف	٢١٨
ذكر بيسان	٢١٩
الطبرية	٢٢٠
حديث حمص الآخرة	٢٢٢
حديث قنسرين	٢٢٥
خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية	٢٢٦
وقعة اليرموك	٢٣٨
قصة صلح ايلياء وقدوم عمر رحمه الله الشام	٣٠٣
ذكر وقعة أجنادين	٣١٣
فتح قيسارية	٣٢٤
ذكر فتح مصر	٣٢٩
ذكر فتح أنطابلس وهي برقة	٣٦٤
فتح طرابلس	٣٦٥
ذكر غزو إفريقية وفتحها	٣٦٧
ذكر صلح النوبة	٣٧٢
حديث البحر والغزو فيه	٣٧٤
غزوة ذات الصواري	٣٧٨

فهر الجزء الثاني من كتاب الغزوات الضامنة الكاملة

الموضوع	الصفحة
ذكر فتح العراق وما والاه	٣
أخبار الأيام في زمان خالد بن الوليد	١٢
حديث الثني والمزار	٢٢
حديث رأس الوجلة	٢٥
حديث أللبس	٢٨
حديث أمغيشيا	٣١
حديث يوم المقر وضم فرات بادقلي	٣٢
حديث الحيرة	٣٤
حديث ما بعد الحيرة	٤٠
حديث صلوبا وزاد بن بهيش	٤١
حديث الأنبار وهي ذات العيون	٤٨
حديث عين التمر	٥٠
حديث دومة الجندل	٥٣
حديث ما بعد دومة	٥٥
حديث حصيد	٥٦
حديث الخنافس	٥٧
حديث المصيخ مصيخ بني البرشاء	٥٨
حديث الزميل وهو البشر	٦٢
حديث الرصاف وهو موضع الرصافة	٦٣
حديث الغراض	٦٣
ذكرى حديث المثنى بعد خالد	٦٥
ذكر المثنى بن حارثة وذكر أبي عبيد بن مسعود	٦٨
حديث السقاطية بكسكر	٧٤
حديث باقسياثا	٧٦
حديث وقعة قس الناطف	٧٨
حديث بالبويب ووقعة مهران	٨٥
حديث الخنافس	٩٩

الموضوع	الصفحة
حديث بغداد فيما ذكر سيف	١٠٠
حديث السرايا من الأنبار	١٠٢
الذي هيج حديث القادسية	١٠٥
حديث صلب القادسية	١٠٧
حديث يوم عُماس	١٨٤
مقتل رستم وفتح القادسية	١٩٩
ذكر توجيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عتبة بن غزوان إلى البصر	٢٣٨
فتح الأُبلة	٢٤٠
حديث ما بين القادسية والمدائن	٢٤٤
حديث المدائن	٢٥٢
دخول المدائن	٢٥٨
باب قسم الفيء يوم المدائن	٢٦٥
حديث وقعة جلولاء الوقيعة	٢٧١
ذكر فيوء جلولاء	٢٧٦
حديث يوم تكريت	٢٨٣
حديث يوم ماسبذان	٢٨٦
يوم قرقيسياء	٢٨٧
فتوح المدائن قبل الكوفة	٢٨٨
حديث تحويل سعد عن المدائن إلى تمصير الكوفة	٢٨٩
ذكر اختطاط البصرة	٢٩٠
اعادة تصنيف الناس	٢٩٣
تاريخ الفتوح قبل الانسياح	٢٩٤
حديث الانسياح إلى إغاثة أهل حمص	٢٩٥
حديث الجزيرة	٢٩٨
ذكر فتح سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى	٣٠٣

حديث فتح الأهواز ٣٠٦
ذكر غزو المسلمين أرض فارس ٣٠٩
ذكر فتح رام هرمز والسوس وتستر وأسر
الهرمزان ٣١٣
ذكر فتح السوس ٣٢٠
ذكر فتح جنديسابور ٣٢٣
حديث وقعة نهاوند ٣٢٥
حديث الانسياح وبدئه ٣٥١
حديث فتح أصبهان ٣٥٣
حديث فتح همذان ٣٥٦
فتح الري ٣٦٠
فتح قومس ٣٦٣
فتح أذربيجان ٣٦٦
حديث فتح الباب ٣٦٨
ذكر تعديل عمر رضي الله عنه فتوح أهل
الكوفة وأهل البصرة بينهم ٣٧٤
حديث الانسياح ومسير يزدجرد إلى خراسان ٣٧٦
فتح توج ٣٨٦
حديث اصطخر ٣٨٧
حديث فساودر أبجرد ٣٩١
حديث فتح كرمان ٣٩٣
فتح سجستان ٣٩٤
فتح مكران ٣٩٦
حديث بيرود ٣٩٧
حديث غزوة سلمة بن قيس الأشجعي
الأكراد ٤٠٠
ذكر غزوة الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية ٤٠٤
غزو سعيد بن العاصي طبرستان ٤٠٦
ذكر الخبر عن مقتل يزدجرد ٤٠٨
ذكر فتح أبوشهر وطوس وبيورد ونساوسرخس
وصلح مرو ٤١١
ذكر فتح مرو الروذ والطالقان والفارياب
والجوزجان وطخارستان ٤١٦
ذكر جري الصلح بين الأحنف وبين أهل بلخ ٤٢٠